

بسم الله الرحمن الرحيم
قام الطالب تفتيح جميع الملاحظات التي
قلت بتفتيحها ٢ المضاد للفتح

المستوف
عضو لجنة المراقبة
د. محمد ديب السلي

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
الدراسات العليا

١٤١٤/٧٧

د. عبد الحامد م. محمد

١٤١٤/١١/٩ هـ

منهج الكتاب والسنة

في تحقيق الوحدة الإسلامية

وأثره من الناحية التطبيقية

رسالة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة والفتوى الإسلامية الدعوة وأصول الدين

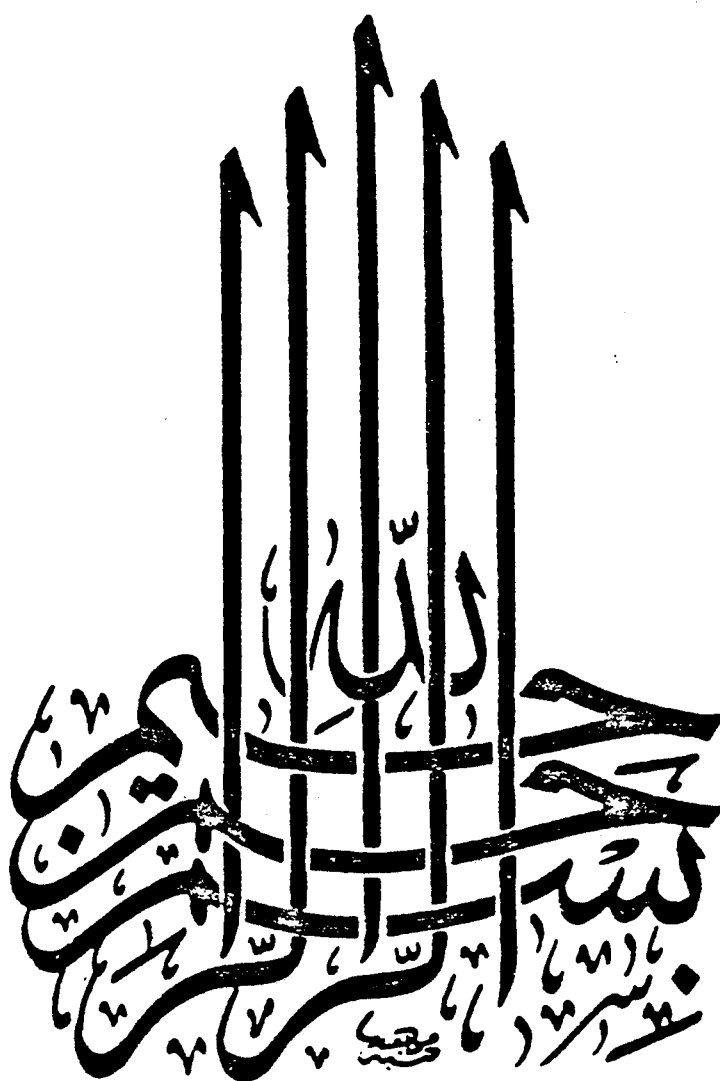


إعداد الطالب

محمد بن محمد بن الأمين الأنجاري

إشراف الدكتور

أحمد بن أحمد غلوش



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة :

منهج الكتاب والسنة في تحقيق الوحدة الإسلامية وأثره من الناحية التطبيقية

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس .

فأما المقدمة : فقد أوضحت فيها أهمية الموضوع والحاجة إليه وأسباب اختياره ، ومنهج البحث والخطة .

وأما التمهيد فهو في بيان الوحدة الإسلامية ، وبيان أسس الوحدة في الفطرة الانسانية .

وأما الباب الأول : " عوامل الوحدة الإسلامية في الكتاب والسنة " ويشمل خمسة فصول :

الفصل الأول : أثر العقيدة الإسلامية في تحقيق الوحدة الإسلامية .

الفصل الثاني : العبادات ووظيفتها في تنظيم الوحدة الإسلامية .

الفصل الثالث : ظاهرة الترابط والوحدة في المعاملات .

الفصل الرابع : نمو الوحدة الإسلامية بالجهاد في سبيل الله .

الفصل الخامس : لسان الوحدة الإسلامية " اللغة العربية "

وأما الباب الثاني : " وسائل تكوين الوحدة الإسلامية في القرآن والسنة " ويشمل أربعة فصول :

الفصل الأول : التربية على المنهاج الإسلامي .

الفصل الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفصل الثالث : الإصلاح بين الناس

الفصل الرابع : تطبيق الأخوة الإسلامية بالرعاية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وأما الباب الثالث : الناحية التطبيقية للوحدة ويشمل فصلين :

الفصل الأول : أثر تطبيق الوحدة الإسلامية .

الفصل الثاني : المعوقات الرئيسية للوحدة وطرق التغلب عليها .

وأما الخاتمة : فقد ركزت فيها على المقترحات التي تساعد في بناء الوحدة الإسلامية بين أجناس الأمة وهي المقترحات

العلمية والثقافية ، والمقترحات الاجتماعية والسياسية .

وأما الفهارس : فقد اقتصر على المفيد وهي : الآيات والأحاديث ، والأعلام ، والمراجع ، والموضوعات .

عميد الكلية

المشرف

الطالب

د . علي بن نفيح العلياني

د . أحمد بن أحمد غلوش

محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له ، الله
الكون ومدبره سبحانه وتعالى ، والملاة والسلام على رسوله
الكريم .

وبعد : فانى احمد الله سبحانه وتعالى الذى وفقنى
لاختيار هذا الموضوع خدمة لامتنا الاسلامية ودعوة الى مايؤلف
بين قلوبها ويوفق بين مشاعرها ووجداناتها وسلوكها
واعمالها ، ويجعل غاياتها شيئا واحدا شكلا ومضمونا ،
ولا يكون ذلك الا اذا بحثنا فى سر وجود هذه الامة وحقيقة
قوتها وعزتها وهو الكتاب والسنة ، وخاصة فى هذه الايام
التي ~~التي~~ فيها الامة الاسلامية ~~التي~~ واحزاب ، واشتد طمع
الاعداء فى فرقتها وتناحرها فكثرت دعوتهم الى ذلك وتنوعت
الشبه التي يزرعونها بين الصفوف .

ان المسلمين فى أمس الحاجة الى العناية بهذا الموضوع
ليعيدوا صورة المسلمين الاوائل حينما نشطوا فى مراتبهم
مسلحين بعقيدتهم واخوتهم ووحدتهم ، يحملون راية التوحيد
والاخوة الانسانية الحق يدعون ~~لها~~ الامم الموزعة بالباطل
والمشتتة بقطيعة الرحم الانسانى وهم آبقون عن خالقهم
ومعبودهم بحق فاذا الكلمة الطيبة على السنة المؤمنين
المهتدين والسيرة الحميدة وسائل بناء الاخوة والمحبة بين
الناس فى الافاق .

ولاشك ان كثر تفكك المسلمين وتوزعهم لم يقتصر على
المسلمين فحسب بل هو اشد ضررا على الامم الفرقى فى دياجر

الظلام والجاهليات المتعددة والعنصريات الممقوتة ، وكلها لا تقدر الانسان قدره ولا تعترف له بأفضلية ، فليس ثم مخلص للانسانية الكريمة من هذه القطيعة والجور والكفر والاحاد الا بالرجوع الى نصوح الكتاب والسنة لاستخلاص المنهاج الذى يحقق للانسان **الحكم** الحياة السعيدة ، ويؤلف بينه وبين اخيه فى طاعة الله ، ومنهج الكتاب الكريم والسنة الشريفة .

ويوم كانت الاخوة الاسلامية مطبقة سعد بها الناس ، ودخلوا فى دين الله أفواجا واعتز المسلمون وشرف مقامهم بين الأمم ، ونصروا بالحرب قبل السيف ، ولما توارى ذلك المنهج خسر المسلمون أنفسهم وذهبت ريحهم ووجدوا بعضهم لبعض عدوا ، **وَعَزَّزْتُ** تدخل الاختلاف فأعاد للجهل سلطانه .

والصحوة الاسلامية التى نترقبها فى كل لحظة مع كل حركة اسلامية يجب ان تهتم بالدراسات المتخصصة التى تميظ اللثام عن ذلك الماضى المشرق بجماله وجلاله وقوته وحضارته ، لذلك تعلقنا نفسى بهذا الموضوع وقادنى اليه الامل فى عودة الامة الى وحدتها ، لعلى أوفق لميادتها صياغة جديدة ، وعساه أن يحرك ساكنا ويذكر ناسيا ، ويشد الامة الى الكتاب والسنة المتضمنين لكل ما يربط الناس بالله سبحانه وتعالى ويقوى المساندة بين المسلمين ويعرف غير المسلمين بما فى هذا الدين من القوة والسياسة والاجتماع والمدنية والحضارة .

هذا وانى لم أجد فيما أعلم دراسة لهذا الموضوع متخصصة من خلال الكتاب والسنة ، وانما رأيت نتفا عند بعض المفكرين من خلال كتاباتهم لا تتجاوز مقالة او فقرة فى موضوع أو محاضرة موجزة ، أو اقتراحا فى مؤتمر ونحو ذلك مما لم

يعط فكرة واضحة ولا يقدم منهجا متكاملا مستمدا من الكتاب والسنة ، يتقيد بنصوصهما ولا يأخذ الاسهاب الانشائي الذي تضيع فيه الفكرة ، لأجل ذلك رأيت أن هذا الموضوع جدير بالاختيار وتدعو الحاجة اليه في فكر الدعوة الاسلامية الذي يجب أن يكون من أهدافه تقديم دراسات تتضمن ترغيب غير المسلمين للتعرف بالاسلام للدخول فيه أو الكف عن أذيته وقالة السوء فيه على الأقل ، بالإضافة الى أن هذا الموضوع ضرورة تفرضها حالة الأمة الاسلامية ، وخاصة أن القوانين الوضعية والفلسفات الجدلية تدعو المسلمين في كل محفل الى أن يتكتلوا ويتكاتفوا مع الغير بناء على ماتمليه هذه القوانين والنظريات من الترتيبات والضمانات والغايات مما لايساند وحدة المسلمين وقوتهم ، فيلزم أن نواجه هذا الغزو الفكري ^{١٠}برشوش الاسلامي ونبرهن على أنها كافية ووافية .

وقد استعنت بالله تعالى ، واستخرته ، ودعوته فوفقني سبحانه على أن أسجل دراستي للدكتوراه في موضوع :
 "منهج الكتاب والسنة في تحقيق الوحدة الاسلامية وأثره من الناحية التطبيقية " .

وذلك وفق منهج معين وخطة علمية منظمة .

المنهج في البحث :

اتبعت في دراسة الموضوع المنهج التالي :
 أولا : أنى تقيدت بنصوص الكتاب والسنة في الخطة والدراسة فلم أعتمد على النظريات الجدلية عند المتكلمين أو الفقهاء الذين يسرفون في الاستدلالات العقلية ، ولاعلى كلام

المعاصرين من السياسيين ونحوهم ممن يتحدثون عن وحدة الأمة بمنهج عقلى وخيال انشائى .

ثانيا : تناولت هذه النصوص بمنهج يعتمد على الدلالة اللفظية والمعنوية القريبة كما يفهمها رواد هذه الوحدة من سلف الأمة الذين يبتعدون عن التنطع والتكلف فى فهم الكتاب والسنة .

ثالثا : اعتمدت فى منهج البحث على أن العقيدة هى الأساس لكل شئ فى الاسلام من عبادة ومعاملة وسلوك ونحو ذلك بمعنى أن الوحدة الموضوعية هى الأسلوب العام لهذه الرسالة .

رابعا : كان من هدفى فى منهج البحث التقيد بخلاصة الموضوع وقد اتعبنى البحث عن الكلمة المفيدة ، والمعنى الشامل بين المعانى المتعددة فى المصادر دون التطويل والابتعاد بالموضوع عن النصوص .

خامسا : مما لفت نظرى أن الباحثين عن الوحدة الاسلامية يبين المسلمون المفكرين فى مقالاتهم أو محاضراتهم أو نحو ذلك انما يتناولون الوحدة الاسلامية بأساليب ومناهج الاتفاقات الدولية ، أو بين الجماعات التى تريد التعاون على شئ ما ، بينما المفروض أن النظر فى الوحدة الاسلامية يجب أن يكون من الأصول ، ثم الفروع من العبادات ، ثم ما يتبع ذلك من آداب الاجتماع والسياسة ، وأنا فى هذه الرسالة بحثت عن الوحدة الاسلامية من خلال العقيدة والتكوين الفطرى وغرائزه ، ثم فى قواعد الاسلام التطبيقية للعقيدة من أركان الاسلام والجهاد ، واتخذت الوسائل والأساليب التى جاءت فى النصوص ، كالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والاصلاح

بين الناس وحقوق الاخوة الاسلامية - اتخذت من ذلك أدوات لتكوين هذه الوحدة بعواملها ، والوحدة الاسلامية بهذا ليست بالأمر الثانوى ولا بالسياسة المتدافعة بين الساسة والدول ، وانما هى أمر جوهري من ضمن العقيدة والواجبات التكليفية ، ليس لاي أحد من المسلمين الحرية فى رفضها اللهم الا اذا رفض العقيدة نفسها ، والواجبات التى كلف بها ربنا سبحانه وتعالى .

فالوحدة الاسلامية ليست وليدة الحاجة فحسب ، ولاهى أمر تتطلبه المواقف المعينة بين المسلمين أو بين اجناسهم تزول ولا أهمية لها اذا زال الغرض أو تحقق المطلوب السياسى ، أو الاجتماعى ، أو الاقتمادى ، وانما الوحدة الاسلامية ^(١) من أركان العقيدة أو لازم من لوازم العقيدة والعبودية لله تعالى ، وهى العامل الذى يحدد مصير الأمة ومواقفها بين الأمم والتاريخ الذى يربط بين الماضى والحاضر وبتعبير أوجز واشمل : فالوحدة الاسلامية هى الجنسية الاسلامية ، كما أن شعار هذه الجنسية أو مصدرها كلمة "لا اله الا الله محمد رسول الله" ، لأن الله تعالى هو الذى أمر بهذه الوحدة وعقدها ^(٢) بين المؤمنين اذا آمنوا على هذا المبدأ كما قال تعالى :

{انما المؤمنون اخوة} .

(٢)

وقوله :

{وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون} .

(١) الآية من سورة الحجرات : ١٠
(٢) الآية من سورة المؤمنون : ٥٢

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول وثيقة أعلنها بين المؤمنين من المهاجرين والانصار : "بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، ولايحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى ذريعة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ، ولايقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولاينصر كافر على مؤمن وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس... الخ" .^(١)

- وهذه الوثيقة دستور كامل لعقد الاخوة والوحدة بين المسلمين كما فى النقاط التالية :
- (١) وحدة الامة الاسلامية وترباطها بالايمان تأكيدا لما جاء فى القرآن ونصوص السنة .
 - (٢) المساواة بين المسلمين فى الكرامة والحقوق .
 - (٣) تعاون المسلمين وتكاتفهم فى الحق دون الظلم والعدوان سواء كانوا فى الحرب أو فى السلم .
 - (٤) تأسيس المجتمع المسلم وبناء الامة والدولة المسلمة بمنهج الايمان .

(١) سيرة ابن هشام ، ط/٢ ، ١١٩/٢ .
انظر : السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعى ص ٦٧-٦٩ ، ط/٥ المكتب الاسلامى . وانظر : مع العقيدة والحركة والمنهج فى خير أمة أخرجت للناس للدكتور على عبد الحليم محمود ص ٧٢-٧٤ ، ط/جامعة الامام عام ١٣٩٨هـ .

(٥) ميزة المسلمين عن غيرهم بالايمان ورفع مكانتهم الأدبية .

(٦) مسئولية المسلمين وحدهم عن غيرهم لحملهم الدعوة فهم خير أمة أخرجت للناس .

(٧) وضوح موقف المسلمين من غيرهم بفتح الباب على مصراعيه لمن يلحق بهم عقيدة أو جوارا .

وهذا الموضوع لم تكن مراجعته فئة معينة من مصادر ثقافتنا الإسلامية ، إنما ~~البحر~~ ^{الثقافي والعلمي} من كتابنا العزيز وسنة نبينا المطهرة قديما وحديثا يكون مرجعا لهذا الموضوع ، لأنه روح الشريعة كلها في أصولها وفروعها ، ولو أن في المقدور قراءة كل ماكتب في الاسلام لأمكن أن توجد العلاقة بين الموضوع وبين أى فكر وفقه لخدمة الاسلام والمسلمين ، ولكن هذا لايمكن لأى باحث مهما كان نشاطه ، ولذلك فقد اكتفيت بما تيسر وفي استطاعتي من المراجع وخاصة الأمهات من كتب المفسرين والمحدثين ، فان الخير كل الخير فيها وهى المصادر الأساسية لكل بحث يتعلق بالكتاب والسنة بل هى النبع الثقافى الذى لاينضب معينه مهما بحث الباحثون وتنوعت موضوعاتهم ، فانهم كلما أرادوا توجيهها فى آية من كتاب الله تعالى يتعلق بالماضى أو بالحاضر أو بهما معا يجدون هذا التوجيه عند المفسرين رحمهم الله ، كما يجدون من مصادر السنة كنوزا من الرواية وأساليب من السياقات التى تبين لهم وتنص على الأهداف من الفكر والفقه ، وقد أغنى الفقهاء الأمة بفكر فقهي واستنباط مخلص تناول الوقائع الماضية والحاضرة والمستقبلية ، فهذه المصادر فيها

الكفاية والحجة البالغة لكل باحث رضى الاتجاه ، رحم الله الجميع وجزاهم خيرا .

وفى نفس الوقت كنت أستعين ببعض المصادر الحديثة التى لها صلة بدراسات تتعلق بالوحدة الانسانية لعلوم السياسة والتاريخ والاجتماع وغيرها .

وتشمل الرسالة الأبواب والفصول التالية :

التمهيد :

(أ) مفهوم الوحدة الاسلامية .

* المعنى اللغوى للوحدة .

* الاسلام فى اللغة والاصطلاح .

* معنى الوحدة الاسلامية .

(ب) أسس الوحدة فى الفطرة الانسانية .

* الفطرة فى اللغة والاصطلاح .

* الاسس الرئيسية .

الباب الاول : عوامل الوحدة الاسلامية فى الكتاب والسنة

الفصل الاول : أثر العقيدة الاسلامية فى تحقيق الوحدة

الاسلامية .

الفصل الثانى : العبادات ^{ووظائفها} فى تنظيم الوحدة

الاسلامية .

الفصل الثالث : ظاهرة التعاون والترابط فى المعاملات.

الفصل الرابع : نمو الوحدة وشمولها فى الجهاد .

الفصل الخامس : لسان الوحدة الاسلامية (اللغة العربية)

الباب الثانى : وسائل تكوين الوحدة الاسلامية فى

القرآن والسنة .

التمهيد :

توطئة : فى مفهوم الوسيلة فى اللغة والاصطلاح .

الفصل الاول : التربية على المنهاج الاسلامى .

الفصل الثانى : الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

الفصل الثالث : اصلاح بين الناس .

الفصل الرابع : تطبيق الاخوة الاسلامية بالرعاية :

الاجتماعية - الاقتصادية - السياسية

الباب الثالث : الناحية التطبيقية للوحدة .

التمهيد : مفهوم التطبيق .

الفصل الاول : آشار الوحدة الاسلامية .

الفصل الثانى : المعوقات الرئيسية وأشهرها .

الفهارس :

(١) فهرسة الآيات

(٢) فهرسة الاحاديث

(٣) فهرسة الاعلام

(٤) المراجع

(٥) الموضوعات

وبعد : فانى اتقدم بالشكر لفضيلة شيخى الدكتور أحمد

ابن أحمد غلوش الذى كان بإشرافه على هذه الرسالة الفضل

الكبير والجهد الكثير فى توجيهى وارشادى الى مافيه الخير

وقد استفدت من توجيهاته وأخلاقه فى البحث العلمى الشئ

الكثير وأرجو الله تعالى أن يشيبه على ماتكبد من المتاعب

صبرا على وعلى قصورى ، ويشيبه على كثرة قراءته ومراجعته

لهذه الرسالة التى أرجو أن ينفع الله بها أمتنا

الاسلامية فى محوتها الجديدة ، ووحدتها المرتقبة .

التمهيد

(١) مفهوم الوحدة الإسلامية :

لابد من الرجوع الى المعاجم اللغوية فى مادتى (وحد) و(سلم) للوقوف على المعانى المرادة من هاتين المادتين ، ثم تحديد عناصر ومدلول هذا التركيب "الوحدة الإسلامية" ، ولا بد كذلك من الرجوع الى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فورود الكلمتين فى آيات كثيرة وأحاديث عديدة لمقاصد عقائدية وتشريعية مع بقاء المعنى اللغوى ، ومن خلال ذلك سنرى مدى العلاقة بين المعنى اللغوى والشرعى ، وكيف اتسع الاستعمال من المادتين لمفهوم الوحدة الإسلامية .

المعنى اللغوى للوحدة :

الوحد والاحد كالواحد فى أن الهمزة بدل الواو والفرق بين الواحد والاحد هو : أن الاحد موضوع لنفى ما يذكر معه من العدد ، ويكون فى موضع الجحود تقول : ماأتانى منهم أحد يعنى لاواحد ولااثنان ... ما لم يفف واذا أضيف صار معناه قريبا من الواحد كأحد الثلاثة .

وأما الواحد فهو اسم لبداية العدد ووضع على أنه لانظير له ولامثيل وأنه لإثبات . فاذا قلت : جاءنى منهم واحد فالمعنى أنه لم يأتنى منهم اثنان ، وواحد يرد بمعنى الجمع (١) لقوله تعالى :

{فما منكم من أحد عنه حاجزين} .

(١) الآية من سورة الحاقة : ٤٧ .

(١)
وكقوله تعالى :

{لانفرق بين أحد من رسله} .

فهذا فى موضع الجمع ولفظة "بين" لاتقع الا بين اثنين
فما فوق . والواحد قد يجمع ويراد به مفرد ، والعرب تقول
انتم حى واحد وواحدون ، وكقول الشاعر :
(٢)

فضم قوامى الأحياء فقد رجعوا كحى واحدينا

وحد : يوحد والمصدر : وحادة ووحادة ووحدا ووحيدا أى
منفردا لأحد معه يؤنس وحد يوحد : أى بقى وحده كفقّه وفقه
وسنة وسنة ووحده مصدر لايشئ ولايجمع ولايغير عن المصدر .
والحدة : الانفراد وأصلها كذلك من الواو فحذفت من
أولها وعوضت منها الهاء فى آخرها كعدة وزنة من الوعد
والوزن تقول : جعلت الشئ على حدة أى على انفراد .
ومن المادة : الميحاد والمواحيد : جماعة الميحاد وهى
الأكمة المفردة البائنة عن الأخرى . وهذا الوصف لا يوصف
به غير الله "الأحد" . "فهو الفرد الذى لم يكن معه
أحد .

ومن مصادر هذه المادة : التوحيد وهو الايمان بالله
وحده لاشريك له والله الواحد الأحد ذو الوجدانية ، والتوحيد
(٣)
من صفات الواحد الأحد .

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٨٥
(٢) وهو الكيمت بن زيد من مفر شاعر مقدم .
انظر ترجمته فى : مختارات الأغانى لابن منظور ٢٥٣/٩ .
(٣) انظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، المصباح
المنير ، أساس البلاغة فى مادة (وحد) ، (واحد) ، تهذيب
اللفظ للأزهري ١٩٢/٥ - ٢٠٠ ، معجم متن اللغة لأحمد رضا
٧١٥-٧١٨/٥ .

ومن المادة اشتقت كلمة الاتحاد وهى : حقيقة ومجاز ،
والاتحاد الحقيقى له اطلاقان :

- (أ) صيرورة الذاتين ذاتا واحدة كأن يصير عمرو وزيد زيدا .
(ب) صيرورة شئ ما شيئا آخر غيره لم يكن موجودا من قبل
لاهو ولاجزؤه .

والاتحاد بهذين المعنيين أمر مستحيل بالضرورة ، ومن ثم قيل
"الاشنان لايتحدان" .

وأما الاتحاد المجازى فله ثلاثة اقسام :

- (أ) تحول الشئ الى شئ آخر بالتدرج أو دفعة واحدة .
(ب) أن يصير شئ شيئا آخر بعد التركيب لكون التراب طينا
بعد خلطه بالماء فيكون شيئا ثالثا .
(ج) أن يتمور مخلوق بصورة مخلوق آخر كالملك يتمور بصورة
(١)
انسان .

وهذه الامور الثلاثة تقع بقدرة الخلاق العليم وهو على
كل شئ قدير .

والواحد فى الحقيقة هو الشئ الذى لاجزاء له البتة ثم
يطلق على كل موجود حتى انه مامن عدد الا ويمح أن يوصف به
فيقال : عشرة واحدة ومائة واحدة والى واحد فواحد لفظ
مشترك يستعمل على ستة مواضع :

- (١) ماكان واحدا بالاتصال اما من حيث الخلقة كشخص واحد أو
من حيث الصناعة كحرفة واحدة .
(٢) ماكان واحدا فى جنسه أو نوعه كالانسان والفرس وزيد
وعمره .

(١) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ٥٢/٢-٥٣ .

- (٣) ماكان واحدا لعدم نظيره إمامي الخلق كترك الشمس واحدة أو في دعوى الغفيلة كفلان واحد دهره ونسيج وحده .
- (٤) ماكان واحدا لامتناع التجزئ، اما لصغره كالهباء أو لصلابته كاللماش .
- (٥) ماكان للمبدأ كالعدد كواحد اثنان أو لمبدأ الخط كالنقطة الواحدة .
- والوحدة في هذه الأمور المذكورة عارضة .
- (٦) واذا وصف الله تعالى بالواحد فمعناه هو الذي لايمح عليه التجزئ ولاالتكثر .
- والواحد المفرد يوصف به غير الله .. واما أحد مطلقا (١)
لايوصف به غير الله .
- و"التوحيد مصدر وحد يوحد ومعنى وحدت الله اعتقدته منفردا بذاته وصفاته لانظير له ولاشبيه وقيل معنى وحدته علمته واحدا وقيل سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لانقسام له وفي صفاته لاشبيه له في الهيته وملكه وتدبيره لاشريك له ولارب سواه ولاخالق غيره " (٢) .
- وخلاصة القول :

ان "الوحدة" تأتي بفتح الواو وبكسرهما ومعناها في الفتح الانفراد عن الاصحاب والبيّنونة عنهم وبالكسر تطلق لمعنى الاتحاد المجازي كما تقول وحدة الأمة وهذا لفظ يفيد أن العدد من الاثنين فما فوق قد صار كالشيء الواحد كوحدة

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب بتمصرف ص ٥١٤-٥١٥ .
(٢) فتح الباري لابن حجر ٣٤٤/١٣ عن أبي القاسم التميمي في كتابه الحجة .

الدولتين وذلك هو المقصود لموضوعنا وكان هذا نشأ بالتوسع والتجوز من المعنى الأول اللغوى وهو الانفراد ومن شأنه الانضباط وعدم الافتراق كما أن التعدد وعدم الاتحاد يؤدي الى التشتت فاستعير من الانفراد هذا المعنى للاجتماع والضبط (١) والالتزام .

الاسلام فى اللغة والاصطلاح .

هذه المادة تطلق فى اللغة على الأمور التالية :

- (١) السلام بكسر السين الحجارة الصلبة سميت بهذا سلاما (٢) لسلامتها من الرخاوة كقول لبيد :
- (٣) فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها
- (٢) السلام بالفتح شجر من العضاة وورقها القرظ يدبغ بها ويجمع على سلمات ويقال أديم مسلوم أى مدبوغ بالسلم .
- (٣) السلم بسكون اللام الدلو التى لها عروة واحدة كدلاء السقائين وربما سمى الدلو بهذا الاسم لأنه مدبوغ بالسلم المذكور كقول لبيد :

-
- (١) انظر : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ، للدكتور محمد محمود حجازى ص ٣٢ ، القاهرة .
 - (٢) لبيد بن ربيعة بن عامر الشاعر المشهور كان فارسا شجاعا سخيا عاش فى الاسلام خمسا وخمسين سنة وفى الجاهلية تسعين سنة توفى بعد سنة ستين من الهجرة ولما سئل عن ماقاله من الشعر فى الاسلام قال : أبدلنى الله به سورة البقرة وذكر عنه بيت فى الاسلام وهو قوله :
ماعاتب المرء اللبيب كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح
وقيل بل قوله :
الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى
حتى لبست من الاسلام سربالا
قال ابن عبد البر مما يدل أنه قال غير هذا فى الاسلام من الشعر قوله :
وكل امرئ يوما سيعلم سعيه
إذا كشفت عند الإله المحاصل
انظر ترجمته فى : الاصابة لابن حجر ٧٥٣٥/٩ ، الاستيعاب ص ٢٢٣٣ على هامش الاصابة .
 - (٣) البيتان فى معلقته من ضمن المعلقات السبع .

- بمقابل سرب المخارز عدله قلق المحالة جازن مسلوم
- (٤) السليم من الغرس مابين الأشعر وبين الصحن من حافره .
- (٥) السلامة عظام الأصابع فى اليد والقدم وسلامى البعير عظام فرسنه .
- (٦) السليم اللديغ فعيل من السلم سمى بذلك تفاؤلا لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى كما قالوا للفلاة مفازة .
- (٧) السلام اسم من أسماء الله ومنه اشتق التسليم لسلامته من العيب والنقص وهو الذى يخلص من كل مكروه وأعد دار السلام وهى الجنة للمتقين وجعلها دائمة السلامة من الموت والهرم والأسقام فلا تنقطع ولا تنفى ، ومن اسم الله تعالى اشتق السلام بمعنى التحية ، والسلام ضد الحرب .^(١)
- والاسلام والاستسلام هو الانقياد لله تعالى وفى الاصطلاح الشرعى هو اظهار الخضوع لله تعالى ولشريعته بأن يلتزم المسلم ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم ليحقق دمه وماله وعرضه .
- وقد يعرف بأن الاسلام باللسان والايمان بالقلب والمسلم له معنيان :
- المستسلم لأمر الله ، والمخلص العبادة لله ، وقد عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام لما سأل ما الاسلام ؟ فقال : "الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة (سلم) ، المفردات للراغب ، مادة (سلم) .

(١)

البيت ان استطعت اليه سبيلا" .

فهذه أركان الاسلام الخمسة من قبلها ظاهرا فهو المسلم الذى يجب عليه ان يعقد الاخوة والوحدة بينه وبين أخيه الآخر .

وخلاصة القول فى أن الاسلام فى الشرع له اطلاقان :

الاول : الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم والعرض والمال سواء حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل .

الثانى : الاعتراف باللسان مع الاعتقاد بالقلب والوفاء بالفعل والعمل بالأركان والانقياد لله تعالى فى كل قبائه وقدره كما أخبر الله عن ابراهيم عليه السلام :

(٢)

{ان قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين} .

(٣)

وقوله تعالى :

{ان الدين عند الله الاسلام} .

معنى الوحدة الاسلامية :

مما تقدم من معنى المادتين "وحد وسلم" فى اللغة والاشتقاق واستعمالات القرآن والسنة يتبين المراد بالوحدة

الاسلامية انه الاتحاد الخالص السليم من العيوب والافتراق والاختلاف والنزاع بين المسلمين الذين وحدوا الله تعالى

(١) رواه البخارى فى كتاب الايمان باب رقم ٣٧ ، مسلم فى كتاب الايمان باب تعريف الاسلام والايمان .

(٢) الآية من سورة البقرة : ١٣١

(٣) الآية من سورة آل عمران : ١٩

بالعبودية وأفردوه بالخوف والرجاء والخضوع والخشية ،
وسلمت مدورهم وأقوالهم وأفعالهم من الانقياد لغير الله
تعالى .

فالاسلام يبني الوحدة والترابط والتساند بين المسلمين
على أساس أنهم خلق لرب واحد وعبيد لاله واحد ومستسلمون
بعقيدة واحدة ، ومتجهون نحو ربهم بوحدة شعورية وفطرية
وسلوك عملى لا يختلف فكل يتقوى بالآخر ويتكامل به كما أن
عنصر نشأتهم واحد ومنهج حياتهم من شريعة واحدة لمشرع وهو
الخالق ، كقوله تعالى :
(١)

{ألا له الخلق والأمر} .

ويجب هنا أن نقف وقفة متأنية لنرى ما المقصود
بالوحدة الاسلامية التى ننشدها ونبحث عنها ويمكن أن تعود
بين المسلمين من جديد ، فهل هى وحدة سياسية ؟ بأن تكون
للمسلمين دولة واحدة وعليها رئيس واحد أو خليفة كما هو
الحقيقة التاريخية التى جاء بها الكتاب والسنة ، وطبقها
الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فى أول وثيقة
أعلنها عند تأسيس الدولة الاسلامية الأولى بالمدينة ، وجاء
فى هذه الوثيقة أن المسلمين أمة واحدة وشأنهم فى الحياة
واحد وأن الباب مفتوح على مصراعيه لئى أحد يدخل فى الاسلام
ليكون عضوا وفردا من هذه الأمة المؤمنة ، ومن رعايا هذه
الدولة الجديدة التى لايجوز أن تتفرق وتتوزع فى دول كلها
تحمل هذا الوصف "الاسلام" ، لأن ذلك يسبب الفرقة بين
المسلمين ، وتحزيب بعضهم عن بعض ، ولاشك أن إعادة هذه

الوحدة بين المسلمين أمل يتمناه كل مسلم ولكن للحقيقة تقول ان اجتماع المسلمين اليوم فى دولة واحدة بقيادة واحدة أمر صعب بسبب الواقع وبسبب كثرتهم وتوزعهم فى الدنيا ... ولكن مهما كانت الصعوبات فان هذه الوحدة ممكنة لا تكلف المسلمين غير الرضا بها والعمل لاجلها ، فان الصعوبات القائمة حالياً أقل بكثير من الصعوبات التى أحاطت بالجماعة الاسلامية الاولى ، وقد أسست الدولة الاولى على مرأ الجاهلية من كل جهة وحافظ المسلمون على هذه الوحدة قروناً حتى سقطت الخلافة العباسية ، واليوم لايحتاج المسلمون فى إعادة هذه الوحدة السياسية الا بإزالة العقبات من أنفسهم وهى حواجز وضعها أعداء المسلمين بينهم .

وإذا نظرنا الى الواقع العالمى الآن نجد الصين أكثر من المسلمين بكثير ، ونجد القارة الأمريكية والولايات المتحدة على سعة ومع ذلك فهى دولة واحدة والصين دولة واحدة ، وهكذا جمهوريات الاتحاد السوفييتى والوحدة القائمة الآن بين الالمانيتين ، وتكاد تكون أوروبا فى المجالات الاقتصادية والسياسية والصناعية صوتا واحدا مع تعدد الأجناس والأديان الكافرة الملحدة ، فماذا يحول بين أمة القرآن من أن تكون لها دولة واحدة وخلافة واحدة رمزا لقوتهم ورهبها لعدوهم ؟

ومن ثم فعلىنا أن نمهد الطريق الطويل بما يمكن عمله الآن من أسباب تؤدى الى الهدف المنشود وهى تكون بمثابة موقف المسلمين وتربيتهم لأنفسهم قبل الهجرة وقبل تأسيس الدولة الاسلامية بالمدينة ، فهذه الأسباب تكمن فى التوجيه الشامل لكل المجالات التربوية والاتجاهات الاقتصادية والسياسية ، وقد بدأنا ولله الحمد بحركة التضامن الاسلامى التى نتجت عنها مؤسسات تخدم هذه الوحدة كمنظمة المؤتمر الاسلامى ، ورابطة العالم الاسلامى ، ورابطة الجامعات الاسلامية ونحو ذلك من البوادر التى أسفرت عنها حركة التضامن الاسلامى بقيادة المملكة العربية السعودية الدولة التى تحكم الكتاب والسنة ، وتسعى فى كل ما يجمع شمل المسلمين .

فهذه الوحدة من الواجب اعادتها والعمل لأجلها فهي وحدتهم واتفاقهم على عقيدة التوحيد التي لا تشوبها شائبة ولا تتعدد في تناقض لأن العقيدة واحدة في كل أحوالها ليست هي بمذاهب ولا آراء ولا مجال للاجتهاد فيها .

ثم الوحدة على ضرورة التطبيق العملي للعقيدة ولا ينبغي أن يتوزع المسلمون عند التطبيق فالأركان الأربعة من صلاة وزكاة وصيام وحج قواعد لا مجال للتعديل فيها وللتكييفها وتقنينها لمناسبة الأجواء وإنما هي عبادة يجب أن يتحد المسلمون في أدائها والتربية بها ، وهكذا في أصول المعاملات الحلال منها والحرام عامل يلزم المسلمين أن يتفقوا على الأخذ به وخاصة أن ما حرمه الله من المعاملات أقل بكثير مما لم يحرمه فالمجال أمام المسلمين واسع مرن لئلا يتوزعوا بسبب تضيق المجال فيها ، ففي الامكان أن تكون الوحدة بين المسلمين على ذلك وان تعددت دولهم وتباعدت ديارهم فلا يمنع ذلك من وحدتهم على العقيدة والشريعة فليعتبروا دولهم كأفرادهم وجماعاتهم وأجناسهم ، فهل يدعى أحد أنهم لا يتحدون لأنهم ليسوا بجنس ولا قرابة واحدة ؟ بل ان القرآن الكريم جاء فيه أن التباين مدعاة للتعارف كقوله
(١)
تعالى :

{يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير} .

فما المانع من أن تتكون الوحدة الإسلامية بين الدول الإسلامية بعوامل هذه الوحدة وأساليبها ووسائلها ؟

وقد كان المسلمون على هذه الوحدة والاتفاق قبل أن
تصير لهم دولة قبل الهجرة بل ويتفق كثير منهم على نمط
واحد وهم موزعون بين دول الكفر حتى الآن فى كثير من الأحيان
فلا يجوز أن يتهاون المسلمون بالوحدة بينهم لأجل أنهم ليسوا
بدولة واحدة ، ولا يليق بالكتاب والمفكرين أن يكون موضوع
الوحدة عندهم دائما هو الوحدة الجغرافية ، لاشك أن هذا من
وسائل قوة المسلمين ووحدتهم ، لكن إذا ^{كان} هذا الأمر
لأنسى العوامل الجوهرية فى وحدة المسلمين من العقيدة
وما جاء به الشريعة من التكليف والوجوب على كل فرد مسلم
كما سيتبين من فصول الرسالة .

ومن ناحية أخرى إذا عدنا الى التاريخ سنجد أن وحدة
المسلمين لا يضمنها أنهم فى دولة واحدة ولكن تكون هذه
الوحدة وتبقى إذا كانت بعواملها الحقيقية من عقيدة وعبادة
وتربية وجهاد ونحو ذلك مما يقرى الوحدة السياسية .

فإذا كان موضوعنا فى البحث عن منهج الكتاب والسنة فى
تحقيق الوحدة ، فإن المراد بالمنهج هو الطريق ، يقال :
أنهج الطريق وضع واستبان ، وصار نهجا واضحا بينا لسالكه ،
ونهجت الطريق أبنته وأوضحته وسلكته .

والمنهاج كالمنهج ، وفلان ينهج سبيل فلان أى أنه يسلك
طريقه ، ويقال نهج الثوب بان فيه أثر البلى ، ومنه قوله
(١)
تعالى :

{ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا } .

(١)

وقد فسر المنهاج بالطريق المستقيم المستمر وبالسبيل .
والمقصود بالمنهج طريقة الكتاب والسنة فى توثيق
الروابط بين الناس بناء على ما أقروا به من الايمان
واعتقدوه فى الاصول والقواعد التى جاء بها الكتاب والسنة
واقرت بها الفطرة ، وطبقوه بالعبادة الخالصة والمعاملة
الحسنة والخلق القويم ، فالكتاب والسنة لهما أساليب
ووسائل لبيان الحق والتربية عليه ، والتعاون على سننه
لتتحقق العبودية لله وحده ، وتتحقق الاخوة اليمانية بين
المؤمنين ومجموع هذا هو المنهج .

أسس الوحدة فى الفطرة الانسانية .

الوحدة الاسلامية ليست تمورا اخترعه المسلمون وتخيلوه
فى فكرهم الخاص ، وأرادوا أن يلزموا به الشعوب المسلمة بل
انها روح العقيدة الاسلامية وهدف كل فرض وواجب ومسنون فى
الاسلام وكل من آمن بالله ربا وبمحمد عليه الصلاة والسلام
رسولا من الله تعالى وبالاسلام ديننا فقد آمن بهذه الوحدة
لانها من صميم العقيدة وحقيقة السياسة الشرعية .

وللوحدة الاسلامية أسس مركوزة فى الفطرة لاتبدل لها الا
إذا بدلت وغيّرت تلك الفطرة فلاشك أن ماترتب عليها من النبل
ومعنى الانسانية الحقبة يتغير تبعا لتغيرها فاذا وجدنا من
يتنكر للوحدة الانسانية واخوتها وتساندها بل وينكر جاحدا
المخالق فلاعجب لأن فطرته طمست وحرفت .

(١) انظر : لسان العرب ، مادة (نهج) ، تفسير القرطبي
٢١١/٦ .

وسوف أستخلص من نصوص الكتاب والسنة هذه الأسس الفطرية التى يستوى فيها الجميع وهى القاعدة الأساسية التى بنت عليها الدعوة الإسلامية خطابها وتوجيهها للناس جميعا ، بعد بيان المقصود بالفطرة فى اللغة والاصطلاح .

الفطرة فى اللغة والاصطلاح :

الفطرة بالكسر : الخلقة ، وقد فطره يغطره بالضم فطرا أى خلقه ، وهى الابتداء والاختراع على غير مثال والفطر : الشق ويجمع على فطور والفطرة على فطر بكسر الفاء ، والضم فى الاول والفطر بالفتح من مصدر *فَطَرَ* *نَابَهُ* {لبعير اذا شق اللحم وطلع} او هو مصدر فطرت الناقة افطرها اذا حلبتها باطراف الاصابع واما الضم فهو ما يظهر من اللبن على حلمة الضرع ، ومنه أخذ فطر المائم لانه يفتح فاهه وتفطرت الأرض بالنبات اذا تمدعت ، والمادة (فطر) تدور حول انشقاق الشئ ^(١) وظهوره لأول مرة ومنه قوله تعالى :

{هل ترى من فطور} .

(٢)

وقوله :

{اذا السماء انفطرت} .

(٣)

وقوله :

{السماء منفطر به} .

وفى الحديث : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

(٤)

تفطرت قدماه " .

(١) الآية من سورة الملك : ٣

(٢) الآية من سورة الانفطار : ١

(٣) الآية من سورة المزمل : ١٨

(٤) رواه البخارى فى كتاب التهجد باب رقم ٦ .

ويراد بها فى الاصطلاح مايلى :

(أ) الفطرة : ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به من

أنه رب كل شئ، وخالقه .

(ب) الفطرة : الخلقة التى يخلق عليها المولود فى بطن أمه

من سعادة أو شقاوة .

(ج) الفطرة : الدين ، ومعنى فطرة الله أى دين الله الذى

(١)

فطر عليه الناس .

هذا هو الموجز لما ذكره فى المقصود بالفطرة وهو ثلاث

كلمات : المعرفة بالله ، والخلقة التى هى الجبل والدين ،

وكانت هذه الكلمات الثلاث روح الاختلاف العريض حول النصوص

التى تعرضت للفطرة .

والفطرة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة وردت نصوص

ببيانها وإشارتها فى كل نفس .

وتعتمد الفطرة فى تحقيق الوحدة على أسس رئيسية

أهمها :

الأول : وحدة الخلق والنشأة .

(٢)

ان هذه الفطرة ولدت مع كل انسان كما فى قوله تعالى :

{فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس

عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس

لا يعلمون} .

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ، القاموس وشرحه تاج

العروس ، الصحاح للجوهري ، الافصح فى فقه اللغة

للشعالبي ، متن اللغة ، أساس البلاغة للزمخشري ،

المفردات للراغب كلاً فى مادة (فطر) .

(٢) الآية من سورة الروم : ٣٠

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه تنتج البهيمة جمعاء فهل تجدون من جدعاء" (١) .

فهذان النصفان من الكتاب والسنة يصفان النوع البشرى بوصف واحد خلقوا عليه وولدوا به ونشأوا عليه ، وهو وصف شامل يتناول مادة الخلقة ومورة التركيب الجسماني والروح والنفس ، والغرائز والمصدر الذى انتشر منه الجميع .

الثانى : وحدة الغرائز المتقابلة فى كل البشر .

هذه الغرائز الفطرية تناولها الكتاب والسنة بالمعالجة الدقيقة والتهذيب الرفيع ، وكل ذلك يحمل الناس على أن يكونوا اخوة كما أنهم فى هذه الغرائز صنعة واحدة لصانع واحد .

ان الغرائز المتقابلة فى كل نفس بشرية كالخوف والرجاء توجه النفس على أن الخوف لا يكون الا ممن يملك الضر والرجاء ، ممن يملك النفع ويدفع الضر ، وقد بين الله للانسان مع هذا مايرضيه ومايكرهه ويأباه من الاقوال والافعال والمشاعر والافكار ، وقل ذلك فى الحب والكره فالحب الصحيح هو حب الخير والفضيلة ، وكذلك الكره الصحيح كره الشر والرذيلة والانحراف ، وفى فطرة الانسان الطاقة الحسية وتقابلها الطاقة المعنوية . فالأولى أحل لها الطيبات ، والثانية مجالاتها الرحبة فى العقيدة والتفكير والعلم ، ولاينسى مابين الطاقتين من الاتصال الفطرى ، فالاتجاه واحد

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر بعدة روايات رقم ٢٢-٢٣ .

وفى الفطرة متقابلان آخران الايمان بالمحسوسات عالم الشهادة والايمان بالغيبيات ، فعالم الشهادة دليل على الخالق والايمان بالغيب لم يكلفنا الله تعالى فيه غير مجرد الايمان وهذا فضل وتسهيل ، والواقعية والخيال جانبان فى النفس الانسانية ومطلوب منه فى واقعه أن ينظم ويسوس حياته وفى نفس الوقت يتأمل ويفكر فى الثواب والعقاب وعظمة الله تعالى فيكون له نشاط حسى وفكرى كما أن على الانسان أن يكون مع الكون المسخر له فى ايجابية كما قال تعالى :^(١)

{وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا} .

وفى نفس الوقت يتحلى بالسلبية المطلقة نحو الله تعالى لأنه : "الامانع لما أعطى ولا معطى لما منع" .^(٢)

وفى فطرة الانسان نزعتان : الفردية والجماعية والفرد مطالب بالعمل لربه بناء على التكليف وتسانده الفطرة ، وهو لا يستطيع أن يعيش وحده فلا بد اذن من أن يكون عضوا فى الجماعة فعلا .

وفى كل هذه الخطوط المتقابلة يوجه الاسلام والفطرة معا الانسان الى أن يكون ملتزما فى مواضع الالتزام ومتحررا فى مواضع التحرر فهو عليه واجبات الزامية لصالح أمره دينيا ودنيا ويتلافى النقص بما تيسر له من التطوع .^(٣)

{فمن تطوع خيرا فهو خير له} .

والانسان قد فطر على دوافع وضوابط واعترف الدين بذلك

(١) الآية من سورة الجاثية : ١٣
 (٢) الحديث متفق عليه ، البخارى فى كتاب الاذان ، باب الذكر بعد الصلاة ١٥٠/١ ، ومسلم فى كتاب الصلاة ١٩٤/١ .
 (٣) الآية من سورة البقرة : ١٨٤

واتفق مع الفطرة ونماها وأباحها له مادامت مع النهج السوى ومشروعة ، والفوابط الفطرية عليها أن تنظم وترتب تلك الدوافع ليكون التوازن والاعتدال .

والفطرة البشرية ازاء الحياة لها كيان شامل مترابط يلتقى مع الاسلام فيضع لها نظاما شاملا للعقيدة والحياة الجماعية والفردية فى كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية .^(١)

الثالث : فطرة التدين شاملة للنوع البشرى على حد سواء .

وقد أخبر الله تعالى أنه خلقهم عليها وهم فى صلب واحد وأخذ منهم ميثاقا واحدا واعترفوا بهذه العبودية جميعا وكانوا عليها بالاتفاق كما قال تعالى :^(٢)

{واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا }^(٣)

فهذا جواب ووافق بشرى جماعى من آدم عليه السلام الى آخر رقم من سلالة فمن أين جاءهم التفرق وتمزقت وحدتهم الفطرية هذه ؟

كان ذلك حينما فسدت الفطرة وتهودت وتنمرت وتمجست وتسلطت الشياطين عليها وقد أقسم جدها واستأذها ابليس ليغوين بنى آدم جميعا وليأمرنهم بتغيير خلق الله وتبديل معالم الفطرة كما قال تعالى محذرا من كيده وأهدافه :

{قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين} .

(١) انظر : دراسات فى النفس الانسانية لمحمد قطب ص ٢٣٨-٢٤٤ .

(٢) الآية من سورة الاعراف : ١٧٢

(٣) الآية من سورة الحجر : ٣٩

(١)
وقوله تعالى :

{قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين} .

ففى كل مولود فطرة داعية الى الله تعالى والى الايمان
بألوهيته وافراده بذلك ولولا ماتتعرض له هذه الفطرة من
الفساد والعطب لما اختلف اثنان ولكانت وحدة بين الجميع
حول هذا المبدأ الاصيل ولكن تعطل القوى المدركة للاء الله
والتي منعت القدرة على الاتصال به نتج منه ضلال عريض وتيه
فى عوالم الشرك والكفر .. ذلك الرباط المشهور والموقف
الذى شهدته أرواح الخلق قبل أجسادهم كما شهدته جميع
المخلوقات من حى وجماد وفيه ثبت الولاء بشهادة الموالى
نفسه : "أست بربكم ؟ قالوا : بلى" .

ومن شأن هذا الاقرار وهذه الوحدة فى الاقرار ألا يعترض
الانسانية مايفرقها ويمزق وحدتها ويمدها عن الله تعالى
فهذا الاقرار رميد من الايمان نستقبل به الحياة ونتلاقى به
على طريق الايمان مع دعوة العقل الذى أوجده الله فينا ومع
الرسل الذين أرسلهم اليه اليثا .^(٢)

وأصل التكوين البشرى متحد كما أن عنمر خلقتة واحد
فكانت وحدة الفطرة فى النوع امتدادا من الوحدة فى التكوين
والعنمر ولاادل على ذلك من هذه الفرائز المتشابكة التى هى
غريزة واحدة فى أجساد متعددة والمصدر الموثوق هو الوحى

(١) الآية من سورة ص : ٨٢
(٢) التفسير القرآنى للقرآن لعبد الكريم الخطيب عند
تفسير آيات الاعراف .

وقد أخبرنا الله تعالى أن الناس كانوا أمة واحدة حتى دخلهم الفساد ووزعهم الخلاف بسبب تباين الاتجاهات الانسانية لاسبب اختلاف الغرائز والفطرة وهذه الوحدة التاريخية الثابتة كثبوت ذلك الميثاق الفطرى يقول الله فيها :^(١)

{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم} .
وسياق الآية واضح فى كون هذه الوحدة هى الأصل فى حياة البشرية وأن عدمها هو الطارئ اللاحق ولايضاح ذلك وقف المفسرون فى المقמוד بكلمة الأمة موقفين رئيسين لأن بتحديد معناها يتضح المراد بالآية دون خلاف :

الأول : توجيهه فسر "الأمة" بمعنى الدين وهو وارد فى اللغة كقول الشاعر :

حلقت فلم أترك لنفسك ريبة

(٢)

وهل ياشمن ذو أمة وهو طائع

وأمل الأمة الجماعة تجتمع على دين واحد ثم يكتفى بالخبر عن "الأمة" من الخبر عن "الدين" لدالتها عليه ، وقد ورد هذا الاستعمال لكلمة الأمة فى القرآن الكريم كقوله تعالى :^(٣)

{ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى

ماتاكم} .

(١) الآية من سورة البقرة : ٢١٣

(٢) للناطقة الذبياني فى اعتذاره للنعمان وهو فى الديوان

(٣) الآية من سورة المائدة : ٤٨

(١)

وقوله :

{ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يفل من يشاء ويهذى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون} .

الثانى : توجيه فسر "الامة" بمعنى آدم اما ماذريته ، والاستعمال كذلك وارد فى القرآن كقوله تعالى :

(٢)

{ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين} .

وكأن من قال هذا القول استجاز بتسمية الواحد باسم الجماعة لاجتماع أخلاق الخير الذى يكون فى الجماعة المفرقة فيمن سماه بالامة وقد يجوز أن يكون سماه بذلك لأنه سبب لاجتماع الاشتات من الناس على مادعاهم اليه من أخلاق الخير ، وبهذا تبين أن الانسانية كانت على دين واحد زيادة على ماكانت عليه من الوحدة الفطرية واخذ الميثاق ولايخالف هذا القول الثانى فى كلمة الامة فان آدم لاشك أنه امام فى الحق والايمان لذريته وكانوا على الحق حتى دخل عليهم الشرك والكفر فجاء الاختلاف كما قال تعالى فى آية أخرى :

(٣)

{وماكان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون} .

فالوعيد وارد على الاختلاف لاعلى الاجتماع ولاعلى كون الامة واحدة وعلم من ذلك أن الاجتماع كان على حق ودين وايمان حتى جاءت الفرقة ونجم عنها الشرك والضلال فاقتضت حكمة الله بعث الرسل لاعادة الوحدة بالايمان .

(٤)

(١) الآية من سورة النحل : ٩٣

(٢) الآية من سورة النحل : ١٢٠

(٣) الآية من سورة يونس : ١٩

(٤) تفسير الطبرى بتصريف عند تفسير آية البقرة .

الرابع : تنبيه الفطرة ويحفظها بالوحى .

واذا كان الكون وتأمليه يثير الفطرة وكوامنها ويفجر
مخازنها ففي القرآن الكريم أسلوب قوى لشحذ همة الفطرة
وايقاظها وتذكيرها بالحقيقة التى لاتنفك عنها نفس وهى
حقيقة العبودية وهذه الموعظة التى ذكرت فى الآيات خطابا
موجها الى حى يجب أن يستيقظ لأكبر برهان على قيادة هذا الحى

(١)
"الفطرة" للجسد والروح .

(٢)
قال تعالى :

{فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}

(٣)
وقال تعالى :

{فذكر انما انت مذكر}

(٤)
وقال تعالى :

{فذكر ان نفعك الذكرى}

(٥)
وقال :

{ومايتذكر الا من ينيب}

(٦)
وقال :

{انما يتذكر اولوا الالباب}

(٧)
وقال :

{فانما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون}

(١) انظر : شفاء العليل لابن القيم ص ٦٢٩ .

(٢) الآية الاخيرة من سورة ق .

(٣) الآية من سورة الفاشية : ٢١

(٤) الآية من سورة الاعلى : ٩

(٥) الآية من سورة غافر : ١٣

(٦) الآية من سورة الرعد : ١٩

(٧) الآية من سورة الدخان : ٥٨

ان هذه الآيات وما شابهها من نصوص الكتاب والسنة
إذا ما أضيفت إلى تلك النصوص التي
تبين من دراستها يقظة الفطرة وشواهدا في النفس الإنسانية
وارتباطها بالله ثم بهذا الكون البديع الفسيح فإنها تكون
موضوعا هاما في نبش وإزاحة الستار عن الفطرة بمنهج فطري
واسلوب عرض نفسي نافذ .

ومما يلفت النظر تكرار أساليب القصر في هذه الآيات
وذلك ما يشير بالوسيلة البينانية إلى أن الهدف لهذه الذكرى
واضح جلي لا جدال في أن دواعي الذكرى مرسومة في لب الفطرة
فأسلوب "انما" من الأساليب البلاغية التي تستعمل عادة في
الأمر البين الواضح الذي لا اختلاف فيه كقصر التذكر على أصحاب
العقول دون من سواهم وفي ذلك تعريض بلاغي يفخمه هؤلاء
البلاغيون وفطرتهم مخاطبة ويدركون أن من لم تستجب فطرته
لخالقه ومبدعه ليس من العقلاء لمجادلته وممانعته فيما هو
شاهد في الفطرة وتتابع الرسل من الأولين عليه ونزلت به
الكتب وتواطأت عليه الأمم ولا يرد عاقل .^(١)
وصدق الله العظيم إذ يقول :^(٢)

{ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو

شهيد} .

(٣)

ويقول :

{ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} .

(١) انظر : الإيفاح في علوم البلاغة للقزويني ص ٢٢٠ ، ط/٣

سنة ١٣٩١هـ .

(٢) الآية من سورة ق : ٣٧

(٣) الآية من سورة القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠

وتيسير القرآن بلسان النبی علیه الصلاة والسلام ولسان قومه استنطاق للفطرة وإشارة لروحها أن تتحرك وتستيقظ .. فان اللغة لكل انسان هي لسان فطرته وترجمان لما يدور فيها من جمال وقبح وأخلاق وعاطفة ورضاء وسخط وهذا في حقيقة النفوس مع لغاتها فكيف بالنفس العربية ولغتها العربية التي حلت فيهم محل الروح واستوى عندها غيبهم وظاهرهم وكان الدم فيهم يجري مجراها .

الخامس : مطابقة التيسير في الشريعة بالفطرة .

ان الاسلام في أصوله وفروعه يرشد الانسان ويقوده الى بر السلام والامان من خلال فطرته ويكشف له عن حقائق كونية وأسرار نفسية ، ويريه اياها بصقل هذه المرآة وهي الفطرة وان اليسر الذي هو سمة بارزة من سمات هذا الدين مبني على أن ما جاء في الرسالة السماوية هو نفس ما في صميم الفطرة وبهذا أقيمت الحجة على الانسان فيما خوطب به وطلب منه من الايمان وحسن التوجه الى الله تعالى وإخلاص العمل له فدين الله المنزل دليل الفطرة ، والفطرة شاهد له هذه هي الحجة التي لا يقوى أحد على ردها الا من جحد عقله وانسلخ من انسانيته وتجرد من الفطرة .

(١)

قال تعالى :

{وماجعل عليكم في الدين من حرج} .

فهذا نفى عام شامل للأصول والفروع فالله سبحانه وتعالى لم يكلفنا ماتدفعه الفطرة ويتعارض معها ، ولم

يلزمنا ما فوق طاقتنا ويشق عليها وكل ما فى الأمر أن ما ألزمنا إياه يطابق أرواحنا ويوافق فطرنا ولا تجد المشقة إليه سبيلا وإنما الصعوبة تنشأ أساسا من نفور المخاطبين وإبائهم ولذا كانت الأمم قبل هذه الأمة تتعاقب وتمتحن ببعض المشقة وتكليف ما لا يطاق ، وليس الأمر كما يفهم بعض الباحثين من المفسرين أن الأمم السابقة تكلف بما لا يطاق بل الله سبحانه وتعالى فى كل شرعه على عباده الأولين والآخرين ميسرا مراعاة لهذه الفطرة ولم يرسل رسولا بما يزيد عليها (١) ولا ما ينقص عنها والله أعلم .

وعلى كل فالتيسير فى الكتاب العزيز وردت به آيات بينات مفصلات ومرجع ذلك رحمة الله تعالى بعباده ومراعاة لهذه الفطرة التى فطرهم عليها والتى لا تبدل لها كقوله تعالى : (٢)

{لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها

ما اكتسبت} .

(٣)

وقوله :

{يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} .

(٤)

وقوله :

{فاتقوا الله ما استطعتم} .

وأما السنة النبوية فقد نصت على هذا التيسير وكان

(١) انظر : مفتاح دار السعادة ٣/١ ، أحكام القرآن لابن العربي والقرطبي وتفسير القاسمى وفتح القدير للشوكانى .

(٢) الآية الأخيرة من سورة البقرة .

(٣) الآية من سورة البقرة : ١٨٥ .

(٤) الآية من سورة التغابن : ١٦ .

أسلوب الرسول عليه الصلاة والسلام الذى فطر عليه منهجا فطريا تقبله النفوس ولا تشبع منه الروح ما جعل كلمات هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم تغزو القلوب وتنساب فى النفوس وتزيل الصدأ عن الفطر ويتجلى لها جمالها وجلالها فتبدو زاهية وقادة مؤمنة مبصرة نور الله خاشعة بتوحيده ، قوية بالايمان والاخلاص ، وبتأمل السنة فى تفصيلاتها واجمالاتها وعمومها وخصوصها يظهر أن الروح العامة لهذا الدين يسر ومطابقة للفطر كقول الرسول عليه الصلاة والسلام "ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة " (١) .

فكلمة الدين شاملة عامة لاصول الدين وفروعه والاخلاق وكلمة "أحد" نكرة فى سياق النفى تعم فالحديث يضع قاعدة لروح التيسير فى الشريعة وهى كما قلت على مايناسب الفطرة وتطبيقه الروح التى تبعث الفطرة من رقادها . قال ابن المنير (٢) : "فى هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع فى الدين ينقطع وليس المراد منع طلب الاكمل فى العبادة فانه من الامور المحموده بل منع الافراط المؤدى الى الملل أو المبالغة فى التطوع المفضى الى ترك الافضل أو اخراج الفرض عن وقته كمن بات يملئ الليل

(١) رواه البخارى فى كتاب الايمان ٢٩/١ .
 (٢) هو أحمد بن محمد بن منصور الجذامى الاسكندرى المالكى ولد فى ذى القعدة سنة ٦٢٠هـ ومات مسموما فى أول ربيع الأول سنة ٦٨٣هـ .
 انظر ترجمته فى : بغية الوعاة للسيوطى ص ١٦٨ ، ط/دار المعرفة .

كله ويغالب النوم الى أن غلبته عيناه فى آخر الليل فنام
عن صلاة الصبح فى الجماعة أو الى أن خرج الوقت المختار أو
الى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة " (١) .

والتنطع فى الدين مذموم لاشك لأنه خروج عن الفطرة التى
هى شاهد هذا الدين وسنده ولأنه قد يكون التنطع زيادة فى
الدين كما أو كيفا وذلك بدعة وقلنا سابقا : ان هذا الدين
لم يزد عن الفطرة ولم ينقص عنها وانما فمل مكنوناتها
وأطلق مقيداتها فهو دين الفطرة فى كيفية عرضه وأسلوب
تطبيقه ، واعتقد أننا فى حاجة ماسة لوعى هذا المنهج الفطرى
فى الدين لتبقى عقيدتنا ويستمر عملنا وتسهل وحدتنا ...
فالتساند الدقيق بين الدين المنزل من الله تعالى والفطرة
التى خلق عليها عباده ، تساند بين دينين : دين فطرى ودين
جاء وحيا ومصدرهما واحد ومن أبرز قضايا الدعوة هذا
التطابق المتكامل بينهما ماجعل البرهان واضحا فى وحدة
المصدر تلك وحدة الأهداف والاتجاه .

فلا عجب اذن أن نلمس الاستجابة للدعوة سارية الى كل بلد
حتى ولو لم يكن هناك دعاة لقوة الوحدة بين الوحي المنزل
من الله تعالى والفطرة السليمة من الدخيل .. وقد أشارت
هذه الوحدة ونتائجها حفيظة المعاندين من الغربيين للدعوة
الاسلامية حينما أمعنوا النظر فى هذه الدعوة وطابعها
ووجدوها مستساغة للفطرة من كل وجه ، ومن ناحية أخرى وجدوا
الشعوب التى لالتقى فى الجنس ولافى الدم ولافى اللغة

(١) نقلا عن فتح البارى شرح البخارى ٩٤/١ .

ولا اللون ولا فى البيئة الجغرافية وجدوها تتعاقب فى اخوة
اسلامية ووحدة متساندة حول قرآن نزل بلسان عربى مبين
فاتجهت الدعايات المضللة لافساد نفس الفطرة من جهة ومحاولة
تحريف الوحي من جهة اخرى لايجاد تنافر وتباين بين الفطرة
ودين الفطرة "الاسلام" الذى يدخله الناس أفواجا وينضوون تحت
راية وحدته .

الباب الأول

عوامل الوحدة الإسلامية فى الكتاب والسنة

تمهيد :

الوحدة الناجحة تقوم على منهج واضح يحدد مبادئها وغاياتها ، وقد جاء فى الكتاب الكريم والسنة النبوية بيان واضح لعوامل الوحدة الإسلامية التى تكونت منذ عهدنا الأول - ورسخت بقواعد لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والمكان ، وتنوع الأجناس وتباينها وتجدد أحوال الحياة وأساليبها ، وقد عرفنا فيما تقدم معنى "الوحدة الإسلامية" وتبين جلالة معناها وحاجة الأمة الى وعيها وضرورة إعادة تطبيق الوحدة الإسلامية فى كامل حياة الأمة أفرادا وجماعات وقبائل وشعوبا ودولا ، لتعود القوة والعزة ويستمر المد الإسلامى من جديد كما كان كلما تساندت وحدته وتمافحت جماعته بالقلوب وانقادت بالإيمان ورفعت راية العقيدة . ثم تطرقنا الى الفطرة فى منهج الكتاب والسنة لنرى مدى فاعليتها فى تكوين الوحدة الإسلامية . وهى لاشك عامل هام حيث أن البشرية نشأت من أصل واحد متعبدة لخالق واحد وهى فى نهايته راجعة اليه سبحانه وتعالى .

وفى هذا الباب سوف أتناول بالدراسة عوامل الوحدة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، مع بيان حقيقة هذه العوامل ودور كل منها فى صناعة الجماعة المؤمنة العاملة

التي تزيد ولا تنقص وتقوى ولا تضعف مادامت تحافظ على هذه
العوامل . سيكون الباب مشتملا على خمسة فصول هي :

الفصل الأول : أثر العقيدة الإسلامية في تحقيق الوحدة
الإسلامية .

الفصل الثاني : العبادات ودورها في تنظيم الوحدة
الإسلامية .

الفصل الثالث : ظاهرة التعاون والترابط في المعاملات.
الفصل الرابع : نمو الوحدة وشمولها في الجهاد .

الفصل الخامس : لسان الوحدة الإسلامية " اللغة العربية "
وسأقوم باذن الله تعالى بدراستها وفق الترتيب

المذكور .

والله الموفق .

الفصل الاول

أثر العقيدة الإسلامية فى تحقيق الوحدة الإسلامية

تمهيد :

العقيدة هى أساس توجه الانسان ومصدر نشاطه وحركته ولذلك كانت هى الأصل فى الدين . وهى المحور الذى تنبنى عليه الشريعة وأحكامها . ولا يمكن تصور أعمال شرعية مقبولة الا اذا قامت على عقيدة صحيحة سليمة .

والعقيدة الإسلامية تلتقى مع الفطرة الإنسانية ولا تمطد بطبائع البشر ولكن نراها سهلة الفهم متلائمة مع القناعة البشرية ، سريعة التأثير فى حركة المعتقد وسلوكه . وللعقيدة الإسلامية دور رئيسى فى ربط المسلم بأخيه المسلم ربطا متينا لا يتأثر بالعوامل المادية ، ودائما يكون المسلم فى حاجة أخيه والوحدة بين المسلمين جميعا فى أمس الحاجة إلى أن ينهضوا لهذا الدور للعقيدة لتبقى مزدهرة يانعة تستفيد منها الأمة كل خير وفلاح .

ولقد كان موقف الرسالة فى عهدنا بمكة قبل الهجرة دليلا على أهمية العقيدة وبياننا لدورها فى وحدة الكلمة والسلوك حيث أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف صادعا وصابرا ومجادلا بالتى هى أحسن فى وجه الجاهلية وتياراتها ومذاهبها ، مع الاعراض عن المؤذنين والجاهلين ، ولقى فى ذلك عنقا شديدا ومنوفا من الجهل كبيرة وصلفا من الشيطان

وذويه عنيدا كل ذلك فى سبيل ترسيخ العقيدة فى النفوس
وتثبيت قواعد الايمان فى القلوب ، وتوجيه هذه النفوس
المبعثرة نحو اله واحد وهو الله جل جلاله تحت شعار كلمة
الاخلاص شكلا ومضمونا وهو يعلم (وقد علمه ربه) بأن ماسيكلف
به لتبليغه الى الناس ثقيلًا ويكون على الجاهلين كشيءًا مهيلًا
من عبادات ومعاملات وسلوك ونظام ، لا يؤدي مفعوله فى حياة
الناس الا اذا رسخت العقيدة فى النفوس ، وتوحدت عليها
الضمائر والاهواء . ولذا كان هذا الفصل فى موضوع اثر
العقيدة الاسلامية فى تحقيق الوحدة الاسلامية . وسيأتى باذن
الله تعالى مكونا من المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف العقيدة .

(أ) المعنى اللغوى للعقيدة .

(ب) المعنى الاصطلاحي للعقيدة .

المبحث الثانى : أسس العقيدة وأركانها .

ويشمل ستة مطالب .

المبحث الثالث : منهج تحقيق الوحدة بالعقيدة .

المبحث الرابع : ضرورة تمحيح العقيدة ليتحقق أثرها .

المبحث الأول : تعريف العقيدة

(١) المعنى اللغوى للعقيدة :

العقد هو الجمع بين أطراف الشئ وغالبا مايكون بين أمور مادية وخاصة فى الأجسام الملمبة كعقد الحبل وعقد البناء .

يقال ناقة عاقدة وعاقد : أى عقدت بذنبها للقاحها ،
(١)
والعقيد الحليف كقول الشاعر :

كم من عقيد وجار حل عندهم

ومن مجار بعهد الله قد قتلوا

وعقد قلبه على الشئ : لزمه ، وعقدة كل شئ ابرامه ،
واعتقد الشئ : صلب واشتد .

والعقدة من الأرض : الأرض التى يكثر فيها الشجر ويدوم
فيها ومنه الحائط الكثير النخل .

"وكان الرجل اذا اتخذ ذلك فقد أحكم أمره عند نفسه
واستوثق منه ثم صيروا كل شئ يستوثق الرجل به لنفسه
ويعتمد عليه عقدة " .

والعقدة : تجمع على العقد وهى ماتعقده الساحرة
(٢)
وأصله من العزيمة ومنه قيل للساحر : معقد ، قال تعالى :

{ومن شر النفاثات فى العقد} .

(١) أبو خراش الهذلى خويلد بن مرة شاعر مخضرم ، وقد أسلم
توفى فى خلافة عمر بن الخطاب .

انظر ترجمته فى : مختار الاغانى لابن منظور ٧٠/٥ .
(٢) الآية من سورة الفلق

واذا كان فى اللسان حبسة تمنعه من الكلام فهى عقدة
كقوله تعالى حاكيا مقالة موسى عليه السلام :^(١)

{واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي} .

والعقيدة من هذا المعنى تمنع صاحبها وتحبسه عن
المخالفة لما يعتقده واذا لم تمنعه فليست بعقيدة .

والعقد : استعمل اسما يجمع على عقود كقوله تعالى^(٢)

{ياايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود} .

والمعاقدة : المعاهدة والميثاق وتعاقدوا : تعاهدوا ،

وعقد الشيء واعتقد : شده ووثقه بالعقد ... واعتقد كذا

بقلبه وليس له معقود أى عقد رأى ، ويقال : فى عقدة فلان^(٣)

ضعف أى فى رايه ونظره فى مصالح نفسه .

ومما تقدم من الاستعمال المادى اللغوى لمادة عقد

استعير للمعانى كعقد البيع والعهد واليمين والرأى وغير

ذلك من المعانى التى تدرج تحت هذه المادة وتدل على الشد

والجمع والالتزام .

(ب) المعنى الاصطلاحي للعقيدة :

ومن المعنى اللغوى للعقيدة الى المعنى الاصطلاحي نجتاز

لنرى أقوال العلماء فى تعريف العقيدة مستنديين الى فقه

الكتاب والسنة .

(١) الآيات من سورة طه : ٢٧-٢٨

(٢) الآية الاولى من سورة المائدة .

(٣) انظر : لسان العرب ، القاموس المحيط فى مادة (عقد) ،

المصاحح للجوهري ٥١٠/٢ ، معجم متن اللغة لآحمد رضا

١٥٧/٤ ، المفردات فى غريب القرآن للراغب ص ٣٤١ .

(١)

يقول الامام سفيان الثوري :

"الايمان قول وعمل ونية يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . ولايجوز القول الا بالعمل ولايجوز القول والعمل الا بالنية ، ولايجوز القول والعمل والنية الا بموافقة السنة " .^(٢)

فهذا التعريف جامع لقضايا العقيدة قولا وعملا كما أنه قصد به الرد على الطوائف التي خاضت في العقيدة وأفسدتها بالفلسفة فتمزقت الأمة بذلك .

(٣)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

"الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء وأطيب الكلام والعقائد : كلمة التوحيد واعتقاد أن لا اله الا الله وأخبت الكلام والعقائد : كلمة الشرك وهو اتخاذ اله مع الله فان ذلك باطل لاحقيقة له ولهذا قال سبحانه :^(٤)

{ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار} .

ولهذا كلما كان بحث الباحث وعمل العامل على هذه الكلمات والعقائد الخبيثة لايزداد الا ضللا وبعدا عن الحق

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي والثوري نسبة الى ثور بن مناة من مضر ، ولد سنة ٩٥هـ وتوفي سنة ١٦١هـ وكان ورعا وزاهدا ووقع في تدليس الشيوخ .

انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب ١١١/٤-١١٥ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٠٣/١-٢٠٧ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لهبة الله اللالكائي ١٥١/١-١٥٢ ، ط/دار طيبة .

(٣) أبو العباس أحمد بن تيمية ، ولد سنة ٦٦١هـ بحران وتوفي سنة ٧٢٦هـ بسجن دمشق ، ترجم له ابن حجر ترجمة واسعة في الدرر الكامنة ١٥٤/١-١٧٠ ، والشوكاني في البدر الطالع ٦٢/١-٧٢ .

(٤) الآية من سورة ابراهيم : ٢٦

(١)
وعلمنا ببطلانها " .

(٢)
ويقول العلامة ابن القيم معرفاً بالإيمان :

"والإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علماً ، والتصديق به عقداً ، والاقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الامكان ، وكمالته في الحب في الله والبغض في الله ، والعطاء لله والمنع لله ، وأن يكون الله وحده الهه ومعبوده ، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً ، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله ، وبالله التوفيق" (٣) .

ومما اتفقت عليه الأمة أن أول ما يؤمر به الإنسان شهادة الاخلاص ، والاقرار بأن محمداً رسول الله وأن ما جاء به الحق مع قبوله ، فمن أقر بذلك من قلبه فقد دخل في الاسلام ، وإن كان بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الاسلام دون باطن الإيمان ، ومن لم يتكلم بذلك مع قدرته عليه فهو كافر باتفاق المسلمين باطناً وظاهراً" (٤) .

وبيان هذا وتفصيله : أن الإيمان في أصل اللغة هو التمديق ، وفي الشرع هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان ، والعمل بالجوارح .

(١) نقض المنطق لابن تيمية ص ٦٢ ، ط/أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٧٠هـ .

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ وهو محيط بالعلوم ، أخذ راية الدفاع عن الاسلام بقلمه ولسانه في وجه الطوائف والمبتدعة بعد شيخه ابن تيمية .

انظر ترجمته في : الدرر الكامنة لابن حجر ٢١/٣ - ٣١ ، البدر الطالع للشوكاني ١٤٣/١ - ١٤٦ ط/١٣٤٨هـ .

(٣) الفوائد لابن القيم ص ١٤٠ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١١ ، ط/٣ المكتب الاسلامي ، العقيدة الواسطية لابن تيمية .

ومما تقدم من التعاريف والتوجيهات لأهل العلم يمكن أن نستخلص تعريفا عاما شاملا للعقيدة فهي :

"مجموعة قضايا الحق التي جاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام وتضمنها الكتاب والسنة وكانت متفقة مع حقيقة الفطرة والعقل" .

وعرفها البعض بأنها اذن : وضع الهى يرشد ذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح والاستمرار عليه وتحقيق العبودية باخلاص على اية حال كانوا ليفوزوا ويفلحوا فى النهاية .

وعرفها آخرون بأنها : ارشاد فى الاعتقاد وتوجه نحو الخير عمليا فى الضمير وفى السلوك وفى المعاملات .^(١)

وكلها تعاريف صحيحة يجمعها اشتغالها على أعمال القلب واللسان والجوارح .

(١) انظر : عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائري ص ٢١ ، الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٣٣ ، ط/سنة ١٤٠٠هـ ، العقائد الاسلامية للسيد سابق ص ٧-٨ ، ط/٢ ، مآدبة الله فى الأرض لأحمد جمال ص ٣٩-٤٥ .

والعلاقة بين المعنى اللغوى ، والمعنى الاصطلاحى
للعقيدة بهذا المعنى بيئة واضحة حيث ان مايعتقده الانسان
انما يجمع كل اتجاهاته الفكرية والقولية والسلوكية مع
التزامه القوى الثابت لمعتقده ولايصرفه عنه الا اعتقاد آخر
مغاير ومباين لمعتقده الاول ، بموجبه يعمل ويقول ويتخلق
ويحب ويكره .. فالعقيدة رباط بين القلوب وخالقها بالحب
والانقياد وجامع بين المؤمنين بحيث يكونون كالجسد الواحد
وهى المبدأ والملتزم الذى اذا التزموه سوف تكون الوحدة
وتقوى وتفيد .

المبحث الثانى : أسس العقيدة

البناء المحكم لا بد له من قواعد ، لتثبت أصوله وترسخ جذوره وتعلو فروعه فى السماء ، وتمتد ظلاله على وجه الأرض سواء كان هذا البناء ماديا أو معنويا ، فرديا أو جماعيا ، وهكذا .

والانسان أساسه قلبه وإذا كان القلب خاويا من الايمان ومن عواطفه الانسانية التى تتدفق بها القلوب الحية انهار صاحبه ، والعقيدة كما أنها قاعدة الدين وأساسه فهى كذلك لها أسس وقواعد بمجموعها تتكون وتلقب بأصول الدين ، التى ينبنى عليها هذا الدين المتين الشامخ ، والذى يتسع للعالم كله ويتضمن تلبية مطالبه وحاجاته وحل مشكلاته وتوجيه قضاياه ، بناء على اتساع قاعدته وعمق أصوله .

ولقد جاء منهج الكتاب الكريم والسنة الصحيحة بتحديد وتفصيل كامل لهذه الاسس ووحدتها نشأتها ، كما تؤيد الفطرة السليمة وجوب الوحدة الاسلامية .. ولقد كان منهج الكتاب والسنة فى تربية المسلمين على هذه الاسس والقواعد واضحا بالاجمال والتفصيل . وسوف أبحثها بايجاز وهى :

"الايمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره " .

وقد جاءت هذه الامول فى الكتاب والسنة بأساليب متكررة ومقترنة بقضايا عملية واخلاقية ودارت فى النصوص بغية تركيز ايمان المؤمنين ووحدتهم على الايمان بها ، ودعوة لغير المؤمنين فى الدخول بهذه العبودية فى الوحدة المنشودة ،

والا فهم مفترقون ومختلفون ولجامع لهم الا بهذه الاصول أولا ولا تكون الوحدة على أى شىء قبلها ، والذي يعنى من هذه الاصول ويتعلق بموضوعنا أمران :

الأول : أن الايمان بهذه الاسس الستة يمثل القاعدة الاولى والاساسية للوحدة الاسلامية وبدونها لا تكون .

الثانى : أن منهج الكتاب والسنة أغلق باب الاختلاف والفرقة على هذه الاسس حيث لايقبل ايمان المؤمن ، ولا يكون عضوا فى الوحدة الايمانية الا بالاستسلام الكامل والقبول الخالص بهذه الاسس .

وقد جاءت اصول الايمان فى الوحي المكى قبل الهجرة ، كما جاءت فى الوحي المدنى بعد الهجرة ولم يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتدريج ، كما هو الحال فى الامور الاخرى من الشريعة ، وكل ذلك يوجب انها تقبل ويؤمن بها جملة وتفصيلا وأن بعضها لايقوم مقام البعض الآخر ، فالايان بجميعها لابعضها صار فى المؤمنين فطرة وكون منهم وحدة وهىأ منهم حسا ووعيا لقبول مايترتب على الايمان ويستلزمه ومن أسرار عرض منهج الكتاب والسنة لهذه الاسس انها جاءت فى آية واحدة من خواتم أطول سورة فى القرآن الكريم هى سورة البقرة حيث قال الله تعالى :^(١)

{والله على كل شىء قدير . آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير} .

(١) الآية الاخيرة من سورة البقرة .

وقد نصت الآية على أصول الايمان الاربعة : الايمان بالله وبملائكته وبالكتب وبالرسل ، وفى نهاية الآية مايشير الى الاصل الخامس وهو الايمان باليوم الآخر وذلك فى قوله تعالى مبينا مقالة المؤمنين {اليك المصير} . ويتدبر هادىء للآية فى سياق ما قبلها وما بعدها ترشدنا الى مايدل على الاصل السادس ، وهو الايمان بالقدر خيره وشره ، وفى الآية الاولى {لله مافى السموات ومافى الارض} بيان بأن الله تعالى هو المالك لكل شىء ، وله المشيئة المطلقة فى غفران من يغفر له وتعذيب من يعذبه كما أن قدرته محيطة بكل شىء ، وأما الآية الثانية التى نصت على أصول الايمان فمقالة المؤمنين التى ذكرها الله تعالى عنهم وفى نهايتها استسلام لله وسمع وطاعة {وقالوا سمعنا وأطعنا} ، فهذا مضمونه يعود الى الايمان بالقدر والاستسلام لقضاء الله .^(١)

ومما يعاضد هذا المفهوم فى الآيتين : مفهوم قوله تعالى : {لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت} .^(٢)

كما ذكرت هذه الاصول فى قوله تعالى :^(٣)

{ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین} .

وقد جاءت آيات أخرى ببيان هذه الاصول كقوله تعالى :^(٤)
{ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا} .

(١) انظر : ظلال القرآن فى آخر سورة البقرة ١/٣٤٣ .
(٢) الآية من سورة البقرة : ٢٨٦
(٣) الآية من سورة البقرة : ١٧٧
(٤) الآية من سورة النساء : ١٣٦

(١)

وقوله تعالى في القضاء والقدر :

{قل لن يصيبنا الا ما كتب الله} .

(٢)

وقوله :

{وان تمبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تمبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا} .

واما السنة فقد جاءت هذه الاصول في موضع واحد كذلك في حديث جبريل عليه السلام حيث سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال له : "ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت" .

ومن بديع المنهج أن الرسول صلى الله عليه وسلم التزم في اجابته نفس الترتيب الوارد في الآية ونص على الاصل السادس الذي لم تنص عليه الآية ، ولذا أعاد العامل وكرره "ان تؤمن" وكأنه يشير بهذا الى أن أصول الايمان الخمسة لا تكفى عن السادس هذا فكل واحد من الخمسة من باب أولى لا يكفى عنه غيره ، والله أعلم .

وسنتناول هذه الاصول ببعض التفصيل حيث سيأتى كل أصل

في مطلب .

(١) الآية من سورة التوبة : ٥١

(٢) الآية من سورة النساء : ٧٨

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم وكلاهما رواه في كتاب الايمان البخارى باب رقم ٣٧ ، مسلم رقم الحديث ١ .

(٤) انظر : فتح البارى لابن حجر ١١٨/١ .

المطلب الأول : الايمان بالله

يتناول الايمان بالله تعالى الايمان بوجود الذات العلية وبوحدانيته تعالى بأسمائه وصفاته . أما الايمان بوجود الله تعالى وأنه خالق كل شيء وربّه فهو ثابت بالدليل العقلي لأن العقل يرى السماء المرفوعة ويشاهدها مظلمة وتحتها هذا الغشاء العجيب الفسيح وتحت الغشاء هذا العالم المتموج ولاحد يستطيع عبده ولاتحديده وكذلك يشاهد الانسان ببصره وبصيرته الأرض المبسوطة وعلى ظهرها عجائب المخلوقات من حى وجماد وجبال وبحار وقد كشف الانسان فى باطنها مخلوقات واستخرجها يابسة ومائعة ، ومهما حفر الانسان لايميل الى قعرها ولايدرى عما يحيط بها ومدى أطرافها وكم حوت فى بطنها من المعادن والذخائر وغاضت من المخلوقات كانت على ظهرها ، ولاسبيل كذلك الى انكار هذا لأنه مشاهد محسوس . فمن خلق هذا كله وأوجده وسيره فى نظام الحياة والموت ؟ انه (١) الله رب العالمين .

ولاستحالة أن يخلق الشيء الحادث نفسه أو يخلق ما فى مستواه فى الحدوث لكونهما حادثين يجوز عليهما الاعدام والابادة حتى تغيب مادتهما عن المشاهدة والاحساس ويفرغ مكانهما فى السموات أو فى الأرض وتفارقهما الحياة أو تفارق الحى منهما وتذوب مادتهما أو تتحول الى مادة من جنس مادتهما كميرورة الانسان ترابا أو غيره من الحيوانات فى

(١) انظر : عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائري ص ٣٣-٣٤ ، مدارج السالكين لابن القيم ٥٩/١ ، ط/المحمدية ١٣٧٥هـ .

البر والجو والبحر وككون الشيء طعاما ونحو ذلك . ولاستحالة أن يخلق الشيء من غير خالق وهو أمر يعود عقليا الى المستحيل المذكور وهو أن يخلق الشيء نفسه .^(١)

لذلك وجب أن يكون الخالق هو الله تعالى ، واجب الوجود لذاته سبحانه وتعالى .

وهذان المستحيلان نص الله سبحانه وتعالى عليهما في قوله :^(٢)

{أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون} .

إنها لحجة بالغة في منهج القرآن الكريم لاثبات الايمان بالله تعالى أن يأتي بقضية هي نفسها الهدف وعليها الحوار والجدال وفي نفس الوقت هي الدليل لنفسها ولمثيلاتها ، فقولته تعالى : {أم خلقوا من غير شيء} مضمونه انكار الخالق والحقيقة أنهم يؤمنون بالخالق ولكنهم لما لم يكن لهذا الاعتراف ثمرة فكأنهم لا يؤمنون بالله الخالق لهم فمات القضية هي نفسها موضع الجدل كما أنها الدليل لما تنطوى عليه نفوسهم من السلبيات فيها .. وأما كونها دليلا لنظيراتها فهو أنها لما ثبت بها انعدام عدم الخالق كان ذلك دليلا على أنهم لم يخلقوا أنفسهم ، أم هم الخالقون ! فهذا ما يستلزمه النفي الأول والاستفهام الإنكارى الثانى ، والا فلا بد من الرجوع الى القضية الأولى وحقيقتها وهي أنهم خلقوا بقدرة وحكمة خالق خارج عن نطاقهم غير حادث مثلهم

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٩/٣-١٠ ، وانظر :
درء تعارض العقل والنقل له ١/٢٩٢-٢٩٥ .
(٢) الآية من سورة الطور : ٣٥-٣٧

(١)

وهو الله سبحانه وتعالى

{فتبارك الله أحسن الخالقين} .

(٢)

ويقول تعالى :

{قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع

والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن

يدبر الأمر فسيقولون الله} .

(٣)

وقوله تعالى :

{ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن

العزیز العليم} .

(٤)

وقوله :

{ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون} .

وهل يدعى أحد منهم أنه خلق السموات والأرض مع أنها

(٥)

أكبر منهم كقوله تعالى :

{لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس} .

أو أنها خلقت من غير خالق ؟ أو ادعت أنها خلقت

نفسها ؟ لم يحدث شيء من ذلك وهذا حجة أخرى بالاضافة الى

اعترافهم المذكور ومادام هكذا فهم غير موقنين ، فيما

يعترفون به لله من الخلق والرزق والاحياء والاماتة وان

كانوا يجيبون بتلك الاجابة اذا سئلوا عن خلق الكون لكونهم

يجعلون مع الله الله . فكأنهم لم ينظروا ولم يقرؤا بشيء

(١) الآية من سورة المؤمنون : ١٤

(٢) الآية من سورة يونس : ٣١

(٣) الآية من سورة الزخرف : ٩

(٤) الآية من سورة الزخرف : ٨٧

(٥) الآية من سورة غافر : ٥٧

(١)

حيث لانتيجة ولانظر صحيح .

"لقد ذكر القرآن أمورا مادية من سماء وأرض وإنسان وحيوان لتقرير حقيقة الألوهية للذي خلق هذا الكون بما فيه فتراه كشف بعض الأسرار ولفت الأنظار الى حقائق توصل العلم الى بعضها أخيرا" .^(٢)

وأهم ملامح المنهج القرآنى فى اثبات التوحيد وضرورة الايمان بالله نراه فيما يلى :

الأول : آيات تدل على العناية بالإنسان وبمطالبه كقوله تعالى :^(٣)

{الم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء شاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات ألفافا} .^(٤)
وقوله :

{تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا} .^(٥)
وقوله :

{فلينظر الإنسان الى طعامه} .

الثانى : آيات تدل على الاختراع أو أحداث الموجودات فى دقة وهدف كقوله تعالى :^(٦)

{فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب} .

-
- (١) انظر : الكشف للزمخشري ٤٥١/٢ .
(٢) الوحدة الموضوعية فى القرآن للدكتور محمد محمود حجازى ص ٢١٥ .
(٣) الآيات من سورة النبأ : ٦-١٦
(٤) الآية من سورة الفرقان : ٦١
(٥) الآية من سورة عبس : ٢٤
(٦) الآية من سورة الطارق : ٥

(١)
وقوله :

{أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت} .

الثالث : آيات جمعت بين المنهجين دلالة العناية ودلالة
(٢) (٣)
الاختراع كقوله تعالى :

{وآية لهم الأرض الميثة أحييناها وأخرجنا منها حبا
فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا
فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم
أفلا يشكرون} .

ان من القضايا التي لها علاقة بالعقيدة وترتبط بتنمية
الايمان مشاهدة الكون وآفاقه والتأمل فى خلق الانسان
وتكوينه وميوله وغرائزه ، ان التأمل فى هذه الجوانب ،
والاطلاع على حسن التنسيق ، وروعة النظام ، ودقة الهدف ،
(٤)
يؤكد حقيقة الوحدة كقوله تعالى :

{لو كان فيهما آلهة^{الاله} لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما
يصفون} .

(٥)
وقوله تعالى :

{قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى
العرش سبيلا . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . تسبح
له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده
ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا} .

-
- (١) الآية من سورة الغاشية : ١٧
(٢) انظر : الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد
ص ٦٧-٦٩ .
(٣) الآية من سورة يس : ٣٣-٣٥
(٤) الآية من سورة الانبياء : ٢٢
(٥) الآية من سورة الاسراء : ٤٢-٤٤

(١)
وقوله :

{ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا لذهب كل
اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون} .
والا فى الآية الاولى بمعنى غير ومعناها انه لو كان
يتولاهما ويدبر امورهما شئ غير الواحد الذى هو فاطرهما
لفسدتا ، ولايجوز أن تكون الا بمعنى الاستثناء لانه لو
حملناها على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما آلهة ليس
معهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان
فيهما آلهة معهم الله أن لا يحمل الفساد وذلك باطل لانه لو
كان فيهما آلهة فسواء لم يكن الله معهم أو كان فالفساد
(٢)
لازم .

والآية تدل على استحالة تعدد الفاعلين من جنس واحد
لفعل واحد اذ يلزم من فعلهما معا الفساد ،

وأما الآية الثالثة فالممانعة بها تتجه نحو المفعول
فحيث كان هذا العالم المتقن المنظم واحدا لزم أن يكون

(١) الآية من سورة المؤمنون : ٩١
(٢) انظر : التفسير الكبير للرازى ١٥٠/٢٢ .

مفعولا لفاعل واحد يتقن فعله ، أما اذا كانت الالهة المختلفة كل واحد يفعل ولايطيع الآخر فى المقصود الواحد فان هذا يستلزم ألا يوجد مفعول واحد .^(١)

وفى الآية الثانية رأى آخر فى التفسير مدعما التمانع وهو انه على فرض انه توجد آلهة مع الله تعالى فى زعم العقائد الفاسدة فانهم سيتجهون اليه بالدعاء والخوف والرجاء ويعبدون ذا العرش جل جلاله .^(٢)

فالذين يعتقدون بوجود هذه الالهة لايعتقدون مساواتها مع رب العالمين ، ولكن الله تعالى الزمهم باتخاذهم اياها شفعاء ووسطاء الى الله ، بأن ذلك هو الاعتقاد بتعدد الالهة تعالى الله عما يقول الظالمون .. وهذا مايوافق قوله تعالى :^(٣)

{أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا} .

فهؤلاء الذين يتخذون آلهة من دون الله ويعبدون الملائكة أو الذين يعبدون المسيح أو عزيزا .. هؤلاء لايفقهون أن من يعبدونهم هم من عباد الله الذين يرجون الله ويخافونه .^(٤)

وقد جاء أن ناسا من الانس كانوا يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم .^(٥)

(١) انظر : المصدر السابق ١٥٥/٢٢-١٥٦ ، كشف المنهاج

الدلة فى عقائد الملة لابن رشد ص ٧١-٧٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٩١/٩٣-٩٣ ، ط/٣ .

(٣) الآية من سورة الاسراء : ٥٧ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤٦/٣ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الاسراء ج ٨ .

ومما يؤكد نفى التعدد وحصر العبادة على الله تعالى
(١)
قوله تعالى :

{تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء
إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أنه كان حليماً
غفوراً} .

كأنه سبحانه وتعالى يقول : كيف تتعدد الآلهة مع الله ؟
والسموات والأرضون وما بينهما كل يعبد الله عبادة فطرية
ويسبحه فإن اتخذ من الأحجار أو الأشجار أو الكواكب أو
الحيوانات معبودات ومزاراً وأشركت مع الله تعالى فهي تسبح
لله وتقدم له الطاعة . فأين إذن الآلهة الذين يرسمون طريقاً
إلى ذى العرش لينازعوه أو يناوئوه ليغلبوه أو يشاركوه ؟
(٢)
إن منهج الكتاب والسنة فى موضوع العقيدة لا ينصب
ولا يناقش كثيراً فى الوجود الإلهى فلايمان بوجود الذات
الإلهية فطرة راسخة فى صميم إنسانية كل مخلوق وإنما يركز
على قضية التوحيد ، فالله سبحانه ذات واحدة لا تتعدد
ولا تتبع .

ولا تندمج معها ذوات أخرى ولا تتلبس بها فى صورة من صور
الاندماج أو التلبس .. هذه الذات الواحدة متمففة بمفات
تتفرد بها كذلك فلا يشاركها فيها أحد ، ومن وحدانية الذات
وتفردتها بهذه الصفات تتضح وحدانية الفاعلية والتأثير فى
الكون وما فيه ومن فيه : وحدانية الخلق والانشاء . ووحدانية
الملك والرزق والقوامة والتدبير وحدانية الهيمنة والسلطان

(١) الآية من سورة الإسراء : ٤٤

(٢) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ١/١٢٠٢-١٢٠٥ ، ط/الأولى ١٣٧٧هـ الحلبية .

فى الدنيا وفى الآخرة سواء ان الله سبحانه ذات واحد منفردة
(١)
الصفات لانظير لها ولاشبيهه .

وبثبوت وحدانيته سبحانه وتعالى يتضح لنا أن الله
الواحد الاحد ذو أسماء وصفات ولامعنى للايمان بوجود ذاته
المقدسة الا بالايمان بأسمائه وصفاته فنكران أسمائه وصفاته
هو نفسه نكران لذاته وجوده لوجوده لأنه مامن موجود الا وله
أسماء وصفات وحتى المعانى لها أسماء وصفات كالفهم والصبر
والايمان والاسلام .

فاذا اتفق العقلاء جميعا على أن كل الموجودات
والمخترعات من جماد وحى لها أسماء وصفات وهى لم تستمد
الوجود من نفسها فكيف بواجب الوجود الذى خلق كل شئ وخلق
له اسما وصفة يتميز بها عن غيره من المخلوقات ؟

فاذا كان الأمر كما وصفت فان الايمان بوجود الذات
المقدسة الخالقة وتحقق وحدانيتها نقلا وعقلا هو الدليل على
أسماء وصفات الخالق رب العالمين واعتقد أن هذا هو السبب
فى أن السلف الصالح من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين
لهم باحسان لم يستشكل أحد منهم صفة لله ولا اسما من أسمائه
وخاصة أن الايمان بهذا الجانب من العقيدة لا يكلفون فيه الا
بالاعتراف والاستسلام لما جاء عن الله وعن رسوله عليه الصلاة
(٢)
والسلام دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه .
(٣)
وهو مضمون قول الامام مالك رحمه الله لما سئل عن

(١) مقومات التصور الاسلامى للسيد قطب ص ٢٣٩ .
(٢) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥/٣-٢٧ ، وانظر :
شرح السنة للبغوى ١٦٨/١-١٧١ .
(٣) امام دار الهجرة وهو حميرى أبو عبد الله المدنى روى
عن خلق كثير من التابعين وروى عنه خلق آخرون .
انظر ترجمته فى : الديباج المذهب فى معرفة أعيان
المذهب لابن فرحون ١٧/١ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٠٧/١
رقم ١٩٩ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ٩-٥/١٠ ، تزيين
الممالك بترجمة الامام مالك للسيوطى .

الاستواء فقال : " الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة " ^(١) فالناس يجهلون الكيفية والسؤال عنها بدعة أما معنى الاستواء بين والايمان به واجب فمجمع عليه وقصارى القول فى مسألة الصفات والاسماء : أن الايمان بوجود الخالق مدبرا للكون ثابت بالفطرة ودل على وحدانيته أيضا بالاضافة الى دلالة العقل والنقل عليها ويستحيل أن يكون الخالق الواحد الفرد الصمد بلاصفات ولاأسماء والا فهو عدم تعالى الله عن ذلك ^(٢) .

وقد أراحنا منهج الكتاب والسنة فى بيان قضية الصفات والاسماء حيث لم يطلب منا ربنا سبحانه وتعالى أن نصفه ولا أن نسميه من قبل أنفسنا ونخترع له أسماء وصفات ولو بقصد تنزيهه ، وانما ذلك خاص بوحيه الذى أنزله على رسوله عليه الصلاة والسلام .

وبالرجوع الى الكتاب العزيز والسنة المطهرة نجدهما حافلين بذكر صفات الله العليا وأسمائه الحسنى بالتفصيل والاجمال واثبت مايليق به ونفى مايليق به سبحانه وتعالى بل ونجد أسلوب التفصيل فى المثبت غالبا وأسلوب الاجمال فى النفى فى الأغلب كما فى قوله تعالى : ^(٣)

{ ليس كمثله شئ وهو

السميع البصير } .

فأول الآية اجمال وآخرها تفصيل . وقد يأتى التفصيل فى النفى نادرا لأهمية الموضوع وخطورة تشبيه الله بالمخلوق

(١) انظر : مختصر العلو للذهبي ص ٣٨ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق لابن القيم ٢٧، ٢٢/١ ، مجموع

الفتاوى لابن تيمية ٢٧-٢٥/٣ .

(٣) الآية من سورة الشورى : ١١

كمن ينسب الى الله الولد وذلك ما جاءت به سورة الاخلاص مفصلة
(١)
لنفيه .

يقول الله :

{قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا أحد} .

وقد يكون الاجمال والتفصيل كلاهما للاشبات بمعنى أن
الاجمال للتنزيه والتفصيل لاثبات الصفات ، وهذا اعجاز في
اخبار الله عن صفاته فهو يثبت الصفات لنفسه بأسلوب خاص
بديع .

(٢)

كقوله تعالى :

{ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم} .

ولما كانت صفات الرب أكثر وأكمل كان له المثل الأعلى
وكان أحق من كل ما سواه ، بل يستحيل أن يشترك في المثل
الأعلى المطلق اثنان ، لأنهما أن تكافأ من كل وجه ، لم يكن
أحدهما أعلى من الآخر وإن لم يتكافأ ، فالموصوف به أحدهما
وحده ، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير ،
واختلفت عبارات المفسرين في المثل الأعلى .

يقول شارح الطحاوية : "المثل الأعلى يتضمن : الصفة
العليا ، وعلم العالمين بها ، ووجودها العلمي ، والخبر
عنها وذكرها ، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة
(٣)
القائمة بقلوب عابديه وذاكره " .

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/١٣٠-١٤١ ، درء
تعارض العقل والنقل له ١/١١٤-١١٥ .
(٢) الآية من سورة النحل : ٦٠ .
(٣) شرح الطحاوية ص ٨٢-٨٣ ، وانظر : مجموع الفتاوى لابن
تيمية ٣/٧-٣ .

وهنا امر هام يجب ان يتفطن له الدعاة والمؤمنون
الذين يريدون للعقيدة انتشارا وصفاء وهو :
ان الايمان بالله متفق مع الجبلية الانسانية ،
والاستعداد الفطرى لقبول الحق فى اطار مايليق بذاته تعالى
(١)
ومايتفق مع طاقة الانسان وقدراته فالحه تعالى :
{لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير}
والاعتماد على هذا جعل الانبياء جميعيا يتواطون
ويجمعون على توحيد الالهية متخذين جانب الربوبية رميدا
وحجة لاقتناع اممهم بما ارسلوا به ، وهو مضمون هذه العبارة
(٢)
فى قوله تعالى :
{ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الفلاة
فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين} .
(٣)
وقوله :
{وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لاله
الا انا فاعبدون} .
(٤)
فعبادة الله واخلاصها له هى موضوع الرسالات .

-
- (١) الآية من سورة الانعام : ١٠٣
(٢) الآية من سورة النحل : ٣٦
(٣) الآية من سورة الانبياء : ٢٥
(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية
٧٤-٣٣/٤ ، ٢١١-٢١٠/١ ، مدارج السالكين لابن القيم
١٠١/١ ، تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٢٥-١٧ ،
فتح المجيد ص ١٧-١٤ ، تجريد التوحيد المفيد للمقرئ
ص ٨-١٠ ، الحسنة والسيئة ص ١٢٨ .

ولهذا تواترت الدعوة الى توحيد الله ، بين جميع
(١)
الرسل حيث نادى كل رسول بقوله تعالى :

{ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره} .

ولما فطر الله سبحانه وتعالى عباده على ذلك الاقرار
الفطرى صار الايمان يترقى من درجة الى درجة حتى يصل الى
درجة الاحسان فصار حسا ، وان كانت ذات الله وكيفية صفاته
غيبا عنا كما يدل عليه الاسلوب النبوى البليغ فى اجابته
لجبريل لما سأل عن الاحسان فقال : "أن تعبد الله كأنك
(٢)
تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك" .

وخلاصة القول فى الايمان بالله تعالى كالتالى :

الايمان بالله تعالى وبقدرته المطلقة وأنه خالق لكل
شئ ومدبر له ، يوجب الايمان بكل ما أخبر الله تعالى به من
عالم الغيب وعالم الشهادة وأمرنا بالايمان ، فاذا تحقق
الايمان بذات الله ووجوده وبأسمائه وصفاته وحاكميته وتصرفه
المطلق فى هذا الكون ومافيه من حى وجماد علويه وسفليه ..
فقد سهل بذلك الايمان ببقية أصول الايمان ، واذا تردد أحد فى
الايمان بواحد من هذه الأصول أو أكثر فمعنى ذلك أنه طعن فى
ايمانه بالله ، لأنه لامفارقة بين اللازم والملزوم ، فالايمن
بالله خالقا وربا مدبرا يستلزم طاعته فيما أمر ، والاعتراف
به والتصديق بوجوده لتظهر حكمة البارئ سبحانه وتعالى فى
كون العبيد عبيدا لله تعالى مؤمنين به .

(١) الآية من سورة الاعراف : ٥٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الايمان ، باب تعريف الاسلام والايمان

المطلب الثانى : الايمان بالملائكة

الملائكة جمع مفردة ملك وأصله مأك قلبت الهمزة الى موضع اللام فقليل "ملاك" وخففت بالقاء حركتها على الساكن قبلها فقليل "ملك" وقد جرى كلام العرب على ترك الهمزة (١)
المهموزة فى المواضع كالملك قود يهمزون كقول الشاعر :

فلست لانسى ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب
وقد ورد القلب فقليل "مأك" ويمكن جمعه على أسلوب
القلب "مأك" ويرد الجمع على وزن فعائل كقول أمية بن أبى (٢)
الملت :

وفيها عباد الله قوم ملائك ذلوا وهم صباب
وأما الهاء فى "الملائكة" فليست لعجمة ولانسب ، وانما
هى على حد قولهم المياقلة ، لتأنيث الجمع .

والملك مشتق : أصله : مأك والالوك الرسول ، والالوكة (٣)
واستألكه : حمل رسالته .

وقال الشاعر وهو لبيد بن ربيعة :
وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ماسأل (٤)
وقول النابغة الذبياني :
ألكنى ياعيين اليك قولا ستهديه الرواة اليك عنى

-
- (١) هذا البيت لم ينسب لأحد وهو من شواهد سيبويه والشافعية ص ٢٨٧ ، اللسان فى مادة (أك) .
(٢) أمية بن أبى الملت شاعر جاهلى والبيت فى ديوانه .
انظر ترجمته فى : مختارات الاغانى لابن منظور ٦٢/١ .
(٣) انظر : القاموس ، لسان العرب فى مادة (أك) ، تفسير الطبرى ١٩٧/١-١٩٨ .
(٤) شاعر جاهلى من فحول الشعراء واسمه : زياد بن معاوية .
انظر ترجمته فى : مختارات الاغانى ٣٤٠/٥ .

ومن الاستعمال اللغوي اشتقت التسمية ، ووضع علم الجنس هذا "الملائكة" فى أصل اللغة دلالة على وجود المسمى ، كما تدل عليه النصوص الواردة فى الكتاب والسنة ، فى أنهم خلق لله موجودون لعبادته خاصة ، لا يشربون ولا ياكلون ولا ينامون ، لأنهم لا يفترقون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولا يسأمون عبادة الله ولا يستكبرون وقد طبعوا على الخير ، وهم أجسام لطيفة نورانية قادرة على التكون بأشكال مختلفة تسكن السموات فليست كواكب ولا مركبة من النور والظلمة .^(١)

وقد أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام عما خلقت منه الملائكة فقال : "خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم" ، وقد اكتظت بهم السموات وامتلات ، وتشير الآيات الى ذلك كقوله تعالى :^(٢)

{تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا ان الله هو الغفور الرحيم} .^(٣)

على التوجيه الذى وجه به بعض المفسرين قوله تعالى :
{يتفطرن من فوقهن} .^(٤)

وهو أنهن يتشققن من ثقلها بالملائكة .

ويشهد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام : "انى أرى مالاترون وأسمع مالاتسمعون أظت السماء وحق لها أن تظط ، ما فيها موضع أربع أصابع الا عليه ملك ساجد ، لو علمتم

(١) انظر : تفسير الرازى ١٦٠/١ ، التعريفات للجرجانى ص ٢٢٩ .
(٢) رواه مسلم فى كتاب الزهد باب رقم ٦ .
(٣) الآية من سورة الشورى : ٥ .
(٤) انظر : التفسير الكبير للرازى ١٤٣/٢٧ .

ما أعلم لفحكتكم قليلا ولبكيتكم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء
على الفراشات ، ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله عز
(١)
وجل " .

وقوله : "ما فى السموات السبع موضع قدم وشبر ولا كف الا
وفيه ملك قائم او ملك ساجد ، او ملك راکع ، فاذا كان يوم
القيامة قالوا جميعا : ما عبدناك حق عبادتك الا انا لانشرک
(٢)
بك شيئا " .

(٣)
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

"فدل هذان الحديثان على أنه مامن موضع فى السموات
السبع الا وهو مشغول بالملائكة ، وهم فى صنوف من العبادة ،
منهم من هو قائم أبدا ، ومنهم من هو راکع أبدا ، ومنهم من
هو ساجد أبدا ، ومنهم من هو فى صنوف آخر والله أعلم بها ،
وهم دائمون فى عبادتهم وتسبيحهم واذكارهم واعمالهم التى
(٤)
أمرهم الله بها ، ولهم منازل عند ربهم " .

(٥)
كما قال تعالى ^{من غير أن يعترفوا} اعترف الملائكة بذلك :

{وأمنا الا له مقام معلوم . وانا لنحن الصافون .
وانا لنحن المسبحون} .

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب فى كتاب الزهد رقم
٢٣١٢ .

(٢) رواه الطبرانى عن جابر فى المعجم الكبير ١٧٥١/٢ قال
الميثمى فى المجمع وفيه عروة بن مروان ليس بقول لرب . انظر فى الزهد ٣٦٤١

(٣) هو عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير
البصرى الدمشقى المفسر المؤرخ البارع ، ولد سنة
٧٠١هـ بالبصرة ونشأته بدمشق وتوفى سنة ٧٧٤هـ فى
شعبان .

انظر ترجمته فى : الدرر الكامنة لابن حجر ٣٩٩/١-٤٠٠ ،
البدر الطالع للشوكانى ص ١٥٣ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٤٥/١-٤٦ .

(٥) الآيات من سورة الصافات ١٦٤-١٦٦

وقد وردت آيات عديدة تتحدث عن الملائكة وأعمالهم وحقيقتهم .

ففى الرد على من يعتقد أن الملائكة اناث مع بيان
(١)
عبودية الملائكة لله : يقول تعالى :

{وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون .
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون } .
(٢)
وفى وصفهم بالطاعة مع الشدة والغلظة يقول تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم
ويقولون ما يؤمرون} .

وفى استمرار الملائكة فى عبادته سبحانه وتعالى دون
(٣)
استكبار ولا ملل يقول تعالى :

{فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل
والنهار وهم لا يسئمون} .
(٤)
وقال :

{ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون
الليل والنهار لا يفترون} .

وفى بيان طوائف الملائكة ووصف المسئوليات المنوطة بهم
(٥)
بصورة عامة يقول تعالى :

{والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا} .

(١) الآيات من سورة الانبياء : ٢٦-٢٨

(٢) الآية من سورة التحريم : ٦

(٣) الآية من سورة فصلت : ٣٨

(٤) الآيات من سورة الانبياء : ١٩-٢٠-

(٥) الآية من سورة الصافات : ١-٣

(١)

وقوله :

{والنازعات غرقا . والناشطات نشطا . والسابحات سبحا

فالسابحات سبحا . فالمدبرات أمرا} .

(٢)

وقوله :

{والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا .

فالفارقات فرقا . فالملقيات ذكرا} .

فهذه الآيات ونحوها تدل على طوائف من الملائكة وتعبر

عن مسئولياتها المنوطة اليها في هذا الكون وأقسم الله

تعالى بها والتأنيث في هذه الصفات لمعنى الفرق والطوائف

والجماعات ، وهناك نصوص أخرى جاءت بالاختبار عن نصرمة الله

المؤمنين بالملائكة وتعذيب الكافرين كقوله تعالى في نصرمة

(٣)

المؤمنين يوم حنين :

{وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء

الكافرين} .

(٥)

وقوله في يوم بدر :

{اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من

الملائكة مردفين} .

(١) الآيات من سورة النازعات

(٢) الآيات من سورة المرسلات : ١-٥

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٤ ، تفسير ابن كثير
في أول سورة الصافات والمرسلات والنازعات وتفسير
الزمخشري .

(٤) الآية من سورة التوبة : ٢٦

(٥) الآية من سورة الأنفال : ٩

(١)
وجاءت الآيات بعدد حملة العرش كما قال تعالى :

{ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} .

(٢)
وهو يفهم بالايمان والتسبيح فيقول :

{الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم

ويؤمنون به} .

(٣)
وأخبر الله تعالى عن الحفظة والكتابة مع كل أحد فقال :

{له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر

الله} .

(٤)

وقوله :

{أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم

يكتبون} .

وجاءت النصوص بوصف ملائكة الرحمة كما قال عليه الصلاة

والسلام : "ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب

الله ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم

الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ

(٥)

به عمله لم يسرع به نسبه" .

(٦)

ومن الملائكة الكروبيون وهم المقربون :

{لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة

المقربون} .

وقد جاء فى النصوص تخصيص بعض الملائكة بأسمائهم

ومسئولياتهم المنوطة بهم فى هذا الكون ومنهم :

(١) الآية من سورة الحاقة : ١٧

(٢) الآية من سورة غافر : ٧

(٣) الآية من سورة الرعد : ١١

(٤) الآية من سورة الزخرف : ٨٠

(٥) رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب رقم ١١ ج ٤ .

(٦) الآية من سورة النساء : ١٧٢

(١) جبريل عليه السلام وصفه الله تعالى بالقوة والامانة فى
(١)
قوله :

{انه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين .
مطاع شم أمين} .

وقد ورد اسمه كثيرا لانه هو السفير بالوحى من الله
(٢)
تعالى الى رسله كقوله تعالى :

{من كان عدوا لله وملائكته ورسله ، وجبريل وميكائيل
فان الله عدو للكافرين} .

(٢) ميكائيل ومسئوليته : المطر والنبات ، وقد سأل النبى
صلى الله عليه وسلم جبريل عن ميكائيل ، فقال : "مالى
لم ار ميكائيل ضاحكا قط ؟ فقال : ماضحك ميكائيل منذ
(٣)
خلقت النار" .

(٣) اسرافيل ومن وظائفه : النفخ فى الصور ليوم البعث .
والثلاثة من اشراف ورؤساء الملائكة وقد ذكروا فى قول
الرسول عليه الصلاة والسلام : "اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل ، فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ، أنت
تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف
(٤)

فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم" .
(٥)
(٤) ملك الموت ويسمى عزرائيل ، ومسئوليته قبض الارواح وله

(١) الآية من سورة التكويد : ١٩-٢١

(٢) الآية من سورة البقرة : ٩٨

(٣) رواه الامام أحمد فى المسند ٢٢٤/٣ عن أنس ، ورمز له
السيوطى بالحسن وتعقبه المناوى فى فيض القدير ٤٥٢/٥
بقوله : قال المنذرى رواه أحمد من حديث اسماعيل بن
عياش وبقيّة رواه شقات . وقال الهيثمى رواه أحمد من
رواية اسماعيل بن عياش عن المدنيين وهى ضعيفة وبقيّة
رجاله شقات . مجمع الزوائد ٣٨٥/١٠ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين ، باب الدعاء فى
صلاة الليل ، والنسائى فى كتاب قيام الليل ، باب بأى
شئ تستفتح صلاة الليل ج ٢ .

(٥) لم يرد اسمه فى القرآن ولا فى الصحاح وورد فى بعض
الآثار كما يقول ابن كثير . انظر البداية ٥٠/١ .

(١)

اعوان من الملائكة ، كقوله تعالى :

{حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون} .

(٢)

وقوله :

{قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم

ترجعون} .

(٣)

(٥) هاروت وماروت ، قال تعالى :

{وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت} .

وفى قصتهما انه "ذكرت الملائكة اعمال بنى آدم

وماياتونه من الذنوب فقليل لهم اختاروا منكم اثنين ،

فاختاروا هاروت وماروت ، فقال لهما انى ارسل الى بنى آدم

رسلا وليس بينى وبينكم رسول ، انزلا لاتشركا بى شيئا ولا تنزىا

(٤)

ولا تشربا الخمر ، قال كعب : فوالله ما أمسيا من يومهما الذى

(٥)

اهبطا فيه حتى استكملا جميع مانهيا عنه " .

(٦) منكر ونكير : استفاض فى الاحاديث ذكرهما فى سؤال

القبر .

كما روى : "اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان

يقال لاحدهما المنكر وللآخر نكير ، فيقولان : ماكنت تقول فى

هذا الرجل فيقول : ماكان يقول : هو عبد الله ورسوله ،

(١) الآية من سورة الانعام : ٦١

(٢) الآية من سورة السجدة : ١١

(٣) الآية من سورة البقرة : ١٠٢

(٤) كعب بن ماتع أبو اسحاق الحميدى من يهود اليمن أسلم فى خلافة عمر ، توفى بالشام سنة ٣٢هـ .

انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ٧٩٣/٨ .

(٥) رواه عبد الرزاق فى التفسير قال ابن كثير فى تفسير الآية : هذا أصح وأثبت .

(١)

فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا " .

(٢)

(٧) خازن النار واسمه مالك ورد في قوله تعالى :

{ونادوا يمالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون} .

(٨) خازن الجنة ملك يقال له رضوان "جاء مصرحا به في بعض

(٣)

الاحاديث" .

وخلاصة القول :

أن من تدبر القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد أن الملائكة خلق معلومون ، وان كانت ذواتهم لاتحس مادتها وهي غيب عنا ، ولكن القرآن الكريم مملوء بذكرهم وحافل بأوصاف هذا العالم الذي امتلأت به السموات ، وقد وصل بيان القرآن الكريم واخباره عنهم الى أن قارئ القرآن ومتدبره بحق يكاد ينسى أن الملائكة في غيب لايشاهدون لكثرة وصفهم في القرآن ويكاد أن يتخيلهم في عالم الشهادة ، وكذلك من يتأمل أخبار الرسول عليه الصلاة والسلام الذي كان يتحدث عن الملائكة وعن جبريل كثيرا ، ولايجد المحابة رضى الله عنهم في نفوسهم المتطلعة الى معرفة كل شيء ليزدادوا ايمانا ، أى تردد في أن وجودهم ثابت والايمان بهم واجب ، كيف وقد جاءت أوصافهم ومراتبهم ووصفوا بالوصف والمسئوليات طوائف وجماعات ، وذكروا بعظمة الخلق ، وحسن المنظر وخصوا بالقوة والقدرة على التمثيل في صور متعددة ، وأشكال متنوعة ، وهم مع ذلك عباد مكرمون ، ومظهرون لا يخالفون ربهم ولايعصونه أمرا ، وقد وكل اليهم أحداثا في هذا العالم ، وكل حركة

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب في الجنايز ٧/٣ .

(٢) الآية من سورة الزخرف : ٧٧

(٣) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٤٨/١ - ٥٣ .

فيه ، وقسمت بينهم المهمات ، وجعلت فيهم قيادات ، وكل له
مقام معلوم ونهاية لا يعدوها .^(١)

وحتى الذين خاضوا الرسالة وعاندوا النبي صلى الله
عليه وسلم ماكانوا ينكرون وجود الملائكة ، وانما يعبدونهم
من دون الله ، أو يزعمونهم بنات الله تعالى الله عما يقول
الظالمون ، أو يستخفون بعددهم ويفتنون بعدتهم ، أو يفمحون
عن عداوتهم للملائكة ، وكل ذلك جاءت به نصوص القرآن والسنة
على وجه تمحيح المفاهيم في الملائكة واعتبار أثر وجودهم
وخدمتهم لخالقهم في هذا الكون .. ولم يكن اذن الخطاب
الالهى في شأن الملائكة والاخبار عنهم وبيان الرسول صلى الله
عليه وسلم لاحوالهم ، لم يكن ذلك منمبا على جحود وجود
الملائكة وحمل الجاحدين على الاعتراف بهذا الوجود .

(١) انظر : البدايه والنهايه لابن كثير ٥٣،٤٣/١ ، شرح
الطحاوية ٢٧٥-٢٧٣/٣ .

المطلب الثالث

الايمان بالكتب المنزلة من عند الله

الايمان بوجود ذات الله تعالى وأنه ذو صفات وأسماء ،
وأنه هو الحاكم المحرم والمحلل .

الايمان بهذا ، يستلزم الايمان بكتبه وكلامه ، لأنه
لا يعرف الحلال والحرام الا من كلامه وتشريعهم ، فكتب الله نزلت
لبيان العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الخلق والخالق ،
ولئلا تكون الحجة على الله للناس كما قال تعالى :
(١)

{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد
ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله
قوى عزيز} .
(٢)
وقوله تعالى :

{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه وما اختلف الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا
فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم} .
فبدليل هاتين الآيتين ونحوهما من الاخبار التي جاءت في
الكتاب والسنة تبين أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتباً
لمصلحة الانسان وهدايته ، وأن الانسانية وقعت في اختلاف
وتمزقت وحدتها وطمست هدايتها فلا بد لهم من ارشاد فكان نزول
الكتب بهذا ضرورة من الضرورات لزم الايمان بها والتصديق
بما تضمنته من الحق والبيان عن الله تعالى .
واذا أدركت الفطرة شيئاً من صفات الله تعالى ، فإن

(١) الآية من سورة الحديد : ٢٥
(٢) الآية من سورة البقرة : ٢١٣

صفاته سبحانه وأسماءه الحسنى لاتعرف الا بالوحى المنزل من عنده لانه هو المعرف عن نفسه وحاكميته ، ولاتكفى المعرفة الفطرية كما انها لاتدرك التشريع الذى يحقق الوهيته عز وجل ولقد أخبرنا الله تعالى أنه أنزل كتباً وأوجب الايمان كما (١)
ذكر وكقوله :

{فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير}

فاله أعلم بعدد هذه الكتب وانما علينا الايمان بها اجمالاً مع الايمان التفصيلى بما فصل منها ووجب اختصاص الكتب التى ذكرت فى القرآن والسنة التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم عليه السلام كقوله تعالى :

{وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم ممدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور وممدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين} . (٢)
وقوله :

{وربك أعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً} . (٤)
وقوله تعالى :

{أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى} . (٥)
وقوله تعالى :

(١) الآية من سورة آل عمران : ١٨٤
(٢) الآية من سورة المائدة : ٤٦
(٣) الآية من سورة الاسراء : ٥٥
(٤) الآيات من سورة النجم : ٣٦-٣٨
(٥) الآيات من سورة آل عمران : ١-٤

{الم . الله لا اله الا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام} .

ومما يجب أن يقصده ايمان المؤمن ويتناوله الايمان بالتوراة والانجيل المنزليين من عند الله تعالى . أما ما يوجد لدى أهل الكتاب من التحريفات قديما وحديثا سواء كان قبل الاسلام أو بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فليس من التوراة والانجيل بشئ وانما هو افتراء ، والمؤمنون بذلك على أساس أنه من الله ليسوا بالمؤمنين يقول تعالى
(١)
مخبرا عن التحريف :

{أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون} .
(٢)
وقوله :

{من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه} .
(٣)
وقوله :

{فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون} .
ويخص القرآن الكريم بالايمان به مجملا ومفصلا والاقرار بكل ماجاء فيه واتباعه ، وأنه نسخ ما قبله من الكتب ، وأنه معجز . {وانه لكتاب عزيز} .

(١) الآية من سورة البقرة : ٧٥
(٢) الآية من سورة النساء : ٤٦
(٣) الآية من سورة البقرة : ٥٩

{لآياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم
(١)
حميد} .

(٢)
وقوله :

{ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فملت آياته

أعجمى وعربى} .
(٣)
وقوله :

{أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا} .

وباب التحريف انفتح على مصراعيه عندما اتجه المحرفون
نحو الخالق سبحانه وتعالى فيصفونه بما يشاءون من الاوصاف ،
ويخترعون له الاسماء من عند أنفسهم ، كوصفه الله بأن يده
مغلولة فيما أخبر سبحانه وتعالى عنهم في قوله :
(٤)

{وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما
قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا
منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب
أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين} .
ومن صور التحريف في هذه الكتب ما ذكره الله تعالى عن
النصارى حيث زعموا كافرين أن الله ثالث ثلاثة في قوله
(٥)
تعالى :

(١) الآية من سورة فصلت : ٤٢

(٢) السابقة : ٤٤

(٣) الآية من سورة النساء : ٨٢

(٤) الآية من سورة المائدة : ٦٤

(٥) السابقة : ٧٣-٧٦

{لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه مديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم } .
(١)
وقوله تعالى مخبراً عن النصارى واليهود :

{وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يفاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون} .

وإذا كان كتاب الله "القرآن" الممّون من التحريف والتبديل قد أخبر الله تعالى فيه عما حصل من أهل الكتاب من التحريف لما سبقه من رسالات الأنبياء فان أهل الكتاب أنفسهم وخاصة النصارى الذين كتبوا أولا مانشر بين الناس ، يعترفون بأن ماكتبوه انما هو سير لعيسى عليه السلام وأصحابه ولم يدعوا أن هذا هو كلام الله المنزل ، ومن ناحية أخرى الاجماع بين الطوائف الثلاث : المسلمون ، والنصارى ، واليهود ، على أن التحريف والتلاعب قد حدث فى الكتب المنزلة على أنبياء بنى اسرائيل فاليهود لا ينكرون أن

النصارى قد لعبت بالتوراة وتفسيره ، والنصارى يقرون بأن اليهود قد لعبت بالانجيل وحرفته وبدلته .
كما يقر النصارى أنهم قد اختلفوا وأن كل طائفة منهم عندها مالىس عند الأخرى ، ويوافق المسلمون اليهود والنصارى على ذلك كله .

فكان الاجماع على أن التحريف قد كان وأن المنتشر قديما وحديثا هو المحرف والمبدل .^(١)

وخلاصة القول : أن القرآن يجب الايمان به على أنه هو كتاب الله الذى رهبه للبشر حكما وضمنه كل مايسعد العالم ، وأنه ناسخ لكل ماسبقه ، وأن كل ماخالفه ولايقره فهو باطل ورحمته عمت كل المخلوقات وهو شفاء لكل داء وبلمس لما فى^(٢)
الصدور .

(٣)

قال تعالى :

{ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ،
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} .^(٤)
وقوله تعالى :

{ياأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى
الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين} .

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٤٣-١/٢ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨٨ ، عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائري ص ٢٤٣-٢٤٥ ، العقائد الاسلامية للسيد سابق ص ١٦٣-١٧٠ .

(٣) الآية من سورة النحل : ٨٩

(٤) الآية من سورة يونس : ٥٧

(١)
وقوله :

{قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور
بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم} .
كما يجب الايمان بالكتب التي ذكرها الله لنا على أساس
حقيقتها التي نزلت بها .

المطلب الرابع

الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

الايمان بالكتب يستلزم الايمان بمن يبلغها عن الله الى البشر ، لان الله تعالى لم يخاطب كل احد من البشر فيما يجب عليه ان يعتقده ويعمل به ، ولم يرسل ملائكة ليخاطبوا الناس واحدا تلو الآخر ، وبما تقدم علم ان انزال الكتب لبيان مايجب على الناس نحو خالقهم ونحو بعضهم لبعض ضرورى ، فليكن اذن ارسال الرسل من البشر ضرورى كذلك يجب الايمان بهم جملة وتفصيلا ، وذلك لاي توقف على النظر ولا الاستدلال العقلى الجدلى وخاصة بالنسبة للمؤمنين ، مادام الله سبحانه وتعالى هو الذى ارسل الرسل ونبا الانبياء واخبر بذلك وامر بالايمان بهم دون قيد وشرط ، وهذا هو مستلزم الايمان بالله ، حيث يتبعه الايمان بكل ما امر به الناس ان يؤمنوا به ، ولايفرق بين الرسل فى هذا الايمان .^(١)
كما امر الله فى قوله :^(٢)

{آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير} .
والمؤمن ببعض الرسل دون البعض كافر غير مؤمن كما^(٣)
أخبر الله تعالى :

{ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا} .

(١) انظر : الرازى فى التفسير الكبير ١٣٣/٧-١٣٤ ، تفسير الطبرى ٥٢/٣ ط/المصرية ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٤

(٢) الآية من سورة البقرة : ٢٨٥

(٣) الآيتان من سورة النساء : ١٥٠-١٥١

والله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من الناس ومن
(١)
الملائكة ليرسله وليس على الناس الا الايمان ، قال تعالى :
{الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع
بصير} .

هذا والايمان واجب بكل رسول أرسله الله تعالى فى
أمة من الأمم وقد أخبر أنه مامن أمة الا وقد أرسل اليها
(٢)
رسولا منهم كما قال تعالى :
{تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان
أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم} .
(٣)
وقوله :

{ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة} .
(٤)
وقوله تعالى :

{ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون} .
(٥)
وقوله :

{ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما
أنت منذر ولكل قوم هاد} .
(٦)
وقوله :

{انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا
فيها نذير} .

(١) الآية من سورة الحج : ٧٥
(٢) الآية من سورة النحل : ٦٣
(٣) السابقة : ٣٦
(٤) الآية من سورة يونس : ٤٧
(٥) الآية من سورة الرعد : ٧
(٦) الآية من سورة فاطر : ٢٤

وأخبر الله تعالى نبيه أنه قص عليه بعض هؤلاء الأنبياء
(١)
ولم يقص عليه البعض الآخر كما قال تعالى :

{ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما} .

فالإيمان بمن ذكر ومن لم يذكر واجب جملة ولازم الإيمان
المفصل بمن ذكر وفصلت حالته ، وقد جاء في الخبر أن النبي
صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الأنبياء والرسل فقال : مئة
ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر
جما غفيرا . وفي رواية : أي الأنبياء كان أول فقال : آدم .
(٢)
وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه خمسة وعشرين
نبياً وهم في قوله تعالى :
(٣)

{وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من
نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا
ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وإيوب ويوسف
وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى
والياس كل من الصالحين . وإسماعيل وإيسع ويونس ولوطا وكلا
فضلنا على العالمين} .
(٤)
وقوله :

{إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على
العالمين} .
(٥)
وقوله :

{والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من إله غيره أفلا تتقون} .

(١) الآية من سورة النساء : ١٦٤ ، وانظر آية غافر : ٧٨
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٦٦٠، ١٧٩، ١٧٨/٥ عن أبي ذر
الغفاري ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد وروى النسائي
طرفاً منه ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير
أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة ٢١٣/٨ .
(٣) الآية من سورة الأنعام : ٨٣، ٨٦
(٤) الآية من سورة آل عمران : ٣٣
(٥) الآية من سورة الأعراف : ٦٥

(١)
وقوله :

{والى ثمود أخاهم صالحا} .

(٢)
وقوله :

{والى مدين أخاهم شعيبا} .

(٣)
وقوله :

{واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين} .

هؤلاء أربعة وعشرون وأما المكمل الخامسة والعشرين فهو خاتمهم وأفضلهم رسولنا المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذى نزل عليه القرآن الكريم وذكر فيه كما ذكر فى التوراة والانجيل كقوله تعالى :

{محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار} .

والايمان به يجب أن يكون مجملا ومفصلا ، وهو الاقرار بأنه خاتم الانبياء والرسل ، وأنه لانبى بعده ، وأنه بعث الى الثقليين "الانس والجن" ، وما من أحد يسمع به ولا يؤمن به ومات على ذلك الا وهو كافر مخلد فى النار ، كما يتناول هذا الايمان أن شريعته عامة خالدة مادامت الدنيا ، ولاتنسخ بل ونسخت ما قبلها وأن عيسى عليه السلام اذا نزل فى آخر الدنيا يحكم بهذه الشريعة وينصرها .

(١) الآية من سورة هود : ٦١

(٢) السابقة : ٨٤

(٣) الآية من سورة الانبياء : ٨٥، ٨٦

(٤) آخر سورة الفتح

(٥) انظر : أصول الدين لعبد القاهر البغدادى ص ١٦٢ .

(١)

وفى عموم رسالته يقول :

{قل يا أيها الناس انى رسول الله اليم جميعا} .

(٢)

وقوله :

{يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم} .

(٣)

وقوله :

{وما أرسلناك الا رحمة للعالمين} .

(٤)

وقوله فى كونه خاتم الانبياء :

{ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

النبيين وكان الله بكل شىء عليما} .

ويقول مخصصا أهل الكتاب بالخطاب لدعواهم انه عليه

(٥)

الصلاة والسلام لم يكن رسولا اليهم :

{يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من

الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولانذير فقد جاءكم بشير

ونذير والله على كل شىء قدير} .

ولقد استعرض القرآن الكريم اعتراض أعداء الرسل على

بعثهم من البشر وعلى أشخاصهم ورد على هذه الشبهات التى

يخرصون بها .

فأما الاعتراض الاول وهو اقتراحهم أن يبعث الله اليهم

(٦)

ملكا لابشرا كقوله تعالى :

{فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم

يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ماسمعا

بهذا فى آياتنا الاولين} .

(١) الآية من سورة الاعراف : ١٥٨

(٢) الآية من سورة النساء : ١٧٠

(٣) الآية من سورة الانبياء : ١٠٧

(٤) الآية من سورة الاحزاب : ٤٠

(٥) الآية من سورة المائدة : ١٩

(٦) الآية من سورة المؤمنون : ٢٤

(١)
وقوله تعالى :

{وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة
أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبيرا} .
(٢)
وقوله حاكيا اقتراح عاد وشمود :
{إن جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا
إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به
كافرون} .

ومن جملة هذا الاعتراض اقتراحهم بأن يأتى مع الرسول
الملك ليشهد له ويؤازره ويرويه معه كقوله تعالى :
(٣)
{وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا} .
(٤)
وقوله تعالى :

{فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن
يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير
والله على كل شيء وكيل} .

ومما يؤكد وجود تلك الاقتراحات السخيفة والاعتراضات
على مشيئة رب العالمين الذى أرسل الرسل عليهم الصلاة
والسلام من البشر اليهم رحمة منه واقامة للحجة ، يؤكددها
أسلوبهم فى وصف الرسل بالبشر مستدلين بذلك على الكفر بهم
(٥)
ورد دعواتهم كما حكى الله عنهم فى قوله :

-
- (١) الآية من سورة الفرقان : ٢١
(٢) الآية من سورة فصلت : ١٤
(٣) الآية من سورة الفرقان : ٧
(٤) الآية من سورة هود : ١٢
(٥) الآية من سورة هود : ٢٧

{فقال الملا الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا
مثلنا ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراى
ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين} .
(١)
وقوله :

{وامانع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا} .
(٢)
وقوله :

{فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون} .
(٣)
وقوله تعالى :

{لاهيبة قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا
بشر مثلكم افئتتون السحر وانتم تبصرون} .
(٤)
وقوله :

{فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال
وسعر} .

وقد رد الله سبحانه وتعالى على هذه الدعوى التى
(٥)
لاتخدم مصلحة الزاعمين المعترضين كقوله تعالى :

{ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين} . وقالوا لولا أنزل عليه
ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لاينظرون ولو جعلناه
ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مايلبسون} .

-
- (١) الآية من سورة الاسراء : ٩٤
(٢) الآية من سورة المؤمنون : ٤٧
(٣) الآية من سورة الانبياء : ٣
(٤) الآية من سورة القمر : ٢٤
(٥) الآية من سورة الانعام : ٩-٧

والحقيقة أن شبهة هؤلاء المعاندين للرسول والمعترضين على ربهم لم تكن بسبب غموض في معجزات الأنبياء ولا بسبب ارسال الرسل من البشر وانما الجحود والعناد هما السبب في الاعتراض على الله بحيث أنه حتى لو أنزل عليهم كتابا في قرطاس يعاينونه من السماء ينزل عليهم ويلمسون مافيه من الهدى والحجة لكفروا وعاندوا وقالوا ان ذلك الكتاب لسحر .
واما الملائكة فلا يستطيعون مقابلتهم ليأخذوا منهم سواء جاءوا رسلا أو مع الرسول ليشهدوا له وليفقهوا مايقولون وانما ذلك يكون بينهم وبين من يتفق معهم في الجنس والصفات .

ولو أرسل الله ملكا الى الناس لكان ذلك ادعى الى النفور والاحتجاج لعدم المفاهمة والفارق الكبير بين البشر والملائكة .

واما الرسول من البشر فهو في مستوى المرسل اليهم بشريا وتتخذ الاحكام من الاقتداء به بالاضافة الى الوحي الذي جاء به في كل مايفعل وهو يعمل ويبيع ويشري ويأكل ويشرب ويتزوج ويطلق وينفق ويكتسب ويمرض ويسافر ويفرح ويغضب ويحب ويكره ونحو ذلك من الامور التي لايتصف بها الملك ولايكون فيها مصدر تشريع .

فلفرورة أن يفهم الناس عن الله لزم ارسال الرسول منهم وتحويل الملك الى رجل يوافق قومه في الجنس والصفات .
لو تعين ارسال الملك من قبل صاحب المشيئة وهو الله جل جلاله فعال لما يريد ولايسأل عما يفعل .

واختيار الرسول من أى جنس من محض ارادته كما

(١)

قال تعالى :

{الله يطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع

بصير} .

وحتى لو أرسل الله رسولا بالمواصفات التى يقترحونها

(٢)

فايمانهم به وتمديقه بارادة الله ومشيثته المطلقة كقوله :

{ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا

عليهم كل شئ قبل ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن

أكثرهم يجهلون} .

ومن هنا افترض لهم أنه لوكان سكان الأرض من الملائكة

يعيشون عليها لأرسل اليهم من يوافقهم فى الجنس والصفات ،

(٣)

كالبشر كقوله :

{قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا

عليهم من السماء ملكا رسولا} .

وأما الاعتراض الآخر فهو على ذوات الانبياء وأشخاصهم

ولماذا فضلوا على غيرهم من أصحاب الجاه والمال ، ولماذا

لم تكن لديهم الاموال الكثيرة والكنوز من خزائن الأرض

والثمار ؟

(٤)

وكقوله تعالى حاكيا اقتراحهم :

{وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين

عظيم} .

ويؤكد ذلك استهزاؤهم وتحقيرهم لشخص الرسول عليه

الملة والسلام اذا رأوه لأنه ليس من الاغنياء ، ولامن أصحاب

(١) الآية من سورة الحج : ٧٥

(٢) الآية من سورة الانعام : ١١١

(٣) الآية من سورة الاسراء : ٩٥

(٤) الآية من سورة الزخرف : ٣١

(١)

الجاه والسلطان كقوله :

{واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله

رسولا} .

بل ويقترحون على الرسول عليه الصلاة والسلام مطالب اذا

تمكن من توفيرها وانجازها لهم ، سوف يؤمنون به وهى من

جملة الاعتراض على الحكمة القاضية ببعثه الرسل من البشر
(٢)

كما تقدم كقوله حكاية عنهم :

{وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا .

او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا

او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتى بالله

والملائكة قبلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء

ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي

هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم

الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا} .

وقد جاءهم سوء التصور حيث اعتقدوا أن الانتخاب

الاجتماعى له تدخل فى النبوة واختيار من يوحى اليه ، أو أن

الثراء المادى يؤهل أصحابه ليكونوا قدوة فى الاخلاق

والتربية وسمو الانسان بالهداية ، وكل ذلك نظرات مادية

واتجاه جاهلى لمحاولة تفسير النبوة تفسيراً مادياً .

ولقد توافقت معارضة خصوم النبوة واتفقوا على هذه

الخطرات اللامنهجية والتمورات المادية من عهد نوح عليه

(١) الآية من سورة الفرقان : ٤١

(٢) الآيات من سورة الاسراء : ٩٠-٩٤

السلام الى مبعث خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ويظهر ذلك فى المقارنة بين الآيتين التاليتين حيث حكى الله فيهما مقالة المعاندين المخاصمين لرسالة نوح عليه السلام ، ونفس المقالة يتفوه بها خصوم رسالة خاتم الرسل وهو نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاشك أن ذلك هو موقف الخصوم لكل رسالة نزلت من بعد نوح حتى خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام فالآيتان حكى الله فيهما طرفى القصة ، فيقول تعالى عن نوح يخاطب قومه :

{ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين} .
ويقول تعالى ملقنا خاتم الرسل أن يقول لقومه مقالة أول الرسل لقومه :

{قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون} .

والخلاصة : أن المعارضين للنبوّة وأى رسالة من أول الرسل الى آخرهم لا يخلون من فريقين :
الأول : المعارضون لكون الرسول من البشر وقد خفيت عليهم الحكمة بأن مسئولية الرسل تكمن فى أمرين :

(١) الآية من سورة هود : ٣١
(٢) الآية من سورة الانعام : ٥٠

(أ) تبليغ ما يوحى إليه .

(ب) بيان رسالته بالسلوك العملى التطبيقى .

وكلا الأمرين لاتفيد الرسالة بهما الناس إلا إذا كان الرسول منهم ليأمنوا إليه ويفهموا منه ويطبق لهم عمليا ما يدعوهم إليه .

الثانى : المعارضون على كون الرسول فقيرا وليس من أهل المال والجاه والسلطان وهؤلاء ماديون حيث علقوا الهداية والارشاد والأخلاق بالمادة والسلطان وهى محاولة يائسة وحقيقتها أن أهل المال والسلطان يحاولون أن يكون المقام الاول فى أى مجتمع لهم وحدهم ليتمكنوا من السيطرة والجبروت .

المطلب الخامس
الايمان باليوم الآخر

مفهوم اليوم الآخر :

الدنيا مرحلة لها نهاية تنتهى بموت كل من فى السموات
ومن فى الأرض من الاحياء ملائكة وجنا وانسا وحيوانات كقوله
(١)
تعالى :

{ولاتدع مع الله الها آخر لاله الا هو كل شئ هالك الا
وجهه له الحكم واليه ترجعون} .
(٢)
وقوله :

{كل من عليها فان} .

والباقى ذو الجلال والاكرام وهو الحى الذى لايموت
وحينئذ ياذن الله بانشاء حياة جديدة يبعث فيها كل الاحياء
من جديد للحساب .

فالمقصود باليوم الآخر أمران :

الاول : انتهاء الحياة الدنيا بكاملها وفناء من فيها
من العوالم .

الثانى : ابتداء الحياة الآخرة .

فدلالة "اليوم الآخر" على آخر يوم من أيام الدنيا وأول
يوم وآخره من الحياة الثابتة التى لانهاية لها ولا تعداد
(٣)
لايامها ففى يوم واحد وهو المقصود باليوم الآخر .

(١) الآية من سورة القصص : ٨٨
(٢) الآية من سورة الرحمن : ٢٦
(٣) انظر : عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى ص ١١١ ،
العقائد الاسلامية للسيد سابق ص ٢٦٠ .

"والايمان بالله واليوم الآخر هو راس العقيدة واساس الايمان ، وعليه مدار استقامة الانسان ، وصلاح خلقه وطهارة روحه ، وبدونه فالانسان مخلوق لآخر فيه لالغيره ، وهو شر كله لايؤمن جانبه ولايطمئن اليه ، ولاتسكن النفوس عنده ، وذلك لما انعدم عنده من اصول الخير ، وينابيع (١) الفضيلة والكمال البشرى" .

ومما يبدو فى اهمية الايمان بهذا الركن هو أنه ثمرة الايمان بالاركان الاخرى ، وذلك أن من يتدبر القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ومايرشدان اليه من القول والعمل والاخلاق يجد أن الهدف المقمود فى كل ذلك هو الاستعداد لمصير حتمى ونتيجة لابد منها ، تكون خاتمة لهذا الخضم والمعتك من المشاكل والاحداث والاحزان التى تعيشها الانسانية فى الحياة الدنيا .

ويبدو الاهتمام بالايمان باليوم الآخر فى أسلوب القرآن من وجهين :

الاول : أننا نجد الاقتران المباشر بين الايمان بالله والايمان باليوم الآخر فى القرآن ، وذلك ورد فى مسلكين :
(٤) فى مسلك التنديد والتسجيل على المطالبين بالايمان فيخلص لهم هذين الركنين ، وماذلك الا لاهمية الايمان باليوم الآخر .

ويبدو والله أعلم أن المؤمن بهذين الركنين لايجد صعوبة فى نفسه ولامانعة ولجاجة فى الايمان بالاركان الاخرى وهى من مستلزمات هذين الركنين .. كقوله تعالى :
{ياايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولايؤمن بالله واليوم الآخر} .

(١) عقيدة المؤمن لآبى بكر الجزائرى ص ٣٢٢ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ٢٦٤

(١)

وقوله :

{والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا} .

(٢)

وقوله :

{وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر} .

(٣)

وقوله :

{انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر} .

(٤)

وقوله :

{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر} .

وقوله حاكيا مقالة المنافقين واليهود في دعواهم

(٥)

الايمان :

{ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم

بمؤمنين} .

وقد بلغت هذه الدعوى منتهى الزعم واللجاجة حيث ظن هؤلاء

أنه يشفع لهم في قبول دعواهم ، حيث ادعوا الايمان بكل واحد

من هذين الركنين منفردا ، ولذلك تكرر العامل وهو "الباء" .

في المعمول الثانى وهو "وباليوم الآخر" وذلك لما يعلمون أن

الايمان بهذين الركنين دلالة على الايمان بالبقية فجاء الرد

عليهم شاملا لدعواهم الخفية والظاهرة وهو قوله "وما هم

(٦)

بمؤمنين" وهو منتهى الايجاز والبيان .

(١) الآية من سورة النساء : ٣٨

(٢) الآية من سورة النساء : ٣٩

(٣) الآية من سورة التوبة : ٤٥

(٤) الآية من سورة التوبة : ٢٩

(٥) الآية من سورة البقرة : ٩

(٦) انظر : الكشف للمخشى ١/١٦٩ .

(ب) فى مسلك مخاطبة المؤمنين والاخبار عنهم من خلال الايمان بهذين الركنيين وكأنه الكفيل بأن يستكملوا كل جوانب الايمان ويعملوا بالمالحات ، ويقولوا الحق ولا يكتموه ، ويأمرؤا بالمعروف وينهؤا عن المنكر ويتحاكمؤا الى الرسول ولا يخالفؤه .

والايمان بهذين الركنيين هو الباعث فى عمارة بيوت الله "المساجد" ، والثبات فى ميدان الجهاد ، وهو الموجب فى استثناء بعض الاعراب من الجفاء والنفاق ، وهو المانع من أن يلين المؤمنون ويتهاونؤا فى اقامة الحدود ، والايمان بهذين الركنيين هو الفاضل بين المؤمنين وغيرهم فلامودة بين المؤمن بالله وباللهم والآخر وبين من لا يؤمن بهما ، كيف يكون ذلك والايمان هذا مدعاة ليقبل المؤمن كل موعظة من الله ، ويرجو ثواب الله عظيما وأجرا كريما .^(١)
قال تعالى :^(٢)

{ان الذين آمنؤا والذين هادؤا والذمارى والصابئين من آمن بالله والليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنؤن} .^(٣)
وقوله :

{ولا يحل لمن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن أن كن يؤمن بالله والليوم الآخر} .^(٤)
وقوله :

{يؤمنؤن بالله والليوم الآخر ويأمرؤن بالمعروف وينهؤن عن المنكر ويسارعؤن فى الخيرات وأولئك من الصالحين} .

(١) انظر : ابن كثير فى التفسير عند هذه الآيات وانظر :
درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٩٠، ١٩٦، ٢١٣ .
(٢) الآية من سورة البقرة : ٦٢
(٣) الآية من سورة البقرة : ٢٢٨
(٤) الآية من سورة آل عمران : ١١٤

(١)

وقوله تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله
والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} .

(٢)

وقوله :

{انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر} .

(٣)

وقوله :

{لا يستأنذك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن
يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين} .

(٤)

وقوله :

{ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر} .

(٥)

وقوله :

{الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين} .

(٦)

وقوله :

{لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد

الله ورسوله} .

(١)	الآية من سورة النساء :	٥٩
(٢)	الآية من سورة التوبة :	١٨
(٣)	الآية من سورة التوبة :	٤٤
(٤)	الآية من سورة التوبة :	٩٩
(٥)	الآية من سورة النور :	٢
(٦)	الآية من سورة المجادلة :	٢٢

(١)

وقوله :

{ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر} .

(٢)

وقوله :

{والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا

عظيما} .

الوجه الثانى : فى الآيات المفصلات يرد الأسلوب معبرا بالرجاء عن الايمان مع مقارنة اسم الجلالة واليوم الآخر والرجاء فى الله سبحانه وتعالى من خصائص الايمان وعين اليقين .. كقوله تعالى :

(٣)

{لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا

الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} .

وقوله فى دعوة المؤمنين أن تكون لهم قدوة حسنة فى

(٤)

ابراهيم ومن آمن معه من المؤمنين ، فيقول تعالى :

{قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ

قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده} .

وجاءت فى أسلوب الأمر بالعبودية والرجاء فى قوله

(٥)

تعالى :

{يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول

ذوقوا ما كنتم تعملون} .

-
- (١) الآية من سورة الطلاق : ٢
(٢) الآية من سورة النساء : ١٦٢
(٣) الآية من سورة الاحزاب : ٢١
(٤) الآية من سورة الممتحنة : ٤
(٥) الآية من سورة العنكبوت : ٥٥

وقد وردت فى القرآن الكريم أوصاف لهذا اليوم ،
فلا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو من وصف أو اسم
ليوم القيامة مع ما هناك من ضرب الأمثال وبيان الحجج

والبراهين للإيمان بالبعث وذلك كالتالى :

(١)

(١) يوم البعث كقوله :

{فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون} .

(٢)

(٢) يوم القيامة كقوله :

{ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم

مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين} .

(٣)

(٣) يوم الساعة كقوله :

{اقتربت الساعة وانشق القمر} .

(٤)

(٤) يوم الآخرة كقوله :

{بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى}

(٥)

(٥) يوم الدين كقوله :

{مالك يوم الدين} .

(٦)

(٦) يوم الحساب كقوله :

{وقال موسى انى عدت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن

بيوم الحساب} .

(٧)

(٧) يوم الفتح كقوله :

{قل يوم الفتح لا ينفذ الذين كفروا ايمانهم ولا هم

ينظرون} .

(٨)

(٨) يوم التلاق كقوله :

-
(١)	الآية من سورة الروم :	٥٦
(٢)	الآية من سورة الزمر :	٦٠
(٣)	الآية من سورة القمر :	١
(٤)	الآية من سورة الأعلى :	١٦
(٥)	الآية من سورة الفاتحة :	٤
(٦)	الآية من سورة غافر :	٢٧
(٧)	الآية من سورة السجدة :	٢٩
(٨)	الآية من سورة غافر :	١٥

- {رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من
يشاء من عباده لينذر يوم التلاق} .
(١)
(٩) يوم التغابن كقوله :
{يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن} .
(٢)
(١٠) يوم الخلود كقوله :
{ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود} .
(٣)
(١١) يوم الخروج كقوله :
{يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج} .
(٤)
(١٢) يوم الحسرة كقوله :
{وانذره يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم
لا يؤمنون} .
(٥)
(١٣) يوم التناد كقوله :
{وياقوم انى اخاف عليم يوم التناد} .
(٦)
(١٤) يوم الازفة كقوله :
{أزفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة} .
(٧)
(١٥) يوم الطامة كقوله :
{فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسمى} .
(٨)
(١٦) يوم الصاخة كقوله :
{فاذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه} .

(١)	الآية من سورة التغابن :	٩
(٢)	الآية من سورة ق :	٣٤
(٣)	الآية من سورة ق :	٤٢
(٤)	الآية من سورة مريم :	٣٩
(٥)	الآية من سورة غافر :	٣٢
(٦)	الآية من سورة النجم :	٥٨-٥٧
(٧)	الآية من سورة النازعات :	٣٥-٣٤
(٨)	الآية من سورة عبس :	٣٤-٣٣

- (١)
(١٧) يوم الحاقة كقوله :
- {الحاقة ما الحاقة} .
(٢)
(١٨) يوم الغاشية كقوله :
- {هل أتاك حديث الغاشية} .
(٣)
(١٩) يوم الواقعة كقوله :
- {إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة} .
(٤)
(٢٠) يوم الجمع كقوله :
- {يوم يجمعكم ليوم الجمع}
(٥)
(٢١) يوم القارعة كقوله :
- {القارعة ما القارعة . وما أدراك ما القارعة} .
(٦)
(٢٢) يوم الفصل كقوله :
- {ان يوم الفصل كان ميقاتا ، يوم ينفخ فى الصور
فتأتون أفواجا} .
(٧)
وقوله :
- {هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين} .
- وكل ماتقدم مما لم نعمله هو لتثبيت هذه العقيدة
وترسيخ الايمان فى النفوس ، حيث ان هذا الركن استبعد
المشركون وقوعه ، وتوقدت نار الحمية فى نفوسهم واستذكروا
ان يعيدهم الله تعالى بعد فنائهم ... فجاءت الآيات

-
- (١) الآية من سورة الحاقة : ٢-١
(٢) الآية من سورة الغاشية : ١
(٣) الآية من سورة الواقعة : ٢-١
(٤) الآية من سورة التغابن : ٩
(٥) الآية من سورة القارعة : ٣-١
(٦) الآية من سورة النبأ : ١٨-١٧
(٧) الآية من سورة المرسلات : ٣٨

المتعددات مناظرة ومجادلة وداعية لاقتناعهم بأن يوم البعث حقيقة كما أن وجودهم بعد أن لم يكونوا حقيقة ، وهى آيات أكثر من أن تحصى ، وكلها تتضافر فى تثبيت هذه العقيدة فى القلوب وتوجيه النفوس استعدادا للقاء ربهم عز وجل يوم الدين .

وللقرآن الكريم أساليبه الخاصة فى الدعوة الى الايمان باليوم الآخر تتلخص فى ثلاثة أساليب :

الاول : ذكر دعوى المنكرين من أنهم لا يبعثون دون شبهة يذكرونها مع وضوح قضية البعث وضرورتها ثم يرد عليهم .
(١)
وذلك كقوله تعالى :

{وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يمت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين . انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون} .

(٢)
وقوله تعالى :

{زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير}

(١) الآية من سورة النحل : ٣٨-٤٠

(٢) الآية من سورة التغابن : ٧

(١)
وقوله :

{وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى
لتأتينكم عالم الغيب لايعذب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى
الارض ولاصغر من ذلك ولاأكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين
سعوا فى آياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز اليم} .

الثانى : آيات عرضت الدليل ثم اتبعته بقضية البعث
كبيان أطوار خلق الانسان وهو دليل يعترفون به من قدرة الله
تعالى على الانشاء والايجاد من العدم فكيف اذن باعادة ماسبق
له الوجود .

(٢)
كقوله تعالى :

{ولقد خلقنا الانسان من سالة من طين ، ثم جعلناه نطفة
فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا
آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لمييتون ثم
انكم يوم القيامة تبعثون} .

وكبيان آيات الله الكونية الدالة على قدرة الله
تعالى ثم يذكر بعدها انكارهم البعث رغم ماتشاهده عقولهم
(٣)
من الآيات الكونية الدالة على القدرة المطلقة كقوله تعالى :

(١) الآية من سورة سبأ : ٣-٥
(٢) الآية من سورة المؤمنون : ١٢-١٦
(٣) الآيات من سورة الرعد : ٢-٥

{الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنوا وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يفسى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وان تعجب فعجب قولهم انذا كنا ترابا اننا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلل فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } .

الثالث : عرض شبهة المنكرين وعجبهم واستفكارهم وقوع البعث ثم الرد على ذلك ودحض المزاعم المزيفة بالادلة المعنوية والحسية كقوله تعالى :
(١)

{ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب انذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج . أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتة كذلك الخروج } .

(١)
وقوله تعالى :

{أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم
مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم
قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل
لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذى
خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو
الخلق العليم انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن
فيكون فسيحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون} .

(٢)
وقوله :

{وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا
جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى
صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة
فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون
قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا
قليلًا} .

ولكن هل لدى المنكرين للبعث من البشر قديما وحديثا
شبهة معقولة ولو كانت باطلة تحملهم على الانكار ريثما تزال
بشكل من الاشكال ؟ غير الكفر والتكذيب والشقاق كما هو
الباعث الحقيقى للتكذيب والانكار كما وصفهم الله تعالى :
{بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج} .

(١) الآيات من سورة يس : ٧٧-٨٣
(٢) الآيات من سورة الاسراء : ٤٩-٥٢
(٣) الآية من سورة ق : ٥

(١)
وقوله :

{ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق} .
ومن الواضح أنه لاشبهة تحملهم على التكذيب بالبعث غير
مجرد الاستبعاد ، و"أن من تفرقت أجزاؤه فى مشارق العالم
ومغاربه وصار بعضه فى أبدان السباع وبعضه فى جذران الرباع
كيف يجمع ؟ وأبعد من هذا هو أن انسانا ان أكل انسانا وصار
أجزاء المأكول فى أجزاء الأكل فان أعيد فأجزاء المأكول ،
أما أن تعاد الى بدن الأكل فلايبقى للمأكول أجزاء تخلق منها
أعضاؤه ، وأما أن تعاد الى بدن المأكول منه فلايبقى للأكل
(٢)
أجزاء " .

ومعنى هذا أن الانسان اذا صار عدما بعد وجوده فكيف
يتمور الوجود من العدم ؟
والرد من وجهين :

الاول : الذى خلق الانسان من الماء وهو ذو أعضاء مكونة
من لحم وعظم وهما مباينان للماء شكلا ومادة ، وخلق فيه
النطق والفهم ولاتقتضيهما النطفة التى خلق منها الانسان وهى
ماء - من فعل هذا ويقدر عليه هل تصعب عليه اعادة المعدوم
بعد وجوده "ولعل المنكر نسي هذا من نفسه فاستبعد اعادة
العظام وانبات اللحم عليها ثم بعث الحياة فيها وهو نفس
ماكان عليه حيث أنشأ الله عظامه من ماء مهين وكساه لحما
ثم نفخ فيه الروح" وخلقهم من العدم أول مرة ، ولم تسبق

(١) الآية من سورة ص : ١-٢
(٢) التفسير الكبير للرازى ١٠٩/٢٥ .

لهم نشأة أعجب من اعادتهم من العدم الثانى الذى صاروا اليه بعد وجودهم .

الثانى : الله سبحانه وتعالى علمه محيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية فمهما تداخلت أجزاء الفانى فى غيره وتلاحمت وتبعثرت ذرات فى الافاق والاجواء والبحار فانه بها عليم كما قال :^(١)

{أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون} .

ثم انه تعالى استدل لمنكرى البعث بما يحسنه ويرويه ويؤكد قدرته وعلمه وهو أمران أيضا :

الاول : انهم اذا استبعدوا اعادة الحياة وهى الحرارة فى العظم الرميم البارد ولقدانته الحرارة للتضاد بين أمرين البرودة والحرارة ، فان الشجر الاخضر يجرى فيه الماء وهى ضد النار ، ومع ذلك فانه سبحانه وتعالى جعل الشجر الاخضر يشمل الضدين الماء والنار ولذا توقدون منه نارا تمطلون بها : قوله :^(٢)

{الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون} .

ومن هذه القدرة العجيبة نرى شظايا من نار تبرق فى سحب مملوءة ماء واذا سقطت على الأرض تحرق ما نزلت عليه ، كما نجد الماء من المزن تمطر بها على الأرض وتحيا بها .

(١) الآيات من سورة يس : ٨١-٨٣

(٢) الآية من سورة يس : ٨٠

(١)

كما يشير اليه قوله تعالى :

{هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب
الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد
المحال} .

الثانى : انهم يرون السموات من فوقهم سقفا مرفوعا
بلاعمد يرونها مع ضخامتها وسعة أفقها ومساحتها التى لا يحيط
بها بصر نافذ ولاكشف شامل وقد زينت بكواكب عظام وشحنت
بعالم أعظم وأقوى ممن يدب على الأرض وهذه الأرض من تحتهم قد
سطحت ومدت وأرست بالجمال الشامخة وشقت فيها بحار داخرة
وأنهار دافقة . وعليها من الشجر والدواب والسباع والطيور
والجن والانس ما لا يعلم عدده الا الخلاق العليم وفى باطنها من
الخزائن السائلة والجامدة والجواهر ما لا يحصى الا خالقها ،
فاذا كان الله جلت قدرته هو الخلاق لعوالم الشهادة وعوالم
الغيب هذه ، واذا شاء شيئا من ذلك كله صغر أم كبر قال له
كن فيكون ، فكيف يستبعد ويستحال عليه أن يعيد من خلقه
وركبه من نطفة مهينة ابتداء وأفناه ثانيا يسحب روحه
وارجاع لحمه وعظمه الى عنبره الاول التراب ؟..

{قتل الانسان ما كفره ، من أى شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدرة ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره
كلا لما يقض ما أمره} (٢)

(١) الآيات من سورة الرعد : ١٢-١٣

(٢) الآيات من سورة عبس : ١٧-٢٣

المطلب السادس

الايمان بالقدر خيره وشره

الايمان بالقضاء ضرورة من ضرورات الايمان بالله وبوجوده وقدرته ، فهو سبحانه وتعالى الخالق والمتصرف فى هذا الكون ، فاذا آمن المؤمن بذلك فلامندوحة أن يؤمن ويستسلم بأن الله قدر كل شئ يكون ، وحدد الوصف والمقدار والمكان والزمن ، الذى سيتكون عليه وفيه كل مايوجد من المخلوقات وحركاتها وسكناتها ، الارادية والارادية .

ذلك ما أخبر به بأنه فى كتاب عنده وذلك فى قوله تعالى (١)
{وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين} .
(٢)
وقوله تعالى :

{ان الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء . هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم} .

والايمان بقدرته وأنه المتصرف المعطى والمانع يستلزم الايمان بشمول علمه سبحانه يقول تعالى : (٣)
{قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير} .

والايمان بعلم الله الواسع الشامل المحيط يتجلى فى تحقيق الوهيته والايمان بقضائه وقدره يقول تعالى : (٤)

(١) الآية من سورة يونس : ٦١
(٢) الآيات من سورة آل عمران : ٥-٦
(٣) الآية من سورة آل عمران : ٢٦
(٤) الآية من سورة طه : ٩٨

{انما الحكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما} .
وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فى قوله ان أحدكم
بجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة
مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك
فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ، بكتب رزقه ، وأجله ،
وعمله ، وشقى أو سعيد .^(١)

هذا ما أخبر به المصطفى عليه الصلاة والسلام فى المخلوق
المخير الذى أثبت الله له الإرادة ويحاسبه على اختياره^(٢)
ولإيحاء الا أن يشاء الله ، قوله تعالى :

{وماتشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين} .

ولا يمكن أن يعمل شيئا خارجا عن خلق الله لأنه ليس فى
الوجود المخلوق الا خالق واحد ، كقوله تعالى :^(٣)

{والله خلقكم وماتعملون} .

والإيمان بهذه العقيدة ضرورى للإنسان ليقوم بالأسباب
المشروعة ولا يتكل على نفسه ، كما لا ينقطع أمله فى الله
ولا يتحسر على مافاتة ولا يمكنه ذلك الا بالإيمان بالقدر خيره
وشره .

وهو "علم الله تعالى الأزلى بكل ما أراد إيجاده من
العوالم ، والخلائق ، والأحداث ، والأشياء ، وتقدير ذلك
الخلق ، وكتابته فى الذكر الذى هو اللوح المحفوظ ، كما هو
حين يقضى بوجوده فى كميته وكيفيته وصفته وزمانه ، ومكانه

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر

(٢) الآية من سورة التكويد : ٢٩

(٣) الآية من سورة المافات : ٩٦

وأسبابه ومقدماته ونتائجه بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن آياته ولا يتقدم عما حدد له من زمان ، ولا يتبدل في كميته بزيادة ،^(١) أو نقصان ، ولا يتغير في هيئة ولا صفة بحال من الأحوال " .

ولم يكن الايمان بالقضاء والقدر مشكلة في عقيدة المسلم ، وليست الخطيئة من ميراث الانسان قبل أن يولد ، ولا حاجة له من التوبة عنها الى الكفارة من غيره ، ومن الهراء أن يقال ان الايمان بالقضاء والقدر هو السبب في جمود وتأخر المسلمين ، لأن ذلك ينقضه أن من الحوافز في انتمارهم في صدر الاسلام الايمان بالقضاء والقدر فهان عليهم لقاء الموت وحقروا الحياة الدنيوية ومن يدع العمل بحجة التوكل على الله يخالف أمر الله ولا يقدر تكلفه لعباده .

وكون الانسان له ارادة لا يدل على أن الله لا تدبير له .

"وأصدق ما يقال في عقيدة القضاء والقدر أنها قوة للقاء وعذر للضعيف وحافز لطالب العمل وتعلقة لمن يهابه^(٢) ولا يقدر عليه ، وذلك ديدن الانسان في كل باعث وفي كل تعلقة " .

(١) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٤١٧ .

(٢) حقائق الاسلام وأباطل خصومه للعقاد ص ٣١ .

المبحث الثالث
منهج تحقيق الوحدة بالعقيدة

الايمان بالله سبحانه وتعالى وسائر اصول العقيدة التى امرنا بالايمان بها ، ينمى وشائج القربى بين المؤمنين ويعرفهم بأنهم أمة واحدة انبعثت من الايمان بوحدة الخالق المعبود بحق ، حيث توجهت عبادتهم جميعا نحو رب واحد اليه يرجع كل فضل وايجاد ، وبذلك تتوحد مشاعرهم تبعا لوحدة عقيدتهم وهذا هو المغزى الكبير العميق فى عقيدة المؤمنين وتوحيدهم وهى ضمان الاخوة والترابط غير المتفكك . قال تعالى :^(١)

{انما المؤمنون اخوة} .

وأما اذا كان الأرباب متفرقين ومنفردين ، فان ذلك يورث احساسا بالفرقة وتباينا فى المشاعر وتنوعا يؤدى الى أحزاب متناحرة وطوائف متخاذلة لاتلتقى ، لأن كل واحد ملتزم فى عبادته الاختصار على معبوده الخاص لايتجاوزه الى غيره ولايلتحم مع من عبد سواه .

وهذه هى نتيجة من جحد الايمان بالله ولوازمه ، سواء كان هؤلاء المتفرقون يعبدون أربابا خارجة عن ذواتهم ونفوسهم أو يعبدون أهواءهم . قال تعالى :^(٢)

{منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون} .^(٣)
وقوله :

(١) الآية من سورة الحجرات : ١٠
(٢) الآية من سورة الروم : ٣١-٣٢
(٣) الآية من سورة يوسف : ٣٩-٤٠

{يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد
القهار ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم
ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا
الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} .

فالإيمان باليوم الآخر مثلاً عامل هام فى توجيه حياة
الإنسان وجمع شمله وتوجيهه نحو هدف واحد ، وأيضا نفس الأثر
للإيمان باليوم الآخر فى المجتمع ، فالجاهلية لما كانت تعبد
آلهة متعددة ولاتؤمن باليوم الآخر مع اعتقادهم بأن الله هو
الرازق والمميت ورب الأرباب ، صارت عبادتها أشتاتاً لاتجتمع
فى سبب ولاتتجه نحو هدف واحد ، وانما هى للهوى فلزم أن
يكون التوزع والفرقة من ضروراتها ، فالعبادة للأصنام
والعبادة للقبيلة وللشهووات كل ذلك لا يلتقى بصورة موحدة فى
حس العابد ولا صلة بين نتائج هذه العبادات التى لاهداف لها
غير التقليد ، وانما هو فوضى كافرة كما حكى الله عنهم :
{وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا
الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون} .

وكذلك من يؤمن بالآخرة ولكنه يزاوِل عبادات شتى لآلهة
متعددة ولارباط بين ايمانه باليوم الآخر وتطبيقه العملى
بحيث أن توزع عقيدته بسبب معبودات ومزارات ونظريات وضعية
يباين ذلك الإيمان الذى لامر الطرفية ولا حياة كما هو حالة
جاهلية أهل الكتاب هذا وان الجاهليات المعاصرة لاتقل عن
الأولى بل انها أشد تمزقا للوحدة الإنسانية وتشتيقا لشمل
الإنسان ومن ثم كثر الجنون والانتحار والقلق والأمراض

النفسية والعصبية .

ولما آمن من وفقه الله من أولئك تغيرت الأحوال من
الشتات الى الوحدة حيث اجتمعت الأجناس والقبائل المتضاربة
والمتناحرة فى أمة واحدة تؤمن بقاء الله ومارت الهموم
والأسباب والغايات للجميع واحدة ، وكل يسعى لئلا يؤاخذ
الآخر ويطلب منه الحق يوم الدين ، ويخدم الآخر لينال الثواب
(١)
يوم الجزاء ، قال تعالى :

{جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار} .

يقول الأستاذ محمد قطب :

وتجمعت "النفس" فى وحدة موحدة الاتجاه .

لم تعد لحظة الجسد تسير فى اتجاه ، ولحظة العقل فى

اتجاه ، ولحظة الروح فى اتجاه .

فالإنسان كما فطره الله وحدة مترابطة متكاملة ،

لاينفصل فيها جانب عن جانب ، ولايمارس الحياة تفريق .

وانما فقد ترابطه الفطرى حين تفرقت آلهته وتفرقت عبادته .

فلما توحيد معبوده ، وتوحدت عبادته ، تجمع الشتات المتناثر

وعاد كما خلقه الله ، تلك الوحدة الشاملة التى يتألف منها

"الإنسان" .

وتوحد سلوك الإنسان على منهج موحد .

لم يعد انسان يقول : اليوم خمر وغدا أمر . فما الفرق

بين اليوم والغد ؟ هل اليوم لاله والغد لاله ؟ أم هو اله

واحد له اليوم والغد وجميع الحياة ؟

ومن ثم تجمعت ألوان النشاط المختلفة لينتظمها منهج

واحد ، مستمد من عند الله الواحد ، وموجه اليه " .
 "وتوحد - تبعا لذلك كله - طريق الدنيا وطريق الآخرة ..
 كيف يكونان طريقين منفصلين ؟
 هل هذه لاله وتلك لاله آخر ؟
 هل الاله الذى يحكم الحياة الدنيا بشريعته ، غير الاله
 الذى يحاسب الناس يوم القيامة ويجازيهم ؟
 وعلى أى أساس يحاسبهم ويجازيهم ؟
 هل ميزان الحياة الآخرة غير ميزان الحياة الدنيا ؟ هل
 يكون العمل حسنا فى ميزان الدنيا وقبيحا فى ميزان الآخرة ؟
 أو قبيحا فى ميزان الدنيا وحسنا فى ميزان الآخرة ؟
 ليس هو ذات الميزان وذات المعيار : ماكان حسنا فى
 الدنيا فجزاؤه الحسنى فى الآخرة ، وماكان شرا فى الدنيا
 فجزاؤه العذاب فى الآخرة ؟^(١)
 "بل وصل من اتصال الدنيا بالآخرة فى حس المسلمين
 الاوائل أنهم كانوا يعيشون بواقعهم فى الحياة الدنيا ،
 ولكن مشاعرهم وافكارهم متعلقة بالآخرة ، يعيشونها كأنها
 حاضر أمامهم مشهود .
 لقد كان من شدة التركيز فى القرآن على البعث والحساب
 والجزاء ، ومن الحيوية الفياضة فى عرض مشاهد القيامة فى
 القرآن أن عاش المسلمون بحسهم وخيالهم فى اليوم الآخر
 كأنما يرونه أمامهم اللحظة ويعيشون أحداثه ، بل كأنما
 الدنيا بكل واقعها ماض قد كان ، والآخرة بأحداثها هى

(١) مفاهيم ينبغى أن تصح لمحمد قطب ص ٢٨٧-٢٨٩ ، ط/٢ ،
 سنة ١٤٠٨هـ ، دار الشروق .

(١)

الحاضر الآن . قال تعالى :

{وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى
أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا
من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم} .

ان العقيدة الاسلامية حل لمشكلات الفرقة فى التفكير ،
حيث يشعر المؤمنون بوحدة مبدئهم وحياتهم ونهايتهم .. فهم
من سلالة طينية واحدة ومن نسل أسرة واحدة وأطوار حياتهم
واحدة ثم يكون مصيرهم واحدا .

فالمرافقة بين البشر فى أطوار الوجود وأحوال الحياة
الدنيا والنتائج فى الحياة الآخرة يؤكد الاطار الاخوى
المختار بالايمان مع المؤمنين ، هذا الاطار شامل لأطوار
الحياتين الدنيا والآخرة وأوسع لحل أى معضلة نزلت
بالمؤمنين لأنهم كونوا هذه الوحدة بالاختيار من المبدأ الى
النهاية .

أما الوشائج الأخرى الأرضية القائمة على العرق أو
اللون أو الرأى أو أى نوع من أنواع الأهواء فلا تنهض ولا يكون
لها ذلك الشمول المحيط بمبدأ الوجود الى استمرار الحياة
الأبدية .. فهذه الوشائج المادية تدور حول حدود منعزلة
لا تستوى فيها البشرية ولا تفتح بابها على مصراعيه لكل من
يريد الدخول فيها لأنها قائمة على مبدأ التفريق لا الايمان
بواهب الوجود والهادى الى سواء السبيل ولا بغية الالتحام
بالنوع البشرى .. وانما هى جحود الايمان والانغمال عن بقية

(١) الآية من سورة الطور : ٢٥-٢٨ . وانظر : مفاهيم ينبغى
أن تصحح لمحمد قطب ص ٢٨٧-٢٩٢ ، ط ٢ .

أفراد النوع الانسانى بسبب التباين فى أحد الجوانب المادية التى أثرت فى نفوسهم ، وعقيدتهم ، وحياتهم ، وحددت نشاطهم فى اطار مادى بغيض .

وهذه المحدودية فى التفكير والضيق فى الغايات أوقع هؤلاء الضالين فى أسر العصبية التى لامصدر لها ولامبرر الا غريزة القطيع الذى تتنكر لمبدأ الانسانية وشمولية الايمان ، فعاش صاحبها مجانباً من سواه من النوع البشرى ، انها لعداوة ومحاولة القاء من ليس من لونه ان كان من المؤمنين باللونية أو من لم يتكلم بلسانه ان كان من المتخذين اللغة محورا للوحدة ، أو من ليس من وطنه ان كان من المؤمنين بالاقليمية أو من ليس من عباد النظريات الجدلية ان كان مؤمناً بفلسفتها .. وامتدت هذه الجاهليات وبسطت نفوذها حتى فى الديانات والعقائد التى يرجى منها ضم الشمل وتحقيق الوحدة مما أدى الى تدنى أهلها الى هذه العنصرية المفرقة كاليهود والنصارى وغيرهم .

وأما المؤمنون بالله فيشملهم هذا الوعاء الواسع والاطار الممتد بلانهاية فى أمة مؤمنة واحدة لايدفع عنها ولايشذ أحد ممن اتمف بالايमान بقواعد الايمان مهما كان وطنه ولسانه ولونه وعنصره ، كما أنه لايلحق بهذه الأمة المؤمنة من لم يتمف بالايमान مهما كانت قرابته ودانت علاقاته ، ومنهج الكتاب العزيز فى توطيد عرى الوحدة الايمانية واضح وعميق كما فى قوله تعالى :
(١)

{ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء ومامن حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين} .

(١)
وقوله :

{يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم و اخوانكم أولياء
ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم
الظالمون} .

ومن المبادئ فى الرابطة الايمانية الحرية فى الاختيار
فكل أحد حر فى اعتقاده وبذلك تميز العقيدة جامعة تستوعب
الانسانية برمتها بدون شرط الا بقبول الايمان ومقتضاه ، وليس
لمن سبق له الايمان أن يحول بين الداخل فى الايمان والعضوية
فى الجماعة المؤمنة .. قال تعالى :
(٢)

{فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى
الدين ونفعل الآيات لقوم يعلمون} .

بخلاف العمبيات الجامدة على حدودها فلاتقبل الاتساع
ولا التعديل وهى فى نفس الوقت معرضة للتغير والتبديل
والتحريف بل والمسح والانتقام بعوامل من الغضب والثأر
وعوامل اجتماعية من الهجرة والمواصلة والمصاهرة .. كما
أنها لو استندت الى اتفاقات مصلحية لاتدوم الا بدوام الحاجة
(٣)
بين المحتاج والمحتاج اليه .

عقيدة المسلمين نحو مظاهر الطبيعة لاتدنى من تفكيرهم
ولاتنزل الانسان من مكانته العليا التى بوأه الله تعالى
اياها فى هذا الوجود ، ولاتفصل هذه العقيدة أصحابها عن
الخالق الحقيقى والرب المعبود بحق .. بل للمؤمن على نفسه

(١) الآية من سورة التوبة : ٢٣
(٢) الآية من سورة التوبة : ١١
(٣) انظر : الايمان أثره فى حياة الانسان للدكتور الترابى
ص ١١١-١١٥ ، معالم فى الطريق للسيد قطب ص ٧١ ، هذا
الدين له ص ٨٤،٧٩ ، ط١ ، القرآن والمجتمع للدكتور
محمد البهى ص ٧٨-٧٩، ٩٣-٩٤ ، أصول النظام الاجتماعى
لمحمد طاهر عاشور ص ١٠٧ .

فى هذا بميرة حيث أنه يدرك بعقيدة التوحيد أن سلطانه على الكون المسخر له لم يكن له الا بالاستناد على سلطان الله الذى خلقه وكرمه وفضله على كثير ممن خلق ، وذلك له الكون بوسيلة العقل التى أمدّه بها وخمّه لمعرفة قدرة الله وسلطانه المطلق على كل شيء . قال الله تعالى :^(١)

{وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون} .^(٢)
وقوله :

{وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون} .^(٣)
وقوله :

{هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور} .
وذلك ليقدّر المؤمن مركزه فى الوجود ويحدد موقفه نحو الكون ومظاهر الطبيعة فلا يرضى بمصرف شيء من العبادة والخضوع والتذلل والخوف لغير الله ، لأن الانسان هو المختار فى المخلوقات فوجد كل شيء فى السموات والأرض لخدمته فكيف يتدنّى بعبادة شيء من هذه المخلوقات حية أو جامدة ، علوية أو سفلية ؟

ولا يخفى مال هذه العقيدة المتحررة من الأوهام والمخاوف والاساطير والخنوع للمخلوق ، مالها من الأثر فى تكوين الوحدة وتوجيه القوة فى المسلمين تفكيراً ووجداناً ومظهراً

(١) الآية من سورة الجاثية : ١٣
(٢) الآية من سورة المؤمنون : ٧٨
(٣) الآية من سورة الملك : ١٥

وتساندا وتححر هذه العقيدة من سلطان الهوى وهو الميول
 الفطرى الذى تنساق به النفوس الضعيفة وراء مايملى عليها
 هذا السلطان المبتهج فى تذليل النفوس والايمان من أبرز
 آثاره تخلص المؤمن من أسر الهوى وسلطان الشهوات ليفكر فى
 أمره بضميرة ونفاذ لايحجبه الحرص ولايستخفه المتاع . واذا
 تحرر المؤمن من هوى نفسه بأثر العقيدة والايمان فأولى له
 كذلك أن يتحرر من النفوذ الاجتماعى الذى دفعه الاهواء
 والشهوات فلايؤثر فيه ولايذل نفسه لبشر ويتعبد لغير الله
 ويغالى فيه ، واذا اقتدى بأحد من المالحين والمستقيمين
 على الهدى فانما هو يقتدى بالحق وينشد الحكمة انى وجدها
 ولم يكن مقصده شيئا او شخصا غير عين الحق والتوجه نحو
 الله الخالق المصور .. وماالفرق بين المعتدين بعقيدة
 التوحيد وغيرهم الا كالفرق بين الهدى والضلال ومن تلك
 الوحدات ومظاهر العبودية لغير الله تعالى يخلص ايمان
 المؤمنين ويتنافسون فى التحرر من سلبياتها وشتاتها فاذا
 هم يتعارفون بالقلوب تلقائيا ويتلاقون على الخير وفى طريق
 واحد فى رحاب الايمان تنشأ هذه الوحدة بأثر من العقيدة
 التى تجلت فيها كرامة الانسان واعتزازه بربه الكريم ، ومن
 السهولة أن يتفامن المؤمنون على ذلك .^(١)

ان الايمان رباط قوى واشره عميق ، حيث أن المؤمنين
 الذين تآثروا بالعقيدة وبوحدة من سبقهم من اخوانهم
 المؤمنين يشعرون بالرباط بمن بعدهم ومن قبلهم ويدعون الله

(١) انظر : الايمان أثره فى حياة الانسان للدكتور حسن
 الترابى ص ٥١-٦١ ، ط٤ ، دار العلم ، الكويت .

تعالى أن يبرئ قلوبهم ويهذب نفوسهم من كل دغل وحقد للمؤمنين في كل زمان وفي كل مكان .. وهذه هي السمة البارزة للامة المؤمنة شعور بوشائج القربى بآمرة واحدة وهي (١)

الايمان دون ماسواه من العلائق .

والمساندة الحقيقية لاتكون الا في ظل الوحدة والاخوة الاسلامية كما يصوره الرسول عليه الصلاة والسلام في أسلوب بديع وقول محكم حيث يقول : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" ، وقوله : "ان المؤمن (٢) للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه" . (٣)

بل ان شرط ايمان المؤمن حبه لأخيه المؤمن والمساندة مع المؤمنين كقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" . وما بلغ اثر الايمان في المؤمنين حينما يكفهم عن الاذية لبعضهم ويحملهم كذلك في أداء حقوقهم لبعض كقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم (٥) الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" .

-
- (١) انظر : الظلال للسيد قطب ٣٥٢٧/٦ .
 (٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم ٦٦ .
 (٣) متفق عليه البخارى في كتاب الصلاة باب رقم ٨٨ ج ١ ، ومسلم في كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين رقم ٦٥ .
 (٤) متفق عليه ، البخارى في كتاب الايمان باب رقم ٧ ، ج ١ ومسلم في كتاب الايمان باب من خصال الايمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك .
 (٥) متفق عليه البخارى في كتاب الادب باب رقم ٣١ ، ج ٤ ، ومسلم في كتاب الايمان باب الحث على اكرام الجار والضيف .

المبحث الرابع

ضرورة تصحيح العقيدة ليتحقق أثرها

الأسرة الأولى للإنسانية أسرة نبوية على ملة التوحيد وعلى الفطرة كما جاء فى الخبر : "خلقت عبادى حنفاء (١) فاحتالتهم الشياطين" .

هذا ما يفسره التكريم الوارد فى القرآن الكريم لبنى آدم كقوله تعالى : (٢)

{ولقد كرمنا بنى آدم} .
(٣)
وقوله :

{لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم} .
(٤)
ويؤكد هذا التكريم والهداية أن الله تعالى اخبر أنه {علم الانسان ما لم يعلم} .

وبموجب العلم من لدنه لأبى البشر أظهر تفوقه على الملائكة وجعله خليفة فى الأرض لعبادة الله وحده يقول عز من (٥)
قائل :

{واذ قال ربك للملائكة ائبى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال : ائبى أعلم ما لاتعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين} .

(١) رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم ٦٣ .
(٢) الآية من سورة الاسراء : ٧٠ .
(٣) الآية من سورة التين : ٤ .
(٤) الآية من سورة العلق : ٥ .
(٥) الأيتان من سورة البقرة : ٣٠-٣١ .

وقصارى القول فى قصة آدم عليه السلام وبنيه أنه أول نبي^(١) . وأن الناس كانوا على عقيدة التوحيد ووحدة مترامة ولم يتمزقوا حتى طرا عليهم الشرك والابتداع فى الدين ، فكان من الضرورى تصحيح العقيدة ليمتد أثرها وتثمر دوحتها وتعيش الانسانية فى ظلها الوارف وتجنئ ثمارها فى اخوة وترابط كامل وهى ضرورة دعا اليها منهج الكتاب والسنة ، وتتابع الرسل من الله تعالى تترى للقيام بمهمتها والذود عن حياضها ، وما أجدد الامة الخاتمة الخالدة مابقيت الدنيا بتصحيح مافسد وارجاع الابقين الى الله تعالى .

وخلاصة القول أن الله سبحانه وتعالى أخبر فى كتابه بأن الناس كانوا على عقيدة واحدة بلاخلاف فطراً عليهم الافتراق فجاءت الرسل تترى بضرورة تصحيح العقيدة ، فكان هذا تذكيراً وتاريخاً لهذه الامة أن تعى دورها فى التزام العقيدة الصحيحة والوحدة عليها ، وفى نفس الوقت دعوة للعالم بأسره للرجوع الى تلك الوحدة العالمية ونبذ مايحول بين الناس وبينها .

والمسلمون بموجب الايمان وعموم رسالة الاسلام عليهم عبء كبير فى تصحيح العقيدة الموحدة .
واذا تمسك المسلمون بهذين الأمرين سوف لايفلون ولايفرهم من خذلهم وهما :

(١) كما قال ابن كثير فى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ، البداية والنهاية ١١٠/١ ، وروى أبو حاتم عن ابن حبان فى صحيحه جواب الرسول صلى الله عليه وسلم من سأل "يارسول الله انبى كان آدم قال نعم مكلم قال فكم بينه وبين نوح قال عشرة قرون" . قال ابن كثير فى المصدر المذكور على شرط مسلم ولم يخرج .

- (أ) الاتفاق على العقيدة المؤمنة بالله اجمالاً وتفصيلاً .
- (ب) الالتزام بشريعة الله مهما قامت دواعى التغير والتبديل والتطور والظروف .
- فالمحافظة على هذين الأمرين والالتزام بهما فى السراء والضراء هو ~~الأساس~~ استمرار الجماعة والقوة والدافع الى الوحدة ليست اسلامية فحسب بل الانسانية ، فالتمسك بالأمرين يشد الى هذه الوحدة ودائرتها الواسعة ، ولا تقوى عوامل التفرقة على الصمود أمام الايمان بالله الصادق والالتزام بالشريعة وتطبيقها المخلص ولكن حينما وجد الاختلاف السبيل الى قاعدة الايمان وأصول عد ظلت الأوضاع تؤتى ثمارها للتفرقة واتساع خرق الاختلاف حتى تجاوز الى سدود منيعة فى الشريعة لهدمها بغية اقامة الشرك مقام العقيدة ،
(١)
والبدعة مقام الشريعة .
- وأخطر ما يتعرض له الأمة المسلمة فى تمزيق وحدتها وتشطيت جمعها هو الانحرافات التى تتوجه الى العقيدة لتفرق بين المسلمين فى وحدتهم بالعقيدة الصحيحة وهذه الخطورة تتلخص فيما يلى :
- (١) الانحراف بسبب التأثير المذهبى كالاشتراكية والعلمانية .
- وهذا انحراف الحادى هدفه استبدال المبادئ الكافرة بالعقيدة الاسلامية من خلف شعارات ظاهرها اصلاح وباطنها الاحاد كالاشتراكية والشيوعية الملحدة .

(١) انظر : الأمة الربانية الواحدة للشيخ عبد الرحمن حبنكة ص ١٤-١٥ ، ط/الاولى ١٤٠٣هـ ، دار القلم ، دمشق .

(٢) الانحراف الطائفي الجديد المغامر للفتك بالاسلام والمسلمين وتقوم بدوره طوائف معينة كالكاديانية والبهائية وقد خرجت هذه الطوائف من دائرة الاسلام بدعوى زعمائها النبوة ونزول الوحي وهى منتشرة فى العالم باسم الاسلام .

(٣) انحراف طائفي ينمو لمحو الامة وعقيدتها ، لتشيد بناء الوثنية مكان العقيدة وهذا الانحراف فلسفة قديمة كالمذهب الشيعى الذى ينفى صفات الالهية ومعرفة الغيب على ائمتها وأن الوحي ينزل عليهم بالاضافة الى منصب العداوة لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفهم بالخيانة فيما نقلوه من الرسول عليه الصلاة والسلام من القرآن والسنة غير موثوق ونهاية هذا المذهب الطائفي العودة الى الماجوسية الفارسية .

(٤) الانحراف بسبب التأثير الطائفي والابتداع فى الدين قديما وحديثا من داخل الامة او من خارجها كالموفية والباطنية .

الموفية وقد ابتدعت فى الاسلام بدعا لاتحمى وعاشت فى سلوك وعقيدة المسلمين فسادا كبيرا وشرعت طقوسا من العبادة ماأنزل الله بها من سلطان ، وحولت القبور فى البلاد الاسلامية الى مزارات ومعابد وقدست شيوخها ورفعتهم الى أكبر من مقام الأنبياء ، وزعمت الموفية أنها أعلم بالشرعية من اهل العلم من لدن الصحابة ، لأن الأولياء عند الموفية يأخذون من اللوح المحفوظ مباشرة .. وكثرت فرق الموفية وكلها تساندت فى الابتداع واختراع مالم يشرع فى الاسلام ، كما صنعت الكنيسة فى دين عيسى عليه السلام .

وبذلك نشرت الموفية الشرك من جديد فى الأمة وطمست معالم العقيدة وفرقت الناس بأنواع من الشرك والابتداع .

(٥) الانحراف بسبب الاتجاهات العقلية كالفلاسفة والمتكلمين .

التحريف فى الجوانب العلمية النظرية فى العقيدة حيث خاضت طوائف المتكلمين والفلاسفة فى أسماء الله وصفاته وأفعاله وحتى فى ذاته العلية فمنهم من يؤول التأويل المذموم ومنهم من يعطل ومنهم من يشبه الخالق بالمخلوق .

ومن ثمرات هذا الحشد الكبير من الخوض فى العقيدة أن حالت هذه الطوائف بين الناس وبين معرفة ربهم بنصوص الوحي من الكتاب والسنة بعد معرفته بالفطرة فتمزقت الأمة وتفرقت من أصل الوحدة وهو العقيدة بسبب هذا الإهمال والتفريط فى جانب العقيدة وهى لاتتحمل الاختلاف ولا تحتاج الى (١)

شرح يزيد عما فى الكتاب والسنة .

ولقد نتج عن تلك الانحرافات والطوائف أن انتشر الشرك فى الأمة وتصدعت العقيدة ، وجاءت الانحرافات والطوائف الجديدة تؤيد هذه المظاهر من الشرك تارة ، وترجمها تارة أخرى على أساس أنها الاسلام الذى جاء من عند الله لتنتشر من ورائها وتحارب العقيدة الاسلامية التى جاء بها الوحي .

وبذلك تم توسيع دائرة الاختلاف ومحاولة تعزيز وتقوية من يخالف العقيدة الصحيحة ، وتسديد سهام نحو البقية الباقية واضعافها قبل أن تدرك وتنهض .

(١) أشر العقيدة الاسلامية فى تضامن المسلمين ، بحث للدكتور أحمد سعد الغامدى قدم فى المؤتمر العالمى الثانى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاء بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٣هـ ، المجموعة الثانية بتصرف .

وكانت مظاهر الشرك بين الامة التى أضفى عليها هالة من
الأوصاف والتأويلات الفاسدة أخطر شيء فى طريق الوحدة ولذلك
كان من الضرورة بيان الشرك وبيان اذلاله لمن يشرك وسلخه من
انسانيته فضلا عن عقيدته ان شمة له .

فالشرك فى الحقيقة هو : التشبيه بالخالق وتشبيه
المخلوق به . وهو نوعان :

الاول : شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته
وأفعاله .

الثانى : شرك فى عبادة الله تعالى .

والاول قسمان :

(أ) شرك التعطيل ومن الواضح أن التعطيل من أقبح أنواع

الشرك بل الشرك والتعطيل متلازمان وهو ثلاثة أصناف :

(١) تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه كشرك فرعون ونحوه .

(٢) تعطيل الصانع عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته

وأفعاله كعقيدة الجهمية .

(٣) تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد

كشرك وحدة الوجود الذين يزعمون أنه لاشيئين انما عين

الحق هو الخلق ، وشرك الملاحدة القائلين بقدم العالم

وأبديته .

(ب) شرك من اعتقد معه الها كشرك النصارى ، الذين جعلوه

ثالث ثلاثة ، وشرك القدريّة القائلين بأن العبد يخلق

فعله ، وشرك المجوس الذين أسندوا الخير الى النور

والشر الى الظلمة ، وشرك الذى حاج ابراهيم ومن يجعل

الكواكب أربابا مديرة كحالة المابئة ، وشرك عباد

الشمس وعباد النار .

الثانى : الشرك فى العبادة وهو أخف من النوع السابق .
وقد يصدر ممن يعتقد أنه لا اله الا الله وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع الا الله وأنه لا اله غيره ولارب سواه .
وهو يفقد عنصر الاخلاص فيكون العمل لغرض من الاغراض أو
(١)
لمخلوق .

(٢)
ولخطورة ذلك كله قال الله تعالى :
{قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} .
(٣)
وقوله :

{وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} .
هذا ولا يمكن أن تعود الوحدة النافعة الفعالة بين المسلمين ومظاهر الشرك معززة ومعمول بها بين جموعهم لأن ذلك طمس لقاعدة الوحدة وروحها وقوتها وهى "العقيدة" وأخطر شيء من الشرك ذلك الذى يصرف قلب المسلم ومظاهر عبادته نحو غير الله تعالى لينزل من عليائه السامقة الى الحضيض من الذل والمهانة لمخلوق حى أو ميت أو لزمان أو مكان !..
ان حاجة الانسان الى جلب ماينفعه ودفع مايفرّه قائمة لاختلاف فى ذلك حيث ان حياته الحاضرة والمستقبلية تتوقف سلامته وطمأننته فيهما على الجالب والدافع فتبين من هذا أمور :

(١) انظر : الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم ص ١٠٩-١١٧ ، ط/سنة ١٣٧٧هـ ، مطبعة محمد على .
(٢) الآية من سورة الكهف : ١١٠
(٣) الآية من سورة البينة : ٥

- (١) المطلوب المحبوب النافع وهو غاية الانسان النبيلة .
- (٢) المعين له على هذه الغاية أو المحقق المالك لها .
- (٣) مجانية الضرر فى أثناء طلبه وعند حصوله للغاية أو فقدانها .

(٤) الدافع للضرر حتى يوفق الانسان ويسعد بالغاية النبيلة ومن هو الذى يتجه اليه الانسان فى تحقيق ماينشده والحاجة تحثه بالرغبة أو الرهبة ؟

وهل يحقق هذا المطلب لنفسه بنفسه فليس اذن بذى حاجة ولاخوف ؟ وهل هناك من يحقق المطالب ويدفع المضار غير الله ؟ وصاحب الحاجة اذا لم يقدر عليها ولاتمكن لحيله ولايدرك مصلحته فيها ليؤمن او يخاف فغيره من المخلوقين من باب اولى بتلك الجهالة والعجز ؟!

ومن ثم جاء دور العقيدة والتوحيد ، ودلت الحاجة عليه كما بدت به الفطرة وشهدت به ، وجاء به الانبياء جميعا موحيين ومتحدين ، ودينهم واحد .

فالذى خلقك وصورك وأبدعك من العدم وقدر حياتك ورزقك وحدد أجلا لاتعدوه ، ونهاية لاتنفك منها وخاتمة لانخطئك من شقاوة أو سعادة . أعلم بحاجتك وأقدر ، وعنده كل شئ توجه^(١)

(١) كما روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : وكل الله بالرحم ملكا فيقول : أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضى خلقها قال : أى رب ذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه ؟؟ البخارى فى كتاب القدر باب رقم ١ ، ومسلم أول كتاب القدر .

(٢)

(١)

نحوه فى استخارتك . واعتمد عليه فى أسبابك وأعمالك .

والله سبحانه وتعالى يحب أن يكون هو المقصود والمستعان به وذلك ما تدعو اليه ضرورة العقيدة ، ويحقق الغاية التى خلق الانسان من أجلها وهى عبادة الله والانابة والاخلاص له . (٣) واذا توجه المؤمنون جميعا نحو تحقيق العقيدة بقلوب موحدة وأعمال هادفة متبعة لرب واحد سوف تكون الوحدة الإسلامية وتتفاعل .

وخلاصة القول فى أمر العقيدة التى هى محور الوحدة

ولبابها فى هذا الممدد :

(١) أن الله سبحانه وتعالى هو المعين على المطلوب أيا كان وعلى دفع المكروه أيا كان كما فى قوله تعالى : {اياك نعبد واياك نستعين} فالجملة الاولى تتضمن

(١) كما روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن ... الحديث . رواه البخارى فى كتاب التهجد باب فى التطوع مثنى مثنى رقم ٢٥ ، وأخرجه كذلك فى كتاب التوحيد والدعوات ورواه أبو داود فى الوتر ، باب فى الاستخارة ٨٩/٢ ، والترمذى فى دعوات باب ٢٣ ، ج ٥ .

(٢) كما قال عليه الصلاة والسلام : "اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد" . البخارى فى كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة رقم ١٥٠ ، ج ١ ، ومسلم فى كتاب الصلاة رقم ١٩٤ ، ج ١ ، وأبو داود فى كتاب الصلاة رقم ١٤٠ .

(٣) فأما العبادة فكقوله تعالى : {وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون} الذاريات : ٥٦ . وأما الانابة فكقوله تعالى : {وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتاكم العذاب ثم لاتنصرون} . الزمر : ٥٤ . وأما الاخلاص فكقوله تعالى : {وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} . البينة : ٥ .

(١)

الالهوية والثانية الربوبية .

(٢) انه تعالى خلق الخلق لعبادته وتشمل المعرفة والانابة

والاخلاص ونحو ذلك من مسائل العقيدة وهى غذاء العبد

الحقيقى والوسيلة الى النعيم فى الدار الآخرة كالنظر
(٢)

الى الله تعالى .

(٣) المخلوق ليس عنده شئ من الضرر والنفع وانما ذلك بيد

الله تعالى فهو المتوكل عليه والمستعان به واليه
(٣)

يرفع الدعاء ، ويوجه السؤال دون من سواه .

(٤) تعلق العبد بالمخلوق يترتب عليه ما يضره فيقارن بما

(١) يقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى موضع آخر : {اياك نعبد
واياك نستعين} ان هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن
لان اولها اقتضى عبادته بالامر والنهى ، والمحبة
والخوف والرجاء كما ذكرنا وآخرها اقتضى عبوديته
بالتفويض والتسليم ، وترك الاختيار ، وجميع العبوديات
داخلة فى ذلك . الفتاوى ٩٠/١ .(٢) كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه
الآية : {الذين أحسنوا الحسنى وزيادة} يونس : ٢٦ وقال
إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ونادى
مناد : يا أهل الجنة : ان لكم عند الله موعدا يريد أن
ينجزكموه ، فيقولون ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ألم
يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ قال :
فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه ، فوالله ما أعطاهم
شيئا أحب اليهم من النظر اليه ولا أقر لأعينهم .(٣) رواه مسلم فى كتاب الايمان رقم ٢٩٧ ، ج ١ ، وابن ماجه
فى المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ص ١٣ ، يقول
الحافظ ابن كثير : وأفضل من ذلك وأعلاه : النظر الى
وجهه الكريم فانه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه
لا يستحقونها بعملهم بل بفضل ورحمته ، التفسير ١٤٤/٢ .
كما روى ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما ، فقال : يا غلام انى أعلمك كلمات
أحفظ الله يحفظك . أحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت
فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن
الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا
بشئ، قد كتب الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك
بشئ، لم يضروك الا بشئ، قد كتب الله عليك ، رفعت
الأقلام وجفت الصحف .رواه الترمذى فى كتاب صفة القيامة وقال : حسن صحيح
باب رقم ٥٩ ، ج ٤ .

يحبّه يوم القيامة ويعذب به سواء حصل مقصده أو لم
(١)
يحمل الا ماكان فى سبيل الله تعالى .

(٥) الاعتماد على المخلوق دون الله تعالى يجلب على
المعتمد الضرر لنفسه لانه يخذله الله تعالى ، وقد علم
من شواهد الاعتبار بالاستقراء انه ماتعلق عبد بمخلوق
(٢)
الا خاب وخسر وخاصة فى النهاية .

(٦) المخلوق لاينفع غيره الا لمصلحة يريدّها لنفسه ، وان
كان ماتحقق من تيسير الله تعالى "والرب سبحانه يريدك
لك ولمنفعتك بك وذلك عليك بلامفرة " .

(٧) والخلق لايقدر أحد منهم قضاء شئ الا باذن الله فليكن
الطلب منه هو كما أنهم لايفرونك الا بشئ قد كتبه الله
(٣)
على المتضرر .

وضرورة تصحيح العقيدة يفسر شجاعة المؤمن وتحرره من
مظاهر الشرك وأسر الالحاد وهو ضعف اعترى من لم تكن له
عقيدة صحيحة أو لم يسع فى اصلاحها وتصحيحها .. خلاف
النظريات والافهام الفاسدة التى تفسر ضعف الانسان بأن سببه
العقيدة وتدينه وماحمله على الارتباط بالدين الا الخوف من
مظاهر الكون المخيفة من الجماد والاحياء فيبتدع ديناً يتوجه

-
- (١) كما قال تعالى : {والذين يكنزون الذهب والفضة
ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى
عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون} التوبة :
٣٤-٣٥ ، وفى الخبر : يابن آدم اليس عدلا منى أن أولى
كل رجل منكم ماكان يتولاه فى الدنيا .
(٢) كما قال تعالى : {واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا ، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا } .
مريم : ٨١-٨٢
(٣) انظر : الفتاوى لابن تيمية ١/٢٠-٣٢ .

به نحو معبوده ليخلصه من الشدائد !..
والواقع أن هذه نظرية الحادية تفسر باهمال تصحيح
العقيدة وخاصة عند المفتونين بالبحث المادى البحث
ولا يعلقون نجاح حياتهم بالارتباط بالله والايمان به ، وهذا
تصور ساقط لأن الانسان ضعيف على أية حال فلا يمكن أن يترتب على
ضعفه الغاء العقيدة وهو مخطور على أنه خلقه خالق مدبر
قدير وبالتالى يشعر بالسلبية الكاملة نحو خالقه .. وإذا
كان فى مقدور الانسان أن يخلو من هذه العقيدة الفطرية فإنه
ضعيف بالنسبة للكون وقواه الممنوحة له .. فالضعف لا يمكن أن
تعلل به العقيدة الفطرية والمكتسبة بالتدين ، لأنه من
المشاهد صدور العقيدة وتأثيرها فى الأقوياء ، وليست قوة
الحاسة الدينية ملازمة لضعف الرأى أو العزيمة .. بل إن ضعف
العقيدة يلزمه ضعف النفوس ، كما أن أقوياء النفوس والأخلاق
هم أقوياء العقيدة ولم يكن إذن من معدن الايمان الضعف . بل
الأولى أن يكون الايمان أقوى كلما كان الاحساس بعظمة الخالق
الذى يدل عليه هذا الكون وأسراره .. فالعقيدة من مصدر
القوة وصحة التفكير لامن النقص والغفلة .. ومن هنا كان
الأنبياء والدعاة من أقوى الناس بأسا وصبرا واحتمالا
وامتنهم أخلاقا وهمة وأصوبهم رأيا وأوفقهم نظرا !..
ومن ناحية أخرى وهى أن من المفكرين الخائضين ممن
ينظرون الى العقيدة على أنها ظاهرة اجتماعية تنتقل من
المجتمع الى الفرد فهذا يرد كون العقيدة نشأت من الضعف
والخوف ، لأن الجماعة قوة بالنسبة للفرد وتجابه بالقوة

(١)

المصنوعة جانب القوة العددية .

وكيف يكون ذلك والرسول عليه الصلاة والسلام أخبر بأن
القوة من لوازم الايمان : المؤمن القوى خير من المؤمن
الضعيف وفى كل خير .^(٢)

"والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة فى أمور
الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر اقداً على العدو فى
الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً فى طلبه وأشد عزيمة فى
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فى كل
ذلك واحتمال المشاق فى ذات الله " .^(٣)

وإذا كان التوجه نحو الخالق خوفاً ورجاء يلزم أن يكون
ظاهرة لمسار تصحيح العقيدة حتى يتحقق أن كل ما يدخل فى
إطار العبادة وجداناً وسلوكاً ورغبة ورهبة لا يصرفه الفرد
المسلم ولا الجماعة إلا لله تعالى ، فإن هناك جانباً من
العقيدة أحيط بالجدل وتدخلت الفلسفة فيه ، وتوزعت كلمة
المسلمين عنده وافتقرت عقيدتهم التى جاء الكتاب والسنة
بوحدها فى أسماء الله وصفاته .. فهذا الجانب يجب كذلك أن
يتناول مساره تصحيح العقيدة ليقلص هذا الاختلاف العريض ،
وتتوحد فكرة المؤمنين وعقيدتهم فى رب واحد .

ولقد كان منهج السلف الصالح فى هذا بيناً واضحاً يتميز
بأمرين :

الأول : أسماء الله وصفاته توقيفية يختصر فيها على

(١) انظر الكتاب المسمى "الله" للعقاد ١٨-٢٠ ، ط ٧ ، دار
المعارف بمصر .

(٢) رواه مسلم فى آخر كتاب القدر .

(٣) شرح مسلم للنووى ٣١٥/١٦ .

ما جاء فى الكتاب والسنة الصحيحة فلا يثبت منها الا ما اثبتته
الله لنفسه واثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم .

الثانى : افراد الله تعالى بمعانى ما ثبت له من
الاسماء والصفات بخواص تختلف عن الخواص التى تميز بها
المخلوق عن الخالق فهما وان اشتركا فى اللفظ الكلى فلا
اشترك بينهما فى خواص وكيفيات الصفات التى تقوم بكل واحد
منهما ، والمفهوم الكلى لوجود له فى الخارج خلاف الخواص .^(١)

وخلاصة القول : أنه "لا تستقيم حياة الانسان ولا تنتظم
ولا يتوجه فكره ويتحدد هدفه ويفلح فى سعيه الا اذا انبعثت
أحواله كلها من هذه العقيدة ويمتلئ حسه وضميره وقلبه
وعقله وكل جوانبه بحقيقة العقيدة وامتدت أخلاقه وسلوكه
الوجدانى والفكرى والعملى من تحقيق الاىوهية ومالم تكن هذه
الحقيقة على وجه الجزم والثبات واليقين فان الانسان لا يقوى
على الصمود والاستمرار على تحقيق العبودية ، فكل شئ
سينهار على جرف هار ويبقى الانسان فى دوامة لانهاية لها .

ومنهج القرآن الكريم يشحن الشعور البشرى بحقيقة
العقيدة ويوقظ أقطار النفس حسا ومعنى مذكرا اياه بصفات
الله وآثار قدرته المبدعة ، فاذا انسكبت هذه الحقيقة فى
الضمير سوف ينطلق والحياة القوية تغمره متصورا حقيقة
العقيدة وموحدا الاىوهية فى اله واحد اليه يرجع المن
والفضل كله واليه ترفع الحاجات كلها ومنه يخشى كل ما يضر
ويسوء ، وشهادة الاخلاص هكذا تستجيش كل احساس وتتطلب كل

(١) انظر : أصول مذهب الامام أحمد للدكتور عبد الله بن
عبد المحسن التركى ص ٧٨ .

يقين بوحداية الله تعالى ، والقرآن الكريم يوظف هذه
(١)
الحقيقة من نفس الفطرة .

فاذا تشبعت نفوس المؤمنين جميعا من هذه العقيدة
تصورا وايمانا ومنهجيا في الحياة وسلوكا في الحركة
والتطبيق ، سوف يجد المؤمنون بهذه العقيدة أنفسهم كنفس
واحدة لاتتعارض في اتجاهاتها ولاتتناقض في تصرفاتها فهي
وحدة من تكوينها الى وقوفها امام ربها سبحانه وتعالى .

(١) انظر : مقومات التمور الاسلامي للشهيد سيد قطب
ص١٨٧-١٩٢ ، ط/الاولى .

الفصل الثانى

العبادات ودورها فى تنظيم الوحدة

توطئة :

العقيدة فى الفصل السابق لاتعدو مشاعر الانسان الداخلية ووجداناته التى يتصور بها علاقته بالخالق سبحانه وتعالى وموقف الانسان من عالم الغيب وعالم الشهادة ولماذا خلق ولاى مسئولية .. ؟ وكيف يعيش والى أى مصير يصير .. ؟ والعقيدة هذه لا يظهر أثرها وتثمر فى المعتقدين بها الا بشعائر تعبدية جماعية يجتمع أهل العقيدة تحت شعارها تطبيقا لما يعتقده كل واحد منهم ، ليكون التساند العملى والسلوكى دليلا على وحدة المشاعر والوجدانات فى الافراد ، وتبين من هذا أن العقيدة فكر وشعور واستسلام لله بيقين والعمل مضمون لذلك وكلا الأمرين يطلق عليه الشريعة الاسلامية كما يطلق عليه العبادة بمفهومها العام والخاص ، ولذلك سنتناول فى هذا الفصل المباحث التالية لبيان الارتباط الوثيق بين العقيدة والعبادة بمعناها الخاص وهى :

المبحث الأول : مفهوم العبادة وبيان خصائصها الاسلامية .

المبحث الثانى : ارتباط العبادة بالعقيدة .

المبحث الثالث : دور العبادة فى تحقيق الوحدة .

المبحث الأول

مفهوم العبادة وبيان خصائصها الإسلامية

كلمة العبادة ذات مدلول واسع ، واطار محيط بكل تصرفات العبيد ، سواء كانت قولية أو سلوكية أو عملية ، اذا كان المقصود بها الله سبحانه وعلى شروطه .

ولأجل أن يتضح مدلول الكلمة لابد من الرجوع الى المعجم اللغوي ، لأن هذه المادة "عبد" تناولها اللغويون بالبحث كما استعملها العرب في عدة اشتقاقات لفائدة أحد معان أربعة "الخضوع ، والتذلل ، والطاعة ، والتنسك" وهي المعانى الملحوظة من كل ماورد في اللغة من هذه المادة ^(١) .

"وأصل العبادة في اللغة التذلل والعبادة والخضوع والاستكانة وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة ، وكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل هي عبادة " ^(٢) .

والعبودية هي : اظهار التذلل والخضوع ومرف الطاعة للمعبود ولكن لفظة العبادة ابلغ لأنها في منتهى التذلل ولا تكون الا لله تعالى لأنه مصدر الافعال والانعام ، قال تعالى ^(٣) {وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه} .

والعبادة من حيث القصد والاختيار نوعان :

الأول : عبادة التسخير وهو في كل المخلوقات من انسان وحيوان وجماد كقوله تعالى :

(١) انظر : لسان العرب مادة (عبد) ، القاموس المحيط .
 (٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٠٧،٢٠٥/٤ ، المعجم الوسيط ٥٧٩/٢ .
 (٣) الآية من سورة الاسراء : ٢٣

{ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم
(١)
بالغدو والآصال} .

فهذا سجود تسخير وهو الدلالة المأمّنة الناطقة المنبهة
على كونها مخلوقة ، وأنها خلق لفاعل حكيم .

الثانى : عبادة بالاختيار لذوى النطق وبها جاءت
(٢)
الأوامر كقوله تعالى :

{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} .

والعبادة بالنعوين قد جاءت فى آية واحدة أخرى كقوله
(٣)
تعالى :

{ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة
والملائكة وهم لا يستكبرون} .

وبمقتضى هذين الوصفين الإرادى والقهرى وصف الجن والانس
والملائكة كلهم بأنهم عباد الله تعالى .

وقد ذكر المفسرون هذا المعنى للعبادة اللغوى الشامل
(٤)
للخضوع وغاية التذلل كقول أبى جعفر الطبرى عند قوله تعالى
{اياك نعبد واياك نستعين} وإنما اخترنا البيان عن تأويله
بأنه بمعنى نخشع ونذل ونستكين ، دون البيان عنه ، بأنه
بمعنى نرجو ونخاف ، وإن كان الرجاء والخوف لا يكونان الا مع
ذلة ، لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة ، وأنها
تسمى : الطريق المذلل الذى قد وطئته الأقدام ، وذليلته
(٥)
السابلة معبدا .

-
- (١) الآية من سورة الرعد : ١٥
(٢) الآية من سورة النساء : ٣٦
(٣) الآية من سورة النحل : ٤٩
(٤) أبو جعفر محمد بن جرير بن الطبرى امام فى فنون ، ولد
سنة ٢٢٤هـ وتوفى سنة ٣١٠هـ .
انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١٩١/٤ .
(٥) التفسير ٦٩/١ .

(١)

كقول الشاعر :

تبارى عتاقا ناجيات وأتبعبت

وظيفا وظيفا فوق مور معبد

وقال الحافظ ابن كثير : "والعبادة فى اللغة من الذلة يقال طريق معبد وبغير معبد أى مذل ، وقدم المفعول وهو : اياك ، وكرر للاهتمام والحرص أى لانهبد : الا اياك ولانتوكل الا عليك وهذا هو كمال الطاعة . والدين كله يرجع الى هذين المعنيين . وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة : اياك نعبد واياك نستعين" .

فالاول : تبرؤ من الشرك ، والثانى : تبرؤ من الحول والقوة مع التفويض الى الله عز وجل .

ولاهمية مضمون هذه المادة تكررت بمشتقاتها فى القرآن الكريم ووردت حسب الاحماء : مئتين وخمسين وسبعين مرة . وكلها تدور حول هذه المعانى العبد والعبادة والتعبد : التنسك والطاعة والتأله .

والبحث يجرى فى تحديد معنى العبادة من حيث العموم والخصوص "فهى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق واداء الأمانة وبر الوالدين ونحو ذلك مما أمر الله به

(١) البيت للشاعر الجاهلى طرفة العبد وهو فى معلقته والمعنى فى وصف الناقة فهى تسابق ابلا مسرعات فى السير .

والوظيف : هو ما بين الرسغ الى الركبة .
ومعنى المور : الطريق ، والمعبد : المذل .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢٥/١ ، ط/الثانية ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٤٥/١ .

عباده " ، فالعبادة من هذه النظرة الشمولية جامعة لكل ما جاء فى الدين من فعل المأمور والمسنون والمندوب واجتناب المنهى وترك المكروه ، ويتناول ذلك العقيدة والشريعة فى الشائى التعبدية والمعاملات والأخلاق .^(١)

فالعبادة اذن هى تحقيق العبودية وهى مفهوم من مضمون كلمتى : العبد والمعبود ، فاذا جعل العبد نصب عينيه رضاء ربه والتزم بقانونه وحبس عليه نفسه حبا واستسلاما وابتعد عما يناقضه ويخالفه وكرهه وأبغضه فكل ما يصدر من العبد وتخلق به ، فهو عبادة ، فالإنسان عبد الله ، والله خالقه ومعبوده .^(٢)

واذا تحقق حب العبد لربه تحققت العبودية ، فالمحب قد دله الحب ووطاه ، ولاتجوز هذه المرتبة لاحد غير الله ، ومن أشرك فيها لا يغفر الله له .

{ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } .^(٣)

فالعبودية الحققة لله من أشرف الأوصاف للعبد ، ومن الحقوق الخالصة لله من عبده ، ولذلك كان من أحب الأسماء الى الله "عبد الله وعبد الرحمن" .^(٤)

ويمف المسيح عليه السلام محمدا صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة العظمى بالعبودية كما يقول للخلق " اذهبوا

(١) انظر : العبودية لابن تيمية ٤٦-٣٨/٥ .

(٢) انظر : مبادئ الاسلام للمودودى ص ١٢٨-١٣٠ .

(٣) الآية من سورة النساء : ١١٦ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب الآداب رقم ١ .

(١)
الى محمد عبد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر" ، وقد
ذكر الله سبحانه وتعالى رسوله فى مقام التشريف ووصفه
بالعبودية فى معرض التحدى والاسراء والدعوة .
(٢)
فقال :
(٣)

{وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله } .
(٤)
وقوله :

{سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام} .
(٥)
وقوله :

{وانه لما قام عبد الله يدعوه} .
(٦)
وفى الحديث عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال :
كنت سائرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامعاذ
فقلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة فقال :
يامعاذ ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : أتدرى ما حق
الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقه
عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا ، أتدرى ما حق العباد على
الله اذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم بالنار" .
(٧)

-
- (١) رواه مسلم فى كتاب الايمان رقم ٣٢٢ .
(٢) انظر : روضة المحبين لابن القيم ص ٥٢-٥٣ ط/بيروت سنة ١٣٩٧هـ .
(٣) الآية من سورة البقرة : ٢٣
(٤) الآية من سورة الاسراء : ١
(٥) الآية من سورة الجن : ١٩
(٦) معاذ بن جبل الخزرجى الأنصارى شهد المشاهد كلها وهو
الامام المقدم فى علم الحلال والحرام ، ولاه الرسول
اليمن توفى سنة ١٧هـ .
(٧) انظر ترجمته فى : الاصابة ٤٢٦/٣-٤٢٧ .
متفق عليه البخارى فى كتاب اللباس باب ١٠١ ، ومسلم
فى كتاب الايمان رقم الحديث ٤٨ .

ومما تقدم من بيان العبادة والمقصود بها شرعا ، تبين
انه لابد من توفر الأمرين :

الأول : الالتزام بشريعة الله تعالى التى جاء نبيه صلى
الله عليه وسلم بها سواء مايتعلق فيها بالأمر والنهى أو
بالتحليل والتحريم ، وهذا هو الدليل على عنصر الطاعة
والخضوع لله تعالى ، فمن لم يكن كذلك فليس عبد الله بمعنى
الخضوع والطاعة وان كان معترفا بأنه مربوب لخالق رازق .

الثانى : أن يكون الالتزام من محب لله تعالى . حب
يتدفق به القلب الملتزم صدقا واخلاصا ، فليس فى الوجود أحد
أحق من الله تعالى بالحب الذى تظهر فيه عبودية العبد وذلك
هو الشعور له بالفضل والانعام والاحسان والرحمة وهو الواهب
للحياة وله الجمال والكمال المطلق .^(١)

والعبادة تكريم للانسان وبخاصة الجانب المبنى على
الارادة والاختيار ، ان القصد من التشريع هو تحرير الانسان
من سلطان هواه الذى قد يرد به - ليكون عبد الله بالاختيار
منه كما أنه عبد لله من جهة الاضطرار والاعتراف ، واذا كان
هذا الأمر فى حاجة الى دليل فقد جاء الدليل على أن الله
تعالى ماخلق الناس الا لعبادته فقال عز من قائل :^(٢)

{وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون} .

^(٣)

ومن الأدلة ذم الهوى فى كثير من النصوص كقوله :

{أفرايت من اتخذ الهه هواه} .

ومن الأدلة المشاهدة : الاستقراء والتجربة فى أن

(١) انظر : العبادة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٢-٣٣ ، ط ١١

(٢) الآية من سورة الذاريات : ٥٦

(٣) الآية من سورة الجاثية : ٢٣

المصالح الدينية والدنيوية لا تتحقق ولا تدوم لمن اتبع الهوى
فالعبدية حتمية ولازمة بالنظر الى الحقيقة والهدف الذى خلق
الانسان لأجله وهو عبادة الله ، وبالنظر الى مصالح الانسان
فى الدارين ، وبالنظر كذلك الى مكانة الانسان بين
المخلوقات ولا يميز عنها الا بالارادة التعبدية .^(١)

ولكن هذه الارادة للتسهيل عليها ليست لاختراع العبادة
كما ووصفاً لأن العبادة توقيفية فلا يجوز منها ولا يعتمد شرعا
الا اذا تبناه الوحي كما ووصفاً ، فلو كان أمر العبادة غير
ذلك لشدد الناس على أنفسهم ، بكثرة ما يبتدعون من أنواع^(٢)
العبادات ويفجعون القيود والشروط ، يفرقون فى بحرهما ،
ويهلكون بأموالهما مع العجز عن تأدية ما يشرعونه لأنفسهم
ويخترعونه من العبادة ويريدون من الله قبوله وهو يريد بهم
التيسير والتنظيم ، ويؤلف بين قلوبهم بشعائر خفيفة من صلاة
ومدقة وصوم وحج واستغفار ونحو ذلك ، وكل تتخلله رخص
وأعذار مقبولة وأوقات فراغ أكثر بكثير من الأوقات التى
تؤدى فيها هذه الشعائر ، وخطاب الله تعالى يبشر بذلك^(٣)
فيقول :

{ فاتقوا الله ما استطعتم } .

(٤)

وقوله :

{ لا يكلف الله نفسا الا وسعها } .

(١) انظر : الموافقات للشاطبى ، قسم المقاصد ٣٨٥، ٣٢٣/٢ .

(٢) كقصة النفر الذين اجتمعوا وقالوا : انهم يصومون
دائما ولا يفطرون ويتبتلون ولا يتزوجون فرد عليهم الرسول
عليه الصلاة والسلام وأخبرهم بأن من رغب عن سنته فليس
منه .

(٣) الآية من سورة التغابن : ١٦

(٤) الآية الاخيرة من سورة البقرة .

وفى هذا مراعاة لجانب آخر فى الانسان وهو أنه رغم ولوع الجنس البشرى الى ابتداع طقوس لم يؤمر بها ، وأن فطرته ترفعه الى أنه لابد أن يكون متدينا ، بالإضافة الى أن الانسان كسول بطيء نحو العبادة وخاصة مايتعلق بالالتزام بالطاعة فى أوقاتها وأوصافها وقيودها أداء ووسيلة رغم نشاط الانسان فى الابتداع لأنواع من العبادات ماكان نشطا فى العبادة وإذا ترك له الأمر فى العبادة سوف يشدد على نفسه ، لهذا كله كانت الحكمة فيما يبدو والله أعلم - أن تكون العبادة توقيفية ولاعبرة لما لم يأت به الوحي ، ولاياتى الا بما كانت روحه الوحدة ، فالأمر الخفيف هو الذى يجتمع عليه الناس لالشديد ولالحرية المطلقة من القيود!

وإذا تدبرنا خمائص العبادة فى الشريعة الاسلامية نجدها عاملا فى حد ذاتها يكون الوحدة بين المطبقين العاملين تلقائيا وأن أثر العبادة فى ترابطهم لامحالة يظهر وينمو وهى كالتالى :

(١) المعبود فى شريعة الله تعالى هو الله وحده توحيد المؤمنون بمصرف العبادة له وحده كما أنه هو الخاص بالربوبية فهو المقصود للمؤمنين جميعا .

لأن العبادة عبارة عن التعظيم والتذلل ولايكون الا لمن له فضل فى أحوال الانسان الماضية والحاضرة والمستقبلية .. ولأجل تحقيق هذه الخصومية فى عبادة المؤمنين جاءت الشريعة الاسلامية بمحاربة الشرك فى كل أحواله الخفية والظاهرة ، وأن الله تعالى لايفغره لأحد .

(٢) الاخلاص وهو روح العبودية ولاتكتمل العبادة الا بالاخلاص

وهو التجرد والتعزى من كل قصد سوى الله تعالى فى
العبادة ولا يكون ذلك اذا اخلصت النية كلها فى كل
عبادة لله تعالى .

(١)
{وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} .
(٣) والعبادة فى الاسلام متحررة من الخضوع لاي مخلوق شخص أو
مكان أو زمان ، ولاتتوقف على واسطة ولا كهنوت .

{واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى
(٢)
اذا دعان} .

والثواب عليها بيد الله تعالى {فأينما تولوا فثم وجه
الله} (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام : "أيما رجل من أمتى أدركته
الصلاة فليصل" (٤)

(٤) والعبادة فى الاسلام توقيفية ، فالمؤمنون يعبدون الله
بما شرع وأمر به وجاء به رسوله صلى الله عليه وسلم
فالعبادة بهذا المنهاج فى حد ذاتها وحدة بين
المؤمنين ، قال تعالى :
(٥)

{شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك
وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولاتتفرقوا فيه} .

والعبادة تقوم على أمرين :

-
- (١) الآية من سورة البينة : ٥
(٢) الآية من سورة البقرة : ١٨٦
(٣) الآية من سورة البقرة : ١١٥
(٤) رواه مسلم فى كتاب المساجد مواضع الصلاة رقم ٣ ،
والنسائى فى كتاب الغسل ٢١٠/١ .
(٥) الآية من سورة الشورى : ١٣

ألا يعبد إلا الله تعالى ولا يعبد إلا بما شرع ، فلامجال
(١)
لعبادة غير الله ولا مجال للعبادة بالبدع ، قال تعالى :
{فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه أحدا} .

(٥) التوازن فى العبادة بين تربية الروح والمطالب
المادية ، فلارهبانية ولامادية ، وذلك مايشير اليه
(٢)
قوله تعالى :

{ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من
فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون} .

(٦) التيسير ورفع الحرج وهو ما جاءت به النصوص كقوله
(٣)
تعالى :

{يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} .
(٤)
وقوله :

{وما جعل عليكم فى الدين من حرج} .

فالعبادة فى الشريعة الاسلامية ميسرة سهلة ويعم ذلك

الاصول والفروع والواجبات والمسئونات .

-
- (١) الآية من سورة الكهف : ١١٠
(٢) الآية من سورة الجمعة : ٩-١٠
(٣) الآية من سورة البقرة : ١٨٥
(٤) الآية من سورة الحج : ٧٨

(٧) العموم والشمول فى العبادة فهى تتناول كل أفعال الانسان القلبية والفكرية والبدنية والمالية والعادات والاخلاق ففى الامكان أن تكون حياة الانسان فى يقظته ونومه وحركته وسكونه كلها عبادة يثاب عليها اذا خلعت النية وتوجه العبد نحو ربه وجاء بيان ذلك فى نصوص كثيرة كقوله تعالى :^(١)

{ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون} .

(٨) العبادة مستمرة ودائمة مادامت الحياة الى يوم تقوم الساعة ، والمؤمنون مطالبون بأن يعيشوا دائماً بشعائرها ومطالبها .. قال تعالى :^(٢)
{واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} .

(٩) التنوع : ييسر العبادة ويعطى المؤمنين مرونة من خلالها أنها تدور بين الواجب والغرض والندب والتخيير . العبادة تشمل حياة الانسان كلها - اذا كان الدين من الله ، والعبد خاضع بقلبه ، وجوارحه ، وذلك واضح من توجيه

(١) الآية من سورة البقرة : ١٧٧

(٢) الآية من سورة الحجر : ٩٩

(٣) انظر بحث : العبادات فى الاسلام وأثرها فى تضامن المسلمين للدكتور محمد نبيل غنايم ، مقدم للمؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وأعداد الدعاء بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٣هـ ، المجموعة الثانية ص ٢٦-٣٢ .

القرآن وتحديد الغاية التي لأجلها خلق الإنسان كقوله
(١)
تعالى :

{وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون} .

والدعوة الى عبادة الله تعالى بها جاءت الرسائل
متتابعة واتفقت عليها النبوات وهذا الشمول نزل القرآن
الكريم مخبرا بأنه قضية وشعار يضم الأمم تحت لوائه في كل
زمان ويدعو الناس الى الانضواء تحت وحدته .. قال تعالى :
(٢)
{ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة} .
(٣)
وقوله تعالى :

{وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله
الا أنا فاعبدون} .

ولم يكن الاكتفاء بهذا الاجمال في وحدة الرسل على رفع
شعار العبادة وتوحيد الأمم على العبودية الحق لله تعالى
بل جاء في القرآن البيان الشافي في هذا وهو دعوة كل رسول
بعثه الله تعالى كقوله في مقالة نوح عليه السلام :
(٤)

{لقد أرسلنا نوحا الى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره} .
(٥)

وقوله في قصة هود :

{والى عاد أخاهم هودا قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من اله غيره أفلاتتقون} .

-
- (١) الآية من سورة الذاريات : ٥٦
(٢) الآية من سورة النحل : ٣٦
(٣) الآية من سورة الانبياء : ٢٥
(٤) الآية من سورة الاعراف : ٥٩
(٥) الآية من سورة الاعراف : ٦٥

(١)

وقوله فى قمة صالح :

{والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم

من اله غيره} .

(٢)

وقوله فى قمة شعيب :

{والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم

من اله غيره} .

(٣)

وقال فى قمة ابراهيم عليه السلام :

{وابراهيم اذ قال لقومه : اعبدوا الله واتقوه ذلكم

خير لكم ان كنتم تعلمون} .

(٤)

ومضمون قمة موسى كذلك نفس الدعوة ولهذا قال لقومه :

{قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله

يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين} .

(٥)

وقوله فى قمة عيسى عليه السلام :

{ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم

وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم} .

(٦)

وقوله فى قمة يوسف عليه السلام :

{ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين

القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} .

وأما رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام فكل ما حكاه

الله فى كتابه عن الرسل مما فى القرآن فقد جاء به ، فهذا

-
(١)	الآية من سورة الاعراف : ٧٣
(٢)	الآية من سورة الاعراف : ٨٥
(٣)	الآية من سورة العنكبوت : ١٦
(٤)	الآية من سورة الاعراف : ١٢٨
(٥)	الآية من سورة المائدة : ١١٧
(٦)	الآية من سورة يوسف : ٤٠

(١)

خطابه سبحانه وتعالى الى الناس جميعا :

{ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} .

والعبادة فى هذه الآيات شاملة لأصول الدين وفروعه والأمر بعبادة الله الذى حمل الأنبياء جميعا الى الناس يقيمون به : أن يلتزم الناس بالعقيدة الصحيحة التى لا تشوبها شائبة من الشرك ، ويفسر ذلك العمل الصالح الذى يزيد به الايمان ولا ينقص ، ويكون مخلصا لابتدعة فيه ، فهذه وحدة بين الأنبياء جميعا ووحدة بين العقيدة والعمل الصالح وذلك أهم عامل ليكون الناس أمة واحدة ويترابطوا بعبادة المعبود الواحد .^(٢)

ان العبادة بالمعنى العام المقصود بها السير فى الحياة ابتغاء مرضاة الله تعالى عملا بالشرعية ، وأى عمل قصد به وجه الله ، وأداء كل ماعلى العبد من الحقوق لله ثم لعباده على وجه الإصلاح والوثام والترابط ومنع الفساد والفرقة والاختلاف ، فهو عبادة ، وبذلك صارت أعمال العبد المسلم كلها بالنية والقصد الحسن عبادة كقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "ان بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ، وفى بضع أحلكم صدقة ، قالوا : يارسول الله أيأتى احدنا شهوته ويكون فيها أجر ؟ قال :

(١) الآية من سورة البقرة : ٢١

(٢) انظر : مدراج السالكين لابن القيم ١٠١/١ ، توحيد الملة وتعدد الشرائع لشيخ الاسلام ابن تيمية فى مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٩/٣ ، والعبودية له ص ٣٨-٤٠ .

أرايتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك اذا وضعها
(١)
فى الحلال كان له أجر " .

فاذا كانت العبادة لاتخص جانبا من جوانب الحياة ،
فليست العبادة بالمعنى الخاص هى المقصود بالعبادة فى
شريعة الله كالشعائر التعبدية من اقامة الصلاة وايتاء
الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، بل انها نموذج فريد
للتربية على العبادة بالمعنى العام ، واذا خصت العبادة
بهذه الشعائر فقط ، فان ذلك دلالة على قصور فى فهم العبادة
التى يقصد بها الاسلام اقامة نظام عام اجتماعى يتناول كل
الحياة ، ويكون من افراده مجتمعا فاضلا تسوده المحبة وترتبط
(٢)
بين افراده عبادة واحدة لمعبود واحد .

(١) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب صلاة المسافرين رقم
الحديث ٨٤ .
(٢) انظر : نظام الاسلام لمحمد المبارك ، بحث العبادة ،
المودودى فى مبادئ الاسلام ص ٩٤ ، المجتمع الانسانى فى
ظل الاسلام لمحمد أبى زهرة ص ٩٦-٩٧ .

المبحث الثانى

ارتباط العبادة بالعقيدة

أصول الدين قائمة على الايمان والاقتناع ، وحقائق هذه
الأصول عائدة الى هذا الايمان ، الذى استحق به المؤمنون
الثناء من الله تعالى ، اذا كان الأمر كذلك ، فان العمل من
جانب آخر ضرورة من ضرورات قواعد الايمان وأسس العقيدة ، بل
هو لازم لها وملزومة له ، وبتأمل دقيق لمنهج الاسلام فى بناء
الوحدة الاسلامية نجد حديث جبريل عليه السلام قد مثل هذا
المنهج تصورا وتطبيقا حيث صنف القواعد التى هى عوامل
الوحدة الاسلامية الى وحدات وطوابق لهذا البناء الكبير وهى
كالتالى :

الوحدة الاولى : قواعد الايمان التى هى أساس العقيدة .

أركان الايمان .

(١) وعن عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض
الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه
منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند
ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد
أخبرنى عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان
استطعت اليه سبيلا . قال صدقت . قال فعجبنا له يسأله
ويصدق . قال : فأخبرنى عن الايمان . قال : أن تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر
خيره وشره . قال صدقت . قال : فأخبرنى عن الاحسان .
قال : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : ما المسئول
عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أماراتها
قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة
رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان .
رواه مسلم فى أول كتاب الايمان ، ورواه البخارى فى
كتاب الايمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه
وسلم وفى تفسير سورة لقمان .

الوحدة الثانية : قواعد الاسلام وهى قواعد العمل .
أركان الاسلام .

الوحدة الثالثة : قاعدة الاحسان . وهو عبادة الله
بالبميرة ولا تكون الا باليقين الثابت والجزم الصادق والاخلاص
المتزايد بالايمان والعمل بمقتضاه وهذه هى قمة الاخلاق ..
فالوحدة الممثلة بين هذه الوحدات المنهجية شاملة للاعتقاد
والعمل والاخلاق ، وداعية الى الارتباط الوثيق بين اصول
العقيدة العملية والوجدانية ، وشاملة حتى للفروع وزوايا
البناء الكبير .

(١)
ولهذا يقول القاضى عياض رحمه الله فى حديث جبريل :
"وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات
الظاهرة والباطنة من عقود الايمان وأعمال الجوارح واخلاص
السرائر والتحفظ من آفات الاعمال حتى أن علوم الشريعة كلها
راجعة اليه ومتشعبة منه " . قال : وعلى هذا الحديث وأقسامه
الثلاثة ألفنا كتابنا الذى سميناه بالمقاصد الحسان فيما
يلزم الانسان اذ لايشذ شئ من الواجبات والسنن والبرغائب
والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة والله أعلم " .
(٢)
واذا لم يكن هذا التلازم والوحدة بين قواعد الايمان
والعمل فكيف نفهم الوحدة بين المسلمين ؟ فى التفكير

(١) القاضى عياض بن موسى اليعمبى يلتقى مع الامام مالك فى
النسب وكلاهما من حمير ولد فى سبتة سنة ٤٧٦هـ وكفى
ماقالته المغاربة "لولا عياض لما ذكر المغرب" .
انظر ترجمته فى : كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس
لابن بشكوال ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، وكتاب أزهار
الرياض فى أخبار عياض لأبى العباس المفترى وهو مفرد فى
القاضى عياض .

(٢) نقلا عن النووى شرح صحيح مسلم ١/١٥٨ .

والحركة التطبيقية وماذا يراه من يريد أن يتأسى بهم وينضم الى وحدتهم ؟ وهل هو يرى وجدانات فى الضمائر ويحس بتمورات صادقة أو كاذبة داخل النفوس ؟ ليعلم ويدرك أن الناس بهذا صارت بين أفرادهم وجماعاتهم وشعوبهم وحدة .. هذا ليقول به الا عقول طائشة وتفكير سخي . لو أن وحدة المؤمنين تكون بمجرد الموافقة بين مايسرى فى النفوس من خلجات وعواطف وماتدفع به الفطر دون ضابط عملى يلتقى عليه الافراد وتتوارد عليه الجماعات ، لكانت البشرية متحدة .. لأنها متفقة فى كثير من العادات وفى مظاهر أساليب الحياة بل وفى كثير من السلوك البشرى وكثير من الأمم يتكلمون لهجة واحدة ومع هذا فانا نراها يمزقها ويفرقها ، حتى مايتصور أنه يجمعها وهو العنصرية بكل أشكالها وألوانها .. واذا أرادت بعض الأمم أن تكون وحدة بين فمائلها التى يجمعها جد واحد ، وبلد واحد ببعض العوامل العملية اعتمادا على المشابهة المادية الملحوظة فيما يقوم به أفرادها أو جماعاتها من الحركة والعمل .. فانها سرعان ماتكلل بالفشل الذريع لانعدام شرط العمل وهو الاتفاق على مبدأ الايمان بالقضية التى تدور الحركة فى فلكها ، ومن هنا تلجأ بعض الأمم الى وضع قواعد نظرية لتكون بمثابة الاعتقاد لأفرادها لتصل الى نتائج موجودة وأهداف مقصودة فى تلك الوحدة العملية المقترحة فاذا السوءات كلها تبدو واضحة فاضحة ويمتد الاختلاف من كل مكان وتكون النتائج الحقيقية نظرية بعد نظرية وتعديلا وتغييرا ، وتدور الأمور فى هذا الفلك الى مالا نهاية له .

الاسلام ليس من هذا القبيل فى قواعده الاعتقادية والعملية والاخلاقية فلقد ربط الايمان بالعمل ووضع بينهما تلازما من الاصل فلا يمكن أن يكون لأحدهما اعتبار مستقل دون الآخر . وهذا هو منهج الكتاب العزيز فى مثل قوله تعالى :
{اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} .
(١)
يقول العلامة ابن القيم :

"فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت ، والمقصود أن كلمة التوحيد اذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا متممها بموجبها قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته ، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد ، أصلها ثابت راسخ فى قلبه وفروعها متممة بالسماء ، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت" .
(٢)

فاذا كان العمل الصالح هو البرهان والواسطة لقبول الاعتقاد واستثماره ، فان الايمان من جهة أخرى هو الشرط فى قبول العمل الصالح كما أنه هو الأساس لمشروعية مزاولته !.. وهذه الوحدة التي يربى عليها منهج الكتاب والسنة المؤمنين وتبقى قوية ايجابية مادامت بالايمان والعمل الصالح حسب ما جاء فى الشريعة . ويبدو لى من هذه الآية (٣)
والله أعلم {ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه} أنها

(١) الآية من سورة فاطر : ١٠
(٢) هو محمد بن أبى بكر بن أيوب أبو عبد الله ولد سنة ٦٩١ هـ وهو من أبرز حملة لواء الدعوة بعد شيخه ابن تيمية ولم يكتب كثيرة ، توفى سنة ٧٥١ هـ .
انظر ترجمته فى : الدرر الكامنة لابن حجر ٢٣-٢١/٣ .
(٣) اعلام الموقعين لابن القيم ١٧٢/١-١٧٣ .
(٤) الآية من سورة آل عمران : ٨٥

لا تعنى قضية الصحة والثبوت فى الايمان والعمل فحسب بل وتشمل قضية التجربة والبقاء ، فالانسانية لاتجد تجاربها وفكرها ومحاولاتها فى الارتباط بعضها ببعض وتحقيق الاهداف واستمرارية العمل بغير الاسلام لأمريين :

الاول : المضمون الذى يشير اليه المفسرون فى هذه الآية وهو أنه الدين الصحيح المقبول عند الله وما كان من الله وارتضاه لعباده حقيق أن يجمع الناس ويكتفوا به دون
(١)
ماسواه .

الثانى : والآية مع هذا شاملة لقضية المنهج والتجربة الرائدة الصالحة ، والتجارب فى البشرية منذ نشأتها أصدق برهان فى أنه لن يقبل من أحد أى سلوك فكرى وعملى الا اذا كان موافقا لما جاء فى الاسلام الذى بعث الله به الرسل جميعا من لدن آدم عليه السلام حتى نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى أنه لن يستقيم كذلك ، لاحد أى مشروع مآدى أو معنى لاصلاح البشر مضمون فيه البقاء والثبوت الا اذا كان لا يتناقض مع روح الاسلام وحقائقه .

واذا بحثنا فى السنة الصحيحة وجدنا هذا المعنى فى قوله عليه الصلاة والسلام : "من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ، والرد من اطلاق المصدر واردة اسم المفعول
(٢)
"المردود" ، والحديث هذا يرسم قاعدة من قواعد الاسلام فى رد كل البدع والمخترعات من أى لون كانت فى أى زمن وفى أى

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣٧٩/١ ، التفسير الكبير

للرازي ١٢٥/٨ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا على صلح باب رقم ٥ ، ومسلم فى كتاب الاقضية ، باب نقض الاحكام الباطلة الحديث ١٧ .

مكان ما دامت تخالف روح الاسلام وحقائقه ، وهو من جوامع الكلم التى أتيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحديث رد شامل لكل استدلال باطل وبدعة محدثة واشاعة كاذبة ، ويعده بعض أهل العلم نصف أدلة الشرع ، لأن الدليل الشرعى بقصد اثبات الحكم أو نفيه ، وهو يتركب من امرين : اثبات ما جاء به الكتاب والسنة ونفى ما لم يأت فيهما .. فإذا كان هذا هو المعنى الذى تناوله مفسرو السنة ، فإن الحديث يشمل كذلك المعنى الذى ذكرت أنه تشمله الآية كما يقول فى قوله تعالى {فلن يقبل منه } ، يقال فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم "فهو رد" ^(١) .

وقصارى القول : أن النفى فى الآية والرد فى الحديث ليس المقصود بهما نفى الصحة والقبول عند الله تعالى فحسب بل يشمل ذلك أنه لا يستمر ولا يبقى حتى فى الحياة الدنيا ، فكيف تنبنى على مثل ذلك وحدة تضم شتاتا وتدوم بقاء .

ونعود الآن الى مانحن فى صدده وهو الاعتقاد بوجوب العمل من ضمن الايمان بقواعد الايمان وأركان الاسلام ، لنستخلص الوحدة بين الايمان والتطبيق العملى وأن المسلمين بحكم وحدتهم على الأصول هذه ومضامينها الاعتقادية والتطبيقية لايعتمدون فى الوحدة على مافى نفوسهم من المشاعر الطيبة نحو الاسلام دون الواقع العملى .

ان أركان الاسلام تقوم على الجانب العملى وأصول العقيدة روح مضمونها العمل ، فليس الايمان بمشاعر وجدانية

(١) انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ٣٠٢/٥-٣٠٣ ، النووى على صحيح مسلم ١٦/١٢ .

وفكرية فحسب بل لابد له من واقع حركى يفسر ما بداخل النفس ، هذا بالإضافة الى حقيقة كبرى وهى : أن الايمان والاعتقاد الوجدانى بتلك الأصول والاستسلام لله هو : عين العلم وحقيقة المعرفة ، ولاشمة للعلم ولاوجه للثناء على أهله الا بالعمل فالعلم وسيلة الى هذه الغاية وهى العمل كما أن العمل وسيلة الى غاية الغايات وهى : رضى الله تعالى الذى لا يكون الا بتحقيق العبودية له ايماناً وعملاً ، والشرع انما جاء بهذا وبعث به الرسل جميعاً ، والعلم الذى لايفيد العمل لم يكن من رسالة الرسل ، واذا جرد العلم من روحه الحقيقية وهى العمل فهو عارية غير نافعة فالمعرفة بالله وبما طلب منا الايمان به ، حقيق أنه علم بمعنى الكلمة .. يكون هذا العلم تعبداً ووجدانية حينما يكون العمل روحه وترجمانه .. ولأدل على هذا التلاحم والوحدة بين الايمان والعمل من أن كل واحد شرط فى وقوع الآخر ، وأبلغ ماتكون المسألة فى كون الايمان شرطاً لقبول العمل وفى نفس الوقت هو أصله الذى يبنى عليه .^(١)

وبتأمل دقيق للنصوص الواردة لاقرار أصول الدين نجد التلاحم بين العقيدة والعمل ، والفطرة والسلوك ، ومن هذه النصوص نقرا قوله تعالى :^(٢)

{انما يخشى الله من عباده العلماء} .

وقوله :

(١) انظر : الموافقات للشاطبى ١/٦٠-٦٦ المقدمة السابعة .
(٢) الآية من سورة فاطر : ٢٨

{قيموا لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين
(١)
الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا} .

(٢)
وقوله :

{فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك} .
(٣)

وقوله :

{فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل

أنتم مسلمون} .

وأما السنة المطهرة فهي شاهدة على التلازم بين الايمان

والعمل حيث تضمنت الأمور التالية :

(١) أمر بالفعل : أمر به الرسول عليه الصلاة والسلام

وامتثاله واجب من كل مؤمن بالله وبرسوله وبالقُرآن

وبالملائكة وبالأيوم الآخر .

(٢) نهى عن شيء وهو طلب ترك العمل للتحريم أو مايلحق به

من الكراهة ، والترك عمل يثاب عليه التارك .

(٣) تقرير لعمل أو تقرير لترك الفعل ، بأن يعمل بعض

المكلفين شيئا أو يجتنبه ويرى الرسول صلى الله عليه

وسلم ذلك أو يسمع فيقره .

(٤) الفعل وهو أن يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا

(٤)

أو يجتنبه فيكون العمل أو الاجتناب منه سنة لازمة ،

مالم يظهر عكس ذلك .

(١) الآية من سورة الكهف : ٢

(٢) الآية من سورة محمد : ١٩

(٣) الآية من سورة هود : ١٤

(٤) انظر : علم الحديث لابن تيمية ص ٦٤،٥٥ ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ

بيروت ، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١/٨٦، ١٩٤٠هـ ،

ط/سنة ١٣٩٥هـ ، دار احياء السنة .

ولعل هذا النوع الأخير أبلغ الأنواع الأخرى وأشملها لأنه بالقدوة العملية ، ولأن من فعل شيئا فقد أمر به وأقره ، ومن اجتنب شيئا محرما أو مكروها فقد نهى عنه كذلك وأقر مشروعية اجتنابه .

ونذكر بعض هذه النصوص لمزيد من الإيضاح لهذه المسألة التى يجب أن تكون شعار الوحدة بين المسلمين وهى : العمل بمقتضى العقيدة الإسلامية .

فعن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : "لاتزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال" وذكر منها "وعن علمه ماذا عمل فيه" (١) .

وقد استعاذ الرسول عليه الصلاة والسلام من "علم لاينفع ومن قلب لايشع ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها" (٢) .

وقد توافقت كلمات السلف والخلف فى أن وظيفة العلم : العمل ، وإذا تجرد منه فليس العلم بمحمود بالنسبة لحامله وانما هو من باب اقامة الانسان الحجة على نفسه ، ويدخل فى مفهوم الآية :

{مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا} بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين} (٣) .

(١) رواه الترمذى وقال حديث غريب لانعرفه الا من حديث الحسن بن قيس ، وهو يضعف من قبل حفظه ، كتاب صفة القيامة ٢٤١٦/٤ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء رقم ٧٣ .

(٣) الآية من سورة الجمعة : ٥

"والادلة على هذا المعنى أكثر من أن تحصى وكل ذلك
يحقق أن العلم وسيلة من الوسائل ليس مقصودا لنفسه من حيث
النظر الشرعى ، وانما هو وسيلة الى العمل ، وكل ماورد فى
فصل العلم فانما هو ثابت للعلم من جهة ما هو مكلف بالعمل
بـ" (١) .

(١) الموافقات للشاطبى ٦٥/١ .

المبحث الثالث

وظيفة العبادة فى تحقيق الوحدة

العبادة فى كل مظاهرها ومفامنها التى جاء بها الاسلام
تربية لأفراد الأمة المسلمة على الاجتماع والوحدة والتوجه
نحو الله بقلوب مفعمة بالايمان والحب والاخلاص واتفاق على
مشاعر واحدة وكأنها من قلب واحد فى جسد واحد كما تقدم فى
الحديث : "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد
الواحد... الخ" .

وفى هذا المبحث سوف أتناول العبادات المحددة وهى
الملاة والزكاة والصيام والحج ، لنرى أثرها فى هذا المجال
الحيوى الذى كانت أمتنا الاسلامية فى حاجة ملحة اليه
لتستفيد من عقيدتها وواجباتها الدينية ويكون تطبيق هذه
الواجبات والفروض فى الارتباط بين أفراد الأمة وجماعاتها
ممتدا من تطبيق الارتباط بالله تعالى وهو مايفسر الوحدة
بين العقيدة والجوانب التطبيقية والعملية .

وفيه مطالب حيث أجعل كل عبادة فى مطلب وذلك فيما

يلى :

المطلب الأول : الصلاة

الصلاة صلة بين العبد وربّه ، وهى فى واجباتها ومسئولياتها من تكبير وقراءة وركوع وسجود ودعاء بل وأذان وتكبير كلها توحيد وإخلاص ، ولهذا لا يصلى أحد عن أحد .

عن على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : "وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين . أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لأشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . اللهم أنت الملك لا اله الا أنت أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبي فاغفر لى ذنوبى جميعاً انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدهى لأحسنها الا أنت ، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت لبيك وسعديك والشرك ليس اليك أنا بك واليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك" . وإذا ركع قال : "اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خضع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى" ، وإذا رفع قال : "اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد" ، وإذا سجد قال : "اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين" ثم يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : "اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم

(١)

به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت" .

وإذا تحققت هذه الصلة بين العبد وربّه وأعطى هذا العهد من كل المصلين فقد تحققت الوحدة بينهم ، ووجهتهم صلاتهم حيث أراد ربهم سبحانه وتعالى وهو هدف واضح فى صلاة الجماعة والجمعة ، والعيدىن ، وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف فهذه الصلوات فى صورة أدائها وشروطها ومناسباتها المتكررة والمتجددة فى حياة المسلمين عامل مؤثر وتربوية هادفة فى وحدة المسلمين ، حيث كانت هذه الصلاة فرضاً على كل واحد منهم تجمعهم فرضية وتوجههم نحو رب واحد ، وفى أداء هذه الصلاة يأتئون بامام واحد ، لأفضل لأحد على أحد الا على قدر ما فى قلوبهم من تقوى ، وما كان كفاية من هذه الصلوات لا يقل

(١) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم ٢٠١ باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه .

عما كان فرضاً في توحيد المسلمين ، لأن الكفاية هذه تتوقف على جماعة ، وكل واحد من أفراد هذه الجماعة لينوب عن المجموعات الفائبة ، والنائب والمنوب عنه لا يختلفان ولا يفترقان فهما شيء واحد عقيدة وغاية ، فإذا صح أن ينوب هذا عن ذاك أو ذاك عن هذا فهذا دليل على أن هذا النوع من الصلاة جامع للجماعة الإسلامية حتى ولو غاب البعض فكيف لو اجتمع الجميع في هذه الصلاة ولم يغيب أحد من المكلفين ؟ ولا دل على هذه الوحدة من احضار من لم يجب عليه الحضور كالحائض في صلاة العيدين والاستسقاء لما في ذلك من أثر كثرة الداعين والمبتهلين لاستدراار الرحمات والبركات من رب العالمين .^(١)

والصلاة في كل ملابساتها بداية وخاتمة دعوة الى الاجتماع وتربية على المحبة والترابط بين المصلين وشد المجتمع المسلم الى اله واحد وهو الله جل جلاله بما يقال في الصلاة من ذكر ودعاء وقراءة ويفعل من الخضوع والتذلل لله ، وكل تحقيق للعبودية والاخلاص ، والثناء على الله ، فهي بناء رفع بالقيام والقراءة والركوع والسجود والدعاء لله تعالى ، فكل ركن من الصلاة لبنة من هذا البناء ، وكل تخمه محاسن تؤلف بين المصلين .^(٢)

وقد وردت آيات من كتاب الله تعالى في شأن الصلاة والدعوة اليها ودورها في اجتماع الكلمة ، ووحدة الصف ، وتساندت هذه الآيات في كل وحداتها على تربية الأمة وجمع

(١) انظر : زاد المعاد لابن القيم ٤٤١/١ .

(٢) انظر : محاسن الاسلام لمحمد بن عبد الرحمن البخاري ص ٨-١٤ ، ط ٢ بيروت .

شملها بالصلاة :

(١) الوحدة الأولى :

آيات يذكر فيها تعلق عباد الله الصالحين بالصلاة من
الأنبياء ومن تبعهم كما في دعاء الخليل {رب اجعلنى مقيم
الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء} . وما ذكر عن اسماعيل :
{وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا} ،
وبالصلاة يأمر الله موسى حين بعثه : {وأنا اخترتك فاستمع
لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى واقم الصلاة
لذكرى} .
(٣)

وعيسى عليه السلام يتكلم فى المهد عن الصلاة كقوله
(٤)
تعالى :

{وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا} .
(٥)
ويقول تعالى فى الأنبياء جميعا :

{وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة} .

(٢) الوحدة الثانية :

آيات بينت ثناء الله تعالى على المقيمين الصلاة
وغالبا ما يكون التعبير بصيغة المضارع لافادته التجدد
والاستمرار واذا عبر بصيغة اسم الفاعل فهو مشتق من المضارع
وأما التعبير بصيغة الماضى فانه فى معرض الثناء يفيد أنهم
كانوا من أهل الصلاة سابقا ومن كان كذلك يرجى أن يستمر ،
وهذه الأساليب الخيرية فى الصلاة كالتالى :

-
- (١) الآية من سورة ابراهيم : ٤٠
(٢) الآية من سورة مريم : ٥٥
(٣) الآية من سورة طه : ١٣-١٤
(٤) الآية من سورة مريم : ٣١
(٥) الآية من سورة الأنبياء : ٧٣

(١)
كقوله تعالى : {الم ذلك الكتاب لاريب فيه ، هدى
للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم

ينفقون} .
(٢)
وقوله :

{الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} .
(٣)
وقوله تعالى :
{يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين

الصلاة} .
(٤)
وقوله :

{والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة} .
(٥)
وقوله :

{الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون} .
(٦)
وقوله تعالى :

{والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لانضيق أجر

المصلحين} .
(٧)
وقوله :

{والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة} .

(٣) الوحدة الثالثة :

آيات من الكتاب العزيز وردت متضافرة بمصيغة الانشاء
أمرًا بالصلاة وإيجابًا لأقامتها كقوله تعالى :

(١)	الآية من سورة البقرة :	١-٣
(٢)	الآية من سورة المائدة :	٥٥
(٣)	الآية من سورة النساء :	١٦٢
(٤)	الآية من سورة الحج :	٣٥
(٥)	الآية من سورة المعارج :	٢٢
(٦)	الآية من سورة الاعراف :	١٧٠
(٧)	الآية من سورة الرعد :	٢٢

- (١)
 {واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين} .
 وقوله تعالى :
 {وأن اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون} .
 وقوله تعالى آمرا نساء النبى باقامة الصلاة والمؤمنات
 (٢)
 تبع لهن :
 {واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله} .
 وبتدبر هذه الآيات من القرآن الكريم وهى كثيرة نجد أن
 آيات الوحدة الاولى تشير الى أن تعلق الانبياء بالصلاة لم
 يكن منفردا بكل واحد منهم بل هم مع ذريتهم وأهلهم
 وأتباعهم المؤمنين فالصلاة عندهم جميعا رباط جامع ، وتجد
 أن آيات الوحدة الثانية تشير الى أن الثناء فى كل الميغ
 الخيرية هو ثناء على الجماعة المتألفة بالصلاة .
 وآيات الوحدة الثالثة توجه الامر التكليفى الى
 الجماعة التى توحدت بالعقيدة وتوجهت نحو رب واحد ، وقبله
 واحدة ، وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بأن يستعينوا
 (٤)
 بالصلاة مع المبر فى قوله تعالى :
 {واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على
 الخاشعين} .
 (٥)
 وقوله :
 {ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة} .
 وانها وسيلة الى الالتزام بالقول الحسن والسيره
 المحموده كقوله تعالى :

(١)	الآية من سورة البقرة :	٤٣
(٢)	الآية من سورة الانعام :	٧٢
(٣)	الآية من سورة الاحزاب :	٣٣
(٤)	الآية من سورة البقرة :	٤٥
(٥)	الآية من سورة البقرة :	١٥٣

(١)

{وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} .

فالملة أكبر عون على المبر والمثابرة كما أنها الملة التي اذا توثقت بين المؤمنين وربهم سوف تتحقق آثارها من الملة والالفة والترابط بينهم . وفي كل ماتقدم نجد الخطاب بصيغ الجمع اشارة الى أن المخاطبين كانوا وحدة بالصلاة كما كانوا بالايمان والعقيدة .

فالاذان دعوة تجلت فيها مقاصد الاسلام وروح الدين بأوجز الالفاظ وأبلغها يرفع من مكان عال بأندى صوت دعوة الى الفلاح ، وتعريفا بدين الاسلام وهو شعار وحدة خالصة بعيدة عن كل الاغراءات والأساليب الناقوسية والآلات المختلفة التي توزعت أساليب البشر وأطربتهم وألهتهم عن الله تعالى .

والاذان من دواع ضرورة الجماعة في المسجد فلا بد من وسيلة اعلامية توفق المؤمنين وتنبيه الخاملين تنويها ، بالاسلام والوحدة عليه ، والاستجابة لهذا النداء آية على الانقياد لله تعالى وتضامنا مع الجماعة المسلمة التي تنادي من فوق المنارات بعقيدتها كلمة الاخلاص !..

ولقد بلغ عمق هذه الوسيلة الاذان وأسلوبها الى أن الشيطان الذي تولى التفريق بين المسلمين وتمزيق وحدتهم في كل مظهر من مظاهر الاختلاف "اذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى يسمع التأذين فاذا قضى النداء أقبل حتى اذا ثوب بالصلاة أدبر" .

-
- (١) الآية من سورة البقرة : ٨٣
 (٢) انظر تفسير ابن كثير ١٢٠/١ ، وابن جرير الطبري ٣٩٠/١
 (٣) انظر : الأركان الأربعة للندوى ص ٥٠ .
 (٤) انظر : حجة الله البالغة للدهلوي ١٩١/١ .
 (٥) رواه البخاري في كتاب الاذان باب رقم ٤ ، ومسلم في كتاب الصلاة رقم ١٩ .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا دهمه أمر أو حدث فزع الى الصلاة وأمر بأن ينادى "الصلاة جامعة" فيفيض اليه المؤمنون ، وكانهم الى ميدان المعركة يتسابقون ، ولكنهم فى الواقع الى ميدان التدريب وهو المسجد ووسيلة القوة والوحدة "صلاة الجماعة" والاستماع لتوجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام الذى يحرس على هدايتهم وشد عزائمهم وتبصيرهم بما يوقظ القلوب ويؤلف بين النفوس .

واذا تعمقت الصلاة فى النفوس هدأت القلوب لها واستأنست بها وتراص المؤمنون فى صفها وتماقت أرواحهم استجابة لندائها والتلاحم فى مساجدها متطهرين فى طمأنينة وخشوع وتدبر لقرآنها واتباع لامامها وتساند مع جماعتها ، فاذا تعمقت بهذه الصورة فقد جاءت الصلاة بما تبشر به الآية الكريمة (١) وهى قوله تعالى :

{أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تمنعون} .

ان انصراف المصلين عن المنكر وانشغالهم عنه كسب كبير وتوفيق سديد لا يجدونها الا بالصلاة وهى شاملة لأمرين عظيمين : ترك الفواحش والمنكرات ، وذكر الله ، فالمواظبة عليها تحمل المؤمنين على ذلك . ومؤدى ذلك ثلاث خصال : الاخلاص يحمل على الأمر بالمعروف ، والخشية تحمل على النهى عن المنكر ، (٢) والقرآن فى الصلاة يأمر المصلين وينهاهم .

(١) الآية من سورة العنكبوت : ٤٥

(٢) انظر : تفسير ابن كثير عند آية العنكبوت .

وقد وردت الآثار في أن : "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعدا" وفي لفظ : فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا ، وجاء : "لا صلاة لمن لم يطع الصلاة" وطاعة الصلاة أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر" .^(١)

فاذا كان لصلاة الجماعة أثر في زيادة الحسنات فذلك دلالة على زيادة العمل ومشاركة الغير من العبيد في اظهار العبودية للواحد القهار والمحافظة على هذه الشعيرة من الشريعة لئلا تتبدل وتنسى فملا الجماعة اذن في حد ذاتها وفي مظهرها دعوة الى الاسلام ومحافظة على صورتها بالقدوة والمشاهدة والاتفاق والاجماع من المصلين على أن هذه هي الصلاة في الاسلام ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة" .^(٢)

وعن أبي بن كعب قال : "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الصبح فقال أشاهد فلان قالوا لا قال أشاهد فلان قالوا لا قال : ان هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ولو تعلمون ما فيهما لاتيتموهما ولو حبوا على الركب وان الصف الأول على مثل صف الملائكة ولو علمتم ما فضيلته لابتدروا به ، وان صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر فهو أحب الى الله تعالى" .^(٣)

وقوله : "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل

(١) هذه الآثار ذكرها ابن كثير عن من رواها ثم قال : والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم والله أعلم ٤١٥/٣ .
(٢) متفق عليه . البخاري في كتاب الاذان باب رقم ٣٠ ، ومسلم في كتاب المساجد رقم الحديث ٢٤٩ .
(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب في فضل صلاة الجماعة وقد أورد هذا الحديث الحافظ المنذري في باب الترغيب في كثرة الجماعة ، وذكر أنه رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وذكر أن يحيى بن معين جزم بصحة هذا الحديث . انظر الترغيب والترهيب ص ٢١٤-٢١٥

(١)

الذئب القاصية " .

هذا تشبيه دقيق رائع فالشيطان الذى هو ذئب الانسان حريص على الخارجين من الجماعة سواء تعبدوا منفردين ولم يقتدوا بأهل العلم والتطبيق وهم الجماعة ، أو لم يعبدوا الله فانفردوا مع من ينفردون من ذئاب الشياطين والانس . والرسول عليه الصلاة والسلام حريص على تربية الأمة وجمع كلمتها ولم شملها فى صف واحد لا يختلف فيه اثنان وهو يتخذ من الصلاة وسيلة الى هذه الغاية من الوحدة ، فكان يقول لهم "صلوا كما رأيتمونى أصلى" ، ويقول : "انما جعل الامام (٢) ليؤتم به" وهو يرى أن كل خطوة فى الصلاة يجب أن يستفيد منها المسلمون محبة ووحدة ، فعند صفوف الصلاة يقول : "سوا صفوفكم فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة " . (٤)

وروا عنه معنى هذا الحرص والتربية على وحدة الصف انطلاقا من صفوف الصلاة : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوى صفوفنا حتى كأنما يسوى بها القداح ، حتى رأى أنا قد عقلنا عنه ، ثم خرج يوما فقام حتى كاد أن يكبر فرأى رجلا باديا صدره من الصف فقال : يا عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم " . (٥)

فالصلاة المفروضة شرعت جماعة فى الاسلام ، وداوم الرسول عليه الصلاة والسلام عليها جماعة وحتى فى مرضه لم يدعها ، ولأدل على أهمية صلاة الجماعة وأهدافها من الحرص عليها مع

-
- (١) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة باب التشديد فى ترك الجماعة رقم الحديث ٥٤٧ ، وقال صاحب عون المعبود على سنن أبى داود رواه أحمد والحاكم وصححه ٢١٥/١ .
- (٢) رواه البخارى فى الاذان باب رقم ١٨ .
- (٣) رواه مسلم فى كتاب الصلاة حديث رقم ٧٧ ، والبخارى فى كتاب الاذان باب رقم ٥١ .
- (٤) متفق عليه . البخارى فى كتاب الاذان باب رقم ٧٤ ، ومسلم فى كتاب الصلاة رقم الحديث ١٢٤ .
- (٥) رواه مسلم فى كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف واقامتها ٢

جماعة وامام وان لم تستكمل الشروط كملاة الخوف والمرض ونحوهما مع استدبار القبلة والعمل الكثير ومفارقة الامام ، وجواز سقوط بعض الشروط فى الامام وفى البقعة وغير ذلك ، وجواز صلاة الجمع والعائدين والخوف والمناسك ونحو ذلك خلف الائمة الفساق وفى الامكنة المغموبة ، اذا افضى التمسك بها (١) الى ترك الجمعة والجماعة .

وهذه صلاة الجمعة مودة من صور تكوين وتربية الجماعة الاسلامية تتم فى مناسك جميلة تظهر فيه العبودية لله تعالى فى اسمى معانيها كل اسبوع على ماكان عليه المسلمون فى صلاة الجماعة كل يوم خمس مرات ...!! فقد ترقى بهم أسلوب الوحدة فى الكتاب والسنة فشرع لهم الاغتسال يوم الجمعة ولو لم يكونوا على جنابة وامرهم بالسعى الى الصلاة وترك المعاملات كلها .

{ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون} (٢) .

وامرهم بحسن السمات والانصات الى الخطيب وخطبته التى يحسن ان تتناول القضايا التى يعيشها المسلمون ويدعو الى جمع كلمة المسلمين وهم متطهرون خاشعون متطيبون ولايسون احسن الثياب لانهم فى لقاء ربهم فى بيوت اذن الله ان ترفع وفى لقاء مع بعضهم محبة وتجديدا للاخوة .. واى تعليم

(١) القواعد النورانية الفقهية لابن تيمية ص ١٠١، ٩٧ ، ط ٢ سنة ١٤٠٤هـ ، نشر مكتبة المعارف ، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى .

(٢) الآية من سورة الجمعة : ٩

وتوجيه أعظم من هذا ؟ ثم أى تركيز للوحدة ونماء للقوة أشد وأوفق من هذه المسيرة كل يوم الجمعة ؟^(١)

ولاهمية هذا اللقاء بين المسلمين فى يوم الجمعة لم يؤذن لأحد بالتخلف إلا لعذر شرعى كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : "لينتھین اقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين" وقال : "من ترك الجمعة^(٢) ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على قلبه" ومن جاء لزمه السكوت عند الخطبة لقوله : "إذا قلت أنصت والامام يخطب فقد لغوت"^(٤) .

وروى "ان يوم الجمعة سيد الايام ، وأعظمها عند الله ، وهو أعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم الفطر ، فيه خمس خصال : خلق الله فيه آدم ، واهبط الله فيه آدم الى الأرض ، وفيه توفى الله آدم ، وفيه ساعة لايسأل الله فيها العبد شيئا الا أعطاه ، مالم يسأل حراما ، وفيه تقوم الساعة مامن ملك مقرب ولاسماء ولاأرض ولارياح ولاجبال ولابحر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة"^(٥) .

يقول العلامة ابن القيم : "صلاة الجمعة من أكد فروض الاسلام ومن أعظم مجامع المسلمين وهى أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة ، ومن تركها تهاونا بها

-
- (١) انظر : زاد المعاد لابن القيم ٣٧٦-٣٧٧ .
 (٢) رواه مسلم فى كتاب الجمعة رقم الحديث ٤٠ .
 (٣) رواه أصحاب السنن قال الترمذى فى كتاب الجمعة حديث حسن رقم الحديث ٥٠٠ .
 (٤) رواه أبو داود مرفوعا فى كتاب الصلاة باب الكلام والامام يخطب . ورواه مسلم فى كتاب الجمعة ، باب فى الانصات يوم الجمعة فى الخطبة .
 (٥) رواه ابن ماجه رقم ١٠٨٤ وقال الهيثمى فى الزوائد اسناده حسن . ورواه الامام أحمد فى المسند ٤٣٠/٣ .

طبع الله على قلبه ، وقرب أهل الجنة يوم القيامة ، وسبقهم
(١)
الى الزيادة يوم المزيد بحسب قربهم من الامام يوم الجمعة " .
والاجتماع فى صلاة العيدين اوسع واشمل حيث لا تتسع لها
المساجد ولا تتوقف على من يصلى فقط بل يبرز الجميع الى
المحراء فى زينة وفرح وتكبير وتهليل حتى النساء ذات العذر
يخرجن من العواتق والحيف وذات الخدور ليكون هذا مؤتمرا
ومهرجانا يشهد الجميع دعوة المسلمين وقوة الاسلام والاحتفال
بمناسبة الوفاق والوحدة التى تحققت بصيام رمضان أو بأداء
(٢)
مناسك الحج والعمرة !..

وعن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : " اذا كان
يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا أغدو
يامعشر المسلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه
الجزيل ، لقد امرتم بقيام الليل فقمتم ، وامرتم بصيام
النهار فممتم واطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا
نادى منادى ألا ان ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى
(٣)
رحالكم فهو يوم الجائزة " .

ان صلاة الجماعة بصورة عامة بالاضافة الى تهذيبها
للمصلين أمل كبير فى تحقيق الوحدة الضرورية للانسانية
لإغائها الفوارق بين الناس ، ووضعها التقوى مقياسا واحدا
للتفاضل والتمايز .

ومن أهدافها الكبرى تحقيق التآلف والتعاون بين

(١) زاد المعاد ٣٧٦/١ .
(٢) انظر : الحجة البالغة للدهلوى ٣٠/٢-٣١ ، الأركان
الأربعة للندوى ص ٦٠-٦١ ، العبادة للقرضاوى ص ٢٢٣ .
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير وقال الهيثمى فى الزوائد
وفيه جابر الجعفى وقد وثقه سفيان الثورى ٢٠٤/٢ .

المسلمين ، وتركيز المحبة بين القلوب للاهتمام بأن المسلمين اخوة متكاتفون في السراء والضراء دون النظر الى اعتبار رتبة أو حرفة أو ثروة أو جاه أو غناء أو فقر .

وفى نفس الوقت هي نظام **ليرجى** **ونقروا** المسلمين الى الطاعة في الخير والبر والمعروف ولهذا أشار محمودة في الجماعة المؤمنة من التربية والترابط الاخوى ، ماداموا يعبدون رباً واحداً ، وفى الصلاة يقتدون بامام واحد منهم والاتفاق على الغاية والسبيل .. ولاشك أن هذا تشجيع على العبادة ومحافظة على الصلاة نفسها وتسابق في اتقانها وتمحيح ما يطرأ عليها من اساءة بسبب الغياب عن اجماعة أو الجهل بالتأسى بالعلماء والفقهاء المخلصين الذين يحرمون على اقامة الصلاة فى الجماعات ، فهؤلاء قدوة فى خشوعهم واخباتهم ويؤثرون فى الخاملين الفاترين .

وصلاة الجماعة كما أن لها أثراً فى زيادة الحسنات كذلك لها دور فى قبول عبادة الجميع والتجاوز عما حدث فيها من الخلل والتقمير فالمخلصون الخاشعون لا يشقى بهم جليسهم .^(١)

ان الصلاة تبعث على النشاط والنظام والوحدة من خلال تعود الصفوف المترامية المتلاصقة بلافرج والتي تتبع رائداً واحداً هو الامام فى كل حركتها ، لا يشذ عن نظامها الا من ناميته فى يد الشيطان يخرجها ويرفع رأسه كيفما شاء "ألا يخشى من يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار"^(٢)

(١) انظر : الأركان الأربعة للندوى ص ٥٦ ، الفقه الإسلامى وأدلته للدكتور وهبة ١٤٩/٢ .

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ١١٤ فى كتاب الصلاة .

وبإداء صلاة الجماعة فى المسجد صار للمسجد مكانة عظمت فى الاسلام ، والمسجد ليس ديرا للرهبنة ولا هو مأوى للعاطلين وانما المسجد جامعة تتسع للجميع ومفتوحة أبوابها فى الليل والنهار ولا تشترط غير الايمان والطهارة من الحدث ولا تفرق بين الصغار والكبار والنساء والرجال ، وحلقات العلم فيها تتناول كل المعارف المفيدة للانسانية والذين تصدروا فيه هم المصلون أساتذة وطلاب . والمسجد جامعة فى منهجه تربط الانسانية بخالقها وهو برلمان لا يستبد ولا يخضع لتأثير مخلوق وانما أعفأؤه {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (١) والحافظون لحدود الله} .

والمسجد مكان اجتماع يدعو المشاركين "الى التعارف فلايتناكروا ، ويتقاربون فلايتباعدوا ، ويتحابون فلايتغاضبوا ويتصافون فلايتشاحنوا" . والمسجد مكان للتربية لم تكن مبادئه مجرد فكرة فى الدماغ للاستذكار وانما هى عملية وحركة ونظام ، والمسجد منطلق الحرية لايتعلق المصلى فيه بأحد غير الله ، وهو حر فى النقد اذا أخطأ الامام يرد عليه ويرشده ، وتتجلى الاخوة فى المسجد حيث يلتقى المصلون على وحدة الغاية والوسيلة فهم صف واحد وراء امام واحد ويناجون ربا واحدا ويتلون كتابا واحدا ويستقبلون قبلة واحدة ويؤدون أعمالا واحدة من ركوع وسجود وقيام وقعود والمساواة داخل المسجد أوضح شئ فى هذه الصفوف فليس للوزراء مكان

خاص ولالغنياء دون المساكين ، فالكل فيه سواء فمن سبق له
المقدمة ومن تأخر فله المؤخرة .^(١)

ان صلاة الجماعة يُعنى بها كل اجتماع فى أى صلاة مشروعة
فى الاسلام سفرا أو حضرا سواء كانت الصلاة واجبة كالصلوات
الخمسة والجمعة ، أم غير واجبة كالتراويح ونحوها من
النوافل وصلاة الجنازة ، أو كانت الصلاة متردد حكمها بين
النوعين : اللزوم العينى أو اللزوم الجماعى كصلاة العيدين
والاستسقاء والكسوف .

وأما الصلاة المفروضة فكما عرفنا من روح تشريعها
وصورة تطبيقها وتعين أوقاتها ومداومة الرسول عليه الصلاة
والسلام عليها فى المحبة والمرض عرف من هذا أنها شرعت فى
الاسلام جماعة وتؤدى بالاعذار المشروعة فرادى وتقضى . وإذا
كانت الصلاة فى أصل ركعتين وزيدت فى الحضر وأقرت فى صلاة
الجمعة والسفر فان هذا يدل على أصل فرضية الجماعة أيضا
لقول عائشة رضى الله عنها : " الصلاة أول ما فرضت ركعتين ،
فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر " . وفى رواية : " فرض
الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر ،
فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر " .^(٢)
^(٣)

ولا يعنى فى هذا ما تناولته أهل العلم من الاختلاف
والترجيح فى كون الصلاة حقيقة فى الأصل ركعتين ثم طرات
الزيادة فى بعض الصلوات فى الحضر وهى ثلاث : العشاء والظهر
والعصر ، وزيادة فى رابعة أقل وهى : المغرب ، وبقيت صلاة

(١) انظر : العبادات للدكتور يوسف القرضاوى ص ٢١٣-٢٣٢ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب تفسير الصلاة باب رقم ٥ .

(٣) المصدر السابق فى أول باب من كتاب الصلاة .

الفجر وزيدت بتطويل القراءة مثلاً ، وصلاة الجمعة وزيدت بالخطبة ، فهذا بحث مفيد فى مصادر الفقه وشروح السنة .^(١)

ولكن الذى يعنىنى هو البحث عن جديد من فقه تلك الروايات استدلل به على وجوب الجماعة وانها هى الاصل فى الصلاة المفروضة لاحتنا نحن المسلمين فى اعادة الوحدة الاسلامية الى ماكانت عليه بعواملها ومنها الصلاة بصورتها الجماعية .

فاذا كانت صلاة الجمعة بقيت على ماكان عليه أصل فرضية الصلاة ركعتين فان وجوب الجماعة فيها وانها لاتنقد الا بالجماعة هو الاصل كذلك وهذا الاصل مقارن للاصل الذى هو ركعتين ، ويؤيد هذا أن المسلمين فى المدينة لما أقاموا صلاة الجمعة قبل مقدم النبى عليه الصلاة والسلام من كونه ركعتان جماعة انما هم يبنون على الاصلين ركعتين ووجوب الجماعة .^(٢)

واما الصلوات المفروضة الخمس فمداومة الرسول عليه الصلاة والسلام عليها بالجماعة وأمره بالاجابة لمن سمع النداء وهمم باحراق البيوت على المنافقين الذين تخلفوا عنها لولا النساء والذرية ممن لاتجب عليه الجماعة ، ومانع آخر فيما يبدو لى والله أعلم وهو أنه لا يقتل المنافقين انما تركهم على ما هم عليه فهم لا يقتلون على ترك الجماعة كما لا يقتلون على موالة غير المؤمنين والخيانة ، لانهم فى

(١) انظر : فتح البارى شرح البخارى ٤٦٤/١ ، ٥٧٠-٥٧١ ،

نيل الاوطار للشوكانى ٣٦٢/١ ، ٢٤٥-٢٥١ .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٤٣،٤٢/١ ، زاد المعاد لابن القيم ٣٧٤-٣٧٢/١ .

الحقيقة كفار وهم الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة كما هو مصرح به فى الاثر عن ابن مسعود "رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة الا منافق معلوم النفاق" كل ذلك يدل على وجوب صلاة الجماعة وتكليف المؤمنين بالاجتماع والوحدة على الحق .

وأما الصلوات الأخرى غير النوافل الراتبة فهى موضوعة أصلا بصورة جماعية كصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف والنوافل نفسها تحمد فيها الجماعة أحيانا كصلاة التراويح والتنفل مع الفضلاء من أهل الدين والعلم .

ولأدل على وجوب الجماعة وجوبا عينيا من صلاة الخوف جماعة حيث داهم العدو المسلمين وأحاط بهم بكل خطر ويقاثلهم على العقيدة والدين ، فهذه الصلاة بكل صورها التى ذكرها المفسرون .

ولو لم تكن صلاة الجماعة واجبة عينيا لأعفى منها المجاهدون ولكن الله خاطبهم بقوله :
(٣)

{واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ...} الآيتين .

يقول المفكر الإسلامى أبو الحسن الندوى :
"وقد كان للجمعة والجماعة ومحافظة المسلمين عليها فى الأمصار والاقطار فضل كبير ، فى سلامة هذا الدين وسلامة

(١) رواه مسلم فى كتاب المساجد رقم ٢٥٧ .
(٢) انظر : أحكام القرآن لابن العربى ٤٩١/١ ، ط ١ ، سنة ١٣٧٦ هـ .
(٣) الآية من سورة النساء : ١٠٢

الشريعة الإسلامية ، والأوضاع الدينية ، وبقائها على ما تركها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه وبعدها عن تحريف المحرفين وعبث العابثين ، فلو كان المسلمون - أعاذهم الله عن ذلك - تركوا الجمعة والجماعة وانفردوا بعباداتهم وصلواتهم فى بيوتهم ، وقاموا بها منفردين منعزلين ، موزعين مشتتين ، لحرفت هذه الملوات ومسخت مسخا كبيرا ، وأفقدتها أصالتها ووضعها الأول ، وتنوع المسلمون فيها ، وصاروا فيها فرقا وأقساما كما كانوا فى كثير من مظاهر حياتهم المدنية ، وآدابهم الاجتماعية وكانت للصلاة أنماط ونماذج ، محلية ، وفردية ، كما كانت لليهود والنصارى ، وكما هو معلوم وشائع فى ديانات الهند وطوائفها الدينية ، فقد كانت هذه الجماعة عاملا كبيرا من عوامل وحدة المسلمين فى العبادات وأحكام الدين من التحريف" .^(١)

(١) الأركان الأربعة ص ٦١-٦٢ .

المطلب الثانى : الزكاة

إذا كانت الصلاة على رأس العبادات البدنية التى تطهر المسلم وتجعله عبدا خالما لله تعالى ، فإن الزكاة أيضا على رأس العبادات المالية التى تطهر المال بالايمان وتؤثر فيه بركة ونماء ليكون المال يناسب صاحبه المؤمن وكلاهما لمالك حقيقى له التصرف المطلق فى ملكه ، وهو الله جل جلاله فهو الذى اعطى المال وجعله وديعة عند من أعطاه واستخلفه فيه وأمره بالتصرف فيه حسب التوجيهات الواردة فى شريعة الله تعالى سواء مايتعلق بنوعه أو بكسبه أو انفاقه أو منعه وكل ذلك يشمل "الانفاق فى سبيل الله" : إذا كان على المنهج الذى رسمه المالك الحقيقى سبحانه وتعالى والا فتصرف يعاقب عليه أى انسان .

ولأدل على أن المال لله تعالى وإنما الناس فيه عمال من أن الله تعالى ^(الذى) قسمه بنفسه بعد وفاة العبد المستخدم فيه ، فأعطى من شاء ومنع من شاء وفاوت بين المعطين وله حكم فى ذلك ، فكل أحد من المستخدمين فى الأموال يعلم فى حياته لمن هذا المال بعده كما هو بين فى علم المواريث .

الزكاة فى اللغة والاصطلاح :

أصل الزكاة الطهارة والنماء يقال زكا الزرع والمال يزكو إذا نما وزاد وكثر وزكا العمل إذا أخلص وبورك فيه وزكا الطعام إذا كان حلالا كقوله تعالى حكاية عن أهل

(١)
الكهف :

{أيها أزكى طعاما} .

وزكاة الرجل كثرة الخير فيه وتزكية القاضى الشهود
إذا بانت زيادة الخير فيهم وسمى المال المخرج من المال
البالغ النصاب بتحديد من الشرع أو المخرج من قوت الانسان
إذا كان زكاة الفطر - زكاة مع أنه نقص فى المال والقوت ،
لأنه بالبركة وبالثواب الذى يتابعه المزكى وأما كونه طهارة
فلأنه تزكية للنفس المزكية حيث تنمو وتتربى على الخيرات
والبركات وتطهيرا للمال كذلك باخراج الحقوق منه فلا يبقى
فيه مايسبب له الآفة ومحق البركة .
(٢)

(٣)
وهذه المعانى اللغوية يتناولها قوله تعالى :

{خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} .

فهم يطهرون ويبراون من العصيان والبخل وتنمو حسناتهم
وتطيب أموالهم وتزيد !..

وتزكية الانسان قد تنسب اليه لأن العبد هو المكتسب
لعلمه ، وهو المقصود بقوله تعالى :
(٤)

{قد افلح من زكاها} .

(٥)
وقوله :

{قد افلح من تزكى}

وتنسب الى الله تعالى تارة لأنه هو الموفق والهادى
(٦)

الى كل رشاد كقوله تعالى : {بل الله يزكى من يشاء} .

-
- (١) الآية من سورة الكهف : ١٩
(٢) انظر : فتح البارى لابن حجر ٢٦٢/٣ .
(٣) الآية من سورة التوبة : ١٠٣
(٤) الآية من سورة الشمس : ٩
(٥) الآية من سورة الاعلى : ١٤
(٦) الآية من سورة النساء : ٤٩

وتسند الى النبى عليه الصلاة والسلام تارة لانه هو
الواسطة المبلغ عن الله كقوله :^(١)

{خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} .
وقوله :^(٢)

{يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم} .

وأما تعريفها فى الشرع فهى اعطاء جزء من النصاب
الحولى الى فقير ونحوه غير حاشى ولا مطلبى ، ثم لها ركن
وهو الاخلاص ، وشرط هو السبب وهو ملك النصاب الحولى ، وشرط
من تجب عليه وهو : العقل والبلوغ والحرية .

واذا كان الوجوب يتعلق بالمال فقط دون النظر الى
مالكه فلا عبرة بهذه الشروط فتخرج الزكاة من مال المجنون
وغير البالغ ومن مال العبد الرقيق .^(٣)

أساليب القرآن والسنة فى تحقيق الوحدة بالزكاة :

وقد اقترنت الزكاة بالصلاة فى كتاب الله تعالى فى سبع
وعشرين موضعا وذكرت الزكاة فى ثلاثة مواضع غير مقترنة
بالصلاة كقوله :^(٤)

{واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا
اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ
فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا
يؤمنون} .

(١) الآية من سورة التوبة : ١٠٣
(٢) الآية من سورة البقرة : ١٥١
(٣) انظر : المغنى لابن قدامة ٢/٦٢٢-٦٢٤ ، بداية المجتهد
لابن رشد ١/٢٤٥-٢٤٦ .
(٤) الآية من سورة الاعراف : ١٥٦

(١)

وقوله :

{وما أتيتكم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله ، وما أتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون} .

(٢)

وقوله تعالى :

{الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون} .
وذكرت بوصف الصدقة فى تسعة مواضع السياق يدل فيها على شمول الصدقة للزكاة المفروضة وغيرها كقوله :

(٣)

{يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر} .

(٤)

وقوله :

{قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى

حليم} .

(٥)

وقوله :

{ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما

تعملون خبير} .

(٦)

وقوله :

{يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار

أثيم} .

(١)	الآية من سورة الروم :	٣٩
(٢)	الآية من سورة فصلت :	٧
(٣)	الآية من سورة البقرة :	٢٦٤
(٤)	الآية من سورة البقرة :	٢٦٣
(٥)	الآية من سورة البقرة :	٢٧١
(٦)	الآية من سورة البقرة :	٢٧٦

(١)

وقوله :

{لاخير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف

او اصلاح بين الناس} .

(٢)

وقوله :

{ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان

لم يعطوا منها اذا هم يسخطون} .

(٣)

وقوله :

{انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها

والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن

السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم} .

(٤)

وقوله :

{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات

والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم

عذاب اليم} .

(٥)

وقوله :

{خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} .

(٦)

وقوله :

{الم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ

المدقات وان الله هو التواب الرحيم} .

وأسلوب القرآن الكريم فى عرض هذه المقارنة بين الصلاة

(١)	الآية من سورة النساء	: ١١٤
(٢)	الآية من سورة التوبة	: ٥٨
(٣)	الآية من سورة التوبة	: ٦٠
(٤)	الآية من سورة التوبة	: ٧٩
(٥)	الآية من سورة التوبة	: ١٠٣
(٦)	الآية من سورة التوبة	: ١٠٤

والزكاة من وجوه وهى :

الاول : مجيء الامر بالصلاة والزكاة من صيغة الفعلين :
"اقام واتى" وهما يعبران عن منتهى الانقياد والطاعة وتحقيق
اقامة الصلاة تعبير عن كل ماتستلزمه الصلاة والاستمرار عليها
واتاء الزكاة أيضا يعبر عن كل مايشترط فى الزكاة وهو نص
على أنها صرفت الى مستحقيها كقوله تعالى :
(١)

{واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين} .
(٢)
وقوله :

{وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} .
(٣)
وقوله :

{واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} .
(٤)
وقوله :

{ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة} .
(٥)
وقوله :

{فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو
مولاكم} .
(٦)
وقوله :

{واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلمكم
ترحمون} .

(١)	الآية من سورة البقرة :	٤٣
(٢)	الآية من سورة البقرة :	٨٣
(٣)	الآية من سورة البقرة :	١١٠
(٤)	الآية من سورة النساء :	٧٧
(٥)	الآية من سورة الحج :	٧٨
(٦)	الآية من سورة النور :	٥٦

(١)

وقوله :

{وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله} .

(٢)

وقوله :

{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا

حسنا} .

فوحدة الامر ينصب أجساد المؤمنين وانقياد ارواحهم
وطمأنينة نفوسهم فى خشوع راكعين وساجدين واتباع ذلك
بأنفاق المال واستخدامه لاهدافهم فى الصلاة كل ذلك يكون من
المسلمين وحدة نفسية وعملية لاتنفصم مادامت القلوب حية
بالايمان والجوارح متحركة به ...!

الثانى : اخبار الله تعالى بأنه أوحى الى من قبلنا
بفعل الخيرات ومن جملته اقام الصلاة وايتاء الزكاة كقوله
(٣)
تعالى :

{وماأمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ،
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة} .
(٤)
وقوله :

{وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل
الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين} .
وكما أخبر عن اسماعيل وأثنى عليه بأنه يأمر بالصلاة
والزكاة {وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه
(٥)
مرضيا} .

-
- (١) الآية من سورة الاحزاب : ٣٣
(٢) الآية من سورة المزمل : ٢٠
(٣) الآية من سورة البينة : ٥
(٤) الآية من سورة الانبياء : ٧٣
(٥) الآية من سورة مريم : ٥٥

وحكى عن عيسى عليه السلام تمسكه بما أوحاه اليه
وأوصاه به وهو الصلاة والزكاة {وجعلنى مباركا أينما كنت
(١)
وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمتم حيا} .

الثالث : فى معرض الثناء على المؤمنين ووصفهم
بالوفاء بالعهود وأن لهم أجرا عظيما عند الله وأنهم هم
المهتدون وأنه لا يحول شئ بينهم من عوارض الدنيا والفرقة
وبين الدرجات السامقة وهى ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء
(٢)
الزكاة كقوله تعالى :

{ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام
الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا} .
(٣)
وقوله :

{لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما
انزل اليك وما نزل من قبلك والمقيمین الصلاة والمؤتون
الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا
عظيما} .
(٤)
وقوله :

{انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} .

(١) الآية من سورة مريم : ٣١
(٢) الآية من سورة البقرة : ١٧٧
(٣) الآية من سورة النساء : ١٦٢
(٤) الآية من سورة المائدة : ٥٥

(١)

وقوله :

{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله} .

(٢)

وقوله :

{والذين هم للزكاة فاعلون} .

(٣)

وقوله :

{رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار} .

(٤)

وقوله :

{الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم

يوقنون} .

(٥)

وقوله :

{الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم

يوقنون} .

الرابع : الشرط فى البراءة من الشرك وقبول التوبة

منه وحرمة الدم وأشباه الأخوة والانضمام الى الوحدة الاسلامية

(٦)

كقوله تعالى :

{ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني

عشر نقيباً وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وأتيتم

(١) الآية من سورة التوبة : ٧١

(٢) الآية من سورة المؤمنون : ٤

(٣) الآية من سورة النور : ٣٧

(٤) الآية من سورة النمل : ٣

(٥) الآية من سورة لقمان : ٤

(٦) الآية من سورة المائدة : ١٢

الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا
لا كفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار} .
(١)
وقوله تعالى :

{فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرمد فان تابوا
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
رحيم} .
(٢)
وقوله تعالى :

{فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى
الدين} .
(٣)
وقوله :

{انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله} .
الخامس : فى معرض الاعفاء عن تقديم الصدقة بين نجوى
الرسول عليه الصلاة والسلام فكان الاستمرار على اقامة الصلاة
وايتاء الزكاة طاعة لله ولرسوله يقوم مقام الحكم المنسوخ
(٤)
يقول الله تعالى :

{أشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم
تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
وأطيعوا الله ورسوله} .

السادس : اقامة الصلاة وايتاء الزكاة من أسباب

-
- (١) الآية من سورة التوبة : ٥
(٢) الآية من سورة التوبة : ١١
(٣) الآية من سورة التوبة : ١٨
(٤) الآية من سورة المجادلة : ١٣

التمكين فى الأرض والانتصار على العدو وهما : الخلفية والميراث الذى اذا تمسك به المتمكنون فى الأرض سوف تبقى قوتهم وتتعاقد وحدتهم فلا يقوى عدو على ازالته كقوله تعالى (١)
{الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} .

والاقتران بين الزكاة والصلاة فى السنة وردت به أحاديث صحاح فى أبواب الايمان والاسلام كقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان" (٢) .

وتكون المقارنة فى السنة أيضا بين الصلاة والزكاة خاصة كما روى : "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة قال : ماله ماله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرب ماله ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتعمل الرحم" (٣) .

والعلاقة هذه من البواعث التى حملت الصحابة على قتال مانعى الزكاة لأنهم يفهمون وحدة كاملة بين العقيدة والشريعة وبين كل ماجاء فى الاسلام كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عنها كانوا يؤذونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها" (٤) .

(١) الآية من سورة الحج : ٤١
(٢) متفق عليه . رواه الشيخان كلاهما فى كتاب الايمان .
(٣) رواه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة رقم ١
(٤) نفس المصدر السابق .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الاصناف الذين يجب أن تصرف لهم الزكاة وهم نصف المجتمع وهم : المعدمون والعاطلون والضعفاء بل وحتى هذه العناية والتكافل يشمل الاغنياء حينما تنزل بهم النوازل كالغنى المسافر وهو ابن السبيل منقطع أو المدين أو المجاهد فالرعاية شاملة للجميع والنصف الآخر هم الاغنياء الاقوياء وعليهم مسئولية سد الحاجة للنصف الآخر هذا فى مجتمعهم الاسلامى الذى يجب أن يتماسك ويتعاون ويتعاضد مادامت السنة الجميع رطبة بكلمة التوحيد وقلوبهم حية بالايمان والعمل الصالح وهم فى صف الصلاة جدار واحد يستقيم استقامة واحدة ويميل الى السجود ميله واحدة لاله واحد ، فخليق بهذه الوحدة الرميثة أن تتشاطر المال ويهتم الغنى فيها بالفقير والقوى بالمسكين والضعيف ، والمطمئن والمجتمع عليه شمله بالرقيق والمدين والمجاهد والمسافر الغريب والمستخدم بالخادم والعامل والمتمكن المتفقه الواعى للفوارق بين الدنيا والآخرة بالجاهل الذى لايفقه شيئا عن الدين ليألفه ويرغب فيه .

واذا كان افراد المجتمع المسلم وفئاته فى كل بيئاته وأوصافه على هذه الصورة من التلاحم والتراحم سوف لا تتصدع هذه الوحدة ولا يجد إليها الانفكاك طريقا ولا يحتاج ضعفاؤها الى كفالة خاصة من الدولة ولا من محسن معين لأن كل واحد من أفراد المسلمين يؤدى الحق الذى عليه ويحرص على نموه لانقماه ومن له حق لا يريد زيادة فى حقه ولكن الى المسامحة والتجاوز اقرب وأنشط .

ولذلك كان توجيه النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن

جبل رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن فقال :
 " ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ،
 فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس
 صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن
 الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد
 على فقرائهم " (١) .

ونظام الزكاة فى الاسلام ألغى الاحتكار بكل أنواعه لأن
 مصارف الزكاة هم فى الحقيقة كل المحتاجين فى المجتمع
 المسلم فاذا صرف صرف لهم هذا الحق فى الأموال وهو الزكاة
 فلا كنز ولا احتكار ، وصرفه بموجب الرضا والايمان واسعاد
 الاخوان وسد خللتهم دلالة على الرحمة المتبادلة بين أفراد
 الأمة .

وقد كانت الطبقات الدينية فى الأديان والطبقات
 الاجتماعية فى الأمم تحتكر المدقات فلاتمل الى المستحقين
 الذين كانت حقوقهم مضمومة بحيلولة بعض العائلات الدينية
 والطبقية الاجتماعية التى تستند على أوهام كاذبة بين
 الأغنياء وأصحاب الحاجة كما هي حالة الرهبان والأخبار رجال
 الكنيسة والبراهمة عند الهنود ونشأت بهذا طبقة محترفة هذا
 الاحتكار لحقوق الفقراء وأثرت فى الأغنياء لتكون بينهم وبين
 الفقراء وسائل ووسائل بواسطتها تمل الحقوق الى أصحابها
 وهذا تلمص ومكر وخداع ، ومن المؤسف أن تنشأ فى المجتمع
 المسلم طبقات مثل هذه مترهلة وعاطلة تعيش على الكفاف
 والمدقات وتتعالى وتترفعه على حساب الزكاة ونحوها من

(١) رواه البخارى فى كتاب الزكاة باب ٦٣ .

الصدقات التى جعلها الله لأصناف فى الأمة يجب القيام بالتكافل بهم ليكونوا أغنياء ويساعدوا ولا يذلهم الفقر وتستعبدهم الحاجة . وربما كان تحريم الصدقة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وهم ممن هم فى المكانة الدينية والاجتماعية فى الاسلام . عامل كبير فى محاربة الاسلام لهذا الاحتكار الدينى والطبقى عند الآخرين والله أعلم .^(١)

كما روى أن الحسن بن على أخذ من ثمرة الصدقة ثمرة فجعلها فى فيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "كخ كخ ليطرحها ثم قال : أما شعرت أنا لأنأكل الصدقة " .^(٢)

وللزكاة سمات جليلة تفرق بينها وبين الجبايات القانونية وخلصتها فى أمرين :

(١) الدافع الى اخراج الزكاة ومرفها لمستحقيها هو الايمان والاحتساب وتقوى الله والاخلاص والتواضع وهى أمور تتجرد منه الجبايات القانونية والتى كان طابعها المقت والسامة والسخط سواء فى ذلك أسلوب أخذها أو انفاقها فهى عامل يغرس الحقد والكراهية فى نفوس المعتدى على أموالهم نحو السادة المتسلطين الذين تحملهم القوة والاستبداد على غصب أموال الآخرين لأهوائهم ولا يفرقون فى ذلك بين غنى وفقير ، بل ان الفقير أسوأ معاملة لضعفه .

وأما الزكاة فقد اقترنت بكل الفضائل فى الكتاب والسنة والتى لها نتائج محمودة فى الدنيا والآخرة كما مر

(١) انظر : الأركان الأربعة لأبى الحسن الندوى ص ١٤٦-١٤٩ .

(٢) رواه البخارى كتاب الزكاة باب رقم ٦٠ .

فى الآيات التى ذكرت فيها الزكاة هى تتضمن التبشير والترغيب بالخير لمخرجى الزكاة الذين يرحمون ذوى الحاجات ويساعدون الضعفاء ، وتتضمن أيضا الانذار والترهيب من التقصير فى أدائها كقوله تعالى :^(١)

{والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون} .

(٢) الزكاة تؤخذ من الأغنياء وترد على فقرائهم وكلما كان الفقير أقرب الى الغنى رحما كانت الصدقة أكمل وأكثر ثوابا .

ومعنى هذا أن الزكاة تأليف ورباط بين الأفراد الذين قد يفرق بينهم وضعهم الاجتماعى كالغنى والفقير ويحدث الخلاف بينهم بسبب التفاوت بينهم .

وأما الجبايات والاتاوات القانونية فى القوانين الوضعية والتشريعات البشرية فتؤخذ من الغنى ومن الفقير وقد يفتيق على الفقير أكثر لأنه لا قدرة له بالدفاع عن نفسه وترد على أهواء السلطة الجابية وهى من طبقات الأغنياء فيكون المقصود عكس الحكمة فى الزكاة . فهى اذن : تؤخذ من الفقراء وترد على أغنيائهم وهذه صورة معاكسة لحكمة الله فى الزكاة وبذلك تكون الجبايات القانونية عاملا مباشرا لتوسيع الفرقة وتنمية العداوة بين الناس بصورة عامة وبين

(١) الآية من سورة التوبة : ٣٤-٣٥

الفقراء والأغنياء بصورة خاصة وبين العامة والسلطة بصورة
أخص .

والجبايات القانونية وان أخذت بحق فهي لا تصرف بحق ،
وقمارى القول أن أصل وضعها القانونى هو قهر القوى للضعيف
وأما الزكاة فهي رحمة القوى للضعيف والنهوض به ليكون فى
(١)
مستواه ...!!

(١) انظر : الأركان الأربعة لأبى الحسن الندوى ص ١٢٠-١٢١ .

المطلب الثالث : الصوم

الصوم فى اللغة : الامساك عن الشئ كالكلام كقوله
(١)
تعالى حكاية عن مريم عليها السلام :

{انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا} .

والمعنى أنها صامتة وساكطة .

(٢)

وكقول النابغة الذبياني :

خيل صيام وخيل غير صائمة

تحت العجاج وأخرى تعلق اللجما

والمعنى أنها قائمة على غير علف وممسكة عن الاعتلاف أو

عن السير .

وأما الصوم فى الاصطلاح الشرعى فقد ذكر الفقهاء أنه

امساك من طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس عن الاكل

والشرب والنكاح وهو اذن امساك خاص فى زمن مخصوص بالنية

(٣)

عن كل ما يفطر ماديا ومعنويا .

وقصارى القول أنه "فى الشريعة عبارة عن الامساك عن

الشهوتين شهوة البطن والفرج اذ هما اصل كل شهوة وماسواهما

يدعو اليهما أو ينشأ منهما أو يرجع اليهما فاذا أمسك

(٤)

العبد لله تعالى عن هاتين الشهوتين حمد على ذلك وأجر" .

(١) الآية من سورة مريم : ٢٦

وانظر : لسان العرب مادة (صوم) .

(٢) البيت فى ديوانه والنابغة شاعر جاهلى معروف .

انظر ترجمته فى : مختار الاغانى لابن منظور .

(٣) انظر : عمدة القارئ فى شرح البخارى للعينى ٤٠٣/٩ .

(٤) انظر : محاسن الاسلام وشرائع الاسلام لمحمد بن عبد

الرحمن البخارى ص ١٩ ، ط ٢ دار الكتاب العربى .

وبما أن الصوم تربية واعداد للانسان ليكون مسلما قويا نظيفا متزنا في أخلاقه ومعاملته ومخلما في عبادته فان هناك مفطرات معنوية تلحق بما ذكر ليكون الصوم كاملا كالغيبة والنميمة والكذب وكل مالحق بهذه الأمور ويكون في حكمها كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" ^(١) .

ويقول ابن القيم رحمه الله مبينا المقصود بالصوم في الكتاب والسنة : "لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المألوفات ، وتعديل قوتها الشهوانية لتسعد بطلب ما فيها غاية سعادتها ونعيمها ، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الابدية ، وبكسر الجوع والظمأ من حدثها وسورتها ، ويذكرها بحال الاكباد الجائعة من المساكين ، وتضييق مجارى الشيطان من العبد بتضييق مجارى الطعام والشراب ، وتحبس قوى الاعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها ، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه ، وتلجم بلجامه ، فهو لجام المتقين ، وجنة المحاربين ، ورياضة الابرار والمقربين" .

ويقول :

"وهو لرب العالمين من بين سائر الاعمال ، فان المائم لا يفعل شيئا ، وانما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده ، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها ايثارا لمحبة الله ومرضاته ، وهو سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه سواه ،

(١) رواه البخارى في كتاب الصيام باب رقم ٨ .

والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة ،
وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ، فهو
امر لا يطلع عليه بشر ، وذلك حقيقة الصوم ^(١) .

هذه أهم المثل العليا فى الصوم والاهداف المقصودة به
واذا كان كل واحد من الأمة اذا بلغ سن التكليف يدخل فى هذا
الاعداد ويربى بهذه التربية التى تجمع بين اصلاح الروح
والجسد ، فسوف نجد الأمة الاسلامية أفرادا منقادين للاخوة
الايمانية والتعاون البناء ، والترابط المثمر كل واحد يكمل
الآخر ويتساند معه لأن المخبر والمظهر واحد بل العمل
والسلوك والشعور والانقياد واحد أيضا .

(٢)

فالجميع فرض عليه الصيام كما قال تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على

الذين من قبلكم لعلكم تتقون} .

فالآثر العملى لهذا يقود الأمة بشعار واحد وهو التقوى
ويمهرها فى جسد واحد ونفس واحدة لاتعرف الاختلاف ولا تدع
الفرقة والتمزق تدب فى وحدتها ، فهى أمة قد انتصرت على
شهوة الغرائز وفرضت ارادتها على مالا بد منه من لذائذ
الطيبات التى فطرت على ألا تستغنى عنها ، فكيف بشهوة
الاختلاف التى فرضت نفسها على الفطرة والنفوس تمجها والعقل
السليم يرفضها لأنها داخلية طارئة بلا برهان ولا شاهد لها من
الفطرة ولا مرغب يفيدها وإنما هذه الشهوة طارىء يزرع الاختلاف
والتناحر والتوزع لئلا يكون للحق مولة وجولة .
(٣)

(١) زاد المعاد لابن القيم ٨٩٠، ٢٨/٢ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ١٨٣

(٣) انظر : هكذا نصوم لتوفيق سبع ص ١٦٨-١٧٠ .

ومما يبدو مناسباً أعداد الأمة بالجهاد النفسى ليفرض عليها الجهاد فى سبيل الله وقد فرض الصوم قبل الجهاد فى سبيل الله فى سنة واحدة وما أحوج الأمة أن تتسلح بالتقوى وهى شمار جهاد النفس قبل لقاءها مع العدو ، وليس هناك شهر أولى بهذه الفضيلة من الشهر الذى أنزل فيه القرآن وهو الكتاب الذى أنشأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة ورباها ووحدتها فألف بين قلوبها .

الأمة التى فرض عليها الجهاد جديرة بأن يفرض عليها الصوم وهو جهاد النفس ، لأن هذه الأمة ربيت لأشبات منهج الله فى الأرض لتكون شاهدة على الأمم ، الصوم قوة لهذه الإرادة وانقياد لله سبحانه وتعالى ، واستعلاء على المادية الجسدية التى تهتف بالإنسان فى كل مجال وتضع العراقيل فى طريقه بذه المغريات من الشهوات ، فإذا التقوى تستيقظ فى القلوب بطاعة الله تعالى ، والتقوى خير حارس للنفس المؤمنة ولهذا التطلع إليها دائماً ومشرقاً {لعلكم تتقون} ومن الشكر لله تعالى صيام هذا الشهر الذى نزل فيه القرآن الكريم وهو الكتاب الذى نشأت الأمة على نوره فأمنها من الخوف لغير الله ومكنها فى الأرض وأخرجها من الظلمات إلى النور ولولا
(١)
هذا الكتاب لما كانت شيئاً يذكر .

إن الألم الذى يشعر به الغنى المائم لاشك أن له تأثيراً فى شعوره بالوحدة مع أخيه الفقير ولاتنشأ الرحمة إلا حينما يوجد الألم ، ولاتكون الرحمة فى غمرة الرفاهية والذائذ ، وإذا تفجرت الرحمة وشعر بها الراحم والمرحوم سوف يختفى

(١) انظر : ظلال القرآن لسيد قطب ١٦٧/١-١٦٨، ١٧١ .

الحقد الذميم والقسوة اللثيمة لأن التقوى التى هى ثمرة الميام وغايته هى التى تغمر القلوب وتؤلف بين المشاعر ووحدت الينابيع للرحمة والاخاء والتعاطف وقد جاء الايثار فى أجمل صورة من صورهِ حيث كان المائم يمسك ليحرم نفسه من الطيبات وفى نفس الوقت سعى يعطى غيره .^(١)

"ان هذه الوحدة التى ينشئها الصوم وحدة مبدأ لأنها ثمرة عبادة جادة ورياضة شاقة .. ووحدة ضمير لأنها تنبع من أعماق الوجدان ، ومن صميم النفس الانسانية .. وحدة مصير لأنها تقود الأمة كلها الى مصير واحد تنتهى اليه وتمب فيه الا وهو التقوى التى جعلها الله ثمرة الصيام ، ووحدة شعور لأنها تجمع مشاعر الأمة واحساسها على هدف واحد وتضعها على طريق واحد ، ووحدة عقيدة لأنها تنبع عن ايمان ويقين وتترعرع فى جو التقوى والعبادة ، وهى فى مظهرها الرائع تعطى الشكل الاجتماعى الموحد الذى يتساوى فيه أبناء الأمة فى الظما والجوع والعبادة ، نهار صائم ، وليل قائم" .^(٢)

والصوم عامل فعال فى ايجاد الوحدة منسقة بين المسلمين ، وائتلاف نمطهم ونغمهم العملى فى هذا الشهر المبارك ، وتربيتهم على بقاء آثار الصيام فى بقية الشهور فكل المسلمين صائم لربه وتائب من ذنبه وداع الله أن يرحمه ويغفر له ذنبه وزلاته ويعتقه من النار والامساك عن الطعام والشراب ونحوهما فى وقت واحد لايتفاوتون فيه وافتارهم كذلك فهم متساوون فى الجوع والحرمان كما يتحدون فى كل

(١) انظر : هكذا نصوم لتوفيق محمد سبع ص ١٦٤-١٦٧ .

(٢) هكذا نصوم لتوفيق محمد سبع ص ١٦٣ .

مايزاولون من العبادات فى رمضان كقراءة القرشن ، والقيام والجود بالصدقة أكثر ، فكل الحياة فى هذا الشهر المبارك تجمعهم فى أداء واحد وترك موحد ، فجاءت الوحدة بين المائمين وحدة فى الشعور والضمير والعمل والهدف والمصير" .

فهذه أسمى وأبلغ من الوحدة الكلامية والنظرية والشعارات والكلمات .
فالصوم هو الشعار لوحدتنا الحقيقية وتآلفنا المتماسك ولاميزة لأحد فيه على آخر .

فالصوم لم يكن مجرد عبادة روحية ولا مجرد تجربة إنسانية يعطف فيها الغنى على الفقير فحسب ، ولكنه فى الواقع توجه شامل للأمم فى مناسبة معينة فى العام تتشابه فيها النفوس وتتسامى الأرواح فتنمره فى بوتقة واحدة ومظهر جماعى واحد تتآلف فيه القلوب وتتحد فيه المشاعر وتسمو على كل الشهوات بل وحتى على الطيبات فتتجه الأمة بأكملها نحو خالق واحد فى نهار بالامساك عن ملذات الحياة والميام فى صمت نبيل وفى الليل بالقيام وقراءة القرآن والانفاق فى سبيل الله !..

إنها وحدة تنبع أساسا من الضمير الصادق ولا تختلف فى تجديد المستقبل والمصير ، وقد انبعثت من الباطن لتجنى الأمة إشارها فى الظاهر تحقيقا لقوله تعالى :
(١)
{إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون} .

(١)

ولابد لنا هنا من وقفة عند قوله تعالى :

{فمن شهد منكم الشهر فليصمه} .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "صوموا لرؤيته

(٢)

وافطروا لرؤيته" .

فهل الخطاب فى الآية والحديث موجه الى كل فرد من الامة

ليصوم اذا رأى الهلال ؟ وليست الرؤية فرضا عينيا .

ولأن هناك من لم تأت منه الرؤية كالاعمى والنائم

والعاجز عن الرؤية بسبب من الاسباب ، وان كان عليهم الصيام

وبدليل فعل النبى صلى الله عليه وسلم حيث اكتفى برؤية شخص

(٣)

واحد كما فى حديث ابن عباس ، قال جاء أعرابى الى النبى

صلى الله عليه وسلم فقال : انى رأيت الهلال قال : أتشهد أن

لااله الا الله أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم . قال

(٤)

يابلال أذن فى الناس أن يصوموا غدا .

(٥)

وكما أمر بالافطار بشهادة شخصين كما روى ربيع بن حراش

عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : اختلف

الناس فى آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند النبى

صلى الله عليه وسلم بالله لأهل الهلال أمس عشية فأمر

(١) الآية من سورة البقرة : ١٨٥

(٢) رواه البخارى فى كتاب الصيام باب رقم ١١ .

(٣) عبد الله ابن عم النبى العباس رضى الله عنهما ، توفى بالطائف سنة ٦٨هـ .

انظر ترجمته فى : الاصابة ٧٧٢/٦هـ .

(٤) رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال : حديث ابن عباس فيه اختلاف (والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم) سنن الترمذى ، كتاب الصيام ، باب ماجاء فى الصوم بالشهادة .

(٥) ربيع بن حراش بن جحش العبسى الكوفى من التابعين ثقة من خيار الناس مات سنة ١٠٤هـ .

انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب لابن حجر ٥٨/٣هـ .

(١)

رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يفطروا .
 فإذا لم يكن المقصود بالرؤية في الحديث والشهود في
 الآية ايجاب الرؤية على كل فرد مسلم ليصوم فكذلك لم يكن
 المقصود بالخطاب أفراد البلدان والقرى حتى يقال : ان كل
 بلد له رؤيته وانما المقصود في النمين هو أن رؤية الهلال
 اذا تحققت من بعض المسلمين صام المسلمون أو أفطروا وأن
 الخطاب شامل وجامع للأمة في أى مكان .

(٢)

وأما مارواه كريب مولى ابن عباس رضى الله عنهما أن
 أم الفضل بعثته الى معاوية بالشام قال فقدمت الشام فقضيت
 حاجتها ، واستهل على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة
 الجمعة ، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر ، فسألني عبد الله
 ابن عباس ، ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت
 رأيناه ليلة الجمعة فقال : أنت رأيته ؟ فقلت : نعم ، ورآه
 الناس وصاموا ، وصام معاوية فقال : لكنا رأيناه ليلة
 السبت ، فلانزال نموم حتى نكمل ثلاثين أو نراه ، فقلت :
 اولاتكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شك أحد رواته في نكتفى ،

-
- (١) رواه أبو داود في كتاب الصوم باب شهادة رجلين على
 رؤية هلال شوال وقال الهيثمي رواه البزار . ورجاله
 رجال الصحيح الا أن البزار قال الصواب أنه مرسل .
 مجمع الزوائد ١٥٠/٣ .
- (٢) هو كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولاهم أبو رشدين ، أدرك
 عثمان وروى عن مولا ابن عباس وأمه أم الفضل ثقة من
 التابعين الأجلاء توفي بالمدينة سنة ٩٨هـ .
 انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب ٤٣٣/٨ ، ط/١ .
- (٣) أم الفضل بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبي
 صلى الله عليه وسلم وهي زوج العباس ، وأم عبد الله ،
 اسمها لبابة أسلمت قبل الهجرة وقيل انها ثانی امرأة
 اسلاما بعد خديجة ، توفيت في خلافة عثمان .
 انظر : الاصابة ٤٦١/٤ .

(١) أو تكتفى" .

ولابد من وقفة عند هذا الحديث ونحن فى صدد بيان وحدة الأمة بهذه العوامل لأن الاختلاف والتوزع المشتت الأمة انما يدخل من هذه الشفرات التى لاتعدو أن تكون مجرد رأى أو اجتهاد لمحابى أو تابعى أو امام من الائمة .

والحجة فيما يرويه المحابة رضوان الله عليهم لافى غيره من اجتهاد أو رأى وما يرويه المحابة فى هذا هو "لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين" (٢) .

وهو نص لا يدل على أن كل بلد يتقيد برؤيته وانما يدل على أن الهلال اذا رآه بعض المسلمين ممن تقبل شهادته "بنصوص أخرى" فعلى المسلمين الصيام أو الافطار اذا بلغهم الخبر ، ومما لاشك فيه عند أهل العلم جميعا أن الأدلة الشرعية تقضى بالعمل بخبر البعض وشهادته فى جميع الأحكام الشرعية والرؤية من جملتها دون الالتفات الى تباعد الاقطار وتقاربها واختلاف المطالع ونحو ذلك ، وخبر كريب هذا ليس بحجة ولا ترك عمل أهل المدينة بعمل أهل الشام والعكس كل ذلك لم يكن من الأدلة التى تقاوم نصوص النبى صلى الله عليه وسلم .

ويحتمل أن ابن عباس رضى الله عنهما يرى رأيه هذا لأن أهل المدينة لم يبلغهم فى بداية الشهر أن أهل الشام رأوه وهو أمر يكون عذرا لعدم الوسائل التى تنقل الخبر فى يوم

(١) رواه مسلم فى كتاب الصيام رقم الحديث ٢٨ .
(٢) متفق عليه ، البخارى فى كتاب الصيام باب رقم ١١ ،
ومسلم فى كتاب الصيام رقم الحديث ٣ .

واحد بين الشام والحجاز وغيرهما ، ربما يكون هذا هو السبب فى فتوى البعض فى أن لكل بلد رؤيته اذا لم يعلموا برؤية بلد آخر سواء كان قريبا أو بعيدا ، والذي عليه جمهور العلماء والفقهاء هو أن الهلال اذا روى فى بلد لزم جميع أهل البلاد الصوم أو الفطر ان كان هلال العيد ، وانما اهتمام العلماء فى هذا فى الشاهدين ، وهل يكتفى بشاهد واحد أم لابد من اثنين ؟ وهل تعتبر شهادة غير الحرين من امرأة أو أرقاء ..؟^(١)

ومع هذا فان وحدة المسلمين تتمثل فى استقبالهم شهر رمضان وصيامه بمشاعر موحدة وصيام نهاره وافتار ليله وقيامه ، فالوحدة حاصلة ولو لم تتفق الرؤية فى البلاد الاسلامية ولكن الذى يهدد وحدة المسلمين ويشتت جمعهم ويمنفهم أمما هو أمران واقعيان فى الأمة اليوم :

الأول : الغاء الشعائر التعبدية فى بعض البلاد الاسلامية كرمضان بمعنى أنه لا وزن لقدمه ولا فرق بين هذا المجتمع المنتمى الى الاسلام حينما يستهل عليه الشهر الكريم وله تأثير فى حياة الشعوب الاسلامية وتأثيره فى قانون العمل ، والبعض لا تأثير لهذا الشهر فى سير حياتهم وكأنه لم يهل عليهم ، وان كان من بين هذه الشعوب أفراد كثيرون وجماعات تصوم ، ولكن الأمر الذى نريده هو أن يشعر الجميع بأهمية هذا الركن وتأثيره فى الاخلاق والأرواح لتظهر الوحدة الجماعية سياسيا وأدبيا واجتماعيا .

(١) انظر : نيل الاوطار للشوكانى ٢٦٨-٢٦٩ ، ط/دار الفكر
طرح التشريب فى شرح التقريب لزين الدين أبى الفضل
١١٧-١٠٥/٣ .

الشانى : الاختلاف فى الرؤية صوما وافطارا يمزق الامة
تمزيقا شديدا وهو الاختلاف الذى رأيتـه فى بعض البلاد
الافريقية مع قدم هذه الشعوب فى الاسلام ، هذا الاختلاف بلغ
ذروته واشمر فى فرقته حينما وجدنا بعض هذه البلاد فى مدينة
واحدة يختلف المسلمون فيها الى حد أنى رأيت مدينة واحدة
اقيم فيها ثلاثة اعياد لاختلاف الرؤية ، فاذا كان هذا فى
مدينة واحدة ، ففى المدن المتباعدة حدث ولا حرج .

المطلب الرابع : الحج

الحج بفتح الحاء مصدر ، وبكسرهما اسم وقيل لافرق بين الوجهين ، ويراد بالحج فى الاصطلاح الشرعى قصد بيت الله الحرام والمشاعر كعرفة ومنى ومزدلفة وقد أطلق على يوم النحر ويوم عرفة يوم الحج الأكبر كقوله تعالى :^(١)

{وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر} .
والحج اقامة للنسك فى زمن مخصوص وهو أشهر الحج ، ومن المادة الحجة وهى الدلالة المبينة المقصد المستقيم الدال على صحة أحد النقيضين كقوله تعالى :^(٢)

{قل لله الحجة البالغة} .
(٣)
وقوله :

{وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه} .
ومنه المحاجة وهى طلب كل واحد من فريقين أن يحتاج الآخر ويرده عن محجته كقوله تعالى :^(٤)

{قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم} .
(٥)
وقوله :

{أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم} .

(٦)
فالحجة والمحاجة كل واحدة تنطوى على هدف مقمود .

-
- (١) الآية من سورة التوبة : ٣
(٢) الآية من سورة الانعام : ١٤٩
(٣) السابقة : ٨٣
(٤) الآية من سورة البقرة : ١٣٩
(٥) السابقة : ٧٦
(٦) انظر : المفردات للراغب ص ١٠٧-١٠٨ ، لسان العرب ، مادة (حج) .

"فأول المحاسن أن سمي هذه العبادة حجا . والحج هو القصد ، والقصد والنية يوصلان المرء الى الأمنية . فالنية أشرف الأعمال إذ هو عمل بأفضل الأعضاء وهو القلب . فالقلب خزانة كيمياء النية إذ بها يميز كثير من العبادة عبادة فلما كانت هذه العبادة أشق العبادات وأقوى الطاعات سمي بأشرف العبادات . فلا يليق بهذه العبادة إلا هذا الاسم على شرف المسمى فالحج أنموذج المحشر إذا حشروا فى العرصات حفاة عراة بهما فكذا فى الحج جمعوا فى عرفات حفاة عراة بهما زابلوا دعة الزينة والانس بالاهل والولد والسكينة كما أن أشرف حالات المرء أن يكون مؤمنا فى العرصات فكذا أشرف احواله أن يكون محرما فى عرفات" .^(١)

وإذا أمعنا النظر ودققنا التفكير وتدبرنا فى مقاصد وضع البيت فى الأرض مثابة للناس ثم تشريع هذا الركن (الحج) نجد أن من أسمى الأهداف فى هذا توحيد البشرية على منهج العبادة وهو التطبيق للعقيدة ، فالناس قد توزعتهم الأوثان

وصنفتهم النظريات الشركية ، وهيأت كل نظرية من يؤمن بها عدوا لدودا يجار فى وجه الآخر ، بينما دين الله واحد ، والبشر جميعا أسرة واحدة وكلهم موصوف عند ميلاده بالفطرة وبأن الله خلقهم حنفاء كما فى الحديث "... وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ... الحديث" .^(٢)

فاذا ربنا سبحانه وتعالى يحدد مكان هذا البيت الشريف

(١) محاسن الاسلام وشرائع الاسلام لأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخارى ص ٢٧-٢٨ ، ط/٢ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الجنة باب ١٦ .

لابراهيم الخليل عليه السلام ويبين له المقصد فى وضع البيت للناس وهو أن يجتمعوا على العقيدة ويتلاقوا متآلفين متحدين موحدين فى طوافهم وقيامهم وركوعهم وسجودهم لله تعالى فلاشرك ولاأوثان ولاأحزاب وانماهم عباد الله تعالى وهو رب واحد ، وقبلتهم واحدة ومنهجهم واحد وأمر الله تعالى الخليل أن يرفع صوته بذلك مؤذنا وداعيا حتى من فى العدم (١) وعلى الله أن يسمع الجميع .

فهذه الحقيقة - حقيقة الوحدة الاسلامية - فى أرفع أسلوب وأتقن منهج ، وقد جاءت على غرار الميثاق الذى أخذه (٢) الله على بنى آدم وهم فى ظهره قال تعالى :

{واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ، ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢١٦/٣ .

(٢) الآية من سورة الحج : ٢٦-٣٤

البيت العتيق ، ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المختبين } .

ولقد بينة الله فى هذه الآيات الفوائد التى يجنيها الناس لاستجابة نداء هذه الوحدة اجمالا فى هذا التعليل الشامل وصيغة منتهى الجموع {ليشهدوا منافع لهم} ولكن المنافع مشاهدة مايؤازر الانسان ويسانده فى حياته اذا لم يكن من خلال منهج ذكر الله فانه لا يكون نافعا ، ولندرك أن الوحدة الاسلامية والعمل لاجلها لا يخرجنا عن منهج الفطرة والسلوك الاجتماعى ، لذلك يأمر الله تعالى المستجيبين لهذا النداء والوحدة يستمتعون جماعيا بالطيبات متراحمين فيما بينهم ، وفى هذا ضمنيا أن الله تعالى سوف يرزقهم ويهيىء لهم من القوة المادية مايسد حاجتهم بعد أن هياوا فى أنفسهم العبودية لله تعالى وتساندت جموعهم عليها وتكونت وحدتهم ، وذلك الجزاء المناسب فى الدنيا لمن يعظمون شعائر الله ولاينفضون الا تحت شعاره ، ولايرفعون الا رايته وجزاء الآخرة أوفر ، لانهم بوحدتهم هذه على العقيدة والعبادة تجنبوا وتبرءوا من الفرقة التى يحدثها رجس الوثنية والافتراء على الله تعالى الذى يتمثل فى دعوى تشريع مالم يشرع ، وفرق كبير بين من يحقق العبودية لله تعالى ويتفانى مع المؤمنين ولاء لله تعالى وبين من يشرك ويكون ولاؤه لآلهة شتى مصنوعة ، فالأول أخذ بأسباب النجاة والقوة فعاش حنيفا لله ثم بالمؤمنين فتهىء له الرزق وأسبابه والأمن والأمان ، والثانى ساقط من السماء فتلقفته الجوارح من الطيور ومزقت

جسده قبل أن يصل الى الأرض ، أو أنه ذهبت به الريح الى
مجاهل لاتعرف ، هذه هى نتائج فرقة الشرك والتوزع بين
مخلوقات لاتملك ضرا ولا نفعا ، وتلك نتائج التعلق بالله
(١)
والارتباط بالايمان والمؤمنين .

(٢)
ويقول تعالى فى ايجاب الحج وفرضه :

{ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن
كفر فان الله غنى عن العالمين} .
وقد شمل الوجوب الناس جميعا ثم قيد بالاستطاعة .

وأما مآرآه بعض المفسرين من أن المغير والعبد يخرجان
من هذا الشمول فهو يدخل فى قوله {من استطاع اليه سبيلا} .
وأما الوجوب هذا فى قوله {ولله على الناس حج البيت} فشامل
وحتى الكفار يتناولهم لانهم على الصحيح مخاطبون بفروع
الشريعة بل ان الوجوب هذا يتناول الذين فى العدم وسيوجدون
وأما الموانع لاداء فريضة الحج أو لوقوعه صحيحا مغنيا عن
حجة الاسلام فان ذلك كله يدخل فى قوله {من استطاع اليه
سبيلا} وليست الاستطاعة مختصرة على مافهمه بعض الفقهاء من
زاد وقدرة على المشى أو الركوب فحسب ، بل يدخل فى
الاستطاعة أيضا شرط الايمان بالنسبة للكافر ، والبلوغ
بالنسبة للصغير ، والحرية بالنسبة للعبد ، كما أن وجود
المحرم شرط للمرأة التى تملك زادا وتستطيع المشى أو
(٣)
الركوب .

(١) انظر : الكشف للزمخشري ١٢/٣-١٣ .

(٢) الآية من سورة آل عمران : ٩٧

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى ٣/٣٧٨ ، تفسير
القرطبي ٤/١٤٠ ، التفسير الكبير للرازي ٨/١٥٢ .

وخلاصة القول فى أسلوب الآية فى قوله تعالى : {ولله على الناس حج البيت} أسلوب قصر حيث تقدم الخبر المجرور بلام الملك وهو لفظ الجلالة {ولله} على المبتدأ وهو {حج البيت} والأسلوب هذا يتفق مع أسلوب كلمة الاخلاص {لا اله الا الله} فهى قصر بطريق النفى و {الا} فالمقصود عليه فى الموضوعين واحد وهو الله جل جلاله ، فاللوهية مقصورة على الله تعالى اذا تجاوزته الى غيره فقد جاء الشرك وانزعت الفرقة وهدم العامل الاول فى الوحدة الاسلامية لتوزع الناس بين ارباب وآلهة شتى وكذلك الحج فانه لايجوز أن يقصد فيه غير الله لانه توجه الى بيت الله تعظيما لله وشعائره وذلك من تقوى القلوب واخلاصها لرب العالمين .

وهكذا نفس الأسلوب والمنهج لما أمر الله تعالى باتمام الحج والعمرة فكما انهما فى البداية لله وانه هو المقصود المحصور عليه كل مايفعل فى الحج والعمرة قصدا وارادة وعملا ففى الامر بالاتمام أيضا يجب أن يكونا لله ، فالخلاص يجب أن يستمر عليه المسلم من اول العمل الى نهايته بل يلزم أن تكون نتائج العبادة فى الفرد والمجتمع هى السلوك الذى يوجه الحياة دينا ودنيا فيقول تعالى :^(١)

{وأتموا الحج والعمرة لله} .

فالركن الاول والخامس من اركان الاسلام يتفقان فى الأسلوب والشعار والمضمون ، وكل واحد منهما يشمل الأركان الثلاثة الأخرى ، فكلمة الاخلاص الاقرار بها واعتقادها يستلزم أن تكون العبادات كلها بدنية ومالية لايقصد بها غير الله

(١) الآية من سورة البقرة : ١٩٦

وأنه هو الاله المعبود بحق ، وأما الركن الخامس الحج فشعاره التلبية هو معنى لاله الا الله وتجرد الانسان من المخيط كالميت شعار على توجهه نحو الله وتعلقه به وتجرده من المظاهر المادية والدنيوية وهو لا يستقبل القبلة فحسب ، بل انه يتوجه الى القبلة ليطوف حول البيت استجابة لله مكبرا ومهللا **ليؤدي** العبادة بأنواعها عند البيت كما نزل الوحي على رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم عند البيت وجاءه جبريل ليعلمه كيف يصلى عمليا فى ظل الكعبة المشرفة ومن النسك الهدى والفدى اطعاما للمساكين كما هو من غايات الركن الثالث الزكاة .

كما أن الميام يكون بديلا أحيانا عن الهدى وأنه مستحب من أول ذى الحجة الى يوم عرفة ، وبالنسبة ليوم عرفة فهو مستحب لغير الحاج فقط ليبقى الحاج على النشاط والفراغ للدعاء ، فتبين من هذا أن الحج يشمل الأركان قولا وفعلًا كما يستلزمها الركن الأول "شهادة ألا اله الا الله" فاتضحت وحدة المنهج والأهداف فى عوامل الوحدة الاسلامية وهو أمر له أهميته ونتائجه التى تتفق فى السياسة والثقافة والأخلاق والتربية ، فى أفراد الأمة وجماعاتها وشعوبها ودولها .

أجل الدين لا يكمل ولا يتحقق الهدف به ولا يرضى ربنا سبحانه وتعالى عن الأمة الا اذا كان التلاحم وكان الشعار واحداً وسارت الأمة فى الحياة مسيرة واحدة كمسيرتها فى مشهد عرفات ، هذا هو الاسلام لا التناحر ولا التباعد ولا اتباع النظريات المتباينة والمتضاربة .

ولا تستطيع الأمة أن تقف أمام عدوها وتنتصر على الأهواء

والجدليات الا اذا توجهت وجهة واحدة وسددت ضربة واحدة الى العدو بكلمة واحدة واتجاه واحد كما تمنع فى مشهد رمى الجمرات حيث توجهت السواعد كلها تسدد ضربة تلو الضربات مع تكبيرة واحدة بأسلوب لايتفاوت ومنهج لايتناقض .

(١)

ولأدل على هذا التمام والتلاحم من قوله تعالى :

{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت

لكم الاسلام ديناً} .

وربما وقف المفسرون عند هذه الآية واسترعى انتباههم أنها آخر ما نزل عند بعضهم أو أنها آخر ما نزل فى الحلال والحرام ويذكرون الرواية التى جاءت فى سبب نزولها ومكان النزول وهو عرفة كما روى أن يهوديا قال لعمر رضى الله عنه "لو علينا نزلت هذه الآية لاتخذناه عيداً اليوم أكملت لكم دينكم قال عمر قد علمت اليوم الذى أنزلت فيه والليلة التى أنزلت ليلة الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات" (٢) . وكما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وأنه ليدنوا ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء" (٣) . وحول هذه الروايات فى فضل عرفة يدور كلام المفسرين (٤) رحمهم الله .

ولكن الآية الكريمة تشمل معنى آخر زيادة على فضل يوم عرفة بل وتنص عليه الآية وهو كمال الشريعة وتمام عناصر

(١) الآية من سورة المائدة : ٣
(٢) رواه البخارى فى كتاب التفسير باب رقم ٢ من تفسير المائدة .
(٣) رواه مسلم فى كتاب الحج رقم الحديث ٤٣٦ .
(٤) انظر : تفسير الطبرى ٦/٧٩-٨٥ .

الدين الاسلامى بآداء الركن الخامس وهو الحج فالاسلام هو مجموع هذه الأركان الخمسة ، فمن فرط فى واحد من هذه الأركان لم يتم اسلامه وأنها بمجموعها يكون الاسلام الذى يرتفيه الله تعالى لنا ديننا ، وهو الدين الذى جمع الناس فى حجة الوداع وكل عناصر القوة والاجتماع والوحدة ظاهرة فيه ، فهذه الأركان الخمسة كما جاءت فى حديث جبريل لما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاسلام فأجابه : بالأركان الخمسة - كافية فى تكوين الاخوة والوحدة بين المسلمين وهى الحقيقة والفضيلة التى تشير اليها الآية فى أخبارها عن التمام والكمال والنعمة فى هذا المشهد الذى اجتمع فيه المسلمون فى حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جهاد مرير وصراع مع عوامل الفرقة الجاهلية .

وأما الحديث الذى يفاخر الله تعالى فيه ملائكته بعباده المؤمنين الواقفين على عرفات يوم عرفة فان سبب هذه المفارقة التى ترتب عليها الغفران لا يعود فقط الى أداء الفريضة ذاتيا فحسب وإنما يضاف الى ذلك كون المسلمين اجتمعوا على أداء هذه الفريضة وأخلصوا فى هذا الاجتماع حتى بلغوا مقامات الملائكة الذين هم عباد مطبوعون على العبودية لله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فاشتر الوحدة والجماعة بين فى هذا لأن الشيطان المفرق لا يجد منفذا فى هذه الجموع التى توحدت بكلمة الاخلاص فى معنى التلبية وطاعة الله تعالى ورسوله فى الصورة والحركة التطبيقية التى نراها فى مشهد الحج ، كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مارأى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أذحر

ولا أحقر ولا أغنيظ منه يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما كان من يوم بدر فقليل : وما رأى من يوم بدر ؟ قال : أما انه قد رأى جبريل وهو يزع الملائكة ^(١) . لأن الناس جميعا فى مشهد عرفة متفقون على عمل واحد وقول واحد ، وأهل بدر متفقون على تسديد ضربة واحدة نحو الباطل والشرك وذويه ، فلا يجد الشيطان مدخلا يدخل فيه وهو الاختلاف والتباين فى الغيات !..

ومن هنا تبين من روح عوامل الوحدة الاسلامية ضرورة اقامة هذه الوحدة لأن باقامتها وتساندها يجد كل فرد من الأمة بغيته من الثواب واذا علم كل واحد أنه بانفراده وانعزاله عن الآخرين وتباين الأساليب والوسائل يقلل من النتائج المنشودة - سوف يحرص على الجماعة لأن يد الله معها فأثر الجماعة واضح فى عوامل الوحدة كملاة الجماعة أفضل من ملاة الفرد بسبع وعشرين درجة ^(٢) .

وهكذا الحج المبرور الذى ليس له جزاء الا الجنة لا يعود هذا الى مجرد أداء أركانه وواجباته ومسئولياته فقط وانما مع ما يظهر فى هذا الركن من الوحدة وتماسك جماعة المسلمين فى كل ما يؤدونه فى مشهد الحج والله أعلم .

ان هذا الركن عبادة عميقة الجذور ، لها أبعادها التاريخية ، من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، حيث لبي أمر ربه فأذن فى الناس بالحج ، وتتابع موكب الرسل من بعده

(١) رواه مالك مرسلا عن طلحة بن عبيد الله بن كرز واسناده صحيح فى كتاب الحج رقم ٢٤٥ .
(٢) متفق عليه . البخارى فى كتاب الاذان باب رقم ٣٠ ، ومسلم فى كتاب المساجد رقم الحديث ٢٤٩ .

وكلهم من ذريته ، واتفقوا على كلمة التوحيد والعبادة ،
التي تحقق العبودية للمعبود الواحد بحق ، وبهذا الركن
دوره الاجتماعى لتكوين الأمة المؤمنة على مضمون كلمة الاخلاص
فهذا مشهد قضاء المناسك ترى الأمة تتجه نحو مكة من واديهما
منى بقلوب مفعمة بالايमान ونفوس هادئة مطمئنة ، ترى الحجيج
وهم جداول تمصب فى بطحاء مكة وفى جوفها ، وذكر الله يعلو
ولايعلى عليه ، وكل يود أنه بدأ فى الحج من جديد ، ولايعبأ
بالتعب والارهاق ، ولذا تراهم يحرسون على الطواف قبل كل
صلاة وبعدها ، ويتزاحمون فى العمرة "الحج الصغير" يقول
تعالى موجهها الأمة فى نهاية المناسك : {فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله ...} الى قوله : {والله سريع الحساب} ^(١) .

ان ذكر الله تعالى والتلاحم عليه فى عبادة تطبيقية
تتبع ولاتبتدع هو البديل الغالى عن سنة الجاهلية الرخيصة
التي يختمون بها مناسكهم وهى الفخر الكاذب ودعوى سمو
الاباء فى غير طاعة الرحمن ، وتنافسهم والاعتزاز بالانساب
والاحساب ، وأن فلانا صنع واطعم وحمل الديات ونحو ذلك من
الاخلاق الفاضلة ولكنها فى اطار الشرك وعبادة القبلية
والعنصرية والعمل للفرقة ...! وكل ذلك يتنافى مع التوحيد
والاخلاص ويفقد هذه الاخلاق عنصر الاجتماع والمحبة والوفاق لأن
كل واحد ممن يصفون هذه الفضائل يسعى فى اسقاط الآخر ليحل
محلّه ويرتفع عنه ، ولكن البديل الذى جاء به الاسلام يدعو
الجميع أن يكونوا كمظهرهم وشعارهم وسيرهم ومقصدهم فى الحج

وحدة جماعية تسودها الرحمة وتحيط بها السكينة والوقار والتواضع فيتقوى كل واحد بالآخر ويقف جانبه ويؤلفون قوة ترهب عدو الاسلام .

ولقد بلغ منهج الآيات وأسلوبها غايات دقيقة وتفصيلات كريمة لتعليم هذه الأمة التي تؤدي المناسك كل عام فينبغى أن تستفيد من هذه المشاهد التي تحسها من نفسها بنفسها في المشاعر المقدسة ، فذكر الله تعالى هو الطابع العام الشامل للمناسك أداء وسلوكا وقولا ، فينبغى للأمة أن تستمر عليه في حياتها بعد قضاء المناسك المحدود أداؤها في أيام معلومات وأماكن خاصة ، وأما فوائد هذه المناسك ونتائجها فينبغى أن يستمر في كل زمان ومكان ، فإذا ما تكونت الأمة بشيء مما يخالف ذكر الله فإن الحج القادم سوف يكون سببا لمحو ما تعلق بالأمة من جديد من الأوبة الجاهلية وهكذا يتنازع الحق والباطل الأمة الى أن يغلب الحق وهو الغلاب وتتكامل الأمة لذكر الله فليس لغير ذكر الله منها نصيب . ولم يكن ثم شيء يجمع الأمة المؤمنة غير ذكر الله ، لأنه به تطمئن القلوب التي تألف وتنبعث منها المشاعر الطيبة وتتدفق منها العواطف الحانية ، فتقود الأجساد والاهواء الى ساحة واحدة تتفجر جنباتها بذكر الله وتظللها غمامة الاخلاص لله {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} (١) .

واذا لم تطمئن هذه القلوب بذكر الله تدابرت وتنافرت فقد جاء الخلاف من كل مكان ، وسوف تقذف بالحقد والحسد والبغضاء ، فما ترى الا خائفا مرتقبا الشر من غيره وساعيا

فى الارجاف والارهاب والاغتيال ، ترتعد فرائضه وترتعث حواسه
وتضطرب نفسه ، لانه يشعر فى نفسه انه آثم مجرم ويتوجس من
غيره السخط والانتقام وايس من الامن والامان ، لادواء لهذا الا
ذكر الله وليس ماتدعيه الشيوعية من تربية ، وتؤلف به
فلسفتها وجدليتها المادية .

وفى الآيات تصنيف الناس نحو الدعاء الذى هو من ذكر
الله بل هو مخ العبادة الى صنفين :

الاول : من لايسأل غير الدنيا ولايطلب غير هذا الحطام
وفقه هؤلاء قليل ولذلك عبر عن حرمانهم لانفسهم بأنه لاخلق
لهم ، والمقصود لانصيب لهم ولاحظ .

الثانى : الفقهاء من الناس الذين فهموا الآخرة ثمارا
من مزرعة الدنيا فيطلبون من الغنى الكريم نصيبا من الدنيا
(١)
ومن الآخرة وقد تحقق لهم هذا النصيب بقوله :

{أولئك لهم نصيب مما كسبوا} .

وصرح بالنصيب وأشار اليهم باسم الإشارة البعيد لعلو
مكانتهم فى الدنيا والآخرة .

هكذا صنفت الآية الناس الى هذين الصنفين : الماديين
والمتزنين الذين وضعوا الدنيا فى موضعها وحسبوا للآخرة
حساب .

وهل ثم صنف ثالث ؟ وهم الذين يطلبون الآخرة فقط ،
والواقع ان هذا الصنف وان كان يمكن أن يفهم من الصنفين
السابقين فانه لاحقيقة له ولاوجود شرعى له وان ثم من يزعم
كاذبا وجوده لئلا لله تعالى خلق البشر وركب فيهم من الغرائز

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٠٢

مالا يمكن لاحد منهم أن يستغنى عن مطالب هذه الفرائز من الدنيا فالخلق الذين يمثلون هذا المنف ليسوا من البشر وهم الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بعبادته وهم مجردون من هذه الفرائز لا يأكلون ولا يشربون ولا حاجة لهم فى أى مادية فى الدنيا كما للبشر ، واذا ادعى بعض المتصوفة الاستغناء عن الدنيا فهو محض الكذب وأسلوب من أساليب التلمص من الدنيا فهذا الفريق لا وجود له فى الخارج ولاحقيقة .

يقول الحافظ ابن كثير فى تفصيل جيد لحسنة :

"فجمعت هذه الدعوة كل خير فى الدنيا وصرفت كل شر ، فان الحسنه فى الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوى من عافية ، ودار رحبة ، وزوجة حسنة ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ومركب هين ، وثناء جميل الى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ، ولامنافاة وأما الحسنه فى الآخرة ، فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر فى العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة ، وأما النجاة من النار فهو يقتضى تيسير أسبابه فى الدنيا (١) من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام " .

وبعد : فان من المعانى الدقيقة الشاملة لعقيدة التوحيد "الركن الأول" تتمثل فى الركن الخامس "الحج" فى أجمل صورة وأكرم لقاء وأبهج منظر ، وحس هذه المورة الأدبية يخاطب الوجدان ويثير الفكر والعاطفة الايمانية بكل شعورها النبيل الدافق .

(١) تفسير ابن كثير ٢٤٣/١-٢٤٤ .

فالحج من الميقات والاحرام الى طواف الوداع رواية
بليغة فنية للركن الاول شهادة الا اله الا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو بكل أنواع نسكه وأيامه
وشعائره أسلوب يمثل مشاهد قمة كلمة الاخلاص ان صح هذا
التعبير .

فهذه جموع الحجيج عند المواقيت المكانية فى مشهد
التجرد من المخيط وعقد العزم على النية بالنسك فى تطهر
وزى جديد يقرب بعضهم ببعض ويلغى الفوارق والمظاهر المادية
وينسج الجميع فى صورة بهيجة ، وسرعان ما ترى أثر هذا
المشهد وتسمع فى مشهد آخر وهو التلبية ورفع الصوت بها
مدويا تتجاوب به المواقيت جوا وبراء وبحرا من كل جهة من
جهات مكة على شكل دائرى الى أن تلتقى عند الكعبة المشرفة
والرؤوس حاسرة والقلوب تهتف بكلمة التوحيد والنفوس تبتهج
بلقاء بعضها مع بعض من كل حدب فى بلد الله الامين . فتأخذ
صورة مشهد آخر حول الكعبة فى طواف ضارع وسعى شاكرك ودعاء
خاشع تتخيل فيه الوادى بين الصفا والمروة يسير وجبال مكة
والهة أوابة وبئر زمزم يدر درا ويفور فورانا وكأنه طوفان
وهو معين لاينضب وقد طاب موردا ولذ شرابا وكأنه رى لزراع
الايمان ونقاوة الضمائر ، وترى المشهد تحول الى جوف
مكة وساحات الحرم فاذا مكة تتسع كلما صب فيها ودخلها فوج
بعد فوج وقد جلب اليها كل شيء .

ولو أقبلت هذه الجموع الغفيرة من البشر وتلاحمت مع
القاطنين فى بلد غير مكة لما وسعهم ولا اضطرب جو المجتمع
وضاقت بهم الساحة ولحدثت أحداث يفقد الناس من جرائها

الطعام والشراب والسكنى والراحة والعلاج ولنقصت المواد الغذائية ، ولكن بلد الله الأمين مهبط الحق يسع الجميع !..
وانه من العجب ان تهدا هذه الملايين من البشر مع السكان ويضمها وادى منى الذى لايزيد عن ميلين طولاً وهو شعب من وادى محسر الى جمرة العقبة الكبرى وعرضه اقل من نصف ميل .

وقد رحبت بهم مكة وواديها منى لان نفوسهم توطنت للحق واتسعت المدور وسارت تحت شعار واحد وتزيت بزى واحد ، فالبلاد لاتضيّق فى الحقيقة وانما القلوب هى التى تضيّق .
والقلوب هنا فى منى توسعت واطمأنت ولاتكاد تسمع أحد يخاطب غيره الا بالكلمة الطيبة المعبرة عن القصد والوصف الحقيقى الغالب "ياحاج" .

وما أروع وأجمل هذا المشهد وهو "مسيرة عرفات" المشهد الذى اجتمع فيه الجميع وبرزت الوحدة الاسلامية فى أبهى حللها وأقوى تلاحمها وأسمى كمالها فهى بهذه الصورة عبر مشهدها عن كمال الدين ، ولاثناء ولاالتقدير أكرم لهذا المشهد وأرفع فى مستواه من أن الله تعالى يباهى ملائكته بأهل عرفه ^(١) ، وأنه أنزل على نبيه فى هذا اليوم فى عرصات عرفات قوله تعالى : ^(٢)

{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً} .

(١) كما يدل عليه الحديث الذى مر تخريجه عن قريب .
(٢) الآية من سورة المائدة : ٣

الفصل الثالث

ظاهرة الترابط والوحدة فى المعاملات

التمهيد :

قبل البدء فى هذا المبحث لابد من توطئة بالمقارنة بين العبادات والمعاملات لنذكر أن الفوارق بين الجانبين المتعاضدين فى الشريعة "العبادات والمعاملات" لا تعود الى تعدد المصدر والارادة المشرعة ، ولا الى مباينة بين العبادات والمعاملات ، بل المصدر فى الجواز والمنع والحل والحرمة واحد وهو الله جل جلاله . قال تعالى :^(١)

{والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} .

والمعاملات هى التطبيق الموضوعى والمنهج الحقيقى للعبادة ، وهى أيضا من ضمن أسس العبادة العام . وإنما باينت أساليب التشريع فى تثبيت العبادة وتقنياتها الخاصة ، أساليب تقنين المعاملات فى معناه التطبيقى والسلوكى للتيسير على الناس وللمحافظة على ما تنطوى عليه فطرتهم من الاعتبار الخاصة بالعبادة ، والخاصة بالمعاملات ، محافظة أيضا على وحدة الشعور ووحدة السلوك لبناء الجماعة وتصورها نحو الشريعة حتى اذا تكاملت الشريعة أدرك الناس أن أمرها استوى وتم بموجب النزوع الفطرى المدفوع بالارادة الانسانية

(١) الآية من سورة الاعراف : ٥٤

تطابقا مع الوحي الذى هو المصدر الوحيد للعبادة وللمعاملات جميعا .

والمعاملات فى كل عقودها من البيع والزكاح والوقف والهبة والدين ونحوها تناولها الفقهاء بالبحث المستفيض ، ورغم توسع الفقهاء فى التعريفات اشراء للمادة الفقهية ، فانه من الملاحظ فى تشعب هذه الخلافات حسن النية والبحث عن المصلحة العامة للجماعة الاسلامية والمحافظة على هذه المصلحة ان بان ، وترجيح جوانبها حتى ولو لم يسعف الدليل كلزوم الجماعة ولو كانت من سوادها سفهاء ويرأسها من لم تتوفر فيه شروط الخلافة أو الامارة ، وذلك من خلال هذه القواعد الفقهية والتي يستمحبونها فى كل بحث "دفع المضار أولى من جلب المنافع" .

فمن مضمونها المحافظة على وحدة المسلمين فى كل شئ واجبة بما فى ذلك جانب المعاملات .^(١)

ولحرصنا على الايجاز مع استخلاص الزبدة المفيدة من النصوص ، وفقه أهل العلم لبيان بناء الوحدة الاسلامية بكل ما جاء فى الكتاب والسنة ، نستخلص أن المعاملات كانت رباطا قويا وسندا حركيا أخلاقيا ينظم تصرفات المسلمين بعضهم مع بعض تحت راية العقيدة وعاطفة الاخوة الاسلامية وتأثير العبادة المربية ، ويكفى فى وحدة المنهج والهدف فى هذه الامور المتشعبة أنها يجمعها هذا العنوان "المعاملات" وسوف

(١) انظر : مقدمة القواعد لأبى عبد الله المقرئ ، تحقيق ودراسة الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد ص ١١٢، ١٢٣ ط/جامعة أم القرى .

يأتى هذا الفصل فى إطار الغرض منه مشتملا على المباحث
التالية :

- المبحث الأول : التعريف بالمعاملات .
- المبحث الثانى : التزام المعاملات بالحلال المشروع .
- المبحث الثالث : الأسس العامة للمعاملات فى الاسلام .
- المبحث الرابع : دور تشريع المعاملات فى تحقيق الوحدة

المبحث الأول : التعريف بالمعاملات الإسلامية

المعاملة فى اللغة : مفاعلة والفعل منها يدل على المشاركة بين طرفين فأكثر ، كالبيع ونحوه ، وتجمع المعاملة على معاملات .

وفى الاصطلاح هى الأفعال المتعلقة بتمصرفات الناس فى شئون حياتهم الدنيوية لاكتساب المعاش ولحفظ الأموال والأعراض والدماء والعقول والأبدان ، وصيانة للدين كالتجارة والمزارعة والصناعة والشركة والطلاق والزكاح والرضاع والمواريث والهبات ، ونظام الحرب والصلح . فالمعاملات تطلق على الفعل الذى يتناول هذه الأمور ونحوها مما يقع فيه الاشتراك بين الناس .

وللمعاملات حكم فى دين الله تعالى ، وهى مرادفة للعبادات فى الفقه الإسلامى ، فإن كانت العبادات حقوقاً لله تعالى على الناس ، فالمعاملات حقوق مشتركة بين الناس .^(١)

وحكم المعاملات الشرعية مستمد من الكتاب والسنة ، كما أن العبادات توقيفية على حسب ما جاء فى الكتاب والسنة ، خلاف القوانين الوضعية المستمدة من العقل البشرى البحت ، وأما حكم المعاملة فى الإسلام فهى مستمدة من جوانب الشريعة الربانية الخالية من الشرك والابتداع ، والمعاملة المستمدة من ذلك هى المعاملة الإسلامية ، وهى ضرورة فطرية واجتماعية لخدمة المجتمع وتربيته على لزوم الشريعة والسير على

(١) انظر : لسان العرب ، مادة (عمل) .

مقتضاها فكرا وخلقاً وعملاً ، فإذا ساءت المعاملات فى المجتمع وانحرفت ، فسوف ينهار المجتمع ويتداعى بناؤه الى خراب تتفكك فيه كل الروابط الانسانية فضلا عن الروابط الاسلامية (١) المستمدة من الوحي .

وللمعاملات صيغ عقود وقف عندها الفقهاء ثلاثة مذاهب :
الأول : الأصل فى العقود أنها لاتصح الا بالصيغة اللفظية التى وضعت للمقصود لايجاب والقبول والكتابة تقوم مقام العبارة والاشارة كذلك للحاجة ، لأن التراضى وطيب النفس معانى فى النفوس لاتنضبط الا باللفظ وهذا هو مذهب الشافعية وقول عن الحنابلة .

الثانى : تمح بالافعال فيما كثر عقده لانه اذا لم تنعقد بالافعال فسدت أمور الناس وهو مذهب الحنفية وقول عن الامام أحمد ووجه عند الشافعية .

الثالث : تنعقد بكل مايؤدى المقصود من القول والفعل مما يفهمه الناس ولاحد لذلك فى الشرع ولافى اللغة ، وهذا هو مذهب المالكية وظاهر مذهب الحنابلة . (٢)

وفى الحقيقة أن هذا الاختلاف لفظى فالاقوال كلها جمعها المذهب الأخير ، ولذلك اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية لما فيه من تلاقى الجميع بما تنفذ به المعاملة ، فهو يقول : وهذه القاعدة الجامعة التى ذكرناها من أن العقود تصح بكل مادل

(١) انظر : المعاملات فى الاسلام للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ، القسم الأول من كتب سلسلة دعوة الحق التى تصدر من رابطة العالم الاسلامى .

(٢) انظر : بداية المجتهد لابن رشد ١٧٠/٢ ، المغنى لابن قدامة ٥٦٠/٣ ، معين الحكام لعلاء الدين على بن خليل الطرابلسى ص ٣٥٠ .

على مقمودها من قول أو فعل هى التى تدل عليها أصول الشريعة وهى التى تعرفها القلوب . ثم ذكر طائفة من الآيات الدالة على أنواع من العقود ، وأن هذه النصوص دلالتها من وجوه :

(١)

(١) الاكتفاء بالتراضى فى جانب المعاوضات كقوله تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولاتقتلوا أنفسكم ان الله
كان بكم رحيمًا} .

(٢)

وبطيب النفس فى التبرعات كقوله :

{وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا فكلوه هنيئًا مريئًا} .

فلم يشترط اللفظ ولا الفعل المعين ليكون بهما التراضى وطيب النفس ، وإنما يمدد ذلك من الناس بطرق متعددة ، وفى هذا تيسير على الناس وترغيب لهم بأن يتحدوا تحت شعار المعاملات ، بالإضافة الى الوحدة فى المشاعر والعبادة والعقيدة .

(٢)

الاسماء التى جاءت فى الكتاب والسنة التى تتعلق بها الأحكام الشرعية لها حدود ، عرفت باللغة كالشمس والأرض أو بالشرع كالمؤمن والكافر والمنافق والصلاة والزكاة والصيام والحج . ومالم يكن كذلك المرجع فيه العرف كالقبض المذكور فى الحديث : "من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه" ومن البين أن المعاملات لم يرد لفظ ولا فعل

(٣)

(١) الآية من سورة النساء : ٢٩

(٢) الآية من سورة النساء : ٤

(٣) رواه البخارى فى كتاب البيوع باب رقم ٥١ ج ٢ ، ومسلم فى كتاب البيوع ، باب بطلان بيع المبيع قبل القبض ج ٥ .

معين لانفاذ العقود بين الناس .

(٣) باستقراء أصول الشريعة علم أن العبادة لا تثبت الا بالشرع ، وأما العادات "المعاملات" فالأمل عدم الحظر لأنها ما اعتادها الناس لمصالح دنياهم لحاجتهم اليها .^(١) وقد تنوعت المعاملات وشملت جميع الحياة ، فهذا ما يسمى القانون الدولى العام ، وقد تناوله الفقهاء من خلال دراسة النصوص لبيان المعاهدات وفاء ونقضا ، وحربا وسلما ، وبينوا صور العلاقات التطبيقية بين دول المسلمين وبين غيرهم من الافراد والدول وشرحوا أيضا مسئوليات الامام والرعية ونحو ذلك .

وأما القانون الدستورى والادارى فان أهل العلم من الائمة والفقهاء استخلصوها من الكتاب والسنة تحت عناوين فى كتب خاصة ، أو أبواب ملحقة بالأمهات من مصادر الفقه ، والعنوانان هما : السياسة الشرعية والأحكام السلطانية .
وأما ما يخص المال فقد بحثه الفقهاء أيضا فى أبواب من المعاملات كالزكاة والعشور والخراج والركاز والمعادن والضرائب ونحو ذلك مما يلحق بالنظام الادارى .

وأما القانون الجنائى فقد أفاضوا فى معاملاته وطرق تحقيقه وتنقيحه حتى بينوا حكم كل جناية حدا وقماصا وتعزيرا ، وفرقوا الحق العام والحق الخاص ، وما يدخله العفو وما لا يدخل فيه العفو .

وكذلك فيما يتعلق بالقانون المدنى من العلاقات

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ٢١٠٥/٢٩ .

والحقوق والضمانات والشركات بأنواعها والعقود بأنواعها وأوصافها . وبينوا فيها آداب القضاء والقضاة والدعاوى والشهادة كما تطرقوا بالتفصيل الى أحكام الذميين والمستأمنين ، وبدراسة ذلك كله ، استخلصوا الأحكام الخاصة والعامّة ، واستخلصوا أيضا أصول الأحكام فتبين من هذا شمول وتنوع المعاملات .^(١)

وقد اشتمل علم الفقه الأحكام المختلفة للمعاملات كلها مستنبطة من الأدلة الشرعية ، وبذلك يمكن للفرد المسلم والجماعة المسلمة أن يعيش إسلاميا في عقيدته وعمله وخلقه .

(١) انظر : المعاملات في الإسلام للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ص ٣٠-٣٤ .

المبحث الثانى : التزام المعاملات بالحلال المشروع

الأصل فى المعاملات الإباحة ما لم يرد دليل التحريم أو الكراهة ، فهى مقيدة بالحلال وملتزمة به ، وفى الحلال غنى للإنسان ، وهو الضابط العام الشامل لكل معاملة ، وقد بينت الشريعة الإسلامية الضوابط فى كل معاملة لئلا يقع الناس فى الحرام أو المكروه .

وسوف أتناول فى هذا المبحث ما يدل على التزام المعاملة بالحلال ، وضرورة مجانبة الحرام عينا وعملا وكسبا وذلك فى المطالب التالية :

المطلب الأول : الأعيان المحرمة عينا وبيعا .

المطلب الثانى : المحرمات من النساء فى عقد النكاح .

المطلب الثالث : المهن المحرمة .

المطلب الرابع : الكسب الحرام من خلال العمل .

المطلب الأول : الأعيان المحرمة عينا وبيعا

لقد عينت الشريعة الأعيان المحرمة بأسمائها وصفاتها ،
وبين الفقهاء بالقياس ما يندرج فى هذه الأجناس من الذوات
المحرمة كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أن الله
ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام " . قال^(١)
ابن القيم رحمه الله : " فاشتملت هذه الكلمات الجوامع على
تحريم ثلاثة أجناس : مشارب تفسد العقول ، ومطاعم تفسد
الطبائع وتغذى غذاء خبيثا ، وأعيان تفسد الأديان ، وتدعو
الى الفتنة والشرك ، فمان بتحريم النوع الأول العقول عما
يزيلها ويفسدها ، وبالثانى القلوب عما يفسدها من وصول أثر
الغذاء الخبيث اليها ، والغذى شبيه بالمغتذى ، وبالثالث
الأديان عما وضع لافسادها فتضمن هذا التحريم صيانة العقول^(٢)
والقلوب والأديان " .

وهذه الأعيان يندرج فيها كل ما تناوله التحريم من
الذوات والمواد فهى أجناس ، والمعاملة بها مما يفر
بالإنسان فى نفسه وعقله وجسده وعلاقته مع غيره لأنها مادية
توجه الإنسان نحو الحيوانية والتجرد من كل الأخلاق ، ولبيان
ذلك نقول :

أولا : الخمر وهى أم المشارب التى تفسد العقول ويدخل
فيها تحريم كل مسكر مائعا أو جامدا عصيرا أو مطبوخا ، فكل
أنواع المخدرات محرمة حماية للعقول والأبدان ، وحفاظا على

(١) متفق عليه ، البخارى فى كتاب البيوع باب رقم ١١٢ ،

مسلم فى كتاب المساقاة رقم ٧١ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٧٤٦/٥ .

مودة المؤمنين بينهم ووجدتهم لأن المعاملة بها تفرق وتلقى
العداوة بين الناس كما قال تعالى :^(١)

{انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء
فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم
منتهون} .

وقد جاءت أحاديث من الرسول صلى الله عليه وسلم فيها
البيان فى طرد العلة للتحريم وهى الاسكار فكل ماجاء فيه
محرم ويتناوله وصف الخمر كقوله صلى الله عليه وسلم : "كل
مسكر حرام"^(٢) . فالخمر اذن ماخامر العقل وأثر فيه وهو نعمة
يجب الحفاظ عليها لأن بالعقل نتلقى الرشد من الله تعالى
وبه نميز بين المعاملة الضارة من النافعة فهو أضمن من أى
شئ .

ثانيا : طعام يفسد الطباع ويؤثر فى الأخلاق لما ينطوى
عليه من الخبث والنجاسة فالذى يتغذى به يؤثر فى جسمه
وعقله وسلوكه ، فالمعاملة به من البيع وأى استفادة منه
لاتجوز لأنها تؤدى الى تلك الأضرار بالغير ، ويشمل النهى كل
طعام خبيث وكل مامات حتف أنفه أو ذكى ذكاة لاتفيد حله أو
محرم أصلا فى عينه وذاته سواء ذكى أو لم يذك كالخنزير الذى
تتأثر الأجسام بخبثه وبلادته ومايتغذى منه من النجاسات
وهكذا تحريم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مقلب من الطيور .

ثالثا : تحريم المعاملة بما يفسد الدين ويحرف
العقيدة كالأمنام وانها تشريع لم يأذن به الله فى وضعها فى
اشارها فى المتعلقين بها ، سواء كانت هذه الأمنام جمادات

(١) الآية من سورة المائدة : ٩١

(٢) رواه مسلم فى كتاب الأشربة رقم الحديث ٧٣ .

أو حيوانات أو بشر أو جنا أو نظريات معنوية وأى شيء يتخذ
للشرك والابتداع فى الدين كما وصفنا على أى وجه كان صنما
أو وثنا أو صليبا أو كتباً تشتمل على الشرك والتحرير
والبدعة ، كل ذلك المعاملة به بيعا أو ايجارا أو أى نوع من
أنواع الاستثمار والاستفادة منه بين الناس حرام وضلال يفرق
بين الناس ولا يجمع ويفقد ولا يغنى ، ويمحق البركة ولا يجلبها .
(١)
والمعاملة المحرمة فى الاسلام لاتبيحها الحيل كما بين
الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأن اليهود فى قوله : "لعن
الله اليهود ، لعن الله اليهود ، لعن الله اليهود ، ان
الله عز وجل حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها ان
الله اذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه " .
(٢)

(١) انظر : زاد المعاد لابن القيم ٧٤٧/٥-٧٦٥ .
(٢) رواه أبو داود فى كتاب البيوع رقم ٣٤٨٨ ، وقال ابن
القيم : واسناده صحيح ، زاد المعاد ٧٤٦/٥ .

المطلب الثانى : المحرمات فى عقد النكاح

"المحرمات فى كتاب الله عز وجل أربع عشرة سوى من يحرم الجمع بينهما :

سبع بالنسب ، وسبع بالسبب ، منها اشتتان بالرضاع ، وأربع بالمهرية ، والسابعة : المحصنات وهن ذوات الأزواج ، وجملته يحرم على الرجل أصوله وفصوله ، وفصول أول أصوله ، وأول فصل من كل أصل بعده ، فالأصول هى : الأمهات والجداات وان علون ، والفصول هى البنات وبنات الأولاد وان سفلى ، وأول فصل من كل أصل بعده هى : العمات والخالات وان علت^(١) درجتهن" .

وقد جاءت النصوص فى الكتاب والسنة لبيان وتحديد هذه المحرمات فى النكاح كما قال تعالى :

{ولاتنكحوا مانكح آبأؤكم من النساء الا ماقد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا . حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ماقد سلف ان الله كان عفورا رحيفا . والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما } .

(١) شرح السنة للبغوى ٦٧/٩ .
(٢) الآيات من سورة النساء : ٢٢-٢٤

وأما ما لم تنص عليه الآيات جاءت السنة ببيانه وتحديد
كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا يخطب الرجل على خطبة
أخيه ، ولا يسوم على سوم أخيه ولا تنكح المرأة على عمتها
ولا على خالتها ، ولا تنكح المرأة طلاق أختها لتكفى صحفتها
(١)
ولتنكح فانما لها ما كتب الله لها" .

ان منع عقد الزوجية من هذه الأصناف من النساء ينبى
على حكم سواء أدركناها أو لم ندركها ولكن تطبيق هذه
المعاملة فى باب النكاح وهى تحريم ما حرمه الله بدون جدل
هو رأس فهم الحكمة بالنسبة لنا نحن العباد ، ومع ذلك فانه
لامانع من الاجتهاد لاستخلاص الاسرار المنطوى عليها تحريم هذا
النكاح .

اولا : ثبت طبيا أن الزواج بين الأقارب يضعف الذرية
لأن الاستعدادات الوراثية تتركز فى الذرية مادامت بين
الأقارب خلاف الذرية التى جاءت بين دماء متباعدة بعضها
أجنبى عن بعض فتكون الفرصة للتلقيح بينها أقوى وتجدد
الحياة بين الأجيال .

ثانيا : الجمع بين القريبات من الأمهات وبناتهن
والعمات والخالات والأخوات يؤدى الى تفكك بين أفراد الأسرة
لما يحمل من المشاكل ويترتب من المفسد فى اشتراك هؤلاء
القريبات فى الزوج ، كما أن العلاقة بين الأب وابنه قد يؤثر
فيها أن يخلف أحدهما الآخر على زوجته فيسبب ذلك الطعن فى
الرابطه بينهما ولو بعد حياة أحدهما وهى رابطه ود يجب أن

(١) رواه مسلم فى كتاب النكاح باب رقم ٤ ، حديث رقم ٣٨ .

تبقى دائما وأبدا برا وأساسا لصلة الرحم التى تمتد الى
أجيال تجمع بين الأصول والفروع وان علوا أو سفلوا .

ثالثا : يقال ان من الأسرار فى منع عقد النكاح
بالقريبات هو محافظة على توسيعه نطاق الأسرة من وراء
القربة فآصرة القربة تتكفل بالمحافظة بين افراد الأسرة
فى داخلها وحدة ومودة ، والمصاهرة من خارج الأسرة يتكفل
بتوسيع نطاق الأسرة من خارجها ، ومن ثم لضرورة للزواج بين
الأقارب .^(١)

ومهما يكن الأمر فان هذه الحكم وغيرها مما لم يتبين
للعلماء كلها تشد الرابطة والوحدة بين الناس بسبب
المعاملة كما تحرم المعاملة التى تؤدى الى تفكك بين
الأقارب والأباعد ، والحديث المذكور يدل على ذلك بمنع خطبة
الرجل على خطبة أخيه ، وسومه على سوم أخيه ، ونحو ذلك من
أى معاملة تسبب التفكك بين المتواصلين بالقربة أو بالدين
أو بالإنسانية ، والله أعلم .

(١) ظلال القرآن للسيد قطب ص ٦٠٩-٦١٠ المجلد الأول .

المطلب الثالث : المهن المحرمة

المعاملة فى الاسلام تفتح أبوابا لأنواع من المهن ليزاولها الناس وتكون سببا للرزق وبابا لعمارة الحياة بالعمل ، ويكون للمهن الملتزمة بالحلال دور فى ترابط المجتمع ووحدة بين المسلمين ولذا يجب تجنب المهن المحرمة لأنها لاتؤدى الى تلك الغايات والأهداف السامية كمهنة السحر والشعوذة والتنجيم والبغاء ، وانتاج المسكرات والمخدرات وكالاحتكار وغير ذلك مما يضر بالناس فى دينهم ودنياهم ويسبب الفرقة والعداوة بينهم .

فأما السحر فقد بين الله سبحانه وتعالى أنه يفرق بين أوشق وحدة وهى الزوجية ، وأن من يزاوله لآخر فيه ولانصيب له من الآخرة كما قال تعالى :^(١)

{واتبعوا ما اتتوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون} .
والسحر بين العلماء أنه مهنة شر وتمديقه يؤدى الى الكفر فضلا عن مزاويلته . ويدخل تحت السحر أنواع وأوصاف كثيرة كالشعوذة والتنجيم .

(١) الآية من سورة البقرة : ١٠٢

فنظام المعاملات فى الاسلام لا يقر هذا السلوك لما فيه من
الاضرار والخروج عن العقيدة والاخلاق الاسلامية وكل من العقيدة
والاخلاق قاعدة للمعاملات فى الاسلام مهنة وكسبا .^(١)

وهكذا مهنة البغايا اللواتى يتكسبن بأعراضهن فكل
ماساعد فى هذا الفجور من قانون وأشخاص ودعاية فهو حرام
يدخل فى هذه المعاملة الخبيثة ، وعن أبى مسعود الأنصارى
رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نهى عن
ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن" .^(٣)

وفى رواية "نهى عن ثمن الكلب والسنور" وفى رواية^(٤)
أخرى "شر الكسب مهر البغى وثمان الكلب وكسب الحمام" .^(٥)

فأما الكلب والسنور فيدخلان فيما سبق من الأعيان
المحرمة عينا وبيعا ، ومع هذا ففى كلب الماشية والميد
اختلاف فقد أجازت الحنفية ثمن الكلب الجائر اقتناؤه ، ولكن

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٥ ، فتح
المجيد للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ص ٢٨٥-٢٩٢ .

(٢) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة من الخزرج الأنصارى ، أبو
مسعود مشهور بكنيته ، اتفقوا على أنه شهد العقبة
واختلفوا فى شهوده بدرا ، توفى سنة ٤٠هـ وقيل بعدها
بالكوفة أو بالمدينة .

(٣) انظر ترجمته فى الإصابة ٥٥٩/٧ .
متفق عليه ، البخارى فى كتاب البيوع باب رقم ١١٣ ،
مسلم فى كتاب البيوع باب رقم ٩ ، حديث رقم ٣٩ .
وحلوان الكاهن مايعطاه من المال وهو فى اللغة العطية
كقول علقمة :

فمن رجل أحلوه رحلى وناقتى

يبلى عنى الشعر اذ مات قائله

(٤) رواه ابو داود فى كتاب البيوع رقم ١٤٧٩ ، والترمذى
فى كتاب البيوع رقم ١٢٧٩ ، وقال : "هذا حديث فى
اسناده اضطراب ولا يصح فى ثمن السنور" .

قلت : ولكن أصل الحديث فى صحيح مسلم كما قال جابر
حين سئل عن ثمن الكلب والسنور فقال : "زجر النبى صلى
الله عليه وسلم عن ذلك" ، ورواه مسلم فى المساقاة
رقم ٤٢ .

(٥) رواه مسلم فى كتاب المساقاة رقم ٤٠ .

التحريم يتناول عند فقهاء الحديث كل كلب ، والاخبار التى
(١)
رويت فى استثناء كلب الصيد مطعون فيها .

وأما كسب الحمام فقد جاءت أحاديث يبدو فيها التعارض
مع هذا وهى عن ابن عباس رضى الله عنه احتجم النبى صلى
الله عليه وسلم وأعطى الحمام أجره ولو علم كراهيته لم
(٢)
يعطه .

وعن أنس رضى الله عنه يقول : كان النبى صلى الله
(٣)
عليه وسلم يحتجم ولم يكن يظلم أحدا أجره .

فقد جمع بين اعطاء النبى صلى الله عليه وسلم الحمام
أجره وكسب الحمام خبيث بأن الكراهية للتنزيه فقط دون
التحريم ، وقيس هذا على البصل والثوم فليستا بمحرمتين
(٤)
ولكنهما مكروهتان ، فكذا كسب الحمام أخذه مكروه ، والله
أعلم .

قال ابن القيم : "وتحريم حلوان الكاهن تنبيه على
تحريم حلوان المنجم ، والزاجر وصاحب القرعة التى هى شقيقة
الازلام ، وضاربة الحمى ، والعراف ، والرمال ونحوهم ممن
تطلب منهم الاخبار عن المغيبات ، وقد نهى النبى صلى الله
عليه وسلم عن اتيان الكهان وأخبر أن "من أتى عرافا فمدقه
بما يقول ، فقد كفر بما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم"
ولاريب أن الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ،
وبما يجىء به هؤلاء لايجتمعان فى قلب واحد ، وإن كان أحدهم
قد يصدق أحيانا ، فمدقه بالنسبة الى كذبه قليل من كثير ،

(١) انظر : زاد المعاد لابن القيم ٧٧٢-٧٦٧/٥ .
(٢)، (٣) رواهما البخارى فى كتاب الاجارة باب رقم ١٨ .
(٤) انظر : فتح البارى ٤/٥٩ ، زاد المعاد ٧٩٢-٧٩٠/٥ .

وشيطانه الذى يأتية بالأخبار لابد له أن يصدقه أحيانا ليغوى به الناس ، ويفتنهم به .

وأكثر الناس مستجيبون لهؤلاء ، مؤمنون بهم ، ولا سيما ضعفاء العقول كالسفهاء ، والجهال ، والنساء ، وأهل البوادي ، ومن لاعلم لهم بحقائق الايمان ، فهؤلاء هم المفتونون بهم ، وكثير منهم يحسن الظن بأحدهم ، ولو كان مشركا كافرا بالله مجاهرا بذلك ، ويزوره ، وينذر له ويلتمس دعاءه ، فقد رأينا وسمعنا من ذلك كثيرا ، وسبب هذا كله خفاء مابعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق على هؤلاء وأمثالهم " (١) .

وخلاصة القول فى المهن المحرمة أنها لاتخلو من طريقين الأول : مهن سلوكية معنوية تضر بالأفراد والمجتمعات وبالعقيدة والأخلاق ولاتليق بكرامة الانسان فهى محرمة وكسبها حرام لذلك ، ولأنها تؤدى الى الظلم والاعتداء وأخذ أموال الناس وأكلها بالباطل دون جهد حلال مفيد ، ودون علم يوجه ويزيل الجهل ويفرق بين الطيب والخبث .

الثانى : مهن صناعية وانتاجية مادية تركز على انتاج مايضر بقوى الانسان ويفتت صحته ويبدد ثروته ويغرس العداوة والفرقة بين الناس ويشغل عن الله والواجب عليهم فى الحياة كالمسكرات وكل أنواع المخدرات المائعة والجامدة وآلات اللهو وأدواته المحرمة ومالحق بذلك من الوسائل المادية والمعنوية لتوفير وتهيئة هذه الأضرار فى المجتمع .

(١) زاد المعاد لابن القيم ٧٨٦/٥-٧٨٧ .

المطلب الرابع : الكسب الحرام من خلال العمل

منهج المعاملات فى الاسلام لم يتوقف فى الحذر عن الحرام على استثناء الاعيان المحرمة عينا وبيعا والمهن المحرمة فحسب ، بل جاءت الشريعة محذرة من الحرام والظلم والاضرار بالغير من خلال العمل المشروع ، والاستفادة من المباحات ذواتا ومهنا ، فقد يدخل الحرام فى المعاملة من خلال البيع الحلال ، أو من خلال الاعيان الطيبة ، ولكن منهج الكتاب والسنة فى لزوم المعاملة بالحلال لا يقف عند المعاملات المحظورة والاعمال الممنوعة فقط بل يتجاوز هذا الالتزام بالحلال الطيب فى كل شئ الى الحذر أيضا عند مناطق الحلال لئلا يتسرب الخبيث الى الطيب الذى هو هدف المؤمن فى كل شئ .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم حذر من الغش من داخل أى معاملة مشروعة كقوله صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه أبو هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا . فقال : "ما هذا يا صاحب الطعام" ؟ قال : أصابته السماء يارسول الله قال : "أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ؟ من غش فليس منى" . وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(١)
"من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا" .
والغش هذا يتناول كل معاملة لا يخص شيئا دون شئ ،
ولذلك نجد هذه المقارنة بين الغش فى البيع وحمل السلاح ،

(١) رواهما مسلم فى كتاب الايمان ، حديث رقم ١٠٢٠١٠١ .

فغش المسلم لآخيه المسلم لافرق بينه وبين حمل السلاح عليه ،
والمطلوب من كل مسلم الالتزام بالحق والعدالة والحرص على
الحلال ، لأنه بذلك تستدر رحمة الله تعالى ونفحاته كقوله
صلى الله عليه وسلم : "رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا
(١)
اشتري وإذا اقتضى" .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحتكار لمباينته
الرحمة والاخوة والتعاون فقال : "لاحتكر الا خاطيء" وفي
(٢)
رواية : "من احتكر فهو خاطيء" .

والاحتكار فى اللغة من الحكر وهو الجمع والامساك ،
وحبس الشيء لاغلائه على الناس ، والخاطيء العاصى الآثم ، وهو
حبس الطعام فى وقت الغلاء ليزيد من ثمنه ، ويرى بعض أهل
العلم أن الاحتكار المحرم خاص فى الاقوات ، ويبدو أن
الاحتكار المحرم يتناول كل ما يترتب على احتكاره ضرر على
(٣)
الناس كالعلم والدواء والسلاح ونحو ذلك .

وقد بينت الشريعة الحلال والحرام فى كل تعامل ، وحذر
النبي صلى الله عليه وسلم ونبه على شبهات تكون بين الحلال
والحرام وفى كل ذلك تربية وتوجيه للأفراد والجماعات بأن
يحرموا على الحلال ويترابطوا بالعاملة به كقوله صلى الله
عليه وسلم : "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهة
فمن ترك ما شبه عليه من الآثم كان لما استبان أترك ، ومن
اجترأ على ما يشك فيه من الآثم أو شك أن يواقع ما استبان ،
(٤)
والمعاصى حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقع" .

(١) رواه البخارى فى كتاب البيوع ، باب رقم ١٦ .
(٢) رواهما مسلم فى كتاب المساقاة ، حديث رقم ١٣٠٠، ١٢٩ .
(٣) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٤٣/١١ .
(٤) متفق عليه ، البخارى فى كتاب البيوع ، باب رقم ٢ ،
ومسلم فى كتاب المساقاة ، حديث رقم ١٥٩٩ .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أنواع من البيع
 كالملامسة والمنابذة ، وبيع الحماة ، وبيع الغر ، وبيع حبل
 الحبلية ، وبيع النجش ، وبيع حاضر لباد ، وبيع المصراة ،
 وبيع الرجل على بيع أخيه ، وخطبته على خطبته ، ونهى عن
 تلقى الركبان .^(١)
^(٢)
^(٣)
^(٤)
^(٥)
^(٦)

والقاعدة هي أن الله ورسوله حرما أكل أموال الناس
 بالباطل واستغلال قواهم وجهدهم ، وذم من يفعل ذلك في كتابه
 وفي سنة رسوله ، ويتناول ذلك كل ما يؤخذ ويسخر بغير رضا
 المستحق والاستحقاق في المعاوضات والشركات من "المضاربة
 والمزارعة والمساواة والجعالة" والتبرعات من "الوقف
 والهبة والوصايا" ونهى عن الربا والميسر وهما شاملان لما
 سواهما كالغرر بكل أنواعه فإنه يشمل الميسر . يقول

-
- (١) لحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نهى عن الملامسة والمنابذة .
 (٢) لحديث أبي هريرة قال : نهى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن بيع الحماة وعن بيع الغر .
 (٣) لحديث عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
 نهى عن بيع حبل الحبلية .
 (٤) لحديث أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نهى عن التلقى للركبان ، وأن يبيع حاضر لباد ، وأن
 تسأل المرأة طلاق أختها ، وعن النجش ، والتصرية ، وأن
 يستام الرجل على سوم أخيه .
 (٥) لحديث عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 "لا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه ،
 إلا أن يأذن له" .
 (٦) لحديث ابن عباس قال : نهى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن تتلقى الركبان ، وأن يبيع حاضر لباد .
 هذه الأحاديث كلها في صحيح مسلم في أول كتاب البيوع .

(١)

تعالى فى الربا :

{ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من

الربا ان كنتم مؤمنين} .

(٢)

ويقول فى الميسر :

{ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب

والالزام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} .

وقد بسط الفقهاء والمفسرون القول فى هذه الآيات .

(٣)

ولخطورة معاملة الربا يجب أن نقف عند هذه الآيات :

{الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى

يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل

الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه

فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب

النار هم فيها خالدون . يحق الله الربا ويربى الصدقات

والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم

ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون . ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله

وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا

فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم

لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان

تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون} .

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٧٨

(٢) الآية من سورة المائدة : ٩٠

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣٣٠/١-٣٣٣ .

(٤) الآيات من سورة البقرة : ٢٧٥-٢٨٠

فى هذه الآيات عرض للسلوك القبيح والجشع الذميم والمادية الجامحة بعد العرض للسلوك الكريم والوجه المشرق وجه المتصدقين الرحماء ذوى الانسانية المتوجهة ولم يرد فى الكتاب والسنة من أمور الجاهلية مآندد به تنديدا شديدا وافظع شأنه كالربا لما له من المفساد التى بدأت من انبات اللحم والعظم على السحت ، الى فقدان الحس وخراب فى العقل والضمير .. وماكانت هذه المفساد واضحة للمجتمع الجاهلى كلها كما اتضحت الآن من الخراب والدمار الذى تزداد سواته الكشف عن كل قبيح ، وتفرق بين الجماعة الانسانية كل يوم منذ بدأ الوحي ينزل ويحذر الناس منه ويهدد .. وفيما يلى اذكر حقائق فى هذا الصدد :

(١) يجب أن يعلم أنه لااسلام مع قيام النظام الربوى وأنه يصادمه .

(٢) ان النظام الربوى شر على الانسانية لافى صميم الحياة الاقتصادية العملية فحسب بل فى حقيقة الايمان ، فهو يمحقق سعادة البشر ويعطل التوازن الانسانى رغم مايحيط به من الخداع .

(٣) النظام الاخلاقى والنظام العملى مترابطان يؤلفان نشاط الانسان وهما عبادة .

(٤) العمل الربوى يفسد ضمير الفرد وأخلاقه وشعوره نحو أخيه فى الجماعة ويفسد تماسك الجماعة وترباطها ، لأنه يبعث فى داخل الجماعة المتفامنة سلوك الشره والطمع ، والاثرة والمغامرة وهو الدافع الى الاستثمار فى الافلام القذرة والمحافة القذرة ، والمراقص والملاهى وسائر الحرف المنحطة .

- (٥) الاسلام نظامه متكامل ، فعندما حرم الربا كان نظامه كافيا يغنى البشر عن أى فائدة منحرفة بدون أن يتأثر نظامه الاقتمادى فى نموه .
- (٦) الاسلام فى تنظيم الحياة لايلغى المؤسسات الاقتصادية وانما يظهرها من الربا ويوجهها نحو البديل بموجب قواعد سليمة .
- (٧) من ضرورات العقيدة لمن يريد أن يكون مسلما اعتقاد أنه من المستحيل أن يحرم الله شيئا لاتقوم الحياة البشرية الا عليه ، ولاتتقدم الا به . ومن المستحيل أيضا أن يكون الشئ خبيثا وفى نفس الوقت لاتتقدم الحياة الا به . فالدعاية الخبيثة هى التى حملت الناس والحكومات على أن الربا لابد منه ، وكل ذلك نشأ من فقدان الايمان ومن ضعف التفكير وفساد الاخلاق وذلك ماهيا الجو للمرابين .
- (٨) مادامت فرضيات المرابين الاستحالات التى زخرفوها خرافة واكاذيب ، فان العزم وصحة النية على اقامة نظام نظيف للاقتصاد سوف يكلل بالنجاح والتوفيق ، وقد طبق فى (١) حياة المسلمين يومهم قهروا الجاهلية .
- والربا نوعان تندرج فيهما حيل كثيرة من أموال الناس بالباطل وتوسعة الفرقة بينهم :
- (١) جلى وهو ربا النسينة وكان رائجا فى الجاهلية وخاصة فى الديون المؤجلة بالزيادة ، ولايخضع له الا معدم

(١) انظر : فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ١/٣١٨-٣٢٣ بتمصرف .

محتاج ويذل به حتى يستغرق كل ماله ويترك مال
المراي من غير حق .

واذا حصر النبي صلى الله عليه وسلم الربا في هذا
النوع ليس معناه أنه هو الربا فقط ، وإنما لفداحته
وجرمه ودلالته على فقدان الرحمة والانسلاخ من الانسانية
(١)
"انما الربا في النسيئة" .

(٢) الخفى وهو ربا الفضل حرم لانه وسيلة الى الاول وذريعة
اليه ، فالتفاوت موجود بين نوعين من جنس واحد من
الجودة والرداءة ، والثقل والخفة ، فاذا فتح الباب
فى هذا الربح المعجل سوف يمتد الى الربح المؤخر وهو
النسيئة ، وقد نص الشارع على ستة أصناف وهى : الذهب
والفضة والبر والشعير والتمر والملح .

والعلة فى المأكول كونه قوتا وهذا شمل كل الاقوال وفى
النقدين الثمنية ويلحق بها كل ما كان قوتا أو أشماتا
فكل جنس بجنسه مثلا بمثل قبضا دون تأخير .

فمن المصلحة لبقاء الوحدة بين الناس منع بيع مطعوم
مؤجل بمطعوم متحد أو غير متحد الجنس ومنع المفاضلة وان
اختلفت الصفات والأربعة هى أقوات العالم والنقدان ثمنيتهما
(٢)
عالمية دائما .

واذا آمن المرابون النظر بعقل وروية بعينين عن الهوى
سيجدون الانصاف والبناء الاخوى الانسانى والاقتصادى والاخلاقى

(١) رواه البخارى فى كتاب البيوع باب رقم ٧٩ ، ج ٢ ،
ومسلم فى كتاب المساقاة والمزارعة ، باب الربا ، ج ٦
واللفظ لمسلم .

(٢) انظر : اعلام الموقعين لابن القيم ١٣٥/٢ - ١٣٩ .

فى قانون الله سبحانه وتعالى ويدركون المدى البعيد
والعميق فى قوله تعالى للمرابين فى كل زمان وفى كل مكان :
{ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من
الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من
الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون
ولا تظلمون} .

فهذا التهديد والندارة بحرب معلنة من الله تعالى ومن
رسوله حرب لا يستطيع أحد أن يحدد موضوعها ورسالتها فى
الميدان فهى تكون سق البركة من المال المرابى ، وتكون
بالبغى فى الأرض بسبب المال الكثير الذى يجمعه الطفافة من
الربا ، وهم ان لم يكتسبوه بالطرق المشروعة جدير بأن
لايستعمل الا فى الباطل ودمار الانسان بكل عوامل الهدم
والخراب وتكون بالفرقة والاختلاف الذى زرعه المرابون فى
قلوب الناس الذين يسلبونهم أموالهم من غير حل ، فتتزرع
الفجائن ويشتد الخصام ويديل الله من الظالمين من حيث
أرادوا الراحة فاذا هم خامدون بما جمعوا من السحت وتلك من
جنود الله التى لا يعلمها الا هو ، وهى معارك أيضا تدور
رحاها اليوم فى العالم من جراء استباحة الربا .

يقول ابن القيم مبينا حكمة التشريع فى المعاملة
الاسلامية فى تحريم الربا :

"وسر المسألة أنهم منعوا من التجارة فى الاثمان
بجنسها لأن ذلك يفسد عليهم مقصود وهذا المعنى بعينه موجود

فى بيع التبر والعين ، لأن التبر ليس فيه صفة يقصد لأجلها فهو بمنزلة الدراهم التى قصد الشارع ألا يفاضل بينها ، ولهذا قال "تبرها وعينها سواء" فظهرت حكمة تحريم ربا النساء فى الجنس والجنسين ، وربا الفضل فى الجنس الواحد ، وأن تحريم هذا تحريم المقاصد وتحريم الآخر تحريم الوسائل (١) وسد الذرائع ، ولهذا لم يبح شيء من ربا النسيئة " .

وقد تناول الفقهاء فى الفقه الإسلامى كل ما يفسد الدين والأخلاق ويفرق بين الناس وحذروا منه ، وأفاضوا فى بيان البيع الذى حرم الله وما يتعلق بالعاقدين والصيغ والمعقود عليه اسما وصفة وذكر أهل العلم كل الأسباب التى تبين بطلان الغرر وما يدخل فى إطاره ، كما أنهم لم يهملوا الاستثناءات ودواعى الحاجة التى قد تحمل على ارتكاب الشيء الحقيقى ولا يمكن الاحتراز منه تحت مظلة المصلحة المجلوبة أو دفع المضرة النازلة أو المتوقعة . (٢)

(١) اعلام الموقعين لابن القيم ١٤٠/٢ .
 (٢) انظر : المجموع شرح المذهب للنووى ٢٥٨/٩ ، ١٤٥-١٤٩ ،
 أحكام القرآن لابن العربى ٢٤٠/١-٢٤٦ .

المبحث الثالث

الأسس العامة فى المعاملات فى الاسلام

ومن المبادئ التى حرر بها الاسلام الانسان : الحرية بالمعنى الذى اقره الاسلام ، وهو مبدأ لا يهدمه الاسلام بل يستصحبه فى كل مجال على قدر المطلوب ، وقد جعل بلوغ الرشد علامة لحرية التصرف ، اذا سلم الانسان من العوائق التى لاتفيده الحرية معها كالجنون والسفه والطيش ، فالمعاملات لا يتم العقد بين طرفين فيها الا اذا كانت لهما الحرية ، أو على الأقل لأحدهما وقت التعاقد ولكن هذه الحرية يجب أن تقف عند الحد الذى لايتضرر به أحد الطرفين فلاغرر ولابخس ولاغش ولاضرر . وهذه شروط تصحب هذه الحرية فى المعاملة . وكون الاسلام يوجه الحرية الانسانية فى المعاملة لايدل على تقييد هذه الحرية وتحديدتها وتضييق دائرتها ، بل ان هذا التوجه هو التطبيق للحرية الممنوحة للانسان فى المعاملة واذا لم يكن هذا التوجيه فسوف تكون الفوضى ، ومن هنا يجد الخداع (١) مجالا .

ومن القيود والشروط فى المعاملات : اعتبار الحقيقة فيها وحصول المنفعة دون الاوهام التى لاتنبئ على الواقع ، فأحكام المعاملات مقصود فيها هذا الجانب المأخوذ من الصدق وكون المعاملات تنبئ على هذا هو الذى يدل على احتمال الحكم فيها على علل وسعت دائرة الفقه والفكر بالقياس على

(١) انظر : الدين والحفارة الانسانية ص ١٧٩-١٨٢ .

مانص عليه الشرع لما لم ينص عليه ، وقد نصب الشرع القضاة لظهار الحقيقة فى الحقوق والمعاملات ، وفى حكمهم أن الخطأ فى الحكم لا يحلل الحرام كما فى الحديث "انما أنا بشر وانكم تختممون ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من نار" .^(١)

ومن هنا أبطل الاسلام حكم التبني {ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله} ، والظهار قوله تعالى :^(٢)
^(٣)

{ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم} .

فالمقصود أن المعاملات والحرية فيها مقيدة بقيد الحقيقة دون الأوهام ، والتدليس والمغالطة ، وهذا هو الأخذ بالجانب الفطرى فى المعاملات ليكون كل شئ فى موضعه وحقيقته ، وبذلك يبتعد الناس عن الظلم .^(٤)

والمعاملة فى الاسلام من أسمى أهدافها وضع كل شئ فى موضعه لئلا يتظالم الناس فيفترقون ، وحينئذ تلتقى المعاملة بغيرها فى تحقيق الحق ، ولبيان هذا لابد من وقفة لبيان أن الشريعة هى التى جاءت بالحقوق ووضعتها فى موضعها .

ان تعيين الحق من أهداف الرسالة السماوية ، لأنه بذلك يتبين الفرق بين الحق والباطل فتجرى الأمور كلها فى مجراها الصحيح ويعرف كل أحد موضعه وحده ، واذا لم يتضح الحق من

(١) رواه البخارى فى كتاب الشهادات باب ٢٧ ، ومسلم فى كتاب الأقضية باب ٣ .
(٢) الآية من سورة الأحزاب : ٥
(٣) الآية من سورة المجادلة : ٢
(٤) انظر : أصول النظام الاجتماعى لمحمد طاهر عاشور ص ٣٤-٣٧ .

الباطل ويقوم الفرق بينهما لاثنا فى كل مكان وزمان ولكل أحد فلامعنى لاي نظام ولاوجود للحرية وحتى مبدأ المساواة لا يظهر له وجه ، لأن المساواة تتناول الحقوق فى اتجاهين هامين : الحقوق التى يتساوى فيها الناس ، والحقوق التى يراعى فيها التفاوت والتفوق ، وكلا الأمرين لا يتحقق الا بتعين الحق فى حد ذاته وتجسيد الفرق بين الحق والباطل ، ومن ثم كانت الشريعة الاسلامية فى كل أساليبها ووسائلها وأصولها وفروعها وفكرها وعلمها تستهدف فى كل شئ التفريق بين الحق والباطل لأنه بذلك يتعين الحق حقاً والباطل باطلاً .

فبدأت بالتفريق بين حق الله وحق الآدمى لأن تداخل الأمرين جعل الباطل يعلو زبده والحق يغطى على معالمه وتلك مميبة الانسانية فى العقيدة ، وقد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم معاذاً فقال : يامعاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ، قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، قال قلت يارسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : "لاتبشرهم فيتكلموا" (١) .

وقد تناولت الآيات فى بيان الحق وتحديد صاحبه لأنه لانظام اجتماعى اذا لم يصل كل أحد الى حقه . وليكون المسلمون على بينة حتى لا يتظالموا ولا يقبلوا الظلم ودين الله وصف بهذا التركيز عليه فقال تعالى : (٢)

{هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً} .

(١) رواه البخارى فى كتاب اللباس باب ١٠١ ، ومسلم فى كتاب الايمان باب ١٠ .

(٢) الآية من سورة الفتح : ٢٨

ولننظر الى الحق من جانب من يملكه نجده يعلق اسمه
(١)
بحرف لام الملكية قوله تعالى :

{وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين} .
(٢)
ويعلق حرف الجر بالجانب الذى عليه الحق قوله تعالى :
{وليمل الذى عليه الحق} .
(٣)
ويضاف الحق الى الشئ الذى منه كقوله تعالى :
{وآتوا حقه يوم حصاده} .

وفى كل ذلك المهمة هى بيان صاحب الحق ليمل الحق
اليه .

ومن حكمة الله تعالى وعدله احقاق الحق وابطال الباطل
فقد نوه القرآن فى أوائل مائى مناه بأهمية الاهتمام
(٤)
والتواصى فقال تعالى : {وتواصوا بالحق} ، والحق التواصى
(٥)
به هو شأن الانبياء قال تعالى :

{يادادود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس
بالحق} .

(٦)
والحق هو نظام استقامة العالم قال تعالى :
{ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق} .
(٧)
وقد وصف كتابه به فقال :

{وبالحق انزلناه وبالحق نزل} .

-
(١)	الآية من سورة البقرة :	٢٤١
(٢)	الآية من سورة البقرة :	٢٨٢
(٣)	الآية من سورة الانعام :	١٤١
(٤)	الآية من سورة العنبر :	٣
(٥)	الآية من سورة ص :	٢٦
(٦)	الآية من سورة الاحقاف :	٢
(٧)	الآية من سورة الاسراء :	١٠٥

(١)
ووصف به ما كان عليه رسوله صلى الله عليه وسلم فقال :

{انك على الحق المبين} .

(٢)
فلا وزن الا للحق كما قال تعالى :

{والوزن يومئذ الحق} .

وعلى أساس من بيان حق الله تعالى وحق آدميين والتفريق بين الحق والباطل تكونت الوحدة في المدينة وتبينت الحقوق للجميع حتى لغير المسلمين ممن يسكنون المسلمين في مدينتهم كما بينت لهم الوثيقة التي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين فيها الحقوق تأكيداً لما جاء في الكتاب والسنة وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة الاعتداء على الحقوق وحذر من استغلالها بوسيلة من الوسائل ، ولو كانت هذه الوسيلة القضاء الشرعي كما قال صلى الله عليه وسلم : "انما أنا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليدعها" .
(٣)

وليس لأي أحد أن يسقط الحق الذي أمر الله تعالى بإيصاله الى من خصه ، وعلى الأمة أن تحافظ على الحقوق لأهلها سواء كانوا أفراداً أو كانت الحقوق عامة للمجتمع أو كانت مشتركة بين أفراد ، وتملك يعود الى الفطرة في أنه استحقه من استحقه بالاختصاص كاختصاص الوالد بولده

(١) الآية من سورة النمل : ٧٩

(٢) الآية من سورة الاعراف : ٨

(٣) رواه البخاري في كتاب الشهادات باب ٢٧ ، ومسلم في كتاب الاقضية باب ٣ .

(١) والكسب {لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت} . (٢)

وهذا المبدأ الذى هو تعيين الحق لصاحبه عليه تنبنى السياسة للدولة الاسلامية والمعاملات بين الجماعة الاسلامية وبينها وبين أفراد غيرها ، وهو أمر كما يبدو له دور فى وحدة المسلمين مادام لا يعتدى على حق الغير ولا يخلط بين الحق والباطل ، وليست العقول البشرية القاصرة هى المصدر للحق وانما رب العالمين هو الذى حكم بهذا فآمن المسلمون بهذا وطبقوه فيما بينهم فتراحمت القلوب وتساندت و أمن كل واحد منهم الآخر كما طبقوه فيما بينهم وبين الطوائف الأخرى .

ومع توجه نظام المعاملات بين أفراد المسلمين فلا يتظالمون ، فقد خاطبت الشريعة وكلفت ولاية الأمور بالاشراف على سير المعاملات بين المجتمع المسلم تلافيا لما قد يحصل من جهل الجاهل وخطأ الخطائين مع وجود الضمير الناشئ من العقيدة وهو المراقب الذى لا يغفل ولا يمكن المسلم من الغش والاحتكار ونحو ذلك لأخيه المسلم ، فالولاية مأمورون بدعم هذه الناحية فى الأسواق فى مجالات العمل والانتاج وخاصة حينما يتوقف عليه توزيع الثروة أو العمل أو مواد العمل كالأرض ، وعلى الولاية مصاحبة الأصول التى تحقق لهم الأهداف فى هذا الاشراف وهى العدل والمواساة والمساواة ، وبذلك يتحقق تمكين الكاسب من كسبه أو مواساة من لم يكتسب والتسوية بين المشتركين ، فعلى الولاية مراقبة سير هذه التصرفات فى المعاملات ، وهذه من مسئوليات نظام الحسبة فى الاسلام ، وهى

(١) انظر : أصول النظام الاجتماعى لمحمد طاهر عاشور ص ١٧٨-١٨٥ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ٢٨٦

مراقبة تشدد الحاجة اليها فى المعاملات حينما ينقسم المجتمع الى فريقين : فريق أصحاب الأموال المستثمرة ، وفريق أصحاب الأعمال . ومن ثم تكثر نظريات العقود بين الطرفين وتتفرع الشركات ، فان الشريعة الاسلامية تضبطه وتحفظ لكل أحد حقه مع حرصها فى بقاء المودة والاخوة بل ان هذه المعاملات والعقود والشركات والعمل والأموال فى سياسة الشريعة الاسلامية أدوات متساندة ومتفاعلة فى نسج سرائق الألفة والوحدة بين الجميع فلا يظلم الغنى لحساب الفقير بدعوى الرحمة له ، فالعدل فوق الرحمة بل لامعنى للرحمة اذا انعدم العدل ، ولا يظلم الفقير الغنى بدعوى القوة المادية للغنى فان الثروة أو المادة اذا انحازت عن العدل فلا أثر لها ومما يفسد هذه السياسة المحكمة فى الأمة تركيز الشريعة فى وصف الشروط التى تجرى فى المعاملات ومعياريها بحالة كل فريق من ذوى العلاقة ثم النظرة الأخلاقية التى تحمل المسلم على الالتزام بالشروط بعد ما التزم بأنه لا يشترط شرطا ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .^(١)

فثقل ميزانه فى الأخلاق العامة التى تشترك فيه الأمم وفتحوا الباب على مصراعيه مشجعين من يدخل فى الاسلام وينضم الى وحدتهم ويكون من قوتهم كما دخلت أمم وبلدان فى الاسلام ورغبت عن قيادتها الى القيادة الاسلامية لما يجدون فيها من تحقيق الحق والاعتراف به لصاحبه .

(١) انظر : أصول النظام الاجتماعى لمحمد طاهر عاشور ص ٢٠٢-٢٠٥ ط/الشركة القومية للنشر والتوزيع ، تونس .

وقد جاءت النظريات الغربية متنافية مع هذه الحقيقة
الانسانية الفطرية الحضارية رغم دعواها التقدم والوعى
الفكرى كالنظرية الشيوعية التى سلبت الناس حقوقهم
وأفقدتهم ارادتهم وابنتها الاشتراكية التى ألغت التفاوت ،
ولم تطبق المساواة فيما فيه المساواة ، وشقيقتها
الراسمالية التى منحت لكل معتد حق غيره اذا توصل اليه
بوسائلهم المطلقة من كل قيد انسانى وفوق ذلك وقبله
الاعتداء على حق الله تعالى وجعله لمخلوق كعيسى عليه السلام
بل واستكمال هذا الحق للكنيسة التى تجاوزت الى حقوق
التحريم والتحليل والتشريع والغفران !..^(١)

(١) انظر : الدين والحضارة الانسانية للدكتور محمد البهى
ص ٢١٩-٢٢٤ .

المبحث الرابع

وظيفة تشريع المعاملات فى تحقيق الوحدة

ولقد كان الاصل الذى بنيت عليه المعاملات الاباحة والعفو مالم يرد التحريم أو الكراهية أو التقيد بشرط من الشروط ، وفى الحقيقة : ان هذا تمهيد لوحدة الانسانية فى المعاملات فى منهج الكتاب والسنة ، مادام هذا المنهج اقر ماكان عليه البشر فى جانب المعاملات دون تعطيل مصالحهم ومطالب حياتهم وضرورياتها .

ان أسلوب الشريعة الاسلامية فى كل قضاياها يتجه بالناس جميعا نحو خالق واحد وبأن لا يكون فى الناس شقى وتحقيق هذين المطلبين هو روح المعاملة فى الشريعة الاسلامية ، وبتحققهما تحققت الوحدة فى الوسيلة وهى المعاملة وفى الغاية وهى الوصول الى عبادة اله واحد وهو الله جل جلاله . فاذا كانت حياة الناس وبقاؤهم تتوقف على مداولة المعاملات بينهم من بيع وشراء واجارة ودين ونكاح ونحو ذلك لضرورات الحياة وحاجياتها وكمالاتها وهى عوامل اجتماع ووحدة ، والشريعة الاسلامية لاتفرق بين اثنين متفقين فى الحق ولاتعطل مايفيد الانسان فى حياته ويبنى الجماعة فى قوتها وترابطها ، ويحرك القوى الراكدة ، ومن هنا كانت هذه القاعدة فى الشريعة دعوة الى بقاء كل معاملة صالحة تضمن اجتماع الناس على الحق وتحقيق الاخوة فى اطار الاسلام !..

وفى ذلك تضييق لجانب الاختلاف الذى سيشتد عواره ويحتدم لظاه ، لو سلكت الشريعة فى المعاملات مسلكها فى تشريع

العبادات ، وهى أنها توقيفية بينما الأصل فى المعاملات الحل حتى يثبت دليل الحرمة ، ولكن أسلوب الشريعة فى الموضعين حكيم فى استمالة النفوس وبناء الوحدة ومؤازرة الجماعة وقوتها بروح التيسير وباعتبار استعداد النفوس فى المقام الأول .

ولما تقدم تبين بطلان رأى من يعتقد أن عقود الناس ومعاملاتهم وما يمحّبها من الشروط والقيود باطلة ، حتى يقوم الدليل للصحة والجواز ، وأفسد بهذا الرأى والاستصحاب غالب المعاملات والعقود وعطل الانسانية عن نشاطها بلادليل من الله تعالى ، وهو خلاف ما كان عليه جمهور العلماء من أن الأصل فى ذلك الصحة حتى يخبر الشارع ببطلانه أو ينهى عنه ، وهو ما يتمشى مع القاعدة الاعتقادية وهى : أن الحرام ماحرمه الله ، والواجب ما أوجبه ، والدين ما شرعه الله ، وعليها يبنى أن العبادات توقيفية ، وأن المعاملات الأصل فيها الجواز حتى يقوم البطلان ولذلك جاء النعى على المشركين والتسفيه لعقولهم لمخالفتهم هذين الأمرين الأصليين فى تحريم ما لم يحرمه الله والتقرب اليه بما لم يشرع . كقوله تعالى :

{وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشر كائننا فما كان لشركاؤهم فلا يمل الى الله وما كان لله فهو يمل الى شركائهم ساء ما يحكمون} . وقال تعالى :

{وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء

(١) انظر : اعلام الموقعين لابن القيم ٣٤٤/١-٣٤٦ ، الفتاوى لابن تيمية ١٢٦/٢٩-١٨٤ .

(٢) الآية من سورة الأنعام : ١٣٦

بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها
افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ، وقالوا مافى بطون
هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميته
فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم } (١) .

ومن البارز فى هذه المعاملة التى تستمد التحريم
والتحليل من تلقاء عقول أصحابها ، الفرقة بين جماعتهم
والتطبيق على أضعف المجتمع وهو المرأة ولكل عاقل أن يتأمل
هذا التفصيل العجيب والتحريم الغريب ليرى محدودية التشريع
البشرى وأنه لا يمكن أن يصدر منه إلا ما يفرق الإنسانية حيث
أراد الله جمعها عقيدة وعبادة ومعاملة . ولأدل على ذلك من
تضييق الإنسان على نفسه كلما أراد الله التوسعة عليه ، ولو
التزم الناس مجانية ما يضرهم مع فقه ما ينفعهم فى المعاملات
عقلا ونقلا لما اختلف اثنان .

إن بذل المنافع المادية من المال ونحوه والمعنوية من
العلم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو منافع البدن ،
بذل ذلك كله بين الناس على وجه الخير ونفع الغير وتبادل
المصالح بين أفراد المسلمين ، سواء كان بعوض أو بلاعوض -
أمر يشد الرباط بين المجتمع المسلم ويقوى العلاقات بين
أفراد الأمة ، وهو من أهداف المعاملات فى الاسلام . ففى المال
حقوق كثيرة بلاعوض غير الزكاة كقرى الضيف ، وصلة الأرحام ،
والاحسان الى الجار ، واطعام الجائع ، وكسوة العارى ،
واعطاء السائل ، وأنواع من الكفارات ، ومن الوفاء بالندور
ونحو ذلك مما يبذل فيه المال بلا عوض مادي والا فلا أجر

والثواب عند الله تعالى أعظم عوض . وكما يقول ابن تيمية :
 "بل المال مستوعب بالحقوق الشرعية الراتبية أو العارضة
 بسبب من العبد أو بغير سبب منه " .

فبذل المنافع بالمعاوضة أو بالشركات أو بالتبرع أو
 المدقة عامل مهم اهتمت به الشريعة لما فيه من التعاون
 والترابط بين الناس والتقريب بين جماعاتهم وأفرادهم
 وأغنيائهم وفقرائهم وخدمة بعضهم لبعض ، سواء ماكان منه
 واجبا أو مستحبا ، هذه السياسة الشرعية من ضرورات الدين
 والدنيا .

وإذا كان بذل المنافع بلامعاوضة أمر محمود وأسلوب
 جاءت به الشريعة للتأليف بين القلوب ، فبذلها بالمعاوضة
 من باب أولى لئلا تكون الأحقاد ولايسود الظلم ولايعتدى القوى
 على الضعيف بعدم المعاوضة له ، والله قد حرم على كل أحد
 مال غيره ودمه وعرضه إلا بحقه .

والمعاوضة إما أن تكون مالا بمال كأحوال البيع
 وأنواعه ، أو نفعا بمال كأنواع الإجارة ، أو مالا بنفع
 كالجعالة ، أو نفعا بنفع كالمشاركات من المضاربة ، وهذه
 الأحوال استوعبت المعاملات الاقتصادية التى يستثمر المال أو
 العقار أو الجهد والطاقة ، ولكل نوع شروطه وطرائق مزاولته
 بين الطرفين أو أكثر .

يقول شيخ الاسلام معلقا على أهمية المعاوضات :
 "وبالجملة فوجوب المعاوضات من ضرورة الدنيا والدين ، إذا
 الإنسان لاينفرد بمصلحة نفسه بل لابد من الاستعانة ببنى جنسه
 فلو لم يجب على بنى آدم أن يبذل هذا لهذا مااحتاج اليه ،

وهذا لهذا ما يحتاج اليه لفسد الناس وفسد أمر دنياهم ودينهم فلاتتم ممالحهم الا بالمعاوضة ، وصلاحتها بالعدل الذى أنزل الله له الكتب وبعث به الرسل" كما قال تعالى :
{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط} .

والمعاوضة اذا دعت الحاجة الى بذلها فى مقابل ما يحتاج اليه المسلمون من نفع أو مال أو صناعة أو فلاحه فهى تدخل فى الضروريات لكن بلاضرر على أحد ، لأن مرونة الشريعة فى باب المعاوضات من أسبابه ازالة الأضرار على الناس وهى لاتزال بأمثالها ولابالاكراه فضلا عن الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين ، فمثلا الاحتكار الذى فيه ضرر للناس لايجوز كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "لايحتكر (٢) الا خاطئ" .

ولايزال هذا الضرر بالاعتداء على المحتكر وانما يحمل على بذل ماله للناس فيه حاجة ويزيل عنهم الضرر فى مقابل المعاوضة له ، دون ظلمه ، فاذا احتاج المسلمون الى أنواع الصناعات ونتاجها فعلى أصحاب الاختصاص فى هذه الصناعات القيام بالواجب ويلزمهم ولى الأمر بالفلاحه والنساجة والبنائية ونتاج السلاح والسلع بالمعاوضة ، كما أن عليهم بذل الأموال بقيمتها ، وكل ذلك يكون فرضا عند الحاجة وهكذا اذا احتاج الجهاد والمجاهدون الى أى شئ من عند غيرهم من الرعية كالتجار والصناع وجب بذله لهم بالمعاوضة . (٣)

(١) الآية من سورة الحديد : ٢٥
(٢) رواه مسلم فى كتاب المساقاة والمزارعة ، باب تحريم الاحتكار فى الأقوات ج ٦ ، مع شرح النووى .
(٣) انظر : الفتاوى لابن تيمية ١٨٥/٢٩ - ١٩٦ .

وخلاصة القول أن بذل المنافع مقابل العوض أو بدونه رجاء لعوض عند الله تعالى توجيه للناس بالمعاملات ليتآلفوا وتكون بينهم وحدة لا ظلم فيها ولا غش ولا احتكار ولا أى نوع من أنواع المخادعة ، وفى نفس الوقت المعاملة الإسلامية تهىء كل فرد ليكون عوناً ومساندة لأخيه ، فالمعاملات لا تختلف مع أسلوب العقود والشروط بل هى تطبيق لها ولحلها كما أنها رفض لحرامها ، فجاءت الوحدة الموضوعية بين المباحث فى المعاملات كلها .

ورغم وضوح ظاهرة المعاملات فى الاسلام بأنها تنظيم للحياة الاجتماعية والتطبيق العملى للاخوة المستقامة من العقيدة ، وانها فى واقعها حركة وسلوك حضارى - رغم ذلك ، تصدى لها من نصب نفسه مقارناً بين الأديان ممن يتصور الدين بلامعاملة ، فيعيب على الدين شموله على المعاملات وأحكامها لأنها تصطدم بتقلبات الأحوال والبيئات فى أطوار متعددة ولا تخضع للنص ، وهى ان روعيت تناقض الآداب المرعية والعدل بين أمم الحضارة !!..

ولاجل هذه المعاملات فى الاسلام من الشركات والمصارف والجزاء والعقاب تأخر المسلمون عن الميدان الاقتصادى والتقيد بها اليه ترجع علة تأخرهم ، وهكذا يعتقد من نصب نفسه مقارناً بين الأديان أو من يعجلون لتحويل المسلمين عن دينهم من المستشرقين والمبشرين !!..

والواقع أن هذا النقد غير وجيه ولا هو بنزيه بل هو خطأ فادح وتجشم سافر فى مجاهل الجهالة ، لأن أصحابه لم يكلفوا أنفسهم أدنى رجوع الى تاريخ نشأة الشرائع لأنهم بذلك

سيعرفون أن المعاملات لازمة لزوم العقيدة لأصحابها ، وأن العقائد أيضا تمطد بالأحداث كما تمطد بها المعاملات فليس من الضروري أن تكون المباينة والمصادمة بالمعاملات فقط دون العقائد التي جرى فيها أعنف المصادمات ، فما يقولون لامعنى له ...!!

والذى يجب فى مثل هذا النقدان كان له وجه من النظر أن يتجه نحو المعاملات فى حد ذاتها ، فهل يوجد فيها مايجافى العدالة والأخلاق ، ويحول بين الناس والتقدم وضرورات الحياة الحضارية ؟

ولو تجرد هؤلاء النقاد من الهوى والتبعية لمعاملات غير شرعية وبحثوا لعلمو أن الأديان السماوية كان الناس فيها بحاجة الى معاملات تنظم عاداتهم الاجتماعية وتنزه أخلاقهم كحاجتهم الى العقيدة . وأكبر مايكون ضلال هذا الفهم حينما تخص الشريعة الإسلامية بهذا النقد وتعاب باحتوائها جانب المعاملات .

وبالنظر الى العقيدة الإسلامية ومايرتبط بها من المعاملات فى الشريعة لانجد مايعوق الرسالة الإسلامية عن أداء الواجب ، فكل شئ فى الإسلام عقيدة ومعاملة وعبادة انما يتضافر على أداء هذه الرسالة العالمية بلاتميز ، ولم يمنع الإسلام قط معاملة بين الناس جميعا تنطوى على النفع والترابط بين بنى البشر ، بل أساس الحظر فى الإسلام قائم على الضرر أو اجحاف أو طعن فى العقل والأخلاق ، والجزاء الذى يفرضه الإسلام انما هو بشروط وقيود ، ومالح لكل زمان ومكان ولمصلحة الفرد والجماعة ، وهؤلاء النقاد يتحرون

مناطق الضعف فى نفس المسلم ومواطن الاحساس لاقتناعه بأن ذلك
تقهقر فى دينه ، بينما كل ماجاء فى معاملات الشركات انما
يعود الى تبرئة المعاملة من الضرر والغبن ، وأما الحدود
(١)
أو الجزاء كلها تعميق لقضية التهذيب .

(١) انظر : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص ١١٠-١١٧ .

الفصل الرابع

نمو الوحدة الإسلامية
بالجهد فى سبيل الله

التمهيد :

العقيدة التى يرتبط الناس بها وينتظمون تحت شعارها مبدأ أصيل ورباط قوى ، والعبادة التى هى روح العقيدة تمتد وتشمل أفراد النوع البشرى وينضوى المجتمع كله تحت شعارها مبدأ ثان ، وكذلك المعاملة التى تفسر الالتزام بالعقيدة مبدأ ثالث . ولا بد للمبادئ من قوة تدافع عنها وتناصر شرعيته حتى تفرض وجودها وتأخذ طريقها الى القلوب دون عائق أو عدوان وإذا لم تكن قوة تراقب المبادئ عن كثب وتحمى حركتها وترد عنها غائلة المائل فان هذه المبادئ سوف تذهب أدراج الرياح ؟ .

ان تحقيق الرسالة أى رسالة ، ونيل النصر ، والوصول الى استقرار وأمن يحتاج الى قوة يرهب المعتدون جانبها ويرغب المستضعفون فى الالتجاء اليها ؟ .

والوحدة الإسلامية مبدأ واضح كغيره من المبادئ أسس الاسلام بنيانها على الدعوة بالتى هى أحسن وبدأها بالحوار بغية ارتباط الانسانية بالفطرة وما تستلزمه من الاخاء والتعاون دون أى مشكلة ، ولم تلجأ الدولة الإسلامية الى القوة الا حينما لم تجد الاستجابة لهذا الحوار الهادف

المصادق فى أخوته والذي يدعو الى الالتحام والتعاون دون
الفرقة والتخاذل ، لكن الدولة الاسلامية فى حركتها اصطدمت
بالشر يكفهر ويشمخر فى وجهها أو بالعداوة والبغضاء والشدة
تقف فى طريقها وبينما تعتمد على نصاعة الحجة اذا بها ترى
الجحود والخيانة فكان من الضرورى مقابلة القوة بالقوة
والشر بمثله لرد الكيد والخداع والمكر كقوله تعالى :
(١)

{انهم يكيدون كيذا وأكيد كيذا} .
(٢)
وقوله :

{يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم
وما يشعرون} .
(٣)
وقوله :

{واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو
يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} .
(٤)
وقوله تعالى :

{الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون} .
يرد هذا الأسلوب فى بضع آيات من القرآن وهو من باب
المشاكلة فى اللفظ ليكون أخف نطقا من المخالفة فى اللفظ
وان اختلف المعنى ، فكيد الله ومكره واستهزاؤه وخداعه
وسخريته كل ذلك من باب العقاب والجزاء ، وكما قال تعالى :
(٥)
{وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على
الله انه لا يحب الظالمين} .
(٦)

-
- (١) الآية من سورة الطارق : ١٥-١٦ .
(٢) الآية من سورة البقرة : ٩ .
(٣) الآية من سورة الأنفال : ٣٠ .
(٤) الآية من سورة البقرة : ١٥ .
(٥) انظر : تفسير الطبرى ١/١٣٢-١٣٤ ، القرطبي ١/٢٠٧-٢٠٩ ،
تفسير ابن كثير ١/٧٩-٨١ ، ط ١ ، سنة ١٤٠٦هـ ، دار
الكتب العلمية .
(٦) الآية من سورة الشورى : ٤٠ .

(١)
وقوله :

{الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمة قاص فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله
واعلموا أن الله مع المتقين} .

وفى السنة قول الرسول عليه الصلاة والسلام : " ان الله
لا يمل حتى تملوا ولا يسأم حتى تسأموا " .^(٢)

والدعوة الإسلامية لم تطو الآفاق ولم تضم شعوبا وقبائل
فى أمة واحدة إلا بالكفاح الذى يتخذ من الايمان والرحمة
والاخلاص لله تعالى سلاحا تعتمد عليه لتكون قوة تصدعت أمامها
الجبال وتفتت الصخور وتكسرت على قناتها سيوف الجبابرة مع
مالدى المسلمين من قلة الاستعداد المادى وقلة العدد ولقد
عرفنا من مواقف الأمم أن السلاح بدون الايمان لا يمنع شيئا ،
ان السلاح لا بد منه إلا أنه لا يكفى وحده بل لا بد أن يكون
الايمان ومبادئه توائمها ، كما أن المبادئ بدون السلاح
لا تبقى كما هو منطق الحق وشواهد الواقع .

ان استعمال القوة مع المبادئ الايمانية يحتاج الى
بصيرة وسياسة محكمة تميز العدالة من غيرها والانسانية من
ضدها وترى الرحمة والشفقة برذا وسلاما فى كل موقف حتى
لا يكون استعمال القوة عدوانا وطغيانا ودمارا ولذلك سمى
استعمال القوة فى الاطار الإسلامى باسم خاص يميزها عما عداها
وهو الجهاد الذى يبرز القوة الإسلامية لا لاجل الغلبة وشهوة
الحكم وهدف السيطرة وإنما للدفاع عن النفس والعرض والمال
والوطن ، وهى أمور كلها يفحى بها المسلم لأجل دينه ،
فالدعوة الإسلامية اذن تفرض الجندية لأسمى المبادئ الأهداف

(١) الآية من سورة البقرة : ١٩٤ .
(٢) متفق عليه : البخارى فى كتاب الميام باب رقم ٥٢ ،
ومسلم فى كتاب الميام رقم ٧٨٢ .

وهى وحدة الناس ، على عقيدة الحق وشريعة الله لازالة كل العقبات أمام هذه الرسالة لتسود بين البشر وتؤلف قلوبهم وتوحيدهم فى الادارات والاهداف وتزيل بينهم كل مايؤدى الى الفرقة والبغضاء ويحول بين الناس وبين العقيدة الصحيحة والشريعة السمحة التى تجمعهم ولا تفرقهم وتعرفهم بحقوق الله على عباده وحقوق بعضهم على بعض ، ومبدأ الدفاع عن الحق بالقوة هو السبب الذى يرتبط به نزول النصر اذا صبر المؤمنون وشابروا وحرصوا على استعمال وسائل القوة للدفاع عن الحق واعلاء كلمة الله وايصالها الى من يجهلها من العالم .^(١)

وسوف يكون هذا الفصل متناولا للمباحث التالية :

المبحث الاول : تعريف الجهاد فى سبيل الله وبيان أنواعه وتحديد أهدافه ورد ما يشار من مزاعم .
المبحث الثانى : أساليب القرآن والسنة فى الدعوة الى الجهاد وتحديد خصائصه ومزاياه .
المبحث الثالث : دور الجهاد فى تحقيق الوحدة الاسلامية

(١) انظر : الاسلام دين ودولة ونظام لعبد الحى العمرانى ص ١٤٣-١٤٤ ، ط ، فضالة المحمدية ، المغرب .

المبحث الأول : تعريف الجهاد فى سبيل الله وبيان أنواعه ورد ما يشار ضده من مزاعم

الجهاد لغة مأخوذ من الجهد وهو المشقة وبذل الطاقة والوسع .

والجهاد مصدر من الفعل الرباعى جاهد تقول جاهدت العدو مجاهدة وجهادا .^(١)

وفى الاصطلاح الشرعى الجهاد بذل الطاقة والوسع فى الدعوة الى دين الحق وقتال من لم يقبله ولم يستسلم لسلطانه فيقاتل بالنفس والمال كقوله تعالى :^(٢)

{انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون} .^(٣)
وقوله تعالى :

{ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} .
والجهاد فى نصوص الكتاب والسنة يطلق على كل عمل وقول يقصد به اعلاء كلمة الحق ورفع شأن الاسلام ، ولكنه يطلق فى الغالب على قتال الكفار لامتناعهم عن الدخول فى الاسلام

(١) انظر : لسان العرب والقاموس المحيط فى مادة "جهد" .

(٢) الآية من سورة التوبة : ٤١ .

(٣) السابقة : ١١١ .

(١)

والاستسلام لله رب العالمين .

والجهاد أنواع :

(أ) جهاد الكفار وطلبهم ابتداء في عقر دارهم ودعوتهم الى الاسلام ودفعهم عن المسلمين وديارهم ويكون باليد والمال واللسان والقلب .

(ب) جهاد المنافقين وهو أخص مايكون باللسان كما أن جهاد الكفار أخص مايكون باليد وكلاهما يستويان في الجهاد بالقلب وان كان الكفار والمنافقون يجمعهم الأمر (٢)
بالجهاد في آية واحدة كقوله تعالى :

{ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير} .

فكلا الفريقين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجهاده بالسيف الا أن جهاد المنافقين بالسيف هو اقامة الحدود الشرعية عليهم وأما الكفار فبمقاتلتهم لدفعهم الى قبول الحق ، ومنعهم من العدوان والأذى . (٣)

(ج) جهاد أهل الظلم والبدع والمنكرات ويكون باليد مع الاستطاعة وحسب المصلحة ثم باللسان فان لم يستطع فبالقلب وكل واحدة من هذه المراتب لها شروط وغايات ومصالح مفصلة في نظام الحسبة . (٤)

(١) انظر : المغنى مع الشرح الكبير ٣٥٩/١٠ ، ط ١ ، بداية المجتهد لابن رشد ٣٨٠/١ ، وحاشية الروض المربع ٢٥٣/٤ .
(٢) الآية من سورة التحريم : ٩ .
(٣) انظر : تفسير الطبري ١٦٩/٢٨ .
(٤) انظر : الأحكام السلطانية للماوردي في نظام الحسبة الباب العشرون ص ٢٤٠ .

(د) جهاد النفس وهو حملها على قبول الهدى وتعلمه لأنها بذلك تكون فالحة ، وحملها على العمل بمقتضى العلم لأن العمل هو ثمرة العلم والا فالعلم ضرر وحجة على الانسان وحمل النفس أيضا على الدعوة الى الهدى بالعلم والسيرة الحسنة ، وحمل النفس على الصبر والمشاق التي تترتب على الدعوة ويسببها التمسك بالحق والتحلى بجهاد النفس وغير النفس .

(هـ) جهاد الشيطان وهو مجموع ماسبق من أنواع الجهاد وهو مرتبتان :

الاولى : جهاده فى دفع مايوسوس به من الشبهات والشكوك المزعزة للايمان .

الثانية : جهاده فى دفع ورفض مايثيره من النوايا والارادة الفاسدة والشهوات المغرية ، وبهاتين المرتبتين يتحمن المؤمن باليقين فلا تنتابه الشكوك فى ايمانه وعقيدته وبالصبر فلا يتخلى عن واجباته الشرعية ولا تستهويه الدواعى الشيطانية فيفقد توازنه وتذوب شخصيته ويضعف أمام الكفر وأهله والنفاق وذويه والمنكر ومروجيه والبدع ومريديها .
(١)
(٢)
وهاتان المرتبتان تجمعهما الآية وهى قوله تعالى :

{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} .

والجهاد قد أمر الله به وأثنى على المجاهدين فى سبيل

(١) انظر : زاد المعاد لابن القيم ١١-٩/٣ ، وانظر : فتح البارى ٢/٦ ، حاشية الروض المربع ٢٥٤-٢٥٣/٤ .
(٢) الآية من سورة السجدة : ٢٤ .

الله كما سيتبين من المبحث الثانى ، وأمر بالاعداد له والتدريب على أساليبه كما فى قوله تعالى^(١)

{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لاتظلمون} .

فقد أمر الله تعالى باعداد القوة وتهيئة الآلات الحربية بكل أصنافها وفنونها لتكون عدة للإسلام وقوة مرهبة للاعداء^(٢) .

وقد قرأ النبى صلى الله عليه وسلم الآية هذه على المنبر فقال : ثلاث مرات : "ألا ان القوة الرمى ، ألا ان القوة الرمى ، ألا ان القوة الرمى"^(٣)

فالحديث تفسير للقوة فى الآية والاعداد الذى أمر الله "وفى الأحاديث بعده ففيلة الرمى والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد وغيرها والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدريب والحدق فيه ورياضة الأعضاء بذلك"^(٤) .

وفى هذا التوجيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ما يحفظ على المسلمين وحدتهم ويرد عنهم عدوهم ويقنط المخالف منهم فى النيل من هذه الوحدة . والمقصود بالقوة فى الآية كل ما يظهر من أنواع الأسلحة

(١) الآية من سورة الأنفال : ٦٠ .
(٢) انظر : أحكام القرآن لابن العربى ٢/٨٦١-٨٦٤ ، تفسير ابن كثير ٢/٣٢١ .
(٣) رواه مسلم فى كتاب الامارة رقم ١٦٧ .
(٤) انظر : النووى على صحيح مسلم ١٣/٦٤ .

ومواقع التحصين وحسن التدبير والقيادة وتركيز التدريب ،
والجانب الذى نص عليه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو
الرمى من أهم أنواع القوة المدربة ، كما أن رباط الخيل من
أهم آلات الجهاد وفى قوة معناها الصواريخ والدبابات
الحربية ونحوها ، وليس المقصود فقط فى الاعداد نشوب معركة
بل ان هذا الاعداد مفهومه أوسع من المعركة المنتصرة فى حد
ذاتها ، بحيث إن الأعداء اذا علموا أن المسلمين قد قاموا
بالاعداد بكل جوانبه ومستلزماته يصابون بالرعب والخوف
ويكفهم ذلك عن مهاجمة دار الاسلام ويدعوهم الى الدخول فى
الاسلام ويحملهم على دفع الجزية ومجانبة التحزب على
المسلمين ، وتضعف حيل المنافقين داخل المسلمين فلا يطمعون
(١)

فى النيل بسبب مايشاهدونه من القوة المرهبة لجانبهم .

يقول الشيخ أبو بكر جابر الجزائري :

"وهذا مايعرف بالسلم المسلح ، وهو أن الأمة اذا كانت
مسلحة قادرة على القتال يرهبها أعداؤها فلايحاربونها ، وان
رأوها لاعدة لها ولاعتاد ولاقدرة على رد أعدائها أغراهم ذلك
(٢)
بقتالها فقاتلوها" .

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

"انه يجب على المعسكر الاسلامى اعداد العدة دائما
واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة ، لتكون القوة
المهتدية هى القوة العليا فى الأرض ، التى ترهبها جميع
القوى المبطللة ، والتى تتسامع بها هذه القوى فى أرجاء

(١) انظر : التفسير الكبير ١٨٥/١٥-١٨٦ .

(٢) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير للشيخ أبى
بكر الجزائري ١٥٢/٢ ، ط الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ .

الأرض ، فتهاب أولا أن تهاجم دار الاسلام ، وتستسلم كذلك
لسلطان الله فلا تمنع داعية الى الاسلام فى أرضها من الدعوة
ولاتصد أحدا من أهلها عن الاستجابة ، ولاتدعى حق الحاكمية
وتعبيد الناس ، حتى يكون الدين كله لله " (١)

ويقول أيضا : وأول ماتمنعه هذه القوة فى حقل الدعوة
أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم فى
اختيارها ، فلا يصدوا عنها ، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها .
والامر الثانى : أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون
فى الاعتداء على دار الاسلام التى تحميها تلك القوة .

والامر الثالث : أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن
لا يفكروا فى الوقوف فى وجه المد الإسلامى وهو ينطلق لتحرير
الانسان كله فى الأرض كلها .

والامر الرابع : أن تحطم هذه القوة كل قوة فى الأرض
تتخذ لنفسها صفة الالهوية فتحكم الناس بشرائعها هى
وسلطانها ، ولاتعترف بأن الالهوية لله وحده ، ومن ثم
فالحاكمية له وحده سبحانه " (٢)

وبذلك تبقى الوحدة الاسلامية مرهوبة الجانب نامية
بالاعداد للجهاد وبالمعارك الفاصلة ان دعت الحاجة اليها ،
وتؤمن ألا ينسحب أحد منها دخل بالايمان وصار عضوا فى هذه
الوحدة معتزا بأخوتها وتآلفها وقوتها الضاربة والمرعبة ،
وترجو المزيد من الداخلين فيها والمنضمين الى صفوفها رغبة
فى الحرية من الاستعباد البشرى والخضوع لغير الله ورغبة فى
الحماية واستيفاء الحقوق .

(١) انظر : فى ظلال القرآن ١٥٣٨ المجلد الثالث .
(٢) فى ظلال القرآن للسيد قطب ١٥٤٣ المجلد الثالث .

ولاشك أن ضعف المسلمين واستهانتهم بالاعداد والتدريب على القوة سلاحا واقتصادا وسياسة واجتماعا وثقافة يعود اليه انصراف كثير من الامم التي ترسف في بدع الكفر عن الاسلام واليه يعود زهد كثير ممن يفتنه التبشير والالحاد فيخرج من الملة علنا أو ضمنا .

لأن النفوس فطرت على حب القوة وكراهية الضعف والاستسلام للاقوياء وتحقير الضعفاء لذلك كله كان التوجيه للمسلمين في الآية الكريمة دقيقا وفي الحديث النبوي الذي كشفت الايام عن كونه معجزة من معجزات النبوة حيث بدأ الرمي من السهم الى الرمي بالصواريخ والقصف بأنواع من الطائرات والدبابات والمدافع فتأكد قوله عليه الصلاة والسلام : ألا ان القوة الرمي" .

والقوة العالمية المعاصرة اليوم كلها تعتمد على الرمي من أطراف المعمورة الأرضية الى أطراف أخرى أبعد والآن في كل قارة في العالم ودولة من دول القوة المادية صواريخ موجهة نحو القارة الأخرى أو الدولة الأخرى لنشوب المعركة والتدمير بالرمي فقط .

ليس في ذلك باعث للامة المسلمة أن تدخل في الميدان صدقا وجدانيا وعمليا بمقالة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ؟ .

وقد جاء في منهج الكتاب العزيز ما يدل على وحدة بين المبادئ من العقيدة والعمل بالكتاب والسنة وبين أدوات القوة ومادة السلاح كقوله تعالى :
(١)

(١) الآية من سورة الحديد : ٢٥ .

{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز} .

فان المناسبة بين الكتاب الذى جاء بالهداية الشاملة عقيدة وشريعة وأخلاقا ، والميزان الذى هو العدل والحق ، والحديد الذى تصنع منه السلاح الرادعة لمن يأتى الحق وعاند هداية الكتاب بعد قيام الحجة وبيان المحجة ، فالمناسبة هذه بينة المعالم متساندة "فالكتاب هو الذى يتوسل به الى فعل ماينبغى من الأفعال النفسانية لأن يتميز الحق من الباطل والحجة من الشبهة ، والميزان هو الذى يتوسل به الى فعل ماينبغى من الأفعال البدنية ، فان معظم التكاليف الشاقة فى الأعمال هو مايرجع الى معاملة الخلق والميزان هو الذى يتميز به العدل عن الظلم والزائد عن الناقص ، وأما الحديد ففيه بأس ، وهو زاجر للخلق عما لاينبغى ، والحاصل أن الكتاب اشارة الى القوة النظرية والميزان الى القوة العملية ، والحديد الى دفع مالا ينبغى ، ولما كان أشرف الأقسام رعاية المصالح الروحانية ، ثم رعاية المصالح الجسمانية ، ثم الزجر عما لاينبغى ، روى هذا الترتيب فى هذه الآية " (١) .

"ولما كانت القوة التشريعية لابد لها من قوة تنفيذية تؤيدها وتجري أحكامها على الناس أنزل الله الحديد مع

(١) التفسير الكبير للرازى ٢٩/٢٤٠-٢٤١ .

الكتاب وجعله حاميا له ومدافعا عنه ، فلولاها ما حُميت حقيقة ولا قهر ظالم . اذ تتخذ منه الأسلحة وأعتدة الحرب والآلات المتنوعة لمختلف الصنائع والمرافق العامة ، فهو فى منافعه المادية كالكتاب فى منافعه الأدبية وذكره معه اذن باستعماله فى حماية الحق ونصر الدين ... " .^(١)

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم" .^(٢)

وبعد فما هى القوة التى دعمت انتشار العقيدة الإسلامية ودخول الأمم فى الإسلام ؟ .

ان الشمول الذى تميز به العقيدة الإسلامية من أقوى الدوافع للدخول فيها وانتشارها ، فهذه الأمم العريقة بفلسفاتها وحضاراتها لم تدخل فى الإسلام بالسيف وانما بطواعية لما لمستته من الشمول والمرونة فى الإسلام .

وما كان للإسلام من سيف أقوى من سيف غيره بل ان المسلمين هم الضحايا لجبروت الأعداء المتكاثرين .

والاعداد الهائلة التى دخلت فى الإسلام فى العالم لا تكفى الغزوات التى وصفت فى تحويل الملايين هذه من البشر الى الإسلام ، فلولا الشمول هذا والسماحة فى العقيدة الإسلامية لما اتسعت رقعة انتشار الإسلام علق به خصوم الإسلام كل شئ للإسلام

(١) الأستاذ عبد الله كنون فى تفسير المفصل ١٢٢ ، ط الأولى ، سنة ١٤٠١هـ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب .

(٢) رواه الامام أحمد فى المسند ٥٠/٣ ، ورواه البخارى فى كتاب الجهاد والسير باب ٨٨ .

ولا الى الاغراءات المادية من المال ونحوه من المتع وذلك هو كل مالى المبشرين بالعقائد المعادية للاسلام قديما وحديثا فكلما تفتحت الابواب بين الناس والعقيدة الاسلامية دون عائق من جبروت السلطان والمتسلطين ، ووجدت الفطرة فرصة من الحرية دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وماكان السيف فى الاسلام الا عاملا لازالة العقبات ومفتاحا لفتح هذه الابواب اذا توصدت وصعب أمرها وحالت بين الناس وبين الرؤية الصحيحة لذلك الشمول والمرونة فى العقيدة الاسلامية .

وعلى الرغم أن هذا الشمول بين فى الاسلام وتمتاز به العقيدة الاسلامية فهو لا يظهر لكل ناظر فلا بد من بحث عميق فى قواعد الدين وأسرار الكتاب والسنة فى الفرائض والمعاملات والمسئونات ، فلا يدركه الوثنى ولا النمرانى المتعصب ولا البدوى لأول وهلة قبل الاطلاع الهادف المتأنى .

وحيثما تراقب هذه الدراسة من الناحية العلمية : أحوال المسلم الحقيقى فى اعتقاده ووجدانه وعبادته ومعيشته سيرى الناظر التحرر الكامل من أى ولاء لآى مخلوق وشبح مالى فتبدو الوحدة المنسقة المتجهة نحو الخالق فى عقيدة وعبادة المسلم فهو يذكر الله ويوحد كيفما شاء دون استناد من أحد ويؤدى الصلاة حين شاء ولا تتوقف سلامته وقبوله بارادة أحد من الاوشان ولا الكهان ولا الرهبان ، وهو مع الله ، واذا توجه المسلم نحو الحج فهو لا يبحث عن بركة أو نعمة يجدها من المخلوق وانما يلتقى مع اخوانه على عرصات المشاعر بفكرة واحدة وهى توحيد الله واذا وجد احدا عند الكعبة لاشان له فيه فى تحقيق العبودية لله وليس قبر الرسول صلى الله عليه

وسلم من شروط الحج ولا من مشاعره ، وهذه البساطة والوحدة
فى أمر المسلم كله لاتكون فى أمة يختص الدين فيها برجال
معينين وتربط العبادة فيها بمزارات ووسائط تمنع أو تمنح
(١)
البركة والقبول .
(٢)
قال تعالى :

{يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك
والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم
لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة
يكفرون بشرككم ولايذنبوك مثل خير ياأيها الناس أنتم
الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد} .

(١) انظر : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه لعباس محمود
العقاد ٢٧/٢٣ .

(٢) الآية من سورة فاطر : ١٣ . ١٤٠ - ١٥

تتضمن على الجهاد بمعانيه ومراتبه .. فاذا كان الأسلوب في التعبير بصيغة الماضي تجده اخبارا عن جهاد المؤمنين وغالبا مايكون مقارنا بالايمان او ببركن من أركانه او بالهجرة وذلك في ثلاث عشرة آية (١) .

وبما أن الجهاد في معرض الاخبار عن المؤمنين هو ضريع الايمان فهو اذن عامل هام في تكوين الوحدة الاسلامية التي ينبغي ألا يشذ أحد عنها لتكون القوة .

وأما اذا كان الأسلوب بصيغة المضارع فانه يفيد التجدد والاستمرار بالنسبة للمؤمنين فهم لاينقطعون عن الجهاد لانهم مؤمنون ولأن ايمانهم يزيدهم بالجهاد ولو لم يستمروا في الجهاد لما استحقوا الثناء لأن الايمان الناقص هابط لا يستحق الثناء ويخشى أن يطفئ عليه النفاق العملى فيزيل ويجفل ، وأيضا تكون هذه الصيغة مقارنة بالايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر كقوله تعالى : (٢)

{تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم} .

(١) وذلك في السور والآيات التالية : البقرة : ٢١٨ ، آل عمران : ١٤٢ ، الأنفال : ٧٥،٧٤،٧٢ ، التوبة : ١٦،١٩،٢٠،٨٨ ، النحل : ١١٠ ، العنكبوت : ٦٩،٦٠ ، الحجرات : ١٥ .

(٢) الآية من سورة الصف : ١١-١٢ .

فالايمان بالله ورسوله مع الجهاد وتجاوزه وتجارة لن
تبور ينتج منها الامان والنجاة من المخاوف كلها وثمرتها

أمران :

(١)

غفران الذنوب

{يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم} .

والامر الآخر : الانتصار على الاعداء والحياة فى شمم

(٢)

واباء واعتزاز فى الدنيا .

وبتدبر القرآن الكريم لانجد الحياة الدنيا والحياة
الآخرة تجتمع لأحد الا للمجاهدين حيث يكتب الله لهم النصر فى
الدنيا يعيشون أعزاء أحرارا أشداء وقد أعد الله لهم نزلا
فى الآخرة ومع هذا فان تجارتهم هذه لاختارة فيها سواء قتلوا
أو لم يقتلوا ، وفى هذا أهمية كبرى لعامل الجهاد فى
دعم القوة للأمة المؤمنة وتساندها كقوله تعالى :

(٣)

{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع
وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من
ينصره ان الله لقوى عزيز} .

(١) الآية من سورة الصف : ١٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير عند تفسير سورة الصف ج ٤ .

(٣) الآية من الحج : ٤٠ .

ويخبر الله تعالى في آية أخرى واصفا المؤمنين
 باستمرارية الجهاد حيث لا يثنى عزهم عليه شئ ولا تأخذهم فيه
 لومة لائم ولا يريدون عنه بدلا يقول تعالى :
 (١)

{لا يستأذك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن
 يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين} .

وانما الاستئذان والرغبة عن الجهاد يكون من قوم
 لا يؤمنون في الحقيقة بالله ولا برسوله ولا باليوم الآخر وهم
 المنافقون الذين تمزقهم الشكوك وقد زادت قلوبهم وغارت من
 الايمان وفي العتة يعمهون .
 (٢)

{انما يستأذك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
 وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون} .

هؤلاء هم الذين يحفلون بالتخلف عن الجهاد ويفرحون
 كلما دارت معركة الجهاد وهم عنها بعيدون متربصين الدوائر
 بالمؤمنين المجاهدين كقوله :
 (٣)

{فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن
 يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله} .

وأما أسلوب الأمر والطلب فقد جاء في سبع آيات منها
 ما هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة تبع له كقوله
 تعالى :
 (٤)

{يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
 ومأواهم جهنم وبئس المصير} .

-
(١)	الآية من سورة التوبة :	٤٤ .
(٢)	الآية من سورة التوبة :	٤٥ .
(٣)	الآية من سورة التوبة :	٨٨ .
(٤)	الآية من سورة التوبة :	٧٣ ومثلها في التحريم : ٩ .

فهذه الآية تشمل أنواع الجهاد كلها بالسيف والحجة والعمل الذى يجذبهم الى حظيرة الاسلام بالصدق والانضمام الى المجاهدين فى سبيل الله .

وفى آية أخرى نهى الله سبحانه وتعالى نبيه والمؤمنون تباع له عن طاعة الكافرين وهى ترك جهادهم وأكد ذلك بأمره^(١) اياه بجهادهم فقال :

{فلاتطع الكافرين وجاهدكم به جهادا كبيرا} .

والضمير فى "به" يعود الى القرآن الكريم "أو لترك الطاعة الذى يدل عليه فلا تطع ، والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون فى توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على أمرك بنواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم ، وجعله جهادا كبيرا^(٢) لما يحتمل فيه من المشاق العظام" .

هذا ماكان من الخطاب الموجه الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس جميعا أن يكونوا أمة واحدة ويؤلف الله به بين القلوب فلو كان الجهاد كما يتصور الأعداء من أنه سفك للدماء واحداث الفرقة فى البشرية لما أمر الله به نبيه بهذا الأسلوب الدقيق البليغ الذى ماترك حجة لاحد من المؤمنين لأن يتهاون بجانب الجهاد الذى نشأت هذه الأمة الكبرى أسودها وأبيضها عربها وعجمها تحت سيف الجهاد وكلمة الجهاد .

وان كان الأمر من الله تعالى لنبيه بالجهاد ويشمل أتباعه ، فقد جاء أيضا فى القرآن أمر وطلب موجه الى

(١) الآية من سورة الفرقان : ٥٢ .

(٢) أنظر : تفسير الكشاف للزمخشري ٩٦/٣ ، وانظر تفسير البغوى ٣٧٢/٣ .

المؤمنين فى كل زمان ومكان مكلفين بالجهاد بكل انواعه ومراتبه ، فليس لآى أحد أن يقصر الجهاد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهذا التفصيل فى القرآن الكريم فى موضوع الجهاد دلالة واضحة على استمرارية الوجوب مادام المؤمنون على وجه الأرض وهناك من يتذكر للحق ويضع العقبات فى طريقه الى القلوب فيقول تعالى مخاطبا المؤمنين بأمره الواجب (١)
الامتثال :

{انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون} .
(٢)
وقوله :

{وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتمموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير} .
(٣)
وقوله :

{ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون} .
ولقد كان الترتيب فى الآية ذا مغزى بديع ، فالإيمان باعث الى التقوى ، والتقوى دافع الى البحث عن مايؤدى الى نتائجها من الوسائل وليس هناك وسيلة أضمن للفلاح وأقرب الى الرحمن من الجهاد الذى يسفر عن كل الوسائل المشروعة فى دين الله ، والتى ترفع المؤمنين المجاهدين الى أعلى المراتب ولا تنزلهم الى الحضيض الذى سقط فيه الراغبون عن

(١) الآية من سورة التوبة : ٤١ .
(٢) الآية من سورة الحج : ٧٨ .
(٣) الآية من سورة المائدة : ٣٥ .

الجهاد ، وارتكس فيه الذين تخيلوا الايمان والتقوى بلا جهاد
والامر بالجهاد مما يتخوفه المنافقون ويروئه داهية
نزلت بهم ، وذلك ما يحملهم على المبادرة وهم فى رعدة
وارتعاش الى الاستئذان والاعتذار بأوهى الاسباب وأقبح الاعذار
والواقع أن المنافقين يرون الجهاد أخطر شئ عليهم لما
يتضمنه الجهاد من الكشف على دغائلهم وأحقادهم ولما يرون
فيه من نمو الوحدة الاسلامية وانضمام أعداد هائلة من الناس
الى صفوف المجاهدين ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن ينمو
النفاق والجهاد قائم ، كما أن ترك الجهاد فرصة كبرى لنمو
خليا النفاق وسريانه فى صفوف جماعة المؤمنين النائمين غير
الخاضعين معارك الكرامة والشهادة ، فالجهاد يضم المؤمنين
بعضهم الى بعض متساندين ومتناصرين ويكشف من زيغ وزيف من
ليس منهم فهو اذن عامل وحدة وانضباط وفحص للجماعة ، واذا
استفتنا الأحداث التاريخية من عهد الرسول عليه الصلاة
والسلام الى يومنا هذا نجد النفاق دائما ينكشف فى أثناء
الاعداد للمعركة وفى أثناء السير اليها وفى نهايتها .
ففى نهاية معركة بدر أظهروا الاسلام وأبطنوا الكفر
وموقفهم من المسلمين فى معركة أحد معروف كما أن مواقفهم
مع اليهود داخل المدينة ايجابية ، وقد انكشفت سواة النفاق
فى أثناء السير الى تبوك ، كما تبين أمرهم فى نهايتها بعد
العودة الى المدينة ، وتبين أمر مسجد الضرار المريب .

(١) نزل وصفهم وهم يستهزءون بالمجاهدين فى طريقهم الى
تبوك وقوله : {قل أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزءون لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ...} التوبة
٦٥-٦٦ .

وهكذا كان أخوف ما يتوجسونه الحركة الى الجهاد والأمر به لما يرون فيه من الأثر البالغ في وحدة المسلمين وقوة مفهم المرموص . كما يشير اليه قوله تعالى :^(١)

{وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين} .
وأما الوصف بصيغة الجمع فقد ورد في آيتين مقارنة بين المجاهدين وبين القاعدين عن الجهاد لبيان فضل المجاهدين^(٢) ومكانتهم كقوله تعالى :

{لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الفرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما} .

فهذه المقارنة كشفت معالم الجهاد وأبانت عن شخصية المجاهدين ذلك لأنهم يرفعون لواء العقيدة ويجمعون العبيد الا بقين تحت شعارها بالقتال في الحرب وبال دعوة في السلم وفرق كبير بين من يجمع الناس بالحق على الحق ويسوقهم الى الله تعالى في وحدة متآلفة ومنهج صالح هادف وبين من يكون واحدا من الناس وان كان صالحا لنفسه .
وأما الآية الثانية فالله يخبر فيها بأن الجهاد مرحلة عليا لا يكون شئ في مستواها الا بالمصبر .

(١) الآية من سورة التوبة : ٨٦ .
(٢) الآية من سورة النساء : ٩٥ .

والصبر والجهاد متلازمان لا ينفكان والامتحان الذى يبلى
الله به الناس لا ينجح أحد منه ويخرج مظفرا الا المجاهدون
(١)
المابرون فيقول تعالى :
{ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والمابرين
ونبلوا اخباركم} .

وذكر فى ثلاث آيات الجهاد بصيغة المصدر الذى هو أصل
الاشتقاق والآية الاولى تنذر الامة عن عواقب الجهاد باختيار
الاموال والاهل والنفوس والمساكن رغبة فيها عن الجهاد كقوله
(٢)
(٣)
تعالى :

{قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فترجموا
حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين} .

ولا يظن ظان أن الله سبحانه وتعالى ينهى عن حب هذه
الامور التى ذكرت فى الآية فيظن أن الجهاد هو التجريد من
الدنيا وأن المجاهد هو الذى يعذب نفسه لا يكسب مالا ولا اهلا
ولا تجارة من الحلال وانما هو فقير معدم لاتهمه نفسه ولا يفيد
شيئا ويكون قدوة فى الضرر على الاسلام والمسلمين .

وانما الله سبحانه وتعالى يلفت نظر المسلمين الى أن
كل ما ينشدونه من الحياة الدنيوية والاخروية يشمل الجهاد

(١) الآية من سورة محمد : ٣١ .
(٢) انظر : تفسير الطبرى وابن كثير ، التفسير الكبير عند
الآية .
(٣) الآية من سورة التوبة : ٢٤ .

فإذا جاهدوا فى سبيل اعلاء كلمة الله وكان الله هو الهدف الأول عندهم سوف يغنيهم الله ويعزهم ويؤلف بين قلوبهم ثم يحقق لهم الحياة الابدية وهى الجنة وكفى بما مضى بياته .^(١)

وأما الآية الثانية فهى خاتمة سورة الحج التى عرضت فيها قضايا الجهاد بما فى ذلك الحج نفسه ، وفى هذه الآية أمر الله تعالى المؤمنين بالجهاد وأكد ذلك بالمصدر واختيار الله لهم انما هو بسبب الجهاد ، ولم يكن الجهاد من الحرج فى الدين فאלله لا يكلف نفسا الا وسعها وأهل الاعذار أعذرهم ، وان تسمية المؤمنين بالمسلمين لا يحققه فى حقهم الا الجهاد لانه يدل على استسلامهم لله حيث وجههم ولا يشهد لهم الرسول على أداء المهمة الا اذا جاهدوا الجهاد الذى يسفر عن اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والاعتصام بكتاب الله والوحدة عليه والتعلق بالله وحده استجلابا لنصره .^(٢)
قال تعالى :

{وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبىكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير}

وأما الآية الثالثة فهى بيان لتأكيد الجهاد وشرح لأسبابه وغاياته ، فالأعداء لا يجوز أن يتخذهم المؤمنون أصدقاء يستنمرون بهم ويلتحمون معهم فى اخاء وسلام ، لأن فى ذلك الغاء للجهاد .

كيف يكون ذلك بين أصحاب العقيدة وأصحاب الشرك

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٤٠/١ .
(٢) كقوله تعالى : {ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ...} سورة الفتح : ١٧ .
(٣) الآية من سورة الحج : ٧٨ .

والإبداع ؟ . هذا يخالف الجهاد فى سبيل الله سواء كان فى ميدان المعركة أو فى السلم وهو الدعوة الى الله تعالى رتبة من رتب الجهاد ، فعلى أية حال ، اتخاذ الأعداء أولياء وأصدقاء دلالة على أنه ليس هناك جهاد فى سبيل الله لا فى السلم ولا فى الحرب لأن مرضاة الله تعالى تباين وتناقض مرضاة الأعداء "أعداء العقيدة" فيقول تعالى فى هذه الآية (١) :
 {يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالموودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعل ذلك فليس منكم فقل الله سميع عليم}

فآلية كما جاء فى الروايات سبب نزولها قمة جرت لحاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه حيث علم بأعداد الرسول صلى الله عليه وسلم لغزو مكة وحاطب من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم من مكة فيريد أن يتقرب الى قريش بمكة بأخبارهم بما يعد له الرسول عليه الصلاة والسلام لتكون له يد عندهم لحماية ماله وولده هناك حيث لأقرباء له هناك

(١) الآية من سورة الممتحنة : ١ .
 (٢) هو حاطب بن أبى بلتعة اللخمى حليف بنى أسد صحابى جليل ورضى الله عنه شهد بدرًا والحديبية وقد وصفه الله تعالى بالإيمان فى قوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء} توفى فى خلافة عثمان سنة ٣٠هـ ، انظر : ترجمته فى الإصابة ١/١٥٣٤ .

تحميه فأرسل اليهم كتابا يتضمن النبأ الخطير ولكن الله أخبر به نبيه فأعيد الكتاب قبل الوصول وانكشف أمر حاطب فجاء هذا التوجيه له ولكل المؤمنين الى يوم تقوم الساعة .^(١) وقد كان هذا التوجيه رسما لسياسة دقيقة وكشفا لحقائق يجب على المؤمنين في كل زمان ومكان أن يستكشفوها ويعضوا عليها بالنواجذ ، وهى أن وصفهم بالايمان جعلهم أحياء لله ، وصار عدوا لله عدوهم فلا وجه للمودة بين طرفين كل واحد عدو للآخر وتلك عداوة لايجعلها المؤمنون وخاصة ماكان منها من قريش الذين أعلنوا الكفر فى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أخرجوه من بلده مكة وأذوا المؤمنين به وأخرجوهم كذلك فهذه الذكريات تثيرها الآية فى نفوس المؤمنين ، فماذا أبقاء المشركون بمكة بعد هذه الجرائم لتكون المودة بينهم وبين من آذوه وطردوه من بلده وماله وأهله ، ولم يكن السبب الذى حملهم على جرائمهم تلك غير ايمان المؤمنين واتباعهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، فالقضية هى قضية العقيدة والحق الذى كفر به أولئك وآمن به هؤلاء ، فلا يمكن أن يجتمع الايمان والهجرة لأجل الايمان والجهاد فى سبيل مرضاة الله مع المودة لهؤلاء المجرمين والاسرار اليهم بما لا يخفى على الله تعالى المطلع على السرائر كلها والظواهر ، فان من يدخل فى هذه الدسيسة يعرض نفسه لخطر عظيم وهو الضلال عن سواء السبيل ومن هنا جاء فى التوجيه الكريم الهمسة التى يتوجس قلب كل مؤمن منها خيفة مع مافيها من التهديد ، ومن ناحية أخرى وهى فى حد ذاتها تكفى فى صرف المؤمنين عن هذه المودة

(١) انظر : تفسير ابن كثير فى أول تفسير سورة الممتحنة .

والصداقة وهى أن الأعداء كل ما يبذونه من الوفاء ولين الجانب إنما هو فى الحقيقة ليتمكنوا من المؤمنين لمب النقم كلها عليهم ، ولا غاية لهم فى ذلك إلا الفتنة والحرص الشديد فى أن يشاركهم المؤمنون فى الكفر مرة أخرى "وودوا لو تكفروا" ولا شك أن من يريد للمؤمن الخروج من الإيمان وهو (١) النعمة الكبرى فى الحياة الدنيا عدو لدود خطير .

وذلك ما تسفر عنه الصداقة والموالة لأعداء العقيدة وخصوم الاسلام من النصارى واليهود والملحدين من الشيوعيين والبوذيين والوثنيين ولم يتمكن أعداء الاسلام من اضعاف روح الجهاد واخماد جذوة الإيمان فى النفوس التى هى الروح المعنوية للمجاهدين فى سبيل الله إلا بأساليب المودة والصداقات التى تطورت الى حد أنها توصلت فى بعض مظاهرها الى أن تكونت قوة من الأعداء مع بعض أهل المودة ممن يزعمون الاسلام ويحسبون عليه لمحاربة الديار الاسلامية واحداث خلخلة وزعزعة فى المسلمين وتفكيك وحدتهم ، وقوى الشر تستجيب لهذا وتنفق عليه كل مالهيا مادامت تجد طرفا أو جماعة أو دولة أو زعيما من المسلمين يطلب مودة أو صداقة من الأعداء ليقف فى وجه الآخرين من المسلمين ، واضعاف روح الجهاد واماتته يساند هذا المنفذ الخطير الذى مزق الوحدة الاسلامية وفرق بين قلوب المسلمين وشتت شملهم فلم يعودوا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وعن ديارهم فضلا عن أن تمتد وحدتهم وقوتهم لتضم شعوبا بالجهاد .

هذا هو الكسب الذى درته المودات والصداقات بين بعض

(١) انظر : فى ظلال القرآن للسيد قطب ٦/٣٥٤٠-٣٥٤١ .

المسلمين وبين الأعداء . طمست معالم الجهاد وصرفت القلوب الى أعداء الإيمان ، فنامت عيون الأعداء قريرة فلم تعد قلوبهم ترتجف خوفا من المسلمين المجاورين فكيف تصاب بالرعب ممن كان بينه وبين الأعداء مسافات ؟ .

وموضوع الجهاد فى القرآن الكريم لم يكن مقصورا على الآيات التى ذكرت فيها كلمة الجهاد فحسب بل انه من الموضوعات التى تنوع الحديث عنها فى القرآن بأساليب شتى ، وذلك بعرض ما أعدد الله تعالى للمقاتلين والمنفقين فى سبيل الله والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وغير ذلك من الأوصاف والمواقف التى ذكرها الله تعالى فى قصص الأنبياء واتباعهم من المؤمنين ومانزل عليهم فى سبيل الإيمان وتحقيق العبودية . ومما يلاحظ فى حديث القرآن عن الجهاد فى دعوته المؤمنين الى الجهاد وثنائه عليهم اذا جاهدوا : النص على الجهاد بالنفوس والأموال فى آيات كثيرة - ومما يبدو لى والله أعلم - من أحب شئ الى الإنسان "نفسه التى يحملها بين جنبيه وماله الذى يصرفه فى حياته ولا يلام الإنسان على ذلك لأنه فطر عليه "

(١)

كما ذكر الله تعالى عن الإنسان :

{وانه لحب الخير لشديد} .

(٢)

وقوله :

{وتحبون المال حبا جما} .

(٣)

وقوله :

{المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات

الصالحات خير عند ربك شوابا وخير أملا} .

(١) الآية من سورة العاديات : ٨ .

(٢) الآية من سورة الفجر : ٢٠ .

(٣) الآية من سورة الكهف : ٤٦ .

وكل ما يصيب الانسان من الخوف والجبن ، ويتمصف به من البخل والشح انما هو لحرمة على نفسه وماله فاذا ماعى الى الجهاد بهذين الامرين الغالبين كان الجهاد بغيرهما من باب أولى ، واذا أنفقهما للجهاد فى سبيل الله كان ذلك دلالة على قوة عقيدته وارتباطه بالايمان بيقين ولقد اعتبر المؤمنون حقاً أنهم باعوا على الله وشرى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ورضى الله تعالى عنهم وهذه الصفة الرابعة ماضية فى حق كل مؤمن ركيز الايمان وجد السبيل الى سوقها ، وذلك ما يفيد أسلوب الآية الكريمة فى صيغة الماضى (١) الواقع خيراً لأن المؤكدة فى قوله تعالى : (٢)

{ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} . "ولقد فهم الصحابة رضى الله عنهم أن عليهم الجهاد بالانفس والمال مجرد دخولهم فى الاسلام ، كما هو واضح من مقالة الأتمار ليلة العقبة الكبرى اذ طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يميلوا على أهل منى فكل مؤمن يعلم أنه باع نفسه وماله على الله حين دخوله فى الايمان وقبوله من

(١) انظر : كتابى ، منهج الدعوة الاسلامية فى البناء الاجتماعى على ضوء ما جاء فى سورة الحجرات ص ٢٣١-٢٣٣ .

(٢) الآية من سورة التوبة : ١١١ .

الله ورسوله عليه الصلاة والسلام لأن الاسلام لا يتميز الا
(١)
بالجهاد" .

(٢)
وعن شداد بن الهاد "أن رجلا من الأعراب جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ثم قال : أهاجر معك
فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فلما كانت
غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم فقسم وقسم له فأعطى
أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه اليه
فقال ما هذا قالوا قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم
فأخذه فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا
قال قسمته لك قال ماعلى هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على أن
أرمى الى ههنا وأشار الى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة
فقال ان تصدق الله يمدقك فلبثوا قليلا ثم نهضوا فى قتال
العدو فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه
سهم حيث أشار فقال النبي صلى الله عليه وسلم أهو هو قالوا
نعم قال صدق الله فمدقه ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم
فى جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه فكان
فيما ظهر من صلاته اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك
(٣)
فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك" .

واذا تدبرنا تلك الآيات فى أساليبها التى تشد
المؤمنين الى الجهاد وتلفت أنظارهم الى أنه يجب عليهم
الاهتمام بالعقيدة بالدفاع عنها والاستعداد لتقديم كل شئ فى

(١) المرجع السابق : منهج الدعوة ص ٢٣٣ .
(٢) شداد بن الهاد الليثى ثم العتوارى حليف بنى هاشم وهو
من بنى ليث بن بكر واسم ابيه الهادى : اسامة ، انظر
ترجمته فى الاصابة رقم ٣٨٥٢ ، ج ٥ .
(٣) رواه النسائى فى كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء
٦١-٦٠/٤ .

سبيلها نجد هذه الأساليب بمثابة المقدمات وتهيئة النفوس للآيات التي ذكر فيها القتال بلفظه وحقيقته ، حيث أنه مراعى الى الميدان والطعان ، لايسع المؤمنين الا الدخول فى مجال الموت بهدف الدفاع عن الحق وطلب ماعند الله وقد مل القوم الاختلاف والقتال بلا هدف فى أيام الجاهلية ، فماذا بعد الضلال الا الحق ؟ .

وقد دارت كلمة القتال فى القتال فى القرآن الكريم فى أساليب متعددة تتجه بالمؤمنين نحو راية الحق وجمع شمل العالم تحتها فى وحدة لاتقر بالالوهية والحاكمية الا لله تعالى واذا كانت كلمة الجهاد بكل تصاريدها تشمل مراتب الجهاد وأنواعه بالمال والنفس والسيف والكلمة ونحو ذلك فان كلمة القتال تشد الى المعركة مباشرة وتزج المؤمنين فى الميدان وتحض القادرين على القتال مباشرة بالسلاح أو بالقيادة والتخطيط للقتال ، خلاف كلمة الجهاد التى قد لاتشد الى المعركة فلكل واحدة منهما مغزى فى استعمالها .

كما توجه الخطاب من رب العالمين الى المختار صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى :
(١)

{فقاتل فى سبيل الله لاتكلف الا نفسك وحرص المؤمنين عسى الله أن يكف بأئس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا} .

فالآية ليست كما يظن بعض الناس من أن فريضة الجهاد على النبى صلى الله عليه وسلم فقط ثم ندب اليه المؤمنون ، بل ان هذا الامر أشد فرضية للجهاد على المؤمنين القادرين ،

لأنهم تبع للرسول عليه الصلاة والسلام فى الأمر ، ثم كلفو
بتحريضه كما أمره الله "وحرّض المؤمنين" وهو التحريض على
القتال وعلى فرضية أن أن المؤمنين تباطلوا عن القتال فهل
ذلك عذر للقائد أن يتباطل هو ؟

كلا بل عليه أن يقاتل هو بنفسه فإن الله سينصره بجند
ونصر من عنده كما هو الحال مع المجاهدين قتلوا أو كثرُوا ،
فالانتصار ليس بالكثرة وإنما هو بالامتثال لأوامر الله تعالى
والحرص على تبليغ رسالته الى الناس كافة .^(١)

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال والتعبئة
العامة عند انقضاء الاجل الذى ذكره فى قوله تعالى :^(٢)

{فاذا انسَلَخَ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد} .
وقوله تعالى :^(٣)

{واقتلوهم حيث شققتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم} .
وقوله :^(٤)

{ياأيها النبى حرّض المؤمنين على القتال} .

ولم يقف البيان عند الأمر بالقتال فقط دون بيان
المبرر الذى يحمل المؤمنين على القتال فقد جاءت الآيات
البيّنات بإعلان المبرر للقتال لأن الرسالة الإسلامية لا تبدأ
بالعدوان وإنما تدعو الى الوفاء وتوفير الحرية للدعوة
لتصل الى كل قلب فاذا وقفت العقبات أمامها لزم الوقوف فى

(١) انظر : تفسير ابن كثير وأحكام القرآن لابن العربى
والكشاف للزمخشري عند تفسير هذه الآية .

(٢) الآية من سورة التوبة : ٥ .

(٣) الآية من سورة البقرة : ١٩١ .

(٤) الآية من سورة الأنفال : ٦٥ .

وجهها مع بيان المبرر للقتال وهو :

(١) أنهم يقتلون ظلما ويعتدى عليهم بسبب أنهم مؤمنون ،

فالله سبحانه ذكر أنهم ظلموا فعليهم أن يردوا الظلم

(١)

فقال :

{أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم

لقدير} .

(٢)

ويقول تعالى آمرا برد العدوان :

{واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم} .

(٣)

وقوله :

{وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة} .

(٤)

وقوله :

{فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين} .

(٢) القتال لرد الفتنة وتصيير الدين كله لله . كقوله

(٥)

تعالى :

{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله} .

(٦)

وقوله :

{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} .

(٣) القتال لاثبات العهود والوفاء بها ورد العدوان على

الرسول عليه الصلاة والسلام .

-
(١)	الآية من سورة الحج :	٣٩ .
(٢)	الآية من سورة البقرة :	١٩١ .
(٣)	الآية من سورة التوبة :	٣٦ .
(٤)	الآية من سورة البقرة :	١٩١ .
(٥)	الآية من سورة البقرة :	١٩٣ .
(٦)	الآية من سورة الأنفال :	٣٩ .

(١)

كقوله تعالى :

{أَلَاتِقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَِّ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} .

(٢)

وقوله :

{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَمَّةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَنْتَهُونَ} .

(٤) الْقِتَالُ لَطَلْبُ الْحَيَاةِ الْإِبْدِيَةِ الَّتِي لَا سَقَمَ فِيهَا وَلَا نَكْدَ ،

مَادَامَ أَصْحَابُ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ الدُّنْيَا يُقَاتِلُونَ لِأَجْلِهَا .

(٣)

كقوله :

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ

أَجْرًا عَظِيمًا} .

(٥) قِتَالُ الْكُفَّارِ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ مَبْرَرٌ لِيُقَاتِلَ

(٤)

الْمُؤْمِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :

{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ

الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} .

(٦) الْقِتَالُ مِنْ جَانِبِ الْكُفَّارِ لِإِخْرَاجِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ دِينِهِمْ مِنْ

(٥)

أَهْمِ الْمَبْرَرَاتِ لِلْقِتَالِ :

{وَلَا يُزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ

اسْتَطَاعُوا} .

تلك هى أهم المبررات لإعلان القتال من جانب المؤمنين ،

وهى إذا ما قورنت بالمبررات للحروب القائمة الطاحنة قديما

(١) الآية من سورة التوبة : ١٣ .

(٢) الآية من سورة التوبة : ١٢ .

(٣) الآية من سورة النساء : ٧٤ .

(٤) الآية من سورة النساء : ٧٦ .

(٥) الآية من سورة البقرة : ٢١٧ .

وحديشا والتي لايزال بركاننا يزيد انفجارا يوما بعد يوم لاتجد المقاربة ولا المشابهة بين المبررات للفريقين : فريق المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله الذين يقاتلون فى سبيل اعلاء كلمة الله ولانقاذ البشر من الهلاك والضياع والتناحر وفريق اهل الكفر والشرك الذين يقاتلون لاجل الشهوة والغضب لنلا يوحد الله وحده ، وهم يشمئزون اذا ذكر الله وحده ، ويقاتلون لتوفير الرغبات الجامحة والشهوات الماجمة ، وليسלט القوى على الضعيف ، ولذلك نجد القتال فى الاسلام يرتبط بالغايات النبيلة بينما القتال فى غير الاسلام سواء كان قبله أو بعده لاضابط له الا مجرد ارادة اهل الاهواء وانفعال الاقوياء ، ولا أهداف له الا شهوة السيطرة والشبع والفجور .

انه فرق كبير بين من يقاتل الناس لامتناعهم من الاعتراف بالوهية خالقهم وصددهم عنه ، وبين من يقاتل الناس بسبب أنهم قالوا : ربنا الله وحرموا الحرام وأحلوا الحلال وتحلوا بالاخلاق الفاضلة وصدقوا الفطرة السليمة .

وكل ذلك واضح بين فى المعارك التى خاضها المجاهدون المؤمنون من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حتى توقف الجهاد ، وصار القتال فى سبيل شهوة الحكم والاعتداء على الآخرين والعصبية العنصرية والاقليمية .

هذه هى أول معركة خاضها المؤمنون المجاهدون فى الاسلام وهى "بدر" وقد كان الهدف واضحا للفريقين فيها ، ومطابقا لطبيعة كل فريق ، فالاهداف هى التى تجعل لكلك معركة قيمتها "فأما فريق الاسلام فقد أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام

الهدف الذى بسببه يقاتل جند الله ، كما روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال حين التقى الفريقان : " اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم آت ما وعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصاة من أهل العصاة من أهل الاسلام لاتعبد فى الأرض ، فما زال يهتف بربه ماذا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال يانبى الله كذاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك" .^(١)

وفى رواية " اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم ان شئت لم تعبد ، فأخذ أبو بكر فقال حسبك فخرج وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر" .^(٢)

فهذان النمان يحددان الهدف والغاية من القتال وهو : الدفاع عن عبادة الله وأن المقاتلين هم العصاة المؤمنة فى الأرض اذا هزمت ومحيت سوف لايعبد الله على الأرض ، وأنهم يقاتلون طلبا للشهادة ورغبة فيما عند الله وهو الجنة ، ان هذه العبارة "فى اسلوب الدعاء فى خشوع وعبودية كاملة لله تعالى هى الحجة لهذه الجماعة المؤمنة ، حجة لتقاتل لتطلب النصر فاذا لم ينتصروا فالكون كله يشكو لانه لا يوجد فيه من يعبد الله سبحانه وتعالى بعد هذه الفئة المؤمنة "

وأما فريق الجاهلية فهذا أبو جهل يعبر عن هدفه والدافع له فيقول : "والله لانرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجذور ونطعم الطعام ونسقى الخمر ، وتعزف

(١) رواه مسلم فى كتاب الجهاد رقم ٥٨ .
(٢) رواه البخارى فى كتاب المغازى باب رقم ٤ .

علينا الفتيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون
(١)
يهابوننا أبدا فامضوا " .

ان هذه الكلمات اذا تأملها المتأمل فى روية ،
واستعرض تاريخ الجاهلية منذ بدأت بامتناع ابليس من السجود
لآدم عليه السلام كما أمره الله - فمنذ ذلك التاريخ الى
عصرنا هذا وعصر التقدم والتطور كما يقال ، لاتحيد الجاهلية
عن الاهداف التى ذكرها أبو جهل "فرعون هذه الأمة " ولأجلها
تقاتل وتحارب العقيدة والمؤمنين .

انها أهداف واضحة وهى لاتعدو أركان المادية : الأكل
لاملاء البطن ، والسكر والعربدة مع القيان وعزفهن المثير
للشهوات لاشباع غرائز الشيطان ، من هذه المبادئ والاسس
تنطلق السمعة المزيفة بين القبائل العربية .

وفى السنة المطهرة وردت أحاديث كثيرة فى المحاح عن
المطفى صلى الله عليه وسلم بنفس الاساليب التى وردت فى
القرآن الكريم من البيان والترغيب فى الجهاد والترهيب عن
تركة ، وتفخيم ما أعد الله للمجاهدين ، والجهاد يشغل حيزا
كبيرا فى مصادر السنة وأفردت له كتب وأبواب فى الامهات ،
واستقلت به كتب ، بل أن السيرة النبوية كلها فقه لجهاده
وبيان لسلوكه فى المعارك بالسيف وبالكلمة وبالقدوة الحسنة
والأمة المؤمنة التى كونها ورباها عليه الصلاة والسلام ونمت
وربت وامتدت فى الآفاق وطوت أمما وأسقطت امبراطوريات
جاهلية ، مزقت الانسانية وطمست معالم النبوات .

هذه الأمة ادت حق الجهاد وهو الذى أسفر عنها بكل معنى

(١) ذكره ابن كثير عن ابن اسحاق ٢٦٥/٣ .

الكلمة ، ووسع رقعتها ، وأرسخ دعائمها ، ومن جوانبها ،
وبلغ رسالتها ، وأزال بها غشاوة على العقول ، وحطم بها
حواجز بين الأمم والأجناس ، فامتزجت العقول وتآلفت بالقلوب
والأهداف ، تحت شعار الوحدة الإسلامية .

ولقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام الأهداف والغايات
التي يسببها يقاتل والأساليب والوسائل التي يصحبها في
إعدادة وتدريبه للقتال وفي ميدان المعركة وفي نهايتها
وكلها نسج للوحدة ورس لصفا وقوة لكلمتها .

وهذه الغاية واضحة في قوله عليه الصلاة والسلام :
"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن
محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا
ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على
الله" (١) .

(٢)

فإن الغاية في الحديث هي نفسها في الآية :

{فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وخذوهم واحصوهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
رحيم} .

فالقتال في الآية والحديث لغاية واحدة وهي توحيد
الناس على عقيدة واحدة صحيحة أرسل الله بها رسوله ، والعمل
بمقتضى هذه العقيدة عبودية وعلى رأسها "الصلاة" وتكاتها

(١) الحديث متفق عليه كلاهما أخرجه في كتاب الإيمان .

(٢) الآية من سورة التوبة : ٥ .

واجتماعا رحمة وتضامنا وخدمة من الغنى المسلم الفقير وعلى رأسها " الزكاة " هذه هي المبادئ التي يجب أن تقوم عليها وحدة الناس ، وإذا امتنعوا يجب على المتعاونين والمتكاتفين المتأخين عليها قتال غيرهم ممن لا ينضم اليهم أو يضع العقبات في طريق دعوتهم ، ليعتزل المخالفة والفرقة وينضم الى المؤمنين الذين يقاتلون لاعتلاء كلمة الله .^(١)

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث لغاية تحقيق عبادة الله ، وعبادة الله لازمها الوحدة على مبادئها والتآلف بها ، لأن بذلك تزول العقبات أمام الدعوة ، ويعيش الناس في وئام ومحبة ، وإذا أزيلت المشاكل بين الناس والتباين في العقائد والأخلاق ، ليتحدوا في المشاعر والأهداف ويتفرغوا لما خلقوا له وهو عبادة الله وحده .^(٢)

وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر :
 "لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها قال فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون أن يعطاها فقال : أين على بن أبي طالب ، فقالوا : هو يارسول الله يشتكى عينيه قال : فأرسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال على : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

(١) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ص ٢٠٢-٢٠٣ .
 (٢) انظر : المصدر السابق ١/٢٠٦-٢٠٩ ، فتح الباري على صحيح البخاري ١/٧٥-٧٧ ، النووي على صحيح مسلم . ٢١٣-٢٠٦/٢

فقال : أنفذ على رسلك حتى تنزلك بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم".^(١)
لقد تبينت من هذا الحديث الشريف العوامل المؤثرة في المجاهدين ليقاتلوا التي يسعون وراءها :

(١) ان المؤمنين المجاهدين متفقون على حب الله وحب رسوله عليه الصلاة والسلام ويطلبون بالجهاد أن يحبهم الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ولذلك باتوا تلك الليلة يتحدثون ويخوضون كل واحد يود أنه هو صاحب الراية .
(٢) المجاهدون يقاتلون ليكون الناس مثلهم في الايمان والحقوق وينضموا اليهم كما استفهم على "أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟" .

المثلية هذه عجيب أمرها ، انهم يقاتلون لا لغرض القوة والسيطرة وانما لتكون وحدة وتآلفا ومساواة بين الناس المجاهدون في سبيل الله يحملون دعوة الله ويبلغون عن الله لا يصادمهم الا من يرفض دعوة الله ، وقتل هذا خير من بقاءه لأنه يريد للناس أن يتوزعوا عن الله ويتفرقوا بعوامل الفرقة فلا حق ولا عدالة تردعهم .

(٤) أغلى ما يظفر به المجاهدون هداية الناس وكسب من ينضم الى العقيدة وأصحابها المؤمنين ويزيد سواد الجماعة المؤمنة ، وتمثيل الرسول عليه الصلاة والسلام بحمر النعم له مغزاه فهي أثنى ما يحرس عليه المجتمع العربى قبل الاسلام ، وربما كانت حمر النعم سببا للفرقة

(١) رواه مسلم فى فضائل على رضى الله عنه رقم الحديث ٣٤ ومعنى يدوكون : يتحدثون .

والقتال ونشوب حرب تدمر اليابس والاخضر ، ولكن الاسلام
استبدل هذا الحرص بحرص آخر يجمع الانسان مع أخيه
الانسان ويضم شتات هؤلاء بالهداية والرشد والوحدة فان
ثم قتال فليس لسبب غير منع اراقة الدماء ومنع قطيعة
الرحم بل انه لربط الناس بخالقهم وحملهم على أداء
الحقوق فهذا خير من حمر النعم ، لانه بناء للجماعة
(١)
ونمو لامة مؤمنة قوية مرهوبة الجانب .

(١) انظر : النووى على صحيح مسلم ص ١٧٨ .

المبحث الثالث : وظيفة الجهاد فى تحقيق الوحدة الاسلامية

لقد كان الجهاد فى سبيل الله ، وخاصة جانب القتال منه معلما دالا على تماسك الوحدة الاسلامية والتحامها بين الافراد والجماعات والمصفوف من المؤمنين وما فرض القتال عليهم حتى تبين التآلف بين القلوب والنفوس ، ومقّلت قوة وحدة الصف فى كل شئ ، ويومها فرض القتال ليضم شعوبا الى هذه الوحدة ويحمى حقوقا وأعراضا وأموالا ودماء بسببها صار

الانفعال والتخاذل .

(١)

وذلك مايشير اليه قوله تعالى :

{ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم

بنيان مرصوص} .

ان هؤلاء الذين توحدت كلمتهم فى التوحيد ، وجمعتهم العقيدة ، ونظمتهم العبادة الواحدة لرب واحد ، بمنهج واحد فلم تتوزعهم الأهواء ، ولم يفرق بينهم التراب ولا الألوان ولا الاجناس ولا اللغات ان هؤلاء اذا اتجهوا الى القتال فى سبيل الله ، فى استواء نياتهم واجتماع كلمتهم ويحبهم الله تعالى ومن أحبه الله تعزز وانتصر .

(٢)

ان حب الله للمؤمنين أعلى مرتبة للمؤمنين من مرتبة حبهم له ، وكيف كان ذلك فى مجال القتال ، والاسلام لا يحبذه ولا يدعو الى القتال الا اذا قسر على القتال قسرا ؟

(١) الآية من سورة الصف : ٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى والرازى والكشاف عند تفسير الآية

ومن هنا يكلف به جهدا لمواجهة القوى المتجبرة على الأرض والمستغلة ضعف النفوس وجهل العقول وموروثات الأجيال - فيتعين على المؤمنين القتال لأنه هو الوسيلة الوحيدة لحرية الدعوة ومياغة الانسان كما أراد الله له ، ولا يقاتلون لأجل عصبيتهم ولا لألوانهم ولا لأرض ولا لشهوة الحكم . انما القتال فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ولأجلها يعيش المؤمنون فى الحياة ، وعند القتال لأجلها يقدمون نفوسهم للموت ، فى صورة جماعية منظمة ، يرفضون فيها الانعزالية (١) والخلاف .

يقول الاستاذ الشهيد سيد قطب :

"وهذه الصورة التى يحبها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم ، وتوضح لهم معالم الطريق ، وتكشف عن طبيعة التضامن الوثيق الذى يرسمه التعبير القرآنى المبدع {صفا كأنهم بنيان مرصوص} بنيان تتعاون لبناته وتنظام وتتماسك ، وتؤدى كل لبنة دورها ، وتسد ثغرها ، لأن البنيان كله ينهار اذا تخلت منه لبنة عن مكانها ، تقدمت أو تأخرت سواء . واذا تخلت منه لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو على جانبها سواء . انه التعبير المصور للحقيقة لا لمجرد التشبيه العام . التعبير المصور لطبيعة الجماعة ، ولطبيعة ارتباطات الأفراد فى الجماعة . ارتباط الشعور ، وارتباط (٢) الحركة ، داخل النظام المرسوم ، المتجه الى هدف مرسوم " . ولعل دعوة المؤمنين الى القتال فى صف مرصوص البنيان

(١) انظر : ظلال القرآن لسيد قطب ٦/٣٥٥٤-٣٥٥٥ .
(٢) ظلال القرآن لسيد قطب ص ٣٥٥٥ المجلد السادس .

يكون درسا عمليا لتثبيت الوحدة بينهم وتأليف القلوب على منهج ومبدأ ، والقتال من العوامل التى تكشف العيوب فى الجماعة كما أنه عامل مشجع على التلاحم لطبيعة الظروف القائمة والخطار المحيطة بالموقف ، ولذلك يوصى الله^(١) بالتماسك ونبذ الخلاف فيقول :

{يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} .
وكلما حصل الاختلاف انكشف للمسلمين مغبة وسوء نتائجها كما حدث يوم أحد حيث خالفوا القائد واختلفوا وتوزعوا .

ومما يؤكد هذه الروح فى الجهاد وهى تنمية الوحدة على المبادئ اعلاء لكلمة الله : هذه الوصية النبيلة للمقاتلين فى سبيل الله حملا للناس على الارتباط بدين واحد عقيدة وشريعة يربطهم بالله ، هذه الوصية العجيبة التى تحدد النوايا والاهداف والغايات فى القتال ، ^{فقد كان} الرسول عليه الصلاة والسلام :

إذا أمر أميرا على الجيش أو سرية أو صاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين ثم يقول : "أغزو باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت من عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال "أو خلال" فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم

(١) الآيتان من سورة الأنفال ص ٤٥-٤٦ .
(٢) لا تغلوا ، الغل : الخيانة والغلول : ما يخفيه أحد الغزاه من الغنيمة ولم يحضر الى أمير الجيش .

وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفئى شئ الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية ، فان هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم على حكمك فانك لاتدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا " .^(٦)

وفى هذا النص من السنة بيان رائع وتخطيط مفصل وسياسة دقيقة واضحة الاهداف سامية المنهج كلها تحيط القتال والمقاتلين بالعناية من التوجيه والمحافظة على الهدف المنشود وهو ألا يكون كفر ولا يسود ظلم وانما ايمان وعقيدة

-
- (١) أعراب : سكان البادية من العرب وغيرهم .
 (٢) الغنيمة : ما يجده المجاهدون من الأموال بالقتال .
 (٣) الفئى : ما يجده المجاهدون من أموال العدو بلا قتال .
 (٤) أن تخفروا : خفر الذمة ، نقصها وترك العمل والوفاء بها .
 (٥) تنزلهم : أى تلجئهم باضطرار ، انظر : جامع الاصول لابن الأثير الغريب منه ٥٩٢/٢ .
 (٦) رواه مسلم فى كتاب الجهاد رقم ٣ .

واحدة وتآلف وتراحم ليكون الناس جميعا أمة واحدة لا خلاف فيها ولا تظاهر بالعنصرية ولا تباین بالالوان واللغات والبيئات بل الجميع يجب أن يخضع لآله واحد هو خالقهم ورازقهم ويجتمعوا على العبودية له والتخلف بما يحبه من الاخلاق الآداب ويسيروا على منهاجه تحت راية الجهاد لجمع الشمل واعادة العبيد الآبقين الى ربهم وحملهم على أن يملوا رحمهم البشرى بالتى هى أحسن .

ولقد تناول الرسول عليه الصلاة والسلام لجند الجهاد كل القضايا التى يلزم أن ينطلق عليها ويسير ويقاقل ويعاهد ويسالم ولاأظن تاريخ البشر يعرف قديما أو حديثا مقاتلين يتحلون بمثل هذه الرحمة والرافة والوفاء غير المجاهدين فى سبيل الله ، ولايمكن أن تعرف العسكرية فى العالم قيادة تدرب وتربى وتوصى جندا على مثل هذه الامور العجيبة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يزود بها جند الجهاد بعد تربيتهم وتدريبهم اذا وجههم الى الغزو ، هذا الجند ماذا يرى من هذه القيادة حينما تباشر قيادة المعركة بنفسها ؟ يرى عجائب من السلوك ورحمة ورافة بالمؤمنين عزيز على هذه القيادة كل مايلاقيه المؤمنون من الشدة ، وصدق الله الذى وصفه بقوله :
(١)

{وانك لعلى خلق عظيم} .

(٢)
وقوله :

{فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب

لانفضوا من حولك} .

(١) الآية من سورة القلم : ٤ .
(٢) الآية من سورة آل عمران : ١٥٩ .

(١)
وقوله :

{محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء

بينهم} .
(٢)
وقوله :

{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} .

بل ان هذه الرحمة والرافة تشمل كل الأحياء من
المخلوقات ، فهو كما وصفه ربه يحزن لرفض الناس الإيمان
(٣)
كقوله تعالى :

{لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين} .
(٤)

ومدق الشاعر ان يقول في شائله :

واذا رحمت فانت أم أو أب

هذان في الدنيا هما الرحماء

واذا أجرت فانت بيت الله لم

يدخل عليه المستجير عدا

واذا ملكك النفس قمت ببرها

ولو أن ماملكت داك الشاء

واذا محبت رأى الوفاء مجسما

فى بردك الأصحاب والخلطاء

واذا بنيت فخير زوج عشرة

واذا ابتنيت فدونك الآباء

(١) الآية من سورة الفتح : ٢٩ .
(٢) الآية من سورة التوبة : ١٢٨ .
(٣) الآية من سورة الشعراء : ٣ .
(٤) وهو الشاعر أحمد شوقي .

واذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء
وتمد حلمك للسفيه مداريا
حتى يفيق بعرضك السفهاء

ونعود الى نص الحديث لنقف قليلا على المعالم التى هى
فى الحقيقة تشد الناس جميعا الى الانضمام الى المجاهدين
والدخول فى هذا الدين الذى وسعت رحمة الله فيه العالمين
كما شملتهم دعوته فهو يدعوهم بأسلوب الجهاد دعوة بالكلمة
وبالقتال الى أن يدخلوا فى هذه الوحدة الكبرى وأهم هذه
المعالم :

- (١) الغزو بأمر الله وباسمه وهو ما يؤكد أنه فى سبيل
الله لا باسم الوطن ولا باسم الشعب ولا باسم أى شئ آخر
- (٢) والقتال انما يتجه الى من كفر بالله لأن الكفر هو
الذى يستدعى أن يقاتل من يقاتله المجاهدون .
- (٣) ان هذا القتال لم يكن للدنيا وشهواتها وبها رجاها ولا
لغضب وانتقام وفسوة وفرض قوة وحكم ، ولذلك حرم فيه :
الغلول والغدر والمثلة وقتل من عدا المقاتلين من
الاطفال والنساء والشيوخ والمرضى والزمنى وكل من لم
يقاتل المجاهدين كما فى حديث آخر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم :

عن بريدة عن أبيه قال : "كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته
بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال : "اغزوا
باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا
ولاتغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ... " (١)

(١) من حديث رواه مسلم فى كتاب الجهاد والسير رقم ٢ .

(٤) ولا يبدأ المجاهدون بالقتال الا بعد التأكيد أنهم

لا يقاتلون الا لاجل العقيدة وكراهية الكفر .

وذلك بعرض خصلتين على المقاتلين وهى :

(أ) قبول الاسلام والانضمام الى المقاتلين ويكونون معهم

اخوة ولهم مالهم وعليهم ما عليهم ، لنتساءل ونتدبر أى

حرب يريد المحاربون به أن يكون من يحاربونه فى

مستواهم ؟ وهل تريد الرومان والفرس فى حروبها أن

تفرض المساواة بينها وبين من يقاتلونه قبل الاسلام ؟

وهل دمار التتر للبلاد الاسلامية وتدمير الخلافة الاسلامية

وحروب الملبين وغزوهم للبلاد الاسلامية وزحف الافرنج

على المسلمين فى الاندلس هل كل أولئك يريدون فرض

المساواة بينهم وبين من يقاتلونه ويغزونهم فى بلادهم ؟

وهل الحربان العالميتان الهدف فيهما أن يكون القوى

مع الضعيف فى مستوى واحد ، ويكون الرجل الابيض مع

الملون فى الانسانية والمتقدم حضاريا فى مستوى

المتأخر حضاريا ؟ وهل الحروب التى رفعت رايتها دول

الاستعمار حتى اليوم تقمذ أوروبا وأمريكا فيها فرضية

المساواة بينهم وبين المغلوبين وهل ذلك هو مقمذ

اليهود والتبشير النصرانى والفتنة الشيوعية ؟ .

(ب) واذا رفضوا الاسلام عليهم بدفع الجزية وهى مقابل

الدفاع عنهم ، وبدراسة هذا المقابل فى الفقه الاسلامى

نجد ضئلا ولا يعوض ما يجده الذميون من الحرية والعمل

والحماية فى الدولة الاسلامية فهذه هى الشعوب

المستعمرة اغتصبت خيرات بلادها وفرضت عليها الاتاوات

وانواع من الجزية ولم يجدوا تعليما ولا علاجا ولا تكافلا
(١)

اجتماعيا بل يخرجون من ديارهم وأموالهم .

وبهذا تبين أن القتال فى الاسلام لا لشيء الا لفرض

العقيدة والسلوك الفاضل والعمل الصالح كما قال المغيرة بن
(٢)

شعبة لعامل كسرى : أمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى

تعيدوا الله وحده ، أو تؤدوا الجزية ، وأخبرنا نبينا عن

رسالة ربنا أنه من قتل منا صار الى الجنة فى نعيم لم ير
(٣)

مثلا قط ، ومن بقى منا ملك رقابكم " .

(٤)

وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه الى أهل فارس :

بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد الى رستم

ومهران فى ملا فارس :

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانا ندعوكم الى

الاسلام فان أبيتم ، فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ،

فان أبيتم ، فان معى قوما يحبون القتل فى سبيل الله كما
(٥)

تحب فارس الخمر ، والسلام على من اتبع الهدى " .

(٥) ثم بين الرسول عليه الصلاة والسلام أنه اذا كان لابد من

(١) انظر : النووى على صحيح مسلم ٣٧/١٢-٣٩ .

(٢) المغيرة بن شعبة ابن أبى عامر الثقفى وكان من الدهاة والامراء والقواد ويقال له مغيرة الرأى كان لايقع فى أمر الا وجد له مخرجا توفى سنة ٥٠ من الهجرة ، انظر ترجمته فى الاصابة رقم ٨١٧٤ ، ج ١٠ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣٨/٧-٤٣ .

(٤) خالد بن الوليد المخزومى القرشى سيف الله أبو سليمان اسلم سنة ٧ بعد خيبر قائد موفق فى حروب الردة ورومان والفرس وقد أبلى فيها بلاء حسنا ، قال لما حضرتة الوفاة : "لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى ومامن عملى شئ أرجى عندى بعد أن لا اله الا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهلنى تمطر الى صبح حتى نغير على الكفار ، توفى بحمص سنة ٢١ ، انظر : ترجمته فى الاصابة رقم ١٤٧٧ ج ٣ .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٨/٦ .

القتال فالاستعانة بالله وحده "فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم" وذلك هو تدبير وتوجيه من يثق أنه مع الحق .

(٦) ولم ينس الرسول عليه الصلاة والسلام الظروف التي قد يفرضها الموقف وتؤدي اليها المعركة في العدو ، والعدو ماكر وعلى المجاهدين أن يلتزموا بمنهجهم ولا يحملهم بغض قوم ألا يعدلوا فيهم كما أنه ينبغي ألا يفتروا بقوتهم وانتصارهم ، فالعدو قد يلجأ الى أن ينزل على عهد الله ورسوله مستغلا مايعلمه من تعلق هؤلاء بالله وبالفاء بالعهود وباتباع الرسول القائد عليه الصلاة والسلام فيوقعهم في حرج بحيث أنه يطلب العهد أو أن ينزل على حكم الله ورسوله فيجد الموافقة من المقاتلين ثم يغدر ويخون ويحمل ذلك المجاهدون المؤمنون باجراء يخالف عهدهم ورضاهم بحكم الله ورسوله ، وذلك سلوك يؤدي الى الضعف عسكريا وأدبيا وينقص من كفاءتهم السياسية والحربية وهو أمر يحفل به العدو ويخطط لاحدائه ، وفي هذه الحالة أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعطوا العهد على مستواهم وينزلوا على حكمهم ويكون مرتبطا بالفاء من جانب العدو ، فان أمضى في وفائه مضى العهد أو الحكم وان غدر وخان فهو الذي نقض العهد .

وهذه سياسة محكمة عجيبة حيث ربطهم الرسول عليه الصلاة والسلام بها وعلمهم بأنه لابد من الالتزام بطاعة مصدر تشريع القتال وهو الله جل جلاله وطاعة القيادة المنفذة عن الله وهى : الرسول عليه الصلاة والسلام ، فسد عليهم الوسيلة التى تؤدى الى العصيان .

وفى كل الاحوال وصية القائد للجند والدعاة فى تأليف الناس من التيسير وترك التعسير لاينفكون منها . كقوله عليه الصلاة والسلام عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه :

" اذا بعث أحدا من أصحابه فى بعض أمره قال بشروا
(١)
ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا " .
(٢)
يقول النووى :

"وفى هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته والنهى عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها الى التبشير وفيه تأليف من قرب اسلامه وترك التشديد عليهم ، وكذلك من قارب البلوغ من المبيان ومن بلغ ومن تاب من المعاصى كلهم يتلطف بهم ويدرجون فى أنواع الطاعة قليلا قليلا وقد كانت أمور الاسلام فى التكليف على التدرج فمتى يسر على الداخل فى الطاعة أو المزيد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته

(١) رواه مسلم فى كتاب الجهاد .
(٢) محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرسى الحواربى الشافعى ولد سنة ٦٣١هـ ، صاحب التمانيف النافعة توفى سنة ٦٧٦هـ رحمه الله ، انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى .

غالبًا التزايد منها ومتى عسرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها وان دخل أوشك أن لا يدوم أو لا يستحليها ، وفيه أمر الولاة بالرفق واتفاق المتشاركين في ولاية ونحوها وهذا من المهمات (١) فان غالب الممالح لا يتم الا بالاتفاق ومتى حصل الاختلاف فات . هذا والجهاد بكل أنواعه ومراتبه ومنطلقاته وأهدافه عبر عنه الرسول عليه الصلاة والسلام أبلغ تعبير بايجاز في غاية البلاغة في حديث أبي موسى رضى الله عنه قال : " جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ . قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " . وفي رواية : فقال الرجل يقاتل غفبا ويقاتل حمية قال : فرفع رأسه اليه ومارفعا رأسه اليه الا أنه كان قائما فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " .

فالباعث الى القتال في الاسلام هو انقاذ دعوة الله الى الاسلام ، ولاتكون كلمة الله هي العليا الا اذا قبلها الناس واتفقوا عليها وحدها ونبذوا ماسواها من الدعاوى والاختلافات والمفرقات المشبهاة عن الله وعن عبوديته وحده واتجهوا نحو اله واحد بمنهاجه هو والاستسلام لحاكميته ، فلا يتحرك البشر ويقاتلون لكلمة ، بعضهم ، لانهم بذلك يتوزعون ويختلفون ويتناحرون ولاتكون عبوديتهم لله تعالى ولم يجمعهم هذا الوصف " العبودية " لان بعضهم صار أربابا يقتل من شاء ويترك

(١) النووي على صحيح مسلم ٤١/١٢ م ٦ .
(٢) متفق عليه البخاري في كتاب الجهاد ومسلم في كتاب الامارة .

من شاء ويترك من شاء ويفعل ما يريد ويدع ما لا يشتهى .
وأما اذا صار القتال لاجل اعلاء كلمة الله سوف يتحد
الجميع ويستسلم لله وحده ولا يقاتل الا من تنكر لاعلاء كلمة
الله ووضع فى طريقها عقبات ، ولقد لخص الرجل السائل أنواع
القتال بأهدافها ، واجابة النبى صلى الله عليه وسلم
بالمقصود بالجهاد فى كل مراتبه ولا شك أن خلاصة هذا الجواب
هى أن يكون الناس أمة واحدة على العقيدة والشرعية التى
بعث بها المصطفى عليه الصلاة والسلام ، حتى لا يوجد من يتنكر
لكلمة الله ويراوغ .

(١)
يقول ابن حجر : والحاصل مما ذكر أن القتال منشوء
القوة العقلية ، والقوة الغضبية ، والقوة الشهوانية ،
(٢)
ولا يكون فى سبيل الله الا الاول " .

(١) هو الامام الحافظ أحمد بن علي بن محمد ابن حجر
العسقلانى أبو الفضل الكنانى ، صاحب التمانيف النافعة
أجلها "فتح البارى" .
انظر ترجمته فى : البدر الطالع للشوكانى ١/٨٧-٩٢
ط/١٣٤٨هـ .
(٢) فتح البارى ٦/٢٨-٢٩ ، النووى على صحيح مسلم ١٣/٤٩ ،
م ٧ .

الفصل الخامس

لسان الوحدة الإسلامية
"اللغة العربية"

التمهيد :

اللغة هي : اللسان ، وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، ووزنهم فعلة ، من لغوت ، اذا تكلمت ، والاصل لغوة ، فلام الكلمة في الاصل واو ، وقيل الاصل : لفي أو لغو والهاء عوض ، وتجمع على لغات ولغون واللغة من الاسماء الناقصة .

واللغو واللغا واللغوى : ماكان من الكلام غير معقود عليه ، ولايعتد به . ومنه قوله تعالى :

(١)

{لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم} .

(٢)

والكلام القبيح يقال له : لاغ ، كقوله تعالى :

{لاتسمع فيها لاغية} .

(٣)

اى باطلا ، كذلك الذى يشوش به كقوله تعالى :

{وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه} .

(٤)

واطلاقه على الباطل واضح فى قوله تعالى :

{والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما}

فمادة اللغو تشمل النطق والميل من الشئ الى شئ

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٢٥ .

(٢) الآية من سورة الغاشية : ١١ .

(٣) الآية من سورة فصلت : ٢٦ .

(٤) الآية من سورة الفرقان : ٧٢ .

(١)

كالميل من الكلام الى قصد آخر وقد أخذت اللغة من هذا .

ودار الاختلاف حول اللغة هل هى توقيفه بمعنى أنها

الهام من الله تعالى لمن تكلم بها أم انها اصطلاحية ؟ .

والصحيح أن مصدر العلم هو الله سبحانه وتعالى الذى

(٢)

قال فى كتابه :

{وعلم آدم الاسماء كلها} .

(٣)

وقال :

{خلق الانسان علمه البيان} .

(٤)

قال ابن جنى : "وأعلم فيما أننى على تقادم الوقت

دائم والبحث عن هذا الموضع ، فأجد الدواعى والخوارج قوية

التجاذب لى مختلفة جهات التغول على فكرى ، وذلك أننى اذا

تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت

فيها من الحكمة والدقة ، والارهاف والرقعة ، مايملك على

جانب حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر فمن ذلك مانبه

عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ماخذوته على أمثلتهم

فعرفت بتتابعه وانقياده ، وبعد مراميه وآماده ، صفة

ماوفقوا لتقديره منه ولطف ماأسعدوا به ، وفرق لهم عنه

وانضاف الى ذلك وأراد الاخبار الماثورة بأنها من عند الله

(١) انظر : لسان العرب مادة "لغا" والخصائص لابن جنى ٣٣/١

ط ٢ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ٣١ .

(٣) الآية من سورة الرحمن : ٤٠، ٣ .

(٤) هو عثمان بن جنى أبو الفتح من أحذق أهل الأدب وأعلمهم

بالنحو والتصريف وكتابه الخصائص يدل على حذقه وجمال

أسلوبه فى العربية وهو من أصل روماني ولكن الاسلام

أعربيه ولد سنة ٣٢٢هـ ، وتوفى سنة ٣٩٢هـ ، انظر

ترجمته فى بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٢٢ .

جل وعز ، فقوى فى نفسى اعتقاد كونها توقيفا من الله
(١)
سبحانه " .

ولقد رأينا كيف كانت عوامل الوحدة الاسلامية فى
ترابطها وتماسكها الفكرى والمنهجى توطيدا لهذه الوحدة
وتحقيقا لروحها وأخوتها ، بل بناء لها لم يسبق له نظير
فى تاريخ الانسانية .

ولما كانت هذه العوامل مضمون القرآن الكريم والسنة
المطهرة وهما باللغة العربية ، كانت هذه اللغة المختارة
من جملة عوامل الوحدة الاسلامية فهى عامل لا يستهان به . وسوف
أدرسها فى هذا الفصل فى المباحث التالية :

- الأول : اللغة العربية وسيلة لفهم الاسلام .
- الثانى : ضرورة الاهتمام باللغة العربية .
- الثالث : عوامل انتشار اللغة العربية .
- الرابع : أثر اللغة العربية فى تحقيق الوحدة والله
الموفق .

(١) الخصائص لابن جنى ٤٧/١ .

المبحث الأول

اللغة العربية وسيلة لفهم الاسلام

ان أهمية اللغة العربية واضحة ، والحاجة اليها ماسة بالنسبة لمن يريد أن يفهم الاسلام ، ويكون مطبقا له ، كما جاء من الله تعالى وكما طبقه الرسول عليه الصلاة والسلام في الأمة ، لأن الله تعالى أخبر بأنه ما أرسل رسولا الا بلسان قومه ، ليكون ذلك في حد ذاته حجة لله تعالى على الناس الذين ما أمرهم الا بما يطبقون ولم يخاطبهم الا بما يفهمون ، فالعربية مع الرسالة المحمدية وعاء لها وترجمان ، قال تعالى :^(١)

{وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم} .

وكما روى أبو ذر في الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام : قال : لم يبعث الله عز وجل نبيا الا بلغة قومه " .^(٢)
يقول الامام الشافعي رحمه الله : فان قال قائل فان الرسل قبل محمد كانوا يرسلون الى قومهم خاصة ، وان محمدا

-
- (١) الآية من سورة ابراهيم : ٤ .
(٢) مسند الامام أحمد ١٥٨/٥ قال الهيثمي في الزوائد :
ورجاله رجال الصحيح الا أن مجاهدا لم يسمع من أبي ذر ٤٦/٧ .
(٣) هو محمد بن ادريس الشافعي من آل البيت ولد بفلسطين سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٠٤هـ وأجل من أخذ عنه الامام مالك ومن تتلمذ له أحمد بن حنبل وهو لغوي فصيح ومناظر فقيه ، انظر : ترجمته في : وفيات الاعيان رقم ٥٥٨/٤ ، تذكرة الحفاظ : ٣٥٤/١ ، تهذيب التهذيب : ٢٥/٩ .

بعث الى الناس كافة : فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه وما أطاقوا منه ، ويحتمل أن يكون بعث بالسنتهم : فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون السنة العجم ؟^(١) .

والادلة على ذلك بينة مفصلة وهى تأكيد لما فى الآية الاولى حيث وصف الله تعالى كتابه بأنه عربى يقول الله تعالى :^(٢)

{وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين} .^(٣)
وقوله :

{وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق} .^(٤)
وقوله :

{وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير} .^(٥)
وقوله :

{حم . والكتاب المبين . انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون} .

(١) الرسالة : ٤٥ رقم : ١٥١ .
(٢) الآية من سورة الشعراء : ١٩٢-١٩٥ .
(٣) الآية من سورة الرعد : ٣٧ .
(٤) الآية من سورة الشورى : ٧ .
(٥) الآية من سورة الزخرف : ١-٣ .

(١)

وقوله :

{ قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون } .

(٢)

وقوله :

{ انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون } .

"فأقام حجته بأن كتابه عربى فى كل آية ذكرناها ، ثم

أكد ذلك بأن نفى عنه - جل ثناؤه - كل لسان غير لسان العرب

(٣)

فى آيتين من كتابه "

(٤)

وهما كقوله تعالى :

{ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى

يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين } .

(٥)

وقوله تعالى :

{ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته

أعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون

فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد } .

ان هذه الآيات التى وصف الله فيه كتابه العزيز بأنه

عربى ، تأكيد على أنه بلسان العرب لحكمة بالغة ، وهى :

ادراكهم مضمون القرآن ومراميه ، من العقيدة والشريعة :

أمرها ونهيها ، حلالها وحرامها ، وما جاء فى الكتاب من

(١) الآية من سورة الزمر : ٢٨ .

(٢) الآية من سورة يوسف : ٢ .

(٣) الرسالة للامام الشافعى : ٤٧ رقم ١٦٠ .

(٤) الآية من سورة النحل : ١٠٣ .

(٥) الآية من سورة فصلت : ٤٤ .

السلوك والأخلاق ، فكونه عربيا يجعلهم : يعقلون ويعلمون ويدركون حقائقه ، بلسانهم الذى فطروا عليه ، ثم من أراد الله له خيرا ، وكتب له النجاة يكون تقيا ، بموجب العقل عن الله والعلم به وبرسوله وبرسالته .

وإذا تدبرنا هذه الآيات نجد كل آية منها قد ختمت بما يدل على حكمة كونه عربيا : "تعقلون ، يعلمون ، يتقون" هذه الأفعال يدركون مدلولها ومغزاها ولأجواب لهم على هذه الحقيقة إلا الصلف والجحود ، وقد ألهمت الحمية الجاهلية نارها فى نفوسهم وانقذح زندها فى قلوبهم وأصيبوا بمرض الكلب والجنون ، بتحديهم بهذا الكلام الذى هو جنس بفاعتهم "البيان" فى أسواقهم وأنديتهم وقد جادلوا فى كل جليلة وحقيقة لاتفوتهم فرصة سانحة للطعن والكلام فيما يقرأ محمد عليه الصلاة والسلام وقد نزل بهم مانزل من الهزيمة النفسية والنضوب البلاغى الذى كانوا فيه عيوننا شرة وسحبا بارقة . فهل فى القرآن قول غريب بالنسبة لهم . فلا يعرفون مقدراته ولا ينطقون بحروفه وهل فيه كلام وأسلوب يخالف مذهبهم فى النظم والنثر ؟ .

وليس معنى أن القرآن بلسان عربى أنها عربية تباين العربية التى يتكلمون بها ، بل هو عربى لفظا ومعنى وأسلوبا ، وألفاظه تجرى مجرى ألفاظهم ومعانيه وأساليبه ، كما هو المعهود فى لغتهم التى فطروا عليها ، فكل ماتكلموا به من أنواع الخطاب ، يجدونه بأسلوبه وطرائقه فى القرآن كالخطاب بأسلوب عام ويقصد به ظاهرة ، أو يراد به عاما فى وجه أو خاصا بوجه ، ويرد ظاهره فى الخطاب ويراد به غير

الظاهر ولذلك مواقع ودلالات فى أول الكلام أو وسطه أو آخره ،
والعرب تتكلم بشئ يعلم بالمعنى كما يحقق بالاشارة ، وتسمى
شيئا واحدا بأسماء كثيرة ، والأشياء الكثيرة باسم واحد وكل
ذلك لارتباب فيه العرب ولا يشك فيه من يعرف كلامها ، "فاذا
كان كذلك فالقرآن فى معانيه وأساليبه على هذا الترتيب
فكما أن لسان بعض الأعاجم لا يمكن أن يفهم من جهة لسان العرب
كذلك لا يمكن أن يفهم لسان العرب من جهة فهم لسان العجم
(١)
لاختلاف الأوضاع والأساليب" .

ومسألة الإعجاز التى بحثها العلماء من كل الفئات حتى
علماء العلوم التجريبية لمفهوم لها إلا اذا كان القرآن فى
ألفاظه ومعانيه يجرى مجرى اللغة العربية ، وقد بين أهل
العلم كل ذلك فالقرآن لا يفهم إلا بالعربية وهى لغته ووعاءه
ولاجدال فى ذلك . "لأن سائر أنواع التصرفات العربية قد
بسطها أهلها ، وهم أهل النحو والتصريف ، وأهل المعانى
والبيان ، وأهل الاشتقاق وشرح مفردات اللغة ، وأهل الأخبار
المنقولة عن العرب لمقتضيات الأحوال ، فجميعه نزل به
القرآن ، ولذلك أطلق عليه عبارة "العربى" .

وكان اهتمام المسلمين بتصنيف اللغة العربية الى هذه
العلوم "النحوية والصرفية والبلاغية والاشتقاقية والمفردات
وفقه اللغة وغير ذلك" .

كان ذلك لأهداف منها ادراك العلماء أن القرآن الكريم
مع نزوله بلسان عربى فهو يجرى مجرى اللغة العربية فى

(١) الموافقان للشاطبى : ٦٥-٦٦ / ٢ ، سنة ١٣٩٥هـ ، وانظر :
الاعتصام للشاطبى : ٢٩٣-٢٩٥ / ٢ ، ط ١ ، سنة ١٤٠٥هـ ،
لبنان .

أساليبها ومعانيها وألفاظها فكانت هذه العلوم المصنفة والموزعة هكذا فى اختصاصات كلها تعود الى وحدة اللغة ليدرك المسلمون أن كتابهم يجرى مجرى هذه اللغة فعليهم أشد العناية بها والحرص على فهمها ودراستها لأنها الطريق الى فهم الكتاب العزيز وتدبره ، ولذلك بينوا مذاهب اللغة فى شكلها ومضمونها ، هذا بالإضافة الى أن الذى نزل عليه القرآن الكريم والذين معه ودعوا بدعوته كانوا عربا ، وكانت العربية لهم سليقة بل هو " أفصح من نطق بالضاد وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وكان الذين بعث فيهم عربا أيضا ، فجرى الخطاب به على معتادهم فى لسانهم فليس فيه شئ من الألفاظ والمعانى الا وهو جار على ما اعتادوه ، ولم يداخله شئ بل نفى عنه أن يكون فيه شئ أعجمى" .^(١)

ولما أراد الصحابة رضى الله عنهم جمع القرآن فى مصحف واحد أمر عثمان رضى الله عنه أشخاصا من المهاجرين من قريش ومعهم زيد بن ثابت رضى الله عنه أن يقوموا بهذه المهمة الجليلة التى هى حفاظ على القرآن وضمان لاستمرار الدعوة ولون من ألوان اعجاز القرآن ، فقال لهم عثمان رضى الله عنهم : " اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فان القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا " .^(٢)

-
- (١) الاعتصام : للشاطبى : ٢٩٣/٢ .
 (٢) عثمان بن عفان أبى العاص الأموى ولد بعد الفيل بست سنين ونال الشهادة سنة ٣٥٠هـ .
 (٣) زيد بن ثابت بن الضحاك من كتبة الوحى وحملة القرآن مات سنة ٤٥٠هـ وقيل بعد ذلك أو قبله : انظر : الاصابة ٤١/٤ ، رقم ٢٧٨٤ .
 (٤) رواه البخارى فى كتاب فضائل القرآن باب : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ج ٦ .

والاختلاف الذى يتوقعه الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه ، ليس هو بالاختلاف الناشئ من تباين مفاهيم الناس وتفاوت عقولهم ومشاربهم ، انما هو اشارة الى مافى اللغة العربية التى نزل بها القرآن من السعة ووجوه الخطاب ، وتنوع هذه الوجوه فى أساليب من أوسع اللغات استعمالا للمعانى فى كلمة واحدة أو مترادفات لمعنى واحد ، فهى بحق لغة الاشتقاق وقد تتفاوت القبائل العربية فى هذا الاستعمال والذى نزل عليه القرآن العربى قرشى فليكن ماجاء فى القرآن الكريم مما للعرب فيه وجوه الاستعمال ولم تتفق عليه وهو قليل - فليكن أولى أن يكتب بالاستعمال القرشى .

وليس معنى مقالة عثمان تلك أن القرآن نزل بلغة قريش فقط وأنها تباينها اللغة العربية الأخرى ، فالحق أخبر أنه بلسان عربى "ومن زعم أنه أراد مفر دون ربعة أو هما دون اليمن أو قريشا دون غيرهم فعليه البيان ، لأن اسم العرب يتناول الجميع تناولا واحدا ولو ساغت هذه الدعوة لساغ للآخر أن يقول نزل بلسان بنى هاشم مثلا لأنهم أقرب نسبا الى النبى صلى الله عليه وسلم" (١) .

(٢) ولهذا المعنى كانت ترجمة البخارى دقيقة تشير الى ماقد دون عليه القرآن بعد نزوله عليه وهو أنه نزل بلسان العرب جميعا الذى اتفقوا عليه ، واذا حمل اختلاف فى وجوه

(١) فتح البارى على صحيح البخارى لابن حجر : ٩/٩ .
 (٢) هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة الجعفى مولاهم البخارى نسبة الى بخارى من بلدان ماوراء النهر ولد سنة ١٩٤ وتوفى سنة ٢٥٦هـ ودفن فى قرية من قرى سمرقند ، انظر : ترجمته فى وفيات الاعيان لابن خلكان : ١٨٨/٤ ، تهذيب التهذيب : ٤٧/٩ .

استعمالات العرب كان الاستعمال القرشى هو المختار ، وترجمته هي : باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب "قرآنا عربيا - بلسان عربى مبين" فهذا من باب عطف العام على الخاص ، وكان صنيع البخارى هذا اشارة الى مقالة عثمان التى بنيت مقصده بها والله اعلم .

ان الوحى كله متلوا كان او غير متلو انما نزل بلسان العرب ولايرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان الذى عليه به الوحى عربى وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بالسنتهم ^(١) .

وفى سعة اللسان العربى وأنه لم يجتمع لاحد غير النبى عليه الصلاة والسلام ، ولم يفع منه شئ لانه موزع بين الجميع يقول الامام الشافعى ولسان العرب اوسع الالسنه مذهبها ، واكثرها الفاظا ولانعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبى ولكنه لا يذهب منه شئ على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه ، وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها : لا يذهب منه شئ عليها ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه الا من قبله عنها ولا يشركها فيه الا من اتبعها فى تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من اهل لسانها وانما صار غيرهم من غير اهل بتركه فاذا صار اليه صار من اهل ^(٢) " .

ان كل نص ينظر اليه فى البحث ويؤخذ منه ويرد من جهتين فقط بعد توثيقه من الناحية الصناعية :

(١) فتح البارى لابن حجر : ١٠٠/٩ وهو كلام ابن بطل نقله ابن حجر .

(٢) الرسالة للامام الشافعى الفقرة : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ص ٤٣

الأولى : من جهة ألفاظه وتراكيبه اللغوية وكلما كانت مرتبة ترتيباً بديعاً واختيرت ألفاظه وكلماته كانت أبداعاً (١) وأشمل وأعمق فى استخلاص الأهداف والمقاصد .

الثانية : وهى المضمون والمعنى .

وأما الجهة الأولى : فهى عامل اللغة ، واللغة العربية بهذا الاعتبار والمعادلة الحسابية ليست عاملاً من بين تلك العوامل فحسب بل هى عامل يمثل شطر القضية فى كفة وهو الشكل ، والشطر الآخر تمثله العوامل الأخرى وهى المضمون . وحتى الناحية الصناعية التى أشرت إليها هى وجه من وجوه اللغة فى النص الموثق كضبط القراءات ومتن الحديث واللغة وهل روى بالمعنى أو باللفظ ، والمصطلحات الفقهية التى تنبنى عليها الأحكام : "صيغ لفظ الطلاق وصيغ القسم والقبول والرد فى قضايا البيع والشراء والنكاح" ونحو ذلك من الاصطلاحات التى تكون منهجاً لتوثيق النص ليناظر بعد ذلك ويستخلص الحكم منه وقصد المتكلم . وكذلك الأمر فى اصطلاحات المسندين كـ "حدثنا وحدثنى ، وسمعت وسمعنا ، وقال لى وقال لنا ، وأخبرنى وأخبرنا" . (٢)

وكل ذلك يعتمد على الدلالة اللفظية للكلمة العربية أو جملتها أو حرفها .

وخلاصة القول : أن الكلمة المعجمية هى المنطلق الأول لكل باحث ، ولكل فن من الفنون . سواء مايتعلق بدلالاتها اللغوية أو بحالتها الاعرابية أو بدرجةها البيانية ، وأن

(١) انظر : الخصائص لابن جنى : ٢٦٤/٣-٢٦٩ .

(٢) انظر : مقدمة الامام مسلم لصحيحة وشروحه للنووى ، فتح البارى : ١٤٤/١ .

الاختلاف الفقهي انما هو امتداد لاختلاف دلالات الكلمات ، قبل
المعانى الناشئة من اسناد بعضها الى بعض .
وبهذا يظهر دور اللغة في توضيح الاسلام وتبيين تعاليمه
واسراره ، وبواسطتها تكون البصيرة التامة والفقه الدقيق
لدين الله تعالى .

المبحث الثانى : ضرورة الاهتمام
باللغة العربية

طراً على اللغة ضعف بسبب ضعف الدولة الاسلامية وتوقف
الجهاد ، وهلاك العرب بالتurf ، واللغة انما انتشرت بقوة
هذه الدولة وعروبة أصحابها واخلصهم للدعوة .
هذا عامل فى ضعف اللغة العربية ، وهناك عامل آخر له
دوره فى اضعاف اللغة وهو : الاختلاط والمصاهرة بين العرب
وغيرهم من الموالى وغلبة العجم من الديلم والسلجوقية
بالمشرق والبربر بالمغرب ، فصارت الدولة الاسلامية دولا
وتفرقت الامة واستعجمت هذه الدويلات لغلبة الأعاجم ، وضاعت
الوحدة الاسلامية ونشطت الشعوبية والعنصرية ، ولما جاء
التتر والمغول أجهز على اللغة وفسدت ومحيت فى كثير من
البلاد الاسلامية كخرسان وفارس والهند والسند وماوراء النهر
وبلاد الشمال وبلاد الروم ، وقد كادت العربية أن تتمكن فى
هذه البلاد قبل هذه العوامل كما تمكنت فى الشام ومصر
والمغرب ، ولولا الدين والقرآن الكريم والسنة لاندثرت اللغة
كلياً ولكن الله حفظها بحفظ القرآن الكريم ولله الأمر من
قبل ومن بعد .^(١)

ولاشك أن تسرب العجمة الى الدولة والى المرافق العامة
مميبة ولهذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : "وأما اعتياد

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون : ص ٣٧٩-٣٨٠ .

الخطاب بغير العربية التى هى شعار الاسلام ولغة القرآن حتى يميز ذلك عادة للمصر وأهله ولأهل الدار ، وللرجل مع صاحبه ولأهل السوق ، أو للأمراء ، أو لأهل الديوان ، أو لأهل الفقه "فلا ريب أن هذا مكروه وهو من التشبه بالاعاجم ويقول فى حالة بلاد خراسان حيث وقعت العجمة بعد عروبته : "وهكذا كانت خراسان قديما ثم انهم تساهلوا فى أمر اللغة واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ، ولا ريب أن هذا مكروه " .^(١)

وقد أقبلت العامية بكل ثقلها فى البلاد ، ودخلت الصنعة الأدب وتأخرت الكتابة عن ماضيها المشرق ، ووقع اللحن حتى انهم يلحنون فى القرآن الكريم والسنة النبوية وحتى الخلفاء وغيرهم من ذوى الثقافة الأدبية وقعوا فى اللحن ، ومن جهة أخرى استيقظت الشعوبية وهى تحمل حقدا دفيننا للاسلام وللفته فكان من أمرها احياء اللغات الأعجمية التى أماتها الاسلام ورغب عنها أهلها الى لغة القرآن ، وخاصة الفارسية التى ناصرها الشعوبيون ضد العربية . وبعدها اللغة التركية التى رفع الاتراك علمها ، حتى اذا ما آلت الخلافة الى العثمانيين رفعوها وفرضوها على كل الاقاليم الاسلامية الخاضعة لهم .^(٢)

وهكذا استمرت الدعايات المغرضة ضد الفصحى وحتى عاميتها من ضمن تفكيك الوحدة الاسلامية حتى الآن وجاء العصر

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية : ص ٢٠٦ .

(٢) الوحدة الاسلامية : ص ٢٣٠-٢٣٤ .

الحديث فأضاف الدعاة الى دعايتهم اللغات اللاتينية وجعلوها
مما يفضل على العربية .

ان الدعوة الهدامة التى تسدد سهامها نحو لغة القرآن
أتقنت أساليبها ، وأحكمت حيلها ، تحت شعار الرغبة فى
الاصلاح ومسايرة الزمن المتطور ، وهى فى جملتها دعوة لتفريق
المجتمعين على اللغة العربية وهو تفريق ينتج عنه المقصود
أو الغاية النهائية وهى تفريق المسلمين على العقيدة
والشريعة ، وتبديد هذه الأمة . وهى دعوة قديمة قدم
الاستعمار والاحتلال الأجنبى للبلاد الاسلامية وهذه الدعوة
المفروضة ضد العربية تتجه فى ثلاث شعب للقضاء على الفصحى :

الأول : تستهدف مادة اللغة وقواعدها النحوية فيطالب
أصحابها بترك اللغة الى العامية ، والبعض منهم يطالب
باصلاح القواعد والتعديل فيها والهدف واضح ، وحججهم
"لاتتجاوز الكلام عن صعوبة تعلم اللغة العربية من ناحية
والقول بعجزها عن تأدية أغراضها الأدبية أو العلمية من
ناحية أخرى" ولاشك أن ذلك يفرق أمة القرآن ولاتلتقى أبدا .

الثانى : تستهدف : الكتابة العربية "الخط والاملاء"
فيدعو أصحاب هذه الدعاية الى اصلاح القواعد للكتابة ،
ويدعو آخرون الى التحول عنها الى الحروف اللاتينية ،
والعجيب فى الأمر أن يسمى هذا طلب التيسير ، ولكنه فى
الحقيقة هو التعسير بعينه ، لانه قضاء على ملايين الكتب
والثروة الهائلة التى خلفها المسلمون بالخط العربى ،
والعودة من جديد لبناء من البداية الأولى .

الثالث : دعوة تريد صرف الناس عن الادب العربى والاهتمام به وتريد أن يشتغل الناس بالآداب القومية العنصرية أو ربما يقال له : "الادب الشعبى" وبين أن هذا يجعل كل بلد مسلم ينطوى على نفسه ولاتهمه أمته الاسلامية ولاقرآنه ، كما هو حاصل لأوروبا بعد اللغة اللاتينية وأدائها وتضررت المسيحية نفسها بذلك وان كانت محرفة .
وخلاصة القول أن هذه الدعوات لها غايتان جليلتان عند أصحابها .

(١) تفريق المسلمين وخاصة العرب ، لأن الفرقة فى اللغة تفرقهم فى الثقافة والدين والاتجاه .
(٢) قطع الصلة بين المسلمين وبين ماضيهم الثقافى والحضارى وسلفهم المالح لأن معرفة ذلك ونمو المسلمين بالاتصال به من أوثق الروابط بينهم ، وهذه الدعوات حكم وجراة على نهاية القرآن الكريم وتراث الاسلام الثقافى .

ان الخطر ليس فى هذه الدعوات فحسب بل موجة التغيير والتطوير التى ستحتاج الامة بأكملها فلا تتفق على شئ على الاطلاق ، والتمسك بهذه اللغة وأساليبها فمحيحة هو التمسك بالقرآن وكأنه أنزل اليوم ، ووعى كل ماكتبه وأنتجه المسلمون فى حياتهم الحضارية وكأنه جديد ، وكل ذلك لايدعو الى تحجر اللغة وجمودها فالمحظور هو الخروج عن الحدود (١)
المرسومة لهذه اللغة الولود الودود .

(١) انظر : الاتجاهات الوطنية فى الادب الحديث للدكتور : المرحوم محمد محمد حسين ٣٤١/٢-٣٦٨ ، وانظر : كتاب : مع الله لمحمد الغزالي : ص ٤٣-٥٣ ، طه ، سنة ١٤٠١هـ مطبعة حسان .

واذا ماتعرضت له اللغة العربية قديما وحديثا ، لابد من صحوه جديدة لحياتها ولايكون ذلك الا بمعرفة الداء والدواء معا .

لما كانت العربية لغة الدولة الاسلامية فى كل الاقاليم فى البلاد الاسلامية كان هناك وحدة بين المسلمين ولم يقض على هذه الوحدة الا احياء اللغات الاقليمية وذهاب ربح الدولة فافترق المسلمون ، فلاجل أن تعود المساندة للوحدة بلغة القرآن والسنة والفكر الاسلامى يجب أن نعيد مكانتها ، وبلاضافة الى ذلك فان التعاون الذى أمر الله به بين البشر جميعا وبين المسلمين خاصة لا يتم على الوجه الاكمل الا بلغة مشتركة لها مكانتها الادبية والدينية وكل ذلك يوجد للغة العربية بين المسلمين قاطبة يترتب عليه خير كثير لا يكون بدون العربية وهو تمكين المسلمين من القراءة والاستفادة من التراث الاسلامى فى العلم والفقه والادب والتاريخ وغير ذلك من الفنون التى لاتحصى للثقافة ، وتهيئة أبناء المسلمين أيضا من الجيل الماعد - والاجيال من بعده ليفهموا القرآن والسنة ويستمر ولاؤهم لله ولرسوله بالفهم والفقه من الدين وانه من العجب أن لايتفاهم فيما بينهم الا بلغات أجنبية استعمارية كالفرنسية والانجليزية ، وانه ليس من الدين شئ أن يتعصب المسلمون للهجاتهم المحلية رغبة عن لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والتراث الاسلامى الزاخر بكل المعارف التى ساهم فيها علماء من كل اللوان والاجناس متخذين اللغة العربية لغة التخاطب والكتابة والدرس .^(١)

(١) انظر الوحدة الاسلامية لأبى زهرة ص ٢٩٦-٣٠٢ .

ولهذه المكانة للغة العربية بين المسلمين قاطبة فى العهود الاولى نجد العلماء من المغرب الى المشرق يأخذ بعضهم من بعض ، فالعربى يأخذ من الفارسى ، والفارسى يأخذ من البربرى والافريقى يأخذ من الفارسى ومن التركى والبخارى يأخذ من العربى ، ويتمدر علماء ليس أصل لهجاتهم العربية ، ولأنهم صاروا أئمة فى فنون ، من الكتاب والسنة لم تعرف الا بالعربية ، وماكان ذلك الا لأن الجميع اتفق على العربية لغة اجتماعية وسياسية وثقافية فى كل مكان أرست فيه الدولة الاسلامية سلطانها حتى ولو توزعت هذه الدولة الى امارات ، ويدل على ذلك أن أى مسلم ينتقل بين هذه البلدان وهذه الامارات ولايحتاج الى ترجمان بل ويزاول الاعمال التجارية والدعوة والتدريس ويتولى الوظائف الرسمية باللغة العربية ولايحتاج الى ترجمان ، وقد يكون فى الأصل يتكلم غير العربية ويكون هذا البلد الذى فيه ويزاول فيه الاعمال ليست لغته الأصلية العربية ، ولكن الجميع جمعهم العربية مساندة للجنسية الاسلامية "لا اله الا الله محمد رسول الله" .

ولاعادة اللغة العربية الى مكانتها بين المسلمين وسيلة من وسائل الوحدة نرى العمل الاسلامى من خلال الامور التالية :

أولا : وضع مناهج وبرامج لتسهيل تعليم اللغة العربية ونشرها بين المسلمين فى العالم بل وغير المسلمين بوسائل التعليم والاعلام .

ثانيا : التقيد بالفصحى دون العامية فى هذه المناهج

والبرامج لأن الفمى عليها يجتمع المسلمون جميعا وهى أسهل لهم من العامة .

ثالثا : الاهتمام بتعريب أبناء المسلمين من الصغر وتربيتهم على اللغة العربية دون تربيتهم على اللغات الأجنبية الاستعمارية كالفرنسية والانجليزية .

رابعا : تقديم الدارسين بالعربية فى البلاد الإسلامية عن غيرهم ممن درس باللغات الأجنبية .

خامسا : الحد من الترجمة التى تثبط عن العربية وتنقل ريادتها الى اللغات المترجم اليها رويدا رويدا ، ولنقارن بين نتائج الترجمة ونتائج الفتح الإسلامى .

سادسا : الاهتمام والمسارة فى ترجمة المفيد من العلوم للمسلمين قبل انتشاره بينهم بغير العربية .

سابعا : أن تلتزم السياسة فى البلاد العربية اللغة العربية فى كل شئ لتكون قدوة .

ثامنا : أن يقوم الدعاة بدور مشترك ومنسق لاقتناع من لم يتكلم العربية من المسلمين ومن يريد الدخول فى الإسلام بأن الإسلام الصحيح القوى لا يكون الا بالعربية .

المبحث الثالث : عوامل انتشار
اللغة العربية

حينما نعود الى الواقع التاريخى نجد أمر اللغة العربية فى حالة انتشارها بين الأمم التى دخلت فى الاسلام واقبلت الى العربية ، معتزين بها راغبين عن لغاتهم وايشارا للغة القرآن وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام ولأن الدعوة الاسلامية بمنهجها ودعاتها وجهت هؤلاء المسلمين وأقنعتهم بأن اللغة العربية هى الوسيلة لفهم الكتاب والسنة ، وهى اللسان الرابط بين الفئات المسلمة وانتشار اللغة العربية يعود الى أمرين رئيسين :

الأول : أن الغالب أو المخطط تغلب لغته وتسود وتنتشر وقد غلبت الدولة الاسلامية بعقيدتها ودعاتها المخلصين وهم أصحاب هذه اللغة رضى الله عنهم ، ولكن غلبهم ليس بالقهر والاستعمار وإنما هو بالاخلاص من جهتهم ، والاختيار لدعوتهم من طرف البلاد المفتوحة ، فتولد من هذا الحب الشديد والاعتزاز الكبير من المسلمين جميعا لهذه اللغة ولأصحابها تبعا لحب الله وكتابه والرسول وسنته فتلفظتها اللسان من ضمن العقيدة والشريعة .

الثانى : أنها لغة القرآن الكريم والنبي العربى عليه الصلاة والسلام وقد فهمت البلاد المفتوحة أن استعمال العربية

لغة فى الحياة من شعائر الاسلام ولا يطبق الدين الا بها .
وقد كان اهتمام المسلمين بهذه اللغة واضحا وأفتى
الائمة بأنها من الدين وأنها الطريق الى معرفة الاسلام
المعرفة الثامة لانه لا يضبط الا بضبط هذا اللسان فتكون معرفة
اللغة العربية من الدين وأقرب الى رفع شعائر الدين
ومشابهة الرعيل الأول لهذه الامة من المهاجرين والأنصار
ولهذا لما فتح هؤلاء السلف ومن تبعهم من البلدان وسكنوها
تحولت بلاد كثيرة من لغاتها الأعجمية الى اللغة العربية
كالشام ومصر والمغرب والعراق .

كل هذه الأمصار جاءتها العروبة مع الدعوة الاسلامية
ولما انتشرت اللغة هكذا تلقنها الصغار عن الكبار والجيل
عن الجيل فظهر شعار الاسلام ووضح الكتاب والسنة وكلام السلف
الصالح للجميع .

وانتشرت الثقافة الاسلامية بهذا التمهيد الموفق وهو أن
"اللغة العربية من الدين ومعرفتها أمر هام" و"كذلك أدرك
المسلمون من وحدتهم أن اللغة تؤثر فى العقل والخلق والدين
فنشر اللغة العربية والوحدة عليها عامل يقرب آخر الامة
بأولها ويحدث الشبه بين الخلف والسلف ، وبذلك تدوم الوحدة
والاتفاق على فهم الكتاب والسنة وأسلوب التفكير والثقافة
(١)
الاسلامية " .

وقد كان وعى المسلمين الجدد الذين دخلوا فى هذا
الدين فى تلك البلاد المفتوحة ، كان عاملا فى سرعة انتشار
اللغة العربية وأنها لا بد منها لمن يريد أن يكون مسلما

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ١٦٢-٢٠٧

واعيا لحقيقة القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح وعلى المسلمون هذه الحقيقة وأدركوا كذلك أن الرباط اللغوي والأدبي يشد وحدتهم مع اخوانهم الفاتحين وأن عليهم مسئولية تبليغ هذه الدعوة وإظهار محاسنها وما ينطوي عليه كتابها العزيز من حضارة شامخة وأخوة كريمة .

ولهذه الأسباب انتشرت اللغة بسرعة هائلة مع قلة وسائل التعليم ، فكانت لغة المسلمين من المحيط إلى حدود الصين . وما كان ذلك في نظر المسلمين جميعا إلا خيرا وتوفيقا من الله وتأييدا لهذه الدعوة حتى ترابط المسلمون لسانيا وفكريا على بناء وحدة كانت دولتها لا تغيب عنها الشمس .

فهذا هو الواجب الذي تمليه الدعوة الإسلامية على الدعاة اليوم ، وتلزمه الحقيقة التاريخية تلك : الدول الإسلامية في تكوين الوحدة الإسلامية التي لا يمكن أن تتكون إلا بالطرق والأساليب التي تكونت بها سابقا فيلزم أن يكون تعليم اللغة العربية إجباريا ، وتبلغ وتفهم بها الدعوة كلما أمكن ذلك وتكون هي الرباط اللغوي في التخاطب والكتابة والأدب والفكر والثقافة والسياسة - بين الفئات والجماعات والدول الإسلامية ولتنبعث هذه الوحدة اللغوية لأجل القرآن في الشعوب الإسلامية الجديدة في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا الذين دخلوا في الإسلام بعد تفتيت الوحدة - يلزم أن يلمسوا هذا الحد منا نحن الدعاة ومن الدول الإسلامية التي تقدم عوننا ماديا ومعنويا إلى أفراد أو جماعات أو دول هذه الشعوب .^(١)

(١) انظر : تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ص ٣١٠-٣١١ .

المبحث الرابع : أثر اللغة العربية في تحقيق الوحدة الاسلامية

كانت اللغة العربية عاملا يضاف على العرب المتناحرين في الجاهلية قبل الاسلام نوعا من الوحدة والالتقاء على ضفاف الادب واللغة ، التي كانوا يجتمعون في عرصات وقوانينها . وكأنها أعياد تدور مع الزمن وتتداولها أسواق الجزيرة الادبية وأندية القبائل .. وهم في هذا يتنافسون شعراءهم وحكماءهم .. كل يريد أن يقربهم لنفسه ويختص بهم ، وينفق عليهم ما يملك في سبيل أن يرفعوا عقيرتهم بالثناء عليه والاشادة به وبأبائه على مسامح العرب جميعا ، وقصة الشاعر الحطيئة المتدافع بين القبائل كل يشريه معروفه ..^(١)

وحتى الحروب وان كان مضمونها وسرها فرقة وتمزيقا - بين قبائلهم وأفرادهم ، فهي نماء وشراء ووحدة للفتهم ، ولا أدل على ذلك من مقالة شاعر واحد أو خطيب أو حكيم في طرف من أطراف الجزيرة : يلف أقمائها الى أدناها في جموعها لمعركة حاسمة تراق فيها الدماء ، وتنتهك فيها الأعراض ويفرق بها بين الأرحام ... وربما هذه المعركة لو دعا اليها غير هؤلاء الشعراء والخطباء ممن لا يملكون الكلمة الادبية والسحر البياني ، لم يجدوا استجابة الا في أندر النادر ، اللهم الا اذا استعانوا بأولئك الذين كانوا على عرش هذه

(١) انظر : مختارات الاغانى لابن منظور ٢/٢٦٠ وما بعدها ، ط١ ، سنة ١٣٨٣هـ .

المملكة اللغوية ، وهم الشعراء والحكماء والخطباء ومن
ينفثون فى روعه .. !

وحتى الكهان من العرب ماكانوا يمنعون شيئا فى الناس
- مما يفترون ويختلقون الا لانهم أخذوا من هذه اللغة فنا
للكهانة ونحتوا منها سجعا أدبيا يسحر عقول هؤلاء العرب
الذين تأسرهم الكلمة البلاغية ولايفكهم من قيودها الا منطق
من نوعها وبلاغة من جنسها ... !

ولربما كان ولوع المستشرقين فى بيان الفوارق المبالغ
فيها فى لغة العرب من قبل تهذيب اللغة ووحدها - تشير الى
الطعن فى وحدة اللغة وهم يعلمون أن ذلك ارهاص لنزول
القرآن الكريم الذى سيوحد العرب فى الاهداف والعقيدة ،
ويحافظ على وحدة لغتهم ، والواقع أن تلك الفوارق لم تصل
الى الدرجة التى تصوروها ولفقوها ، تلقفها أذناهم من
المستغربين ..

وهذه الفكرة الاستشراقية يتصل بها مايقال : من أن
القرآن جاء بلغة جديدة وألفاظ مبتكرة لم يعدها العرب
ولذلك عجزوا ولم يعارضوا ، ولغتهم كانت بدوية ، ولغة
القرآن لغة عالية حضارية ... !

(١)
يقول الجاحظ فى رد هذا قبل عصر أصحاب المقالة بكثير
"العرب كلهم شئ واحد لأن الدار والجزيرة واحدة ، والأخلاق
والشيم واحدة وبينهم التماهر والتشابك والاتقان فى الأخلاق ،
وفى الأعراف ومن جهة الخثولة المرددة والعمومة المشتبكة ،

(١) هو عثمان بن بحر الملقب بالجاحظ أديب بليغ كاتب قدير
من عهد العباسيين وهو متأثر "بأراء المعتزلة" توفى
سنة ٢٥٥ انظر ترجمته فى البداية والنهاية : ٢٢/١١ .

ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء ، فهم فى ذلك شئ واحد "فى الطبيعة واللغة" والهمة والشاغل ..

فاذا بعث الله عز وجل نبيا الى العرب ، فقد بعثه الى جميع العرب وكلهم قومه ، لأنهم جميعا يد على العجم ، وعلى كل من حاربهم من الأمم ، ولأن تناكحهم لا يعدوهم ، وتصاهرهم مقصور عليهم . قالوا والمشاكلة من جهة الاتفاق فى الطبيعة والعادة ربما كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرحم . نعم ، حتى تراه أغب عليه من أخيه ، لأمه وأبيه ، وربما كان أشبه به خلقا وخلقاً ومذهباً^(١) .

وقد توحدت فى تهذيب جديد ووحدة لغوية من أبرز عواملها الأسواق المتناثرة فى أرجاء الجزيرة وأطرافها كان للعرب فيها جميعا لقاءات أدبية يتخللها شعر رصين ونقد رزين وخطبة بليغة موجزة - بل ومناقشات ومساجلات ومناظرات كل الأطراف فيها يتخذون من قوة العبارة وبلاغتها علامة النصر والمحكوم اليه فى مجلس النقد أو المناظرة لايسأل عن الشهود ولا على برهان ماقيل وانما الى لحن القول ينظر وفصل الخطاب وبلاغة البيان فيصدر حكمه تبعا لذلك .. وقريش على رأس هذه القبائل بحكم سدانيتها للبيت الذى يحجون اليه والى أصنامهم المعلقة به ... وعلى كل حال فان اللغة العربية مرت بأدوار من التهذيب حتى تلاحمت لهجاتها واستقرت فصحاها على نمط واحد ، وتنمقت ، وبانت بزينتها عاليه سامقة فى خيال رائع

(١) نقلا عن تاريخ آداب العرب للرافعى : ٨٨/١ .

وعاطفة ذكية وديباجة مشرقة ، حتى لقبت من بين اللغات
(١)
باللغة الشاعرة ..

وقد تكون هذه الوحدة اللغوية بين العرب المتهالكين
فى حروب مدمرة وعممية جاهلية وتفاخر خرج عن منطق الانسانية
- وقد تكون من مقاصد الحكمة الالهية فى نزول القرآن بلسان
عربى على عربى منهم ، ومطلب الوحي الاول هو أن يتحدوا على
توحيد الله وأن يستمعوا له هو وحده لا غير . {ألا له الخلق
(٢)
والأمر} .

فاذا الحكمة الالهية تدخل اليهم أولا من باب مايتحدون
عليه وهو اللغة فتحداهم الله تعالى فى كتابه وطالبهم بأن
يظاهر بعضهم بعضا ويستمدوا العون من بقية العالم وتكون
كلمتهم واحدة شكلا ومضمونا على أن يأتوا بمثل القرآن
وينقضوا وحدته اللغوية التى عرفوها ووحدة مضامينه التى
اختلفوا فيها ورفضوها ، اذا لم يتحدوا على دعوة القرآن
(٣)
ويؤمنوا بها : كما قال تعالى :

{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً} .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : كيف أمكن للعرب
الجاهليين أن يوحدوا لغتهم ويتحدوا عليها وهم متناحرون

(١) انظر : المصدر السابق ٨٩/١-٩٧ ، وانظر : تاريخ الادب
العربى للزيات : ص ١٣-١٧ الباب الاول .
(٢) الآية من سورة الاعراف : ٥٤ .
(٣) الآية من سورة الاسراء : ٨٨ .

ومتبرئ بعضهم من بعض .. ؟ لا يمكن لأى باحث أن ينكر هذه الوحدة اللغوية ولأدل على ذلك من أن شعراء هذه اللغة وحكماءها لهم اعتبارهم ومكانتهم فى كل القبائل .. فحسان بن ثابت ، مثلاً كان شاعراً لليمن وهو فى المدينة مع قومه الخزرج والأوس ، وله مكانته عند المناذرة فى الحيرة (١) والغساسنة فى الشام ..

وهكذا كل الشعراء فى القبائل وهم وسائل الاعلام لوحدة اللغة والأدب ولها تأثير كبير .. ولقد تفتنت قريش أبان الرسالة الجديدة خوفاً من تأثير هذه الوسيلة اللغوية التى توحد عليها العرب - لحساب الدعوة الجديدة التى يناهضونها فكانت قريش تراقب عن كثب القادمين الى مكة وخاصة ذوى المهارات الأدبية من الشعر والحكمة النثرية ، لئلا يتملوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقرآنه وتأثر فيهم بلاغته فيؤمنوا وينتصر الاسلام ...

والقصد أن اللغة العربية قد حظيت بوحدة الناطقين بها قبل الاسلام رغم اختلافهم فى المشارب وتوزعهم بين الرومان والفرس ، وبين أديان فاسدة وعقائد منحرفة من نصرانية ومن يهودية ومجوسية وحتى الأصنام تتباين .

ولما نزل القرآن الكريم بهذا اللسان كان ذلك من أهم العوامل فى أن يتحدوا على كلمة الحق ، فألف بين قلوبهم وتضامنت نفوسهم وتنادوا الى وحدة شاملة لكل اتجاه وتوجه فى الحياة بما فى ذلك اللغة ، التى صارت لسان الوحدة

(١) انظر : ترجمة حسان فى الإصابة : ٣٢٦/١ ، الاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة : ٣٣٥/١ ، أسد الغابة : ٤/٢-٧.

الاسلامية الى الأبد ، وصنفها المسلمون الى علوم "وهى اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهى بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن (١) أراد علم الشريعة " .

ولما نزل القرآن بلسان العرب . وألف بين قلوبهم ، وكون الرسول عليه الصلاة والسلام بدعوته وحدة متماسكة المشاعر والأهداف على توحيد الله ، والنهوض بشريعته كان لهذه الوحدة أثر واضح فى تهذيب اللغة وتوسع أغراضها ومعانيها وأساليبها فكانت الوحدة اللغوية تمهيدا للوحدة الروحية .

وتأثر الاسلام وتمرفه فى هذه اللغة بعد نزول القرآن دلالة واضحة على أهمية هذه اللغة فى تكوين الوحدة على الكتاب والسنة ، وأن هذه اللغة اذا حدث فيها وضع من جديد أو تغيير أو تعديل بعد نزول القرآن فان ذلك لحساب الوحدة الاسلامية لتكون عاملا متينا من عوامل الوحدة الاسلامية من حيث الجوانب اللغوية للحضارة أو للحياة الاجتماعية بصورتها العامة والخاصة .

وقد أحدث الاسلام فى اللغة ألفاظا وأساليب تتلاءم مع هذه الوحدة وهذه الألفاظ مثل "المؤمن والمسلم والكافر والمنافق" وكأبواب الفقه كالصلاة والصيام ونحوهما ، فاما

(١) مقدمة ابن خلدون : ص ٥٤٥ الفصل السادس والثلاثون .

أن تكون هذه اللفاظ أحدثت في اللغة من جديد أو أن معناها طور وزيد فيه فيكون المعنى اللغوي هو المعروف قبل الاسلام والمعنى الزائد هو المقصود بالاصطلاح الشرعى .

ومن الأسماء التى حدثت فى صدر الاسلام : المخمر والمراد به : من خضرت الشئ أى قطعته ، وخضرم فلان عطيته أى قطعها ، فسمى هؤلاء مخضرمين كأنهم عن الكفر الى الاسلام . وهناك استعمالات فى اللغة لم تعرف قبل القرآن والسنة (١) مثل : التفت فى قوله تعالى :

{ثم ليقضوا تفتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق} .

والتفت فى المناسك هو : ماكان من قص الاظفار والشارب وحلق الرأس والعانة ورمى الجمار ونحر الهدى ونحو ذلك ، ومثل : الآن حمى الوطيس ، ومثل "لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين" ومثل : "الحرب خدعة" . (٢) (٣) (٤)

و"واياكم وخضراء الدمن" ومن هذا التصرف فى اللغة وتهيئتها لوحدة انسانية أزيلت ألفاظ وألغيت استعمالاتها لاتتلاءم مع الادب والوحدة والحضارية الحققة مثل : المربع وهو ربع الغنيمة للرئيس فى الجاهلية ، وقولهم : أنعم صابحا وأنعم ظلاما ، وقولهم لملوكهم : أبيت اللعن وغير

-
- (١) الآية من سورة الحج : ٢٩ .
 (٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢٥٣/٤ ، الوطيس وطؤ الخيل ثم استعمل فى الابل وهو دفع الناس وقتلهم فى المعركة انظر : لسان العرب فى مادة "وطس" .
 (٣) رواه مسلم فى كتاب الزهد والرقائق رقم "٦٣" .
 (٤) رواه مسلم فى كتاب الجهاد والسير رقم "١٨،١٧" والخدعة فيها ثلاث لفات فتح الخاء وسكون الدال ، وضم الخاء وسكون الدال . أوضم مع فتح الدال .

(١)

ذلك من تأثير الاسلام وتعديله فى لغة الوحدة الاسلامية ..
وقد وصف ممطفى صادق الرافعى اثر القرآن الكريم فقال
"وانما كان ذلك لانه صفى اللغة من اكدارها ، وأجراها فى
ظاهرها على بواطن أسرارها ، فجاء بها فى ماء الجمال املا
من السحاب ، وفى طراءة الخلق أجمل من الشباب ، ثم هو بما
تناول بها من المعانى الدقيقة التى أبرزها فى جلال الاعجاز
وصورها بالحقيقة وانطقها بالمجاز ، وماركبها به من
المطاوعة فى قلب الأساليب ، وتحول التراكيب ، الى
التراكيب قد أظهر مظهر لايقضى العجب منه لانه جلاها على
التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته ، ولهذا بهتوا لها
حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت
المستقبل أم صوت الخلود ، لانها هى لغتهم التى يعرفونها
ولكن فى جزالة لم يمتغ لها شيخ ولاقيموم ، ورقة غير
ما انتهى اليهم من أمر الحاضرة . وهذا معنى ليس أظهر منه
(٢)
فى الاعجاز ..

وبالإضافة الى أن هذه اللغة لغة الوحي والوحدة
الاسلامية ، فهى كذلك من الطراز الأول من بين اللغات سعة
وجمالا وأسلوبا ، فهى تستحق فى حد ذاتها العناية وأن
تتباهى الأمم للاجتماع العالمى . ولولم ينزل بها الوحي ،
(٣)
فكيف وقد كانت كما وصف ، وصارت لسانا لكتاب يقول الله فيه
{وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم
أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون} .

(١) انظر : المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى :
٣٠٣-٢٩٤/١ والرد على المنطقين لابن تيمية ص ٥١ ، ط ٣
وانظر الحياة الادبية بعد ظهور الاسلام للدكتور محمد
عبد المنعم خفاجى ص ١٦-١٩ ، ٤٠-٤٣ ، ط ١ سنة ١٣٦٩هـ .
(٢) اعجاز القرآن للرافعى : ٧٧-٧٨ ، ط سنة ١٣٨١هـ .
(٣) الآية من سورة الانعام : ٣٨ .

(١)

ولغة لرسول يقول الله فيه :

{وما أرسلناك الا رحمة للعالمين} .

ومن هنا كان اهتمام العلماء بهذه اللغة ناشئا من

أمرين :

الأول : أنها لغة الاسلام وحيا وفقها ، فكل المؤمنين بهذه الرسالة السماوية يجب عليهم الاهتمام بها لأنها الوعاء لهذا الدين الذى أعزنا الله به وقوانا وجمالنا ، فلا عجب إذن أن نجد فئات المؤمنين من العلماء يهتمون بهذه اللغة ويرغبون عما سواها مستدلين بالقرآن الكريم كما تقدم وبأخبار الرسول عليه الصلاة والسلام كحديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أحبوا العرب لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى" .^(٢)

الثانى : ما يجده الباحثون - ولولم يكونوا من المسلمين - من التوسع اللغوى والجمال الأدبى فاقت به هذه اللغة كل اللغات .. ولهذا أشاد بها أهل العلم وخدموها ورأوا فيها سلوة النفس وشماثل الأخلاق .^(٣)

يقول سيبويه : وليس شئ يضطرون اليه - أى العرب - الا وهم يحاولون به وجهها ، وهذا أمل يدعوا الى البحث عن علل ما استنكروه عليه ، ويأخذ بيدك الى ما وراء ذلك فتستضىئ به

(١) الآية من سورة الانبياء : ١٠٧ .
(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير والبيهقى فى شعب الايمان والحاكم فى المستدرک ، وقال السيوطى فى الجامع الصغير باب الهمزة : صحيح .
(٣) انظر الخصائص لابن جنى : ١٤٥/٣ ، مقدمة لسان العرب فقه اللغة للثعالبى ، مقدمة المفصل فى علم العربية للزمخشري .

(١)

وتستمد التنبيه على الاسباب المطويات منه " .

ويقول العلامة ابن خلدون مميزات العربية عن غيرها من اللغات : "الملكات الحاصلة للعرب أحسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات على كثير من المعانى مثل الحركات التى تعين الفاعل من المفعول ، والمجرور أى المضاف ومثل الحروف التى تفضى بالأفعال الى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى .. ولا يوجد ذلك الا فى لغة العرب . وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لابد له من ألفاظ تخمه بالدلالة ، ولذلك نجد كلام العجم فى مخاطبتهم أطول مما تقدره بكلام العرب" .^(٢)

ويقول مصطفى صادق الرافعى فى هذا الوجه مبينا خصائص العربية : "ومن تتبع تراكيب هذه اللغة ويتدبر أثر الاسباب اللسانية فيها ، لا يجد كلاما يعدل كلام العرب فى العذوبة والبيان وفى الاختصار ونهج التأليف بين حروف الكلمة الواحدة حتى انهم قد يراعون مواضع الحروف من معانيها فيجعلون الحرف الاضعف فيها والالين والاخفى والاسهل والا همس ، لما هو أدنى وأقل وأخفى عملا وصوتا ويجعلون الحرف الاقوى والاشد والاظهر والاجهر ، لما هو أقوى عملا وأعظم حسا" .^(٣)

ان هذا الجمال الادبى والمرونة اللغوية ، من الاسرار التى أنشطت الراغبين عن لغاتهم الى هذه اللغة الفذة ، وكان عاملا من عوامل الوحدة عليها أو مساعدا للعامل الحقيقى وهو أنها لسان الوحى والموحى اليه عليه السلام .

(١) نقلا عن الخصائص لابن جنى : ٥٣/١ - ٥٤ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ٥٢٦ الفصل السادس والثلاثون .

(٣) تاريخ آداب العرب : ١٠٧/١ .

والذى روى عن أصحاب هذه اللغة هو الشعور على أنها
أرقى لغة وأجود كما يذكر ابن جنى فى كلام دقيق يقول :
"والمروى عنهم فى شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها
واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر أن يورد أو جزء من أجزاء
كثيرة منه " وقد أجاب عن اعتراض بأن العجم بلغتهم كذلك
وأنهم لا يريدون أن تتأثر بالعربية فيقول : لو احست العجم
بلطف صناعة العرب فى هذه اللغة ، وما فيها من الغموض
والرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها ، فضلا عن
التقديم لها ، والتثني عليها منها " ويقول : وذلك أنا نسأل
علماء العربية ممن أصله عجمى وقد تدبر بلغته قبل استعرابه
عن حال اللغتين ، فلا يجمع بينهما ، بل لا يكاد يقبل السؤال
عن ذلك : لبعده فى نفسه ، وتقدم لطف العربية فى رأيه وحسه
سألت غير مرة أبا على - رضى الله عنه - عن ذلك فكان
جوابه عنه نحو مما حكيت - " (١)

ويقول : "وايضا فان العجم العلماء بلغة العرب وان لم
يكونوا علماء العجم فان قواهم فى العربية تؤيد معرفتهم
بالعجمية ، وتؤنسهم بها وتزيد فى تنبيههم على أحوالها ،
لاشتراك العلوم اللغوية واشتباك وتراكمها الى الغاية
الجامعة لمعانيها ، ولم نر أحدا من أسيادنا فيها ...
يسوون بينهما ولا يقربوا حالهما وكان هذا موضع ليس للخلاف
(٢)

فيه مجال ، لوضوحه عند الكافة " .

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو على الفارسي الامام
المقدم فى العربية ، انظر : ترجمته فى بغية الوعاة
للسيوطى : ص ٢١٦-٢١٧ .

(٢) الخصائص لابن جنى : ١/٢٤٢-٢٤٣ .

ولو تتبعنا كلمات العلماء فى حبهم وتأييدهم وتقديهم
لهذه اللغة - لوجدنا كلاما رصينا دقيقا لا يقاس بغيره ولا يقدم
عليه شئ الا ما قيل عن القرآن والسنة وهما بالعربية ... !
ذلك لأن المسلمين اعتقدوا أن هذه اللغة جزء من حقيقة
الاسلام ولسان لدعوته ، وقد اكتسبت وصف المعجزة بالقرآن
الكريم - الذى حفظت بحفظه ، وانتشرت بانتشاره ، فلا قرآن
بلا عربية ، كما أنه لاصلاة الا بها ، وهذا ماوعاه المسلمون
جميعا فتوحدوا على تعليمها والتخاطب بها والكتابة ،
ومافتؤا يدافعون عنها ويدعون اليها وصارت خلفا للفرسية
فى العراق وللرومية فى الشام والقبطية فى مصر والبربرية
فى المغرب فى أول عهد فتوحات هذه البلدان ، وصارت للوحدة
الاسلامية : لغة الدين والأدب والعلم والسياسية والادارة
والحضارة ..

وكان المسلمون على اختلاف أجناسهم وألوانهم ينتقلون
بين الاقطار الاسلامية من الأندلس الى حدود الصين ، ولا يجدون
المشقة فى التفاهم ولا فى التعامل ، فى أى بلد حل فيه
المسلم أو الذمى ، لأن اللغة العربية رباط لسانى أدبى فى
الكيان الكبير وثقافتها الاسلامية هى الروح التى تسرى فى
هذا الجسم الكبير ... ! (١)

وقد ساندت السنة المطهرة الوحدة على اللغة ، وفتح
الرسول عليه الصلاة والسلام باب العروبة على ممراعيه وبين
أنها لسان ، من تكلم به صار عربيا ، وأنها ليست دما

(١) انظر : تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات .

ولانسبا ، فعلى كل المسلمين أن يقبلوا الى لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ولا يرغب أحد منهم عن لغتهما ، فقد روى أنه خطب عليه الصلاة والسلام فذكر الرواة مايلي :
ياأيها الناس ان الرب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب وأم ، وانما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى" .^(١)

وفى الحقيقة أن هذا الخبر بالغ الأهمية القصوى فى دعوة الناس وترغيبهم فى الوحدة على لغة القرآن الكريم لحكمة واضحة فى منهج دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وهو توحيد الناس على لغة الدين الجديد توطيدا لوحدهم على الدين نفسه ... !

ومن مظاهر الوحدة اللغوية بين المسلمين ، وحدة المنهج العلمى وأسلوب الاختلاف والترجيح ، والنقد والتأليف ولما كانت الوحدة الاسلامية نشأت فى فكرها وقيمها الأدبية والاجتماعية والعلمية ، نشأت بلغة واحدة وهى اللغة العربية كان ذلك وحدة ثقافية فى الشكل والمضمون ، وفى البواعث والاهداف ، فالمقاييس العلمية وأسلوب ادائها فى الدرس أو التأليف ، والتحقيق والمناقشة ، فى المغرب هى نفسها فى المشرق لاتختلف ولاتتباين ، وكأن ملايين المصادر والمراجع فى العلوم الاسلامية من جميع اختصاصاتها وفنونها ، فى العالم فكأن من كتبها ونشرها جنس واحد فى موطن واحد ... !

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية : ص ١٦٨-١٦٩ ، مطابع المجد ، ذكره ابن تيمية عن رواه ، وقال : هذا الحديث ضعيف وكأنه مركب على مالك ، لكن معناه ليس ببعيد بل هو صحيح من بعض الوجوه كما قدمناه " اقتضاء الصراط المستقيم .

ولم يكن ذلك الا بالوحدة الاسلامية على لغة التنزيل فلو أن هذا التراث الاسلامى الهائل كتب ودون وفكر فيه بلغات متعددة ومختلفة ، لما وجدنا هذه الوحدة المنهجية مع تنوع علومها وتشعب فصولها وتباعد أوطانها وتباين أجناسها . فى اطار منهجى موحد لا يختلف فيه باحث من بخارى وباحث من قرطبة ان اللغة العربية هى الجامع لللسن المتباعدة والمتباينة ، وقد سارت مع الفاتحين معربة الداخلين فى الاسلام ، حتى عمت المعمورة بين الاقطار الاسلامية فلا يجد المسلم معوبة فى التنقل بين هذه الديار ولا مشكلة فى مزاولة أى عمل تجارى أو وظيفة لدى حكومة محلية والعربية هى وسيلة التفاهم بين المسلمين فى أقطارهم منذ الفتح الاسلامى حتى جاءت موجة الاستعمار وعملت على أن تحل لغات دول الاستعمار محل العربية .

ومنذ بدأت موجة العجمة تطفى جعلت اللسن تتوزع والاهواء تفترق على لغة القرآن الى أن هبت عاصفة الاستعمار فأنشأ العصبية ومول الاختلاف ورعاة .

ورابطة اللغة لا يستهان بها بل انها وثيقة وعليها اعتمد التاج البريطانى لتكوين وحدة بين أمم "الكومنولث" الناطقة بالانجليزية الموروثة بالاستعمار والاذلال ، وبرباط العبرية تكون بين شذاذ اليهود وحدة ترهب وترعب ، ونرى رجالا من المسلمين الشرقيين يتعلمون اللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الالمانية فتكون أهواءهم وأراءهم مع أهل هذه اللغات ، ولعلمهم يألفونهم أكثر مما يألفون كثيرا من المسلمين الذين لا يعرفون لغاتهم ، ولم يكن من المبالغة أن

يقال : ان اللغة تعتبر أقوى العوامل الاجتماعية نفوذا بين
الانسان وآخر اذا حصلت المشاركة فيها ولاستطيع الوطنية ان
تصل الى تلك المرتبة للغة المشتركة بل وحتى الدين الضعيف.
ان أهم وسيلة الى تحقيق الوحدة الاسلامية بعد العقيدة
والعمل الصالح هي كون اللغة العربية لغة عامة شاملة للدول
الاسلامية وان تفرض تعليم هذه اللغة فى جميع مراحل التعليم
وخامسة الدول التى لها لغات حية متطورة بالتعليم والفكر
والدفع الحضارى لئلا تزاحم لغاتها القومية لغة عقيدتها
وحضارتها الاسلامية العريقة . واذا تركت العربية وشأنها
بدون الضغوط والافتراءات عليها - سوف تفتشرد العربية
لمكانتها الاجتماعية الذاتية فى النفوس وفى خاصة اسلوبها
فكما أن الاسلام انتشر بيسره وبساطته ووضوحه فى النفوس فإن
العربية بحلاوتها وبلاغتها وجمال اسلوبها المرهف بالأيافة
الى مكانتها فى الاسلام بكفالة القرآن الكريم والسنة -
فانها بذلك تجرى على اللسان مجرى الذكر والخواطر التى
لاتبأرح القلوب حتى تحل محل أى لغة تجرى على السنة
المسلمين .

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى
وأوله : الباب الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم
طالب بتصحيح جميع الملاحظات التي
طرف بتصحيحها
المضار والحق



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
الدراسات العليا

المشرف
عضو لجنة المناقشة
د. محمد أديب الصالح

د. عبد السلام فتح محمد

م. محمد

١٤١٩/١١/٩

منهج الكتاب والسنة في تحقيق الوحدة الإسلامية وأثره من الناحية التطبيقية

رسالة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين

إعداد الطالب

محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري

إشراف الدكتور

أحمد بن أحمد غلوش

الله أكبر
الحمد لله
الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا
هدى الله لنا
ولا لولا فضل
الله العظيم
ولا لولا
رحمة الله
الجليل

الباب الثانى

وسائل تكوين الوحدة الاسلامية فى القرآن والسنة

التمهيد :

تبين مما تقدم أن الوحدة الاسلامية ذات قواعد وأسس أصلية وهى المقصود بالعوامل فى الباب الاول بكل فصوله ومباحثه .

ولكن هذه العوامل لاتبنى عليها الوحدة المحكمة وتربى عليها الجماعة المتماسكة الا بوسائل وأساليب بها نوظف هذه العوامل لاهدافنا العقائدية والعملية والاخلاقية ونستثمرها لصالح الفرد والجماعة المسلمة خاصة والانسانية عامة .

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ورسوله عليه الصلاة والسلام فى سنته المطهرة : الى أنواع من الوسائل واشكال من الأساليب لتكوين الأمة القوية المؤمنة وبنائها على تلك القواعد ، ومعنى هذا أن الكتاب والسنة يتضمنان اجمالا وتفصيلا بكل دقة وشمول : مواد البناء وطرائق البناء معا الموصلة الى تحقيق الاخوة الاسلامية .

ولايتصور أن تتمكن هذه العوامل فى النفوس ، ويندشر الشر منها ويتوجه بها العقل ، وتتكون من الناس وحدة متألفة وقوة متناصرة دون وسائل وأسلوب عرض وتكوين وتصحيح ودفاع ، حيث أن البشر مفلطرون على غرائز تتأثر وتنفعل وتوجه ومصدر الوسائل الوحي المنزل من رب العالمين الذى خلق فأبدع ، وقدر فهدى ، وهو أعلم بممالمح عباده ، وبها يؤلف بين قلوبهم ، ويلبى حاجاتهم الضرورية والكمالية ، فاذا كان التشريع من مصدر الخلق والايجاز والتكوين والعطاء

والرزق كانت الوحدة بين دنيا الانسان وآخرته ، وجسده وروحه ومصدر خوفه ورجائه ، وذلك هي سعادة الدارين .
 والتأكد من العقيدة وتجلية مفاهيمها وأهدافها لا يكون الا باستخدام هذه الوسائل وعرضها بالأساليب الهادفة حرما على تشخيص الداء وتقديم الدواء الناجع بالنسبة لمن تنكروا لهذه العقيدة من غير أهلها ، ولضعاف العقيدة من أهلها ، بل هم أحوج الى الوسائل ، والأسلوب الذى يستحب الخير دائما ويفرى بالرحمة واللين ، ولكنه لا ينفك ولا يحد عن العلاج لكل الامراض ، بل يلزم أن تكون هذه الوسائل والأساليب شاملة لحماية أصحاب العقيدة والأخلاق ، وتضع من حولهم سدودا منيعة وتذكرهم بالخطر قبل أن يمل اليهم ، ولذلك نجد القرآن يؤكد معانى العقيدة فى خطاب المؤمنين كما (١)
 بينها لغير المؤمنين ابتداء .

وفى هذا الباب سوف أتناول أهم وسائل الكتاب والسنة فى تحقيق الوحدة بعد بيان المفهوم اللغوى والاصطلاحى للوسيلة والأسلوب والفرق بينهما ويتناول الفصول التالية :
 توطئة : المقصود بالوسيلة والأسلوب فى اللغة والاصطلاح

الفصل الاول : التربية على المنهاج الإسلامى .

الفصل الثانى : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

الفصل الثالث : الإصلاح بين الناس .

الفصل الرابع : تطبيق الأخوة الإسلامية بالرعاية :

(أ) الاجتماعية

(ب) الاقتصادية

(ج) السياسية

(١) انظر : أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٢٩-٤٦٩ ، ط ٣ ، سنة ١٣٩٦هـ .

توطئة :

فى مفهوم الوسيلة والاسلوب فى اللغة والاصطلاح :

(١) الوسيلة :

الوسيلة على وزن فعيلة من وسل اذا تقرب اليه ، وهى :
المنزلة والدرجة والوصلة والقربى ، التى يتوحد بها الانسان
ليحظى بمطلبه ، ويقال : وسل الى الله تعالى توسيلا عمل عملا
تقرب به اليه ، والواسل : الواجب والراغب الى الله ،
(١)
وجمعها الوسائل ، ومعنى التوسل والتوسيل واحد .
(٢)
وقد ورد الاستعمال فى الشعر كقول الشاعر :

ان الرجال لهم اليك وسيلة

أن يأخذوك تكحلى وتخصبى

(٣)

وقول الآخر فى صيغة الجمع :

الناس ان فصلتهم فمائل

كل اينما يبتغى الوسائل

(٤)

وقال آخر فى الوصف :

أرى الناس لا يدرون ما قد أمرهم

ألا كل ذى لب الى الله واسل

"والوسيلة اذن هى الطريق الموصل الى شئ برغبة ، وهى

أخص من الوسيلة لتضمنها لمعنى الرغبة " .

(١) انظر : لسان العرب ، والقاموس المحيط فى مادة (وسل) .

(٢) البيت لعنترة بن شداد ذكره أبو عبيدة فى مجاز القرآن
١٦٤/١ .

(٣) البيت لرؤية فى المصدر السابق ١٦٤/١ .

(٤) البيت للبيد رضى الله عنه .

وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى : مراعاة سبيله
بالعلم والعبادة ، وتحرى مكارم الشريعة وهى كالقربة ،
والواصل الراغب الى الله تعالى ويقال : ان التوسل فى غير
(١)
هذا السرقه " .

(٢)
وقد ورد استعمال الوسيلة لهذا المعنى فى قوله تعالى
[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون] .

فالمعنى المقصود فى الآية عند المفسرين هو طلب القربة
الى الله تعالى بما يرضيه من العمل الصالح والطاعة
(٣)
المتبعة دون ابتداء .

يقول الحافظ ابن كثير :

"وهذا الذى قاله هؤلاء الائمة لاختلاف بين المفسرين فيه ،
والوسيلة هى : التى يتوصل بها الى تحصيل المقصود ،
والوسيلة أيضا علم على أعلى منزلة فى الجنة وهى منزلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وداره فى الجنة وهى أقرب
(٤)
أمكنة الجنة الى العرش " .

كما ثبت فى الصحيح "من قال حين يسمع النداء ، اللهم
رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له
(٥)
شفاعتى يوم القيامة " .

-
- (١) مفردات الراغب مادة (وسل) .
(٢) الآية من سورة المائدة : ٣٥ .
(٣) انظر : الطبرى ص ١١٤/١٥ ، البغوى ١٢٠/٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ٥٢/٢-٥٣ .
(٥) رواه البخارى فى كتاب الاذان باب رقم ٨ .

وفى رواية اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرة ثم سلوا لى الوسيلة ، فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة " (١) .

ووردت كلمة الوسيلة فى آية أخرى بنفس المعنى وهو التقرب الى الله تعالى كقوله : (٢)

{ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا } .

وروى فى سبب نزول الآية أنه كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن ، فاسلم الجن ، وتمسك هؤلاء بدينهم " (٣) .

(ب) وأما الأسلوب فهو يجمع على أساليب والمقصود به فى اللغة الطريق ، تسلك منه مسلكا ويقال للمتكبر ان أنفه لى أسلوب ، ويراد بالأسلوب المذهب . والقوم فى أسلوب حسن أو سوء أى مذهب ، وهو بالضم الفن ، يقال أخذ فلان فى أساليب من القول أى افانين منه (٤) .

والأسلوب اذن هو : عبارة عن التراكيب اللفظية المشتمة على معنى من المعانى ، وتختلف الأساليب عن بعضها بمقدار قربها أو بعدها من توضيحها لمعناها ، وخلوها من الغرابة والشذوذ ، وتأثيرها فى الانسان الذى يسمعها أو

(١) رواية مسلم فى كتاب الصلاة رقم ٣٨٤ .

(٢) الآية من سورة الاسراء : ٥٧ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير ، تفسير سورة الاسراء باب رقم ٧ ، الطبرى فى التفسير ١٠٤/١٥ .

(٤) انظر : لسان العرب مادة (سلب) .

(١)
يقرأها " .

ومما تقدم نستخلص الفرق بين الوسيلة والأسلوب وهو أن القضايا تلك كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاصلاح بين الناس وسائل في حد ذاتها ولكن تناولها وعرضها بشكل أو بآخر هو الأسلوب ، فالوسيلة لا تتغير ولا تتبدل ، وانما استخداما واستعمالا هو الذي يتفاوت فيه الناس فيكون الاختلاف في أساليب تلك الوسائل وأساليب عرضها هي الحركة النامية لتبليغ الدعوة وتأكيدها في النفوس والمحافظة عليها لئلا تتلوث ، ويندفع اليها التغيير والتبديل ، ويمدها الجحود والعصيان ، وهي وسائل الربط بين المسلمين ودولهم ، ليكونوا أمة واحدة ، لا يفرقها الاختلاف ، ولا تبعثرها الفارقة العنصرية ، والجنسية الاقليمية ، وانما هم كما وصف (٢)
الله تعالى :

{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} .
(٣)
وقوله :

{ان اكرمكم عند الله اتقاكم} .

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "خير الناس اقراهم وأتقاهم لله عز وجل وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر (٤)
وأوصلهم للرحم" .

(١) الاعلام في القرآن للدكتور أحمد أحمد غلوش ص ٢٤٤ ، ط ١/ سنة ١٤٠٦هـ .

(٢) الآية من سورة التوبة : ٧١

(٣) الآية من سورة الحجرات : ١٣

(٤) روه الامام أحمد في المسند ٤٣٢/٥ وقال المناوي : رجال أحمد شقات وفي البعض كلام لا يضر . فيض القدير ٤٧٨/٣ .

ان هذه الوسائل جامعة للخير كله ، ودافعة للشر كله ،
فهى بحق توظيف لعوامل الوحدة التى تدعو كل مؤمن بها أن
يقوم مقام المعلم فى الأمة آمرا بالخير كله وناهيا عن الشر
برمته ، ومقام القاضى المصلح بين الناس اذا دب بينهم
الاختلاف ، ومقام الأخ المحب لأخيه ما يحب لنفسه والمستشار
المؤمن ، الذى لا يدل الا على الخير ولا ينصح الا بالحق ،
وصاحب الغيرة اذا انتهكت حرمة الله ، فينتصر لله لا لنفسه
وهذه الوسائل الجامعة للخير كله شاملة لعناصر قوة الجماعة
وتماسكها ووحدتها على مبادئ الخير ومباينة مبادئ الشر
والفرقة .

وبهذه المقدمة تبين لنا المقصود بالوسيلة وبالاسلوب

مع بيان الصلة بينهما والله أعلم .

الفصل الأول

التربية على المنهاج الإسلامى

التمهيد :

لا شك أن العقيدة الإسلامية بمفهومها الذى تناولناه هى المنهاج الإسلامى ، وأن روح هذا المنهاج وحركته السلوكية والتطبيقية هى العبادة بمفهومها الواسع التى تربط المسلم بربه والمعاملات التى تشد هذا الرباط فيما بين المسلم واخوانه المسلمين ، وتحدد علاقات المسلم بغير المسلم على ضوء العقيدة ، والجهد هو الراية التى لاتزول لهذا المنهج الإسلامى نشرا ودفعاً للعقيدة الى الامام ودعمها للعبادة فى النماء وضرورة لاقامة العلاقة بين المسلمين وغيرهم وتحديد شكل هذه العلاقة . ولا يكفى أن نصف هذا المنهاج نظريا ، وننتقله دون أن نأخذ على أنفسنا عهدا لتبنيه تربويا ، ومن ثم جاء دور التربية الذى يصبوغ المنهاج الإسلامى صورة موحدة الوسائل والأساليب تتلقاها الأمة بنفس واحدة ومنهج واحد على أنها الإسلام الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل به القرآن والسنة لايتمزأ ولايتناقض ولايفيد بعضه اذا أقمى عنه البعض الآخر وان الأمة التى آمنت به ورضيت به ديننا يجب كذلك أن لاتتفرق ولاتتبعثر فكرتها ولاتختلف ، وانما هى أمة واحدة كما أن الإسلام منهج واحد ورسالة واحدة جاء بها رسول واحد دعوة للعالمين جميعا .

ولأجل هذا لابد من دراسة فى التربية الإسلامية لنقدم الى

الامة الاسلامية خطة ومنهجنا نرجو ان يؤازر الوحدة بين الامة ،
وغنى عن البيان ان الوحدة التى ننشدها لاتكون الا بعد
الوحدة الفكرية التى تستمد عناصرها من الفطرة والعلم
والقدوة الحسنة ، ومن المدلول التربوى للعقيدة والعبادة .
ومن ثم نستطيع ان نقف امام التربية العربية المنحرفة
ذات المناهج الدقيقة والمرسومة لغزونا فكريا وسلوكيا ،
ونحن المسلمين فى حاجة ماسة الى منهج تربوى متكامل متناسق
يتميز عن غيره ويتمشى مع أسلوب الحياة المعاصرة بمعنى انه
يبدى محاسنها فنأخذ بها ويعرف بمساوئها فنرفضها ، ولايمكن
ان يكون ذلك الا اذا صيغ هذا المنهج التربوى من الكتاب
والسنة ويتمف بأسلوب علمى ومنهج فكري يتبع فيهما هذا
المنهج الكتاب والسنة ، ولايبتدع ولاينحرف بتقليد المناهج
الغربية والاساليب العنصرية والوسائل الشخصية الى لاتعرف الا
تحقيق الاهواء المادية التى تنتهى بالانسان المعزز المكرم
الى الحيوانية الهابطة .

وسوف اتناول فى هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الاول : مفهوم التربية ومعناها .

المبحث الثانى : موضوع التربية الاسلامية . وفيه مطالب

الاول : المنهج الفطرى .

الثانى : المنهج العلمى .

الثالث : منهج القدوة الحسنة .

المنهج الرابع : اثر التربية الاسلامية فى تحقيق

الوحدة .

المبحث الأول : مفهوم التربية ومعناها

التربية مأخوذة من : ربه ، وربيه اذا انشأ حالا قحالا الى حد التمام وهذا المعنى مأخوذ من الرب وهو المالك المطاع ومن معانى الرب : المصلح : من رب الشئ اذا اصلحه وهذا هو شأن الربوبية التى هى صفة من صفات الله تعالى ، فالرب سبحانه وتعالى هو خالق كل الكائنات ومتعهدها بالتربية حتى ومل كل شئ الى ماوصل اليه مما قدره المربى الحقيقى وهو الله جل جلاله وعموما فان معاجم اللغة ترجع هذه المادة الى لفظين أساسين :

الاول : ربا ، يربو ، والثانى : "رب ، يرب" والمعانى المأخوذة منها تشمل : "النمو ، والزيادة ، والنشأة والترعرع والتغذية ، والسياسة والتعليم والتأديب ، واصلاح الشئ ورعايته وحفظه ، وتكفل الصغير وحسن القيام عليه حتى (١) يشتد ويدرك" .

وقد قيل ان الرب اسم الله الاعظم لكثرة دعوة الداعين به ، وبما يشعر الوصف من الصلة بين الرب والمربوب ، فالرب مشتق من التربية ، وهو يتضمن معنى العطف والرحمة والافتقار فى كل حال ، قاله سبحانه وتعالى مدبر لخلقه ومربيهم ، فهذا صفة فعل ، وعلى أن الرب بمعنى : السيد والمالك يكون صفة ذات ، وهذه الصفة بالالف واللام لا تكون الا لله ، واذا

(١) انظر : لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس مادة (رب) ، معجم مقاييس اللغة ٣٨١/٢-٣٨٢ ، المفردات فى غريب القرآن مادة (رب) ، المعجم الوسيط ٣٢١/١ .

تجرد من الالف واللام صار مشتركا بين الله وبين عباده فيقال
الله رب العباد ، وزيد رب الدار ولا تطلق على غير الله الا
(١)
بالإضافة " .

وتربية الله تعالى لخلقه وسعة رحمته كل شئ ذات وجوه
كثيرة غير متناهية ولا يمكن حصرها ونشير الى وجهين :

الاول : لما وقعت فطرة النطفة من صلب الاب الى رحم الام
فانظر كيف انها صارت علقة أولا ، ثم مضة ثانيا ، ثم تولدت
منها اعضاء مختلفة مثل العظام والغضاريف والرباطات
والاوتاد والاورددة والشرابين ، ثم اتصل البعض ببعض ، ثم
حصل في كل واحد منها نوع خاص من أنواع القوى ، فحصلت
القوة الباصرة في العين والسماعة في الاذن ، والناطقة في
اللسان ، فسبحان من أسمع بالعظم ، وبصر بالشحم وأنطق
باللحم ، وكل ذلك يدل على تربية الله تعالى للعبيد .

الثاني : أن الحبة الواحدة اذا وقعت في الأرض فاذا
وملت نداوة الأرض اليها انتفخت ولا تنشق من شئ من الجوانب الا
من أعلاها وأسفلها مع أن الانتفاخ من جميع الجوانب : أما
الشق الأعلى فيخرج منه الجزء الصاعد من الشجرة " (٢) .

قال سيد قطب : " الرب هو المالك المتصرف ، ويطلق في
اللغة على السيد المتصرف للإصلاح والتربية ، والمتصرف للإصلاح
والتربية يشمل : العالمين . والله لم يخلق الكون ثم يتركه
هملا ، إنما هو يتصرف فيه بالإصلاح ويرعاه ويربيه ، وكل
العوامل والخلائق تحفظ وتتعهد برعاية الله رب العالمين

(١) انظر : القرطبي ١/١٣٦-١٣٨ ، والكشاف ٨/١ ، زاد المسير

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ١/٢٣٤-٢٣٦ .

والصلة بين الخالق والخلائق دائمة ممتدة قائمة فى كل وقت وفى كل حالة ، فإطلاق الربوبية وشمولها للعالمين جميعا هى مفرق الطريق بين النظام والفوضى فى العقيدة لتتجه العوالم كلها الى رب واحد تقر له بالسيادة المطلقة وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة وعنت الحيرة . كذلك بين شتى الأرباب ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم الى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة ، والى أن هذه الرعاية لاتنقطع أبدا ولاتفتقر ولاتغيب" .^(١)

وخلاصة القول : أن المادة التى اشتق منها لفظ التربية تعود الى صفات الله والى ربوبيته ، فربية الكائن البشرى انما هى تعود الى الربوبية ، ومن الربوبية يستخلص المؤمنون منهجا تربويا اسلاميا ، فالرب هو الذى أوجدهم من العدم ضعفاء جهلاء وعلمهم وقواهم وأنطقهم وأسمعهم وأبصرهم فهذه تربية خلقية تهتم بنمو وكمال أبدانهم والقوة النفسية والعقلية وكذلك التربية الشرعية مصدرها هو مصدر التربية الخلقية .

فالله قد أرسل أنبياء ورسل دعا مهتدين ليعلموا الناس العلم والعمل ليهتدوا ويسيروا على منهج الوحي الذى أنزله الله .

فالتربية فى اشتقاقاتها اللغوية والاصطلاحية تبدأ معنا من أول الخط الى نهايته من أنها يجب أن تكون ربانية وأنها اذا خرجت عن هذا الخط الذى ابتداء بصفة الله تعالى فهى غير ذات المنهج ولاينمو بها الكائن البشرى نموا يتفاعل مع

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/٢٢-٢٣ .

عبوديته ويتلاءم مع بدايته ، فاذا انحرفنا الى منهج لايرضاه
الله تعالى وأمثلة تتنافى مع التعريف فقد خرب منهج
التربية من أوله الى آخره ، والافهاتوا تعريفا واشتقاقا
لايرتبط بمفحة من صفات الله ولايعتمد على الحقيقة التي
عرفناها فى الاشتقاق .

المبحث الثانى : موضوع التربية الاسلامية

ان من الخطأ أن يظن أن التربية الاسلامية يقصد بها هذا القدر الذى يلحق للطلاب من الاعتقاد أو العبادات أو المعاملات فحسب .

كما يخطئ أيضا من يقصر التربية الاسلامية على المبادئ الاخلاقية الاسلامية التى يتعلمها الناشئة ، وانما يعنى بالتربية الاسلامية منهج شامل للحياة وللنظام التعليمى بكل وحداته ومستوياته والمجتمع بكل مظاهره الاجتماعية والثقافية والفكرية والعلمية ، لانه بهذا المفهوم للتربية المتميز صار للاسلام حضارة منفردة عالمية شاملة ، وذلك لأن التربية الاسلامية تشمل جميع مناحى الحياة ولا تخص جانبا دون آخر ، وانها تهتم بالحياة الدنيا والحياة الآخرة على حد سواء ، وأن التربية الاسلامية تنمى لدى كل فرد العلاقات بينه وبين الآخرين أفرادا وجماعات ليتحقق التكامل والتوازن ، والتربية الاسلامية تبدأ مع الانسان منذ يبدأ تكوينه جنينا الى أن تنتهى حياته فى الدنيا ، فهذه الحياة تمر على وحدات من التربية يشملها اطار واحد وهو التربية الشاملة التى تضم الفرد والآخرين الذين مروا بنفس المراحل من التربية فيتكون منهم مجتمع بمنهج واحد ، فهم اما مربون أو تربيون على ما تربوا عليه ، فالتربية الاسلامية حينما طبقت شاملة متزنة وجد المجتمع الذى يفهم الدنيا وله نصيب منها والآخرة وله نصيب منها كذلك .

(١)

كقوله تعالى :

{ومنها من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب} .

ومن هذا نخلص الى أن التربية الاسلامية لم تكن بحال من الاحوال جزئية في الحياة لأنها تعتمد على منهج كامل شامل يتسم بالتوازن والاستمرار ويهتم بالدنيا والآخرة وبالعقيدة والعمل والتطبيق وبجميع جوانب الانسان الروحية والجسدية .^(٢)

فالتربية الاسلامية على المنهاج الذي هو العوامل المكونة للوحدة الاسلامية في الكتاب والسنة لتكون عاملا فعلا ذا اثر في تكوين وتنظيم هذه الوحدة لابد من تصور دقيق لموضوع هذه التربية - التربية الاسلامية - بصورة شاملة ومنهاج كامل ، ومادمت بينت فيما سبق شمول التربية الاسلامية وتناولها للفرد والجماعة والدولة والامة وكل قضايا الحياة فهنا كذلك نحن مع هذا المنهج الشامل فالتربية الاسلامية موضوعها الانسان بكامله بروحه وجسده وعقله ونفسه سواء كان فردا أو جماعة أو شعبا أو أمة أو عالما ، فهذه التربية عامل من عوامل السعادة الانسانية ، وبناء العبودية الحققة لله تعالى فهي تعنى بالعالم ، واذا ما تناولت فردا صغيرا ووضعت له المنهاج وربيتة عليه فالمقصود من هذا أن يكون

(١) الآية من سورة البقرة :

(٢) انظر : فلسفة التربية الاسلامية في القرآن الكريم للدكتور على خليل مصطفى أبو العينين ص ١٣٣-١٣٥ ، ط ٣ المدينة المنورة ، وانظر : التربية الاسلامية بين الاصلية والمعاصرة للدكتور اسحاق أحمد فرحان ص ٣٩-٤٣ .

هذا الانسان نواة للجماعة وللأمة ولعالم جديد ، وليس المقصود هذا الفرد بذاته .

فالتربية الاسلامية يجب أن تتناول كل فرد بالعناية ليكون الاتجاه واحدا من الميلاد الى الموت، بل ان النمو على عوامل العقيدة والعبادة وحسن المعاملة والجهد هو التربية الاسلامية .

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة خاطبا الانسان بكامله ولم يخاطبا عقله خارجا عن جسده ولا جسده منفصلا عن روحه ، فالانسان اسم لهذا الكائن ذى الجسد والروح فلم يكن الانسان خيالا روحانيا لامادة له ولا شبحا ماديا لاعبرة الا لأعضائه المادية ، ومامن توجيه في الكتاب والسنة الا ويتناول كلية الانسان جسدا وطاقة وحينما نقول : الانسان مكون من عناصر الجسد والروح والعقل لايغنى هذا الانفصال بين هذه العناصر انما هذا شئ واحد تكون منه الانسان . فخطاب الله الانسان (١) يقوله :

{واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون} .

فهذا خطاب الجسد والروح معافهما يشتركان في الصبر والصلاة ، فالارادة تنبعث من النفس وتهيمن على الجسد ، واذا خلا الجسد من الطاقة الروحية فهو لاشئ كما يشير اليه قوله (٢) تعالى في المنافقين :

(١) الآية من سورة البقرة : ٤٥-٤٦ .

(٢) الآية من سورة المنافقون : ٤ .

{واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون} .

بل ان الخلو من الطاقة الروحية يجعل الجسد لا أمل فى
(١)
علاجه كما يشير اليه قوله تعالى :

{لهم قلوب لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون} .
(٢)
وقوله تعالى :

{ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون} . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم} .

ولقد اهتمت التربية الاسلامية بكلية الانسان كاملا فتناولته من نظافته الى غذائه ومن ملبئيه وستره من الحر والبرد الى مسكنه وزينته كما قال تعالى :
(٣)

{الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقئنى واذا مرضت فهو يشفين} .
(٤)
وقوله تعالى :

{يابنى آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلمهم
يذكرون} .

(٥)
وقوله تعالى :

-
- (١) الآية من سورة الاعراف : ١٧٩ .
(٢) الآية من سورة البقرة : ٦-٧ .
(٣) الايات من سورة الشعراء : ٧٨-٨٠ .
(٤) الآية من سورة الاعراف : ٢٦ .
(٥) الآية من سورة الاعراف : ٣١ .

{يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين} .

وهكذا عناية التربية الاسلامية بتفكير الانسان وعقله الى اخلاقه ومحافظته على نفسه عقلا وعرضا ودما ومالا وغير ذلك مما تتناوله حياة الانسان كاملة وقد خاطب الله تعالى العقل ليتدبر ويفكر ويستخلص العبر كما قال تعالى :
(١)

{فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والثرائب} .
(٢)
وقوله تعالى :

{أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت} .
فهذه وسائل منصوبة ، على العقل أن يتربى ويتدبر بالتفكير فيها ، سماء فوقه وارض تحته وجبال امامه وابل تسير معه .

كما اخبر تعالى ممتنا على الانسان بالطيبات التى يتغذى منها ويتربى جسد الانسان بها :
(٣)

{قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده} .
(٤)
وامر الانسان أن يمشى فى الارض مفكرا ومسترزقا بقوله :
{هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور} .

(١) الآية من سورة الطارق : ٥-٧ .
(٢) الايات من سورة الغاشية : ١٧-٢٠ .
(٣) الآية من سورة الاعراف : ٣٢ .
(٤) الآية من سورة الملك : ١٥ .

فكل هذه النصوص تتنوع فيما يفيد الانسان ويربيه عقلا وجسدا وروحا فلا تخص التربية الاسلامية جزءا دون جزء وانما تتناول الانسان بكل عناية وشمول .

واذا نظرنا الى جانب التطبيق (العبادات) فستجد الجسد والروح والعقل كل يشترك فى العبادة ، فالنية هى الاساس وهى جانب نفسى وروحى فى الصلاة وفى الصيام والحج وغيرها من العبادات ، فالاعضاء تسجد كما أنه ليس للانسان من ملاته الا ما عقل بل العقل شرط فى التكليف .. وهكذا .

فالتربية الاسلامية على منهج يؤهلها أن تكون به وحدة انسانية رفيعة لاتتناول بشئ من قضايا حياة الانسان .

المبحث الثالث : الوسائل المنهجية للتربية

الرسالة المحمدية هي ذات المنهج والوسائل والاهداف وهي الغايات التي تسوق الناس بالتربية الاسلامية اليها وبتدبر كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومراجعة المصادر الاولى لتفسيرها من القرون المفضلة يتبين ان الرسالة في عمومها لاتخرج في عمليتها التربوية عن مناهج عديدة اهمها :

(١) المنهج الفطرى .

(٢) المنهج العلمى .

(٣) المنهج بالقدوة الحسنة .

وهذه المناهج الثلاثة شاملة لكل ما يذكره الباحثون في المناهج التربوية وذلك لان المنهج الفطرى وسيلة ولد الانسان بمسوغاتها وجاءت الرسالة الاسلامية فى وحيها مدعمة هذه الفطرة فى بقائها وتربيتها سليمة فى حياة الفرد المسلم والجماعة الاسلامية ، وقابلة للنمو والعمق فى تربية الانسان واما المنهج العلمى فهو فى الكتاب والسنة ومن أبرز خصائص هذا المنهج أنه لا يخص علما دون علم واسلوبه أن
(١)
"الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"، وكما
(٢)
فى قوله تعالى معلما وموجها نبيه صلى الله عليه وسلم :
{فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن
يقرئ اليك وحيه وقل رب زدنى علما} .

(١) رواه الترمذى فى كتاب العلم باب رقم ١٩ ٥١/٥ ، وقال هذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا الوجه . وابراهيم بن الفضل المدنى المخزومى يضعف فى الحديث من قبل حفظه ورواه ابن ماجه فى كتاب الزهد رقم ٤١٦٩ ، ورواه البيهقى باسناد حسن وعزاه فى التحفة الى ابن عساكر عن على .

(٢) الآية من سورة طه : ١١٤ .

وهذا المنهج يستمد شموله ومنهجيته من علم يعلمه الله
للعبد "والقرآن ويعلمكم الله" .

وأما المنهج القدوة الحسنة فهو سلوك وعملية تطبيقية
بما فطر عليه الانسان من الخير وتطبيق واقعى للمنهج العلمى
الممثل فى الكتاب والسنة ، دون تكلف وتصنع وفلمفة تأبأها
الفطرة وترفعها الحقائق العلمية الناصعة فى الوحي من
الكتاب والسنة لأن من أهداف المنهج العلمى ازالة الجهل
بالتربية على العلم قولا وعملا وسلوكا وذلك يتناول قضايا
التربية الاسلامية للانسان ووسائلها المادية والمعنوية للدين
والدنيا ، فاذا كان الامر كذلك فنرى التركيز على هذه
المناهج الثلاثة والامداد منها والتفريع من جداولها دون أن
تخلط بغيرها من الفلسفات الكلامية والجدليات الفكرية التى
يلتبس فيها الحق بالباطل بسبب زحمة المناهج والمذاهب
والمدارس والآراء .

ولا شك أن العلاقة بين هذه المناهج الثلاثة علاقة متينة
بحيث أنه لايمكن أن يتمور فاعلية واستمرار منهج من هذه
الثلاثة دون الآخرين فرسول الله صلى الله عليه وسلم فى
تربيته للأمة وتبليغه عن الله سبحانه وتعالى يمثل هذه
المناهج أصدق تمثيل ويطبقها تطبيقا متداخلا شاملا فهو عليه
الملاة والسلام يستمد من العليم الخبير العلم وقد مده بهذا
الوحي المبارك "الذى لايتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد" ، ولكن هذا الوحي أول ما يخاطبه
فى النفس الانسانية الوجدانات والاتجاهات الفطرية وهى اذا

استقامت في الانسان واستمرت في عبوديتها الفطرية فسوف يبقى
الانسان مهيا للتوجيه التربوي السليم ، وكلما أصاب التوجيه
وترا من هذه الاوتار الفطرية جاءت الاستجابة التربوية محمودة
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربيته الامة
وتبليغه الرسالة يمثل ذلك كله تطبيقا عمليا في حياته كلها
ولذلك يوجهنا ربنا سبحانه وتعالى الى الاقتداء به لانه
يطبق كل ما ارسل به كما قال تعالى :
(١)
{لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} .
وساتناول بالبحث هذه المناهج فيما يلي :

(١) الآية من سورة الأحزاب : ٢١

المطلب الأول

(١)
المنهج الفطري

النفس الانسانية لغز حير العقول واتعب الفلاسفة ولقد جهدت الدراسات المعاصرة فى محاولة معرفة النفس ووضع المنهج ولكن كل ذلك فى البداية لم يصل الى شئ يذكر ولا يمكن ان تعرف احوال النفس الا من عالمها الحقيقى وباريها وهو الله جل جلاله يقول تعالى :^(٢)

{واسرؤا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور
الايعلم من خلق وهو الطيف الخبير} .

واما الفطرة التى جبلت عليها النفس ^{فهي تبدأ} من هذا ^(٣)
الميثاق الذى اخذه الله على النفوس كما قال تعالى :

{واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما اشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل
المبطلون} .

الفطرة هى فى الأساس توحيد لا يستطيع أحد أن ينكر هذه
الجذور كما انها اذا لم تحتجب بالخرافات والتقليد يصعب

-
- (١) انظر : مبحث أسس الوحدة فى الفطرة فى التمهيد لمعنى
الفطرة . ص ١٤١ من هذا البحث .
(٢) الآيات من سورة الملك : ١٣-١٤ .
(٣) الآيات من سورة الاعراف : ١٧٢-١٧٣ .

جدا أن تحتجب آثارها فالإنسان يحس بحاجته الى قوة تعيينه ومصدر للهداية وهو شعور فى كل النفوس اذا ضاق الانسان بالمخاطر المخيفة يشتد هذا الشعور وأول مهرب يفكر فيه هو
(١)
هذه القوى الغيبية .

ومن هنا كان الاسلام دين الفطرة أطلق عليه هذا الوصف ، والفطرة هي "ما فطر أى خلق عليه الانسان ظاهرا وباطنا ، أى جسدا وعقلا ، فسير الانسان على رجليه فطرة جسمية ، ومحاولة مشيه على اليدين خلاف الفطرة ، وعمل الانسان بيديه فطرة جسمية ، ومحاولة عمله برجليه خلاف الفطرة ، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية ، ومحاولة استنتاج الشئ من غير سببه المسمى هذا الاستنتاج فى علم الجدل بفساد الوضع خلاف الفطرة العقلية والجزم بأن مانشاهده من الاشياء هو حقائق ثابتة فى نفس الامر فطرة عقلية وانكار السوفسطائية ثبوتها خلاف الفطرة العقلية " .
(٢)

والقرآن الكريم تجد فيه آيات كثيرة متعددة الاساليب فى بيان التربية والرعاية الحقيقية من الرب الكريم كقوله
(٣)
تعالى :

{فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} .

فهذه الآية الكريمة تصف هذه التربية وانها فى جانب

(١) انظر : منهج القرآن فى التربية لمحمد شديد ص ٦٦-٧٠ ، ط٤ .

(٢) أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام لمحمد طاهر عاشور ص ١٧ .

(٣) الآية من سورة الروم : ٣٠ .

الاخلاق والعبودية لله في الاصل مهتدية ومتجهة وان كل انسان
(١)
ولد عليها .

كما جاءت السنة مبينة ذلك ومفسرة له كقوله عليه
الصلاة والسلام : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه
أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاً فهل تجدون
(٢)
من جدعاء" .

كما في الحديث القدسي : "خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم
(٣)
الشياطين" .

وهذه النصوص تبين أن الانسان وجد في هذه الحياة بكامل
تربيته الخلقية والخلقية وتسد الباب أمام كل تساؤل أو
بحث عن التربية في غير الكتاب والسنة وهما وحى من المربي
الحقيقي ؟ .

والمنهج الفطري هو الذي اعتمد عليه ابراهيم الخليل
عليه السلام في اقناع قومه بأن ما يعبدونه من دون الله
لا يستحق العبادة ترفعه الفطرة، قال تعالى :
(٤)

{وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من
الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما
أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي
فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال
يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهي لله الذي فطر
السموات والأرض خنيفاً وما أنا من المشركين} .

(١) انظر : الفصل التمهيدى في هذه الرسالة "أسس الوحدة
في الفطرة" ص ٥٢ من هذا البحث .

(٢) متفق عليه وسبق تخريجه ص ٢٣ .

(٣) رواه مسلم وسبق تخريجه ص ٢٠٩ .

(٤) الآيات من سورة الانعام : ٧٥-٧٩ .

فهذه الفطرة منهج قائم فى حد ذاته يجدر بالمربين جعلها أول المنهج استعمالا وأن تستغل الفطرة قبل زوالها وأخراؤها ومن هنا تبتعد التربية بالناس عن التكلف والفلسفة فما دام الله سبحانه وتعالى خلق عباده حنفاء وأوجدهم من العدم على هذه الصورة من البراءة مع ما تنطوى عليه نفوسهم وأرواحهم من الاعتراف بالربوبية كما فى الميثاق فهذه فرصة قائمة لتمنع التربية الاسلامية من كل الناس وحدة مترابطة وقوة متماسكة وعبودية خاشعة بهذا المنهج الفطرى الذى صمم عليه كل مخلوق من البشر واننا نجد الانحراف بكل مستوياته حينما يسرى فى الامة نجد أول مهمة له هى القضاء على الحياة الفطرية ومعالمها لانه بذلك يفتح الباب نحو الانسان روحا وجسدا ، ولاشك أن التربية الاسلامية اذا اخذت بهذا المنهج فى مبادئها الأولى على أى مستوى ثقافى أو اجتماعى أو سياسى أو اقتصادى سوف تجد السهولة فى توحيد الامة لما يتسم به هذا المنهج من السهولة والمرونة وأن النفوس جميعا متفقة عليه فى أصل خلقتها وفطرتها وما وجدت الفلسفة الى صفوف المسلمين طريقا وتمكنت من فرقتهن الا بسبب تجاهل هذا المنهج الفطرى **مما أدركه إن** انخداع كثيرين بنظريات جدلية متفاربة لاتقرب الى الحقيقة وبالتالى تمزقت الامة واتهمت التربية الاسلامية **كذبا وزورا بالفشل** فى منع وحدة الامة الثقافية والفكرية والحفاظ على شخصيتها الادبية .

المطلب الثانى : المنهج العلمى

العلم هو خير ما يزود به الانسان بعد ميلاده فى هذه الحياة بل هو الجانب التربوى الذى يحافظ على ما ولد عليه الانسان من الفطرة ، ويكون الفارق الاساسى بين الانسان وبقيّة الحيوانات ولأجل العلم زود الانسان بوسيلة العقل لأنها بها يتلقى العلم الذى هو وسيلة الرشـد والتسامى ولقد ولد الانسان على الفطرة وهى استعداد لتلقى الخير وليس معه من العلم شئ الا ما احتمله هذه الفطرة ويكون لها شاهد قال تعالى :^(١)

{والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون} .^(٢)
وقال تعالى :

{وهو الذى انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون} .

هذه هى حقيقة الانسان مع ميلاده على الفطرة فهو يخلو من كل المعلومات وانما زود بالادوات النامية وهى مسؤلة اذا كتب لها ان تصل الى مستوى المسؤولية لقوله تعالى :^(٣)
{ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً} .

وزود بالعقل وهو المقصود بالافئدة لأنها موضع العقل

(١) الآية من سورة النحل : ٧٨ .
(٢) الآية من سورة المؤمنون : ٧٨ .
(٣) الآية من سورة الاسراء : ٣٦ .

وقد كثر تكرار "أفلا تذكرون" و "أفلا تعقلون" و "يا أولو
الالباب" وكل ذلك ونحوه خطاب للعقل وتذكير له بالعلم وتلك
الوسائل اذا لم تستعمل للعلم ولم تؤد وظيفتها فهي تسترد
ويبقى الانسان من فئة الحيوانات التي لم تمنح هذه النعمة
(١)
كما قال تعالى :

{ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة
ولهم عذاب عظيم} .

ومن ثم تتجه التربية الاسلامية فى تربية الانسان نحو
العلم لتملأ هذه الوسائل التى زود بها الانسان علما وتوجه
الفطرة بالعلم قبل أن تذوب أو يتلصصها عامل آخر كالجهل
ووسائل الجاهلية الأخرى ، والتربية العلمية ليس لها وقت
محدد ولا نهاية وانما هى من المهد الى اللحد ، وطلب العلم
(٢)
فريضة على كل مسلم " كما فى الحديث ، وقد قال تعالى :

{قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون} .
(٤)
وقال :

{انما يخشى الله من عباده العلماء} .

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل لمن تعلم
العلم الذى جاء به ومن أعرض عنه فقال : "مثل ما بعثنى الله
به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان
منها نقيية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت

-
- (١) الآية من سورة البقرة : ٧ .
(٢) رواه ابن ماجه فى المقدمة باب ١٧ رقم ٢٢٤ قال المعلق
على ابن ماجه فى الزوائد : أسناده ضعيف لضعف حفص بن
سليمان وقال السيوطى سئل الشيخ محيى الدين النووى
رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال : انه ضعيف أى
سندا وان كان صحيحا أى معنى وقال تلميذه جمال الدين
المزى : هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن وهو
كما قال فانى رأيت له خمسين طريقا وقد جمعتها فى جزء
(٣) الآية من سورة الزمر : ٩ .
(٤) الآية من سورة فاطر : ٢٨ .

منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا
وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء
ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني
الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل
هدى الله الذي أرسلت به " .^(١)

والنصوص التي ترفع شأن العلم والعلماء تبين قيمة
الإنسان بالعلم كثيرة من الكتاب والسنة ولكن الذي يجب أن
ندركه نحن المسلمين ونعيه كل الوعى هو أن الإسلام الذي هو
دين الله الذي ارتضاه لنا من أهدافه التربوية أن لا يكون في
الامة جاهل ولا يكون فيها من يستسقى العلم في غير الكتاب
والسنة ، فاذا كان الأمر كذلك فإن التربية الإسلامية تتجه
بنا جميعا الى طلب العلم والتعلم وأن العلم قبل القول
والعمل لأن الله تعالى خلقنا لعبادته :^(٢)
^(٣)

{وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون} .

وعبادته لا تكون الا بما شرع وجاء في الوحي الذي أرسل
به معلم البشرية سراجا منيرا ومشرعه ليعمل به الا بالعلم
ومن هنا كانت التربية الإسلامية ذات أهداف نبيلة وواضحة .

توجه الجميع ليكونوا علماء وان تفاوتت المستويات فكل
مسلم يلزمه في منهج هذه التربية أن يكون لديه قدر من
العلم وأن الامة بجميعها يجب أن يكون لدى كل فرد منها علم
ضرورى لايسمح لاحد بجهله ومعنى هذا أن الامة غير واردة في

(١) رواه البخارى في كتاب العلم باب ٢٠ .
(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١٣-٧/١ ، ط
المنيرية .
(٣) الآية من سورة الذاريات : ٥٦ .

(١)
هذه الأمة واذا أدركنا أنه لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
ونحو ذلك من مبادئ اتضح هذا الجانب التربوى الهام .

فإذن يجب على الأمة أن تأخذ بهذا المنهج العلمى لتملح كل
مافسد بالعلم والتفقه وتبدأ بكل مشروع مادى ومعنوى بموجب
العلم ، ويجب أن تتخذ القرآن الكريم والسنة النبوية
المصدر للعلم ولا تبحث عن علم خارج عن الكتاب والسنة وهما
شاملان لعلوم الدين والدنيا ويرشدان الى كل بحث واجتهاد
وكشف يزيد للانسان علما ويكفى أن الله تعالى علم نبيه فقال
(٢)
له :

{فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن
يقرئ اليك وحيه وقل رب زدنى علما} .

وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحكمة ضالة
المؤمن أى وجدها فهو أحق بها .
(٣)

والعلم الذى يشيد به القرآن ويدعو اليه ، هو العلم
بمفهومه الشامل الذى ينظم كل مايتصل بالحياة ولا يقتصر على
علم الشريعة أو العلم الدينى كما يتبادر الى بعض الأذهان
أو ماذاع فى عهد التخلف عن القرآن ، فقد دعا الى النظر
فى ظواهر الوجود ومظاهر الحياة كما دعا الى دراسة الكائن
(٤)
البشرى .

وعلى رأس العلم العلم بالله وبمفاته وحقوقه وبشريعته
التي لايعرف الحلال والحرام الا فيها وحقوق عباده التي حققها
وبشريعته التي لايعرف الحلال والحرام الا فيها وحقوق عباده

(١) رواه البخارى فى كتاب الصلاة باب ١٣ .

(٢) الآية من سورة طه : ١١٤ .

(٣) مرقى نرجة ص ٣٨٠

(٤) منهج القرآن فى التربية لمحمد شديد ص ١١٥ .

التي حققها وحددها هو نفسه سبحانه وتعالى و "امتداد لمنهج المعرفة ، يقوم على أساس ماأبانه من حقيقة الوحدة فى الكون : وحدة الاله المعبود ، ووحدة النظم والنواميس ووحدة المنشأ والمصير وهى معرفة مستطاعة لكل مستويات العقول والافهام لانها تخاطب عقله وتفكيره وتجعل من الكون كتابا تتلقى عنه الفطرة السليمة تلقيا مباشرا فتطمئن الى ما فيه من آيات وما تنطق به من وحدة الخالق المدبر ، ووحدة الناموس والنظام ووحدة المصير وعلى أساس الايمان بهذه الوحدة يقوم منهج العلم فى القرآن اذ هو العاصم الذى يحول بين العلم وبين الزلل والانحراف وهو الذى يربطه بأصله ويمسكه بمصدره ، حتى يمكن أن يحقق رسالته الانسانية فى الأرض والا يكون وسيلة الى الفساد والدمار . أو مطية للهوى والشهوات" (١) .

ومما تلفت التربية الاسلامية النظر اليه هو أن الغاية تلقى العلم والعمل به بغض النظر عن أى وسيلة تلقى بها الناس العلم ، فلا داعى للجدل العريض الذى نجده فى كتب التربية حول هذه الوسائل المهم أن يتلقى العلم ويتفقه به ويعمل به سواء تلقاه الناس بوسيلة البيت أو المدرسة أو المسجد أو الجامعة أو بأسلوب القصة أو الحوار أو التعليم ونحو ذلك مما هو ليس هو الهدف انما الهدف هذا العلم وثمراته ، والتربية الاسلامية بينت لنا فى تاريخها مصداقا لذلك وهو هذه العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية والكىماوية والطبية والرياضية ونحوها التى انتجها العلماء

(١) منهج القرآن فى التربية لمحمد شديد ص ١١٢ .

وتعلمها الطلاب تحت أشجار وخيم وفي مساجد ولم تمل العلوم التي تتلقى من الجامعات ذوات البناء الحضارى الى مستواها حتى الآن والوسائل والأساليب لتلقى العلم يجب أن تخضع للفائدة بمعنى أن كلما وجدنا وسيلة يتعلم بها واسلوبا يؤثر يجب أن نستعمله والا فلا لأن هذه الوسائل والأساليب ليست هي المقصود في حد ذاتها وإنما المقصود العلم وثمرته وإذا تتبعنا الترتيب البديع والمنهج الشامل الذي وضعته التربية الإسلامية للإنسان في جميع مراحل حياته الى الموت بعد الشيخوخة سترى قيمة الإنسان حقاً في المنهج التربوي في الإسلام .

ومن ذلك حقوق الطفل الوليد على والديه الأذان في أذنيه إذا ولد وتحسين اسمه والعقيقة عليه وهي الصدقة وحقه في الرضاع بدون أن يضار أحد الوالدين الآخر بالمولود والمحافظة عليه وعلى فطرته ونمو جسمه ونظافته وتلقيه الكلام الطيب المغيد دون الفحش والبذاء وإذا بلغ سبعا أمر بالصلاة وفرق بين الأنثى والذكور في المضاجع ويحمل على الصلاة عند بلوغه العاشرة ولو بالضرب ومأكل والد ولده خيراً من أن يحفظه القرآن ويربيه على السنة وحب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بلغ الرشد زوج ليعف وينشأ أسرة جديدة ويدخل في مرحلة الكبار فعلى الصغار أن يقدموا احتراماً له ويوقروه كما يجب عليه أن يقدم ذلك لمن هو أكبر منه وإذا صار والد أو في منزلته أو جداً فله حقوق على الأبناء قضى بها رب العالمين ، وفي مرحلة الكبار والشيخوخة لا بد من توفير ذي الشبهة المسلم كلما تقدمت به السن واكتنفه العجز وجبت

العناية به فى التربية الاسلامية حنانا وتقديرا ، واذا مات المسلم غسل وكفن وطيب وصلى عليه ودعى له وترحم عليه ونفذت وصيته وشيع الى مثواه الاخير فى هدوء وخشوع وذكر لله سبحانه وتعالى .

فانى تكريم بعد هذا اجمل وارفق مما يجده الانسان فى التربية الاسلامية التى حرمت الاعتداء على المسلم فى دمه وعرضه وماله ، وكان حقه حيا وميتا وكرامته الانسانية الى ان يبعث يوم القيامة .

هذه صورة اجمالية للعناية التربوية فى التربية الاسلامية وهى فقه لنموض كثيرة من الكتاب والسنة جاءت فى المنهج الذى رتبته التربية الاسلامية للانسان من ميلاده الى موته فلو ان المسلمين طبقوا هذا المنهج العلمى للتربية الاسلامية فى كل فرد من افراد المسلمين لما وجدنا الامة الا جسدا واحدا وفكرا موحددا واتجاها متساندا ولكن مع الاسف اختلفت المناهج وتلوشت التربية الاسلامية بغيرها وتباينت الاتجاهات فجاء الاختلاف العريض من كل مكان وتفايرت الاحوال وتفاقم الامر حتى جعل بعض المسلمين يبحث عن التربية بالفلسفة والنظريات الجاهلية ولا حول ولا قوة الا بالله ، انا لله وانا اليه راجعون .

المطلب الثالث : منهج التربية بالقدوة الحسنة

هذا المنهج يعتبر نصف التربية ، وأى وسيلة من وسائل التربية ومنهج من مناهجها يخلو من القدوة الحسنة فهو لاشئ والقدوة الحسنة تشمل الأقوال والأعمال والسلوك والاختيار الإرادى قبولاً أو رفضاً ، ومن ثم يمكن أن نكتفى بهذا المنهج فى بيان كل ما تتطلبه التربية الإسلامية من خلال القدوة الحسنة ، فالمنهج اذن ليس هو بنصف التربية فقط وإنما هو التربية بكاملها ولكن لانقصد بالقدوة الحسنة ذلك المفهوم البدعى الصوفى الذى يحاول أن يوجه الناس بالحركة والسكون الجسمين والجهل يكتنف المقتدى به ويسرى فى عروق من يحاول تربيته ومأمدر هذا الا الفلسفة اللاهوتية .

ولماذا كان هذا المنهج هو التربية كلها اذا أحسن فهمه واتقنت ترجمته ؟ وذلك لأن التربية الإسلامية مصدرها الوحى والوحى توجيه النفوس المؤمنة وتربيتها قولاً وفعلًا وهوى وسلوكًا فاذا تربت النفس بكل هذه المقاصد فى التربية الإسلامية واستوعبتها كانت القدوة من هذه النفس المؤمنة المتربية شاملة شمول الوحى .

ومن هنا كان وصف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها الرسول صلى الله عليه وسلم لما سئلت عن خلقه دقيقاً حيث (١)
قالت كان خلقه القرآن ، انها اجابة دقيقة بليغة فرسول

(١) وراه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب رقم ١٨ ، حديث رقم ١٣٩ .

الله صلى الله عليه وسلم ترجمة حية لحقائق القرآن وتوجيهاته وكل مايشتمل عليه فهو كالقرآن قوة ونورا وشعلة من الهداية وطاقة من الحق لاتنطفئ ولقد فاض هذا النور وسرى فى النفوس وتهدى العقول فتعلقت به المؤمنون وأحبوه حبا لامثيل وهو القرآن فى كل الاحوال وكونه آية كونية مع كمال بشريته ظاهر لكل ولذلك كان قدوة قبل أن يتكلم وقبل أن يأمر وينهى وقد ربى أمة وأحيا به الله قلوبا موتى فهو قدوة مابقيت السموات والأرض تتجدد مع كل الاجيال كما هو مرسوم فى سننه ويشهد به القرآن الذى أنزل عليه ويقول الله (١) فيه : (٢)

{ياأيها النبى إنما أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا} .

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يمثل القرآن فالتربية الاسلامية تقول لكل فرد فى الأمة كما فى الآية " لكم فى رسول الله أسوة حسنة " ، فمادامت الأمة تتبع هذا الرسول وتؤمن به وقد مثل التربية الاسلامية فالواجب على كل مؤمن من الأمة أن يكون سلوكه القرآن لأن ذلك هو الدليل على الايمان والاتباع فيترتب على هذا ، ما تستهدفه التربية الاسلامية فى الأمة وهو الوحدة المنهجية والسلوكية والعملية فالمنهج اذا حمله القلب بالمدق وتحول الى السلوك كان اتباعه سهلا ولعل من الحكم التى جعلت الرسول بشرا مثل الناس المبعوث اليهم أنه يمثل التطبيق العملى لشريعة الله

(١) انظر : منهج التربية الاسلامية محمد قطب ص ١٨٠-١١٧ .

(٢) الآية من سورة الأحزاب : ٤٥-٤٦ .

فيقتاد الناس به وذلك ما لم يمكن لهم لو كان الرسول من
الملائكة أو من الجن ولذا نرى هذا التوجيه الدقيق الهادف
(١)
من القرآن في قوله تعالى :

{لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} .

والقرآن اذن يركز على ضرورة الاقتداء بالرسول باعتبار
أسوة حسنة فان التربية الاسلامية تتخذ من القدوة طريقا
لتحقيق أهدافها ، فالمعلم ليكون قدوة لابد وأن يمثل المنهج
الذى يعلمه ويربى به حيث يربى على هديه ، وحتى لا يكون هناك
تناقص بين قوله وعمله ، وحتى يتخذ المتعلمون قدوة لهم ،
ويتأسوا به فى كل حركاتها وسكناتها ، فضلا عن أخلاقه ومنهجه
والا فان التربية تنقلب الى تلقين وحفظ وتسميع دون أى أثر
عملى لها .
(٢)

ولفقدان القدوة الحسنة أسباب فى نظر التربية الاسلامية
يجب أن توليها الأمانة العناية الشديدة ابتداء من المدرسة
الاساسية وهى البيت والأسرة فالواجب ألا يتولى تربية الأبناء
الا من ترضى سجاياء ويملح فى عقيدته وعمله ولو كان من
الأسرة فلا بد من الثقيد بهذا الشرط فكيف لو كان المربي
والمربية من غير الأسرة بأن كان أجنبيا مستقدا للعمل داخل
الأسرة والبيت ، من جهة أيضا يلزم على الأسرة ألا تتخلق

(١) الآية من سورة الاحزاب : ٢١ .

(٢) انظر : ابن كثير عند تفسير هذه الآية ومنهج التربية
الاسلامية لمحمد قطب ١/ ١٨٠-١٨٦ ، التربية الاسلامية بين
الاصالة والمعاصرة للدكتور اسحاق فرحان ص ٥٥-٦٢ .

ولاتقتنى شيئا من الأدوات يتنافى مع التربية الإسلامية عقيدة وسلوكا وألا تكون العناية بمظهر الناشئ من الصحة البدنية وتوفير المطالب الغذائية والملابس ونحو ذلك من الأمور التي لاتكفى فى التربية المتكاملة ، ومما يفقد القدوة الحسنة فاعليتها البيئة المخالفة فى مظاهرها وعاداتها ومعالمها عقيدة الأمة وشريعتها هذه البيئة وسيلة لها قوة التأثير قد تجد الكثيرين من المجتمع قدوتهم مايجدونهم ويرونه ويسمعونه ويحسونه فى هذه البيئة فهى كتابهم المقرر ودرسهم الذى لاينقطع واستاذهم الذى لايميل وتكون البيئة أقوى المؤثرين وخاصة فى الذين تمردوا على الأسرة واستعجموا أمام دروس المدرسة وتصلبوا على المربين فالبيئة هذه المخالفة لاتبقى من القدوة الحسنة ولاتذر ، ومن هنا يجب على أى مجتمع مسلم أن لايسمح لأى مظهر من مظاهره أن يخالف العقيدة والأخلاق والمبادئ الإسلامية لأن البيئة ميدان لمظاهر عقيدة الأمة وتوجيه تربيتها وهى فى نفس الوقت مورد خطير على بقاء شخصية الأمة ومن الوسائل المانعة لمنهج القدوة الحسنة أن ينتج فى الأمة ويؤتى شماره وسائل الاعلام التى هبت رياحاها من كل صوب وحملت الى الناس كل غريب وجديد وضار ونافع دون التمييز والفحص وعرض مايعرض فيها على عقيدة الأمة ومبادئها الإسلامية التربوية فهذه الوسائل كأنها تستهدف فى الأمة محو كل صورة فى الذهن وما يحسه الناس من الواقعية المحلية فاذا وسائل الاعلام تقول للناس انظروا واستمعوا واقراءوا التمدن والحضارة وتخلو عما كنتم تعلمونه وتتمسكون به فهذا أمر خطير يجب على المربين اعادة النظر فيه لاتبقى وحدة

الامة ويسهل بناؤها والذي يلزمه من التخطيط التربوى أن يقلب المنهج الفطرى والمنهج العلمى كما تبينا من الكتاب والسنة على كل ماسبق من المظاهر التى ألغت منهج القدوة الحسنة بقصد أو لغير قصد والتربية يجب أن تعتنى بالبيئة لأن كل مافى البيئة فى نظر التربية الاسلامية يعتبر عاملا مذكيا ووسيلة تربوية لهذا يجب على الامة أن تحافظ على الحياة الفطرية والنتائج التى تستثمرها التربية من العلم وينعكس ذلك كله فى سلوك القدوة الحسنة فى كل فرد من أفراد الامة وكل مشروع من مشاريعها ومظهر من مظاهرها الاجتماعية والسياسية والثقافية ويكون هذا عن قصد توحيد الامة تربويا وفكريا .

فاهمال الاسرة المسلمة أو البيت المسلم مايجب عليه نحو العقيدة والشريعة والاخلاق والانضباط التربوى يفقده اهلية القدوة الحسنة ويجعل من يتربى فى هذا البيت ضحية وليس المسئول عنها سوى الابوين ومن فى حكمهما كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، ويندر جدا أن يتربى الانسان تربية اسلامية من مصدر آخر كالمدرسة مادامت الاسرة أو البيت استهانت بمسئوليتها . ومن الامور التى تفقد القدوة الحسنة أن يتولى التربية خارج الاسرة من لا يقتدى به لسوء أخلاقه وانحراف عقيدته فالواجب أن تهتم الامة بالمدرس وأن لا يكتفى من المدرس بالمعلومات النظرية بل لابد أنه على مستوى أعلى ما يكون عليه العلماء من الوقار والتمسك بالغفيلة والتحلى

بالعقيدة والا فانه اذا قدر أن الأسرة على مستوى من التربية
لائق فان المدرسة تخرب ماتمنعه الأسرة .

يقول أبو الحسن النوى : " ايجاد نظام اجتماعى راق ،
يعيش فيه الشباب حياة اجتماعية اسلامية تحت اشراف اساتذة
ومراقبين يكونون القدوة الحسنة والمثل الكامل فى الخلق
والسيرة وذوق العلم وذوق العبادة يتميزون لاعن الطلبة
وخدمهم بل عن عامة العلماء والاساتذة بمحاسبة النفس
والاحتساب بالله والتكشف فى الحياة والبعد عن غوائل النفس
ومكائد الشيطان يشعر الشباب بحرارة ايمانهم ورقة قلوبهم
وشعورهم فيقتدون بهم بدافع من الحب والاحلال وحب للجمال
والكمال لادافع قانونى ويتخذونهم مثلاً فى الحياة " .^(١)

ومن الأمور التى تفقد القدوة الحسنة استيراد المناهج
المخالفة لعقيدة الأمة وشريعتها أو تلوث التربية الاسلامية
ببعض هذه المناهج كالمناهج الغربية برمتها فى أى اختصاص
كانت وطرائقها وأساليبها أداثها فهى لاشك أنها تحدث قلقاً
وتناقضاً فى الأمة حتى تفقدوا توازنها وتضمحل معالم
تربيتها الاسلامية وشخصيتها فى هذا الركام المتناثر من أمم
متباينة ونظريات متضاربة والحق يقال أن المناهج والمربين
لايجوز أن يستوردوا بل يجب أن يكونوا من الاختصاص والنقاء
بمكان فى عقيدة الأمة وخصائصها التربوية .^(٢)

(١) التربية الاسلامية الحرة لأبى الحسن النوى ص ٦٨-٦٩ .

(٢) انظر : المصدر السابق ص ٥٦-٦٦ .

المبحث الرابع : أثر التربية الإسلامية
فى تحقيق الوحدة

أهم شئ واجه الإنسان هو العقيدة ، لأنها مصدر الخير
للإنسان وهى الأساس التى لاغنى عنها لبناء الحضارة التى جاء
الأنبياء لبنائها ومهما احتدم الصراع بين الأنبياء وغيرهم ،
فان العقيدة هى الجانب الراجح دائما لأنه حق فى ذاته . قال
(١)
تعالى :

{إننا لننمّر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا
ويوم يقوم الأشهاد} .
(٢)
وقال :

{كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز} .
(٣)
وقال :

{ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم
المنمورون وإن جندنا لهم الغالبون} .

والواقع الإنسانى مع العقيدة كالتالى :

(١) بعض الأمم التى وقفت فى وجه العقيدة ورفضتها استمرت
فى مواجهة المشاكل والأزمات ، الشقاء والبلاء الدائم ،
وانتهت هذه الأمم الى الدمار الشامل لمعارضتها
العقيدة ورفضها لتربيتها ، ومهما طال الزمن وعرضت
الحلول للنجاة من هذا الدمار الماحق فلا نجاة الا
بوسيلة العقيدة وتربيتها ، وليس السباق العلمى

(١) الآية من سورة غافر : ٥١ .
(٢) الآية من سورة المجادلة : ٢١ .
(٣) الآية من سورة الصافات : ١٧١-١٧٣ .

والانجاز المناعى هو الذى يُبْتِشَل الامم من هذا الضياع .
(٢) لقد بقيت آيات الله فى كتابه العزيز توضح مصير
الرافضين للعقيدة فى الدنيا والآخرة ، فهذه الامم التى
هلكت ودمرت لتكذيبها الرسل ، وهذا المصير الذى
ينتظرهم فى الحياة الابدية من شقاء وعذاب دائم ، قال
(١)
تعالى :

{وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا} .

(٣) وقد توالى آيات تصف هذه الامم بالتكذيب وتذكرها
باسمائها وأسماء أنبيائها من قوم نوح الى قصة بنى
اسرائيل التى لها ادوار كثيرة مع أنبياء ورسل كثيرين
والذين لم ينفعهم أن الله اختارهم عن العالمين
(٢)
كقوله تعالى :

{يا بنى إسرائيل أذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى
فضلتكم على العالمين} .

فلم يفدهم هذا لرفضهم العقيدة .

(٤) لقد واجهت عقيدة التوحيد مع رسولها الاخير خاتم
الانبياء صلى الله عليه وسلم الجاهلية ، وكان نفس
المراع والرفض الذى حصل من الامم من قبل مع الانبياء ،
ولكن الجاهلية بكل قواها وملكها تكسرت سهامها ،
ولاتكاد تغيق من غلوائها كل ما استيقظ جديد منها فتعود
الى المراع ، والعقيدة هى هى ، وتربيتها شاهد صلاحها

(١) الآية من سورة الطلاق : ٨ .
(٢) الآية من سورة البقرة : ٤٧ .

فساد ماسواها فآين الجاهلية العربية ؟ وآين كبرياء الفرس
والرومان ؟ وآين الحمية المليبية لملوك أوروبا ضد
العقيدة ؟ .

كل ذلك تبدد وتلاشى والعقيدة بكل معالمها قائمة وهى
اليوم فى صراع مع عمالقة الانجاز الصناعى والتكنولوجى ،
وسوف تتكسر السهام كما تكسرت سابقا وتبقى الحقيقة (١)
قال تعالى : (٢)

{افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم
يوقنون} .
(٣)
وقال :

{افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض
طوعا وكرها وإليه يرجعون} .
(٤)
وقال :

{هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله وكفى بالله شهيدا} .
(٥)
وقال :

{هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون} .
هذا والقرآن الكريم واضح فيه عرض العقيدة بكل وضوح -

(١) انظر : لمحات فى الثقافة الاسلامية لعمر عودة الخطيب ص
٣٠٩-٣٣٠ .

(٢) الآية من سورة المائدة : ٥٠ .

(٣) الآية من سورة آل عمران : ٨٣ .

(٤) الآية من سورة الفتح : ٢٨ .

(٥) الآية من سورة الصف : ٩ .

التي اذا أخذ الانسان بالمبادرة فى التربية بها سوف يحظى
بسعادة الدارين .

ان التربية الاسلامية تهين للانسان أمورا :

الأول : راحة الانسان المسلم نحو الكون وخالقه دعما
لفطرته .

الثانى : الميانة القائمة من التربية للقيم ليسعد
الانسان ويستقر نفسيا فى الدنيا الى الآخرة قال تعالى :
(١)

{فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف
وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا} .

الثالث : انقاذ الانسان بالعقيدة من الضياع لكونه
يسير على هدى وبصيرة بمنهج واضح .

الرابع : العقيدة التى تربي عليها الافراد هى التى
تجد منهم وحدة فكرية وتفاهما موحدا فى المشاعر والتصرفات
العملية وضبط السلوك ليكون هذا هو الوصف التربوى المستقر
المتماسك الثابت للمجتمع فيتحرك من كل مايبعده من الله
ومن كل عنصرية وللعقيدة مدلولات تربوية متعددة الجوانب
لانها هى الهدف الاعلى للتربية ومنها تصاع الاهداف الموحدة
للتربية واساليبها لأجل توحيد فكرة الافراد فى الواقع
تخمية الانسان الصالح العابد لله بحق ، ومن أغزر مصادر
التربية معرفة صفات الله التى تشبع المؤمن بالايمان بها ،
وبالتالى التخلق بمدلولاتها وفطرته تؤيده على ذلك ومن هنا

(١) الآية من سورة الطلاق : ٢-٣ .

كانت التربية الاسلامية تسعى أولا فى غرس الايمان فى كل فرد بواسطة الاعتراف بالله ووجدانيته فى كل شئ على الاطلاق وعلى أساس هذه العقيدة تنبع قيم الحياة من صفات الله ، ومن التخلق بأخلاق الله ، ولله المثل الأعلى ، فهذه الصفات هى الصلة الرابطة بين تصور الكون والحياة والانسان وبين القيم الفكرية والسلوكية ، فاذا كان الله تعالى تعرف الى عبادته بصفاته وأسمائه فلا بد اذن من التأسى بجلاله وكرمه هذا ، وهنا جاء دور التربية فى توظيف وسيلة العقيدة لبناء الروح المؤمنة المتجهة فى جسد وعقل يذعن لله ويعلو بالعبودية الكاملة لله تعالى فمثلا من صفات الله العلم ، صفة مطلقة لاحد لها ، ولا يمل البشر الى نهايتها فيجب على التربية أن تأخذ بمدلولها فلا ترضى الجهل بل يلزم أن تحاربه ليأخذ الانسان ما أمكنه من العلم دون مشابهة الله (١) وهو عز وجل كما قال :

{وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين} .

ومن هنا يمكن للتربية الاسلامية بالعقيدة أن تمنع انسانا عجيبا وتوجه نفوسا توجيها كريما بالأمور التالية :

(١) تهيئة الطفولة بفطرتها للرغبة فى العقيدة بالقدوة الحسنة والمحاكاة وتهيئة الكبار أيضا بالعقل والتفكير ويكون ذلك ببيان وتعداد النعم المحسوسة

للمنعم وإشارة كوامن العقل والوجدان ليفكر ويؤمن
ويذكر من وهبها ، وببيان أن العقيدة تنطوى على
المصلحة الكبرى للإنسان لراحته نفسيا وفرديا
(١)
واجتماعيا قال تعالى :

{رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور} .
(٢)
وقوله :

{ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد
قلبه والله بكل شيء عليم} .
(٣)
وقوله :

{فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا} .

فهذه مبررات ومفريات ليرغب الإنسان في العقيدة ، ويوم
تستطيع التربية عرضها سوف ترى نجاحا باهرا ، واستعدادا من
النفوس لقبول الاعتقاد ، من هنا يلزم إزالة العقبات التي
تحول بين الناس ، وبين الرغبة في الاعتقاد ، وهذا مجال
أيضا لعرض التربية الفنى الثابت الواثق بالله .

(٢) الحرص والحكمة على تقديم الأدلة العقلية والعقلية في
سبيل التربية على العقيدة وثنمية الايمان وكلها تدور
حول قوة الله المطلقة ثم تقديم الأدلة من ذات الإنسان
ومن الكون والقرآن والسنة مملوءة ان بهذه الأدلة قال
(٤)
تعالى :

{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم
أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد} .

(١) الآية من سورة الطلاق : ١١ .
(٢) الآية من سورة التغابن : ١١ .
(٣) الآية من سورة الجن : ١٣ .
(٤) الآية من سورة فصلت : ٥٣ .

(٣) التطبيق الذى يتكون منه الاتجاه العملى للعقيدة
فالانسان اذا شعر فى أن الكون مسخر له وجعل لخدمته
فهذا يتولد منه الحب المسخر من هذا الكون للانسان ،
وهى فرصة للتربية أن توجه الانسان عبدا طائعا مخلصا
لمن سخر له الكون وهو الله جل جلاله ويكون هواه اتباع
(١)
شرعه قال تعالى :

{قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله وأطيعوا
رسول الله فإن الله لا يحب الكافرين} .

فالتربية تستثمر الاخلاص لله والعمل الطيب الصالح
للاتجاه السليم واذا أعاقه شئ من الممائب والكوارث فان ذلك
يعطيه عبدا جديدا يحس برضى الله الذى يتولاه ويرعاه قال
(٢)
تعالى :

{كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم
وأنتم لاتعلمون} .

العبادة فى المفهوم الاسلامى هى فى حد ذاتها التربية
الاسلامية ولايمكن أن يتوجه الانسان المسلم بالاخلاص والصدق نحو
العبادة الا بالتربية الواعية واذا فهم التفابير بين
العبادة والتربية فانما ذلك يعود الى العبادة التى لا أثر

(١) الآية من سورة آل عمران : ٣١-٣٢ .
(٢) الآية من سورة البقرة : ٢١٦ .

لها ولا اخلاص فيها فهي العبادة الصورية والا فالعبادة المحققة بالمنهج السليم والاتباع البعيد عن الابتداع فهي تنطوى على التربية العملية والسلوكية والقدوة الحسنة .
والعبادة فى المنهج الاسلامى ليست قاصرة على الشعائر التعبدية فحسب بل هى أعمق وأشمل لحياة المسلم كاملة لأنها لاتمثل الصلة الحقيقية الدائمة بين العبد وربّه سواء كان فى صلاة أو صيام أو حج أو جهاد أو بيع وشراء أو فى العلاقة مع الآخرين أو فى أسرة ونحو ذلك مما تشمله العبادة التى هى منهج الحياة هو ماتشير اليه الآية الكريمة :
(١)
{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} .

فالعبادة اذن فى المفهوم الاسلامى هى مرتع خصب للتربية الاسلامية ووسيلة لاتنفذ مضامنها ولا تكل أساليبها .
بينما نجد بعض المناهج للتربية التى لاترتبط بالاسلام تربط القلب البشرى وسلوك الانسان ببقعة من الارض أو اسطورة من الاساطير أو نظرية من النظريات .
(٢)

ومهما كانت فضائل هذه التربية السلبية والايجابية فهى لاتعدو أن تكون محلية أو اقليمية أو طائفية أو عنصرية .
بعيدة عن الانسانية العالمية كما هو الحال فى مناهج التربية الغربية برمتها التى ليس أمامها الا تقديس الانسان الاوروبى وسلب من سواه الانسانية ، على ماتتم به هذه المناهج الغربية من التناقض والسلبية حتى نحو الانسان الاوروبى الذى يحاول أن يتظاهر بالانسانية وهو بين عنصره

(١) الآية من سورة الذاريات : ٥٦ .
(٢) انظر : الدين والحفارة الانسانية للدكتور محمد البهى ص ٩١-٩٣ .

الدموى وعلى ظهر وثنه الترابى وماعدا ذلك فلا معنى
للانسانية فى مفهومه وانما معاكسة الانسانية كانه هو شرط
الانسانية فى مفهومه ، ومن ثم تبين الفارق الكبير بين
التربية التى تتخذ من العبادة للواحد القهار منهجا
والتربية التى تنطلق حسب الاهواء والنظريات الفردية
(١)
المحددة .

فالمدلول التربوى للعبادة فى القرآن والسنة يتناول
الحياة كلها الفرائض والمعاملات والسلوك ويكون من ذلك وحدة
تتجه نحو الله بطاقة العبادة وهو امر يوافق الغطرة وما
(٢)
تخطوى عليه قال تعالى :

{قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين} .

فالعبرة اذن تربي على ايجاد الطاقات التالية :

(١) اثر التربية على القوة :

والقوة هذه لها جانبان بهما يكون المؤمن قويا : جانب
ذاتى وهو المقصود فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم
"المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف" وجانب اجتماعى فيه
(٣)
مساعدة بين المؤمنين كقول الرسول صلى الله عليه وسلم
"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" .
(٤)

فالإنسان ضعيف وخلق من الضعف فهو فى حاجة الى تربية
(٥)
ترفع مستواه الى القوة قال تعالى :

{يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا} .

-
- (١) انظر : منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب ص ٣٤-٣٧ .
(٢) الآية من سورة الانعام : ١٦٢ .
(٣) رواه مسلم فى كتاب القدر حديث رقم ٣٤ .
(٤) رواه البخارى فى كتاب الصلاة باب ٨٨ ، ومسلم فى كتاب
البر والملة حديث رقم ٦٥ .
(٥) الآية من سورة النساء : ٢٨ .

(١)

ومن ناحية ضعف عقله قوله تعالى :

{ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما} .
والتربية بالعبادة تقاوم هذا الضعف الى قوة ليست
بطشا ولا طغيانا وانما هي لضبط النفس والاعتدال السلوكي
والشعور بالوحدة مع المؤمنين والترابط بهم قال تعالى :
(٢)
{ولاتصغر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا يحب
كل مختال فخور} . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر
الاصوات لموت الحمير} .

ان هذه الايات لتفجع منهاجا تربويا كاملا متكاملًا ذكره
في القرآن الكريم عن لقمان الحكيم وهو يربي ابنه ويزكيه ولعل
اختيار القرآن الكريم لهذا النموذج التربوي وهو ماكان بين
الابوة والبنوة لفئة نظر في التربية الاسلامية الى المربي
الاول بالنسبة للناشئة وهو الوالد ، ومما يعد من القوة كظم
الغيظ وضبط النفس لقوله تعالى :
(٣)

{الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ
والعاقين عن الناس والله يحب المحسنين} .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديد
(٤)
بالمرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" .

-
- (١) الآية من سورة طه : ١١٥ .
(٢) الايات من سورة لقمان : ١٨-١٩ .
(٣) الآية من سورة آل عمران : ١٣٤ .
(٤) رواه البخاري في كتاب الادب رقم ١٠٢ ، ومسلم في كتاب
البر حديث رقم ١٠٦ .

ومن القوة التي تنشئها التربية بالعبادة الدعاء وهو
(١)
مع العبادة قال تعالى :

{ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين} .
(٢)
وقال :

{وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} .
(٣)
وقوله :

{وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا
دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون} .

والفرائض فى جملتها تعالج هذا الضعف فى الإنسان
وتتسامى بالمسلم الى القوة والتحرر من الشهوات والضعف
امام المغريات وتسد عن الشيطان مداخله فالصلاة الملة بين
العبد وربّه فى طهارة وصفاء وتدبر للقرآن الكريم قال
(٤)
تعالى :

{اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم
ما تمنعون} .

وهذه الملة يعبر عنها الحديث القدسى أحسن تعبير فهو

(١) الآية من سورة الأعراف : ٥٥ .
(٢) الآية من سورة غافر : ٦٠ .
(٣) الآية من سورة البقرة : ١٨٦ .
(٤) الآية من سورة العنكبوت : ٤٥ .

تربية ناحية من مستوى الى مستوى أعلى كل ماتعمق المصلى فى الصلاة وترقى فى تدبر الفاتحة أم الكتاب كما يروى الرسول عن ربه "قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فاذا قال : الحمد لله رب العالمين . قال الله حمدنى عبدى ، واذا قال الرحمن الرحيم . قال الله : اثنى على عبدى ، واذا قال العبد مالك يوم الدين . قال مجدنى عبدى ، واذا قال : اياك نعبد واياك نستعين . قال : هذا بينى وبين عبدى ، فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال : هذا لعبدى ولعبدى (١) ماسأل " .

والزكاة تظهر للنفس وتحرير لها من هذا السلطان الغلاب وهو حب المال والشح به وتلا فى حاقه يورثه الفقر من الشحفاء والبغضاء لاهل المال من الفقراء أو يورثه الغنى من الاحتقار والتكبر والتعالى من الاغنياء بالنسبة للفقراء والتربية الاسلامية انما تتجه فى العقيدة والعبادة الى أن الجماعة الاسلامية جسد واحد تربطه الاخوة الاسلامية .

(١) رواه مسلم فى كتاب الصلاة حديث رقم ٣٨ .

الفصل الثانىالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

تمهيد :

هذه الوسيلة يجب أن تكون على رأس الوسائل فى تكوين الوحدة الاسلامية والاخوة المترابطة ، لأن باستعمالها يتبين جليا أن منهج التكوين هذا منهج مخلص ، والمحبة الصادقة روحه .

ذلك لأن اهتمام المسلم بإزالة الشر والمنكر فى غيره سواء كان مسلما أو غيره ، وبغرس الفضيلة والمعروف - دلالة واضحة فى اخلاصه ومحبته وتآلفه مع أخيه الانسان الذى يزيل منه مايفر ويرشد الى ماينفع والاخلاص هذا لايتطرق اليه الشك لأنه منهج تطبيقى فى القول والعمل ، واذا أدت مسؤوليته بوسائلها وأساليبها مع مضمونها ومراعاة لمقام آدائها لكل مستوى - لاشك أن هذا المنهج مفيد فى كل الاطراف ونافع للبيئة ، سواء اعترف الناس بذلك أو لم يعترفوا . ومن ثم كانت هذه الوسيلة "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" هى أصل الوسائل فى كل اصلاح وتربية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وأخلاقيا وعقائديا بل هذه الوسيلة وحدها تشمل كل مطالب الحياة الدنيوية والاخروية ، وأى حركة أو نهضة أو اتجاه الى أهداف نبيلة ومثل عليا فى الأمة لاتبدأ بهذه الوسيلة ولاتستمد من منهجها القوة وحسن القصد فهى حركة فاشلة غير نافعة .

(١)
 قال الشيخ أبو حامد الغزالي في أهمية هذه الوسيلة :
 "فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين . ولو طوى بساطة وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون فأننا لله وأنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة أما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرأ في أحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بأحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبداً بقرية تتفاهل درجات القرب دون ذروتها" (٢) ومن هنا كانت الوسيلة من أبرز معالم الكتاب والسنة بعد العقيدة ويتبين ذلك كله في مباحث الفصل التالية :

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي وكان والده يغل الصوف ويبيعه وهذا سبب النسبة ، وهو إمام مناظر جدلي أحسن الرد على الفلاسفة ولكنه تأثر بالفلسفة ولم يستطيع التخلص منها كما تأثر بالتصوف ، وهو أصولي وفقهه متكلم ، ولد سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ ،
 انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٧٧/٤ ، ط ١/ سنة ١٣٨٥ هـ .

(٢) أحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٣٠٢/٢ .

المبحث الأول : التعريف بالأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر .

المبحث الثاني : أساليب القرآن والسنة في عرّفهما
والتكليف بهما وبيان ما فيهما من تأثير واقناع .
وفيه مطالب :

(أ) الخطاب الالهي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(ب) وصف الأنبياء بالقيام بهما .

(ج) وصف القائمين بهما .

(د) لعن من تركهما من الأمم السابقة ومصيره .

المبحث الثالث : مسئولية الدولة المسلمة عنهما .

المبحث الرابع : شمول المسئولية على الأمة المسلمة في

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث الخامس : أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في تحقيق الوحدة .

المبحث الأول : التعريف بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر

المعروف لغة : اسم لكل فعل يعرف حسنه بالشرع وبالعقل
والمنكر : كل فعل جاء استقباحه فى الشريعة وحكمت
العقول الصحيحة بقبحه . او توقفت فى ذلك وحكمت الشريعة
(١)
بقبحه .

وهما فى الاصطلاح الشرعى :

"الأمر بالمعروف : هو الارشاد الى المرائد المنجية .
والنهي عن المنكر : الزجر عما لا يلائم الشريعة .
وقيل : الأمر بالمعروف : الدلالة على الخير ، والنهي
عن المنكر المنع عن الشر .
وقيل : الأمر بالمعروف أمر بما يوافق الكتاب والسنة ،
والنهي عن المنكر نهى عما تميل اليه النفس والشهوة ويخالف
الكتاب والسنة .

وقيل : الأمر بالمعروف اشارة الى ما يرضى الله تعالى
من أفعال العبد وأقواله والنهي عن المنكر تقبيح ما تنفر
عنه الشريعة والعفة وهو ما لا يجوز فى دين الله تعالى .
(٢)

ويقول الشيخ عبد القادر عودة : "فالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر ، يدخل فيه الأمر بكل ما أوجبت الشريعة عمله أو حبت

(١) انظر : المفردات للراغب تحت مادة (أمر ونهى) .

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٣٦-٣٧ .

(٣) عبد القادر عودة من علماء الشريعة والقانون بمصر ،
وهو من زعماء جماعة الإخوان وله تصانيف كثيرة كالاسلام
وأوضاعنا القانونية ، والاسلام بين جهل أبنائه وعجز
علمائه والتشريع الجنائى ، قتل سنة ١٣٧٤هـ ، الاعلام
للزركلى ٤٢/٤ .

للناس فعله من صلاة وصيام وحج وتوحيد وغير ذلك ، والنهى عن المنكر يدخل فيه النهى عن التثليث وعن القول بصلب المسيح وقتله ، ويدخل فيه النهى عن القترهه وعن شرب الخمر وعن أكل لحم الخنزير وغير ذلك مما تخالف فيه الشريعة الإسلامية الأديان الأخرى فلو ألزم غير المسلم بواجب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر لآلزم بأن يقول بما يقول به المسلم بأن يعتقد ما يعتقده المسلم ، ولآلزم بأن يبطل عقيدته الدينية ويظهر عقيدة الإسلام وهذا هو الإكراه فى الدين الذى تحرمه الشريعة الإسلامية فى قوله تعالى :
(١)

{ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى } .

فمن أجل حماية حرية العقيدة جعل هذا الواجب على المسلم دون غيره .
(٢)

والشيخ عبد القادر عودة رحمه الله يشير الى أمر هام فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو شمول هذا الأسلوب لتكوين مجتمع فاضل حماية للعقيدة والشريعة ، لئلا تمتد إليها يد التحريف والتبديل بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والواقع أن الفقهاء فى مناقشتهم توجيه العاصى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد قربوا الى هذا الذى ذكره الشيخ عبد القادر عودة رحمه الله ، واستظهرنا من مناقشتهم أن مرتكب الذنب لا يعفى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
(٣)

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢) التشريع الجنائى : ٤٩٧/١ .

(٣) انظر : أحياء علوم الدين للغزالي ٣٠٨/٢ - ٣٢٠ ، المصرية الحلبية سنة ١٣٥٨ هـ .

والاهتمام بالموضوع من هاتين الناحيتين :

اعفاء الكافر لثلا يكره على غير دينه ، وتكليف العاصي من المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ينشئ لدينا تصورا مفيدا وأفعالنا لأن نضرب الصفح عن ذلك الاختلاف الذى يحد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحدد الأمرين والناهين دون الآخرين من المسلمين ، وهو خلاف يفرق ولا يجمع ، فإذا كان المذنب نفسه عليه أن ينضم الى غير المذنب فى محاربة الشر وغرس الفضيلة فهذه هى الوحدة بعينها التى يرمى اليها منهج الكتاب والسنة فى هذا الأسلوب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومع هذا فان اعفاء الكافر ليس على الإطلاق لأنه لو حصل منه تغيير المنكر وتثبيت المعروف لاعتمد ذلك فى الشريعة ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول وخاصة أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كالأصول على القول الصحيح .^(١) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" .^(٢)

ومن أهم الطرق التى تحافظ على قواعد الاسلام وتربط بين المؤمنين أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهى السياسة الشرعية المتكاملة ، التى لا يستقيم أمر الاسلام بدونها ولا تكون العزة للمؤمنين الا بها وإذا خلا قلب المؤمن وعمله من هذه الوسيلة فهو خواء وفراغ من الايمان والعمل الصالح .

(١) انظر : الكشف ٢٨٥/١-٢٨٦ .
(٢) رواه البخارى فى كتاب الجهاد باب ١٨٢ ، ومسلم فى كتاب الايمان رقم ١٧٨ .

وذلك لأمر :

الأول : أشار القرآن الكريم الى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة الأنبياء ، ومهمة الأنبياء تتناول كل ما يصلح البشر في حياتهم العقائدية والعملية والأخلاقية ، فالأنبياء لم يقصدوا جانباً من حياة الإنسان دون جانب آخر . لأن الإنسان لا يصلح إلا بإصلاح جوانبه ومطالبه جميعاً .

الثاني : أن الغاية لوجود الأمة المسلمة ووصفها بالخيرية جاء تعليقه في النصوص بأنها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر لتكون بمجموعها في صف الأنبياء . وذلك يتناول الحياة كلها ، ولو أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاصر على جانب من التهذيب فقط دون الجوانب الأخرى ، لما كان لهذه الأمة فضل على بعض الأمم أو الطوائف الذين اهتموا بجانب من التهذيب وفهموا أن الإصلاح شأكل فردية فقط . ولا شأن له في التكوين الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي الثقافي ، وغير ذلك من الأمور التي تعد في الحقيقة من عناصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثالث : أن الله سبحانه وتعالى وجه الأمة الى الدعوة بالخير واليه ، وفصل ذلك بأنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى :^(١)

{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} .

(١) الآية من سورة آل عمران : ١٠٤ ، وانظر : كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لجلال الدين العمري ص ٥١-٥٣ ، ط الكويت .

والدعوة الى الخير فى هذه الآية أمرت بها الأمة وفصلت
لها بأمرين فى الآية نفسها :

الاول : الترغيب فى فعل الخير وكل مايرشد اليه الحق
وينبغى فعله أو قوله وهو المعروف .

الثانى : الترغيب فى ترك الشر وكل مانهى عنه الحق
وزجر قولاً وفعلًا وسلوكًا وهو النهى عن المنكر .

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الآية بيان
وتفصيل للدعوة الى الخير ، وعطفهما على الخير من باب عطف
الخاص على العام باعتبار ، ولايمنع ذلك أن الخير من
مرادفات المعروف ، وكل واحد منهما يدل على مايدل عليه
الأخر معنى وشمولا ، وهكذا يقال فى المنكر والشر ، وبالتفصيل
آخر يبدو لى والله أعلم أن الدعوة الى الخير أسلوب يوجه
الى الناس كافة مؤمنين وغير مؤمنين ، واذا تبين للناس
الحق بالدعوة وآمنوا اصطلحت لهم الشريعة على الخير الذى
عرفوه وميزوه بالمعروف وعلى الشر الذى وصف لهم ونفرت منه
الفطرة السليمة بالمنكر ، فالمعروف كلمة بينها وبين روح
المؤمن جاذبية لأنها من المعرفة ، والمنكر كلمة تنفر منها
نفسية المؤمن لأنها من النكران ^(١) .

هذا وقد صرح الفقهاء بأن المعروف لايقصد به التهذيب
الخلقى فقط بل انه يطلق على كل ما جاء فى الاسلام من الفروض
والواجبات والمسئونات والمندوبات : اعتقادا وقولا
وسيرة ، وأن المنكر يطلق على كل ما جاء فى الاسلام ووصفه

(١) انظر : التفسير الكبير للرازى ١/١٦٧ ، فتح القدير
للشوكانى ٣٦٩/١ ، الكشاف للزمخشري ٤٥٢/١ .

بأنه الحرام أو المحظور أو المكروه تركا فى الاعتقاد
(١)
والعمل والقول .

ولأبين لاعتبار الفقهاء شمول الأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر من موقفهم فى تقسيم الحقوق الى ثلاثة أصناف وكلها
يتناولها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتتدخلها الحسبة
بالدرجات - وهى كما يلى :

(أ) حقوق الله ، وهى ما يختص بالمصالح العامة دون الاختصاص
بأحد من العباد وتتدخل فيه العبادات وحقوق الجماعة ،
وذلك ما يعبر عنه اليوم بحق المجتمع .

(ب) حقوق العباد وهى ما يخص فردا معينا من الناس أو طائفة
معينة من الجماعة .

(ج) الحقوق المشتركة وهى ما كان الجانب منه لحق الناس
والجانب الآخر لحق الله تعالى فيراعى فيها الأمر
(٢)
الغالب .

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٨-٦٢/٢٨ ، والاحكام
السلطانية للماوردى ص ٢٤٩ ، ط الاولى ، سنة ١٣٢٧ ،
وفى هذا الموضوع كتب ككتاب : الاداب الشرعية لابن مفلح
الحنبللى .

(٢) انظر : الاحكام السلطانية للماوردى ص ٢٤٣ وما بعدها ،
وانظر : الفقه الاسلامى وادلته للدكتور وهبة الزحيللى
فى بيان مقصد الماوردى ٧٦٦-٧٦٩/٦ ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٥هـ
دمشق .

المبحث الثانى : أساليب القرآن والسنة فى عرضهما وبيان مافيهما من تأثير واقناع وتوجيه

وأسلوب القرآن الكريم تميز عن كل كلام رغم أنه بالتركيب اللفظية المشتملة على المعانى ولم يخرج عما ألفته العرب فى أساليبها وعرفت به اللغة العربية فى دلالاتها اللغوية والمعنوية . فمع هذا الاتفاق فقد فاق كل الأساليب العربية فصاحة وبلاغة ، وتأثرت به النفوس تأثرا بالغابحيث أن بعضا ممن أسلم حمله هذا وانفعل وجدانه واهتزت عواطفه فاذا الدموع تترقرق والنفوس تكاد أن تزهر من الوجد ذلك لما لامس أسلوب القرآن الكريم الفطرة ، سواء كانت هذه الفطرة داعية الى الايمان أو مايتعلق بالفطرة اللغوية عند العربى خاصة ، وهذه القوة فى الأسلوب والتأثير انما هى لدقة ابراز المعنى المقصود فى الكلمات المختارة والترتيب بينها فى اسناد بعضها مع بعض ترتيبا بديعا فريدا وينتهى الأسلوب فى كل ذلك الى تصوير فنى لايدع مجالا لصاحب الذوق الادبى فى أن كل حرف فى القرآن فى موضعه المناسب وكل المعانى أدبت بالالفاظ المناسبة .

وعلى ذلك جرت السنة النبوية وهى من كلام أعذب العرب بيانا وأفصحهم لسانا وأبلغهم قولا ، وقد أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا ونشرت له المعانى دررا لايكاد من تذوق أسلوبه صلى الله عليه وسلم وعلق قلبه بمعانيه يسمع حديثا صحيحا الا ويدرك من ذوقه أنه من كلامه ومن مشكاة معانيه عليه الصلاة والسلام ، ولا يسمع

حديثا مكذوبا عليه الا وادرك أنه سماجة لاتتأتى فى أسلوبه ولا ترتوى من منهله العذب .

وبتدبر أسلوب النصوص فى عرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نجد التوجيه الدقيق والبيان المقنع فى ذكر صفات الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وما أعد الله لهم من الانتصار والثناء والاعتزاز فى الحياة الدنيا والشواب والقربى عند الله يوم القيامة اذا امتثلوا ما كلفوا به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فعلا وتركوا .

وفى المطالب التالية سأورد بعون الله تعالى أهم أساليب القرآن فى توجيه الأمة الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

المطلب الأول

الخطاب الالهي في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر

الوحي الالهي كله دعوة الى المعروف ، ونهي عن المنكر
وكما تقدم من شمول لهذين الوصفين :
المعروف والمنكر ، واستيفاء الاول لكل فضيلة وخير ،
والثاني لكل رذيلة وشر ، فان الله سبحانه وتعالى لم يكتف
في أن وجه عباده وكلفهم بالدعوة الى المعروف وفعله وقوله
والى مجانبة المنكر وما والاها قولاً وفعلًا ، وانما هو نفسه جلت
قدرته وتقدسست أسماؤه يدعو الى المعروف ويصفه ، وينكر
المنكر ويصفه ، بالاضافة الى تكليف عباده بالقيام بهذه
الدعوة ، وبيان هذه الفضيلة ، وفي هذا كفاية في أن يترسم
العبيد المربوبون المنهاج الذي وصف به سيدهم نفسه وخالقهم
سبحاته وتعالى ، حتى ولولم يوجه اليهم الخطاب مباشرة ،
بفعله وقوله .

لأن المحبة التي هي شاهد الايمان من شواهدا الدعوة
الى ما يدعو اليه المحبوب وحب ما يحبه وكره ما يكرهه ، كما
في قول الرسول عليه الصلاة والسلام : "من أحب لله ، وأبغض
لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان" ^(١) وقوله
"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله
ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا

(١) رواه الامام أحمد في المسند ٣/٤٣٨-٤٤٠ ، وأبو داود في
كتاب السنة رقم ٤٦٨١ ، واسناده حسن كما يقول الترمذي
في كتاب صفة القيامة رقم ٢٥٢١ .

الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" ^(١) .

يقول ابن القيم في المحبة : "ومن علاماتها الانقياد لأمر المحبوب وإيثاره على مراد المحب ، بل يتحد مراد المحب والمحبوب . وهذا هو الاتحاد الصحيح فلا اتحاد إلا في المراد وهذا الاتحاد علامة المحبة الصادقة بحيث يكون مراد الحبيب والمحب واحد فليس بمحب صادق من له إرادة تخالف مراد محبوبه منه ، بل هذا مرید من محبوبه لا مرید له ، وأن كان مریدا له فليس مرید لمراده " ^(٢) .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى وصف بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهل هذا أبلغ في أهميتها من أن يكلف عباده بالقيام بها دون أن يصف نفسه بهما ؟

لا شك أن الله سبحانه وتعالى موصوف بكل كمال ، وأن صفاته هي المصدر لكل خير وبركة ينشدها العباد منها يستمدون السمو والكمال فقد تبين من هذا أن فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمال بالإنسان وسمو بالحياة الإنسانية ورقى بها حيث تجتمع الإنسانية على هذا المنهاج وتسمو به وتتحد عليه نحو ما يتمصف به ويحبه ربها جلت قدرته . فكيف وقد أمر عباده بهذه الفضيلة بالإضافة إلى اتصافه بها ، ومن الأمرين : تبدو أهمية هذه الوسيلة في المحافظة على الوحدة الإسلامية وعلى عواملها ، ونسج خلائها ، ودفع المؤمنين للانطلاق من مفهومها .

(١) متفق عليه كلا الشيوخين رواه كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ، ج ١ .
(٢) روضة المحبين لابن القيم ٢٦٥ ، بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ .

وهذا قوله تعالى وتقدسست أسماؤه آمرا بكل معروف
(١)
وناهيا عن كل منكر فيقول :

{إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون} .

وللآية سبب نزول وهو : بينما رسول الله صلى الله عليه
(٢)
وسلم بفناء بيته جالس اذ مر به عثمان بن مظعون رضى الله
(٣)
عنه فكشرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجلس ؟ فقال : بلى ،
فجلس فكلمه الرسول عليه الصلاة والسلام ثم شغل عنه الرسول
عليه الصلاة والسلام بالوحي وراقبه عثمان ولما انتهى قال له
عثمان : يا محمد فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك
الغداة فقال : وما رأيته فعلت ؟ قال : رأيته شخص بمرك الى
السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت اليه وتركته

-
- (١) الآية من سورة النحل : ٩٠
(٢) عثمان بن مظعون بالظاء المعجمة بن حبيب الجمحي أسلم
بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الى الحبشة الاولى هو وابنه
السائب ، وهو الذى كذب الشاعر لبيد فى قوله : "وكل
نعيم لامحالة زائل" فقال كذبت نعيم الجنة لا يزول فلطمه
بعض المشركين حتى اخضرت عينه ، توفى بعد بدر فى
السنة الثانية من الهجرة وهو أول من مات بالمدينة من
المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم ، وروى الترمذى
أنه قبله النبى عليه الصلاة والسلام لما مات وهو يبكى
وعيناه تذرفان ، ولما مات ابراهيم بن النبى عليه
الصلاة والسلام قال : الحق بسلطنا الصالح عثمان بن
مظعون ، وقالت امرأته ترثيه : "يا عين جودى بدمع غير
ممنون - على رزية عثمان بن مظعون" ، انظر : الاصابة
٥٤٤٥/٦ .
(٣) كشر : كشر فلان لفلان اذا تنمر له وأوعده كأنه سبع
"السان العرب" مادة (كشر) .

فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك قال : وفطنت لذلك ؟ فقال عثمان : نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى رسول الله آنفا وأنت جالس قال : رسول الله قال : نعم فما قال لك ؟ قال : ان الله يأمر بالعدل والاحسان" الآية قال عثمان : فذلك حين استقر الايمان فى قلبى

(١)
وأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم" .

(٢)
وفى رواية عن عمرو بن العاص قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزق بالأرض قال وشخص ببصره قال : أتانى جبريل فأمرنى : أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون" .

(٣)
(٤)
ولما بلغ أكثم بن صيفي الحكيم خبر رسول الله أرسل رجلين يستوثقان له الخبر اليه فلما أتياه قرا عليهما هذه الآية مع ما ذكره لهما ورددها حتى حفظاها "فأتيا أكثم فقالا له : أبى أن يرفع نسبه فسالنا عن نسبه فوجدناه زاكى النسب وسطا فى مفر - أى شريفا - وقد رمى الينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعنا أكثم قال : انى أراه يأمر بمكارم

-
- (١) رواه الامام أحمد فى المسند وقال ابن كثير : وورد فى نزولها حديث حسن ثم سرد الحديث بطولته ، ثم قال : اسناد جيد متصل قد بين فيه السماع المتمثل ٥٨٣/٢ عند تفسير الآية .
- (٢) عمرو بن العاص بن وائل السهمي أمير ممر وفاتها من الدواهي والعقلاء توفى سنة ٤٣ هـ ، انظر الاصابة ٣-٢/٣ والاستيعاب هامش ٥٠٨ .
- (٣) رواه الامام أحمد وفى مجمع الزوائد يقول : اسناده حسن ٥٢/٧ .
- (٤) أكثم بن صيفي الحكيم الجاهلى من بنى تميم .

الأخلاق وينهى عن ملائمتها فكونوا فى هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا
(١)
فيه أذنباً" .

ولما عرض الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه على القبائل
لقى مجلساً عليه وقار وسكينة وفيه مشائخ لهم أقدار وهيئات
فاذا هم من بنى شيبان ومن بينهم مفروق بن عمرو وكان ذا
بيان فجرى حوار بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم حيث
يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء الى ربه فطلب منه
مفروق بيان مايدعو اليه وفى نهاية الاجابة يكرر مفروق
سؤاله قائلاً : والى ماتدعو أيضاً ياأخا قريش ؟ فوالله
ماهذا من كلام اهل الأرض ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ان الله يأمر بالعدل
والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعلكم تذكرون" .

فقال له مفروق : دعوت والله ياأخا قريش الى مكارم
(٢)
الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك" .
ولقد رأى العلماء من لدن الصحابة : أن هذه الآية
شاملة لهذه الغضيلة ، وأن أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر تكمن فى الخطاب الالهى هذا .

(٣)
يقول ابن مسعود رضى الله عنه : "ان أجمع آية فى

(١) القصة ذكرها ابن كثير فى تفسير الآية عن أبى يعلى فى
كتابه معرفة الصحابة .

(٢) ذكر ابن كثير القصة كلها ثم قال : هذا حديث غريب جداً
كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم
القيم وفماحة العرب ، انظر : البداية والنهاية ١٥٩/٣
ط الفجالة بمصر .

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلى توفى سنة ٣٢ هـ ،
انظر : الاصابة ٤٩٤٥/٦ .

القرآن حلال وحرام وأمر ونهى أن الله يأمر بالعدل والإحسان
(١) وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر" .

(٢) وعن قتادة فى الآية : "ليس من خلق حسن كان أهل
الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من
خلق سيئ كانوا يتفامرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه
(٣)
وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها" .

والآية فى أسلوبها شاملة لفضيلة "الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر" وهما شاملان لكل ما جاء به الإسلام ويدعو
إليه أو يرفضه ، ومما يدعو إلى تأمل فى دقة إعجاز الآية
وحسن الصرف فى أسلوبها : هذا التقابل الذى يرمز إلى
المفاصلة التامة بين الخير والشر والمباينة المتدبرة فى
سحيق الحقيقة وفى غور النفوس الزكية .

فالعناصر الثلاثة الأولى فى الآية هى معالم المعروف
"العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى" ومسارب الخير والفضيلة
والله وصف نفسه بأنه يأمر بها ويحبها ، وتقابلها عناصر
أخرى ثلاثة فى نهاية الآية هى عنوان المنكر ورمز الشر ،
والله يبغضها ولا يريد لها لعباده وهى "الفحشاء والمنكر
والبغى" .

ولبيان هذه المعالم بإيجاز نتناولها حسب ترتيبها فى

الآية فيما يلى :

الفئة الأولى : المعروف ويشمل فى الآية :

-
- (١) رواه ابن جرير عند تفسير الآية .
(٢) قتادة بن دعامة بن عزيـز المدوسى البصرى الأكمة تابعى
جليل ، توفى سنة ١١٧ ، انظر الطبقات لابن سعد ٢٢٩/٧ ،
طبقات المفسرين ٤٧/٢-٤٨ .
(٣) رواه ابن جرير الطبرى عند تفسير الآية .

(١) العدل هو : القسط والانصاف وضده الجور ، والاصل فيه التوسط بين طرفى النقيض ، وهما الافراط والتفريط ، والله سبحانه وتعالى خلق العالم فى تضاد وازدواج فجعل العدل هو العامل المنظم للمعائى المتضادة وبين كل المتقابلين لتسلم الحياة . ولأجل أن يلتحم الانسان مع اخيه فى رضا الله وحيه لابد له من موقف بالعدل مع خالقه ونفسه والخلق وانتظام الحياة فى المواقف الثلاثة بالعدل هو أسلوب تحقيق الوحدة :

(١) العدل بين الخالق والمخلوق هو : أن يختار العبد حق ربه ورضاه على نفسه وهواه ممثلاً أوامره ، ومجتنباً نواهيه ، وعلى هذا يكون اللقاء بين الناس وتبنى الوحدة .

(ب) العدل بين نزعات الانسان وغرائزه هو منع النفس عما يضر بها كقوله تعالى :^(١)

{وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى} .

مع لزوم الطاعة والمداومة على الاتباع والقناعة بما كتب الله .

(ج) وأما العدل بين الانسان وغيره من المخلوقين ، فهو يتجلى فى بذل النصيحة ومجانبة الخيانة والاساءة للغير بالقول والفعل سرا وجهرا مع الانصاف من النفس والالتزام للمبرر مهما كانت البلوى من الغير .

(٢) الاحسان : مصدر أحسن ويستعمل متعديا بالحرف .

(١) الآية من سورة النازعات : ٤٠ .

(١)
كقوله تعالى :

{وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن} .

ويتعدى بنفسه ، والمعنيان داخلان في الآية .

والاحسان يكون في العلم والعمل :

(١) فأما العلم فهو باب الاحسان الذي يفيد إذا ولج منه ،

فإذا أدرك الناس أنهم عبيد ناقصون مربوبون سعو الى

العلم بالله واعتقدوا الأولوية له ، ويلتقون على هذا

الهدف واجتهد كل واحد على ألا يترك حقا لغيره على

نفسه ، ويتجاوز على استفاء حقه ان لم يجده ميسورا

احسانا منه وتفضلا على أخيه ، بل ويتجاوز الاحسان على

الناس الى الحيوان لئلا يؤاخذ الانسان على عدم الاحسان

"كالمرأة التي دخلت النار في هرة حبستها لاهى أطعمتها

(٢)

ولاهى أرسلتها لتأكل من خشاش الأرض"

(ب) أما العمل ، فانه يجعل الانسان يشاهد الاحسان بمرآة

العمل الذي يكون اتباعا لاستحسانا عقليا ولاغيبوبة

بدعية ، وذلك كما جاء في حديث جبريل لما سأل الرسول

عليه الصلاة والسلام عن الاحسان فقال له : "أن تعبد

(٣)

الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك" .

(٣) صلة الرحم "وايتاء ذى القربى"

الرحم مشتق من اسم الله الرحمن فصلة الرحم صلة لله

تعالى والمعنى هذا يربطها ويدخلها في الاحسان ولاشك

أنه لا عدل ولا احسان اذا منع الانسان قرابته من حقوقهم

(١) الآية من سورة يوسف : ١٠٠ .

(٢) رواه مسلم من كتاب التوبة رقم ٢٧٥٦ .

(٣) سبق تخريجه ص ١٥ .

ولم يحسن اليهم ، فالعدل مع القرابة منه يتفرع العدل مع بقية الناس ، والاحسان اليهم منه تبرق الآمال من الآخرين للاحسان اليهم .

ولكن ايتاء ذوى القربى ، لا يخص شيئا من المعروف دون شئ فالإيتاء يشمل اسداء كل خير ومعروف قولا وفعلًا وهداية وتربية وانفاقا سواء كان ذلك واجبا أو تطوعا .

"الفئة الثانية : المنكر ويشمل فى الآية " :

(١) الفحشاء : وهو : ما ينفر عنه الطبع السليم وتمجه الفطرة المستقيمة ويستنقمه العقل الراشد ويشمل الفحشاء كل قبيح من قول وفعل ، ومن غاياته الزنا وساء سبيلا كقوله تعالى :
(١)

{ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا} .
(٢)
وقوله :

{واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكن فاستشهدوا عليهن

أربعة منكم} .
(٣)
وقوله :

{إلا أن يأتين بفاحشة مبينة} .

وغير ذلك من الآيات التى تطلق الفاحشة على الزنا ولهذا فسر كثير من أهل العلم الفحشاء فى الآية التى نحن فى مددها بالزنا ، وان كان هناك آيات تشمل فيها كلمة الفاحشة كل المنكرات . كقوله تعالى :
(٤)

{والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش} .

-
- (١) الآية من سورة الاسراء : ٣٢ .
(٢) الآية من سورة النساء : ١٥ .
(٣) الآية من سورة النساء : ١٩ .
(٤) الآية من سورة الشورى : ٣٧ .

(١)
وقوله :

{ولاتقربوا الفواحش مظهر منها وما بطن} .

(٢)
وقوله :

{قل انما حرم ربى الفواحش مظهر منها وما بطن والاشم
والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون} .

(٣)
وقوله :

{ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم
عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون} .

وقد أطلقت الفاحشة على اللواط ، كقوله تعالى على
(٤)
لسان لوط عليه السلام :

{ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون} .
(٥)
وقوله :

{ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من
أحد من العالمين} .
(٦)
وقوله :

{ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم
بها من أحد من العالمين} .

(٢) المنكر : وهو اسم مفعول من أنكر ، وهو ما أنكره الشرع
ونهى عنه وأوعد فاعله بالعقاب ، ويشمل الكفر وغيره من

-
- (١) الآية من سورة الانعام : ١٥١ .
(٢) الآية من سورة الاعراف : ٣٣ .
(٣) الآية من سورة النور : ١٩ .
(٤) الآية من سورة النمل : ٥٤ .
(٥) الآية من سورة الاعراف : ٨٠ .
(٦) الآية من سورة العنكبوت : ٢٨ .

المعاصى والذنوب ، لأن كل مالا تعرفه الشريعة ولا تقره ،
وأسلوب النصوص هو المقابل للمعروف .

(١)

وقد وردت آيات أطلق فيها على كل مخالفة كقوله :

{واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين
كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل
أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس
الممير} .

واذا أطلق على القول مطلقا فهو كذلك يطلق على الفعل

(٢)

المخالف كقوله :

{الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان
أمهاتهم الا اللاتى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول
وزورا وان الله لعفو غفور} .

(٣) البغى : هو الكبر والظلم والحسد والتعدى وحقيقته

تجاوز الحد من بغى الجرح اذا انفجر ، وهو شامل لكل

ما يصدر من الانسان من الاضرار على نفسه وعلى غيره .

(٣)

كقوله تعالى :

{ياأيها الناس انما بغىكم على أنفسكم} .

(٤)

ويطلق على الظلم والعدوان على الغير كقوله :

{والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون} .

(٥)

ويطلق على الفساد مطلقا كقوله تعالى :

{انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض

بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم} .

(١) الآية من سورة الحج : ٧٢ .

(٢) الآية من سورة المجادلة : ٢ .

(٣) الآية من سورة يونس : ٢٣ .

(٤) الآية من سورة الشورى : ٣٩ .

(٥) الآية من سورة الشورى : ٤٢ .

و خلاصة القول : فى هذه الكلمات الست التى تناولها الخطاب الالهى أنها شاملة لكل معروف بكلمة العدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وشاملة لكل منكر بكلمة الفحشاء والمنكر والبغى والله أعلم .^(١)

وختمت الآية بقوله : {يعظكم لعلمكم تذكرون} فأطلق الوعظ على الأوامر والنواهي ، والمعروف أن الوعظ : إنما يوصف به ما يراد به الترغيب والترهيب .

وقد أجاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله فقال^(٢) "ان ضابط الوعظ هو الكلام الذى تليّن له القلوب ، وأعظم ما تليّن له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيهم ، فانهم اذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله فى عدم امتثاله ، وطمعوا فيما عند الله من الثواب فى امتثاله ، واذا سمعوا النهى خافوا من سخط الله فى عدم اجتنابه ، وطمعوا فيما عنده من الثواب فى اجتنابه ، فحداهم حادى الخوف والطمع الى الامتثال ، فلانت قلوبهم للطاعة خوفا وطمعا " .^(٣)

ومما يندعو الى تأمل دقيق ويرشد الى أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هذا الأسلوب البلاغى فى الآية حيث عبر سبحانه وتعالى بميغة المضارع المفيدة للتجدد والاستمرار فى قوله : {ان الله يأمركم} وقوله : {وينهى}

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربى : ١١٦٠/٣-١١٦١ ، وانظر : التفسير الكبير للرازى ١٠٠/٢٠-١٠٦ ، أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطى ٣٤٦/٣-٣٥٠ .
(٢) محمد الأمين الشنقيطى المتوفى سنة ١٣٩٣هـ ، بمكة ، جمع العلوم من التفسير والاصول والفقه والعربية ، وله باع فى المنطق والفلسفة ولم يؤثر ذلك فى عقيدته ومن أبرز آثاره "أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن" .
(٣) أضواء البيان ٣٤٩/٣-٣٥٠ .

وقوله : {يعظكم} وهذه الأفعال المتجددة والمستمرة في مطلب هذه الفضيلة في شكلها ومضمونها عليها كل ماورد في الآية من الكلمات ذات المدلول العميق والشمول المحيط بالحياة الفردية والجماعية والعالمية .

ان هذه الاستمرارية والتجدد المستفاد من الأسلوب ، يفرض على الجماعة المؤمنة أن تلتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أية حال ، فاذا كانت هذه الجماعة وقعت في مهالك ومساوئ فان هذه الفضيلة هي طريق انقاذ الأمة مما وقعت فيه من جراء البعد عن هذه الفضيلة ، واذا كانت الأمة على وعى كامل لهذه الفضيلة فكرا وتطبيقا وحياتها على منهاج سليم فالوسيلة التي تحافظ بها على شخصيتها الغدة ونظامها المستقيم هي هذه الفضيلة أيضا ، فلا مفر من الالتزام بها .

واذا اعدنا الكرة مرة أخرى في تدبر القرآن العظيم للوقوف على شواهد أخرى من الخطاب الالهي الذي يصف به نفسه في دعوته الى المعروف وانكاره للمنكر سنجد آيات بينات ونقف على حقائق تدل على أن الله سبحانه وتعالى يوجه الأمة الى أن تتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أسلوبا لتكوين الوحدة وتصليب قناتها وترسيخ قاعدتها لتبقى ولا تزول وتقبل ولا تجفل وتثمر ولا تذبل .

وقد أمر الله تعالى ووصف نفسه بالدعوة الى كل فضيلة حيث أمر بعبادته وحده ، والعبادة شاملة لكل معروف وخير (١) وناقضة كل منكر وشر فقال تعالى :

(١) الآية من سورة يوسف : ٤١ .

{ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتوها انتم وآباؤكم
 ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا
 الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} .
 وجاء هذا الأسلوب أيضا داعيا الى أداء الأمانة والتزام
 العدل في الحكم كما في قوله تعالى :
 {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا
 حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به
 إن الله كان سميعا بصيرا} .
 وإذا كانت الأمانة شاملة لكل مسؤولية الانسان من علاقته
 بربه الى علاقته بالخلق والعدل في اطارها بل هو الأسلوب
 الذي تؤدي به الأمانات - فان الله سبحانه وتعالى أمر بملة
 شاملة كذلك في قوله تعالى مشيدا بالذين يطبقون الأمر
 ويرفعون راية المعروف - فيقول :
 {والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم
 ويخافون سوء الحساب} .
 أما الذين لا يهتمون بذلك ويسعون بالفساد ودعم المنكر
 فيقول فيهم :
 {والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون
 ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة
 ولهم سوء الدار} .

(١) الآية من سورة النساء : ٥٨ .
 (٢) الآية من سورة الرعد : ٢١ .
 (٣) الآية من سورة الرعد : ٢٥ .

(١)
وقوله :

{الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون} .
ان ابرز الفوارق بين المعروف وأهله ، والمنكر وأهله تكمن في أنها لا يجتمعان لانهما ضدان .

وذلك مانستخلصه من الخطاب الالهي الذي هو المصدر للمؤمنين في اتخاذ هذا المنهج يقول تعالى :

{وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون} .

فاذا اتجهت الامة بفكرها وسيرتها الى ما أمر الله به ودعا اليه وومف نفسه بأنه يحبذه ويرضاه - لاتجد هذه الامة الا الامر بالعبادة والاخلاص فيها لرب واحد ، وبموجب هذه العبادة المخلصة تحرص على أداء الامانة ومنها العدالة في الحكم وتطبيق شريعة الله في حياتها وذلك قاعدة الملة التي أمر الله بها والوفاء بالعهود والمواثيق ، ويوم يكون الهوى مع ذلك وتنشغل به القلوب وتحوارد عليه الافعال ويكون

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٧ .

(٢) الآيتان من سورة الاعراف : ٢٨-٢٩ .

غاية وهدفا ، سوف تكون الوحدة بدون عناء ويتفق الجميع بلا خلاف ، ولايستطيع المنكر أن يسرى فى صف المؤمنين ، ولايكون للفحشاء مجال ولا نماء ، ولاتشيع لها خيانة ولا غدر فى الذين آمنوا .

والكتاب العزيز نزل من الله لتنشأ عليه الأمة المؤمنة وينظم مجتمعا مثاليا يكون نواة لتنظيم عالمى تحت راية واحدة .

"جاء دعوة عالمية انسانية لاتعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس ، انما العقيدة وحدها هى الأمرة والرابطة والقومية والعصبية ومن ثم جاء بالمبادئ التى تكفل تماسك الجماعة والجماعات ، واطمئنان الافراد والأمم والشعوب ، والثقة بالمعاملات والوعود والعهود " .

ان هذه المبادئ هى ما جاء فى الخطاب الالهى قاعدة العدل الثابتة مع كل الناس وفى كل الأجواء لاتتغير ولاتتبدل ومكيالها واحد ، وميزانها واحد ، لايؤثر فيها الهوى ، ولا البغض ولا الحب ولا النسب ولا المصاهرة ، ولا الفقر ولا الغنى ولا القوة ولا الضعف .

وفى جانب قاعدة العدل ، قاعدة الاحسان وهى شاملة للحياة ومحيطة بها فى علاقة الانسان بالوجود كله خالقا ومخلوقا ، والاحسان وبابه المفتوح على مصراعيه ، تسامح مرن من حدة العدل الصارم الذى قد تجد منه بعض النفوس غلا فى الصدور وحرجا من تطبيق العدالة ، فاذا هم فى حاجة الى صدقة واحسان وتجاوز عنهم وتأليف .

والاحسان الى ذوى القرباىة من أهم ذلك بل انه منطلق وقاعدة لمبدأ التكافل الاجتماعى الذى من الأسرة والفرد الى المجتمع العام .

هذا هو الأسلوب والمنهاج الذى تتكون به الاخوة بين الناس وخاصة حينما يطبق مع رفض ضده وهو الفحشاء والمنكر والبغى ، فهذه عوامل الهدم وأسلوب الفرقة ، مهما تنوعت وتفننت فان الفطرة تنتفض منها لغرايتها كما ينتفض الحى من جسم غريب .
(١)

(١) انظر : ظلال القرآن للسيد قطب ١٤/٢١٩٠ .

المطلب الثانى

وصف الانبياء بالقيام بهما

الرسول عليهم الصلاة والسلام تواطأت مسئوليتهم وتوحدت كلمتهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهم لا يخلون من أمرين فى دعواتهم وكتبهم : اما آمرون بالمعروف أو حاملون عليه الناس بالسيف ليفعلوا الخير ويتخلقوا به ، واما ناهون عن المنكر ورادون عنه الناس بالقوة ليجتنبوا الشر ويكرهوه . هذا هو المحتوى لتعاليم الانبياء ، وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يتصور البعض من أنهما جانب من جوانب مسؤولية الانبياء ، بل انهما شاملان لهذه المسؤولية فلا يقوم الانبياء بئى نشاط الا وهو يدخل فى هذا التعبير الموجز الشامل "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" بل أن عملهم عليهم الصلاة والسلام انحصر فى هذا بحيث لا يستطيع أحد مذهبهم الا أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهذا يشمل بأمر العممة .

وأما رسولنا صلى الله عليه وسلم فقد نقل أصحابه رضى الله عنهم أنه صارأى معروفا الا وعرف سروره به فى وجهه ، وما رأى منكرا الا وتغير وجهه ، وظهر عليه علامات الإنكار (١) وأمارات الكراهية قبل أن يتكلم .

وهو لم ينتصر لنفسه قط وانما لله سبحانه وتعالى ولا

(١) كما يروى عن أبى سعيد الخدرى يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه " مسلم فى كتاب الفضائل رقم ٦٧ .

(١)

يغضب إلا إذا انتهكت حرمة الله واستخف بالحق .

وقد وصفه الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو خاتم الأنبياء ، وأرسل بكل ما أرسلوه به ، وتضمنت رسالته جميع ما جاء به الأنبياء من قبله غير أنه في كل شئ مع التيسير والتسهيل . يقول تعالى :
(٢)

{الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون} .
فرسول الله صلى الله عليه صفاته معروفة في الكتب المقدسة المتقدمة لنزول القرآن الكريم وهي الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر وعلى رأس المعروف الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن الشرك وهذا هو المقصود في التفاسير في بيان المعروف بأنه هو الإيمان والتوحيد والشريعة والسنة ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام ، وأن المنكر مالا يعرف في الشريعة ولا في السنة كالشرك والبدع وسوء الأخلاق وقطيعة
(٣)
الرحم .

(١) كقول عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن أثماً ، فإن كان أثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل" الحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل رقم ٧٧ .
(٢) الآية من سورة الأعراف : ١٥٧ .
(٣) انظر : تفسير الطبري وابن كثير والبغوي عند الآية .

يقول الشيخ ابن تيمية بعد ذكره للآية :

"هو بيان لكمال رسالته ، فانه صلى الله عليه وسلم هو الذى أمر الله على لسانه بكل معروف ، ونهى عن كل منكر ، وأحل كل طيب ، وحرم كل خبيث ، فيه كمل دين الله المتضمن للأمر بكل معروف والنهى عن كل منكر ، وأحل كل طيب ، وتحريم كل خبيث ، وتحريم الخبائث يندرج فى معنى "النهى عن المنكر" كما أن أحلال الطيبات يندرج فى "الأمر بالمعروف" لأن تحريم الطيبات مما نهى الله عنه ، وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهى عن المنكر مما لم يتم إلا للرسول ، الذى تتم^(١) الله به مكارم الأخلاق المندرجة فى المعروف" .

ونعود الى الآية لنتدبر هذه الصفات التى وصف الله بها رسوله عليه الصلاة والسلام - وهو الذى كان أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر جامعا للصف وموحدا للكلمة وداعيا الى كل ما يقوى الجماعة المؤمنة ، وقد تبين من الآية أن وصفه عليه الصلاة والسلام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يفسر أسلوب الدعوة الإسلامية ، فى تكوين الوحدة ، وفيما يلى بايجاز هذه الصفات :

(١) كونه رسولا ونبيا هو المبرر ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهما مسئولية النبوة والرسالة . وكذلك الايمان هو المبرر والمسوغ فى المؤمنين بالله وبرسوله أن يقولوا كلمة حق ويدعوا الى الخير كقوله عليه الصلاة والسلام "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"^(٢)

(١) مجموع الفتاوى ج ٢٨ / ١٢١-١٢٢ .

(٢) متفق عليه البخارى فى كتاب الادب باب ٣١ ، ومسلم فى كتاب اللقطة رقم ١٤ .

- (٢) صفة الأمية تدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممدرها الوحى لا الفلسفة ولا القانون الوضعي ، وذلك مايرد التهمة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو القائل : انا أمة أمية لانكتب ولانحسب^(١) .
- (٣) ذكر هذا النبى الكريم فى التوراة وغيره من الكتاب السماوية مع صفاته دلالة على وحدته مع الانبياء السابقين فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوطئة وبرهان ليتقبل أهل الكتاب ما يأمروهم به وينهاهم عنه .
- (٤) تحليل الطيبات وتحريم الخبائث دليل على أن الأمر بالمعروف وسيلة تسلك بالناس مسلك التسهيل والمنهج الفطرى ، وبهذا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعارا للوحدة والتلاحم والتراحم والتآلف .
- (٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غايات هذه الوسيلة وضع الثقل والمشقة عن المؤمنين وابعاد الناس عن الشدائد والشدة ليألفوا هذه الوحدة ووسائلها^(٢) .
- هذه هى المفاهيم للصفة الجوهرية لرسولنا عليه الصلاة والسلام وهى : "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" فما موقف الأمة التى تؤمن بهذا النبى وتسلك خطاه ؟ .
- ويجب أن يكون الجواب كما جاء فى الآية نفسها وهو : الاتباع فى أول الآية ، والايمان به وتوقيره ونصرة ما جاء به والعمل بالنور الذى جاء به فى آخر الآية ، لتكون أمة فالحة

(١) رواه مسلم فى كتاب الصيام رقم الحديث ١٥ .

(٢) انظر : التفسير الكبير للرازى ٢٥-٢٢/١٥ .

وناجحة موفقة ، وهيئات أن يكون ذلك لأفرادها وجماعاتها ودولها دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وإذا عدنا الى الكتاب العزيز وبحشنا في عرضه لقصص الانبياء ، فإننا نجد وحدة موضوعية بين الانبياء في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخاصة فيما يتعلق بأصول الدين فإنهم على كلمة واحدة في انكار الشرك مهما كانت وسائله وأساليبه والدعوة الى العقيدة كوحدهم على هذه الجملة (١) التي وردت في عدة آيات وهي :

{والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون} .

كما نجد تفصيلا رائعا وبيانا شافيا لمقالاتهم عليهم الصلاة والسلام وهم يأمرون أممهم وينكرون عليها ، وذلك فيما يلي بالايجاز :

أولا : نوح عليه السلام فإنه في دعوته اتجه الى ربه سبحانه وتعالى معتذرا ومبيناً أنه أعلن لهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأسرهما فيهم وأنه مأمّن وسيلة الا واستعملها ليفارقوا المنكر ويتخلقوا بالمعروف فإذا هم لايزيدون الا صلفا وتجبرا وعنادا فهو يقول كما يحكى عنه ربه سبحانه وتعالى : (٣)

(١) الآية من سورة الاعراف : ٦٥ .
(٢) انظر : تفسير الرازي ص ١٣٥-١٣٨ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٢٥ .
(٣) الآية من سورة نوح : ٧-١٢ .

{وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا} .

ثانيا : هود عليه السلام :

فلما جاء هود عليه السلام استلم راية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فدعا الى الله تعالى وذكر قومه بنعم الله مع ما هم فيه من التحلى بالباطل والمنكر والجبروت ، فيقول لهم كما ^{يقول} ~~يخبر~~ الله عنه :^(١)

{أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون ممانع لعلمكم تخلصون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم} .

فى هذه وصفان يدلان على تمكن المنكر فى هؤلاء القوم {تعبثون وجبارين} فهذان الوصفان هما عنوان ظهور المنكر :^(٢) العبث فى الحياة ، والجبروت فى الأرض .

ثالثا : صالح عليه السلام :

وهكذا تسير القافلة قافلة الخير والمعروف فاذا صالح عليه السلام مرسل بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كغيره ممن سبقه من الأنبياء ، ووجد قومه وغيرهم لايتبعون الا مسرفا ولايتبنون الا مقسدا فى الأرض وهم عن الصلاح والاصلاح بعيدون ،

(١) الآية من سورة الشعراء : ١٢٨-١٣٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٣/ ٣٩٤ .

ولقد امتحنهم الله تعالى بمعجزة وهى ناقة عظيمة تدرهم بلبن غزير وتقاسمهم الماء لهم يوم ولها يوم فنهاهم صالح عليه السلام عن التعرض لها ، ولكنهم خالفوه فعقروها كما خالفوه فى رسالته التى تحمل اليهم المعروف حقا وتبعدهم عن المنكر باطلا فيقول تعالى حاكيا مقالة صالح الداعى الى (٢)

طاعة المعروف والابتعاد عن الفساد والمنكر :

{فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يملحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فات بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين} .

رابعا : ابراهيم عليه الصلاة والسلام :

وهذا الخليل عليه السلام ولد فى أمة لاتعرف معروفا ولاتحس بمنكر بل انها أمة فقدت الحس العاطفى وتبنت الجبروت وتفننت فى انتاج أدوات الوثنية ويتمثل ذلك فى صراع ابراهيم عليه السلام مع الملك الملحد نمرود ومع آزر والد ابراهيم الذى فقد حس الآباء والعاطفة الانسانية ، وفى القمة (٣)

الاولى يقول تعالى :

(١) انظر : ظلال القرآن ٢٦١١/٥ .
(٢) الايات من سورة الشعراء : ١٥٧-١٥٠ .
(٣) الآية من سورة البقرة : ٢٥٨ .

{الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين} .

(١)

وفى الثانية يقول تعالى :

{واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتنخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين} .

فها تان القمتان تمثلان رواجاً كبيراً للمنكر فى مستوى العقيدة والسلوك لدى عليّة القوم حتى عند من يرزقه الله نبيا فيكون له والداً ، وتمثلان أيضاً الوقفة الشجاعة والتمسدى بالمعروف فى وجه المنكر مهما كان مصدره - الوقفة (٢) التى وقفها الخليل عليه السلام فى وجه المنكر .

خامساً : لوط عليه السلام :

وهذا لوط عليه السلام وجد فى قومه منكراً لم يسبق له نظير فى البشر وهو غشيان الذكران كما قال منكراً هذه (٣) الفاحشة :

{أتأتون الذكران من العالمين} .

وقد لقي لوط عليه السلام صعوبات فى انكار هذا المنكر وهو يريد أن ينتشر فى قومه المعروف وتسود فيهم الفضيلة (٤) ولكنهم قوم سوء .

(١) الآية من سورة الانعام : ٧٤ .

(٢) انظر : ظلال القرآن ٢٩٧/١ .

(٣) الآية من سورة الشعراء : ١٦٥ .

(٤) انظر : تفسير البغوى ٣٩٦/٣ .

سادسا : شعيب عليه السلام :

وقد جاء عليه السلام ومنكرا لغش وتطفييف الكيل والميزان وبخس الناس حقوقهم ، كل ذلك أمر رائج وسلوك يتنافس فيه هؤلاء الجاهلون فنهاهم شعيب عليه السلام وأراد أن يحملهم على العدالة والانصاف وهما عنوان المعروف ولكنهم أبوا إلا اتباع أسلافهم من المجرمين المكذبين فيقول تعالى^(١) في قمته مع قومه :

{والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين} .

سابعا : موسى عليه السلام :

وقصة الكليم عليه السلام تمثل أعنف صراع بين الحق والباطل وذلك سر فى تكرارها فى القرآن الكريم أكثر من غيرها ، لأن موسى عليه السلام وجد المنكر فى أساليب متعددة وفى جميع المستويات كجبروت الفراعنة الذين طمعوا فى مقام الربوبية واللاهوية بل ادعاه فرعون موسى كما حكى الله تعالى^(٢) :

{فقال أنا ربكم الأعلى} .

(٤)
وقال :

{وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيرى} .

(١) انظر : الكشف ٢٨٥/٢ .

(٢) الآية من سورة هود : ٨٤-٨٥ .

(٣) الآية من سورة النازعات : ٢٤ .

(٤) الآية من سورة القصص : ٣٨ .

وكتمكن السحر وهو منتهى المنكر فى هذا المجتمع كما
فى قصة السحرة ، والسحر منكر اتخذته الفراعنة وسيلة لدحض
أى معروف ، وواجه موسى أيضا المنكر الذى لايفارق بنى
اسرائيل قومه مع ما هم فيه من المحنة فهو يدافع عنهم
ويخاصمونهم بالمنكر كموقفه معهم بعد نجاتهم من فرعون
والبحر فاذا هم يطلبون من موسى أن يجعل لهم الها كما راوا
غيرهم من عبدة الأصنام :^(١)

{وجاوزنا بنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون
على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة
قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبرما هم فيه وباطل ماكانوا
يعملون قال أغير الله أبغىكم الها وهو فضلكم على
العالمين} .

وهكذا لما سافر للقاء ربه واستناب أخاه هارون عليه
السلام فاذا منكر الشرك والعصيان يغلى فيهم كالمرجل وكانهم
لم يعرفوا نبي الله ويفتنون بعبادة العجل كما قال تعالى :^(٢)
{ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بنسما
خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس
أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا
يقتلوننى فلاتشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين} .

(١) الآية من سورة الاعراف : ١٣٨-١٤٠ .

(٢) الآية من سورة الاعراف : ١٥٠ ، وانظر : تفسير الرازى
٢٢٢/١٤-٢٢٤ .

شامنا : عيسى عليه السلام :

وهذا المسيح عليه السلام وقد بعث والمنكر أقيمت له
ممالك ونصبت له عروش وقد جرب الأنبياء قبله بنى اسرائيل
ومن جاورهم وطالت التجربة فاذا عيسى عليه السلام يبعث
بالمعروف الذى بعث به من قبله ، وفى ميلاده آية من آيات
الله ، ورغم أنه تكلم فى المهد قبل أن يبعث ، ورأى الناس
مارأوا فى الآيات فى ميلاد هذا الوليد الكريم وعرفهم
بمستقبله من النبوة فان ذلك لم يخفف من صولة المنكر
وصولجائه ، وقد تصدى له عيسى عليه السلام وأوصى بالمعروف
وبين ووضح وبلغ عن ربه سبحانه وتعالى ما أمره أن يبلغه ،
وعلى رأس المنكر الذى أنكره اتخاذها هو وغيره لها وقد سجل
فى القرآن براءته من ذلك وجوابه لربه سبحانه وتعالى يوم
القيامة ، وبراءته من هذا المنكر وهو بين بنى اسرائيل و
براءته منه بعد رفعه أيضا ، كما قال تعالى :
(١) (٢)

{واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس
اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لى أن
أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلتة فقد علمته تعلم ما فى نفسى
ولأعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا
ما أمرتنى به أن اعيدوا الله ربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء
شهيد } .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/١٩٣-١٩٤ .

(٢) الآية من سورة المائدة : ١١٦ \ ١٧٤

ومن أساليب القرآن الكريم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما قمه الله تعالى علينا من مواقف أتباع الانبياء الذين تصدوا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى وجه أقوامهم ومساندة للمعروف الذى جاءت به أنبيأؤهم عليهم الصلاة والسلام وذلك فى النموذج الفريد الآتى من الذين تميزوا بهذه الفضيلة ولا يعاون بالقوى المادية التى تحيط بهم :

(١) مؤمن آل فرعون :

لما اجتمع فرعون بملاه وقرروا قتل موسى تصدى لهم مؤمن بموسى منهم يكتم ايمانه ولكنه فى هذا القرار المنكر يعلن ايمانه بانكار منكر فرعون ولو باللسان بعد القلب فقال كما حكى الله فى استفهام انكارى : {وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ، ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد ، وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وشمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ، وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يفضل الله فماله من هاد } .^(١)

وعدد لهم الحجج التى تدل على أن ماقرروه منكر وهى أن

(١) الآيات من سورة غافر : ٢٨-٣٣ .

موسى لم يقل ما يستوجب به القتل وهو ايمانه بالله بالادلة
التي جاءكم بها ، فاذا كان كاذبا فمغبة الكذب تعود اليه
ولم يكذب على أحد منكم وان كان صادقا فاحذروا مخالفة
الصدق والصادقين ولم يقصد بدعوته سلب ملككم وقد مضى قبله
أنبياء كنوح وهود وصالح دعو بدعوته وأهلك الله من خالفهم
فانى أخاف عليكم مائزل بتلك الامم ثم ذكرهم بموقفهم من
(١)
يوسف عليه السلام .

(٢) حبيب النجار :

جاء فى القرآن الكريم قصة أصحاب القرية الذين ضربهم
الله مثلاً للمشركين المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم
هذه القرية يذكر المفسرون أنها أنطاكية أرسل الله اليها
(٢)
رسولين فكذبهما أهلها ثم عززهم الله تعالى برسول ثالث
ولكن ذلك لم يؤثر فى أصحاب القرية المكذبين ليتركوا
منكرهم رغم أن الرسل أكدوا لهم أنهم رسل من الله تعالى
ليس عليهم الا البلاغ وحينئذ ظهر فى القرية رجل مؤمن متبع
لرسل فقام محتسباً فأمر قومه باتباع المرسلين محتجاً عليهم
بأن هؤلاء لا يطلبون أجراً على دعوتهم وفى نفس الوقت هم
صالحون وعلى هدى من رب العالمين ثم جعل الرجل يستنكر أن
يعبد غير الله وأن يتخذ آلهة دونه وبعد هذه النصيحة
المخلصة أعلن لهم أنه مؤمن ، ثم قتلوه فأدخله الله الجنة
فلقى ملقى من الكرامة التي أعدها الله تعالى للأميرين
بالمعروف والناهين عن المنكر بالاخلاص وتمنى أن يعلم قومه

(١) انظر : تفسير الطبرى ٥٧/٢٤-٦٣ ، وتفسير الكبير
لرازي ٥٦/٢٧-٦١ .

(٢)

المعتدون عليه والمتمسكون بالمنكر - بما نال من الكرامة
(١)
عند الله .

هذا ما قصه الله تعالى بقوله : {واضرب لهم مثلا أصحاب
القرية اذ جاءها المرسلون ، اذ أرسلناه اليهم اثنين
فكذبوهما فعززننا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون ، قالوا
ما انتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان انتم الا
تكذبون ، قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ، وما علينا
الا البلاغ المبين ، قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم ولليمسكنكم منا عذاب اليم ، قالوا طائركم معكم ائن
ذكرتم بل انتم قوم مسرفون ، وجاء من اقما المدينة رجل
يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسئلكم اجرا
وهم مهتدون ، وما لى لأعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ،
أأخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا ولا ينقذون ، انى اذا لفى ضلال مبين ، انى آمنت بربكم
فاسمعون ، قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون ، بما
(٢)
غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين } .

(٣) أهل الكهف :

هذه القصة من عجائب القمص حيث أن أمة بأكملها لا يوجد
فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر غير فتیان آمنوا
واستقاموا فتداولوا أمر قومهم ومنكرهم الذى تمسكوا به وهو
اتخاذ الآلهة من دون الله ولم يستطع هؤلاء الفتیان تغيير هذا
المنكر لا باليد ولا باللسان فقرروا مفارقة هذا المجتمع

(١) انظر : تفسير الطبرى ص ١٥٥ الى نهاية الجزء الثانى
والعشرون ، وتفسير ابن كثير ٥٦٦/٣-٥٦٩ .

(٢) الآيات من سورة يس : ١٣-٢٧ .

الفاسق فتأواهم الله تعالى كما قص الله تعالى بقوله : {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، إذ آوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ، ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا إذا شططا ، هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ، وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا } .^(١)

(٤) الغلام في قصة الأخدود :

وقد جاء في الصحيح أن ملكا ملحدا له ساحر يخدمه بالسحر فلما كبر الساحر دفع له الملك غلاما ليعلمه السحر ليكون في مكان الساحر الكبير إذا مات فجعل الغلام يتردد على الساحر وفي طريقه إليه وجد راهبا فجعل الراهب أيضا يربي الغلام على الحق وعبادة الله تعالى فلما انكشف أمر الغلام وأنه غلبت فيه تربية الراهب على تربية الساحر فوجد الغلام يؤمن بالله وظهرت كراماته في المجتمع وأراد الغلام أن يغير منكر الملك الذي يدعى الألوهية وقد أمر الملك المتجبر قتل الغلام في محاولات بائسة والغلام حريص على تزييف منكر الملك الذي ادعى أنه رب الناس فعلمه الغلام الكلمة

(١) الآيات من سورة الكهف : ٩-١٦ .

التي اذا قالها يستطيع أن يقتله وهي "بسم الله رب الغلام"
فلما قالها مع رمية الغلام بالسهم مات الغلام ، فضج الناس
جميعا الذين جمعهم الملك وحملهم على أن يدعوا أنه هو الله
فقالوا آمنا برب الغلام وبذلك انكشف زيف المنكر الذي يحمل
عليه الناس حيث علم الناس أن هناك ربا والها غير الملك
الملحد ، وهو رب الغلام الذي يحرض على أن يعترف به الملك
ومن معه من الناس ولو أدى ذلك المعروف الى ازهاق روح
الغلام وبعد هذه المغامرة لظهار المعروف وابطال المنكر أمر
الملك بالآخاديد فخذت وضربت فيها النار فمن ثبت على دين
الحق رمى فيها ومن رجع الى عبادة الملك يترك . هذا ما أشار
الله تعالى اليه في هذه القصة التي هي معركة حامية بين
المعروف والمنكر فظهر فيها المعروف حيث استشهد المؤمنون
وفى مقدمتهم المربي على المعروف الراهب والغلام المؤمن
الشجاع الذي أبدع في استعمال الوسائل والأساليب في سبيل
اظهار المعروف الذي أخفاه الملك بمنكره قال تعالى :
{قتل أصحاب الآخدود النار ذات الوقود ، اذ هم عليها
قعود ، وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقوموا منهم
(٢)
الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} .

(١) انظر : القصة بطولها في صحيح مسلم في كتاب الزهد
والرفاق رقم ٧٣ ، وفي تفسير ابن كثير عند تفسير سورة
البروج .

(٢) الآية من سورة البروج : ٨-٤ .

المطلب الثالث : "وصف القائمين بهما"

وقد ورد فى الكتاب والسنة وصف الأمرين بالمعروف
والناهيين عن المنكر كما فى قوله تعالى :

{التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين} (١)

وفى هذه الآية أوصاف دقيقة تدعو كل مسلم أن يتصف بها
وذلك مانجده فى أسلوب الآية كما يتبين من تناول هذه الصفات
بقليل من الشرح فيما يلى :

الصفة الأولى : {التائبون} وهى تشمل التوبة من كل
معصية والتعريف بالآلف واللام يدل على عدم التخصيص .

الصفة الثانية : {العابدون} وهم الذين يعتقدون أن
العبادة واجبة عليهم لله تعالى فى السراء والضراء .

الصفة الثالثة : {الحامدون} وهم الذين يحمدون الله
تعالى ويشكرونه على ما أسدى عليهم من النعم ديناً ودنياً
ويتجلى ذلك فى أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم .

الصفة الرابعة : {السائحون} وهم الصائمون فى أغلب
أقوال المفسرين والسياحة الصيام كما سئل النبى صلى الله
عليه وسلم عن السياحة فقال : "السائحون هم الصائمون" ، (٢)

(١) الآية من سورة التوبة : ١١٢ .
(٢) رواه الطبرى فى تفسيره ٣٧/١١ . قال ابن كثير : وهذا
مرسل جيد وهذا أمح الأقوال وأشعرها ، وأشار إلى ورود
حديث مرفوع وقال أيضاً فى بيان معنى السائحون : "وقد
ورد فى حديث مرفوع نحو هذا" ولعله يشير إلى حديث أبى
أمامة "أن رجلاً قال لرسول الله ائذن لى فى السياحة
فقال النبى صلى الله عليه وسلم سياحة أمتى الجهاد فى
سبيل الله تعالى" رواه أبو داود فى كتاب الجهاد ،
باب فى النهى عن السياحة رقم ٢٤٨٦ . انظر تفسير ابن
كثير عند آية التوبة .

وفسر بهذا لأجل وصف الصائم بالسائح ، لأنه ممسك عن الأكل والشراب وهو سائح في عبادة الله تعالى أو لأنه مستمر على طاعة الله تعالى وترك المشتبهى .

والقول الثانى : أن المراد {السائحون} السائرون فى الأرض ويهاجرون .

والقول الثالث للمفسرين فى تفسير {السائحون} أن المراد بهم طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد ، وهذا المعنى وأن لم يقل به أغلب المفسرين فإنه قريب وأراه أشمل من الأول والثانى لأن طلب العلم والتفقه فى الدين هو السبب فى التحلى بالمفاتيح الواردة فى الآية وكما جاء فى الحديث "فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى الخملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير" وكقوله صلى الله عليه وسلم "من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين" لأن طلب العلم والتفقه فى الدين منه تصدر الهجرة والجهاد فى سبيل الله بالمعنى الصحيح ابتداء من هجرة المنكر الى المعروف وهى هجرة القلوب وجهاد النفس قبل جهاد العدو وكل ذلك يترتب على طلب العلم والتفقه فى الدين ، وهذا يوثقه أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يشترط فيه العلم بالمعروف والعلم بالمنكر والمحافظة على حدود الله تعالى لا يكون إلا من أهل العلم والفقه فى الدين .

المفحة الخامسة والسادسة : {الراكون الساجدون} وقد خمس سبحانه وتعالى هذين الوصفين من أفعال وأقوال إقامة

(١) رواه الترمذى فى كتاب العلم رقم ٢٦٨٥ ، وقال هذا حديث غريب ، ورواه الدارمى فى باب : (من قال العلم الخشية وتقوى الله) ٨٨/١ ، وابن ماجه فى المقدمة رقم ٢٢٣ وصححه الحاكم وابن حبان رقم ٨٨ .

(٢) متفق عليه - البخارى فى كتاب العلم باب رقم ٩ - ومسلم فى كتاب الزكاة رقم الحديث ٩٨ .

الصلاة لأن الركوع والسجود خارجان عن عادة الإنسان التي هي الجلوس والقيام فبهما يتبين الفضل للمصلي عن غيره وقيل إن القيام أول مراتب التواضع لله تعالى والركوع وسطها والسجود غايتها فكل مرتبة تؤدي إلى مرتبة أفضل منها حتى يصل العبد إلى السجود الذي هو أقرب ما يكون العبد إلى ربه حينما يكون ساجدا .

الصفة السابعة والثامنة : {الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر} هاتان الصفتان جاءتا في هذا الترتيب بعدما سبق من الصفات لأن ماسبقها من الصفات إذا لم تحمل الموصوف بها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأنها لا معنى لها ومن هنا يسقط السذين يدعون الاستقامة لأجل مايقومون به من الشعائر التعبدية ويتخلقون به من الأخلاق ولكنهم لايدعون إلى الله تعالى ولا يأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر ، فالعمل الاسلامي يتركب من أمرين تهذيب النفس وتربيتها وتهذيب الغير ودعوته فهذان الأمران لايفكان ، والأدلة على ذلك كثيرة كقوله تعالى :

(١)

{إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "من لم يدع قول الزور والعمل به فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه" .

(٢)

وكما في الحديث ، فتلك الصفات هي صفات الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وأما دخول الواو في قوله {والناهون عن المنكر} فإن ماسبق من الصفات عبادات يأتي

(١) الآية من سورة العنكبوت : ٤٥ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الميام رقم : ٢٣٦٢ ، وقال البغوي في شرح السنة : "هذا حديث صحيح" ٢٧٣/٦ .

بها الانسان لنفسه وأما النهى عن المنكر فعبادة تتعلق بالغير فكان النهى عن المنكر أصعب العبادات والطاعات لما فيه من التعرض للغير وقد يترتب عليه ضرر على الناهى فادخل على هذه الصفة الواو للتنبيه لزيادة المشقة والمحنة .

الصفة التاسعة : {الحافظون لحدود الله} وقد جاءت هذه الصفة بعد صفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذا تخصيص بعد عموم كما أن ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالنسبة لما قبله عموم بعد التخصيص ومن أبدع الابداع وأظهر الاعجاز أن تشتمل الآية على الأسلوبين العموم بعد الخصوص والخصوص بعد العموم .

وحدود الله المحافظة عليها هو الغاية لكل ماسبق من الصفات فحينما تصل الامة الى مستوى الحفاظ على حدود الله فقد ارتقت وتجاوزت عقبات .

والامة الممدوحة والموصوفة بالقوة هي الامة المحافظة بأفرادها ووحدتها على شرع الله تعالى خلاف الامة المشرعة لنفسها فانها ضيعت شرع الله وفرقت نفسها وأضعفتها ، فآين القانونيون الوضعيون من هذه الصفة ، فهل من يقنن للامة قانونا بعد قانون حافظ على حدود الله ؟.. .

وحدود الله نوعان مايتعلق بالعبادات ومايتعلق بالمعاملات . وكلها اما جلب للمنافع أو دفع للمفاسد .^(١)

هذه هي الجماعة المؤمنة التى عقد الله معها بيعته . وهذه هي صفاتها ومميزاتها : توبة ترد العبد الى الله ، وتكف عن الذنب ، وتدفعه الى العمل الصالح ، وعبادة تصله

(١) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٠٢/١٦-٢٠٧ .

بالله وتجعل الله معبوده وغايته ووجهته ، وحمد لله على السراء والضراء نتيجة الاستسلام الكامل لله والثقة المطلقة برحمته وعد له . وسياحة فى ملكوت الله مع آيات الله الناطقة فى الكون الدالة على الحكمة والحق فى تصميم الخلق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر يتجاوز صلاح الذات الى اصلاح العباد والحياة .

وحفظ لحدود الله يرد عنها العاديين والمضيعين ،
(١)
ويصونها من التهمج والانتهاك .

هذا ولم أجد وصفا فى الكتاب والسنة أشمل لخصال الخير من وصف الله تعالى هذه الأمة بقوله :

{كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون}
(٢)

على أى حال كان عليه هذا الفعل {كنتم} من أنه ناقص أو تام أو زائد فانه اخبار عن وصف ثابت لهذه الأمة بالخيرية من بين الأمم التى اشتركت معها هذه الأمة فى الايمان بالله ولكن خيرية هذه الأمة معللة بهذه القفيلة التى فاقت فيها الأمم وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فذكر الحكم مع اقترانه بالوصف المناسب يدل على أن هذا الوصف تعليل لذلك الحكم كما هو معروف عند الأصوليين .

فالأمة المحمدية تكونت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما من أبرز الأوصاف لهذه الأمة ومن أهم المسؤولية

(١) ظلال القرآن للسيد قطب ص ١٧٢٠ ، المجلد ٣ .

(٢) الآية من سورة آل عمران : ١١٠ .

التي تحملها ووجدت لأجلها ، ومن الواضح أن المقصود بالامة
هنا أمة الاجابة التي حملت هذه الفضيحة وانضوت تحت هذا
الشعار ويكون المقصود بالناس أمة الدعوة .^(١)

فالخيرية التي توصف بها الامة فى نصوص أخرى كثيرة
انما هى مستمدة من أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر
كما فى الآية السابقة وكقوله تعالى : {ولتكن منكم أمة
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون} .^(٢)

وكما قال صلى الله عليه وسلم "عجب الله من قوم
يدخلون الجنة فى السلاسل" وفعل أبو هريرة هذا الحديث بقوله
مفسرا الآية :

{كنتم خير أمة أخرجت للناس} .^(٣)

قال : "خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى
أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام"^(٤)

ومن الآيات التي وصفت فيها القائمون بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر قوله تعالى :

{ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات
الله آناء وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من

(١) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٧٧/٨ - ١٨٠ ، وتفسير
ابن كثير ٣٩١/١ - ٣٩٦ .

(٢) الآية من سورة آل عمران : ١٠٤

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجهاد باب رقم ١٤٤ .

(٤) الآية من سورة آل عمران : ١١٠ .

(٥) رواه البخارى موقوفا على أبى هريرة بالسند اعتمادا
على رواية الحديث المرفوع المذكور فى كتاب التفسير
فى سورة آل عمران .

الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم
بالمتقين } (١)

للمفسرين في هذه الآيات توجيهان :

(أ) أن المراد بالمقارنة والمفاضلة بين أمة محمد صلى
الله عليه وسلم وأهل الكتاب ، فأمة محمد صلى الله
عليه وسلم خير من سبقهم من الأمم فهم الموصوفون بهذه
الصفات وهي تفصيل لما سبق من قوله :

{كنتم خير أمة أخرجت للناس} .

ويشهد لهذا ما روى "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
آخر صلاة العشى ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون
الملاة فقال : "أما انه ليس من أهل هذه الأديان أحد
يذكر الله هذه الساعة غيركم" فنزلت هذه الآيات . (٢)

(ب) التوجيه المشهور عند المفسرين أن هذه الآيات نزلت
(٣)

فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ،
فهؤلاء هم الذين يطابقهم السياق وهم أيضا هم
المذكورون في آخر السورة في قوله :

{وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم
وما أنزل اليهم خاشعين لله} . (٤)

فهؤلاء المتصفون بهذه الصفات من الايمان بالله وبالكتب

-
- (١) الآيات من سورة آل عمران : ١١٣-١١٥ .
(٢) رواه البخارى في كتاب المواقيت باب ٢٢ ، ورواه الامام
أحمد في المسند عن ابن مسعود ١٩٩/٦ .
(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف حليف الانصار ،
وهو من بنى قينقاع كان اسمه الحصين فغيره النبي الى
عبد الله حين أسلم عند مقدم النبي صلى الله عليه
وسلم الى المدينة ولاسلامه قصة مذكورة في كتب السيرة
مع اليهود الذين وصفهم ببهت ، توفي بالمدينة سنة
٤٣هـ ، انظر ترجمته في الامابة رقم ٤٧١٦/٦ .
(٤) الآية من سورة آل عمران : ١٩٩ .

المنزلة قبل القرآن ، وبالقرآن أيضا جديرون بأن لا يضيع
(١)
ما صنعوا من الخير .

ولامنافاة بين التوجيهين فكون من آمن من أهل الكتاب
بالرسول صلى الله عليه وسلم سبب لنزول الآيات لا يمنع أنها
تناولت الأمة المحمدية الفاضلة قبل كل شئ لأن من لحق بهذه
الأمة فى الإيمان وتصديق الكتب والرسل والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر يكون فى الدرجة الثانية والأمة فى الدرجة
الأولى .

أسلوب هذه الآيات ومضمونها يتفق مع أسلوب ومضمون آية
التوبة التى مر فيها ذكر الصفات التسع للأمريين بالمعروف
والنهایين عن المنكر ، وأما هذه الآيات فقد ذكرت فيها ثمان
صفات تدخل فيما تقدم من الصفات فى آية التوبة ، أو أن هذه
الآيات تتضمن ما سبق من الصفات ومجملها فيما يأتى :

أولا : وصف الأمة بالقيام وهو يشمل إقامة الصلاة كما
جاء فى السنة والثبات على التمسك بالعقيدة والشريعة وحسن
الملازمة .

ثانيا : الاستمرار المتجددة فى تلاوة آيات الله
المنزلة وتدبر آياته الكونية والعمل بما ترشد اليه هذه
الآيات .

ثالثا : {وهم يسجدون} السجود أعلى درجة للعباد فى
قربة الى ربه كما فى الحديث الذى مر وصفه ، السجود هنا مع
صفة التلاوة والقيام تصوير رائع للعبودية المخلصة وفى آية
التوبة وصفوا بالسجود مع الركوع فتبين فى الموضعين وصف

(١) انظر : تفسير الطبرى ٥١/٤-٥٧ ، وتفسير ابن كثير
٣٩٧/١ .

الأمريين بالمعروف والناهيين عن المنكر بأربعة أمور تدل على الصلاة التامة الكاملة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر كقوله تعالى :

(١)

{ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}

وظهر من هذا ففيلة السجود وأهميته لأنه تكرر فى الآيتين وهى "الركوع والسجود والقيام وتلاوة القرآن" ، فإذا اتصفت كل فرد من الأمة المسلمة بهذا على قدر طاقته فقد ترابطت وتساندت على المعروف وتكاملت فى عبوديتها ، اللهم انا نسالك أن تجعلنا من أهل هذه الصفات .

رابعا : "يؤمنون بالله واليوم الآخر" هذه الصفة قاعدة الصفات ولهذا كانت واسطة العقد بين الصفات ، فما قبل هذه الصفة متفرع منها وما بعدها أيضا كأصل الشجرة تفرعت منها فروع من أى جهة ، والايمان فى أركانه وقواعده يجب أن يبتدئ بالله سبحانه وتعالى وينتهى به أيضا ، وإذا كان الايمان بهذه الصورة فهو ايمان كامل لأن الله تعالى :

(٢)

{هو الأول والآخر والظاهر والباطن}

فإذا آمن المؤمن بالله تعالى وقد فطر على العبودية له ابتداء مع الايمان بالعودة اليه فى النهاية فهذان طرفا الايمان ويستلزمان الايمان ببقية الأركان ، بل لايمكن أن يؤمن المؤمن بالله وباليوم الآخر ويتردد فى بقية أركان الايمان ، ويبدو لى والله أعلم - أن التعبير بهذين الركنين فقط مربوطين بالواو بلاغة تشير الى هذا .

(١) الآية من سورة العنكبوت : ٤٥ .

(٢) الآية من سورة الحديد : ٣ .

خامسا وسادسا : {ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}
وهى الصفة التى يدور عليها الموضوع وكانت واسطة عقد فى
هذه الصفات من هنا وهناك .

سابعا : {ويسارعون فى الخيرات} يتبين من هذه الصفة
أن هؤلاء لديهم المبادرة الى كل خير خوفا من أن يفوتهم
بعقبة من الموت أو العجز أو المرض أو نحو ذلك ،
ولا يتثاقلون لأن هذه المبادرة صفة ثابتة متجددة لهم .

ثامنا : الوصف بالملاح غاية لكل أحد فاذا وصف به رب
العالمين ومنحه لأحد من عباده فهذا هو الكمال وهو الغاية
التى مابعدھا غاية ولهذا نجد أنبياء الله تعالى يدعون
الله تعالى ويطلبون أن يجعلهم من الصالحين كما قال بعد
ذكره جماعة من الانبياء اسماعيل وادريس وذى الكفل :
(١)
{وآدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين} .
(٢)

وقال مسخرا عن سليمان :
(٣)
{وآدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين} .

وكما حكى الله عن يوسف :
(٤)
{والحقنى بالصالحين} .

وقوله تعالى فى موالاة الرسول صلى الله عليه وسلم :
(٥)
{فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين} .

ولابد لنا هنا وقفة خفيفة نقارن فيها بين أسلوب آية

(١) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٨٨/٨-١٩١ ، القرطبي
١٧٧-١٧٥/٤ ، فتح القدير للشوكاني ٣٧٣/١٠-٣٧٥ .

(٢) الآية من سورة الانبياء : ٨٦ .

(٣) الآية من سورة النمل : ١٩ .

(٤) الآية من سورة يوسف : ١٠١ .

(٥) الآية من سورة التحريم : ٤ .

التوبة وآيات آل عمران ونأمل أيضا موضع هذه الصفة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" فى الموضعين بين الصفات المذكورة فى الآيات .

أولا : فأما أسلوب الآيات فى سورة آل عمران فان هذه الصفات كلها وردت بصيغة المضارع وهى تفيد التجدد والاستمرار ، وكأن المؤمنين بعد امتثالهم ما تدل عليه هذه الصفات وتطبيقهم ما أخبر الله تعالى من أنهم {كنتم خير أمة أخرجت للناس} بعد ذلك ثبتت لهم الأوصاف الواردة فى هذه الآيات فى سورة آل عمران ثم اشتق منها الأوصاف التى وصفوا بها فى آية التوبة ، وكلها صيغ اسم الفاعل وهو مشتق من المضارع {التائبون العابدون الحامدون} الخ ، ولاشك أن هذه الصفات بهذه الصيغة ما وصفوا بها إلا بعد تحقيقها قولاً وعملاً وسلوكاً ، ويؤيد هذا الاستخلاص من أسرار الكتاب العزيز التى لا تنفذ ، يؤيده أن سورة آل عمران نزلت قبل التوبة والله أعلم .

ثانياً : وأما ترتيب هذه الصفة ، "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" من بين الصفات فى آية التوبة وفى آيات آل عمران - يبدو لى والله أعلم - أنه ينبئ على دقة وسر من أسرار الإعجاز .

ومما تبين لى من هذا السر أن آية التوبة ذكرت بعد الصفات التى يجدر بمن يتمف بها أن يكون آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، فأنها فى هذه الآيات ذكرت بعد صفة الايمان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وأول ما يستلزمه الايمان فى المؤمنين فتلخص من هذه المقارنة أن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لوازم العبادات كما في آية التوبة ومن لوازم العقيدة والإيمان ، كما في هذه الآيات وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شماره المحافظة على حدود الله وهي المحافظة على الإسلام كما في آية التوبة ومن شماره المسارعة إلى الخيرات والوصف بالملاح وهذه درجات الاحسان كما في هذه الآيات .

وأود أن أشير هنا إلى ملاحظة هامة وهي أن كثيرا من المفسرين يعتبرون الأمر بالمعروف صفة والمنكر صفة أخرى ، وهو أمر مبني على التغاير والمباينة بين المعنيين ، ولكن من الملاحظ أن الصفتين متلازمتان بحيث أنه لا يصلح أن يتصف أحد ويثبت له الوصف بوحدة دون الأخرى إلا بالقيام بالأمرين معا ، ومن ثم فأننا أحب أن أعبر بأنهما صفة واحدة وهي الفضيلة .

ونصوص الكتاب والسنة تضافرت على تحقيق الوعيد لمن خالف قوله فعليه كما قال تعالى :

{أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} (١) .

وكقوله تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون} (٢) .

فهاتان الآيتان تشملان على وعيد خطير بالنسبة لأهل الكتاب خاصة الذين يعلمون من الحق شيئا كثيرا ثم يكتُمونه

(١) الآية من سورة البقرة : ٤٤ .

(٢) الآية من سورة الصف : ٣-٢ .

وإذا لم يكتموه حرفوه وهذا هو المقصود بالاستفهام الإنكارى فى الآية الأولى فإن أهل الكتاب يأمرون الناس ببعض الحق ولا يفعلونه وأخبروا غيرهم عن نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصافه ولكنهم كفروا به والآية الثانية وعيد للمؤمنين من هذه الأمة خاصة حينما تخالف أقوالهم أفعالهم .^(١)

قال الحافظ ابن كثير : "وقال الضحاك عن ابن عباس أنه جاء رجل فقال : يا ابن عباس انى أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، قال : أبلغت ذلك؟ قال: **أرى** ، قال : إن لم تخص أن تفتتح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل ، قال : وماهن ؟ ، قال قوله تعالى : {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} أحكمت هذه ؟ ، قال : لا ، قال فالحرف الثانى قال قوله تعالى : {لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} أحكمت هذه ؟ ، قال : لا ، قال : فالحرف الثالث قال قول العبد المالح شعيب عليه السلام : "وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم ان أريد الا الإصلاح" أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فابداً بنفسك" .^(٢)

وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء خطباء من أمته يأمرون الناس بالبر ، وينسون أنفسهم وهو يتلون الكتاب أفلا يعقلون" .^(٣)

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٨٥/١-٨٦ .

(٢) ابن كثير ٨٦/١ .

(٣) رواه الامام أحمد فى المسند ١٢٠/٣ ، وقال البغوى فى شرح السنة حديث حسن ٣٥٣/١٤ .

المطلب الرابع

لعن من تركهما من
الأمم السابقة ومميره

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى لعنته على السنة أنبيائه
على الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، وهي
مقرونة بأسلوب الذم فقال تعالى :

{لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود
وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيرا
منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط
الله عليهم وفى العذاب هم خالدون} .
(١)

اللعنة تدل على كفر وجحود الملعون ، وأنه لابقية خير
فيه ولذلك كان العميان والعدوان أسبق الأوصاف
الى هؤلاء الملعونين وأولى التفسير لهذه اللعنة انها بسبب
ترك انكار المنكر وهو الوسيلة والسبب فى المصادفة
والارتباط مع أعداء الله الكافرين ، وليس هنا ذم أشد من
عقد المودة بين من ينتمى الى الايمان وبين من ينتمى الى
الكفر .. !
(٢)

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : " لما
وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا

(١) الآية من سورة المائدة : ٧٨-٨٠ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٨٣/٢ ، تفسير الطبرى
٣٢٠-٣١٧/٦ ، البغوى ٥٥/٢ .

فجالسهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال : لا والذي نفسى بيده حتى تنظروهم أطرا" (١) .

فياحسرة على المسلمين فى أعرافهم عن باب التناهى عن المناكير وقللة عبئهم به كأنه ليس من ملة الاسلام فى شئ مع مايتكون من كلام الله ومافيه من المبالغات فى هذا الباب" (٢) .
والآية يفسرها قول الرسول عليه الصلاة والسلام "ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل ، فيقول له : يا هذا اتق الله ، ودع ما تمنع ، فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض" (٣) .

وعلى المسلم أن يعى الحقيقة فى هذا الحديث وهى :
أن الفرقة ترتبت على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن العممية التى حملت الأمر ألا يرتكب المنكر بعد نصحه لاتشفع فى التقارب بين القلوب المتضاربة ولا تدنى بعضها من بعض لأنها وزعتها العقائد الفاسدة والأخلاق المتباينة وهى عوامل مفرقة ، وتركت الأمر الواحد الجامع وهو الاتفاق على المعروف والانقياد للحق وحده . !

(١) رواه الترمذى فى كتاب التفسير رقم ٣٠٤٧ ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٢) الزمخشري فى كشافه ٦٣٦/١ .

(٣) رواه أبو داود واللفظ له فى كتاب الملاحم رقم ٤١٦٩ ، ورواه الترمذى فى كتاب التفسير رقم ٥٠٩٣ ، وقال : حديث حسن غريب فى كل الروايات ، وبعضها قال : مرسل .

وان من آثار اللعنة ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى المجتمع الذى لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر وهو قوله : "أولخالفن الله بين قلوبكم" ^(١) ولاشك أن القلوب التى لا تجتمع هى قلوب متدابرة لما تفيض من الكراهية من بعضها البعض ، لأنها افتقرت عن الجامع والحبل الرابط وتخلت عنه وهو هذه الفضيلة ، ومن ثم فلا بد من التعبير عن هذا السلوك وهو الفرقة وعدم الانتماء ، واللعنة المتبادلة بين أصحاب هذه القلوب فى قوله : "أوليسلطن الله ..."

فهذه عملية تطبيقية يقوم بها هؤلاء الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فهى تطبيق لذلك الشعور الذى تفيض به القلوب من الكراهية وتتراشق به اللسان من اللعنة والبذاءة وسوء التخاطب بين هؤلاء المتدابرين بتركهم هذه الفضيلة ورغبيتهم عنها . !

فهل هناك نتيجة لترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع أسوأ من هذا ؟

وهل هناك تفكك بين الناس أشد من هذا ؟

ان التهاون بهذه الفضيلة والرغبة عنها يفتح باب الشر على التاركين للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وينمى عوامل الفرقة ووسائل الفلال ، ذلك ما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته حيث قال : "ان من كان قبلكم من بنى اسرائيل اذا عمل فيهم العامل الخطيئة فنهاء الناهى تعذيرا فاذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كانه لم يره على خطيئة

(١) رواه الطبرانى عن أبى موسى وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ورجا له رجال الصحيح ٢٧٢/٧ .

بالأمر فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي المسئ ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم" (١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قولاً وتطبيقاً هما الوسيلة التي تكفل للمجتمع أن تسود بينهما المودة والاتفاق من كل الجوانب ، لأن وظيفة هذه الفضيلة هي دحض عوامل الفرقة العقائدية والأخلاقية والاجتماعية ، وواضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم "أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض" فهذا الأسلوب يفصح الدقة وبأبلغ بيان على أن هذه الوسيلة هي الجامع بين القلوب المتفرقة والأهواء المتباينة وأنه لا نجاة من لعنة الله تعالى التي هي الطرد من رحمته إلا بهذه الوسيلة التي تحافظ على قوة الجماعة وتماسكها وترابطها بالله تعالى .

ومن هنا تبين أن التخلي على الوقوف في وجه المنكر وأهله وخوفهم معناه أنه لا وجود لهذه الأمة بحيث أن الأمة وسيادتها ووجودها الإسلامي يتنافى مع سيادة وجود المنكر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منهم" (٢).

وسيلة الأمر بالمعروف ليست بكلمات معولة تقال باللسان ولا هي توجيهات يوجد بها القادة والأمراء والعلماء غيرهم ثم

(١) رواه أحمد ١٦٣/٢ ، وأبو داود في كتاب الملاحم والترمذي في كتاب التفسير عند سورة المائدة رقم ٣٠٤٧ وقال هذا حديث حسن غريب ورواه الطبراني وقال الهيثمي في الزوائد ورجاله رجال الصحيح ٢٧٢/٧ .
(٢) رواه أحمد والبزار والطبراني ويقول الهيثمي في مجمع الزوائد : "وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح وكذلك اسناد أحمد ٢٧٣/٧ .

يخالفونها بل لابد من التطبيق العملى والقدوة الحسنة من الأمر والنهى قبل أن يتكلم ، كما جاء فى الحديث : "يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار فتندلق أكتاف بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان ! مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية " ، فهذه الفضيلة لم تكن جامعة بين الناس إلا بهذه الموضوعية القذة التى تميزت بها التربية الإسلامية وعلى رأسها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين يجب أن يطبقهما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه قبل غيره ليكون داعية بقوله وسلوكه معا فإذا طالب من غيره العمل بالمعروف وترك المنكر وهو نفسه قد طبق فقد صارت الوحدة بينهما من كل الوجوه وهكذا كل من أخذ بهذه الفضيلة فعليه بهذا المنهج التربوى الفريد ليكون عضوا مناسبا ومطابقا فى كل الأحوال أخوانه الذين أخذوا بهذه الفضيلة وتخلقوا بها قولاً وعملاً والا فالهلاك لمن يأمر وينهى ولكنه لا يفعل ، فقد حصل من دعوته هذه أمران :

(١) أنه بمخالفة فعله قوله صار أمره ونهيه يفرق الأمة ولا يجمعها لأنه لا تطابق بينه وبين من يطابق قوله فعله وقد سن كذلك لغيره أن يصنع كما صنع وهذه فرقة تجمعهم مع غيره .

(٢) ما يخص من يخالف قوله فعله وهو المنطوق الظاهر لهذا الحديث .^(٢)

(١) متفق عليه ، البخارى فى كتاب بدء الخلق باب رقم ١٠ ، كتاب الفتن باب رقم ١٧ ، ومسلم فى كتاب الزهد والرقائق رقم الحديث ٥١ .
(٢) انظر : فتح البارى ١٦/٥٢-٥٣ .

المبحث الثالث : مسؤولية الدولة المسلمة فى
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يسقط أبداً عن أحد
مادام فى الامكان أن يؤدى ولو بالانكار القلبى ، وهو آخر
درجة من درجات أدائها والقيام بهذه الغضيلة متفاوت فيه
الناس فذو السلطان عليه من الوجوب والمسؤولية ما لم يكن على
غيره لما لديه من القدرة لدوران مناط الوجوب فى الشريعة
على الاستطاعة فمن كان ذا مقدرة على الأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر ثم يتهاون ويفرط ، ذنبه أعظم وعقابه أفظع ، كما
دلت عليه الأدلة وجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام .^(١)

وأهم هذه القوى المسؤلة الدولة المسلمة لأنها تستمد
قوتها من الشريعة ، ورأيها الأدبى وسلطانها من عامة
المسلمين وخاصتهم ، فإذا أخذت كل سلطة اسلامية بالمبادرة
فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، سوف تنكف الرعية
عن المنكر وينحسم الشر ، ويرغبون فى المعروف لأن الدولة أو
ال خليفة تتحلى بذلك وتراه مسؤولية لها لاتحيد عنها .

وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم أمته وأوصاهم على
القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شكراً لله تعالى
وحفاظاً على ماسيوقفهم به فى المستقبل من الفتوح وتوسع
الدولة الاسلامية فيقول : " انكم منمورون ومصيبون ومفتوح
عليكم ، فمن أدرك ذلك منكم فليثق الله ، وليأمر بالمعروف

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٥/٢٨ - ٦٦ ، وانظر :
الدواء العاجل فى دفع العدو المائل للشوكانى فى أول
الرسالة من مجموع الرسائل المنيرية ، ج ٢ .

ولينه عن المنكر ، ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار" (١) .

وهكذا لما كانت الدولة الاسلامية الاولى وفى عهد الخلفاء بعد الرسول عليه الصلاة والسلام آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر ، قل الشر وانحسر المنكر ، وكثر الخير واشتهر المعروف وانتشر وهاب الناس الاسلام ودولته . (٢)

"والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم الا بتطبيق العقوبات الشرعية "فان الله يزج بالسلطان ما لا يزج بالقرآن" (٣) .

وجميع الولايات الاسلامية انما مقصودها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سواء فى ذلك ولاية الحرب الكبرى : مثل نيابة السلطنة والمغرى مثل ولاية الشرطة وولاية الحكم أو ولاية المال" (٤) .

وقد جاء فى الكتاب العزيز أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هما المقابل الذى تقدمه الدولة الاسلامية لتمكينها فى الارض وتثبيت سلطتها كقوله تعالى :

{أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وملوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينمرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض

(١) رواه الترمذى فى كتاب الفتن رقم ٢٢٥٧ ، وقال : حسن صحيح .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١٤٨/٢٨ .

(٣) المصدر السابق ١٠٧/٢٨ .

(٤) المصدر السابق ٦٦/٢٨ .

أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن
 المنكر ولله عاقبة الأمور} .^(١)

وقد مكن الله سبحانه وتعالى الدولة المسلمة الأولى
 بعد الهجرة في الأرض وهي "المدينة" وتوافد المؤمنون إليها
 بل ووجبت عليهم الهجرة لينضم بعضهم إلى البعض لتكوين
 الوحدة العملية بعد التوحيد في العقيدة فبدأ القرآن ينزل
 موجها هذه الدولة الجديدة إلى أداء شمن التمكين في الأرض
 وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ضمنه الجهاد فأذن
 لهم أولا باباحة القتال ورد الظلم دفاعا عن المعروف وحماية
 للمظلومين الذين سلبت أموالهم ونزعت منهم ديارهم ثم طردوا
 منها لأنهم مؤمنون . !

ثم بين الله تعالى أنه لولا قيام الأمرين بالمعروف في
 وجه المنكر وذويه لما عبد الله في الأرض ، وسوف يؤازرهم
 الله وينصرهم مادام تمكينهم في الأرض غايته القيام بهذه
 الففيلة التي من أبرز معالمها توطيد علاقة المؤمنين بالله
 بالصلاة وتوثيق الروابط بين المؤمنين أنفسهم بالانفاق على
 الضعيف الفقير من الغنى القوى بالله والجهاد بالنفس
 والمال ليكون الناس جميعا اخوانا متآلفين وأعوانا متآزرين
 فلا كفر ولا خلاف . !^(٢)

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطى :

"الآية دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر ، الا مع
 اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف ، والنهي عن

(١) الآيات من سورة الحج : ٣٩-٤١ .
 (٢) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٢٨٥-١٢٨٧ .

المنكر ، فالذين يمكن الله لهم فى الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم ، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ، ولا يأمرؤن بالمعروف ، ولا يأمرؤن بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر فليس لهم وعد من الله بالنصر لأنهم ليسوا من حزبه ، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر ، بل هم حزب الشيطان وأوليأؤه ، فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم ايأه ، فمثلهم كمثل الأجير الذى يمتنع من عمل ما أجير عليه ثم يطلب الأجرة ، ومن هذا شأنه فلا عقل له" (١)

"ولقد أوجبت الشريعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لتجعل من كل انسان رقيبا على غيره من الأفراد والحكام ، ولتحمل الناس على التناصح والتعاون وعلى الابتعاد عن المعاصى والتناهى عن المنكرات ، ولقد ترتب على ايجاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن أصبح الأفراد ملزمين بأن يوجه بعضهم بعضا ، وأن يوجهوا الحكام ويقوموا عوهم وينتقدوا تصرفاتهم والتوجيه أساسه الأمر بالمعروف ، والتقويم والنقد أساسه النهى عن المنكر" .

وهذا ما قامت به الحكومات الإسلامية فى عهد الخلفاء ، يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته لما تولى الخلافة : "أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيت فلا طاعة لى عليكم" ، وكقول عمر رضى الله عنه : "من رأى فى اعوجاجا فليقومه" (٢) (٣) .

(١) أضواء البيان ٧٠٣/٥-٧٠٤ .
(٢) ذكره ابن كثير بأسناده وقال : "وهذا اسناد صحيح" ، البداية والنهاية ٣٠٦/٦ .
(٣) رواه الدارقطنى بطوله فى سننه ص ٥١٢ ، وقال ابن القيم فى اعلام الموقعين : "وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول ، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة ، والحاكم والمفتى أحوج شئ اليه ... " ٨٦/١ .

"وترتب على ايجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن أصبح الافراد ملزمين بالتعاون على اقرار النظام وحفظ الأمن ومحاربة الاجرام ، وأن يقيموا من أنفسهم حماة لمنع الجرائم والمعاصي وحماية الأخلاق ، وكان في هذا كله الضمان الكافي لحماية الجماعة من الاجرام وحماية أخلاقها من الانحلال وحماية وحدتها من التفكك وحماية نظامها من الآراء الطائشة والمذاهب الهدامة ، بل كان فيه الضمان الكافي للقضاء على (١) المفساد في مكنها وقبل ظهورها وانتشارها " .

(١) التشريع الجنائي لعبد القادر عودة ، **فصل** ٥١٢ ، ٣٥٠/١ .

المبحث الرابع : شمول المسؤولية على الأمة المسلمة
فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مسؤولية موزعة بين أفراد الأمة المسلمة جميعا كل على قدر طاقته وحسب مجاله ، ولقد تناولت النصوص القرآنية والنبوية . الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأساليب الترغيب فى المعروف قولاً وعملاً ووصفت النتائج التى تترتب على ذلك وأنها محمودة العواقب ، والترهيب عن المنكر والتلبس به على أية حال كان ، وخطبت بها الأمة بصورة شاملة لكل الأفراد على سبيل الوجوب ، وأسلوب هذه النصوص يتجه بالأمة نحو الفطرة بعيداً عن الجدل والفلسفة وإنما يعتمد على الوضوح والاقناع الفطرى وهو من لوازم الايمان وغنى عن البيان أن الوجوب هذا مقيد بالاستطاعة والقدرة ، لأن الله تعالى يقول :
(١)
{لا يكلف الله نفساً الا وسعها} .

ويقول :

(٢)

{فاتقوا الله ما استطعتم} .

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان" .
(٣)

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٢) الآية من سورة التغابن : ٦ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الايمان رقم ٤٩ ، الترمذى فى كتاب الفتن رقم ٢١٧٣ ، أبو داود فى صلاة العيدين رقم ١١٤٠ .

وفى رواية : "من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برئ
ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ، ومن
لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ ، وذلك
(١)
أضعف الايمان" .

والعموم فى الحديث يشمل الوجوب ، والتقيد بالقدرة
وذلك ما فهم المحابة رضى الله عنهم ، حينما خطب أمير
المدينة مروان بن الحكم يوم العيد قبل الصلاة مخالفا السنة
وهى أن خطبة العيد بعد الصلاة ، فقام رجل من الحاضرين
ناهيا عن هذه المخالفة وآمرا بالمعروف وهو اتباع السنة ،
فقال الرجل : "الصلاة قبل الخطبة" فقال مروان بكل جرأة :
ترك ما هنالك ! فقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قاصدا
(٢)
ومشيرا الى الرجل الذى أنكر على مروان ! أما هذا فقد قضى
ماعليه " ، وذكر الحديث "من رأى منكم ... " .

يقول النووى : "وأما قوله صلى الله عليه وسلم
فليغيره فهو أمر ايجاب باجماع الامة وقد تطابق على وجوب
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة واجماع
الامة وهو أيضا من النصيحة التى هى الدين ولم يخالف فى ذلك
(٣)
الا بعض الرافضة ولا يعتد بخلافهم" .

-
- (١) رواها النسائى فى كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان
١١١/٨ .
(٢) مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية الاموى أبو عبد
الملك اختلف فى ميلاده وفى صحبته توفى سنة ٦٥هـ ،
ومابقى فى الخلافة الا نصف سنة وتولاها بعده ابنه عبد
الملك ، انظر : ترجمته فى الاصابة رقم ٨٣١٢/٩ .
(٣) سعد بن مالك بن سنان الخزرجى الأنصارى أبو سعيد توفى
سنة ٧٤هـ ، صحابى جليل ، انظر : ترجمته فى الاصابة
رقم ٣١٨٩/٣ .
(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ٢٢/٢ .

يقول الله تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا
(١)

اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون"

النداء عام شامل لكل المؤمنين أفرادا وأجناسا وقد
اتفقت كلمة المفسرين بأن المعنى هو أن يلتزم المؤمنون
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويلزموه أنفسهم ،
ويترابطوا به ، وأن المقصود بالاهتداء هو الأمر بالمعروف
(٢)

والنهي عن المنكر ، والمقصود بالضلال هو تركهما .

وكلمة "أنفسكم" منصوبة على الأغراء ، وعليكم اسم فعل
(٣)
الأمر منقول عن الجار والمجرور .

ولاحظ بين النحاة في أن : عليك ودونك وعندك ينصبون
(٤)
بها وتقام مقام الأفعال .

ومما يلاحظ في أسلوب الآية : صيغة الجمع في كل كلماتها
... الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم ... إذا اهتديتم ...
تعلمون".

وذلك يشير إلى أن علاقة "ما" يجب أن تكون بين
المؤمنين ولا تكون إلا باقامة ورفع شعار هذه الدعوة التي
تجعلهم نفسا واحدة ، دعوة الأمر بالخير والنهي عن الشر
المفروق .. ولا يعقل أن يأمر الله المؤمنين أن يلزم بعضهم

(١) الآية من سورة المائدة : ١٠٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ، تفسير ابن كثير عند الآية ،
أحكام القرآن لابن العربي ٧٠٢/٢ ، مجموع الفتاوى لابن
تيمية ٤٧٩/١٤ - ٤٨٠ .

(٣) كقول ابن مالك في "الخلاصة" والفعل من اسمائه عليك ،
وهكذا دونك مع اليك .

(٤) انظر : الكشاف للزمخشري والتفسير الكبير للرازي عند
الآية .

بعضا بالانفراد بالنفس ، ويفسر ذلك بترك الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، كيف يكون من لايهمه الا نفسه ولايهمهم
بغيره من اخوانه مترابطا مع اخوانه المسلمين ؟ .
وانما الأمر بالتلازم يكون بوسيلة الترابط والاخوة
والمناصحة ، وهو مايفيده هذا النداء فى الآية بوصف الايمان
وكل ما فى سياقه يضم المؤمنين فى الخطاب .

ولقد قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم . مفسرا الآية ورادا على من يزعم
انها تعفى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال بعد ان
حمد الله واثنى عليه : "ياأيها الناس انكم تقرؤون هذه
الآية وتضعونها على غير موضعها - فتلاها - ثم قال : وانما
سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ان الناس اذا
راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله
بعقاب" ، وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
"ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، ثم يقدر ان يغيروا
ولا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب" .^(٢)

(١) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد
بن تيم ، أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابنة عم
أبيه ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر ، وكان
صديقا للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، فلما
بعث آمن به بدون تردد فصار من أوفى أصحابه وأفضل
الامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد لقبه
بالصديق وهى مرتبة بعد النبوة كما فى الآية "من
الذبيين والصديقين" ، انظر : ترجمته فى الاصابة
٤٨٠٨/٦ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب التفسير رقم ٣٠٥٧ ، وقال :
حديث حسن صحيح ، أبو داود فى الملاحم رقم ٤٣٣٨ ، ابن
ماجه فى الفتن رقم ٤٠٠٥ ، وقال الحافظ ابن كثير :
"وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان
وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة متصلين مرفوعا
ومنهم من رواه موقوفا على الصديق وقد رجح رفعه
الدارقطنى" ، التفسير ١٠٩/٢ عند الآية .

(١) وعن أبى أمية الشعبانى قال : أتيت أبا شعلبة الخشنى
فقلت كيف تمنع بهذه الآية ؟ ، قال : أية آية ؟ ، قلت :
قوله : {ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل
إذا اهتديتم} ، قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً ،
سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل
اثتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا
مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة وأعجاب كل ذى رأى برأيه
فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فان من ورائكم أياما المبر
فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين
رجلا يعملون مثل عملكم " .
(٣)

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : "ألا كلكم راع
وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الأعظم الذى على الناس راع
وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن
رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، وهى مسؤلة
عنهم ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ، ألا
فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " .
(٤)

-
- (١) أبو أمية الشعبانى اسمه محمد بضم الياء وسكون
المهملة وكسر الميم عبد الله بن أحامر أدرك الجاهلية
ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين وحديثه مخرج فى
السنن ، انظر : ترجمته فى الاصابة ٩١/١٢ .
- (٢) أبو شعلبة الخشنى صحابى جليل معروف بكنيته واختلف فى
اسمه اختلافا كثيرا ، قيل : جرهم وقيل جرشم ، وقيل :
زيد ، وقيل عمرو ، وكذلك الاختلاف فى اسم أبيه ونسبته
الى بنى خشين وهم يعودون الى قضاة ، أسلم عندما خرج
النبى الى خيبر ، وتوفى فى أول خلافة معاوية ، وقد
مات وهو ساجد ، الاصابة ١٧٦/١١ .
- (٣) رواه أبو داود فى كتاب الملاحم رقم ٤٣٤١ ، ورواه
الترمذى فى كتاب التفسير رقم ٣٠٥٨ ، وقال : حديث حسن
غريب ، ويقول ابن كثير عند الآية لما ذكر الحديث قال
الترمذى : هذا حديث حسن غريب صحيح .
- (٤) متفق عليه البخارى فى كتاب الأحكام الباب الأول وفى
كتاب النكاح باب ٩٠ ، ومسلم فى كتاب الامارة رقم ٢٠ .

وهذا التفصيل شامل لكل أفراد الأمة ، لا يستثنى أحدا دون مسؤولية ، فان لم يكن الانسان راعيا على شئ فهو راع على نفسه وعلى جوارحه ليعمل "بالمأمورات ويجتنب المنهيات فعلا ونطقا واعتقادا فجوارحه وقواه وحواسه رعيته ، ولا يلزم من الاتصاف بكونه راعيا أن لا يكون مرعيا باعتبار آخر" والمقصود أن الانسان لا يخرج عن سدادق المسؤولية الذى بينه الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث : اجمالا وتفصيلا ، الاجمال فى أول الحديث وخاتمته : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، وأما التفصيل فقد قسم الأمة الى فئات : فئة الأئمة والحكام ، وفئة الرجال بصورة عامة حكاما ومحكومين سادة وخداما ، وفئة النساء وعلى رأسهن الزوجة ويدخل فى حكمها كل امرأة تولت مملكة البيت سواء كانت زوجة أو بنتا أو أختا أو أما أو خالة أو عممة أو خادمة ، وفئة العمال وتتناول : الرجال والنساء فجميع هذه الفئات اشتركت فى أصل المسؤولية والرعاية مع اختلاف درجاتهم الاجتماعية وتباين قدراتهم الجسدية والثقافية والسياسية .^(١)

هذا وعموم النصوص وشمولها لأفراد الأمة لا يتنافى مع اشارة بعض هذه النصوص الى من تتوفر فيه الشروط والقيود فذلك التخصيص والفرضية على البعض دون البعض ، وانما ان فهم هذا أو احتملته بعض النصوص فهى اشارة وتعيين للمستوى الأعلى والاقوى والافضل فى أداء هذه المسؤولية كالعلماء والأمراء ، ولا يدل ذلك على اعفاء من دون هذا المستوى من الأمة .

(١) انظر : فتح البارى على صحيح البخارى ١١٣/١٣ .

(١)

قال تعالى :

{ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} .
فالمفسرون وقفوا عند قوله {منكم} ففسر بعضهم {من} تبعيفية فيكون المقصود بالامة الامة الخاصة وهى العلماء والدعاة ، وفسرها آخرون بالبيانىة ، فيكون المقصود بالامة "أمة الاسلام" والمطلوب منها أن يكونوا جميعا دعاة الى الخير .

ولكن ما بينته من شمول المسؤولية لافراد الامة كل على قدر استطاعته لا يتنافى مع كون {من} فى {منكم} تبعيفية لأن الخطاب أو الأمر موجه الى من يقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويدعو الى الخير مطلقا من المؤمنين - فيتحقق المطلوب وهو تغيير المنكر بوسائل تغييره وتحقيق المعروف مع مراعاة مصالحهما ومفاسدهما درءا وتحقيقا - سواء كان ذلك على يد العلماء أو الأمراء أو العوام أو الأقوياء أو الضعفاء أو أى فئة ولون وجنس من المؤمنين ، فكل من قام بذلك بشروطه وقيوده وقصد أهدافه ، فله هذه الحوافز المشجعة والتكريم فى الآلية وهى الوصف بالفلاح من الله بأسلوب بلاغى أشبه بأسلوب القمر وهو {وأولئك هم المفلحون} فالتعبير باسم الإشارة مسندا اليه يحقق الوصف الذى هو المسند بعده وتخصيصه لمن يعود اليه اسم الإشارة ، وضمير الفعل {هم} يؤكد الأولوية هذه ويراد ببعد الإشارة بعد

(١) الآية من سورة آل عمران : ١٠٤
(٢) انظر : الكشف للزمخشري والقرطبي عند الآية ، القرطبي . ١٦٥/٤

المكانة وعلو المنزلة .. ومن حقق هذه المسؤولية وقام بها هو الأمة الخاصة ولكنه بعد التحقيق والتنفيذ ، أما قبل فالخطاب أو الأمر موجه الى كل فرد بما فى ذلك من ارتكب المنكر ويرتكبه وإذا قام غير العلماء والأمراء والاقوياء بالدعوة الى الخير هذا وحقق المطلوب سقط الاشم عن هؤلاء جميعا ، كما أنه إذا لم يقم به أحد توزع الاشم على الجميع على قدر طاقاتهم بما فى ذلك من دون العلماء والأمراء والاقوياء فأين اذن الخصوصية باعتبار أن "من" تبعيضية .. ؟

ويحتمل هذا الخطاب أيضا أن الله تعالى وجه الأمر الى من لم يرتكب المنكر من المؤمنين ليقوم بالتغيير ويدعو الى الخير ، ومن ارتكبه دعاه الى الاجتناب وامتنال النهى ، وذلك يشمل مرتكب المنكر إذا رأى غيره ارتكب منكرا آخر أو نفس المنكر الذى ارتكبه باعتباره مخاطبا ومكلفا بتعديل جنوح غيره من الأمة كما أن غيره مكلف بتعديل جنوحه هو ، وهذا مايفسر ملازمة المؤمنين بعضهم ببعض بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولايضرهم من خرج عن هذه الدائرة وظل بتركه هذا الأسلوب الجامع لأفراد الأمة والمانع لتفكك وحدتها التى لايفمهما الا العصيان ، والخروج عن المألوف ، ومن الخروج عن المألوف الاعتقاد بأن الحق يبقى بلا دعوة أو أن الناس لايخلون من فريقين : فريق على المعروف دائما لاداعى لنصحهم ، وفريق على المنكر لاتؤثر فيه دعوة ، وهذه والله قاصمة ظهر حيث ظل الفكر بين دعوى العصمة وبين القنوط من الاصلاح والاهتداء وهو أمر يخالف طبيعة هذه الأمة التى لاتجتمع على ضلالة ولايستأصلها الشر ، كما أنها لاتزال طائفة منها

(١)

على حق حتى يأتى أمر الله .

وهذه الطائفة هي الأمة الخاصة وباب الوصف هذا مفتوح على مصراعيه لكل فرد من أفراد الأمة ممن يقوم بالدعوة الى المعروف والنهي عن المنكر .

أما كون "من" فى قوله {منكم} بيانية فهو المعنى الموافق لأسلوب الآية الطلبى {ولتكن منكم أمة} ولا يعقل أن يطلب من بعض المؤمنين أن يكون على هذا المستوى الرفيع من الفلاح دون الآخرين ، والدعوة الاسلامية تطلب من الجميع أن يكون بارا مطابقا لكل ما جاء به وهو أمر يوافق روح الدعوة الاسلامية وأسلوب عرضها على الناس ، وكلمة "الأمة" وان وردت فى القرآن الكريم وصفا لشخص كإبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى :

{ان إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين} (٢)

أو وصفا لجماعة معينة كقوله تعالى :

(٣)

{ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} .

فان هذا سياق خبرى لأحوال استقرت وثبتت بعد صراع إبراهيم عليه السلام دعا قومه فلم يؤمنوا ولم يتمسك بالحق سواء وقد تمضى به وحده وتمدع فهو أمة واحدة ليس معه فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد من قومه وكذلك قوم

(١) كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق وهم أهل العلم" ، رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب رقم ١٠ ومسلم فى كتاب الامارة رقم الحديث ١٧٠-١٧٦ .

(٢) الآية من سورة النحل : ١٢٠

(٣) الآية من سورة الاعراف : ١٥٩

موسى عليه السلام افترقوا فآمن به البعض وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فهم أمة دون الآخرين ، وأما المقصود بالآية فى الآية التى نحن فى مددها وردت فى سياق الطلب فهى ومف مطلوب من كل فرد من أمة الاسلام أن يتمف به .

واستظهرنا من الفريقين : أن المؤمنين ونهجم فى الحياة وحدة وبناء ، وتآلف وتعاون ، وهو منهج ينهض بالانسانية الى أعلى الدرجات ويربطها بالقوى العزيز وهو الله جل جلاله ويرتب وينظم المؤمنين فى ساحة رحمة الله التى وسعت كل شئ . وأما المنافقون ومنهجم المتدابى بترك الأمر بالمعروف واختيار المنكر شعارا ففرقة وتناحر وفسق وضعف .. !

{المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان
(١)
المنافقين هم الفاسقون} .

(١) الآية من سورة التوبة : ٦٧

المبحث الخامس

أثر الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر في تحقيق الوحدة

ان نموص الكتاب والسنة توجب على الأمة بأكملها القيام بهذه الغفيلة كل على قدر طاقته وعلى مقدار وعيه وعلمه ، ولا يمكن أن يفهم من ذلك المفهوم للفروض الكفائية التي نجدها أحيانا لايحوز تكرارها اذا قام بها البعض أو لا تكون الا بشرط خارج عن القائم بها ، بينما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلما تكرر وقام به الناس جميعا في فترة من الزمن متقاربة أو متباعدة : كان ذلك دلالة على حياة الأمة ويقظة أفرادها ووحدتها بالعقيدة والايمان وتربطها بالعبادات والمعاملات ، وبعدها عن أساليب النفاق والفرقة والاختلاف .

ان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسبب شرا كثيرا واختلافا مشتتا وفرقة مدمرة بين الأمة ، في خاصة أفرادها وعامة جماعاتها وشعوبها كما أن استعمال هذه الوسيلة في أسلوب يجانب الحكمة يسئ اليه بل وقد يسبب الاختلاف والفرقة .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

"واذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي ، فيكون ذلك من ذنوبهم وينكر عليهم آخرون انكارا منهيا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم فيحصل الشقاق والاختلاف والشر ، وهذا

من أعظم الفتن والشُرور قديماً وحديثاً إذ الإنسان ظلوم جهول والظلم والجهل أنواع ، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع ،^(١) وظلم كل من الثانى والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر . والتكوين الاخوى والجماعى الذى تبنى عليه الوحدة الكاملة للامة تعبر عنه الآية الكريمة فى قوله تعالى :

{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم }^(٢) .

ففى هذه الآية وصف الله المؤمنين بوحدة وترايط ، كما هو دلالة احتواؤها لعوامل الوحدة كطاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وهو أمر تدخل فيه العقيدة والعبادات والمعاملات مع شمول الآية لأسلوب تكوين الوحدة كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هو فى مقابلة الفرقة والتدابير لمنهج النفاق كما وصفه الله بقوله :

{المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون }^(٣) .

ومعاكسة المنافقين لمنيع المؤمنين فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يشمل أنهم لايطيعون الله ولا رسوله وأنهم لا يصلون ولا يجاهدون وهى أعمال بدنية ، وأما الحقوق المالية فقد وصفهم الله عن منعهم ركنها وأصلها وهو الزكاة بقوله :

(١) مجموع الفتاوى ١٤٢/٢٨ .
(٢) الآية من سورة التوبة : ٧١
(٣) الآية من سورة التوبة ٦٧

{ويقبضون أيديهم} ولقد كان التعبير بلفظة {الاولياء} فى حق المؤمنين مقابل التعبير بلفظة {من} فى شأن المنافقين مقارنة دقيقة بين المنهجين ، فالمؤمنون مشاركتهم فى الاستدلال والتوفيق والهداية والولاية ضد العدوان ، وأما المنافقون فعلاقتهم تفرعت من التقليد والهوى والميل والعادة الى طبيعة الأسلاف الكافرين المعاندين ..

وخلاصة القول : أن المؤمنين ومنهجهم فى الحياة وحدة وبناء ينهض بالانسان الى أعلى الدرجات ويربطهم بالقوى العزيز ، وأما المنافقون ومنهجهم فتفريق وتناحر وضعف وفسق .

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر يتناول وسائل التربية والاصلاح ماديا ومعنويا وهى الوسائل التى اذا أخذها المسلمون بالمبادرة ، وأدركوا مابينها من العلاقة والتناسب والتناسق سوف يمنعون بهذه الفؤيلة وحدة قوية لاثنصم عراها ولعل هذه الآية تشير بالاجمال الى هذه الوسائل التى لاتخرج خطوطها عن توجيه وتعليم وارشاد بالحق الى الخير أو مدعون مادي وتوظيف المال الحلال فى سبيل الخير ودعم المعروف ، أو وقوف ضد شر مادي ومعنوى يفتك أو يفرق بين المسلم وأخيه .

قال تعالى :

{لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما} .^(٢)

(١) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٣٠١٦-١٣١ ، الكشاف للزمخشري ٢٠٠/٢-٢٠٢ ، تفسير البغوى ٣٠٨/٢-٣١٠ ، وانظر : فتح الرحمن بكشف مايلتبس فى القرآن لآبى زكريا الانصارى ص ٢٣٥ ، ط الاولى .

(٢) الآية من سورة النساء : ١١٤

فبالآية تدعو الناس الى أن يكونوا أمة واحدة تربطهم الكلمة الطيبة وتؤلف بينهم الصدقة المخلصة ، وتذكرهم بواسطة الحانية بأخوتهم الرحيمة ورحمهم الموصول .. ؟ ، ان عمل الخير لا يخلو من أمرين شاملين لعناصر الخير :

الأول : اما تحقيق المنفعة بأن يكون الخير عطاء ماديا كالمال : (الا من أمر بصدقة) أو عطاء روحيا عقليا وكمالا تربويا خلقيا وهو المقصود بالأمر "بمعروف" .

الثانى : دفع مفسدة وهى : ازالة الأضرار المادية (١) والمعنوية وهو المقصود بقوله : "أو اصلاح بين الناس" ، فتبين من هذا أن الآية شاملة على الوسائل التى تتكون بها الوحدة المؤمنة العابدة لرب واحد بعواملها المذكورة فى الباب الأول ، وأن كل تفريع للوسائل والأساليب يعود الى هذا التمثيل الوارد فى الآية ، ومن هنا يستوقفنا أسلوبها ومنهجها فى ترتيب هذه الوسائل والتنصيص عليها ، يقول القاضى أبو بكر بن العربى : "هذه الآية آية بكر لم يبلغنى عن أحد فيها ذكر ، والذى عندى فيها : أن الله أمر عباده بأمرين عظيمين : أحدهما : الاخلاص ، وهو أن يستوى ظاهر المرء وباطنه . الثانى : النصيحة لكتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم فالنجوى خلاف هذين الأصلين ، وبعد هذا فلم يكن بد للخلق من أمر يختصون به أنفسهم ، ويخص بعضهم بعضا ، فرخص فى ذلك بصفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واصلاح ذات البين (٢)

(١) انظر : التفسير الكبير للرازى ٤١/١١ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربى ١/٤٩٨-٤٩٩ .

وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تشدد حصر الخير فى هذه
الوسائل الثلاث وشمولها لكل تفصيل وتفريع .^(١)

ولقد عظم الأمر فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام حيث
بين أن وحدة الأمة مرهونة بالقيام بهذه الفضيلة وأنها
السبب فى ترابط القلوب والمشاعر وبالتالي الآراء والاتجاهات
التي ينجم عنها الأمن والاتفاق بين أفراد المجتمع .

كقوله عليه الصلاة والسلام : "التأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا
يستجاب لهم" .^(٢)

وفى رواية : "أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا
منه ثم تدعونهم فلا يستجاب لكم" .^(٣)

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واضح من هذا النص
أنهما وسيلتان لحفظ الأمن فى الأمة وردع المجرمين لئلا
يتسلطوا على المجتمع الأمن ويفككوا وحدته بالأجرام
والمخالفة ، فترك هذه الفضيلة مبعث للشر المتدابى ولعياد
بالله وعرض للأمة على مهالك الاختلاف ، لأن إهمال هذه الفضيلة
ينشئ فى الأمة أفرادا أو جماعات تتصف بالمنكر من أى نوع من
أنواعه ، ومن ثم ينشأ الاختلاف بين فريق الفضيلة والفريق
المخالف وتتدخل الفرقة فى صفوف الأمة بسبب إهمال هذه
الفضيلة .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/١١٤ ، الكشاف ١/٥٦٣ .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفى الزوائد وفيه حبان بن
على وهو متروك وقد وثقه ابن معين فى رواية وضعفه فى
غيرها ، ٢٦٩/٧ .
(٣) رواه الترمذى فى كتاب الفتن رقم ٢١٦٩ ، وقال حديث
حسن ، فالروايتان تشهد كل واحدة للأخرى .

بينما لو كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعارا حقيقيا للأمة لما استطاع الشر المفرق أن يظهر وتبقى الوحدة بين الجماعة دائما هي المظهر البارز بين أفراد الأمة والمضمون الذي ينشأ عليه الصغير ويهرم عليه الكبير .

ولقد حرص النبي عليه الصلاة والسلام على بيان أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته في الحفاظ على وحدة الأمة واستمرار زيادة إيمان أفرادها فتارة يبين ذلك بأسلوب الطلب أو بالاختبار ترغيبا ، وأحيانا بضرب المثل الذي يشرح فيه نتائج القيام بهذه الفضيلة وأشرها في الأمة أن أهملت كقوله عليه الصلاة والسلام : "مثل القائم على حدود الله والمداهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها يسمعون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها ، فقال الذين في أعلاها لاندعكم تصعدون فتؤذوننا فقال الذين في أسفلها فانا ننقيها من أسفل فنستقي فان أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجو جميعا وان تركوهم غرقوا جميعا" .^(١)

فاذا كان كل واحد من أفراد المجتمع يعمل لنجاته من المهالك ولنجاة غيره فقد التقى الأفراد على مبدأ الوحدة وتكونت الجماعة وترابطت بالحق .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :

"ولقد بين الإسلام أن السكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى تدابر الأمور وتنابذها ، ويقطع ما بين

(١) رواه الترمذي في كتاب الفتن رقم ٢١٧٣ : وقال حديث صحيح .

آحادها من روابط الرحم والقراية والجنسية والدين ، وذلك لأن الاشم مفرق ، والخير جامع موحد ، وماتفرقت الجماعات الا بسيادة الرذيلة فى جموعها وعموم الظلم لربوعها ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام : "لتأمرن بالمعروف ولتهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض" .^(١)

ويقول : "وذلك لأن الذى يرتكب المعاصى يعتدى ، فاذا أهمل الاعتداء تفرقت الأمة ، واضطرب حبل الأمور فيها ، وصارت من غير روابط تربطها ، ولا وحدة تجمعها وأنا لنرى ذلك واضحا كل الوضوح فى الأمم التى انهارت فى أول صدمة فى الحرب الأخيرة فلقد قال زعيم لاحداها : انها انهارت لفساد أخلاقها وذهاب مكارم الأخلاق بين آحادها" .^(٢)

ولقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم أمته بالتزام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وخاصة عندما تتوسع هذه الأمة فى الأرض وتنضم اليها أمم وأجناس وحينئذ تسهل فرقتها ويكون الاختلاف أقرب اليها لتلقى هذه الأجناس والعادات فى أمة واحدة ، ولا عاصم لها من هذه المخاوف الا التمسك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهما القوة الجامعة لهذه الاشتات والمنهج الناجح فى تأليف القلوب وتوحيد الغايات والأهداف ولذلك تتحرك شففته صلى الله عليه وسلم لهذه الومية فيقول : "انكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم ، فمن أدرك ذلك فليثق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ،

(١) مر تخريجه **منها**

(٢) تنظيم الاسلام للمجتمع لأبى زهرة **منها** رقم الفقرة : ٢٧ .

(١)

ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار" .

وبعد فهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما السياسة الإسلامية الشاملة والسلوك الإنساني الذي يقرب رحم الإنسانية بعضها إلى بعض ، وهما الصورة الأدبية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية للحضارة الحقبة التي ينعم فيها الإنسان حقيقة ، وإذا اتجهت الأمة المسلمة في صحتها الجديدة بتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا شك أنها منتصرة ومتألفة ومتآزرة والا فهيهات هيهات لما يزعمون .

(١) رواه الترمذي في كتاب الفتن رقم ٢٢٥٧ ، وقال حسن صحيح ، ورواه أبو داود والامام أحمد أيضا .

الفصل الثالث

"الاصلاح بين الناس"

التمهيد :

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة في تكوين
الرأى العام وابرار الخير لتنشأ عليه الأمة وتبنى عليها
وحدتها ، وبذا يتحدد الشر فينحسر وتبعده الأمة عن نفسها
وتبرأ من فرقته ، وكذلك الاصلاح بين الناس فهو وسيلة أخرى
تفرض بقاء المودة وصفاء الأخوة والتراحم بين العباد ،
وتحمى المجتمع من التصدع والانفكاك ، بسبب الظروف الطارئة
من الاختلاف أو المشاجرة أو المنافسة غير الشريفة ، والاصلاح
بين الناس وسيلة قائمة بنفسها ومعاييرها النظرية وأدلتها
من الكتاب والسنة ولكي لايفترق المسلمون وتنوشهم المنازعات
بسبب مايطرأ عليهم من عوامل الفرقة التي لاتنظر سببا
لتأثير الشيطان وذويه ويستدعيها أقل نزاع وأخف وهم ،
والاصلاح بمعنى التهذيب والاستقامة والتربية هو مضمون ماتقدم
من عوامل الوحدة في الباب الاول ، وفي الفصل الاول من هذا
الباب ، التربية على المنهاج الاسلامى وحتى الفصل الثانى
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر روحه الاصلاح والتهذيب ،
ولذا فانه لاداعى لتكرار المفهوم ، وانما اقتصر فى هذا
الفصل على الجانب المصلح بين الناس ، اذا نجم الاختلاف ودبت
وسائل الفرقة بين المسلمين ، وهو امر جوهري فى بناء
الوحدة والمحافظة على العلاقات الطيبة بين افراد المجتمع
المسلم من جهة وبين المسلمين وغيرهم ممن يلتحق بالمجتمع

الاسلامى من الذميين والمستأمنين وسوف أتناول فى هذا الفصل
المباحث التالية :

المبحث الأول : مفهوم الملح فى اللغة والاصطلاح .

المبحث الثانى : الملح بين المسلمين .

المبحث الثالث : الاصلاح بين الناس فى المجتمع الواحد

المبحث الرابع : اثر الملح بين الناس فى الوحدة .

المبحث الأول

"مفهوم الصلح فى اللغة والاصطلاح"

"الصلح فى اللغة اسم بمعنى المصالحة ، وهى المسالمة
(١)
خلاف المخاصمة وأصله من الملاح ضد الفساد " .
ويقال "رجل صالح فى نفسه من قوم صلحاء ومصلح فى
أعماله وأموره وقد أصلحه الله " .
"والمصلحة : الصلاح واحدة المصالح ، الاستصلاح نقيض
الاستفساد ، واصلاح الشئ بعد فساده : اقامته على الوجه
المرضى ، والصلح : تصالح القوم فيما بينهم ، وقد اصطالحوا
وصالحوا وصلحوا وتماالحوا واصالحوا ، بتشديد الصاد ، وقلب
التاء صادًا وادغامها فى الصاد شئ واحد .
والصلاح بكسر الصاد مصدر المصالحة يؤنث والاسم منه
(٢)
يذكر ويؤنث "الصلح" .
والصلاح والفساد : "مختمان فى أكثر الاستعمال بالافعال
وقد قوبل الصلاح : بالفساد تارة وبالسيدة تارة فى القرآن
كقوله تعالى :
(٣)
{وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا}
وقوله :
(٤)
{ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها} .
وله اطلاقان : أحدهما : الصلاح فى نفس الانسان الموفق

(١) عمدة القارئ فى شرح صحيح البخارى ١٨٢/١١ .
(٢) انظر : لسان العرب والقاموس فى مادة (صلح) ، ومشارك
الانوار للقاضى عياض ٤٤/٢
(٣) الآية من سورة التوبة : ١٠٢
(٤) الآية من سورة الاعراف : ٥٦

بأن يكون مفطرا على الصلاح وناشئا عليه وهو المعنى الاخلاقى
التربوى للاصلاح . والثانى : ازالة المنافرة والمنازعة بين
الناس ليتآلفوا ويتحدوا على الخير وهو المقصود فى هذا
(١)
المبحث .

والصلح فى الاصطلاح هو نظام وضع لفض النزاع بين
المتنازعين ويتوصل بموجب هذا العقد الى الاصلاح بين
المختلفين وتخفيف حدة المشاجرة بين الناس وازالتها ،
باستئصال دواعى الفرقة الى ما هو اصلح للفرقاء ، والغالب
فى هذه الوسيلة الاهتمام فى أسلوبها أولا بتضييق شقة الخلاف
ويكون ذلك باستبعاد مالىس بخلاف من الاوهام والغموض
والالتباس ، وثانيا : بالتركيز على ما يقل من المتنازع فيه
(٢)
ليتقارب الاطراف ويعود الوثام .

وقد وردت مادة (صلح) فى القرآن بكل تصاريدها مئة
وثمانين مرة ، وفى مجموعها يتلخص أن الله سبحانه وتعالى
دعا عباده ووجههم الى الاخذ بجانب الاصلاح فى النفس وفى
الغير وفى العلاقة بين الانسان وأخيه الآخر ، وأن هذه
الوسيلة من المعالم القرآنية التى كثر استعمالها فى
أساليبها المتعددة ، سواء كان مايتعلق بوصف العاملين
بالصلاح أو بوصف العمل به أو بوصف الملاح نفسه بما يؤكد
مضمونه كقوله تعالى :

(٣)
{والصلح خير} ، وكثيرا مايرد فى هذا الأسلوب اقامة
(٤)
الوصف مقام الموصوف كقوله : {وعملوا الصالحات} اطلاقا لهذا

(١) انظر : المفردات للراغب الاصفهانى مادة (صلح) .
(٢) انظر : المغنى لابن قدامة ٥٢٧/٤ .
(٣) الآية من سورة النساء : ١٢٨ .
(٤) ورد فى اثنتين وستين آية .

(١)

الوصف على كل وجدان وتفكير وسلوك وعمل جاء
به الكتاب والسنة ، ويدعوان اليه ، بما فى ذلك توجيه
المسلمين أفرادا وجماعات الى أن يأخذوا بنفس المبادرة
التي جاءت فى الكتاب والسنة فيتجه كل فرد من الأمة الى
الإصلاح فى نفسه وفى غيره وسيلة الى الوحدة والأخوة .

(١) لقد حاول صاحب الوجوه والنظائر الدامغانى أن يصنف
مادة (صلح فى القرآن) ، وأراه أكثر من ذكر مترادفات
انظر : الوجوه والنظائر ص ٢٨٢-٢٨٣ .

المبحث الثانى

الصلح بين المسلمين

العقيدة تتجه بالمسلم الى أن يستوى ظاهره وباطنه وتتحد نوازمه ، فلا يتوزع وتنوشه اضطرابات نفسية ويتناقض بين غايات متباينة . ولا يجتمع شمل المسلم الا اذا أسلم من هذه النوازع وكان الله سبحانه وتعالى هو هدفه ، كما أنه لا يصلح المسلم مع غيره من اخوانه المسلمين الا اذا تماثلت عقيدته مع أعماله وقلبه واستقام مع جوارحه ، ويومئذ يكون المسلم لأخيه سلاماً وقوة وطمانينة . فالصلح فى النفوس والاستقامة على الحق فى حد ذاته رادع للناس ومرشد قائم فى ضمير المؤمن . ليكف المسلم عن كل ما يسبب الفرقة بينه وبين أخيه المسلم ، ويبتعد عن كل ما يحمله على النظام والعدوان على الغير .

كقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ^(١) من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " .

فالتربية بالعقيدة المحيية والعبادة المشروعة والأخلاق الفاضلة كل يحمل المسلم على كفا الأذى وترك الظلم لغير المسلم فكيف بأخوانه المسلمين .. ؟

(١) رواه مسلم فى كتاب البر والملة رقم الحديث ٥٨ .

(١)

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فى حديثه عن نزول
الأمانة فى القلوب ورفعها يقول : "ولقد أتى على زمان
وما أبالى أياكم بايعت ، لئن كان مسلما ليردنه على دينه ،
ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه وأما اليوم
(٢)
(٣)
فما كنت الا لأبايع منكم فلانا وفلانا " .

فالدين هو الرابطة القوية بين المسلمين وهو المانع
لاحداث ما يستدعى المصالحة .. !

ولاهمية الاصلاح بين المسلمين وضرورته أجاز الرسول صلى
الله عليه وسلم فى أن يستعمل المصلح بين الناس ما يشبه
الكذب لهدف ازالة الخلاف كما قال عليه الصلاة والسلام : "ليس
الكذاب الذى يملح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا " .
(٤)
وفى رواية : "ولم أسمع برخص فى شئ مما يقول الناس

(١) حذيفة بن اليمان العيسى من كبار الصحابة أصاب أبوه
دما فى قومه فهرب الى المدينة فحالف بنى الاشهل من
الأنصار ، فسماه قومه اليمان لكونه خالف قوما أصلهم
من اليمن ، وقد أسلم حذيفة وأبوه ، واستشهد اليمان
يوم أحد ، وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد أخبر أن الرسول عليه الصلاة والسلام
حدثه بما كان وما يكون حتى تقوم الساعة ، توفى سنة
٣٦هـ ، انظر : ترجمته فى الاصابة لابن حجر رقم ١٦٤٣ ،

ج ٢ .

(٢) قال ابن الأثير : الساعى واحد السعاة وهم الولاة على
القوم ، يعنى أن المسلمين كانوا مهتمين بالاسلام
فيحتفظون بالمدق والأمانة ، والملوك ذوو عدل ، فماكنت
أبالى من أعامل : "ان كان مسلما رده الى بالخروج عن
الحق عمله بمقتضى الاسلام وان كان غير مسلم أنصفنى منه
عامله " ، جامع الاصول ٣٢١/١ .

(٣) متفق عليه : البخارى فى كتاب الرقاق باب : رفع
الأمانة ، كتاب الفتن باب : اذا بقى فى حثالة من
الناس ، ومسلم فى كتاب الايمان باب : رفع الأمانة
والايمان .

(٤) متفق عليه ، البخارى فى كتاب الملاح ، باب رقم ٢ ،
ومسلم فى كتاب البر والصلة باب : تحريم الكذب
وما يباح منه . حديث رقم ١٠١ .

كذب الا فى ثلاث : الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل
امراته وحديث المرأة زوجها ^(١) .

وليس المقصود بالكذب استباحة هذه الكبيرة وانما
المقصود منه استعمال أسلوب يستخدمه المصلح ليقرب بين
المتباعدين كالاخبار بمايعمله من جوانب الخير من كل طرف
للاخر ، دون التعرض لجوانب الشر واماراته فيهما ، وهذا ليس
بكذب فى الحقيقة لأن المصلح لم يتكلم بما يخالف الواقع
وانما أراد أن يظهر المرغبات الخيرة لكل طرف من الآخر ،
وذلك تعليل بديع وتوجيه سديد ^(٢) .

ولعل المصلح حينما يتغافل أو يتجاهل عن جوانب الشر
فى المتنازعين يعيد الثقة بينه وبينهم ويدفعهم ذلك الى أن
يتنكروا للشر ويجفلوا منه بل ويسقطوه تجاه الآخرين : وهذا
التعليل اولى من تعليل الحديث بالتورية أو التعريض لما
فيهما من ضعف الحجة ، والاصلاح ينبغى أولا أن يعتمد على قوة
الحجة وسداد الأدلة ، ليزيد ويستمر ولاينفصم بكشف المغامرة
فى الاصلاح تورية أو تعريضا أو بشكل آخر ، لأن الامر المبنى
على غير حقيقة لايبقى ولايدوم .

والمقصود أنه ينبغى أن ينتهى الخلاف بقناعة ورضاء بما
تم به الصلح ، فلايستطيع الشيطان أن يعيد النزاع بأى شبهة
من الشبه لأنه لم يجد بقايا من بذوره لينمى الفرقة ويبث
الخلاف ، ولايكون ذلك الا اذا كان الاصلاح بين الناس ذا منهج

(١) رواية مسلم عن الزهري .
(٢) انظر : فتح البارى ٢٩٩/٥ ، النووى على صحيح مسلم
١٥٨/١٦ .

يبنى الحقائق ويستأصل جذور الفرقة وبذور الخلاف من أدق مخابئها بلطافة ، دون التعر المثير .

والمنهج الذى يلزم أن يتبعه المسلمون فى الإصلاح بينهم أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليه فى بيان واضح وتفصيل كريم فى قوله تعالى :

{وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفى الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين ، انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون} (١) .

فالله جلت قدرته لا يريد للامة المؤمنة أن تتوزعها النزعات ويفرقها ويضعفها الخلاف وقد ألف بين قلوب المؤمنين بالايمان ، ووحدت الاسباب والغايات ، وحرم على كل مؤمن دم أخيه المؤمن وماله وعرضه الا ماكان بحق ، هذا هو المبدأ والمنهاج المستقر الثابت ، الذى لايتغير ولايتبدل ولايحرف ويعدل الى غيره من النظريات ! ولكن قد يفرض الامر الواقع الخروج عن هذا السلوك من بعض المؤمنين وتسوء العلاقات الوطيدة ، فتتمدع وتنفك الروابط وقد تشتعل نار الفتنة ، وتنفجر حمية العممية ، وقد تنشب حرب وممارعات بين الافراد أو الجماعات أو القبائل أو الدول ، فتكون الامة المسلمة أمما وبدل من كونها طائفة واحدة ، متآزرة متماسكة ، تكون طائفتين أو طوائف ، وكأنها لم يؤلف الايمان بين قلوبها ولم

(١) الآيتان من سورة الحجرات : ٩-١٠

تربطها العقيدة ، ولم ينظمها العمل الصالح فى التربية والاتجاهات نحو غاية واحدة ...!

وهل ذلك يرضى به المنهج الإسلامى فى الأمة التى كانت الوحدة والاخلاص لله فى كل شئ أساس التكوين بالنسبة لها ؟ وهل ثم بقاء لمعنى الأمة المسلمة مع التوزع والتصدع والاختلاف وكثرة الفرقة ... ؟ .

وبتدبر أسلوب الآيتين ودقة التفكير فى منهجها نجد البيان الشافى لنموذج من الانفكاك والتصدع الذى تجب مقاومته بالاصلاح - ان حدث - لانه يخالف التكوين العضوى للأمة المؤمنة ويباين دوافعها وغاياتها الموحدة هذه الأمة طائفة واحدة ، وذلك هو الأصل ولايفرقها الا مخالفة المنهج الذى تكونت عليه من الوحدة والالفة والتعاون والتناصر فخروج بعض المؤمنين بوصفهم طائفتين ووصفهم بالافتتال واحتمال وصف أى فريق من هؤلاء الخارجين من المجموعة الكبرى الأمة المؤمنة ، بالبغى أو احتمال وصف الخارجين جميعا بالبغى ، كل ذلك يفرض على المؤمنين الباقين التدخل بالاصلاح ، سواء كانوا أقل من المختلفين أو أكثر فوصف الأمة المؤمنة والجماعة الصحيح انما هو هؤلاء الذين كانوا على الأصل وهو التمسك بوصف الايمان عمليا وحمل راية العدالة وميزان الحق والانصاف ومشاعر الأخوة الإسلامية وروابط التقوى ، وهذا بين فى أسلوب الآيتين حيث وصفت الطائفتان بأنهما من المؤمنين و{من} بيانية وخطب بقية الأمة بخطاب التكليف بالاصلاح {فأصلحوا} ، ثم ان هذا الاصلاح قد يمل مستواه الى القتال بجانب المظلوم اذا لم يردع الظالم النصيح والتوجيه ويوقفه عن الفساد

والانحراف ، غير أنه لا يقاتل إلا بما يقاتل به فمن العدالة والشعور بالأخوة ألا يواجه البغاة من المسلمين إلا بمثل ماواجهوا به غيرهم ولا يحمل على جريحهم ، ولا يتبع الهارب ، ولا تستباح الأموال والذرية والنساء ونحو ذلك منهم مما يستباح من الكفار إذا نشب القتال بينهم وبين المسلمين .

والإصلاح مطلوب قبل القتال وبعده ، وإنما يمنع الإصلاح إذا تعذر الوفاق بين الفريقين فلا بد أن يسبقه القتال (١) تأديبا للباغي ولا يجوز أن يمالح على الظلم ..

هذا منهج الكتاب وأسلوبه في الإصلاح بين المسلمين إذا اختلفوا بصورة شاملة ، ولاتخلوا الأمة من بعض الاختلاف والنزاع حتى ولو أقرادها إلى مستوى الإيمان ، وهي كذلك لا يجوز أن تخلو من حركة الإصلاح ووساطة الخير . والائتان تتناولان استخدام وسيلة الإصلاح في كل نزاع وخلاف لئلا ينمو في جسم الأمة ويسرى في عروقها النابضة ويسوس في صلابتها فتذهب ريحها .

وهناك نموذج آخر من هذا المنهج وأسلوبه خاص يدور في فلك الأسرة ولعله مثالا للمنهج الذي ينبغي سلوكه في الإصلاح بين الأقارب والأرحام ، وهو أن يكون الفريق المصلح من فئة المختلفين ليكون البحث دقيقا والنتائج محمودة وسليمة على أي شكل ظهرت واستبانة ، كما في حالة الخلاف بين الزوجين في قوله تعالى :

(١) انظر : منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي ص ٣٥٧-٣٧٩ ، وفيه بيان مراجع الموضوع .

{وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا} .^(١)

فعلى الحكمين أن يقوموا بكل مايزيل الخلاف فى الاسرتين المتماهرتين ، ويصدان انف النزاع لئلا تشتعل ناره فى الاسر المجاورة ويستقطب أرحام كل من الزوجين .

فالمهمة شاقة ودقيقة لأنها تستأصل مادة النزاع والخلاف وهى محصورة فى الفردين الزوجيين فقط ، قبل أن تسرى عدواها فى الأقارب من قريب أو من بعيد ، ولذلك كان المطلوب فى الحكمين المصلحين هو اقرار وتنفيذ للأمر الذى فيه ضمان حسم الخلاف والنزاع دون اجراءات قضائية سواء كان وفقا أو فراقا ، فالله سبحانه وتعالى أمر بأن لايعيش فى بيت خلاف وصراع يتوارشه الابناء ويتشاجر عليه الأرحام ...! .^(٢)

حتى ولو كان الشقاق من طرف واحد فان الإصلاح منهج مطلوب ووارد لما ذكرت فان شقاق طرف واحد فى الأسرة يثير شقاق الطرف الآخر أيضا وخاصة حينما يكون المنشق هو الزوج وهو الطرف الأكثر عقلا ومسؤولية ، كقوله تعالى :

{وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا} .^(٣)
فهذه دعوة أخرى الى الصلح وهو المختار والأولى دائما حتى ولو كان الأمر مرتبطا بغريزة نفسية لايقوى الانسان على

(١) الآية من سورة النساء : ٣٥

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٧٤٤-٧٤٥ .

(٣) الآية من سورة النساء : ١٢٨

التحكم فيها كميل قلب الزوج الى احدى الزوجتين نفسيا ،
فانه مدعو الى الصلح مع الزوجة الاخرى دون اجراءات قضائية
فالصلح افضل من انكماش النفوس شحا وشدة فى طلب الحقوق ،
وفى الآية مايؤكد اهمية الصلح والاخذ بأهدابه وهو الاحساس
الى الغير ، واستشعار التقوى ومراقبة الله عز وجل .^(١)

ولئلا يخرج الصلح من دائرة الأسرة لم يستدع له حكم فى
هذه الحالة وانما على الزوجين أن يمتثلوا دون تدخل أحد ،
والواقع أن منهج الكتاب فى توجيه الناس الى هذا السمو
الاخلاقى يفسر الغاية فى وسيلة "الاصلاح بين الناس" وهى
الابتعاد بالأسرة التى هى القاعدة الاولى لتكوين الوحدة
اجتماعيا ومن جداولها المتصاهرة الابتعاد عن كل مايزرع
الخلافا حتى مجالس القضاء الشرعى التى قد يسبب الفصل فيها
انفصالا واحقادا فى النفوس فيها التى لاترخص الا بالقوة ،
ومن هنا كانت الكلمة القرآنية فى غاية البيان والجمال
والدقة "والصلح خير" ولايمكن لهذه الخيرية أن تنتهى فى
مجالها مادام الاصلاح يزرع المحبة والوئام ويدعوا الى
الوحدة والتناصر .!

ولا عجب أن ينقل لنا القرآن النموذجين المذكورين فى
الاصلاح لوحدة الأسرة ، فالأسرة هى الأمة الصغيرة التى تنشأ
عنها الأمم وينتج منها الافراد الذين يرجى منهم السعى فى
الاصلاح بين الناس جملة وتفصيلا ، والاخلاق الفاضلة أساسها
الأسرة ومن خلالها تربي الانسان على الرحمة والكرم فكل

(١) انظر : فتح البارى على صحيح البخارى ٢٦٥/٨ ، وانظر :
التفسير الكبير للرازي ٦٦/١١ - ٦٧ ، ظلال القرآن لسيد
قطب من ٧٦٩-٧٧١ ، المجلد الثانى .

الفضائل المحموده مأخوذة من الأسره الأولى ، ولا رصيد للانسان من الفضائل اذا ترك الأسره وتفككت روابطها ووشائجها فالعدو للأسره عدو للنوع وللفضائل وهادم لقاعدة الوحدة العالمية !^(١)

وأما السنه المطهرة فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية الإصلاح بين الناس ومنهجه عليه الصلاة والسلام فى هذا يركز على بيان فضل الإصلاح وشواب من قام به وهو بهذا يشرح ماجاء فى الكتاب العزيز من أن الإصلاح معلم من معالمه سواء ماكان منه بإصلاح النفس أو إصلاح الغير أو إزالة عقبات الخير بين الناس ، ومن أوضح الأدلة المرغبة فى الإصلاح والتى تبين وتفصل ماجاء فى القرآن من الاجمال فى مثل قوله تعالى : {والصلح خير} ، وأمره تعالى فى آية الحجرات بالإصلاح بين الاخوان فى الاسلام ، فيقول عليه الصلاة والسلام : "ألا أخبركم بأفضل من درجة الميام والصلاة والمدقة ، قالوا بلى ، قال : صلاح ذات البين ، فان فساد ذات البين هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين"^(٢) .

فأسلوبه عليه الصلاة والسلام فى هذا يبلغ من دقة البيان وقوة الترغيب الى درجة أن المصلح الذى يزيل الخلاف والشحناء بين الناس ويؤلف القلوب ويقوى المؤمنين بعضهم ببعض أعمى وأنفع ممن اقتصر على صيامه وصلاته ومدقته فقط ولا يهتم بما يدور بين المسلمين والتوزع بين أفرادهم وجماعاتهم !..

(١) انظر : حقائق الاسلام وأباطل خصومه ص ١٥٥-١٥٦ .
 (٢) رواه الترمذى رقم ٢٥٠٩-٢٥١٠ ، وقال : حديث حسن صحيح ج ٤ .

يقول ابن القيم :

"فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذى يعتمد فيه رضى الله سبحانه وتعالى ورضى الخصمين ، فهذا أعدل الصلح وأحقه وهو يعتمد العلم والعدل ، فيكون المصلح عالما بالوقائع ، عارفا بالواجب ، قاصدا للعدل ، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم " .^(١)

وهكذا كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل المواقف والاصلاح بين من جملة الشماثل والفضائل التى فطره الله عليها فرغم أنه ولى أمر المسلمين وقاضيههم وهو الذى شرع الله على لسانه وبتمرفاته ، ومع هذا فإنه دائما يأخذ جانب الصلح بين الناس قبل القضاء والحكم ، ولا عجب لأنه صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن ، وفى القرآن كما مر فى الآية {الصلح خير} كما فى هذه القصة وهى :

أن الزبير كان يحدث أنه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدرًا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرة^(٢) كانا يستقيان به كلاهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى فقال : يارسول الله أن كان ابن عمتك ، فتلون وجه رسول

-
- (١) أعلام الموقعين لابن القيم ١٠٩/١-١١٠ .
 (٢) مر تخريجه قول عائشة هذا تصف الرسول صلى الله عليه وسلم لما سئلت عن أخلاقه .
 (٣) الزبير بن العوام بن خويلد أسد حواري رسول الله ﷺ عبد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة من أهل الشورى أسلم وعمره اثنتا عشرة وقيل ثمان سنين قتل اشر الجمل سنة ٣٦ ، انظر : ترجمته فى الاصابة ٥٤٥/١-٥٤٦ .
 (٤) اختلف فى تعيين اسم الانصارى هذا ، انظر : فتح البارى فيما ورد من الروايات ٣٨-٣٥/٥ .
 (٥) شراج يجمع على شروج والمراد به مهيل الماء فى الحرة .

الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسق ثم أحبس حتى يبلغ
 (١)
 الجدر ، فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير ،
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على
 الزبير برأى سعة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول
 (٢)
 الله صلى الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه فى صريح
 (٣)
 الحكم " .

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم فى الحرص على الإصلاح
 بين الناس قبل القضاء : " أنه سمع صوت خموم بالباب عالية
 أصواتهم ، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه فى شئ وهو
 يقول : والله لأفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال : أين المتألى على الله لايفعل المعروف ؟ فقال أنا
 (٤)
 يارسول الله ، فله أى ذلك أحب " .

(٥)
 وعن كعب بن مالك أنه كان له على عبد الله بن أبى
 حدرد قال ، فلقية فلزمه حتى ارتفعت أصواتهما ، فمر بهما
 النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ياكعب - فأشار بيده كأنه

-
- (١) فاستوعى : المقصود به استوفى وهو من الوعى كأنه جمعه
 له فى وعاء ، يقال : استوعى فلان حقه من فلان إذا أخذه
 منه كله ، غريب الحديث لابن الأثير .
- (٢) أحفظ : يذكر ابن حجر عن الخطابى أن هذه العبارة من
 كلام الزهرى أدرجه ، انظر : فتح البارى ٣٨/٥ .
- (٣) رواه البخارى فى كتاب الصلح باب رقم ١٢ ، وفى كتاب
 المساقاة فى باب رقم ٦ ، باب رقم ٧ (شرب الأعلى قبل
 الأسفل) .
- (٤) رواه البخارى فى كتاب الصلح باب هل يشير الامام
 بالصلح رقم ١٠ .
- (٥) أبو عبد الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك الأنصاري السلمى وهو شاعر
 ومن الثلاثة الذين تخلفوا فى تبوك وتاب الله عليهم ،
 توفى بالشام فى خلافة معاوية ، انظر : ترجمته فى
 الإصابة رقم ٧٤٢٧ ، ج ٦ .
- (٦) عبد الله بن أبى حدرد واسمه سلامة ، وقيل عبید وهو
 الأسلمى من هوازن مات سنة ٧١هـ ، الإصابة رقم ٤٦١٢ ،
 ج ٦ .

(١)

يقول : النصف - فأخذ نصف ماله عليه وترك نصفاً .

فيبدو من هذه النصوص أن الرسول صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على استخدام وسيلة الملح بين المسلمين ، يبدأ بها قبل القضاء والحكم الذي يجب تنفيذه ولو أدى ذلك إلى أن يتنازل صاحب الحق عن بعض حقه للإصلاح وبقاء المودة والأخوة لأن الفصل في الخصومات بالقضاء قد يورث الشحناء والفرقة ، بينما الملح يقدم به الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكون كل مسلم متخلقاً به وأن يكون قاضياً على نفسه دون أن يحمله أحد على شيء فالمسلم أقرب إلى المسامحة والمؤالفة بالنسبة لأخيه من المخاصمة ...!

(١) رواه البخارى فى كتاب الملح باب رقم ١٠ .

المبحث الثالث

الإصلاح بين الناس فى المجتمع الواحد

الإسلام دين عالمى ، وعقيدة شاملة للخلائق أجمعين ، وقد نزل القرآن الكريم وانتشرت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم داعية الناس الى أن يكونوا جميعا عبيدا مخلصين لله محققين العبودية الوجدانية والعملية بالإضافة الى ما فطروا عليه من الاعتراف بالربوبية لخالقهم الواحد الفرد الممد . ومن الأهداف السامية لهذه الرسالة العالمية إيجاد وحدة بشرية تحت شعار الدولة الإسلامية بين الناس وإن اختلفت عقائدهم وتباينت مشاربهم ، لعل الصواب يغلب غيره ويذوب الباطل أمام الحق ، ويتنبه المخالف بالتعاون والمجاورة مع المخلص المتابع الموافق للحق .

فالمجتمع الإسلامى قد يضم غير المؤمنين بمبادئه العقائدية والشرعية من الذميين أو المستأمنين .

وهى فرصة لإبراز شموله وتسامحه ، وتحقيق قدرته القيادية وصياغته السياسية .

والوحدة تتجه بكل من فى المجتمع من المسلمين وغيرهم الى التعاون والوحدة على المصالح الدنيوية على الأقل إن لم تكن الوحدة على العقيدة والقيادة ، لأن الإسلام دين شامل للرعاية الإنسانية ، والتسامح الذى يتيح الفرصة لغير الحربى من الأجانب أن يتعرف بالعقيدة الإسلامية والمثل الأخلاقية والحضارية والإنسانية فى رسالة الإسلام ، وحتى الحربى تتاح له الفرصة بالهدنة إذا أرادها ، لعل الجميع

يتوب وينوب ويستغفر رغبة فى الدخول فى الاسلام الذى حماهم
ورعاهم بين رعاياه رغم مايحملون له من كراهية والمخالفة ،
فيتأكد لهم أن الاسلام لا يريد للانسانية الحق دمارا ولا يدعو
الى عنصرية ولا فرقة ، وانما يريد المفاهمة بالاجتماع ، على
أقل تقدير ويريد أن يحرر الانسانية على الأرض ويكرم الانسان
ويمنح له حريته وكرامته الانسانية .

فكما أنه لا اكراه فى الدين الحق بعد بيان الحق ووضوح
الهدى فمن باب أولى لا اكراه فى الكفر .^(١)

فلا يجوز أن يحمل الانسان على الايمان أو رفضه بغير
ارادته لأن الله يثيب ويعاقب على هذه الارادة والاختيار .
ووسيلة الاصلاح من أهدافها المحافظة على الأمة بكل
عناصرها ، وتضييق دائرة الاختلاف لتبقى الأمة بقوتها العددية
والمعنوية متماسكة ، ولهذا تجاوزت السياسة الاسلامية فى
الاصلاح : الأمة التى على العقيدة الاسلامية الى عناصر أخرى
لاضافتهم الى الأمة ولو كانوا على غير عقيدتها ، وهم
الذميون ، والمستأمنون ، فهؤلاء تجمعهم مصالح سياسية
 واجتماعية واقتصادية مع الأمة .

وساتعرض بتعريف العناصر غير المسلمة التى قد توجد فى
المجتمع مع بيان مالهم وماعليهم فى مطلبين :

(١) كقوله تعالى : { لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من
الغى } ، الآية من سورة البقرة : ٢٥٦

المطلب الأول

أهل الذمة

الذمة فى اللغة : العهد ، ومضمونه مطلقا هو الامان
(١)
والضمان والكفالة .

وهذه الكلمات الثلاثة التى هى مضمون العهد : تشمل
جميع الحقوق الانسانية والاجتماعية والسياسية ، والمقصود
بالذمة عند الفقهاء : تقرير غير المسلمين على البقاء فى
ديار الاسلام والالتزام بحمايتهم والدفاع عنهم ماداموا فى
حمى الدولة الاسلامية مقابل دفع جزية يدفعها من يقدر على
حمل السلاح ويصلح للقتال حسب ما صار عليه الاتفاق ، وعلى
الذى الارتباط المجتمع الاسلامى سياسيا والاتفاق معه ،
ومسالمة من سالمه ومعاداة من عاداه .

ولا ينفذ هذا العقد الا الامام أو من يقوم مقامه سواء
كان هو البادئ به مع الذميين أو باقراره وامضائه اذا عقده
بعض الرعية .

ولهذا العقد شروط وجد فيها بعض الاختلاف بين الفقهاء ،
وخلاصتها : أن يكون الذى ممن يصلح أن يعاهد فى السياسة
الاسلامية ، ولا يكون ممن ارتد عن الاسلام ، ولا يكون العقد محددا
لأنه بديل عن الاسلام فى عصمة الدم والمال .

وعقد الذمة واجب الالتزام به لا ينقضه الا اسلام الذى أو
لحوقه بدار الحرب أو محاربته المسلمين ، أو امتناعه عن

(١) انظر : لسان العرب فى مادة (ذمم) والقاموس المحيط
للفيروز آبادى .

دفع الجزية ، أو تحامله على الاسلام أو المسلمين بالذم
(١)
والعيب .

فالذميون هم الذين يقيمون اقامة دائمة فى ديار الاسلام
بموجب عقد الذمة ، وهم بهذا من رعايا الدولة الاسلامية ،
وتنفذ عليهم احكام المعاملات والعقوبات التى تطبق على
المسلمين ، ويعفون من بعض الاحوال الشخصية التى لها علاقة
بدينهم وعقائدهم كالزواج والطلاق واباحة بعض المحرمات
المباحة فى دينهم ، ماداموا يخضعون للدولة الاسلامية
ويدفعون الجزية .

ويقدمون الطاعة والولاء كمواطنيها المسلمين . قال
تعالى :

{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين
أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون} .
(٢)
فكلمة عن يد تعبير عن سعة مافى اليد لئلا يكلف الذمى
مالا يستطيع .

وكلمة صاغرون المقمود بها تقديم الولاء والطاعة
(٣)
للدولة الاسلامية .

وقد حفظ المسلمون فى دولهم العهود والمواثيق للذميين
وأوفوا لهم كل ماعاهدوهم عليه من ضمان الحقوق والاموال
والقضاء لهم بالعدل واحترام انسانياتهم وتقدير دورهم

(١) انظر : الاحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٢-١٤٦ ، ط ١ ،

الفقه الاسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ٤٤٢/٦-٤٤٩ .

(٢) الآية من سورة التوبة : ٢٩

(٣) انظر : الطبرى ، القرطبي ، ابن كثير عند هذه الآية .

الاجتماعى بصورة لم يعرف التاريخ له مثيلا ولم تعرفه القوانين الدولية قديما وحديثا .

حتى عد الذميون جزءا من المجتمع الاسلامى مع اختلافهم
(١)
فى العقيدة .

ومع هذه الحقيقة التاريخية لايجل كتاب غربيون ومن سلك مسلكهم ، وكتاب من سلالة أولئك الذميين أن يظعنوا فى الاسلام ويتناولوه بالنقد فى معاملته للذميين اجتماعيا والتي بلغت الى حد أن الدولة الاسلامية ترد عليهم ماأخذ منهم اذا أوجست من نفسها خيفة فى أنها قد لاتقدر على الدفاع عنهم كما صنع أبو عبيدة فى رد أموال الجزية الى الذميين فى مدن الشام لما علم بحشود الروم فى حدود الدولة الشمالية ، وقد وقف الذميون من هذا موقفا رائعا حيث رجو ألا تفارقهم الدولة الاسلامية وألا يكونوا فى مجتمع غير هذا المجتمع الاسلامى .

(٣)

وكذلك فعل صلاح الدين حينما انسحب من الشام فرد على نصارى الشام الجزية ، كل ذلك رغب الذميين فى البقاء تحت الدولة الاسلامية بل شجعهم على البقاء بعقائدهم لأنه لا يكرههم أحد فى مفارقة دينهم والدخول فى الدين الغالب مع الأمة

(١) انظر : معالم الثقافة الاسلامية ص ٢٢٩-٢٣٢ ، وانظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٢/٢٩ - ١٤٦ ، ٦٥١/٢٨ - ٦٥٧ .

(٢) عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى مشهور بكنيته أحد العشرة السابقين الى الاسلام ، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمين هذه الأمة ، توفى سنة ١٨هـ .

انظر ترجمته فى : الاصابة ٤٣٩٣/٥ .

(٣) هو صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى أو المظفر الملقب بالملك الناصر وأصل أبيه من قرية دوين فى شرق آذربيجان ، فهو كردى ولد بتكريت سنة ٥٣٢هـ ، وقد توفى سنة ٥٨٩هـ ، انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٢٩١/٩ - ٢٩٢ ، ط ٢ .

الغالبية ، وهم يتمتعون بما لا يتمتع به حتى المسلم حيث انهم يتعاطون الخمر ويأكلون الخنزير ويتاجرون فى ذلك وهى امور محظورة على المسلم وتحول الدولة الاسلامية بينه وبينها (١) وتؤدب عليها حدا وتعزيرا .

كما أن المسلم يدفع من ماله زكاة وصدقة ونفقة وغيرها أضعاف ما يدفعه الذمى ، فى الوقت الذى يكلف فيه المسلم بالدفاع والحماية وليس كذلك الذمى .

(١) انظر : أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٢٢-٤٥ ، ط سنة ١٤٠٢ ، مؤسسة الرسالة ، والفقه الاسلام للدكتور وهبة الزحيلي ٧١٩ وما بعدها ج ٦ .

المطلب الثانى

المستأمنون

وهم الأجانب الذين يدخلون البلاد الإسلامية ولا يقيمون بها إقامة دائمة كالذميين ، وكل أهدافهم التجارة والعمل والدراسة أو عند ذلك من الأعمال المباحة ، فقد عرفت لهم الدولة الإسلامية حقوقهم واعترفت لهم بحريتهم فأعطتهم الأمان فلا يظلمون ولا يمنعون من مهماتهم ، وتتخذ منهم الجزية فى مقابل هذه التسهيلات التى يحجبها الدفاع عنهم فى البلاد الإسلامية وعليهم حقوق كالتى على الذميين بل الفرق بين المستأمن والذى هو مداومة إقامة الذى فى الدولة الإسلامية خلاف المستأمن ، وعند كثير من الفقهاء أن المستأمن اذا طالت إقامته صار كالذى ، ومما حفظته الدولة الإسلامية للمستأمنين أن أموالهم التى اكتسبوها فى البلاد الإسلامية لاتؤخذ منهم ولا يعتدى عليها ولو عادوا الى ديارهم وحملوا السلاح على المسلمين ، واذا توفى المستأمن فى الديار الإسلامية ترسل أمواله الى ورثته أما فى حالة اشتراكه فى الحرب ضد المسلمين أو وقوعه فى الأسر والاسترقاق من جهة المسلمين تحل أمواله للمسلمين ، وتطبق العقوبات الشرعية فيما يتعلق بحقوق العباد عليهم ، وفيما يتعلق بحقوق الله تعالى فيه اختلاف بين الفقهاء فهل يعاقب أو لا ؟ ، وبناء على هذه الحقيقة الحضرارية والسياسية الهادفة ، والتى تستحق .

(١) انظر : أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الإسلام للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٦-٥٦ .

بحق الوصف بالعالمية وحدها يمكن الوحدة الانسانية العالمية تحت راية الاسلام ، لان الدولة الاسلامية ، لاتتبنى حدودا جغرافية ولا عنصرا بشريا معينا ، ولم تتقيد جنسيتها بدم أو سلاسل معينة ، وانما هدفها فى الناس جميعا أن تجد كرامة الانسان فردا أو جماعة أو شعوبا حريتها ولاتكون حواجز بين الانسان ودعوة الله التى جاءت بها الرسل تترى ووسعت الانسانية كلها فى الرسالة الأخيرة الخاتمة رسالة الاسلام ، فلو ترك الناس الحرب والعدوان والاعتداء وتركوا الدعوة الاسلامية وشأنها وهى قفيلة تنتشر بين الشعوب والاجناس بأساليبها الهادئة المطمئنة ، فلو تركت الدعوة هكذا لما اعتبرت الاسلام فى نظامه السياسى والاجتماعى الانسانية بأكملها الا رعيته ، يلزم على الدولة الاسلامية أن تحقق لكل فرد حقوقه وتحمى كرامته ، بغض النظر عن عقيدته ورأيه !..

المبحث الرابع

أثر الصلح بين الناس فى الوحدة

أفراد الأمة هم اللبنة التى يتكون منها البناء ولذلك كانت دعوة الاسلام الى الإصلاح والأمن والسلام تتجه أولا الى مفاء النفس وسلامة الفرد ، وتخليصها من عوامل الاضطراب والغل والاثانية والميل الى العدوان ، ويكون الفرد بذلك نفسا هادئة تألف وتؤلف تسعى الى هدف منشود وهو رضى الله سبحانه وتعالى ، فتقل دائرة الخصومات ويندر الانهماك فى الجوانب المادية وتعلو انسانية الفرد واذا تسامقت انسانية الأفراد ودارت حياتهم على غير الجوانب المادية سوف يأنس بعضهم الى بعض ويقل الشجار وتتداعى النفوس الى وحدة تجد سلوتها وتجنئ ثمارها ، وليس المقصود بهذا الفاء الواقعية المادية ولا تقليل شأنها فى حياة الانسان ، لأن وجود الانسان نفسه وجود مادي له ارتباط بواقع يعيش فيه يدركه ويحسه ، وانما يراد بأفراد الأمة ألا يمتنعوا ويمنعوا فى المادية حتى كأنه لا رباط بينهم الا بالمظاهر المادية المتشابهة ، دون الحقائق الروحية والشعور الانسانى الذى يسرى فى المشاعر ويلقى بين النفوس ويرمها فى صف واحد وتموغها الوحدة فى الجسد الواحد .

ومن مجموع الأفراد الذين اتسع لدى كل واحد منهم نطاق الاطمئنان النفسى وخلت نفسه من الشر والاعتداء ، يقوم مجتمع تسوده الوحدة بعلاقات أفراد بعضهم ببعض وبالتوازن بين

(١)

الجوانب المادية والمثل الأخلاقية وقيمتها .

هذا هو المنهل الذى تروث منه النفوس فائقات للإصلاح والوفاق والتهذيب ، وماكان الصلح بين أفراد الأمة وجماعاتها وأسرها إلا غرسا للوحدة وتشجيذا لبنائها ولذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتسرع إليه دائما لأنه به يلم الشمل ويمل رحم المؤمنين بعضهم ببعض ، وقد حصل نزاع بين أهل قباء حيث أخبر : "أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة ، فأخبر رسول الله بذلك فقال : اذهبوا بنا نصلح بينهم" (٢) .

وقد أصلح بينهم عليه الصلاة والسلام وكان لذلك أثر فى إعادة الوحدة بينهم وتأليف القلوب وذهاب الضغائن ورد كيد المنافقين واليهود الذين كانوا يستثمرون الخلاف بين الخزرج والأوس ولكن الإصلاح والصلح لهم بالمرصاد .

بل أنه صلى الله عليه وسلم بشر بوحدة بين المسلمين بسبب صلح يقوم به ابن ابنته الحسن بن على رضى الله عنهم جميعا ، فقال عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر يخطب والحسن عنده : ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين . (٤)

وهذه معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام كشف الله له عن سرها وأراه مستقبلها ، وقد مرت الأيام حتى بويغ

-
- (١) انظر : الدين والحفارة الانسانية للدكتور محمد البهى ص ٣١١-٣١٢ .
 (٢) رواه البخارى فى كتاب الصلح باب رقم ٣ .
 (٣) انظر : فتح البارى لابن حجر ٢٩٩/٥ .
 (٤) رواه البخارى فى أول كتاب الصلح ، وفى كتاب الفتن باب رقم ٢٠ .

الحسن رضى الله عنه بعد أبيه على رضى الله عنه خليفة
للمسلمين فى وسط دماء تجرى بين المسلمين واغتيالات غادرة
واختلاف عريض نشطت دعايته بين الأمة ووصل ذروته الى حد أن
نفوسا تنتمى الى الاسلام ظمئت الى دماء أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم نجوم الدحى وليوث الجهاد وتلامذة الوحى
وناشرو الدعوة فى الافاق ، وأسفر هذا الاختلاف عن معسكرين
عظيمين للمسلمين على رأس أحدهما الخليفة الشرعى الحسن بن
على رضى الله عنهما وعلى رأس الآخر المحابى الجليل المنشق
عن الخليفة وهو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ونظر
العقلاء من الفريقين وتدبروا الموقف الرهيب ومن ضمنهم
الرجلان الحسن ومعاوية رضى الله عنهما ، فرأوا أن الدماء
سيزيد سفكها والأخوة الاسلامية ستذهب بددا والاختلاف سيتسع
خرقه ، والأمة لاتبقى لها بقية بعد هذه المواجهة الخطيرة
والجميع يذكر النبى عليه الصلاة والسلام ويتلوا القرآن
الكريم فلم يبق أمام القوم الا هذه الوسيلة التى جاءت فى
القرآن ألا وهى "الصلح" والصلح خير ودعت اليها السنة ،
لأنقاذ الأمة وتبدأ وحدة جديدة تستمر قرونا الى أن تسقط
الخلافة العباسية وقد امتدت الدعوة وطوت أفاقا وشملت أمما
وضمت أجناسا وأسقطت امبراطوريات جاهلية عاشت فى الأرض
فسادا وذاقت الانسانية عذابا ، وكان الحسن رضى الله عنه
كراما لبقا ذكيا رحاما ودودا يبدو أنه أشد القوم تفكيراً
فى وسيلة الصلح انقاذاً للأمة فهو نفسه يروى فى هذا الموقف
ما وصفه به جده صلى الله عليه وسلم من أنه يصلح الله به

مابين المسلمين ، فتلقاها بكل سرور واطمئنان مترفعا عن
(١)
مغريات السلطان وسكراته ، فتنازل لمعاوية وبايعه ،
(٢)
ومزيت الخطى الا وشيجه ، وتغرس الا فى منابتها النخل .

(١) انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ٥٩-٥٤/١٣ .
(٢) قول النابغة الذبياني من قميدة يمدح ملوك الفساسة .

الفصل الرابع

تطبيق الاخوة الاسلامية بالرعاية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

التمهيد :

الوحدة فى المشاعر والوجدانات والعقيدة ومنهج الحياة
عبادة وسلوكا لاتعطى ثمارها مالم يشعر المؤمنون بمبادئها
- بالتلاحم الاخوى والترابط فى كل المجالات ، ترابطا فوق
الترابط المادى العنصرى ، الذى يكون بسبب الدم او اللون
او الوطن او الجنس .

ولايكفى الاتفاق فى المنهج والتفكير مالم يكن الشعور
بالاخوة مدلولاً لهذا الاتفاق ، وهذه من خصائص الاسلام لانه جاء
لتحقيق امرين :

الاول : الحياة على منهج يرضاه الله سبحانه وتعالى
ويرفض كل ماخالفه من المناهج العقائدية والسلوكية
المباينة لرسالة الاسلام وهذه هى الوحدة نظريا .

الثانى : تطبيق العقيدة والعبادة فى المعاملة بين
الناس على اساس الارتباط بينهم بغير الجوانب المادية التى
لا تتجاوز حدود التراب والجنس والدم وما يتبع ذلك من
النظريات المادية من الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة
ونحو ذلك مما يدور فى فلك المادة ، ويظن البشر انه يجمعهم
ولكنه فى الحقيقة يفرقهم من حيث ظنوا الوفاق ، أما الاخوة
الاسلامية فهى تنبع من الشعور الانسانى بالوحدة فى العبودية

لرب واحد والوحدة فى الممير ، فتأخذ بالجوانب المادية على أساس أنها أدوات تساعد فى بناء هذه الاخوة ، لاعلى أساس أنها تستقل ببناء خاص ، ومن ثم تبين أن الوحدة الاسلامية توظف الماديات لبنائها مع أن الأساس فيها هو الايمان والعبادة والأخلاق وهى عوامل تشمل الماديات فى التطبيق وتفق مابنى عليها فى الانسانية .

هذا والاخوة الاسلامية ليست كما يتصور كثير من المسلمين أنها مجرد لقاء التحية بين المسلمين لمن أراد أو أداء الشعائر التعبدية فى زمن واحد أو موضع واحد أو اباحة المماهرة بين أفراد المسلمين وأجناسهم أو أنها كف الأذى عن الأخ المسلم فقط مع الابتعاد عنه وظن السوء به والترفع عنه وليست الاخوة الاسلامية أن يشعر المسلمون فيما بينهم بها ولكنها فى مرتبة القومية والوطنية أو العرقية أو أنها وجدان ولكن هذه العنصريات هى الحياة العملية ونصيب الاخوة المشاعر الطيبة والذكريات التاريخية والكلمات المعسولة التى تقال عند اللقاء وتبادل التحيات والزيارات بين المسلمين وغير ذلك مما لم يتجاوز اللحظات العابرة ولا أثر له فى المنهج الواقعى ، ويخطئ من يظن أن الاخوة الاسلامية وقتية أو مكانية لحاجة تنتهى بنهايتها .

وانما الاخوة الاسلامية مبدأ وليد الايمان والعقيدة منذ اللحظة الأولى فى بداية الرسالة ولم تكن وليدة الحاجة ولهذا نجد كل من دخل فى الاسلام لم تكن الحاجة عند رسول الله فى أن يقنع كل واحد بأنه أخ للآخر ، ولكنهم كانوا يفهمون الاخوة من واقع "لا اله الا الله محمد رسول الله" ومن

كل النصوص التى جاءت فى الوحي مبينة ومفصلة العقيدة وكذلك النصوص التى جاءت لبيان الشريعة من عبادات ومعاملات وأخلاق فلم تكن الاخوة اذن عنصرا فى التشريع يأخذ حكم الفرضية أو غير الفرضية كالنذب والاباحة وشكل التطوع والنوافل ، وانما هى جزء من العقيدة وأساس ملازم لكل ماجاء فى الاسلام ، ويؤكد هذا ماتقدم من الفصول من أن العوامل لتكوين الوحدة والأساليب والوسائل كل ذلك واقعه وظاهره وباطنه بناء الاخوة الاسلامية هذا والنصوص من الكتاب والسنة التى وردت فى أن الاخوة على هذا المفهوم الذى وصفت كثيرة وكثير ممن يذكرون هذه النصوص ويسردونها لكن الحاجة للأمة اليوم ماسة فى فقه المقصود من هذه النصوص ووعى موقفها من التيارات المعاصرة التى يزعم البشر أنها تجمعهم أو تفرقهم لبعث الاخوة بالمعنى الصحيح والمفهوم الواقعى الذى تكون عليه الرعيى الاول ونشأت عليه الدولة الاسلامية الاولى وجذب أجناسا من الشعوب المتباينة الألوان واللغات والأوطان الى الدخول والانضمام الى هذه الاخوة حتى تكونت أمة منهم .

وفى هذا الفصل سأتحدث عن أهم الجوانب التطبيقية

للاخوة الاسلامية . ولذلك سنتناول المباحث التالية :

(١) الرعاية الاجتماعية

(٢) الرعاية الاقتصادية

(٣) الرعاية السياسية

ونرى أن الوحدة الاسلامية لا تتحقق بموجب الاتفاق فى

المنهج والوسائل مالم يطبق المسلمون بينهم الاخوة اجتماعيا

واقتماديا وسياسيا على مستوى الافراد والجماعات والدول

لأنهم بهذا يتغلبون على كل العوامل المفرقة .

وهذه المعالم الثلاثة نراها الآن تستوعب جوانب الحياة
كلها وتشمل كل المؤسسات ولهذا جعلناها تفميلا لتفسير الاخوة
الاسلامية .

المبحث الأول : الرعاية الاجتماعية

الرعاية الاجتماعية تعنى الكفالة بين أفراد الأمة
وجماعاتها .

ولابد من الوقوف عند معنى كلمة "رعا" وكلمة "كفل" .
فأما مادة "رعا" فالمعنى اللغوي هو الحفظ بالغذاء
والدفاع والذب عن المحفوظ ، يقال رعيته أى حفظته وأرعيته
جعلت له ما يرعى ومنه قوله تعالى :
(١)

{كلوا وارعوا أنعامكم} .

وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "كلكم راع وكلكم
مسؤول عن رعيته" .
(٢)

فالرعاية تطلق على كل سياسة للنفس أو للغير .
(٣)

وأما كلمة "كفل" فى اللغة ترد بمعنى ، الضامن لقوله
(٤)
تعالى :

{اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم} .

والمعنى : اعالتها وضمائها تربية ومعيشة ، ومن هذا
المعنى {وكفلها زكريا} . فالكافل فى اللغة العائل
(٥)

والضامن .

(٦)

وبمعنى الحظ كقوله تعالى :

{من يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها} .

(١) الآية من سورة طه : ٥٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأحكام باب رقم ١ .

(٣) انظر : لسان العرب والمفردات للراغب فى مادة (رعا) .

(٤) الآية من سورة آل عمران : ٤٤

(٥) السابقة : ٣٧

(٦) الآية من سورة النساء : ٨٥

(١)

ومنه قوله تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم

كفلين من رحمته} .

ومنه الحديث "كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو

(٢)

كهايتين في الجنة" .

فهذا المعنى يعود الى الحظ سواء قلنا المعنى نصيبين

(٣)

أو ضعفين مثليين .

ومن المعنى اللغوي للكلمتين "رعا" ، "كفل" نستخلص

المعنى الاصطلاحي وهو : قيام المسلمين بكفالة بعضهم بعضا

ورعايتهم لأنفسهم وتحقيق المصالح الدينية والدنيوية لكل

فرد منها على قدر ، ولا يكون هذا التكافل والرعاية الا

بتفامن وتساند بين المسلمين سواء كانوا أفرادا أو جماعات

أو حكاما أو محكومين في المواقف الايجابية كرعاية اليتيم

أو السلبية كتحریم الاحتكار بدافع من العقيدة وبذلك يعيش

الفرد في كفالة الجماعة ، والجماعة بمساندة الأفراد

ومؤازرتهم فلا يطفئ الفرد في تحقيق مصالحه على الجماعة

ولا تستبد الجماعة بالمصالح الفردية ويذوب الأفراد ولا وجود

لهم ، وانما يتعاون الجميع على ضمان وكفالة الحاجيات

والكماليات الفردية والجماعية معا ويكون الحاكم ناصرا

(٤)

للمحكوم والمحكوم سندا ونصحا للحاكم .

(١) الآية من سورة الحديد : ٢٨

(٢) رواه البخاري في كتاب الطلاق باب رقم ٢٥ ، ومسلم في كتاب الزهد حديث رقم ٤٢ .

(٣) انظر : لسان العرب مادة (كفل) ، والمفردات للراغب الاصفهاني ، والتفسير الكبير للرازي ٢٩/٨ .

(٤) انظر : التكافل الاجتماعي في الاسلام لعبد الله علوان ص ١٢ ، المجتمع المتكافل في الاسلام للدكتور عبد العزيز خياط ص ٧٤ .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة معرفاً التكافل فى الاصطلاح :
 "يقصد بالتكافل الاجتماعى فى معناه اللفظى أن يكون
 آحاد الشعب فى كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذى
 سلطان كفيلاً فى مجتمعه يمدّه بالخير وأن تكون كل القوى
 الانسانية فى المجتمع متلاقية فى المحافظة على مصالح الآحاد
 ودفع الأضرار ثم فى المحافظة على دفع الأضرار عن البناء
 الاجتماعى وإقامته على أسس سليمة " .^(١)

والتكافل الاجتماعى من المعالم الواضحة فى الكتاب
 والسنة ، شرع بصورة شاملة كقوله تعالى :^(٢)

{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً
 وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار
 الجنب والمصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان
 الله لايحب من كان مختالاً فخوراً} .

فهذه الحقوق العشرة كما يسميها المفسرون ، وهى
 تتناول أصحاب الحاجة وتبدأ بذوى القربى ، ويرتبط هذا
 التكافل بالعقيدة أولاً ، وهو طبيعة التكافل الاجتماعى
 والرعاية فى الاسلام التى تشمل : التربية والتهذيب مع تحقيق
 مطالب الحياة .^(٣)

فهذا التوجيه الاجتماعى الى البر يبدأ بذوى القرابة
 سواء كانت خاصة أو عامة ، ومنها يمتد المحور الى بقية
 المحتاجين ويتسع حتى يتناول الأسرة الانسانية بكاملها .
 ونستخلص من هذا التوجيه أمرين هما روح الرعاية

(١) المجتمع الاسلامى لمحمد أبى زهرة ص ٤ .

(٢) الآية من سورة النساء : ٣٦

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١/٤٩٣-٤٩٤ .

الاجتماعية فى الاسلام سواء كانت مادية او معنوية .

(١) ان هذا التوجيه يوافق الفطرة ، فان العاطفة والشعور بالمشاركة يبدأن أولا بالاسرة الصغيرة ، والنفوس تميل الى الاقربين قبل غيرهم ولامانع من هذا الميل مادام فيه قابلية التوسع الى ان يشمل غير الاقربين من ذوى الحاجة .

(٢) أسلوب التنظيم فى هذا التوجيه الاجتماعى جعل التكافل يبدأ بمحيط الاسرة ثم يتسع الى محيط الجماعة وبطبيعة الحال هذا يجعل التكافل الاجتماعى فى يد الافراد أولا ذوى المقدرة التربوية المادية وهم أجهزة صغيرة فى المجتمع واذا عجزوا عن الرعاية جاء دور الأجهزة الحكومية الفخمة لتقوم بما عجز عنه الافراد وهذا الترتيب لاشك أنه أوفق للرعاية وأضمن لاستمرارها لانه بدأ من الاقرب والايخى والأرحم والأسهل الى الاقوى والأوسع (١) مسؤولية والله أعلم .

وفى آية أخرى يوجه سبحانه وتعالى المؤمنين الى العناية بهذه الأصناف فيقول تعالى : (٢)

{ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين واتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون} .

(١) انظر : ظلال القرآن لسيد قطب ٢/٦٦٠ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ١٧٧

فهذه الآية يلفت الله سبحانه وتعالى فيها نظر من شق عليه تحول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة الى ان الحكمة هي التزام أوامر الله تعالى وامثالها والتوجه حيث توجيه الله ، وليس الايمان ولا البر التزام جهة معينة دون التقيد بشرع الله تعالى وأمره ، وقد تضمنت هذه الآية خصال الخير كلها والتي يشملها الوصف بالبر فانه قد ذكر سبحانه وتعالى أركان الايمان الخمسة وذكر من أركان الاسلام ركنين : اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ثم ذكر في الآية العناصر التي توجه العقيدة والعمل بمقتضاها الى كفالتها ورعايتها ، فالذين يقومون بهذا هم المتمصفون بالبر وذكر في الآية فئة أخرى من الأوصاف وهي الوفاء بالعهود وركوب الصبر على أية حال وخاصة في أوقات الخطر من عدو ومرض وفقر ونحو ذلك مما يصيب المؤمن من أقدار الحياة .^(١)

"وهكذا تجمع آية واحدة بين أصول الاعتقاد ، وتكاليف النفس والمال ، وتجعلها كلا لايتجزأ ، ووحدة لاتنفصم ، وتضع على هذا كله عنوانا واحدا هو "البر" وهو "جماع الخير" و"الايمان" كما ورد في بعض الاثر . والحق أنها خلاصة كاملة للتمسور الاسلامي ولمبادئ المنهج الاسلامي المتكامل لا يستقيم بدونها اسلام" .^(٢)

وفى سنة السورول صلى الله عليه وسلم توجيهات كثيرة عليها بهاء وروحها الرحمة ، توجيهات لكل مسلم أن يرعى أخاه ويقوم بضمائه وكفالاته كقوله صلى الله عليه وسلم :

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣٠٩/١-٣١٢ .

(٢) ظلال القرآن لسيد قطب ١١٦/١ .

(١)
 "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه"
 وكما يروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : "بينما نحن
 فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة
 له قال : فجعل يمصرف يميننا وشمالا . فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من
 لاظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له"
 قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لاحق لاحد
 منا فى فضل .^(٢)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم موصوف بهذه الخصال
 التى تجعل القدرة متبادلة بين الناس بين المفيد والمستفيد
 تطبيقا للناحية الاجتماعية التى تشمل الرعاية الاقتصادية
 والسياسية والتربوية كما وصفته أم المؤمنين خديجة رضى
 الله عنها حينما جاءها يرتجف خوفا مما رآه من الملك ساعة
 حمل اليه رسالة ربه فى غار حراء فقالت : "كلا والله لا يخزيك
 الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين
 على نوائب الدهر"^(٣) . فهو عليه الملاء والسلام يطبق الاخوة
 الاجتماعية والاقتصادية والتربوية قبل البعثة فكيف بعد
 البعثة وقد نزل عليه القرآن ، وألهم السنة وهما يوجهان
 المؤمنين الى أن يكونوا اخوة متساندين مترابطين لبالقول
 فقط ولابالمشاعر فحسب وانما بالتطبيق العملى أيضا وهذا هو
 الذى مثله الأنصار رضى الله عنهم أروع تمثيل وضربوا فيه

(١) متفق عليه . البخارى كتاب المظالم باب رقم ٥ ، ومسلم
 فى كتاب البر والملة والآداب رقم ٦٥ .
 (٢) رواه مسلم فى كتاب اللقطة رقم ١٨ .
 (٣) رواه البخارى فى كتاب الوحي باب رقم ١ .

أجمل الأمثلة وفعلوا ما لم يعرفه التاريخ من قبلهم ولا من بعدهم من الإيثار حرصا منهم على هذه الأخوة التي ستحمل الدعوة الإسلامية تطبيقا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وتربويا ومحبة الى الآفاق رضى الله عنهم وأرضاهم ولهذا وصفهم الله تعالى بأدق الأوصاف وأبلغ البيان فقال عز
(١)
من قائل :

{والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} .

فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بسكنى وطنهم المدينة بالايمان بالآيات لبالمشاعر المادية من وطنية واقليلية وعنصرية ، ثم وصفهم بمحبة من يصل اليهم من المؤمنين من أى جهة ومن أى لون وجنس فليس محبتهم للدم ولللقومية وللعنصرية ثم وصفهم بسلامة الصدور من الحقد والحسد فبرئت هذه الصدور المؤمنة من مرض حب الدنيا والحرص عليها وذلك مما يبعث التحاسد والتقاتل عليها ، ثم وصفهم بخدمة المثل العليا والانسانية والمساواة مع غيرهم من المؤمنين الوافدين اليهم ، ثم وصفهم بأنهم لهذا تبرأوا وسلموا من المرض العضال الذى يهلك الانسانية ، ويفتت وحدتها ويطمس انسانياتها وهو الشح فخلص هؤلاء الأبرار للصفة الجامعة لكل مكرمة ألا وهى الفلاح {فأولئك هم المفلحون} . فالأسلوب من

(١)
 ناحية البلاغة اشار اليهم باسم الاشارة للبعيد لبعد مكانتهم
 وفصل بين المبتدأ والخبر بضمير الفصل للتأكيد من أنهم
 نالوا الفلاح ويستحقونه .

وتحت سيوف هؤلاء نمت الاخوة الاسلامية وامتدت راية
 الوحدة الاسلامية الى الآفاق حتى شملت أمما وأسقطت جاهليات
 وعنصريات وكل المظاهر المادية التي وزعت الانسانية فأقاموا
 مكان هذه المظاهر الاخوة الاسلامية وكانوا لها روادا ومصدرا
 لتاريخها رضى الله عنهم .

وقد كانت الامة العربية موصوفة بالكرم ومعروفة بايثار
 الفيوف ولكن الموقف الذى وقفه الانصار مع المهاجرين ماعرف
 مثله فى العرب ولانقل فى تاريخ المسلمين ومواقفهم الايثارية
 مثله ولذا استحقوا هذا الشناء الذى أشنى الله به عليهم فى
 هذه الآيات وهو ماتشملة آية أخرى جمعتهم مع اخوانهم
 المهاجرين وهى قوله تعالى :
 (٢)

{ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
 فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء
 بعض} .

(٣)
 وقوله :

{والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين
 آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم} .

(١) كقول الفرزدق :
 أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
 إذا جمعتنا ياجرير المجامع
 (٢) الآية من سورة الانفال : ٧٢
 (٣) الآية من سورة الانفال : ٧٤

(١)

قال على بن أبى طالب يوما وهو يذكر الانصار وفضلهم وسابقتهم ثم قال : انه ليس بمؤمن من لم يحب الانصار ويعرف لهم حقوقهم ، وهم والله ربوا الاسلام ، كما يربى الفلوفى (٢) فنائهم ، بأسياهم وطول السنتهم وسخاء أنفسهم ، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج فى المواسم فيدعو القبائل ماأحد من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاءه ، فقد كان يأتى القبائل بمجنه وبعكاز وبمنى ، حتى يقابله الناس يعود اليهم سنة بعد سنة حتى أن منهم من قال ماآن لك أن تياس منا ؟! من طول مايعرض نفسه عليهم ، حتى أراد الله عز وجل ماأراد بهذا الحى من الانصار ، فعرض عليهم الاسلام فاستجابوا وأسرعوا وآووا ونصروا وواسوا ، فجزاهم الله خيرا قدمنا عليهم فنزلنا معهم منازلهم ولقد تشاحوا فينا ، (٣) حتى أن كانوا ليقترعون علينا ، ثم كنا فى اموالهم أحق بها منهم ، طيبة بذلك أنفسهم ، ثم بذلوا ^{مهم} أنفسهم دون نبيهم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين . (٤)

وكانت الحياة الاجتماعية السائدة بين الشعوب جميعا حين نزول الرسالة الاسلامية لاتتكافأ فيها الفرص ، بحيث أن الحواجز الممنوعة تفرق بين الافراد كما تفرق بين الاجناس

-
- (١) على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل البعثة بعشر سنين وهو أول من آمن من المبينان وهو رابع الخلفاء الراشدين ، نال الشهادة على يد الخوارج سنة ٤٠هـ .
انظر ترجمته فى : الاصابة ٥٠٧/٢ .
- (٢) الفلوف المهر اذا فطرم . لسان العرب ، مادة (فلو) .
- (٣) تشاحوا فى الأمر تنازعوا وتجادلوا . انظر : لسان العرب ، مادة (شحج) .
- (٤) رواه الحافظ أبو نعيم الاصبهاني فى دلائل النبوة بسنده ٣٠٠/١ ، ط ٢ .

والطوائف ، دون اعتبار لانسانية الانسان ، بل القوة المادية هي السائدة ، وبينها وبين القوة المعنوية صراع ، ولكن لتكافؤ بينهما ، والقوة المادية تتمثل في العقيدة الشركية التي تخضع للمحسوس المخلوق ، وفي الجاه والشرف ، وفي المال وما يتبع ذلك من وسائل الغلبة المادية التي أوجدت تلك الصورة الاجتماعية في الأمم ، وأما القوة المعنوية فهي انسانية ولا يتحكم فيها غير العقل الخالص الذي لا يتأثر بالهوى وهي تدعو الى تكافؤ الفرص بالعدالة الاجتماعية .

أما عناصر القوة المادية فهي :

- (١) العقيدة الشركية التي توجه الناس الى عبادة المحسوسات وربط الناس بها ، وعلى رأس المشجعين لها الكهان الذين يدفعون الناس اليها واحتكروا المعرفة وحجبوا الناس عن الحقيقة فهم طبقة لا يرقى اليها أحد هؤلاء العرافون .
- (٢) أما جاه الشرف فقد أتاح الفرص لبعض الناس فاستمتعوا بكرامة غيرهم من الواضعين .
- (٣) أما جاه المال فهو يمكن الاغنياء على أن يكونوا طبقات بموجب المال والثراء ومن عداهم من جملة المتاع .
- (٤) بالإضافة الى أن هناك عامل مادي آخر عميق الجذور في المجتمعات وهو الرق الذي يكفى من أسبابه قوة الغالب على المغلوب .

هذه هي عناصر القوة المادية التي أفقدت البشرية

التوازن الاجتماعي وتكافؤ الفرص ...!

وجاء الاسلام فنقضها واحدة بعد أخرى بأسلوبه ووسائله ،

ولكن هذا النقص ليس كنقص تلك القوة المادية لمعنى
الانسانية ، وانما استعمل أسلوب التعديل والتوجيه ليفهم
الناس ويدركوا الفرق الكبير بين الحياة الاجتماعية فى
الاسلام وبين الانانية الجاهلية فلايلفى الاسلام شيئا الا بعد
بيان أنه لايملح . وأخذ يربى الناس على التكافل الاخوى
المرتبط بالعقيدة الصحيحة وتربية النفوس على العقيدة ،
تجعل العقل يدرك مواب التعديل والتهذيب نحو الاخوة
الاجتماعية الانسانية الجديدة التى جاء بها الاسلام بديلا
كريما لما كان يسود حياة الناس .

ان العقيدة تربط الناس باللطيف الخبير الذى لاتدركه
الابصار وهو أقرب الى أى أحد وتدعو اليه الفطرة فلاوسائط
ولامزارات ولاامنام ولاأوشان ولاكهانة ولاأى نوع من أنواع
الدجل ، فالناس جميعا عباد الله والله خالقهم ، وعلى كل
مؤمن أن يحاكى صفات ربه متقربا اليه بالمثل العليا
ويتمثلها فى نفسه ويطبقها عمليا وسلوكيا ليكون رحيفا
عالمنا غنيا عدلا حليفا وهو يشعر بأنه انسان وأن الناس
جميعا أشقاؤه فى الانسانية وكل واحد كفؤ للآخر فى الانسانية
(١)
كما قال تعالى :

{ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ... } .
فلوجه لتمييف الناس الى طبقات بموجب الشرف فالمعيار
هو التقوى وهى المقومة للانسان ليكون شريفا أو وضيعا بحسب

أخلاقه وإنسانيته والفرصة متكافئة للجميع فمن تميز بالتقوى هو الأفضل وإن كان من سوق القوة المادية ومن تخلفت أخلاقه وإنسانيته وتقواه فهو الوضيع وإن كان ذا سلطان وجاه ومال فى القوة المادية .

وأما المال فهو لله سبحانه وتعالى وجعل الناس فيه خلفاء وكثيرا ما يضيف القرآن المال الى الله تعالى لأنه هو المالك الحقيقى ، وقد خاطب الله تعالى الناس أن ينفقوا (١) على أساس أنهم خلفاء فيه قال تعالى :

{وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه} .
(٢)
ومدح الذين يأخذون بهذا المبدأ الاصيل فقال :
{وفى أموالهم حق للسائل والمحروم} .

وبكل ما تقدم قضى الاسلام على الطبقية بكل أشكالها وألوانها سواء ما كان منها ناشئ من العقيدة الشركية أو من مزاعم النقاء العرقى والجاه والشرف والسلطان أو من المال والثراء فوجهت الناحية الاجتماعية فى الناس بالمساواة الى أنهم يسعون الى الله تعالى بإيمانهم وتقواهم طلبا للخير والاحسان ، فلا يتقدم أحد على أحد الا بالتقوى وهى كلمة شاملة بكل المثل الانسانية والاجتماعية ، فتكافأت الفرص اجتماعيا (٣) ووجد الجميع الحرية التى أفقدتها القوة المادية .

ومن أبرز معالم الاجحاف الاجتماعى حين مجئ الاسلام وضع المرأة وهى لاتساوى شيئا عند جميع المجتمعات وإن تباينت

(١) الآية من سورة الحديد : ٧
(٢) الآية من سورة الذاريات : ١٩
(٣) انظر : الدين والحضارة الانسانية للدكتور محمد البهى ص ٢٤٣-٢٥٥ ، معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ص ١٢٤-١٤٥ .

معاملاتهم لها فالنتيجة واحدة وهى أنها من سقط المتاع ،
وأما الاسلام فقد سوى بينها وبين الرجل وإذا وجد بعض
الفوارق التى قد تبدو أنها فى صالح الرجل أو المرأة فان
ذلك لايدل على التفرقة بينهما اجتماعيا وانما ذلك يعود الى
اعتبارات تلزم بها طبيعة الرجل أو طبيعة المرأة التكوينية
فتمير لكل واحد منهما خصائص ، مع التسوية الجوهرية والتى
(١)
هى الطابع الاجتماعى العام الغالب كقوله تعالى :

{من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه
حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون} .
(٢)
وقوله :

{ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا} .
(٣)
وقوله :

{للرجل نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن} .
فهذه الآيات ونحوها من نصوص الكتاب والسنة تحكم
بالمساواة فى المسئولية والجزاء فى الدنيا والآخرة وبقيّة
الأحوال الاجتماعية تابعة لهذا بل هى فى اطار المسئولية
والجزاء ، فالاسلام منهجه الاجتماعى هو الذى أنصف المرأة
والرجل معا حيث أنه لم يغفل عن التكوين الجسدى لكل واحد
منهما والخصائص العقلية والعاطفية أما غيره فيبدو التصرف
الاجتماعى فى حالة المرأة أنه ارتجال بحث ، اما أن يأخذ
بالافراط أو بالتفريط حيث أن المرأة فى الأحوال الاجتماعية

(١) الآية من سورة النحل : ٩٧

(٢) الآية من سورة النساء : ١٢٤

(٣) الآية من سورة النساء : ٣٢

عند الأمم قديما لاعبرة لروحها ولانسانيتها وهذا افراط وعند خلق هذه الأمم فى عصر الحضارة لاعبرة لخصائصها الجسدية والنفسية والفوارق بينها وبين الرجل فأخرجت وصفت مع الرجل فى العمل مع التشهير والتبذل لكرامتها وهذا تفريط ولكنه ليس فى هذا اكرام للمرأة فى الحقيقة حتى فى مفهوم الحضارة الغربية ، فبالإضافة الى تبذرها هذا ومراعاة مع القوة غير المتكافئة لقوتها وطبائعها وهى قوة الرجل فلا تزال رواسب من التاريخ الاجتماعى الممقوت للمرأة باقية من اسقاط وجودها الاجتماعى وانها رقيق كحالة المرأة الغربية المتزوجة فى قوانين الأمم الغربية التى تحكم فى عرفها أن المرأة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم أبيها وشهرة أسرتها وانما تضاف الى الزوج وتدعى باسمه وكأنها لا أب لها ولا أصل ، ومما يفحك أن التشبهات فى البلاد الاسلامية بالغربيات من دعواهن التشبه بالغربيات فى هذا النظام الجائر وأرضين لأنفسهن هذا الذل والمهانة . والاسلام يحتفظ للمرأة بشخصيتها قبل الزواج وبعده ، فهذه زوجات النبى صلى الله عليه وسلم وهو خير زوج والانتماء اليه أفضل وأكرم ومع هذا فكل واحدة تختسب الى أبيها وتنتمى الى أسرتها .^(١)

هذا والتكوين الاجتماعى لا يقصد به فى الاسلام حشد الجماهير الغفيرة مع المتناقضات التى يحملونها ، ولا يقصد أيضا اجتماع زمنى أو مكانى ولم تكن العلاقة المقصودة فى الناحية الاجتماعية فى الاسلام علاقة مراعاة بين الفرد والمجتمع

(١) انظر : المساواة فى الاسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ص ٢٢-٢٨، ٤٧-٤٨ ، أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام لمحمد طاهر عاشور ص ٩٧-١٠٢ .

كما هو أهداف النظريات الفلسفية التي اصطنعت هذا المصراع
الى حد يهدد بقاء الشعوب وحضارتها والفلسفات التي تناصر
المجتمع تقرر الغاء وجود الفرد ومن ثم ضرت بالمجتمع لانه
مكون من الافراد الذين لكل واحد منهم استقلال ووجود عن
الافراد الآخرين ، والتي تناصر الفرد تلغى المجتمع ومقوماته
ومن ثم اضررت بالفرد نفسه من حيث ارادت اسعاده لانه لايلبى
حاجاته بنفسه وحده فهو مدنى بطبعه واذا كان لابد له من
التعاون مع فرد آخر أو أكثر فهذا مجتمع وجوده يستلزمه
وجود الفرد .

ان الحياة الاجتماعية فى الاسلام ترفض هذا رفضا كاملا
وترفض كل مايستلزمه من النزعات وتأخذ بالمبدأ الذى يجعل
الفرد سعيدا كريما فى فرديته وفى مجتمعه وقد خاطبه الله
(١)
تعالى باعتبارين ، فقال تعالى :

{بل الانسان على نفسه بصيرة} .
(٢)
وقال :

{وأن ليس للانسان الا ماسعى} .
(٣)
قال تعالى :

{والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا
الماالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالمبر} .
وفى السنة مايدل على أن مسئولية الفرد والمجتمع
مشتركة وأنهما متلازمان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم
"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم

(١) الآية من سورة القيامة : ١٤

(٢) الآية من سورة النجم : ٣٩

(٣) سورة العصر .

استهيموا فى سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " .^(١)

وقوله : "كلكم راع وكل مسئول عن رعيته " .^(٢)

فهذه العناية الاجتماعية لاتفرق بين الفرد والمجتمع ، لأن المجتمع فى الاسلام مجتمع فكرى وخلقى تكون بالايمان ومحوره مثله العليا ولم يكن اساسه على السلالة أو المستويات الاقتصادية فكل مؤمن بالله وبرسوله وبما جاء به على أى درجة كان فهو جزء من هذا المجتمع ومفتوح أمامه الباب حتى ان انسانية المجتمع فى الاسلام تشمل غير المسلمين ممن يتعلق بالمجتمع الاسلامى من الذميين والمستأمنين وأهل العهد .^(٣)

وخلاصة القول أن الاسلام جاء بالاخوة الاسلامية وهى وصف جامع يشعر بالتماثل فى العقيدة والتفكير والعمل خلاف البنوة والابوة ، وقد رتب الاسلام على الاخوة آثارا فى المعاملة وكلها تربط المؤمنين اجتماعيا برباط واحد كقوله تعالى :

{ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا

(١) رواه البخارى فى كتاب الشركة باب ٦ ، وفى كتاب الشهادات باب ٣٠ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاحكام باب ١ .

(٣) انظر : معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ص ٢٧٦-٢٨١ .

أنفسكم ولاتتنابزوا باللقاب بئس الاسم الفسوق بعد ، ريان ومن
 لم يتب فأولئك هم الظالمون . ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا
 كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم
 بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا
 (١)
 الله ان الله تواب رحيم } .

فهذه الآيات تترتب **الآداب** وال**حقوق** التي توجه الاخوة
 الاسلامية الى أن تسود بين الاخوان وهي في سياق أسلوب النهي
 عن ارتكاب أو مقارفة كل مايطعن في هذه الاخوة ويفرق جمعها
 وهذا النهي يتناول كل عنصرية وطبقية ونظرية تفرق بين
 (٢)
 الناس بغير التقوى .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لايؤمن أحدكم حتى
 (٣)
 يحب لأخيه مايحبه لنفسه " . هذه الاخوة تسامت وارتفع مستواها
 الى حد أنها الشرط في ثبات الايمان وقبوله ، فالمؤمن الذي
 لايبادل المؤمنين الاخوة في الحياة ليس بمؤمن ، وهذا قول
 الرسول صلى الله عليه وسلم جامعا فيه بأسلوب النهي كثيرا
 من الحقوق التي تترتب على هذه الاخوة فيقول : "لاتحاسدوا
 ولاتناجشوا ولاتباغضوا ولاتدأبروا ، ولايبع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه
 ولايخذله ، ولايكذبه ، ولايحقره ، التقوى ههنا - ويشير الى
 صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم
 (٤)
 كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله ، وعرضه " .

(١) الآية من سورة الحجرات : ١١-١٢
 (٢) انظر : منهج الدعوة في البناء الاجتماعي الفصل الخامس
 (٣) رواه مسلم في كتاب الايمان رقم ٤٥ .
 (٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب برقم ٢٥٦٤ ،
 والبخاري في كتاب الادب باب رقم ٥٧ ، وانظر في شرح
 الحديث النووي على صحيح مسلم ١٢٠/١٦-١٢١ .

"بهذه القاعدة تسنى للمسلمين التعارف والتواصل والاتحاد على اختلاف الأمم الداخلة فى الاسلام فلم يحفظ التاريخ ديناً أو دولة أو دعوة استطاع واحد منها أن يضم اليه مختلف الأمم ويجعلهم أمة واحدة لا يرى بعضهم فارقاً بينهم مثل ماللاسلام من ذلك ، فانه لم يمتز على دعوته نصف قرن حتى دخل فيه أفواج الأمم من العرب والشام والعراق والفرس والأرمن والقبط والبربر ، ثم لحق بهم فى عصور أخرى الديلم والترك والمغول والهند والصين والزنج والروم والوندال والصقليون فكان جميعهم أمة واحدة اذا أضيف بعضها كرب له الباقون يحسون بما يحس به البقية " .^(١)

"ثم ان وصف الاخوة يستدعى أن تبت بين الموضعين به خلال الاتحاد ، والانصاف ، والمساواة ، والمحبة ، والصلة ، والنصح وحسن المعاملة . فيقبلها جميع الأمة بالمدر الرحب سواء فى ذلك الشريف والمشروف ، والقوى والضعيف ، فاذا ارتاضت نفوس الأمة على التخلف بالاخوة بينهم سهلت على الشريعة سياستهم ، وانما ترتاض النفوس على الاخوة بتكرير قوسها فيها بتأكيد الدعوة اليها واجتثاث ماينافياها " .^(٢)

(١) أصول النظام الاجتماعى ص ١٢٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢١-٢٢٠ .

المبحث الثانى : الرعاية الاقتصادية

الاقتصاد مأخوذ من القصد فى الشئ خلاف الافراط وهو ما بين الاسراف والقصد فى المعيشة الا يسرف ولا يكثر ، واقتصاد (١)
فلان فى امر أى استقام ومنه قيل فى الطريق المستقيم القصد .
وفى الحديث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبى الطفيل قال : " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماعلى وجه الأرض رجل رآه غيىرى ، قال فقلت له فكيف رأيته ؟ قال (٢)
كان أبيض مليحاً مقمداً " . (٣)

والمعنى أنه ليس بطويل ولا قصير ولا هو جسيم ولا نحيل كأن خلقه على القصد من الأمور . أى غير مسرف .
والاقتصاد على نوعين :

الأول : المحمود مطلقاً ولا يكون الا فيما له طرفان الافراط والتفريط كالجود فانه بين الاسراف والبخل والشجاعة فانها بين التهور والجبن .

الثانى : يكون فى المتردد بين المدح والذم كما يقع بين العدل والجور أو القريب والبعيد . (٤)
فالنوع الأول كقوله تعالى :
{واقصد فى مشيك}
وقوله :

-
- (١) انظر : لسان العرب ، مادة (قصد) .
(٢) واشلة بن الأسقع من بنى ليث ، صحابى جليل وهو آخر من توفى من الصحابة بدمشق سنة ٨٥ هـ .
انظر ترجمته فى الإصابة .
(٣) رواه مسلم فى كتاب الفضائل رقم الحديث ٩٩ .
(٤) انظر : المفردات للراغب ص ٤٠٤ .
(٥) الآية من سورة لقمان : ١٩

{والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
(١)
قواما} .

(٢)
والنوع الثانى كقوله تعالى :

{فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد} .
(٣)
وقوله :

{لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك} .

وخلاصة القول فى "معنى الاقتصاد فى اللغة الاعتدال فى
العمل من غير غلو ولا تقصير ، وأصله القصد ، وذلك لأن من عرف
مطلوبه فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير
انحراف ولا اضطراب ، أما من لم يعرف موضوع مقصوده فانه يكون
متحيرا ، تارة يذهب يمينا وأخرى يسارا ، فلهذا السبب جعل
(٤)
الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدى الى الغرض" .

ومما تقدم علم أن مفهوم الاقتصاد فى الاسلام أوسع وأشمل
من المفهوم المادى النظرى الذى يقف عنده الاقتصاديون
الماديون ، فالكتاب والسنة فيها دعوة الى الاقتصاد فى كل
شئ كما وصف الله تعالى المتزنين من أهل الكتاب بالقصد فى
(٥)
قوله تعالى :

{ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من
ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتعدة
وكثير منهم ساء ما يعملون} .

(١) الآية من سورة الفرقان : ٦٧

(٢) الآية من سورة فاطر : ٣٢

(٣) الآية من سورة التوبة : ٤٢

(٤) الرازى ، التفسير الكبير ٤٧/١٢ .

(٥) الآية من سورة المائدة : ٦٦

كما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد من الانواع
التي هي جزء من النبوة اشارة الى اهميته وأنه وسيلة في كل
شيء للامة لتكون امة مقتعدة فيقول عليه الصلاة والسلام :
"السمت والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من
النبوة" (١).

(٢)
وكما وصفت صلاته وخطبته بالقصد كما قال جابر بن سمرة
"كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات ، فكانت
صلاته قصدا ، وخطبته قصدا" (٣).

وقد وجه عليه الصلاة والسلام العاملين الى القصد فقال
"لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال :
ولأننا الا أن يتغمدني الله برحمته ، سدوا وقاربوا ،
واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا" (٤).

والمعنى "أن يلزموا الطريق الوسط المعتدل تبلغوا
المنزل الذي هو مقصدكم ، شبه المتعبدين بالمسافرين فقال
لا تستوعبوا الاوقات كلها بالسير ، بل اغتنموا اوقات نشاطكم
وهو أول النهار وآخره وبعض الليل ، وارحموا أنفسكم فيما
بينها لئلا ينقطع بكم" (٥).

أزال الاسلام في بنائه الاجتماعي كل الحواجز التي تفرق
بين الناس بغير التقوى ومحابها ، وما يصلح منها بعد التعديل

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب رقم ٦٦ وقال
حديث حسن غريب .

(٢) هو جابر بن سمرة بن جندب بن جندب العامري حليف بني
زهرة صحابي جليل يكنى ابا عبد الله نزل الكوفة وبني
بها دارا وتوفي سنة ٧٤هـ رضى الله عنه .
انظر ترجمته في : الاصابة ١٠١٤/٢ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الجمعة رقم الحديث ٤٢ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب رقم ١٨ .

(٥) العيني في عمدة القارئ شرح البخاري ٢١/١٩ .

عدل فيه فكانت النتيجة الاجتماعية أن الناس جميعا اخوان
أشقاء فى الانسانية ومن دخل فى الاسلام ورضى الايمان مذهباً
تجمعهم الاخوة الاسلامية علاوة على الاخوة الانسانية ، ومن ثم
يسعى كل أخ الى مساندة أخيه والترابط به ، وإذا كان
التلاحم حاصل في العقيدة والعبادة والسلوك والشعور بالمصير
فان الجانب الاقتصادى يأتى بعد ذلك فى الدرجة الثانية ، بل
ان المساندة وبناء الجماعة به هو التطبيق العملى لذلك
التلاحم العقائدى . وليس من مهمتى دراسة الجوانب الاقتصادية
نظرياً ولكن مهمة البحث هنا هى ابراز دور الجانب الاقتصادى
فى دعم الوحدة الاسلامية ، من حيث فرطت النظريات العنصرية
والمادية بذلك واستغلت الاقتصاد عاملاً للتفريق بين الناس
وتصنيفهم الى طبقات متناحرة لا يمكن أن تلتقى على مبدأ
انسانى يرتبط بالمثل العليا دون النظر الى الجوانب
المادية ومن حيث أيضاً حقائق لاتدركها هذه النظريات ولا ترقى
اليها المادية بكل ألوانها ، والنظم الاسلامية كلها تلتقى
فى نشر العدالة والمساواة والمواصاة بين الناس وكل ذلك فى
اطار تحقيق الاخوة الاسلامية ، فالنظام الاقتصادى هدفه تحقيق
وتأمين ما أمكن من لوازم الانسان المادية ويتناسب مع كرامته
والفرص متكافئة للجميع لأن الحواجز محطمة اجتماعياً
والفوارق عدلت ووجهت بما يحقق المساواة بين الناس .
فالاسلام فى الجانب الاقتصادى : يعتمد من أجل ذلك كله على
وسيلتين أساسيتين هما : التشريع والتوجيه ، والملاحظ أن
معظم الأنظمة الاقتصادية لاتقرر الا بالتشريع وسيلة لتحقيق
أهدافها ، أما الاسلام فانه فى الوقت الذى يهتم فيه بتقنين

الاهداف العملية التى تحقق مجتمعا كاملا ، فانه لاينسى التوجيه الذى يتسامى الانسان بواسطته على الضرورات المادية (١) ويتطلع الى حياة أرفع .

وفى هذا المبحث نخص من الاقتصاد الجوانب المادية فقط فهى لها أهمية كبرى بالنسبة لقوة الامة واستقلال شخصيتها واستغنائها عن الغير ، وبالتالي تستطيع الدولة الاسلامية أن تقوم بواجبها الاجتماعى .

والاقتصاد هو الحركة أو السلوك بالوسائل المشروعة لتوفير المال وانفاقه بأحسن مايستطاع ، وكل ماتحصل بهذه الاهداف فهو المال ، وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى أهمية المال بقوله : "لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق" (٢) .

ومن ثم أمر الله تعالى بحفظ المال لتؤدى به المسئوليات كقوله تعالى : (٣)

{ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما} .
ولتوفير المال - الذى هو عملية الاقتصاد - عناصر ثلاثة وهى : العمل والمادة العينية والتدبير ، وهذا مطلوب من أفراد الامة ومن مجموعها ، وفى القرآن الكريم آيات ترشد الى العمل الاقتصادى كقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام موجهة الامة الممرية بحسن التدبير الاقتصادى لانقاذ الحالة المهددة لهم من الجفاف :

(١) انظر : معالم الثقافة للدكتور عبد الكريم عثمان ص ٢٣٥ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب العلم باب ١٥ .

(٣) الآية من سورة النساء : ٥

{فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تاكلون ، ثم
يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن الا قليلا مما
تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس وفيه
(١)
يعصرون} .

(٢)

ثم قال فى نفس السورة :

{لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب} .

فهذا التوجيه الاقتصادى الدقيق العجيب فى التخزين
والادخار نظام اقتصادى فيه أسوة حسنة للاقتصاد الاسلامى .
ومن الدواعى الى الاهتمام بالاقتصاد ترغيب الرسول صلى
الله عليه وسلم فى الزراعة لما فيها من الانتاج والثمار
كقوله صلى الله عليه وسلم : "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع
زرعا فيأكل منه طيرا أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة " (٣)
والاقتصاد لاينشط فى الأمة الا بالعمل ومجانبة الكسل
الذى يجعل البعض كلا على الآخرين ، وقد نهى النبى صلى الله
عليه وسلم عن السؤال لأنه ينجم عن ترك العمل والاكتساب فقال
"ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى
وجهه مزعة لحم " (٤)

وقوله : "الآن يأخذ أحدكم أحبله فيحتطب خير له من أن
(٥)
يسأل الناس أعطوه أو منعوه " .

(١) الآية من سورة يوسف : ٤٧-٤٩

(٢) الآية من سورة يوسف : ١١١

(٣) رواه البخارى فى كتاب الحرث والمزارعة باب ١ ، ومسلم
فى كتاب المساقاة باب ٢ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الزكاة باب ٥٢ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب المساقاة باب ١٣ .

فهذا توجيه اجتماعى لاتسلم الامة الا بالاخذ به ، ولاتأخذ به الامة الا أخذت بالمبادرة فى استعمال مصادر الانتاج والاستخراج ومادتها الأرض وما عليها من الماء والهواء وما فى باطنها من المعادن والعيون وغير ذلك مما يوجه اليه قوله (١)
تعالى :

{هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور} .
(٢)
وقوله :

{هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا} .
فالانتاج هو أساس الموارد للثروة ، ولانتاج الا بالعمل وقد أمرت به الامة أفرادا وجماعات ودولا ، لأنها تستغنى عن غيرها وترتبط بالله الغنى الكريم وتجد الثروة التى تواسى بها الامة بعضها بعضا .
(٣)

وفيما يلى نذكر الجوانب الاقتصادية التى تعزينا فى موضعنا :

الجانب الأول :

المال مال الله تعالى وهو المالك الحقيقى والناس فيه مستخلفون ومن مسئولياتهم ألا يعملوا فى المال ولا يوظفوه الا بما أمر به المالك الحقيقى وقد جاءت النصوص بذلك كقوله تعالى :

{وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه} .

-
- (١) الآية من سورة الملك : ١٥
(٢) الآية من سورة البقرة : ٢٩
(٣) انظر : أصول النظام الاجتماعى لمحمد الطاهر عاشور ص ٢٠١-١٩٧ .
(٤) الآية من سورة الحديد : ٧

(١)
وقوله تعالى :

{واتوهم من مال الله الذى اتيكم} .

ولأدل على أن المال مال الله من أنه بعد ما رزقه
للإنسان كما فى هذه الآيات تولى قسمته بعد موت الخليفة فيه
كما فى المواريث فكل واحد يعلم لمن المال بعده ومن الذى
أعطى كل ذى حق حقه وهو الله جل جلاله ، ويوم القيامة يسأل
كل أحد عن مسئولياته فى الحياة الدنيا كقول الرسول صلى
الله عليه وسلم : "لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل
عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين
اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه " . والمالك للمال
هو الذى يسأل الإنسان عن ذلك .

مادام المالك الحقيقى للمال هو الله سبحانه وتعالى ،
(٣)
فانه لاشك أنه ماخلق الإنسان الا لعبادته كما قال تعالى :

{وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون} .

فالعبادة الخالصة لله تعالى هى الهدف فى خلق الإنسان
فليكن اذن كل ماخلق لأجل الإنسان من المرافق ومطالب الحياة
وسيلة لتحقيق هذا الهدف ، وعلى رأس هذه المرافق التى لأجل
الإنسان المال والطاقة العقلية والمادية فى الإنسان للحمول
(٤)
على المال ، قال تعالى :

{هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا} .

وقوله تعالى :

-
- (١) الآية من سورة النور : ٣٣
(٢) رواه الترمذى فى كتاب صفة القيامة باب رقم ١ وقال
حديث حسن صحيح .
(٣) الآية من سورة الذاريات : ٥٦
(٤) الآية من سورة البقرة : ٢٩

(١)

{وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه} .

فالاقتصاد بكل وسائله واساليبه ومواده واحتياجاته يجب ان يكون خدمة للعقيدة التى تهذب المسلمين وتؤلف بين قلوبهم وتنسج منهم وحدة بشرية تعبد الله تعالى ويكون هذا الاتجاه للاقتصاد تابعاً للعقيدة وفتحاً الباب على مصراعيه لكل من اراد الدخول فى هذه الاخوة والوحدة العالمية ، هذا مايرشد اليه كون المال لله تعالى ولايختلف الناس فى انه هو الرازق فهى قضية مسلمة . وأول من يجب عليه ان يأخذ بها جانب العقيدة المؤمنون المستسلمون لمبدأ العقيدة والمعتزفون بأن مصدر المال هو الله سبحانه وتعالى . وبناء على هذه العقيدة يلزم ان يتجه اقتصاد المسلمين على أى مستوى كان الى دعم الاخوة الاسلامية التى تتولد منها الوحدة القوية . وقد وجه المسلمون بذلك فى الشريعة كما فى السياسة الاقتصادية .

الجانب الثانى :

"اساليب الاقتصاد الاسلامى القانونية فى صرف المال لبناء الاخوة والوحدة الاسلامية " .
ان هذه الاساليب فى جملتها وتفصيلها تخدم العقيدة وهذه الاخوة والوحدة فى سبيل العقيدة وهى الزكاة والخراج والضرائب والمداقات والكفارات والانفاق .

(١) أما الزكاة :

فهى الركن الثالث من أركان الاسلام والقاعدة من قواعد الاسلام التى لا يدخل الانسان فى جملة المؤمنين الا بالايمان بها ولو لم يملك المال وأدائها ان كان من أهل المال ثم صرفها للدولة الاسلامية أو يصرفها هو لأهلها الثمانية الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى بقوله :
(١)

{انما المدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم} .

فهؤلاء الأصناف الثمانية هم نصف المجتمع الاسلامى الذى يوصف بالمحتاجين فاذا اهتم الاقتصاد الاسلامى بمعاشهم وحفظ كرامتهم الانسانية فلاتجد فى المجتمع الاسلامى مشكلة نجمت من الحاجة والعوز ، أما النصف الآخر فهم الأغنياء ، وبذلك تسد حاجة المجتمع بهذا التصنيف البديع وبتنفيذ وتقرير هذا الركن الذى دارت أول حرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل اقراره فى الأمة وأدائه حقا للعقيدة فى المال .
(٢)

(٢) أما الخراج :

فهو ماتحصله الدولة الاسلامية من المزارعين لأراضى الدولة لتوفر من المال مابه "اصلاح حال المسلمين وأرزاق العاملين والولاة والقضاة وأهل الفتوى ورجال الجيش وتعبيد الطرق وعمارة المساجد والرباطات والقناطر والجسور واصلاح الأنهار وماالى ذلك" .
(٣)

(١) الآية من سورة التوبة : ٦٠
(٢) انظر : مطلب الزكاة فى فصل العبادات من الباب الأول ، وانظر : زاد المعاد لابن القيم ٢/٥-٢٢ .
(٣) انظر : الميدانى على القادورى ص ٢٧٧، ٢٧٨ .

كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى عهده بأرض العراق حيث أبقاها بدون توزيعها على الفاتحين لتكون ممذرا اقتصاديا للدولة الاسلامية فى واجباتها نحو الأمة .
(١)

(٣) العصور :

سواء كانت دائمة أو مؤقتة كالتي فرضها الخلفاء على الواردات والتجار الذين يمرون بالبلاد الاسلامية وسفنهم ، وقد تدعو اليها الحاجة المؤقتة اعدادا للحرب ورد العدو المهاجم ونحو ذلك من الطوارئ التي تفرض توفر مال يخدم الأمة فى قضاياها المصيرية ومثلها الانسانية .
(٢)

(٤) المدقات :

وهى جزء من المال حسب الأوصاف الفقهية على الأغنياء اخراجها للفقراء والمساكين فى مناسبات كالعيدين ، عيد الفطر فيه زكاة الفطر وعيد الاضحى وفيه الاضاحى والهدايا وأكدت السنة اشباع حاجة الفقراء والمساكين لتتم الفرحة مع الأغنياء كقوله تعالى :
(٣) (٤)

{ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير} .

(٥) الكفارات :

وقد كان موقف الاسلام من الجرائم والخطايا موقفا

(١) انظر : الخراج لأبى يوسف ص ٢٦-٢٨ .
(٢) انظر : الفقه الاسلامى للدكتور الزحيلى ٢/٧٣٩-٨٢٥ .
(٣) انظر : الخراج لأبى يوسف ص ٨٢-٨٦ ، زاد المعاد لابن القيم ٢/١٩-٢٢ .
(٤) الآية من سورة الحج : ٢٨ .
والقانع : هو السائل .
والمعتز : المحتاج الذى لايسأل .

اجتماعيا يتسم بتطهير المجتمع ومواساته معا ، فالمرتكب للخطيئة يظهر ويؤدب بما يكلف به من مواساة الفقراء والمساكين وكان العناية بالمعوزين في المجتمع المسلم هي الشافع لقبول التوبة والعودة الى الرشدا ، وربما التهاون بحقوق هؤلاء يكون من الاسباب لانحراف المرتكبين للخطايا ومجال الكفارات كثير جدا يثري ويغنى هذه الفئة من المجتمع (١)
ككفارة الظهار كقوله تعالى :

{والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا} .
وكفارة اليمين :

{لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ...} . (٢)
{وقال في الفطر في رمضان : (٣)
{وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين} .

وهذا حكم باق في الشيخوخة أو المرض الذي لا يرجى برؤه (٤)
وقال في مخالفات الحج :
{فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك} .

(١) الآية من سورة المجادلة : ٣-٤
(٢) الآية من سورة المائدة : ٨٩
(٣) الآية من سورة البقرة : ١٨٤
(٤) الآية من سورة البقرة : ١٩٦

(١)

وفى الصيد للمحرم :

{يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ...} .

ومما يلفت النظر في الكفارات هذا التركيز والاختصاص على الأصناف الثلاثة لحاجتهم إلى المواساة اجتماعيا ، الصنف الأول : الفقراء والمساكين فهم في حاجة إلى مواساة كما ذكرت ، الصنف الثاني : الرقيق حيث يكون عتقه أحيانا هو الكفارة وما أحوج المؤمن الرقيق إلى أن يشعر بالاخوة فيكون حرا يزيد قوة الجماعة الإسلامية وسوادها أكثر مما لو كان رقيقا لأنه حينئذ اعتباره قد يكون ماديا بينما إذا تحرر صار اعتباره أخا إنسانيا ، والصنف الثالث : المرتكب للخطيئة بنفسه فهو في حاجة إلى مواساة لأخلاقه وتعديل جنوحه ولذا كلف بما يساعد على ذلك وهو انفاق المال أو تدعيم الاخوة الإسلامية بأن يحرر رقبة مؤمنة أو أن يصوم فيؤدب جسده ويواسى روحه بالارتباط بالله تعالى ولعل ذلك مما يرفع معنويته ويؤازر اخوته مع المؤمنين المستقيمين فلا يوجه إليه اللوم ولا يظعن في سلوكه بسبب ما ارتكبه .

الجانب الثالث :

النفقات : وجه الاسلام المسلمين توجيهها آخر في تصريف

(١) الآية من سورة المائدة : ٩٥

(٢) انظر : المغنى لابن قدامة ٧٣٣/٨ وما بعدها .

المال وتوظيف الاقتصاد فى سبيل صلة الرحم والاخوة الاسلامية وهما أساس الوحدة الاسلامية الكبرى ، هذا التوجيه يتمثل فى الانفاق سواء كان واجبا أو مستحبا تدعو اليه الفطر السليمة والرحمة وهى :

(١) وجوب النفقة على الزوجة والأولاد والوالدين والأخوات والعمات اللاتى لأعائل لهن بل وجب الانفاق من الأغنياء على أقربائهم الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب وفى ذلك تفصيل عند الفقهاء .

(٢) والانفاق واجب على الدولة المسلمة على العاجزين والشيوخ والمرأة الذين ليس لهم عائل ويتناول هذا حتى أهل الذمة .^(١)

(٣) ووجهت الاخوة الاسلامية كل أهل بلد أو حتى أن تسود بينهم روح التكافل والتعاقد ليهتم الأغنياء منهم بالفقراء منهم ، ولذلك يرى بعض الفقهاء أن أهل بلد اذا مات من بينهم أحد من الجوع فهم مسئولون جميعا وتوزع ديته عليهم .^(٢)

هذه المسئولية يشير اليها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" ، وفى رواية : "المسلمون كرجل واحد ان اشتكى عينه ، اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله" .^(٣)

وعناية أهل بلد بفقرائهم يفهمها أهل العلم من قوله تعالى :

(١) انظر : المغنى لابن قدامة ٥٦٣/٧-٥٦٥-٥٨٤، ٥٩٥ ، الفقه الاسلامى وأدلته لوحة الزحيلي ٧٨٥-٧٦٣/٧ .
(٢) انظر : المحلى لابن حزم
(٣) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب رقم ٦٧ .

(١)

{وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} .

(٢)

والرسول يقول : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"
 فإذا تركه للجوع وهو يستطيع أن يدفع عنه فقد خذله وأسلمه
 والفقراء المضافون إلى الأغنياء يشملون الأقرباء وغير
 الأقرباء لأنهم في بلد واحد .

(٤) وفي حالة الشدة والحاجة الملحة لمناسبة النوازل
 والكوارث وجه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوم
 القادر على المحتاج فيسد حاجته كقوله صلى الله عليه
 وسلم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :

"من كان معه فضل زاد فليعد به على من لازاد له ومن
 كان له فضل ظهر (أي مطية) فليعد به على من لاظهر له ، ثم
 أخذ يعدد من أصناف المال حتى ظننا أن ليس لنا من مالنا إلا
 ما يكفينا" (٣) .

وكما في قصة الأشعريين أنهم "إذا أرموا في الغزو أو
 قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ماكان عندهم في ثوب واحد
 ثم اقتسموه بينهم في اناء واحد بالسوية فهم مني وأنا
 منهم" (٤) .

(٥) ولولى الأمر أن يخصص بعض مال الدولة لرفع المستوى
 الاقتصادى للفقراء كما صنع الرسول صلى الله عليه وسلم
 بفىء بنى النضير حيث خص به المهاجرين لحاجتهم ومن

(١) الآية من سورة الاسراء : ٢٦ . وانظر : تفسير ابن كثير
 عند الآية .

(٢) رواه مسلم فى كتاب البر رقم ٥٨ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب اللقطة رقم الحديث ١٧٢٨ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث ٢٥٠٠ .

(١)

ذكر له فقره من الانصار .

(٦) وصية القرآن بالجار واليتامى والمساكين بأن يحسن

اليهم كما يحسن الى الوالدين وذوى القربى والاحسان .

هذا يتناول كل شيء فى التكافل الاجتماعى ، وهذا حق

الجوار خاصة كما قال تعالى فى آية الحقوق العشرة :

{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا

وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار

(٢)

الجنب والماحب بالجنب} .

والجار يتناول كل الجيران فى الحضر والسفر وهم ثلاثة

جار له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم من ذوى القربى ، له حق

الاسلام وحق الجوار وحق القرابة ، وجار له حقان وهو المسلم

من غير ذوى القربى له حق الجوار وحق الاسلام ، وجار له حق

(٣)

واحد وهو الجار الكافر له حق الجوار .

(٧) توجيه المسلمين الى المدقة المطلقة وانفاق مافضل من

المال ولم تكن الحاجة اليه وهذا مجال واسع لا يحد

بالحدود ، وأحيانا يدخل فيه حتى الحيوانات ، قال

(٤)

تعالى :

{الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية

فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} .

وقوله تعالى :

(١) انظر : سيرة ابن هشام ١٩٢/٣ ، فتح البارى لابن حجر

٢٢٧/٦ ، ٣٣٣/٧ .

(٢) الآية من سورة النساء : ٣٦

(٣) انظر : القرطبى وابن كثير عند تفسير هذه الآية فى

سورة النساء .

(٤) الآية من سورة البقرة : ٢٧٤

{يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن
(١)
يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون} .
وغير ذلك من الآيات التى ترغب فى المدة مطلقا بدون
من ولا اذى ولا أى هدف الا تبادل الرحمة بين الناس وألفة الاخوة
الاسلامية بين المسلمين ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
"ما أحب أن لى مثل أحد ذهباً انفقته فى سبيل الله أموت وأترك
(٢)
منه قيراطين" .
(٣)
وقوله : "يا عائشة اتقى النار ولو بشق تمرة" .

الجانب الرابع :

الوقف الخيري وهو من وجوه توجيه المال نحو التكافل
الاجتماعى ، وقد رغب الاسلام فيه وهو المقمود بالصدقة
الجارية كما جاء فى الحديث : "اذا مات ابن آدم انقطع عمله
الا من ثلاثة : صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له ، أو علم
(٤)
ينتفع به" .

وعند الفقهاء التفصيل لشروط الوقف وأحواله .

الجانب الخامس :

الميراث وقد تولى الله سبحانه وتعالى توزيع الميراث
وأعطى كل ذى حق حقه فلم يستبد شخص واحد به كما هو الحال

-
- (١) الآية من سورة البقرة : ٢٥٤
(٢) رواه البخارى فى كتاب الرقاق باب رقم ١٤ .
(٣) متفق عليه : البخارى فى كتاب الادب باب رقم ٣٤ ،
ومسلم فى كتاب الزكاة رقم ١٠١٦ .
(٤) رواه مسلم فى كتاب الوصية رقم ١٤ ، والنسائى فى كتاب
الوصايا ٢٥١/٦ .

فى الأنظمة الجاهلية ولم يحرم الضعيف ولا المرأة ، وقد ندب الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين الى أن يتركوا ورثتهم من بعدهم أغنياء بالميراث كما وجه عليه الصلاة والسلام الى الوصية من الثلث فما دون وتكون لغير الوارث كقريب لا يرث أو فقراء ومساكين يحضرون توزيع الميراث وعلى كل حال ، فالميراث وما يتعلق به من الوصية ووضع كل شئ منه فى موضعه اجراء قانونى ملزم يتصرف فى المال تصرفا اجتماعيا يساند الأسرة وتماسكها ويحمل أعباء اليتامى والأرامل .

ومما تقدم من عرض الجوانب المتحركة اجتماعيا وإنسانيا للاقتصاد الإسلامى رأينا أن الرعاية الاقتصادية غطت أحوال المجتمع والأمة بأكملها وأن أبرز مسئولية لهذا الاقتصاد هى بناء الوحدة الإسلامية بين المسلمين وتوكيد الروابط والأواصر بينهم بكل وسيلة من الوسائل . ومن أبرز الوسائل وأقواها وسيلة المال التى رأينا أنها فى الحقيقة تمنع بين المجتمع المسلم المترابط بحيث أن كل واحد منهم لا يرى أنه أولى من أخيه بماله وأن صفة الإيثار أغلب الصفات للمؤمنين نحو بعضهم مع بعض !...

وهناك فروق بين التكافل الاجتماعى فى الإسلام ، والتكافل الاجتماعى عند الأنظمة الأخرى ، ومن أهم هذه الفروق مايلى :

(١) التكافل فى الأنظمة الحديثة مادي لا يهتم إلا بتلبية بعض الحاجات المادية ، وأما التكافل فى الإسلام فإنه يتجاوز هذه الخدمة الفيقة والتى نادرا ماتقع عند أولئك - يتجاوزها الى تعاون أوسع يتناول كل جوانب

الخير التى تنهض بالانسان اجتماعيا واقتصاديا وأدبيا
ورفع مستواه الى كل طموحاته التى تصفه فى صف
الاقوياء .

(٢) التكافل فى الانظمة غير الاسلامية يهتم بالفرد أو
الجماعة فى أدوار ضيقة بينما فى الاسلام ينطلق التكافل
من بين الفرد وذاته الى بين الأمة والامم الى الاجيال
القادمة كما تقدم من المواساة بين الفرد وأسرته
وأقاربه وبين الجيران وأهل الحى والبلد الواحد وهكذا
الى مستوى الأمة .

(٣) الانظمة المادية اذا قررت مبدأ التكافل فانما ذلك بعد
المطالبة والالاحاح من مواطنيها فليس اذن هو مبدأ أصيل
فى معاملاتها ومن جهة أخرى لو لم يكن الصراع بين
الانظمة الاشتراكية والانظمة الرأسمالية لما وجد شيء من
التكافل الاجتماعى لأن الفريقين لا يحفلان الا بالمنفعة
المادية فقط دون الجوانب الانسانية ، أما الاسلام
فالتكافل من طبيعة نظامه دون أى مطالبة لأن التكافل
الاجتماعى من دواع العقيدة والعبادة والشريعة كما جاء
الوحى بها .

(٤) الانظمة المادية اذا أقرت التكافل الاجتماعى فانما هو
فى مقابل ما تكلفه الافراد والجماعات والمؤسسات من
الضرائب والتأمين ومن هذا الذى يؤخذ من مواطنيها
قهرًا فكأنها لاتعرفه ولاتقربه ولاتفيده الا بما دفع ،
أما المستفيد فى التكافل الاجتماعى فى الاسلام لا يدفع
شيئًا ، ان كان فقيرا محتاجا ، وانما المستغنى هو

الذى يدفع سواء كان دولة أو فردا أو مؤسسة .
(٥) الانظمة المادية تعتمد فى تكافلها على تشريعها المادى
الجامد بعيدا عن الروحانية والخلق ، أما الاسلام
فبالاضافة الى التشريع يعتمد التكافل الاجتماعى فيه
على الضمير والانسانية والرحمة والشعور بالاخوة بين
(١)
الافراد والجماعات .

(١) انظر : معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم
عثمان ص ٢٥١-٢٥٣ .

المبحث الثالث : الرعاية السياسية

تمهيد :

السلوك الاجتماعى والتكافل الاقتصادى ظاهرتان متلازمتان لتطبيق الاخوة الاسلامية ولكنهما فى الغالب لاتنشطان ولا تؤدىان الثمار المرجوة الا بقيادة سياسية اسلامية تستهدف فى المجتمع الترابط والتعاون والمشاركة فى السراء والضراء فى جو من المساواة والمواسة ، ومن ثم لابد من التطرق لهذا الموضوع وهو سياسة الدولة الاسلامية للرعية ، لانه من الوسائل والأساليب التى جاءت فى منهج الكتاب والسنة لإنشاء الروابط بين المؤمنين فوق الروابط المادية .

ولكن ليس هدفى فى هذا الموضوع الكتابة فى موضوع السياسة فى الاسلام وبيان أهدافها ومنطلقاتها لانه موضوع متشعب ، وانما هدفى هو البحث فى الجوانب السياسية التى تدفع الاخوة الاسلامية الى الامام وتقدم الرعاية شاملة لكل افراد الامة فى أى مكان ، وأن هذه الجوانب اذا أخذت بها الدول الاسلامية واتفقت على تطبيقها سوف تعود الوحدة بين المسلمين وان كانت هذه الدول متفرقة جغرافيا وسياسيا ، وذلك ما يبرر العودة الى ما يجمعنا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا مع وحدتنا عقيدة وعبادة ومنهجاً فى التربية .

والسياسة الاسلامية فى عناصرها الاجتماعية والدولية وأساليبها فى الحكم تستلزم هذه الرعاية التى تشمل حتى غير المسلمين اذا انضم الى الامة بشكل أو بآخر ، لانها سياسة

لاستقى من الفلسفة والنظريات المادية ، وانما هى تابعة من
الوحى ووليدة من التربية النبوية التى كانت سياسة للدولة
الاسلامية الاولى ، ويتناول المبحث المطالب التالية :
المطلب الاول : مفهوم السياسة الشرعية وشمولها .
المطلب الثانى : الشورى .
المطلب الثالث : اقامة الحدود .
المطلب الرابع : العدل القضاى .

المطلب الأول : مفهوم السياسة الشرعية وشمولها

السياسة ماكان فعلا يكون معه الناس أقرب الى الصلاح ،
وأبعد عن الفساد .

السياسة من اجتهاد العلماء والفقهاء لأن الوحي جاءت
فيه قواعد كلية يدخل فيها كل صلاح للناس وتنفي كل فساد ،
وتحديد هدف السياسة الشرعية والمقصود بها ليس بالأمر الهين
لأن السياسة فى المفهوم الاسلامى تتناول الإصلاح والتدبير
الحسن والتوجيه فى كل شئ من جوانب الحياة ، وفهم السياسة
الشرعية وتطبيقها يحتاج الى فهم دقيق وعزيمة قوية ،
وايمان مخلص ، وصدق فى الطاعة والتنفيذ ، لتؤدى دورها
العظيم ولتبقى صورة حسنة لدين الله تعالى ، يقول ابن
القيم :

"وهذا موضع مزلة أقدام ، ومضلة أفهام ، وهو مقام ضنك
ومعترك صعب فرط فيه طائفة ، فعطلوا الحدود ، وضيعوا
الحقوق وجروا أهل الفجور على الفساد وجعلوا الشريعة
قاصرة لاتقوم بمصالح العباد ، محتاجة الى غيرها وسدوا على
نفوسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له وعطلوها
مع علمهم وعلم غيرهم قطعاً أنه حق مطابق للواقع ظناً منهم
منافاتها لقواعد الشرع ، ولعمر الله أنها لم تناف ما جاء
به الرسول وان نافت ما فهموه من شريعته باجتهادهم والذى
أوجب لهم ذلك نوع تقصير فى معرفة الشريعة وتقصير فى معرفة
الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر فلما رأى ولاية الأمور ذلك
وأن الناس لا يستقيم لهم أمرهم الا بأمر وراء ما فهمه هؤلاء من

الشريعة أحدثوا من أوضاع سياستهم شرا طويلا وفسادا عريضا فتفاقم الأمر وتعذر استدراكه وعز على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس من ذلك ، واستنقاذها من تلك المهالك ، وأفرطت طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة فسوغت من ذلك ماينافى حكم الله ورسوله وكلا الطائفتين أتيت من تقصيرها فى معرفة ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه فان الله سبحانه أرسل رسوله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به الأرض والسموات ، فاذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء ثم ينفى ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين أمارة فلا يجعله منها ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل والقسط فهى من الدين ليست مخالفة له فلا يقال ان السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع بل موافقة لما جاء به بل هى جزء من أجزائه ونحن نسميها سياسة تبعا لمصطلحكم وإنما هى عدل الله ورسوله ظهر بهذه الأمارات والعلامات .^(١)

وخلاصة هذا التلخيص الجيد الشامل لقواعد السياسة الشرعية والهدف الى الغايات التى تسعد الناس بأسلوب واحد ووسائل من السياسة موحدة :

أولا : الهدف من السياسة الشرعية اظهار العدل ونشره بين الناس وبذلك يكون الإصلاح ولا يكون الفساد وقد ينص الكتاب والسنة على هذا وقد تتضمنه القواعد الكلية فيها ويحتاج

(١) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ١٤-١٦ .

الى فقه وثقافة لاستخراجه فى سياسة الرعية سواء كان من الحكام أو من العلماء أو بفراصة غيرهم من الرعية ، ولذلك جاءت سياسة الاسلام كافية مغذية عن غيرها فى كل زمان ومكان .

ثانيا : التفريط فى فهم هذه السياسة على هذه الحقيقة الواقعية يؤدى الى أمرين :

- (أ) اتهام الشريعة بأنها غير وافية .
 - (ب) الوقوف عند ظواهر النصوص فقط دون وعى عمقها وشمولها .
- وهذان الأمران يفرقان الأمة عن كمال الشريعة وتلبيتها لكل المطالب ، فالأول يفتح الباب الى القوانين الوضعية بحثا عن سياسة شاملة ، والثانى يفتح الباب الى اتهام العقلية الاسلامية لأنها لاتستطيع أن تستوعب من شريعتها الموصوفة بالكمال والشمول والعالمية ما يصدق ذلك ومن ثم تتجه الأمة القاصرة الى الأمم الأخرى المتقدمة .
- ويتبين من أقوال العلماء أن السياسة الشرعية التى هى سياسة الدولة الاسلامية والجماعات الاسلامية فى كل زمان ومكان يقصد بها أمران :

الأول : تنفيذ ما جاء فى الشريعة مفعلا فى نصوص الكتاب والسنة .

الثانى : الاجتهاد من خلال الممالح العامة فى محيط الأدلة الاجمالية من الكتاب والسنة والاجماع والقياس .

وكلا الأمرين المقصود به رعاية الحياة الفردية والجماعية بما يملحها ويحقق الحاجيات الضرورية والكمالية بما لا يتنافى مع الشريعة ولا يتباين مع غايات العقيدة التى

جمعت الامة على مبدأ واحد وغاية واحدة ، ومن ثم يلزم أن يكون أسلوب الحياة السياسية والاجتماعية واحد ، لانه انطلق من مبدأ واحد ويسير الى غاية واحدة ، مهما توسعت الامة وتنوعت فيها الاجناس واللغات .^(١)

ومجمل السياسة الاسلامية مبنى على آيتين فى كتاب الله تعالى وهما قوله تعالى :^(٢)

{ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} .

قال العلماء : "نزلت الآية الاولى فى ولاية الامور عليهم أن يؤدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ، ونزلت الثانية فى الرعية عليهم أن يطيعوا أولى الأمر الفاعلين لذلك فى قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك ، الا أن يأمرؤا بمعصية الله ، فإذا أمرؤا بمعصية الله فطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فان تنازعوا فى شىء ردوه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان لم تفعل ولاية الأمر ذلك أطيعوا فيما يأمرؤن به من طاعة الله ورسوله ، لأن ذلك من طاعة الله ورسوله ، وأديت حقوقهم اليهم كما أمر الله ورسوله قال تعالى :

(١) انظر : خمائص التشريع الاسلامى فى السياسة والحكم

للدكتور فتحى الدرينى ص ١٨٩-٢٠١ .

(٢) الايتان من سورة النساء : ٥٨-٥٩

{وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
(١)
والعدوان} .

واذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات الى أهلها ،
والحكم بالعدل ، فهذان جماع السياسة العالية والولاية
(٢)
المالحة .

فإذا كانت السياسة الاسلامية تدور رحاها على هاتين
الآيتين ومضمونهما أداء الأمانات والحكم بالعدل فقد تكاملت
هذه السياسة وهى بطبيعتها وسيلة لتطبيق الاخوة الاسلامية
مادامت أهداف هذه السياسة أداء للأمانة ونشر العدالة هما
أمران يستلزمان بناء الاخوة والوحدة بين المسلمين لأنه
ما جاء التفرق وتحكم الاختلاف الا بسبب فقدان الأمانة والعدالة
فى الحكم وفى الحياة الاجتماعية وتوزيع الثروة الاقتصادية
ويتأكد هذا اذا عدنا الى المصادر الاسلامية لتحديد واجبات
الحاكم بعد مبايعته نحو الرعية فاذا هذه الواجبات أمانة
فى عنقه وأسلوب عدالة ومجموعها هو السياسة التى يجب أن
يجمع بها الشمل ويدفع بها العدو ويوصل الحقوق بها ويؤلف
بين القلوب .

(٣)
هذه الواجبات نذكرها كما ذكرها الماوردى اذ يقول
والذى يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء :

-
- (١) الآية من سورة المائدة : ٢
(٢) ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ٢٢/٢٤٥-٢٤٦ .
(٣) هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى
من كبار فقهاء الشافعية وله باع طويل فى عدة فنون
فهو امام ومفكر كبير وله كتب كثيرة ، امتدت حياته من
سنة ٣٦٤هـ الى ٤٥٠هـ .
انظر ترجمته فى : طبقات الشافعية للسبكي ٣/٣٠٣ .

- (١) حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة
فإن نجم مبتدع أو زاع ذو شبهة عنه أوضح له الحجة
وبين له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ،
ليكون الدين محروسا من خلل والأمة ممنوعة من زلل .
- (٢) تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين
المتنازعين حتى تعم النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف
مظلوم .
- (٣) حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في
المعاش وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو
مال .
- (٤) إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك
وتحفظ حقوق عباده من ائتلاف واستهلاك .
- (٥) تحمين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى
لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرما أو يسفكون
فيها لمسلم أو معاهد دما .
- (٦) جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في
الذمة ليقام بحق الله تعالى في اظهاره على الدين
كله .
- (٧) جباية الفىء والمدقات على ما أوجبه الشرع نصا
واجتهادا من غير خوف ولا عسف .
- (٨) تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف
ولا تقتير ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .
- (٩) استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض اليهم من
الأعمال ويكله اليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة

مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة .

(١٠) أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال ، لينهض
 بسياسة الأمة وحراسة الملة ، ولا يعول على التفويض
 (١)
 تشاغلا بلذة أو عبادة ، فقد يخون الأمين ويفش الناصح .
 هذه الواجبات السياسية شاملة لمطالب الرعاية الداخلية
 والخارجية وإذا اتمف بها وطبقها قادة المسلمين في سياستهم
 لرعاياهم من جهة وفي علاقتهم بعضهم ببعض بأن يعتبر كل واحد
 منهم الدولة الإسلامية أفرادا من رعيته من جهة سوف تعود
 الاخوة الإسلامية بين المسلمين على قدر مايسمح به توزيعهم
 السياسى ، لأن الأصل في المسلمين أن يكونوا دولة واحدة ولكن
 الظروف التى أتاحت للمستعمر والعنصريين وزعتهم الى دول
 وشعوب ، ولتغلب على آثار هذا التوزيع والفرقة السياسية
 تدريجيا يلزم أن يتمف القادة بتلك الأوصاف على قدر مايمكن
 لتتقارب نفوسهم وتتشابه أهدافهم وتلتقى غاياتهم السياسية
 وهو أمر لاشك أنه تحفل به الشعوب الإسلامية وتوافق عليه لأنه
 من صميم الرعاية بوسيلة السلطة التى جهد المستعمر أن
 يطبعها على أخلاقه وسجاياه ولو كانت هذه السلطة فى يد
 المسلمين ولكن إعادة التاريخ الى ماضيه المشرق لا يكون الا
 بوسائله التى عرف بها أولا وولد بها مجده الثالث ، وإذا
 كنا سابقا فى الباب الأول فملنا العوامل التى تكون عليها
 الوحدة الإسلامية ورأينا أن الاتفاق عليها والاخذ بها أمر
 ضرورى فى التربية والثقافة وفى الباب الثانى .

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ص ١٥-١٦

رأينا مما مضى أهمية وسائل التكوين لهذه الوحدة ومرونة الأساليب ، ومن بين الوسائل السياسية ، فلكى يستفيد المسلمون منها وهى اليوم الظاهرة المسيطرة على العالم بقوانينها وتشريعاتها وأساليبها التنفيذية - فلكى تكون وسيلة لاعادة الوحدة الاسلامية ولو ببعض الأحوال والمظاهر الى أن تستكمل مورثها المشرقة فى السياسة - فلا بد من العمل المتفق عليه بين قادة المسلمين وسياستهم لانه لا يكفى أن يعبر القادة عن وحدة المشاعر والاجتماع فى موضع واحد والتوصيات فى مؤتمر واحد مالم نجد تطبيقا عمليا وسياسيا فى الشعوب المسلمة الموزعة سياسيا ، هناك مبادئ أساسية يمكن الأخذ بها والاتفاق على تنفيذها بين المسلمين أفرادا ودولا ، وتكون موضع الاتفاق القانونى ، وخاصة أن هذه المبادئ تحاول القوانين الوضعية محاكاتها بما يتناسب مع ماديتها وبشريتها ، ومما يساند الاتفاق عليها فى البداية بين الدول الاسلامية لتكون وسائل الرعاية لكل مسلم فى أى بلد كان بدل من رعايته بالقوانين الوضعية التى لا ترحم ولا تؤلف بين القلوب لتعدد مصادرها وتباين مشاربها - ومما يساند هذا الاتفاق أن الشعوب الاسلامية لاتمانع فى تطبيق هذه المبادئ ، واذا وجد من يمانع ويجادل فانما هو بين أمرين :

(١) اما أن يكون ضيعة ووسيلة اعلامية للغرب والاستعمار

وهذا خائن لا يسمع لصوته .

(٢) واما أن يكون من الطوائف غير المسئولة عن الرعاية

الاسلامية وانما هى ترعى وتحمى وهى ليس لها التدخل فى

ممالح الأمة العليا .

وخلاصة القول فى شمول منهج السياسة الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة ، وفقه المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر ، المتبعين لشريعة الله غير مبتدعين - أن هذا المنهج تناول الأفراد داخل الدولة الإسلامية والجماعات والحكام والمحكومين ، وتناول علاقة المسلمين بغيرهم كما مر فى فصل (١) "الإصلاح" .

وأساسيات السياسة الشرعية فى الإسلام الأمور التالية :
(١) وحدة الغاية بين الحاكم والمحكوم من معالم السياسة الإسلامية بمعنى أن الهدف للحاكم والمحكوم فى الإسلام سواء ، وهو أن كل واحد من فريقين هدفه تحقيق الحق وتلاق الجميع على العدل والبعد عن الظلم ، خلاف سياسة القوانين الوضعية القائمة على تحقيق العظمة والشهرة والقوة فالمصلحة للقوى فقط .

(٢) وحدة الغاية فى التشريع السياسى الإسلامى مصونة بقيم أخلاقية ثلاث عليها ينبىئ الالتزام السياسى المادى :

(أ) الوازع الدينى .

(ب) سلامة الاتجاه العقلى .

(ج) نزاهة الإرادة والتزامها بالأخلاق .

وفى نفس الوقت هذه العوامل تكفى فى ضمان الامتثال والتنفيذ مادام لاينفصل الدين والأخلاق عن السياسة .
فالعقيدة لاتهتم بالمظاهر الا تبعا لاهتمامها البالغ

(١) كما فى مبحث الذميين والمستأمنين فى الفصل الثالث من هذا الباب .

بروح العمل وباطنه ، ويشير الحديث الشريف الى هذا الاعداد النفسى والاستعداد لاستثمار العمل "انما الاعمال بالنيات (١) وانما لكل امرئ ما نوى" .

(٣) السياسة الاسلامية من مبادئ غاياتها وواقعية مثاليتها أنها تفترض دائما الانحراف عن الغاية استعدادا لتقويم هذا الانحراف ، فكيف لو وقع بالفعل وهذا سمو فى السياسة الاسلامية لانظير له فى الفلسفات الأخرى .

(٤) السياسة الاسلامية ترفض اعتماد الأمر الواقع ولزومه فى أى نوع من العلاقات سواء كانت فردية أو جماعية أو دولية فى أى مجال من مجالات الحياة .

(٥) التكافل السياسى أمر أساسى بين الحاكم والرعية ، وكذلك بين الحكام المسلمين فى دولهم كما تنص عليه (٢) الصحيفة ، التى كتبها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، ومضمونها أن سلم المسلمين واحد وعلاقتهم بغيرهم واحدة حتى لاتفكك وحدتهم وتضعف أخوتهم فتذهب ريحهم وذلك يفيد أمرين :

(أ) لايجوز لبعض المسلمين سواء كانوا حكاما أو جماعات أن يسالم عدوا دون بقية المسلمين فينشئ علاقة مع خصم لاخوانهم المسلمين الآخرين .

(ب) حرب المسلمين واحدة لايجوز أن يتقاعد عنها فرد ولاجماعة ولا دولة اذا تحقق أنها حرب جهاد فلايتخاذل

(١) لأهمية هذا الحديث يبدأ به المؤلفون كتبهم ، وقد أخرجه البخارى فى تسع أبواب لأغراض شتى منها أول كتابه .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ١١٩/٢ .

المسلمون .

ومن هنا تبين بجلاء واقعية السياسة الإسلامية لاسلبية
الرضوخ للأمر الواقع من الأعداء .

(٦) السياسة الإسلامية تحرص على الكرامة الإنسانية واعطائها
الحقوق والحرية ولا تفرق بين المسلمين وغيره في ذلك بل
ان فقه التشريع يهتم في هذه الحقوق .

(٧) السياسة الإسلامية ترى أن أهلية الإنسان للمسئولية ،
وكونه مناطا للتكليف مبنى على أنه مفطور على الخير
(١)
أكثر من الشر .

(١) انظر : خصائص التشريع الإسلامى فى السياسة والحكم
للدكتور فتحي الدرينى ص ٩٨-١١٤ .

المطلب الثانى : الشورى

الشورى مأخوذ من شرت الدابة شورا اذا عرضتها ، والموقع الذى تعرض فيه الدواب يسمى شوارا وكأنها بالعرض يعرف خيرها وشرها ، وكذلك المشاورة بها يعلم الخير والشر قيل مأخوذ من شرت العسل اشوره اذا استخرجته من موضعه ، والشورى مصدر سمي به القوم وقيل قوم شورى كما يقال " اذ هم نجوى " .

والمشاورة أو المشورة "استخراج الرأى بمراجعة البعض الى البعض ليعرف الصواب من الرأى والتدابير النافعة فى المهمة " (١) .

والشورى أسلوب حضارى من أساليب الدعوة الاسلامية فى تربية الأمة على الوحدة والاجتماع ، لانه علاقة بين الحاكم والمحكومين ، بل هو علاقة بين كل فردين من الأمة ، اذ الشورى مطلوب ومفيد فى الأحوال الفردية والجماعية والقضائية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك من جوانب الحياة واذا كان الانسان مدنى بطبعه لا يستطيع أن يعيش انسانا الا بالتعاون والتلاحم مع غيره بشكل أو بآخر ، فان الانسان بهذا تستلزم حياته الشورى لأن المشاورة بآى أسلوب كانت هى العلاقة التى تنشئ هذه المدنية الفطرية فى الانسان ، ومما يدل على علاقة الشورى بالفطرة أن الاسلام لا يتبنى شيئا من المبادئ ووسائلها وأساليبها الا يستند على ادراك فطرى فى

(١) انظر : التفسير الكبير للرازى ٦٥/٩ ، المفردات للراغب الاصفهاني ، مادة (شور) ، لسان العرب ، القاموس المحيط .

النفس الانسانية لما يريد من الانسان أن يتصوره ويعتقده ويعمل به ، وبهذا كان هذا الدين دين الفطرة ، فتوجيه المؤمنين نحو الشورى ووصفهم ، بها يعتمد على كينونة فطرية يبنى عليها الاسلام هذا الأسلوب السياسى فى تكوين الجماعة والوحدة بين الحاكم والمحكوم .

وبمبدأ الشورى الذى جاء فى الاسلام تلغى جميع أنواع الاستبداد سواء كان فرديا أو طائفيا وأى نوع من أنواعه المادية ، لأن الشورى ظاهرة انسانية تتبنى المثل العليا التى لاتستمد وجودها من المادية ، فالذى يتصف بالشورى بمفهومه الصحيح لايمكن أن يستبد وأن يتسلط وقد أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة فقال تعالى :^(١)

{وشاورهم فى الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله} .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه ربه الصواب فيما حربه من الأمور بالوحى سواء كان الوحى من القرآن أو من الالهام بأن كان سنة ، بدون أن يستشك فى الأمر ، وأما الأمة فعلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم فيما لم يتبين بالكتاب أو بالسنة تألفا بأصحابه وتربية لأمته على التشاور فيما بينهم بعده عليه الصلاة والسلام .^(٢)

فالشورى اذا بيان لجواز الاجتهاد فى الأخذ بما يظن أنه الخير موافقا للحق وهو مبدأ أخذ به الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يستشيرون الأمناء من أهل العلم والدراية والأمانة والتجارب والتقوى والعقل ، "والشورى

(١) الآية من سورة آل عمران : ١٥٩

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٥٣/٤ .

مبنية على اختلاف الآراء ، والمستشير ينظر فى ذلك الخلاف ،
وينظر أقربها قولا الى الكتاب والسنة ان أمكنه ، فاذا
أرشده الله تعالى الى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلا
عليه ، اذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب ، وبهذا أمر الله
تعالى نبيه فى هذه الآية " (١) .

وكان المؤمنون بعد هذا الأمر امتثلوا الأمر وتساندت
فطرتهم مع أمر الله تعالى بالمشاورة فاتصفوا بالشورى
كما قال تعالى : (٢)

{والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى
بينهم ومما رزقناهم ينفقون} .

ففى الآية عناصر الوحدة المترتبة على الاستجابة لله
تعالى وهى الاتفاق على اقامة الصلاة وهى عبادة بدنية روحية
والانفاق فى سبيل الله وهى عبادة مالية والتشاور بينهم من
نخائجه الاجتماع على ذلك ، فاذا كانت الأبدان وماتحمل من
الأرواح والنفوس وهى أغلى ماعند الانسان والأموال وهى أحب
الى النفوس - اذا كان ذلك اجتمع عليه الجميع وترابطوا فى
أدائه متشاورين ومتمسكين بهذا المبدأ الشورى فغير ذلك من
باب أولى فقد تم الهدف من الشورى وأتى ثماره اجتماعيا
وسياسيا واقتصاديا . (٣)

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكثيرا ما يستشير
أصحابه رضى الله عنهم فيما لم يأت فيه نص قاطع سواء كان

(١) تفسير القرطبي ٢٥٢/٤ .

(٢) الآية من سورة الشورى : ٣٨

(٣) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٨٧/٢٨ .

(١)

فى الحرب أو فى غيره .

كما روى أبو هريرة : "مارأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه

(٢)

من النبى صلى الله عليه وسلم" . والأمثلة فى ذلك مايلى :

(١) فى قصة الافك استشار قرابته وعامة أصحابه فى هذا

الحديث الذى يستهدف بيت النبوة فقال عليه الصلاة

والسلام فى خطبته للناس :

"ماتشيرون على فى قوم يسبون أهلى ما علمت عليهم من

(٣)

سوء قط" .

(٤)

وعن عائشة رضى الله عنها حين قال لها أهل الافك قالت

(٥)

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب

(٦)

وأسماء بن زيد رضى الله عنهما حين استلبث الوحى يسألهما

وهو يستشيرهما فى فراق أهله ، فأما أسماء فإشار بالذى

يعلم من براءة أهله وأما على فقال لم يضيق الله عليك

والنساء سواها كثير وسل الجارية تمدحك فقال هل رأيت من

شئ يريبك قالت مارأيت أمرا أكثر من أنها جارية حديثة

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤٢٠/١ ، فتح البارى ٣٤٢/١٣ .

(٢) قال ابن حجر ورجاله ثقات الا أنه منقطع ، الفتح

٣٤٠/١٣ ، وذكره الترمذى عن أبى هريرة فى كتاب الجهاد

باب ماجاء فى المشورة رقم ٣٤ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام باب رقم ٢٨ .

(٤) أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله

عنهما وأما أم رومان بنت عامر الكنانية ولدت عائشة

بعد المبعث بخمس سنوات وتزوجها الرسول وهى بنت ست

سنوات ودخل عليها وهى بنت تسع سنوات .

الاصابة ٣٥٩/٤-٣٦١ .

(٥) سبقترجمته .

(٦) هو أسماء بن زيد بن حارثة حب رسول الله وابن حبه ولد

فى الاسلام وتوفى الرسول عليه الصلاة والسلام وله عشرون

سنة وقيل أقل اعتزل أسماء الفتن وتوفى بالمدينة سنة

٥٥٤ هـ .

انظر ترجمته فى : الاصابة ٣١/١ .

السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله فقام على المنبر فقال يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغنى إذاه (١) فى أهلى والله ما علمت على أهلى الا خيرا فذكر براءة عائشة . وقصة الافك فتنة حبك المنافقون حلقاتها مستهدفين بيت النبوة واسرة أبى بكر الصديق رضى الله عنهم خاصة ، فزرعوا هذه الفتنة داخل المجتمع المسلم وانتظروا نتائجها لحساب نفاقهم ، فالفتنة وان كانت لها أهداف خاصة فان المنافقين حبكوها على أساس أنها مشكلة وحادة اجتماعية لا يبرأ أحد منها من المجتمع ولكن الله برأهم وخذل المنافقين ، وهذا موضع ما أجمل الاستشارة فيه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفة الأحوال التى جاء الوحي مصدقا لها ...!

(٢) مشورته لأصحابه فى بدر لملاقاة قريش .

فأشار عليه المهاجرون لملاقاة العدو وأحسنوا ، ثم أعاد طلب المشورة ، وهو يريد الانصار لأنه هاجر اليهم ليمنعوه وينصروه فأجابوه بالموافقة على ما رآه المهاجرون . وهذه القصة من السيرة لها شواهد من وجوه كثيرة .

(٣) فأمّا مقالة المهاجرين فكما روى ابن مسعود يقول :

(١) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب رقم ٢٨ .
 (٢) انظر : سيرة ابن هشام ٢/٢٥٣ . الطبقات لابن سعد ٢/١٤ .
 (٣) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلى أحد السابقين الى الاسلام وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها وروى كثيرا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، توفى سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ .
 انظر ترجمته فى : الاصابة ٦/٤٩٤٥ .

(١)
 "شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب الى
 مما عدل به ، أتى النبی صلی الله علیه وسلم وهو يدعو على
 المشركين فقال : لانقول كما قال قوم موسى لموسى {فاذهب أنت
 وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون} ولكن نقاتل عن يمينك وعن
 شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبی صلی الله علیه وسلم
 أشرق وجهه وسره . (٣)

(٤)
 وأما مقالة الانصار فكما روى أنس أنه قال : استشار
 النبی صلی الله علیه وسلم مخرجه الى بدر ، فأشار اليه أبو
 بكر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض
 الانصار : اياكم يريد رسول الله يامعشر الانصار ، فقال بعض
 الانصار يارسول الله ، اذن لانقول كما قالت بنو اسرائيل
 لموسى {اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون} ولكن والذي
 بعثك بالحق لو ضربت أكبادها الى برك الغماد لتبعناك . (٥) (٦)

-
- (١) هو المقداد بن الأسود الكندي وغلبت عليه الشهرة بابن
 الأسود لأنه تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري والا اسم
 أبيه عمر بن شعلبة وتوفي في خلافة عثمان سنة ٣٣هـ .
 انظر ترجمته في : الاصابة ١٨٧٨/٩ .
- (٢) الآية من سورة المائدة : ٢٤
- (٣) رواه البخاري في كتاب التفسير باب رقم ٤ في تفسير
 سورة المائدة .
- (٤) خادم رسول الله صلی الله علیه وسلم أنس بن مالك بن
 النضر الأنصاري كثر ماله وولده وطال عمره ببركة دعاء
 الرسول له ، وتوفي سنة ٩٣هـ .
 انظر : الاصابة ٢٧٥/١ .
- (٥) برك الغماد بضم الفين وكسرهما موضع باليمن .
 انظر : لسان العرب في مادة (برك) .
- (٦) رواه الامام أحمد عن عبيدة بن حميد عن حميد الطويل عن
 أنس فهو من ثلاثيات الامام أحمد ، يقول ابن كثير :
 وهذا اسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح .
 البداية والنهاية لابن كثير ٢٨٨/٣ ، وانظر : الطبقات
 لابن سعد في مشورة الحباب في موضع النزول ببدر ١٥/٢ .

(٣) استشارته عليه الصلاة والسلام يوم أحد .

"وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له الناس لم يكونوا شهدوا بدرا ، أخرج بنا يارسول الله نقاتلهم بأحد ونرجوا أن نصيب من الفضيلة ما أصاب أهل بدر ، فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس لامته فلما لبسها ندموا ، وقالوا يارسول الله أقم فالرأى رأيك ، فقال ما ينبغي للنبي أن يضع أدواته بعد أن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه " (١) .

(٤) وشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه في مصالحة الأحزاب في غزوة الخندق - بثلاث شمار المدينة في نفس العام . ولكن السعدين البطلين سعد بن معاذ وسعد بن عباد (٢) رضى الله عنهما أشارا على الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الأمر أن كان يمنعه الرسول لهم وأنه مشورة فلا يوافقان لأن المدينة في الجاهلية ما كان أحد يستطيع أن يطعم منها شيئا إلا

(١) رواه البخارى تعليقا في كتاب الاعتصام باب رقم ٢٨ ، وقال ابن حجر : "والقدر الذى ذكره هنا مختصر من قصة طويلة لم تقع موصولة في موقع آخر من الجامع الصحيح" وقد وصلها الطبرانى وصححها الحاكم عن ابن عباس . وبعد سياق مذكرته مختصرا قال الحافظ وهذا سند حسن . انظر : الفتح ٣٤١/١٣ .

(٢) هو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصارى الأوسى ويكنى أبا عمر شهد بدرا وتوفى بعد غزوة الخندق . انظر ترجمته في : الاصابة ٣١٩٧/٤ .

(٣) هو سعد بن عباد بن دليم الأنصارى الخزرجى يكنى أبا ثابت وأبا قيس شهد العقبة وشهد المشاهد كلها ، وهو مشهور بالجدود والغيرة على الاسلام ، توفى سنة ١٥هـ بحوران . انظر ترجمته في : الاصابة ٣١٦٧/٤ ، الطبقات لابن سعد ١٦٢/٨ .

بالقرى واليوم أعزهم الله بالاسلام فلا يعطون أحدا من
المشركين الا السيف فترك الرسول صلى الله عليه وسلم تلك
المشورة لهذا الموقف النبيل الشجاع .^(١)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخذه بمبدأ الشورى
يوصى بأن يكون المستشار أمينا مخلصا ثقة كما قال عليه
السلاة والسلام : "المستشار مؤتمن" .^(٢)

وهذه التدابير الرائعة السياسية كلها تجعل المجتمع
المسلم مجتمعا أخويا كل فرد فيه كمال للأفراد الآخرين ، وكل
جماعة قوة ومساندة لجماعات أخرى .

قال الامام البخارى فى صحيحه : "قول الله تعالى
{وأمرهم شورى بينهم} ، {وشاورهم فى الأمر} وأن المشاورة
قبل العزم والتبيين لقوله تعالى : {فاذا عزمتم فتوكل على
الله} فاذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر
التقدم على الله ورسوله وشاور النبى صلى الله عليه وسلم
أصحابه يوم أحد فى المقام والخروج قرأوا له الخروج فلما
لبس لامته وعزم قالوا أقم فلم يمل اليهم بعد العزم وقال
لاينبغى لنبى يلبس لامته فيضعها حتى يحكم الله وشاور عليا
واسامة فيما رمى به أهل الافك عائشة فسمع منهما حتى نزل
القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت الى تنازعهم ولكن حكم بما
أمره الله وكانت الائمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم
يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا
بأسهلها فاذا وضع الكتاب والسنة لم يتعدوه الى غيره

(١) انظر : سيرة ابن هشام ٢٣٧/٣ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الزهد رقم ٢٣٦٩ وقال حديث حسن
صحيح غريب .

اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة فقال عمر كيف تقاتل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا لا اله الا الله عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تابعه بعد عمر فلم يلتفت أبو بكر الى مشورة اذ كان عنده حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين فرقوا بين الصلاة والزكاة وأرادوا تبديل الدين وأحكامه وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه^(١) ، وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا^(٢) كانوا أو شبانا وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل .

وهذا التلخيص الوافي الشامل لنصوص الكتاب والسنة يشير فيه الامام البخارى الى أن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده ، كانوا يهتمون بالشورى لانه دلالة على تماسك الجماعة المسلمة ، وأن الدولة الاسلامية وحكامها لا يصدرن من الانانية الفردية ولا يبنين أمر هذه الدولة على الاستبداد بالرأى ، فرغم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤيد بالوحي ومهتدى من قبل ربه الى صواب الأعمال والاقوال ومالك الحكم في الناس وأوفقه رغم ذلك فان الله تعالى يأمره بالمشاورة {وشاورهم فى الأمر} وخلفاؤه الراشدون من بعده لا يمدرون الا من الكتاب والسنة ولادستور لهم سواهما ، وهم قد أحسنوا تدبر الكتاب واتبعوا الرسول

(١) رواه البخارى فى كتاب الجهاد باب رقم ١٤٩/٤ .
 (٢) صحيح البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب رقم ٢٨ .

صلى الله عليه وسلم ولم يخالفوا ذلك كله ومع هذا قاله سبحانه وتعالى يصفهم بقوله : {وأمرهم شورى بينهم} والامة الى يوم تقوم الساعة يجب أن تلتزم بهذا سواء كان بين فردين أو جماعتين أو أسرتين أو بين الدول والسلطين والامة باكملها ، ولهذا ركز الامام البخارى فى هذا المقدمة للباب لاهمية الشورى ، وليس من عادته فى صحيحه التطويل كهذا ، وكما روى "ماتشاور قوم قط بينهم الا هداهم الله لافضل ما يحضرمهم" وفى لفظ "الا عزم الله لهم بالرشد أو بالذى ينفع" . وروى "قد علم الله أنه ما به اليهم حاجة ، ولكن أراد أن يستن به من بعده" (٢) .

يقول الأستاذ سيد قطب عند قوله تعالى {وأمرهم شورى بينهم} :

"والتعبير يجعل أمرهم كله شورى ، ليصيح الحياة كلها بهذه المصبة . وهو كما قلنا نص مكى . كان قبل قيام الدولة الاسلامية ، فهذا الطابع اذن أعم وأشمل من الدولة فى حياة المسلمين ، انه طابع الجماعة الاسلامية فى كل حالاتها ، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم فيها بعد .

والواقع أن الدولة فى الاسلام ليست سوى افراز طبيعى للجماعة وخمائصها الذاتية ، والجماعة تتضمن الدولة وتنهض واياها بتحقيق المنهج الاسلامى وهيمنته على الحياة الفردية والجماعية . ومن ثم كان طابع الشورى فى الجماعة مبكرا ،

(١) أخرجه البخارى فى الادب المفرد وابن أبى حاتم بسند قوى عن الحسن . ابن حجر فى الفتوح ٣٤٠/١٣ .

(٢) قال ابن حجر أيضا : "أخرجه ابن أبى حاتم بسند حسن عن الحسن" ٣٤٠/١٣ .

وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها
انه طابع ذاتى للحياة الاسلامية ، وسمة مميزة للجماعة
المختارة لقيادة البشرية . وهى من ألزم صفات القيادة " (١)
ان الشورى بما تقدم وتقرر ذو فوائد جمة ومصالح
سياسية للدين والدنيا فهى :

- (١) عبادة يتقرب بها الى الله تعالى لأمره بها .
- (٢) وسيلة لتطيب خواطر القلوب وازالة ماقد يتعلق بها عند
الحوادث المتجددة لأن من له السلطة على الناس أو
الولاية اذا جمعهم وشاورهم فى أمر من الأمور اطمأنت
اليه النفوس وتعلقت به وأدركت أنه ليس بمستبد عليها
وانما ينشد المصلحة العامة التى يراها الجميع ،
وتترتب على ذلك طاعته وتقديره . وأما من ليس كذلك
فان الشكوك تتوجه نحوه ومخالفته أقرب من مصالحته
وموافقته فى النفوس .
- (٣) المشاورة توقيظ العقول وتنور الافكار بسبب التلاحم
الجماعى والتكافل من البعض للبعض .
- (٤) الشورى فى غالب أمره أسلوب ناجح ووسيلة صائبة لديها
بعض العصمة من الخطأ وان أخطأ المتشاورون ولم يتم
لهم الهدف فليسوا بملومين لأنهم أدوا ماعليهم من
الدور السياسى .
- (٥) الشورى من مهمات عظماء النفوس واصرار العقول فهذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الناس عقلا
وأقربهم الى ربه وأوفقهم سياسة ومع ذلك يؤمر به

(١)

ويتمف به هو وأصحابه بالشورى .

والشورى فى الاسلام لم تكن نتيجة لمطالبة الجماهير
ولامرحلة توصل اليها الناس بعد رقى سياسى واجتماعى وانما
هو وسيلة تشريعية لتوطيد الوحدة الاسلامية بعواملها ، فى
الوقت الذى كانت الشعوب أبعد ما تكون عن الشورى لأنها تعودت
على الاستبداد بل انه ليس هناك من يفكر فى قضية الشورى لأن
المحكومين يعتبرون من يحكمهم آلهة والحكام يعتبرون من
يحكمونهم طبقات خلقت لخدمتهم والاستمتاع بخلاقهم ، وفجأة
نزل الاسلام بالشورى فلو أن الحكام فى الدولة الاسلامية التى
تأخذ بالشورى وهى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد
الخلفاء الراشدين لم يأخذوا بمبدأ الشورى ماكان هناك
استنكار من الناس لأنه هو الأسلوب المعروف بين أهل الأرض
جميعا بالاضافة الى محبة المسلمين للرسول صلى الله عليه
وسلم والانقياد له ولخلفائه الراشدين ، ولكن الاسلام جاء
بالشورى وطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه
الراشدون والمؤمنون فى كل جوانب الحياة للتأكيد على
وحدتهم وقوة جماعتهم التى يحرمون على ألا تفكك وألا تذهب

(٢)

أدراج الرياح .

ومما تجدر الإشارة اليه هنا أن الشورى واردة فى الأمور
التي لم يرد فيها النص كأسلوب معارك الجهاد فالشورى اذن

(١) انظر : التفسير الكبير للرازى ٦٦/٩ ، تفسير المنان
للسعدى ٤٤٥/٤ ، ط/١٤٠٤هـ .

(٢) انظر : معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم
عثمان ص ١٨٠ .

(١)

أسلوب من أساليب الاجتهاد .

ويلاحظ فى كتابات المحدثين أن بعضهم يعمم الشورى فى كل شىء وكأن هؤلاء يريدون الرد على القوانين الاستبدادية التى لاتعرف الشورى وهذا لا يكون مدحا للإسلام لأن الاعتماد كله على الوحي ولااجتهاد مع النص وأما القوانين الوضعية فليس لها نصوص خارجة عنها تستمد منها السلطة التشريعية ، وعلى كل حال فالشورى وسيلة سياسية بالغة الأهمية فى التكوين الاجتماعى والتوجيه السياسى للأمة فمن الواجب على المسلمين إعادة هذه السياسة فى مسارين لتعود الوحدة بين المسلمين على قدر تطبيقتهم لهذه السياسة "الشورى" .

المسار الأول : أن يأخذ كل بلد اسلامى بمبدأ الشورى بين السراعى والرعية لتعود الثقة بين الحكام والمحكومين وبين أفراد الشعب من جهة أخرى ، فإذا منع كل بلد ذلك تشابهت البلاد الاسلامية فى الأخذ بهذه الوسيلة .

الثانى : وهو أن تأخذ الدول الاسلامية فيما بينها وعلاقتها مع بعضها ومع غيرها بمبدأ الشورى وتجعله وسيلة للاتفاق والتقارب فيما بينها من جهة ثانية . وليس فى الأمر صعوبة ولاغرابة دولية ، لأننا نرى الأمم تتسابق فى التكتلات السياسية وشعوبها تحتشد فى أساليب من المشاورات التى تمليها عليها قوانينها الوضعية وغاياتها المادية ، فعلى الأمة الاسلامية أن تأخذ بالمبادرة ولكنها بأسلوبها ووسائلها الخاصة التى تميز شخصيتها دون أن تكون مقلدة وتائهة فى

(١) انظر : احكام القرآن لابن العربى ٢٩٧/١ ، التفسير الكبير للرازى ٦٧/٩ .

شخصية غيرها .

ولعل منظمة المؤتمر الاسلامى فى لقاءاتها الاسلامية بين المسلمين على اى مستوى كانت لعلها أن توفق فى اعادة هذه الوسيلة السياسية بين المسلمين لتكون هى الاسلوب للتفاهم بين المسلمين لمدارسة كل القضايا التى سببت فى توزيعهم شيئا وتفرقهم بعد ما جعلهم الاسلام امة واحدة بغض النظر عن
اللون والجناس والاطنان ، قال تعالى :
(١)
{ ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون } .

(١) الآية من سورة الانبياء : ٩٢

المطلب الثالث : اقامة الحدود

جاء الاسلام والقتل والنهب والاعتداء على الاموال والأعراض والدماء كل ذلك هو الحياة الاجتماعية السائدة ، والسياسية قائمة على الغلبة ، فالسيد فى الناس ليس هو بذى خلق وانما هو القوى الذى يعتدى ويستمتع بخلاق الآخرين ممن يقوى عليهم وان كانوا من ذوى الرحم ، والاسلام نظام متكامل جاء باصلاح العقيدة وتوجيه العباداة واقامة نظام لحماية الفضيلة والحقوق ، ومن ثم لابد من اقامة الحدود لأن بها تنظم الحياة وينصف الناس بعضهم من بعض ويأمنون على حقوقهم وحقوق الله كما قال تعالى :^(١)

{ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلمكم تتقون} .

فالحياة هى المحور الذى يتدافع عليه الناس حرصا على الظفر بها وامتدادها بالانسان كلما امتد به الزمن بل انهم يتقاتلون ويعتدى بعضهم على بعض حرصا على الحياة فكل يخشى أن يسلب الحياة أو وسيلة من وسائلها فحملهم ذلك على القتل والنهب والاعتداء ، فاذا واهب الحياة جلت قدرته بوجه الناس بهذا التوجيه الكريم وهو أن الحياة التى تحرمون عليها وترغبون فى الزيادة منها ليست بوسائلكم العدوانية من بعضكم لبعض وانما الحياة تكمن فى اقامة شرع الله وتطبيق قانونه بتنفيذ الحدود واقامة شعارها السياسى الذى ينطوى على حكم جمة وتسبب لكم الحدود القائمة أمنا وطمأنينة فى النفوس على الاموال والأعراض والدماء .^(٢)

(١) الآية من سورة البقرة : ١٧٩

(٢) انظر : الكشاف للزمخشري ١/١١١ ، القرطبي ٢/٢٥٦ .

قال ابن تيمية : "قال العلماء : ان أولياء المقتول تغلى قلوبهم بالغضب ، حتى يؤثروا أن يقتلوا القاتل وأولياءه ، وربما لم يرضوا بقتل القاتل ، بل يقتلون كثيرا من أصحاب القاتل كسيد القبيلة ومقدم الطائفة ، فيكون القاتل قد اعتدى في الابتداء ، وتعدى هؤلاء في الاستيفاء كما كان يفعلهم أهل الجاهلية الخارجون عن الشريعة في هذه الأوقات ، من الأعراب والحاضرة وغيرهم ، وقد يستعظمون قتل القاتل لكونه عظيما أشرف من المقتول ، فيففى ذلك الى أولياء المقتول يقتلون من قدروا عليه من أولياء القاتل ، وربما حالف هؤلاء قوما واستعانوا بهم ، وهؤلاء قوما ، فيففى الى الفتن والعدوات العظيمة .

وسبب ذلك خروجهم عن سنن العدل الذى هو القصاص فى القتل فكتب الله علينا القصاص - وهو المساواة والمعادلة فى القتل - وأخبر أن فيه حياة ، فانه يحقق دم غير القاتل من أولياء الرجلين ، وأيضا فاذا علم من يريد القتل أنه يقتل كفى عن القتل .^(١)

والحدود قسمان :

(١) حدود هى حقوق الله تعالى وهى التى ليست لمعين من الناس فردا أو جماعة .

يقول الشيخ ابن تيمية : "بل منفعتها لمطلق المسلمين أو نوع منهم وكلهم محتاج اليها وتسمى حدود الله وحقوق الله مثل قطع الطريق أو السراق والزناة ونحوهم ومثل الحكم فى الأموال السلطانية والوصايا التى ليست لمعين فهذه من

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٤٦ .

أهم أمور الولايات ... " .

وهذا القسم يجب على الولاة البحث عنه وإقامته من غير دعوى أحد به وكذلك تقام الشهادة فيه من غير دعوى أحد به .. وهذا القسم يجب إقامته على الشريف والوفيع والضعيف ولا يحل تعطيله لأبشفاع ولا بهدية ولا بغيرهما ولا تحل الشفاعة فيه ، ومن عطله لذلك وهو قادر على إقامته ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا .^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ومن قال في مسلم دين مالميس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يخرج مما قال قيل يارسول الله : وما ردغة الخبال ؟ قال عمارة أهل النار"^(٢) .

(٢) الحدود التي هي حقوق لأدمى معين كالقتل سواء كان عمدا أو خطأ أو شبه خطأ قال تعالى :

{وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ...} .^(٣)
وقوله تعالى :

{ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما} .

فهذا القسم يدخله العفو ويؤخذ التعويض من الدية

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٩٧/١-٢٩٨ .
(٢) رواه أبوداود في كتاب الأقضية ١٤/٣ ، والطبراني بإسناد جيد والحاكم بسند صحيح . انظر الترغيب والترهيب للمنذرى ٢٤٥/٤ .
(٣) الآية من سورة النساء : ٩٢
(٤) الآية من سورة النساء : ٩٣

والمسلمون فيه تتكافأ دماؤهم ، يقاد من الغنى للفقير ومن الشريف للوضيع . كقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
 "المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ألا لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده " .
 (١)

وتعطيل الحدود على آية صورة كان يعتبر جريمة في الأمة المؤمنة التي جعل الله أمنها وسلامتها وحياتها في تنفيذ الحدود والمال الذي يؤخذ في مقابل تعطيل الحدود يعتبر سحت ومقت ، سواء أخذ هذا المال بأسلوب الرشوة أو بأسلوب القوانين التي تقنن الجزاءات المالية بدل إقامة الحدود .
 والاسلام حينما شرع فيه إقامة الحدود فانما هو يتجه بالمجتمع الى الوحدة والاخوة على الفضيلة لانه أمر بالتربية والاهتمام بالضمير الذي هو أكبر مراقب للانسان وشرع الحدود بعد بيان وتحديد المحظورات ولم يفتح سجنا ولا زنزانا للتعذيب ، ولكن هذه الحدود التي لا تقام الا بعد التأكد وبالشهود على أن المرتكب للخطيئة ارتكبها فعلا اذ لم يردعه ضميره الذي تربي بالعقيدة والعبادة فيقام عليه الحد تطهيراً له وتعديلاً من جنوحه واعادته الى انسانيته ، فهذا خير من ترك المجرمين يعبثون في الارض فسادا وان عوقبوا في القوانين الوضعية يعاقبون بوسائل وأساليب لا تردهم الى انسانيته وانما تزيدهم مخالفة لانها لا تقصد الا العقاب المادى الذى قد يزيد أضعافا مضاعفة عن المطلوب شرعا وقد تنقص عن المطلوب أيضا وكلا الأمرين نتائجهما تفرق ولا تجمع

(١) رواه أبو داود في كتاب الديات باب رقم ١١ ج ٤ ،
 والنسائي في كتاب القسامة باب القود بين الأحرار
 والمماليك في النفس ١٩/٨ ، ومسند الامام أحمد ١٢٢/١
 عن علي بن أبي طالب .

وتفسد ولا تملح ، بينما التقييد بالحدود التى جاءت فى الشريعة والالتزام بها يعيد للجماعة المسلمة الثقة بدستورها الاسلامى وقيادتها المؤمنة ويجعل من كل فرد عضوا فى السعى لمجانبية الجرائم كما أن الحدود فى ظاهرها رادع ماذى لضعفاء النفوس ، ولا يمكن أن تجتمع الأمة المسلمة على عقوبات قانونية الا العقوبات التى جاءت فى الكتاب والسنة لاقامة الحدود ، والتوجه بالأمة الى عقوبات وتقنيات غير العقوبات الشرعية انما هو تفريق لهذه الأمة وتشتيت لها من حيث نعمت بالاجتماع والوحدة ، لأن الاخذ بالعقوبات غير الشرعية يعدد مصادر التشريع وهى عقول البشر وأهواؤهم التى لا يمكن أن تجتمع الا بعقيدة الهية ، وبالتالى يتباين العقاب ويتفاوت فى البلدان الاسلامية كما ووصفا بينما الجريمة لم تتباين ولم تختلف فالسرقة فى الشرق هى السرقة فى الغرب وشارب الخمر فى أى مكان يجب أن يكون عقابه واحدا وصفا وكما ومن جهة أخرى ، فان هذه القوانين الوضعية المتباينة فى المصادر وتحديد العقوبات تجعل المعاقبين يفكرون فى أن أمثالهم فى البشرية هم الذين يعاقبونهم ، ومن ثم يفكرون فى الانتقام والاستمرار فلا يترددون ، بينما العقوبات الشرعية بينها وحدة فى المصدر فمصدرها الوحي من رب العالمين ووحدة فى الوصف والكم لا تخرج عن ذلك فى أى زمان وفى أى مكان ، والمعاقبون من المسلمين بهذه العقوبات يشعرون بأن هذا حكم الله يجرى حتى على الحكام ينفذ عليهم وليس لمثلهم من البشر التدخل فى تحديده ولا فى زيادته ولانقصائه ، ويشعرون أيضا أن هذا العقاب ليس المقمود فيه عقابا ماديا فقط

وانما لأمر يتعلق بالآخلاق والانسانية ، وأن هذا العقاب يفتح أمامهم باب التوبة بل يطهرهم مما سبق ، وهذا الاتجاه فى الحدود الشرعية ييسر الوحدة بين المسلمين ويوجههم نحو وجهة واحدة فى التفكير وفى الضمير وفى السلوك .

المطلب الرابع : العدل

التكافؤ بين الناس اجتماعيا وتربطهم بالاخوة الاسلامية بنساء على آثار العقيدة والعبادة ان هذا التكافؤ تنشأ عنه ارادة خلقية حرة لدى الفرد المسلم والجماعة المكونة من هؤلاء الافراد ، ولولا الارتباط بالله تعالى في العبادة لما كان هذا الاثر في الارادة لان الارتباط بالله ارتباط دائم غير محدود فيكون ماينشأ عنه هو السجية الثابتة ، ومن تكون لديه هذه الارادة الخلقية المرتبطة بالله سوف يقوى على السيطرة على أنانيته ويتحكم في جموحه وبالتالي يعترف بحق غيره في الحياة فيكون انسانا عدلا في حد ذاته ، لان عدالته نشأت من خلقه ، وخلق نشأ من عقيدته وعبادته فصار عدله مع نفسه ومع غيره من ذاته ومن حريته واختياره ومن ثم صار العدل في الاسلام أساسا لم ينشأ من خارج الانسان وانما هو عدل النفس المطمئنة والنفس الرضية ، وعليه تنبئ الحضارة الاسلامية التي يحق لها ان تكون حضارة انسانية .^(١)

وعدل هذا شأنه لايمكن ان تحيا الامة وتتقدم حضاريا بدونه ولايتربق ان تتفق وتكون وحدة متساندة بالاخوة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا الا بهذا العدل المستمد من الخلق والتربية بالعقيدة والعبادة ، وذلك مايحتم على الامة المسلمة ان تأخذ بالعدالة التي جاء بها الاسلام في أفرادها وجماعاتها ودولها ولو كانوا موزعين لانه بهذا سيزول كل ماشيده الجور والظغيان واذا انهار بناء الباطل فما بعده

(١) انظر : الدين والحضارة الانسانية للدكتور محمد البهي ص ٢٠٥-٢٠٨ .

الا الحق ، قال ابن القيم الجوزية :

"ان الشريعة الاسلامية مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة ، وان ادخلت فيها بسوء التأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه وظله فى أرضه وكلمته الدالة عليه ، وعلى صدق رسوله أتم دلالة وأصدقها ، وهى نوره الذى أبصر المبصرون ، وهداه الذى اهتدى المهتدون ، وشفأؤه التمام الذى به دواء كل عليل وطريقه المستقيم الذى من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل" (١) .

ان العدالة ضرورية بين الناس لبقاء الحياة ونشر الأمن وتوثيق الروابط بين الأفراد والتوازن والاخاء بين المجتمع المؤمن ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من الظلم والبغى ومن الفواحش والمنكرات ولازوال لهذه الجرائر الا بنشر العدل بين الناس ، قال تعالى :

{ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى} . (٢)
وقال تعالى :

{ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمكم شئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون} .

(١) كتاب أعلام الموقعين ١٥/٣ .

(٢) الآية من سورة النحل : ٩٠ .

(٣) الآية من سورة المائدة : ٨ .

(١)

وقال تعالى :

{واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله

أوفوا ذالكم وماكم به لعلمكم تذكرون} .

(٢)

وقال تعالى :

{واذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل} .

(٣)

وبالعدل أرسل رسله ليقوم به الناس لقوله تعالى :

{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب

والميزان ليقوم الناس بالقسط} .

وقد نص تعالى على أن العدل هو مسئولية الرسول صلى

الله عليه وسلم فقال :

(٤)

{وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم} .

وفى مقابل العدل والأمر به النهى عن الظلم والتحذير

منه لقوله تعالى :

{وما الله يريد ظلما للعباد} .

وقوله : {وماربك بظلام للعبيد} .

وقوله فى الحديث القدسى : "يا عبادى انى حرمت الظلم

(٥)

على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا" .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "اتقوا الظلم فان

(٦)

الظلم ظلمات يوم القيامة" .

(١) الآية من سورة الأنعام : ١٥٢

(٢) الآية من سورة النساء : ٥٨

(٣) الآية من سورة الحديد : ٢٥

(٤) الآية من سورة الشورى : ١٥

(٥) رواه مسلم فى كتاب البر والملة باب تحريم الظلم

(٦) رواه البخارى فى كتاب المظالم رقم ٨ .

والعدل بهذه النصوص وغيرها كثير مطلق يتناول كل شيء من اعطاء الحقوق لأصحابها والمساواة بين الناس مع التحري لما هو المواب ، فهو وصف للفرد وللمجتمع وبه يزال ضده في المجتمع وهو الجور والظلم .

والقرآن والسنة يوجهان الأمة الى أن العدل هو أساس الحكم والانصاف بين الناس كما في هذه النصوص وغيرها وهو مضمون خطبة أول رجل يتولى أمر الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذ يقول "الضعيف فيكم قوى عندي حتى أخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه ان شاء الله" . ويقول عمر بن الخطاب في رسالته الى أبي موسى الأشعري ، فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم ان أدلى اليك فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له ، آمن بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لايطمع شريف في حيفك ولايئاس ضعيف من عدلك ، البيضة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا" .^(١)^(٢)^(٣)

ونستخلص مما تقدم أو من واقع العدل في الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح أن العدل الذي أمر الله به تعالى وشرحه رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وطبقة يغطي الحياة كلها ويشمل كل صغيرة وكبيرة ، وعناصر ذلك العدل الذي هو خلق

-
- (١) السيرة النبوية لابن هشام ٦٦١/٤ .
 (٢) هو عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري رضى الله عنه اشتهر بكنيته قدم الى المدينة بعد خيبر وكان حسن الصوت في القرآن ، توفى سنة ٤٢ أو سنة ٥٥ هـ .
 الاصابة ٤٨٨٩/٦ .
 (٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى كتاب آداب القاضي ١٣٥/١٠ كما ذكره ابن القيم في اعلام الموقعين ٨٥/١-٨٦

وارادة حرة لكل فرد مسلم كما ذكرت فى أول الكلام فهو عدل مطلوب من كل فرد مسلم بموجب العقيدة والعبادة والسلوك والعدل هذا أصبح ظاهرة اجتماعية خلقية فاذا وجد فى الافراد فانه يسهل مهمة الحاكم والقاضى لأن الناس ينصفون بعضهم من بعض بدون سلطة تنفيذية أو قضائية . وعدل مطلوب من كل حاكم وأمير أو أى أحد له سلطة على المجتمع صغر أم كبر ومهمته تثبيت وتأكيد العدل الذاتى فى الافراد وصيرورة الاحوال الشاذة عن العدل الى العدل ثم تنفيذ العدل بالقوة اذا لم ينفذ الا بها . وعدل مطلوب من كل قاض فهو عدل قضائى وهمة تميز الحق من الباطل والعدل من الجور ووصف الحقوق والحكم بها لاهلها فهذه المهمة السابقة القضائية تبصر الحكام وتمدهم بوصف العدالة وتعين الحقوق لينفذوها ويحموها كما أنها دعم ودرس للعدل الاجتماعى الذى هو خلق ذاتى لكل فرد مسلم .^(١)

فهنا نرى العدل الذى جاء به الكتاب والسنة يشمل الفئات الثلاثة التى تكون منها المجتمع الحضارى : الافراد والحكام والقضاة . وكل فئة مطلوب منها أن تتصف بالعدل فى حد ذاته أولا ثم تعدل فى الفئات الأخرى وفى نفسها فالفرد بحكم تربيته الاسلامية كان عدلا وعدالته فى الحكم تقديم النصح والطاعة فى الحق ، وعدالته فى القضاة كذلك ثم الرضا بحكم الله الذى يحكمون به ، والحكام عدلهم بصفة أنهم حكام بالاضافة الى عدلهم بصفة أنهم أفراد مسلمون من المجتمع

(١) انظر : معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ص ٨٥-٧٧ .

وبمفظة أنهم ينفذون الحكم القضائى ، والقضاة أيضا متصفون بالعدل الذاتى الخلقى ويجب أن يتمفوا بالعدل ويتحروا المواب فيه بحكم اختصاصهم .

ولاشك أن الاختلاف والتوزع السائدين فى الامة المسلمة يعودان الى فقدان العدالة سواء كانت على مستوى الفرد حيث فقد الافراد الخلق الذى ينبع منه العدل الذاتى او من الحكومات التى تسابقت فى وضع القوانين التى تفعل جماعة من المسلمين عن الآخرين لأن كل دولة اسلامية لها قانون يخص رعاياهم ويخالف قوانين الدول الأخرى ، او كان من القضاة الذين رغبوا عن الشريعة وهى قانون الله فى عباده الى قوانين وضعية شرقية غربية لاتلتقى الا عند النتائج المادية فاذا عادت الامة واخذت بالعدل تربية وحكما وقيادة وقضاء وتنفيذا ولاممدر لهذا العدل الا الكتاب والسنة سوف تهدأ كل الفتن فى البلاد الاسلامية وتزول الاختلافات والافتراق بين المسلمين ويعودون الى رشدهم شيئا فشيئا وماذلك على الله بعزیز .

الباب الثالث

الناحية التطبيقية للوحدة

تمهيد :

ان كل ماتقدم فى البابين السابقين من عوامل الوحدة الاسلامية ووسائلها واساليبها فى الكتاب والسنة ، منهج ليس المقصود به الفكر النظرى فحسب وانما ذلك كله يتجه نحو التطبيق كما رأينا فى عرض العوامل المذكورة وأشرها فى التكوين الاجتماعى الأخرى المتساند ، وأن الوحدة الاسلامية بين المؤمنين هى الأثر المدلول لهذه العوامل من العقيدة والعبادة والمعاملات والجهاد ، بل انه من الصعب التفريق بين حقيقة هذه العوامل نظريا وتطبيقيا فى منهج الكتاب والسنة ، كما هو شأن الفلسفات البحتة ، بمعنى أن التطبيق اذا انعدم فالعوامل أيضا فى نفس المكلف معدومة ، فالأمران بينهما تلازم كما بين اللازم والملزوم ، وأما الوسائل والأساليب فهى التطبيق الحركى فى حد ذاته للوحدة كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والاملاح بين الناس وتطبيق الأخوة الاسلامية عمليا وسلوكيا .

والباب اذن فى الواقع يتناول نتائج التطبيق التى نعمت بها الأمة بسبب توفيق من الله تعالى ثم بسبب وحدتها وترباطها بالعقيدة وتطبيقها فى مقتضاها ، وهو العمل فى الشريعة عبودية وسلوكا ومعاملة ، ويتناول أيضا أهم المعوقات للوحدة ومنهج التغلب عليها ، وكون هذا فى باب التطبيق نحمد به أن هذه المعوقات لما طبقت فى الأمة ذهب

أثر التطبيق وخسرت الأمة كثيرا من القوة المادية والمعنوية
فالكتاب يشمل فصلين متعاكسين في نتائج التطبيق :
الفصل الأول : أثر تطبيق الوحدة الإسلامية .
الفصل الثاني : المعوقات الرئيسية للوحدة وأثرها .

الفصل الأول

أثر تطبيق الوحدة الإسلامية

توطئة

من أبرز السمات للإسلام أنه يتجه في كل شيء لتحقيق الغايات النافعة والممالح الحقيقية ، ومن تدبر نصوص الكتاب والسنة لا يجد صعوبة في تحديد هذه الغاية وسموها ، فكل توجيه إسلامي يعتمد على تطبيق للعقيدة والعبادة والمعاملات ، وما يتصف به الإنسان المؤمن ويناله من التقدير من المؤمنين ويلقى جزاءه من رب العالمين تطبيق لحسن المعاملة وحسن الخلق ، وهو مضمون الكلمة الشاملة "الدين المعاملة" .

ومن تاريخ المسلمين وواقعهم نرى آثارا واضحة للوحدة في حياة الأمة حيث برزت جوانب مشرقة ناطقة بما للوحدة الإسلامية من منافع وفوائد .

وفي هذا الفصل سأتناول أهم هذه الآثار حيث سأورد باذن الله تعالى كل أثر في مبحث خاص وذلك فيما يلي :

المبحث الأول : القوة في الجماعة المسلمة .

المبحث الثاني : حماية الدين عقيدة وشرعية .

المبحث الثالث : إزالة العقبات في طريق الدعوة وانتشارها .

المبحث الرابع : الذب عن الأوطان ، والمحافظة على البلاد .

المبحث الخامس : الوفرة في المعاش والغنى .

المبحث الأول

تحقيق القوة للجماعة المسلمة

القوة الخيرة غاية نبيلة وهدف سام للمؤمنين ، وكل ما تربي به المؤمن فردا أو جماعة من كلمة الاخلاص الى اماطة (١) الاذى عن الطريق فهو بناء للقوة ، ولكنها القوة التي تقرب الى القوى العزيز ، وتجعل المؤمنين يستمدون قوتهم من قوة الله تعالى وعزته :

(٢)
{ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} .

ولكن ينبغى أن نعى معنى القوة وعيا يوافق الهدف منها وخاصة أن هذه القوة ناشئة من عبادة الله والتربية عليها ، فهي أولا وقبل كل شئ قوة تقاوم الضعف البشرى ، وتنغلب عليه ليتسامى المؤمنون بها ، وليست هي قوة البطش والاعتداء ، وانما هي الانضباط والاعتدال ، ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه الذين يربى فيهم هذه القوة المستمدة من (٣) قوة الله : "ماتعدون الصرعة فيكم ، قلنا : الذى لا يمرعه الرجال ، قال : ليس ذلك ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب" (٤) ومن هذه القوة كظم الغيظ والعفو عند المقدرة كقوله تعالى

-
- (١) كقول الرسول عليه السلام : "الايمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق" ، متفق عليه ، رواه البخارى فى كتاب الايمان باب ٢ ، ومسلم فى كتاب الايمان باب ١٢ (٢) الآية من سورة المنافقون : ٨
(٣) انظر : منهج القرآن فى التربية لمحمد شديد ص ١٨١ .
(٤) البخارى فى كتاب الادب باب ٧٦ ، ومسلم فى كتاب البر باب ٣٠ .

{والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب

(١)

المحسنين} .

والتراحم الذى وصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين من أهم الدلالة على هذه القوة التى يدعى
المؤمنون لبنائها كقوله تعالى :

{محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء

(٢)

بينهم} .

فالشدة والغلظة والاباء أمام العدو الحقيقى مع اللين
والتراحم مع الأخ المساند والمؤمن الموالى هذا هو سمة
الاقوياء ولهذا قال فى آية أخرى :

{يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت
الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على
الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم} .

(٣)

نلاحظ ما ترتب على هذه القوة فى علاقة المؤمنين
الاجتماعية بعضهم ، وعلاقتهم مع غيرهم ، ومن مجموع العلاقتين
نشأت القوة ، ولكن هنا قوة أخرى نشأت من هذه القوة فهى
أصلب وأمتن فى بناء القوة ، وهى أنهم لاتأخذهم فى الله
لومة لائم ، وهذا هو واقع الاقوياء ، وثمره القوة الحقيقية
التى لم تكن للبطش ولا للاعتداء .

(٤)

ولقد تضاعفت النصوص من الكتاب والسنة على لفظة نظر
المؤمنين الى هذه القوة وأهميتها والهدف من ايجادها ووصف

(١) الآية من سورة آل عمران : ١٣٤

(٢) الآية من سورة الفتح ٢٩

(٣) الآية من سورة المائدة : ٥٤

(٤) انظر : ظلال القرآن ٢/٩١٩-٩٢٠

العناصر التى تتكون منها هذه القوة لتكون قوة يرهبها العدو ويضعف أمامها الباطل بكل أنواعه كقوله تعالى :
 {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون} .^(١)

فأول عنصر يكون هذه القوة هو الاعتماد بحبل الله وهو القرآن الكريم ، ولاشك أن الاعتماد بالقرآن أمر جامع وهو يتمثل فى الايمان به جملة وتفصيلا وبمن أنزله وهو الله جل جلاله وبمن أرسل به وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالتدبير سبب نزول الآية ومن نزلت فيهم وهم الأوس والخزرج "الانصار" ندرك كيف تكونت القوة ، فهؤلاء كانوا فى الجاهلية على ما هو معروف من التناحر والتفاخر والتخاذل والاختلاف والاقتتال حتى من الله عليهم بالايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وأنزل عليه من الكتاب العزيز ، فذهبت الضغائن وتبدل الجفاء فحل محلها الاخاء والتعاون والتآلف والترابط بين القلوب فحينئذ انذرت القوة بالاعتماد بحبل الله وهى القوة التى اتسعت لاستقبال كل مؤمن لحق بهؤلاء فانضم معهم كالمهاجرين ، واستطاعت أيضا أن تحمل دعوة الله تحت راية الجهاد لتدافع عنها .^(١)

وهذه القوة ينبغى بناؤها والعمل لها واستشعارها ، ويتأكد ذلك خاصة فى ميدان ملاقات العدو الذى يتربص الفرص

(١) الآية من سورة آل عمران : ١٠٣
 (٢) انظر : التفسير الكبير للرازى ١٧٧/٤ - ١٨٠ .

التي يخلو المؤمنون فيها من هذه القوة أو فيها خلل من النقص ، وبهذا يوجه الله تعالى المؤمنين بقوله :

{يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} .^(١)

فالثبات عند ملاقات العدو ينبئ عن القوة المادية والمعنوية ، وذكر الله مع ذلك عنصر من عناصر القوة وهو ارتفاع الروح المعنوية وغالبا لا يعقله ولا يوفق به في ميدان الضيق إلا الأقوياء ، وتلك من عناصر القوة التي ينبغى أن يحرص المؤمنون على أن لا تتناقص بالاختلاف والنزاع لأنها بذلك تذهب القوة سدى وتعود أدراج الرياح ، وحينئذ ينفلت من المؤمنين العنصر الأقوى في القوة وهو المبر .^(٢)

ويتأكد هذا الثبات في النهي عن الهروب كقوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يؤمئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير} .^(٣)

والقرآن الكريم يشير إلى أسباب القوة في المؤمنين كقوله تعالى :

{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

(١) الآية من سورة الأنفال : ٤٥-٤٦

(٢) انظر الطبري ١١/١٠ .

(٣) الآية من سورة الأنفال : ١٥-١٦

وسلم قال : " ان الله زوى لى الأرض فرايت مشارقها ومغاربها
(١)
وسيلغ ملك أمتى مازوى لى منها " .

فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله
ورسوله فنسأل الله الايمان به وبرسوله والقيام بشكره على
(٢)
الوجه الذى يرضيه عنا .

والقوة التى ترتبت على الوحدة والتآلف يشير اليها
قوله تعالى ممثنا على المسلمين :

{واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن
يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات
(٣)
لعلكم تشكرون} .

فهذا الايواء يتمثل فى التآلف بين المسلمين ووحدة
جماعتهم لأنهم اذا كانوا أشتاتا أفرادا تسهل على العدو
اختطافها والقضاء على أى واحد منهم ، والنصر يتمثل فى أن
الله سبحانه وتعالى قيض كل مسلم وهىء ليكون نصرا للآخر
كما كان الانصار للمهاجرين ، ونصر الله تعالى بالملائكة أو
بوسيلة من الوسائل الخارجية عن المؤمنين يتوقف على هذا
التساند لينزل النصر ، بينما لو كان التخاذل والفرقة
لكانت معصية ومخالفة لله تعالى فلا يؤيدون بالنصر الخارج
عن أسبابهم ، فتبين من هذا أن وحدة المسلمين هى التى
يترتب عليها النصر سواء بأسبابهم المباشرة أم بقوة خارجة
عن أسبابهم خارقة ، ومن ثم كان دور الوحدة وتطبيقها عقيدة

(١) رواه مسلم فى كتاب الفتن وأشراف الساعة رقم ١٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٨٠-٤٨١ ، ط الجديدة ، دار الكتب
العلمية .

(٣) الآية من سورة الانفال : ٢٦

وعبادة وسلوكا فعالا فى الدفاع عن بيضة الاسلام بالاضافة الى
تهيئة الفرصة لاتساع الرقعة الاسلامية وزيادة الداخلين فى
الاسلام بالدعوة والجهاد .^(١)

وبناء على قبول المؤمنين عنصر القوة وهو الايمان
بالله وبرسوله والاعتصام بكتابه خلق الله فيهم قوة مضاعفة
وهى ممتدة من تلك العناصر فقال تعالى :

{كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله} .^(٢)

وقوله تعالى :

{ياأيها النبی حرض المؤمنین على القتال ان یکن منکم
عشرون صابرون یغلبوا مائتین وان یکن منکم مائة یغلبوا
ألفا من الذین کفروا بأنهم قوما لا یفقهون ، الآن خفف الله
عنکم وعلم ان فیکم ضعفا فان یکن منکم مائة صابرة یغلبوا
مائتین وان یکن منکم ألف یغلبوا ألفین باذن الله والله مع
الصابرين} .^(٣)

فهذه النامية المتزايدة الكامنة فى صبر المؤمنين
عنصر آخر من تكوين القوة ولكنه لا يستقل بنفسه ، وانما
يرتبط بالعنصر الاول الاعتصام بحبل الله .^(٤)

والمؤمنون المعدون للقوة الآخذون بمبادرة أسبابها
على ماأمر الله به نصرهم وغلبتهم من سنن الله تعالى لانهم
فى ظاهر الامر ستار لقوة الله تعالى ونصره الذى ينزله
عليهم ويؤيدهم به ، وقد يهزم المؤمنون ويتخلف عنهم النصر

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٤٥/٩ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ٢٤٩

(٣) الآية من سورة الأنفال : ٦٥-٦٦

(٤) انظر : ظلال القرآن ١/٢٦٩ .

الواضح لهم ، ولكن التأمل فى هذا يرشد الى أن هزيمة المؤمنين تنطوى على نصر وحكمة ، وهم غير مطالبين بالنتائج وإنما عليهم القيام بالاسباب فقط ، قال تعالى :

{فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وان الله لسميع (١)
عليم} .

وقال :

{لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينه على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين} . (٢)

وكل ذلك لايحمل المؤمنين على التهاون فى بناء القوة كيف وقد أمرهم الله بها بقوله :

{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لاتظلمون} . (٣)

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على المومنين المستسلمين للضعف كما قال تعالى :

{ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن ارض واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا} . (٤)

(١) الآية من سورة الأنفال : ١٧
(٢) الآية من سورة التوبة : ٢٥-٢٦
(٣) الآية من سورة الأنفال : ٦٠
(٤) الآية من سورة النساء : ٩٧

لأن هذا الاستسلام ان استخدام سوف ينشئ فى الامة المؤمنة مشروعا وممنعا للضعف ، ومن ثم حسم هذا ، ولو كان تخلف هؤلاء عن الهجرة الواجبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج عن ارادتهم ، لأن الدولة الاسلامية الجديدة بالمدينة تأسست وبدأت فى غرس قواعدها وفرض شخصيتها اعتمادا على هذه القوة المستمدة من قوة الله فاذا ماتخلف مؤمن عن المساهمة فى هذه القوة الناشئة كانه يساهم ضدها .^(١)

ولا يقبل فى بناء القوة عند المؤمنين بناء اجماليا بحيث انها ان وجدت من الجميع أو من البعض سواء ، ولكن لاهمية القوة مطلوبة من كل مؤمن وتترتب الدرجات رفعة ونزولا على القوة كما يوجه اليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شئ فلا تقل لو انى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان" .^(٢)

قال الامام النووى رحمه الله فى شرح هذا الحديث : "المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة فى أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر اقداما على العدو فى الجهاد وأسرع خروجا اليه وذهابا فى طلبه وأشد عزيمة فى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمبر على الاذى فى كل ذلك واحتمال المشاق فى ذات الله تعالى وأرغب فى الصلاة والصوم والاذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة ونحو ذلك

(١) انظر : تفسير القرطبى ص ٣٤٥-٣٤٧ ، ظلال القرآن لسيد قطب ٧٤٣/٢-٧٤٥ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب القدر باب ٨ .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم وفى كل خير فمعناه فى كل من القوى والضعيف خير لاشتراكهما فى الإيمان مع ما يأتى به الضعيف من العبادات . قوله صلى الله عليه وسلم : أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، ومعناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة . وقوله صلى الله عليه وسلم : وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ، قال القاضى عياض ^١ : قال بعض العلماء : هذا النهى إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعاً فإما من رد ذلك إلى مشيئة الله تعالى بأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله فليس من هذا واستدل بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا ، قال القاضى : وهذا لاحجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدر بعد وقوعه ، قال : وكذا جميع ما ذكره البخارى فى باب ما يجوز من اللو ، كحديث لولا حدثان عهد قومك بالكفر لآتممت البيت على قواعد إبراهيم ولو كنت راجماً بغير بينه لرجمت هذه فلا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو فى قدرته فأما ما ذهب فليس فى قدرته . قال القاضى : فالذى عندى فى معنى الحديث أن النهى على ظاهره وعمومه لكنه نهى تنزيهه ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من أمرى ما ستدبرت ماسقت الهدى وغير ذلك فالظاهر أن النهى إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لافائدة فيه فيكون نهى تنزيهه

لاتحريم فاما من قاله تأسفا على مافات من طاعة الله تعالى
او ماهو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به وعليه يحمل
أكثر الاستعمال الموجود فى الأحاديث والله أعلم" (١).

لاجدال فى أن المؤمن يكسب القوة والحصانة من الايمان

كما أشار الله تعالى الى ذلك فى قوله تعالى :

{الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم

مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين
(٢)}

بإذن الله والله مع الصابرين} .

وكما فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المؤمن
(٣)

القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير" .

وإذا تأملنا واقع المسلمين فى تاريخهم وانتصاراتهم

السياسية والاجتماعية والاقتصادية فاننا نجد قوة الجماعة

المسلمة تترتب من وحدتهم وأخوتهم المترتبة من ايمان

أفرادهم ، فكلما تملبت هذه الوحدة وامتدت جذورها رباطا

بين المؤمنين كلما كانت القوة المعنوية والمادية ، كما أن

التفكك فى هذه الوحدة اذا دب بين المؤمنين ، فان الضعف

والخور والجبن والهوان يسرى فى الجماعة ويأتى من كل مكان

وباستعراض المواقف التاريخية للمسلمين يتفح ذلك بعد

وضوحه بالنصوص :

أولا : أحدثت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم هزة

عظيمة فى المسلمين كادت أن تعصف بالقوة الهائلة المكتسبة

من الايمان والأخوة الاسلامية ، لولا أن تدارك الله سبحانه

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٦٠٢١٥/١٧ .

(٢) الآية من سورة الأنفال : ٦٦

(٣) رواه مسلم فى كتاب القدر حديث رقم ٣٤ .

وتعالى الوضع بتوقيفه المسلمين ، حيث اتفقوا على بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فكانت فلتة ، وبها اتجهت القوة الى الاعداء المتربصين بضعف المسلمين أو أى شفرة فيهم ، وجعلت القوة الاسلامية بعد تأكيد الوحدة هذه بعد بيعة الصديق تتفرغ للردة والمتردين لاعادة الامور الى ماكانت عليه قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من التلاحم والتعاون ، فعقد الصديق أحد عشر لواء لهذا الغرض ، ووفق المسلمون فنصرهم الله سبحانه وتعالى وعادت وحدتهم فعادت القوة فيهم .^(١)

ولهذا السبب كانت خلافة الصديق رضى الله عنه قوة ونجاة للمسلمين من الردة والكفر ، فقد قال أبو هريرة موضحا ذلك "والله الذى لا اله الا هو ، لولا أبو بكر استخلف ما عبد الله" ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، ف قيل له : مه ياأبا هريرة ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد فى سبعمائة الى الشام ، فلما نزل بذى^(٢) خشب قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه فقالوا ياأبا بكر رد هؤلاء توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ! فقال : "والذى لا اله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم مارددت جيشا وجهه رسول الله ، ولا حلفت لواء عقده رسول الله ، فوجه أسامة ، فجعل لايمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا : لولا أن هؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم

(١) انظر : الطبقات الكبرى ٣/١٨١-١٨٨ ، سيرة ابن هشام ٣٤١-٣٣٥/٤ .

(٢) ذو خشب موضع فى شمال المدينة فى طريق الشام .
انظر : الطبقات لابن سعد ٢/١٣٣ .

حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموا فهزموهم وقتلوهم
(١)
ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الاسلام " .

ثانيا : فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
ان اعادة القوة بتأكيد الوحدة فى عهد الصديق رضى
الله عنه أتاح للمسلمين فرصة غالية من أمرين :
(١) وفق الله سبحانه وتعالى أبا بكر الصديق رضى الله عنه
فعهد لعمر ثم بايعه المسلمون بدون أى تردد ولا خلاف ،
فكانت الامور فى الدولة الاسلامية تجرى على مايرام ولم
تحمل بوفاة الصديق أى فرصة وشغرة للاختلاف والاعداء ،
غير أن المسلمين فقدوا خليفة فصار خليفة آخر فى
مكانه ، بحيث ان المعارك تدور مع الاعداء فى الشام
وفى العراق ، ويشترك فيها قواد بعضهم ممن عينه أبو
بكر الصديق ، وبعضهم ممن عينه عمر بن الخطاب ، كما
حمل فى معركة اليرموك وفى أثنائها جاءت وفاة أبى بكر
الصديق كرضى الله عنه ، وعزل القائد فيها وهو خالد
من قبل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وتولية أبى عبيدة وفهم القائدان العظيمان هذا ،
واستمرت المعركة على ماكانت عليه حتى انتهت بانتصار
المسلمين فسلم خالد رضى الله عنه لأبى عبيدة القيادة
وبقى هو جنديا من جنود المسلمين تحت قيادة أبى عبيدة

(١) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية عن البيهقى ،
وقال فى اسناده عباد بن كثير وهو متقارب الحديث ،
والبصرى الثقفى وهو متروك الحديث ، والله أعلم ،
انظر : البداية والنهاية ٣٠٨/٦-٣٠٩ .

وهذا هو معنى القوة فى الجماعة المترتبة من الوحدة التى عادت بوقفه المسلمين الشجاعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم الصديق رضى الله عنه .^(١)

(ب) لقد أتاحت هذه القوة فرصة أخرى غالية لعمر بن الخطاب فوجه الجند الى عمق الدولتين القرس والروم فى فارس والعراق والشام ومصر فكتب الله النصر للمسلمين ، وتبددت قوى الشرك والظلم أمام قوة الوحدة الاسلامية ، وماكان عمر فى حاجة الى تخطيط جديد لتكوين قيادات جديدة فى المدينة ، وانما أصل هذه الجيوش والقيادات خطط لها وبدأ تنفيذها من عهد الصديق رضى الله عنه .^(٢)

ثالثا : فى عهد الأمويين

لما اجتمع الأمر لمعاوية رضى الله عنه واجتمع عليه المسلمون سواء من كان بالغلبة أو بالرضا عادت القوة ونما أثرها فى المسلمين ، وظهر خليفة المسلمين معاوية رضى الله عنه داهية من أقوى الرجال فى العالم ، فبدأ الجهاد من جديد ونشأ للمسلمين أسطول بحرى وارتعدت فرائص ملوك الدنيا خوفا من ملك المسلمين معاوية رضى الله عنه الذى توفرت لديه القوة المادية والمعنوية بسبب تطبيق الوحدة الاسلامية واجتماع المسلمين عليه رضى الله عن الجميع واستمرت آثار هذه القوة حتى توفى معاوية ، وجاء ابنه يزيد فانفجرت الفتنة والاختلاف مرة أخرى فشلت القوة بالفرقة بين الجماعة المسلمة ، وحدثت أحداث يندى لها الجبين كموقعة الحرة

(١) انظر : البداية والنهاية ٣١٥/٦-٣١٩ .

(٢) انظر : العواصم من القواصم ص ٥١ .

(٣) معاوية بن أبى سفيان الخليفة الأموى رضى الله عنه عرف بالحلم والدهاء ، ولد قبل البعثة وأسلم عام الفتح وتوفى سنة ٦٠هـ .

انظر ترجمته فى : الاصابة رقم ٨٠٨٣ ج ٩ .

بالمدينة ، واغتيال الحسين بن علي رضي الله عنهما وقتل عبد الله بن الزبير ، ورمى الكعبة بالمنجنيق ، وكل ذلك نتج من الاختلاف وفرقة المسلمين ، وهي عوارض الضعف بعد القوة ، وممرت الايام والفتنة يغلى مرجلها بين صفوف المسلمين والضعف يدب في الجسم الكبير الى أن عادت الوحدة (١) في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد فنمت القوة أيضا وتنفس العملاق الكبير فاندفعت سرايا الفتح فاذا هي في أبواب الأندلس بعد تحويل المغرب وضمه الى الدولة الإسلامية في الناحية الغربية وتغلغلت القوة الإسلامية فيما وراء النهر وفي القارة الهندية ، فنعم المسلمون ونشأت لهم القوة البحرية والبرية ، وتدفق المال الى الدولة الإسلامية وازدهرت الحياة الأدبية والفكرية والعلمية ، ومهما تنوعت الطوائف والأحزاب في الأمة فإن وحدة الدولة الإسلامية في حد ذاتها قوة تهضم هذه الطوائف وتضمها في ظل سادتها ، ولا يسمع العالم الخارجي سوى هيلمان وصولجان الوحدة الإسلامية في دولتها التي تتسع شرقا وغربا وتضم أمما الى قوتها ، وتتسع لتباين ألوانها ولغاتنا وأجناسها ، وما ذلك الا بقوة (٢) شخصية الوحدة الإسلامية .

رابعاً : في عهد العباسيين

ارتقى العباسيون عرش الخلافة واجتمعت الأمة عليهم ، وهياً ذلك فرصة للخلفاء العباسيين أن يبرزوا في المسرح

(١) هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان القرشي وفي عهده وعهد ابنه انطلقت فتوحات كبيرة وفتحت بلاد كثيرة ،

انظر : الكامل لابن الأثير ١٠٣/٤ .
(٢) انظر : الكامل لابن الأثير ١٣٧-٢/٤ .

العالمى أقوى دولة فى العالم كما فى عهد المنصور وهارون الرشيد والمأمون والمعتصم حيث وقف هؤلاء فى وجوه فلول الزمان ونشطت فى عهدهم الحركة العلمية والفكرية ، وتدوين العلوم والفنون ونشأتها الى أن دب الضعف فى الخلفاء وكثر الاستبداد فى القواد والولاة فكانت النهاية المؤلمة لهذه الخلافة بسقوط بغداد وهجوم الأمم المتوحشة من الشرق على (١)
الخلافة سنة ٦٥٦هـ .

خامسا : فى عهد الدولة الايوبية

(٢)

فى هذه الدولة برز قادة باخلاص فأرادوا أن يستردوا كرامة المسلمين ، وعلى رأسهم ملك مصر ملاح الدين يوسف بن أيوب الذى جعل يوحد كلمة المسلمين وصفوفهم استعدادا للمعركة بينه وبين ملوك أوروبا الذين أقبلوا بجحافلهم وعددهم وعدتهم الى بيت المقدس ، وبلاد الشام كلها وهم يطمعون فى بلاد أخرى كمصر والمدينة المنورة ، فوفق الله سبحانه وتعالى هذا السلطان المسلم فى جمع المسلمين تحت قيادة واحدة ، فعادت القوة فيهم ، ودارت المعركة الحاسمة بينهم وبين الصليبيين فى حطين سنة ٥٨٣هـ فالحق المسلمون هزيمة نكراء بالجيوش الصليبية الجرارة وملوكهم المتغطرسين الذين جمعتهم الكنيسة وأشارهم الباباوات للقضاء على الاسلام (٤)
فى دياره واستخلاص البلاد المقدسة من أيدي المسلمين .

(١) انظر : البداية والنهاية ص ١٣٠-٢١٣ .

(٢) مثل سلطان الاتابك زنكى ٤٧٨-٥٤١هـ ، ومثل الملك العادل نور الدين محمود زنكى ٥١١-٥٦٩ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٥٠٨ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٣٠٧/١٢-٣٣٢ ، الكامل لابن الأثير ١١٠/٩-٢١٧ ، وانظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٣٨-١٤١ ، ط ٧ .

سادسا : فى دولة الممالىك

لقد هددت القوى الفاشمة من التتار المسلمين بعد سقوط
بغداد ، وما أوقفها الا تساند المسلمين مع أمرائهم فى مصر
والشام ، هؤلاء الأمراء لما أذعنوا وانقادوا للعلماء تألفت^(١)
القوة التى صدت هؤلاء المغول فى معركة "عين جالوت" التى
صارت مقبرة للتتار ، المعركة التى يرى المؤرخون الأوربيون
أنها ليست دفاعا عن المسلمين فحسب ، بل ردت خطرا يهدد^(٢)
الحضارة الأوربية .

(١) أمثال : المظفر قطز ، والملك الظاهر بيبرس ، وقد
أبلىا بلاء حسنا فى الدفاع عن الاسلام والمسلمين .
(٢) انظر : البداية والنهاية ١٣/٢٢٩-٢٣٧ .

المبحث الثانى حماية الدين عقيدة وشريعة

القوة فى الجماعة المسلمة لها غايات وأهداف ، وكلها لاسعاد البشرية وهى ليست للمسلمين فحسب ، ومن أسمى غاياتها الدفاع عن العقيدة والشريعة ، بل القوة التى أمر الله تعالى ببنائها ماهى إلا عدة للعقيدة لتصل الى كل القلوب ويفهمها كل الناس ، وهى مسئولية كل مؤمن ، وإذا لم تكن للدفاع عن العقيدة وشريعة الله فما فائدة هذه القوة وما وجهتها ؟ وإذا تأملنا حالة المؤمنين فى أول عهد الاسلام ووعينا حياتهم وسلوكهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم نجدها كلها خدمة للعقيدة ودفاعا عن شريعتها ، فالمواقف الشجاعة التى وقفها المسلمون جانب الرسول صلى الله عليه وسلم كلها من هذا القبيل سواء كانت قبل الهجرة أو بعدها كمواقف الصديق رضى الله عنه مدافعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله ، ومواقفه مدافعا عن المؤمنين المستضعفين كما وصفه الله تعالى :

{وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ومالاخذ عنده
(١)
من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى} .

فانه رضى الله عنه وقف فى وجوه المشركين مدافعا عن
(٢)
هؤلاء الضعفاء ، بل انه كان يشرى من هو فى الرق كبلال رضى

(١) الآية من سورة الليل : ٢١-١٧ .
(٢) هو بلال بن رباح الحبشى ، أسلم قديما وعذب واودى فى الله فاشتراه الصديق وأعتقه ، وهو مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، شهد جميع المشاهد وخرج بعد وفاة النبى مجاهدا الى أن مات بالشام ، انظر الاصابة ١٤٥/١

الله عنه ويعتقه في سبيل الله تعالى .

ومن أمثلة الدفاع عن العقيدة والشريعة : موقف فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها حينما جاءها أخوها عمر ومعهما زوجها وخباب يقرؤهما القرآن في صحيفة فأراد عمر قراءة الصحيفة فامتنعت أخته وقالت له : " انا نخشاك عليها ، قال لا تخافى ، وحلف لها باللهته ليردنها اذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك ، طمعت في اسلامه ، فقالت له : يا أخى ، انك نجس على شركك ، وانه لايمسها الا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة ، وفيها : " طه " . فقرأها ، فلما قرأ منها صدرا ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ... الى نهاية القصة .

فالقرآن هو كل شئ في حياتهم يدافعون عنه ، وهكذا موقف سعد بن أبى وقاص مع والدته وقد كان بارا بها وكان في أيامه يسمع محمدا رسول الله ينادى بالتوحيد ويثلو آى المهيمن تتجاوب جبال مكة بمداهها فتهتز قلوب ايماننا

-
- (١) هى فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها أسلمت مع زوجها وفى خبرها مع زوجها فى اسلام عمر أمر عجيب ، انظر : الاستيعاب ٣٧١-٣٧٠/٤ .
- (٢) هو سعيد بن زيد : أحد العشرة المبشرين ومن السابقين الى الاسلام غاب عن بدر وشهد المشاهد بعدها ، توفى سنة ٥٥هـ ، انظر الاصابة ٤٤/٢ .
- (٣) هو خباب بن الارت بن جندلة التميمى سبى فى الجاهلية فكان مولى أم أنمار وحالف بنى زهرة ، من السابقين الى الاسلام ومن المستضعفين وهو أول من أظهر اسلامه وعذب لذلك شهد المشاهد كلها مات بالكوفة سنة ٣٧هـ ، الاصابة ٤١٦/١ .
- (٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٤/١-٣٤٥ .
- (٥) سعد بن مالك القرشى الزهرى أبو اسحاق بن أبى وقاص أحد العشرة ، وآخرهم موتا وهو ، أول من رمى بسهم فى الاسلام أحد الستة أهل الشورى ، توفى سنة ٥٧هـ . الاصابة ٣٢-٣٠/٢ .

وتتجبر قلوب أخرى كفرا وعلفا ، فليكن سعد ممن تغفل
 الايمان فى قلبه واختلط بروحه فآمن بالله ورسوله صلى الله
 عليه وسلم وكانت أمه كافرة فأرادت أن يرجع ابنها عن هذا
 الدين الجديد مستغلة فرصة الأمومة وسلطان الوالدة فقالت :
 يساعد ما هذا الذى أراك قد أحدثت لتدعن هذا أولا أكل ولا شرب
 حتى أموت فتعير بى ، فيقال يا قاتل أمه ، فقلت : لا تفعل
 يا أمه فأنى لا أدع دينى هذا لشيء ، فمكثت يوما وليلة لم
 تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل
 فأصبحت قد اشتد جهدها فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه تعلمين
 والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى
 هذا لشيء فإن شئت كلى وإن شئت لا تأكلى فأكلت ... " (١)

وخلاصة القول أن المسلمين فى مكة اجتمعوا سرا وخفية
 فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وبينهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو أغلى من يدافعون عنه لأنه هو الذى يحمل
 اليهم العقيدة والشريعة ممثلة فى الوحي من القرآن والسنة
 وأما بعد الهجرة فدعوة المسلمين الى الهجرة من أى
 مكان يوجد فيه أحد منهم الى المدينة حيث كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إنما ذلك لأجل العقيدة التى تريد
 الجاهلية التغطية عليها ، وبالهجرة الى دار الاسلام سوف
 يتمكنون من اعلان العقيدة وتنفيذ ماينزل من الأحكام
 متعاضدين ومتمسكين بذلك ورغم حرص اليهود فى المدينة على

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٥٥ ، ط ٢ ، رواه الترمذى
 رقم ٣١٨٩ ، ج ٥ ، وقال حديث حسن صحيح .
 (٢) الأرقم بن أبى الأرقم اسمه عبد مناف من بنى مخزوم من
 السابقين كان الرسول فى داره قبل اسلام عمر ، توفى
 سنة ٥٥ هـ . الامابة ٤٣/١ - ٤٤ .

تحريف الحقائق كما ورثوا وتعودوا من سلفهم المحرف للكلم
عن مواضعه ، رغم ذلك فانهم لم يستطيعوا أن يشوهوا العقيدة
فى نفوس المسلمين المجاورين لهم بالمدينة لقوة الدفاع
والحمالة التى أعدها المسلمون فى نفوسهم دفاعا عن القرآن
وتمسكا بما جاء به من الهداية .

ولأدل على هذا السلوك من اليهود والحرص فى تشويه
ما جاء فى الكتاب العزيز وبان للمسلمين من سيرة الرسول صلى
الله عليه وسلم ، لأدل على ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم
من محاولات التشويه ليقضى بهم الضعفاء فقال تعالى :

{ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا
أنفسهم وما يشعرون ، يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
وانتم تشهدون ، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
وتكتمون الحق وانتم تعلمون ، وقالت طائفة من أهل الكتاب
آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا
آخره لعلهم يرجعون ، ولاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان
الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند
ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم
يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم }^(١) .

"اعلم أنه تعالى لما بين أن من طريقة أهل الكتاب
العدول عن الحق ، والاعراض عن قبول الحجة ، بين أنهم
لا يقتصرون على هذا القدر ، بل يجتهدون فى اضلال من آمن
بالرسول عليه السلام بالقاء الشبهات كقولهم : ان محمد عليه
السلام مقرر بموسى وعيسى ويدعى لنفسه النبوة ، وأيضا ان

موسى عليه السلام أخبر فى التوراة بأن شرعه لا يزول ، وايضا القول بالنسخ يفضى الى البداء ، والغرض منه تنبيه المؤمنين على أن لا يفتروا بكلام اليهود" .^(١)

ونظير تلك الآيات قوله تعالى :

{ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم} .^(٢)

وقوله :

{ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء} .^(٣)

هذه الآيات وأمثالها كثير فى القرآن الكريم تفمل لنا المنهج الذى اتبعه أهل الكتاب فى تشويه الحقائق وتزوير العقيدة وتحريف الشريعة ، وهذا المنهج هو سيرتهم قبل الاسلام مع الانبياء ودينتهم مع نبي الاسلام الى هذا اليوم ، التحريف ، والقاء الشبهات ، وزج أنفسهم فى ميدان القدوة للناس ، وخاصة المسلمين ، تنفيذاً لتلك الشبهات بالسيرة المشبوهة والسلوك الفاسق .

ولقد وقفت الدعوة الاسلامية فى وجه هذا التحريف الحريص على انحراف الناس فأزاحت الستار عن وجه اللؤم ، ووجهت المؤمنين المسلمين الى ضرورة الوقوف لحماية العقيدة والشريعة من شبه هؤلاء وغيرهم من الملاحدة والمنحرفين .

والقرآن الكريم هو المصدر الاول للعقيدة والشريعة فليكن جهد المسلمين فى الدفاع عنه والحرص على بقاءه سليماً من كل تحريف والتباس مع غيره حتى ولو كانت السنة التى هى

(١) التفسير الكبير للرازى ٩٠/٨ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ١٠٩

(٣) الآية من سورة النساء : ٨٩

وحى شارح للقرآن - فليكن هذا الجهد أول جهد يعطيه المسلمون واهتماما بعد ايمانهم وقناعتهم بأنه وحى من الله تعالى . ولذلك يبادر المسلمون فى حماية القرآن الكريم والحفاظ عليه بتدوينه فى مصحف واحد مخافة أن يختفى شئ منه عليهم أو يتسرب الاختلاف اليه ، رغم حفظهم له فى الصدور ، ولكن لتأكيد العناية وتأمين الحماية بادروا بهذه المبادرة فى موقفين :

الاول : بعد معركة اليمامة فى خلافة الصديق رضى الله عنه حيث استفحل القتال فى هذه المعركة واستشهد كثير من القراء فخاف المسلمون أن يضيع شئ من القرآن الكريم أو يبدل اذا تكرر مثل هذا الاستشهاد فى القراء وخاصة أنهم فى استعداد لحرب عالمية يواجهون بها الدنيا كلها تبليغا للسلام وحرصا فى الاستشهاد ، وهم معدودون ومحدودون ، فاقترح عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن يجمع القرآن الكريم فى مصحف واحد ، وتوقف الصديق من هذا ، لأنه لم يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عاد فوافق الفكرة وأمر بها فجمع القرآن الكريم لأول مرة فى مصحف واحد واطمأنت نفوس المسلمين لهذا لكون القرآن مصدر العقيدة والشريعة اطمأنوا عليه ودون بدقة فائقة ووشق باجماع وتواتر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظه وآياته وسوره وبترتيبه عند الله تعالى (١) كما أنزل .

الثانى : فى عهد عثمان رضى الله عنه حيث أكد المسلمون بدورهم وحمايتهم للعقيدة والشريعة فى المصدر

(١) انظر : البخارى فى كتاب الفضائل القرآن باب ٣ .

الأول أنه لاخلاف فيه ولاتناقض ولايدعو المسلمين الى ذلك
مصادقا لقوله تعالى :

{أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا
(١)
فيه اختلافا كثيرا} .

كما هو مفاد الرواية عن أنس بن مالك رضى الله عنه :
"أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل
الشام فى فتح ارمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأزعج
حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : ياأمير
المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف
اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة أن ارسلى الينا
بالمصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك ، فأرسلت بها
حفصة الى عثمان ، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير
وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى
المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا
اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان
قريش فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف فى
المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة ، فأرسل الى كل أفق
بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة
(٢)
أو مصحف أن يحرق" .

وأما المصدر الثانى للعقيدة والشريعة وهو السنة فقد
اهتم بها المسلمون اهتماما منقطع النظير ، حيث كان الحرص
الشديد من كل من يدخل فى الاسلام ويرى الرسول صلى الله عليه
وسلم ، على اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وكل

(١) الآية من سورة النساء : ٨٢
(٢) رواه البخارى فى كتاب فضائل القرآن باب رقم ٣ .

ما يصدر منه لعلمهم وإيمانهم بأن ذلك من التشريع ، ومن جهة أخرى وهى أن كل ما يصدر من الرسول صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال فهو بيان للقرآن الكريم ، ومن هنا كان الاهتمام والدفاع عن هذا المصدر "السنة" كبيرا ، وقد حرص المحابة على رواية كل ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظه وتمييزه عن غيره ، وسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عما غمض عليهم من الأحكام والمقاصد فى الأحاديث ولذلك نقلوا لمن بعدهم الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين من السنة معا ، ولما جاء دور الرواية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا فى غاية الدقة والحيلة لئلا يدخل فى السنة ما ليس منها ولا يقال عن الرسول ما لم يقل تمسكا بمنهج الحديث المتواتر "فليتبعوا مقعده من النار" (١).

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله كلاما جيدا يكون فيملا فى هذا المقام يحسن بنا أن نستشهد به هنا : "ومن العجب أن هذه الشريعة المحفوظة المحروسة مع هذه الأمة المعصومة التى لا تجتمع على ضلالة : إذا حدث بعض أعيان التابعين عن النبى صلى الله عليه وسلم بحديث كعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى . (٢) (٣)

(١) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب العلم باب ٣٨ ، ومسلم فى المقدمة باب رقم ٢ .

(٢) هو التابعى الجليل عطاء بن أبى رباح ، أبو محمد المكى ، من النوبة ، ثبت رضى حجة امام كبير الشأن ، ولد سنة ٢٧هـ ، وتوفى ١١٤هـ .

انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ١٩٩/٧-٢٠٣ .
(٣) هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى من سبى ميسان بالعراق وهو مولى لزيد ابن ثابت الأنصارى وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم العالم العابد الورع توفى عام ١١٠هـ .
انظر ترجمته فى : الطبقات لابن سعد ١٥٦/٨ ، تذكرة الحفاظ ٧١/١ ، وميزان الاعتدال ٩٦٨/١ .

(١) وأبى العالية ، ونحوهم ، وهم من خيار علماء المسلمين وأكابر أئمة الدين ، توقف أهل العلم فى مراسيلهم فمنهم من يرد المراسيل مطلقا ، ومنهم من يتقبلها بشروط ، ومنهم من يميز بين من عادته أن لا يرسل الا عن ثقة كسعيد بن المسيب (٢) و ابراهيم النخعى ومحمد بن سيرين ، وبين من عرف عنه أنه قد يرسل عن غير ثقة كأبى العالية والحسن . وهؤلاء ليس بين أحدهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم الا رجل أو رجلان أو ثلاثة مثلا " (٣) (٤) (٥)

ولأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مواقف مع المحابة فى رواية الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، هذه المواقف تتميز بالتثبت الدقيق والتوثيق للتأكد من أن ماروى حقيقة صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وتقريراً ، وليس مقصود أمير المؤمنين ولا غيره من المحابة فى هذا التثبت الحد من الرواية ، وإنما المقصود والهدف هو الدفاع عن السنة التى هى المصدر

-
- (١) هو التابعى الثقة أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى مولاهم البصرى ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين ، توفى عام ٩٣هـ .
انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ٢٨٤/٣-٢٨٦ .
- (٢) هو سعيد بن المسيب المخزومى القرشى التابعى الثقة الحجة ، روى الخلفاء الأربعة توفى سنة ٩٣هـ .
انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ٨٤/٤-٨٨ .
- (٣) هو ابراهيم بن يزيد النخعى اليمنى ، ولد سنة ٥٥هـ ، وتوفى سنة ٩٦هـ .
انظر الطبقات لابن سعد ٢٧٠/٦ .
- (٤) هو امام وقته محمد بن سيرين الانصارى مولاهم أبو بكر بن أبى عمرة البصرى مولى أنس بن مالك الانصارى ، توفى عام ١١٠هـ .
انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ٢١٤/٩-٢١٧ .
- (٥) اقتفاء المراط المستقيم ٤٣٧ .

(١)

لعقيدتهم وشريعتهم .

وأما بعد عصر الصحابة فلم يعرف المنهج العلمى دقة فى المنهج وأمانة فى الرواية والنقل عن الرواة كما عرف فى منهج السلف فى تدوين السنة وثقييد الصحيح وتمييزه عن الدخيل فى السنة ، سواء كان الدخيل بالعمد أم بغيره ، فعرف علماء السنة وميزوا المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم وبين الموقوف على الصحابة فيكون من آثارهم أو ماكان من آثار التابعين .

ومن خلال هذا المنهج فى الدفاع عن الشريعة انطلقت البواعث فى تدوين السنة فى كتاب معين أو بأمر خليفة أو فى أهداف عالم من المسلمين ، فكل البواعث انما يشملها الدفاع عن السنة ، لتسلم العقيدة والشريعة فى المصدرين الكتاب والسنة ، ومن ثم ماظهرت طائفة أو شخص للطعن فى العقيدة والشريعة بالتأويل أو التحريف أو اقحام الشريعة فى النظريات الفلسفية الا وعلماء الامة فى وجه الافكار الجديدة أو الروايات المكذوبة من طائفة أو من شخص حرما منهم فى هذا الدفاع على أن تصل الشريعة بكل مفاهيمها ومفاهيمها ومواشقتها الى الاجيال القادمة نقية سليمة من التحريف والتبديل رحمهم الله .

(٢)

والتبديل رحمهم الله .

-
- (١) انظر : الحديث والمحدثون لمحمد محمد أبو زهو ص ٦٥-٧٩ ط سنة ١٤٠٤هـ ، وانظر : دفاع عن السنة لمحمد محمد أبو شهبة ص ١٨-٢٠ ، ط ٢ سنة ١٤٠٧ .
- (٢) انظر : دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين للدكتور محمد محمد أبو شهبة ص ٢٤-٣٩ ، وانظر : ص ٨٠ ومابعدها من كتاب الحديث المحدثون لمحمد محمد أبو زهو .

المبحث الثالث

ازالة العقبات فى طريق الدعوة

الانسان بفطرته ذو ارادة حرة تميزه عن غيره من المخلوقات وهذا لا يتحقق له الا بجو من الحرية الواعية التى يستطيع بها أن يختار ويرفض حسب ارادته دون عامل خارجى عنه والاسلام جاء بدعم هذه الفطرة فى الانسان فجانب الاكراه فى دعوته للناس جميعا حتى غير المسلمين منهم كالذميين ونحوهم من المستأمنين ، بل وحتى الحربيين ماكان الاسلام يحاربهم ليدخلهم فى الاسلام قهرا وانما لازالة العقبات فى طريق الدعوة ، فلو أن الناس لم يعترضوا على الدعوة فى سيرها ومنهجها فى هداية الناس لما رفع سيف فى الاسلام ولصار الناس جميعا فى سياسة الدولة الاسلامية من رعاياها ، لأن الدعوة تعرض على كل أحد فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وعلى هذا الأساس تعترف الدعوة بحرية كل أحد وتخاصم كل من حد من هذه الحرية ، أو حاربها وليس معنى ذلك أن ينطلق الانسان ليمارس كل ما تدعو اليه الشهوات المادية ، وانما هذه الحماية والمنحة من الدعوة للانسان لمقابل هو فى صالح الانسان ، ويبرز قيمته الانسانية ، وهو أن يفكر ويستعمل عقله بالدقة والوعى نحو هذه الدعوة ، هل يجد فيها مبررا ليدخل فيها أو آخر ليرفضها ولماذا ؟ وكيف ؟ والدعوة الاسلامية بهذا المنهج واثقة بأن العقل السليم لا يجد فيها الا ما يسمو به الانسان ، وأما من لم تكن لديه هذه الثقة فانه لا يقدم للناس الا القهر والمكر والمخادعة .

والله سبحانه وتعالى الذى رضى الاسلام للناس ديننا أعلم بحقيقة الانسان وهى أنه يشتهى ويرغب ولانهاية لذلك ، فلاجل أن لا يكون هذا على حساب غيره من البشر ويترتب عليه سوء العلاقات ، ضمن دعوته الاسلامية حماية حرية الانسان واراادته (١) لئلا تكون له حجة على الله .

فقله تعالى :

(٢)
{لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر} .

هو اعتماد من رب العالمين لهذه الحرية أو الارادة ، فاذا كان هو سبحانه وتعالى يعامل عباده وهم من خلقه وهو معبودهم بحق ، من خلال ارادتهم دون قهرهم فيما يتعلق بحقوقه سبحانه وتعالى فغيره من باب أولى ، فليس لآى أحد من العبيد أن يصادر ارادة وحرية غيره من العبيد ويجعلهم مسيرين لامخيرين ، لأن هذا الحق لا يملكه غير الله سبحانه وتعالى ، وحكمته قضت فيهم أنه يحاسبهم على حسب هذه الارادة مع أنه تعالى لو شاء لجعلهم أمة واحدة كما قال تعالى :
{ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} . (٣)

فما دام هذا هو الوضع الاصلى فى حكمة الله تعالى وفى شريعته للانسان وفطرته واراادته فلتكن المهمة هذه كبيرة جدا فى الدعوة الاسلامية وهى مهمة ازالة العقبات فى طريق الدعوة ومن ثم كان التنديد بالتقليد سواء كان فى العقيدة أو

(١) انظر : معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عثمان ص ٥٨-٧١ وانظر : الدين والحضارة الانسانية للدكتور محمد البهى ص ٢٨٧-٢٨٨ .

(٢) الآية من سورة المدثر : ٣٧

(٣) الآية من سورة يونس : ٩٩

فى العبادة أو فى الحكم أو فى المعاملة ، لأن التقليد يصادر الحرية والارادة من الانسان فيصبح يفقد الانسان أهلية المخاطبة بشريعة الله تعالى ، بل ان التقليد يسلب العقل الذى هو مناط التكليف ، فهذه عقبة كبرى فى طريق الدعوة ولذا جاء التنديد به فى القرآن الكريم كقوله تعالى :

{واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا (١) ولا يهتدون} .

واذا كان التقليد عقبة يجب ان تزال ، فالعقبة التى جاءت قهرا للانسان بغير ارادته من باب أولى أيضا ، ومن هنا كان الاسلام أعظم دين فى تكريم الانسان ورفع مستواه ، لأنه يحمى الانسان من كل العقبات والمثبطات الصادرة من عقله وارادته القاصرين ، أو من عامل خارج عنه بينما الأديان الأخرى التى تصادر حرية وارادة الانسان اذا صدر شئ من هذا القبيل من الانسان نفسه اعتمدته وتبنته لأنه من وضع الانسان نفسه ولو كان فيه حتفه ، وان شمة حماية فهى قاصرة على الخارج من الانسان والدين المسيطر عليه كما هو واقع (٢) النظريات الوضعية والفلسفات الجدلية أيضا .

وازالة العقبات حماية للدعوة وللمستضعفين الذين نزل عليهم السخط المادى بسبب اختيارهم لهذه الدعوة ، بل وحتى المستضعفين بسبب عبادتهم للمادة وللظافة بحيث انهم لو

(١) الآية من سورة البقرة : ١٧٠
(٢) انظر : الدين والحضارة الانسانية للدكتور محمد البهى ص ٢٨٩-٢٩١ ، وانظر : تنظيم الاسلام للمجتمع لمحمد أبى زهرة ص ٤٦-٤٨ ، وسيأتى مبحث فى التقليد فى العمل الثانى .

علموا جهة الحق الذى يحررهم من الرق لما رضوا بذلك ، ولما صدوا عن البحث عنه ، وأما الصنف الأول فكما قال تعالى :
 {ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا} .^(١)

وأما الصنف الثانى فكما قال تعالى :
 {وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير} .^(٢)

وكقصة سحرة فرعون فقد كان لهم الطاغية فرعون والسحر عقبة ، فلما تبين لهم الهدى رغبوا فيه عن ذلك فقال تعالى {قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا ، انا آمنة بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى} .^(٣)

وازالة العقبات أمام الدعوة يكون بالقوة ان لم تزل بالبيان وحينئذ يكون دور الجهاد ، وهو بكل منطلقاته ووسائله وأساليبه وأهدافه ازالة العقبات فى طريق الدعوة لايقصد فيه غير هذا ، فليس القتال لشهوة الحكم وحب السيطرة واظهار التفوق ، ولم يكن للبحث عن المال ، ولم يكن لهدف الاسترقاق والاستخدام ، وانما ذلك كله لقصد ازالة العقبات فى طريق الدعوة سواء كانت مادية أو معنوية ، فالجهاد اذن

(١) الآية من سورة النساء : ٧٥

(٢) الآية من سورة الأنفال : ٣٩

(٣) الآية من سورة طه : ٧٢-٧٣

انما هو لتحرير الانسان من الذل لنفسه والقهر من غيره أيضا
وان سميناه دفاعا فانما هو دفاع عن الانسان وانسانيته
وكرامته ليكون عبدا لخالقه وحده .^(١)

وأهم العقبات أمام الوحدة الاسلامية ودعوتها المخلصة

مايلي :

أولا : المد عن سبيل الله ومنع الدعاة .

والغالب في هذا المد أن يصدر من الملا في كل مجتمع فهم
الموجهون والقادة للوقوف أمام الدعوة والدعاة ، ويزينون
كل شبهة ويشيعونها بين الناس تشويها للدعوة والدعاة ، هو
الدور الذي قام به الملا من المشركين في أول عهد الدعوة ،
فجمعوا بين عقبتين كل واحدة منهما لها منهج : منع الرسول
صلى عليه وسلم من الاتصال بالناس وتبليغ الدعوة ، حتى
الجؤوه هو ومن معه من المؤمنين الى أن يستخفوا ويدعوا
سرا ، وقد مرت على الدعوة أيام سرية .^(٢)

وصد الناس عنه ، وقد وقف الملا من المشركين في أبواب
مكة وأمام الجماهير يمدونهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم
حتى لا يسمعوا كلمة الحق كموقفهم مع الطفيل ابن عمرو الدوسي^(٣)
حيث صدوه بوضع القطن في أذنيه لئلا يسمع محمدا صلى الله
عليه وسلم ، وموقفهم من الشاعر الأعشى قبل أن يمل الى مكة^(٤)

(١) انظر : ظلال القرآن لسيد قطب ص ١٤٣٥ وما بعدها ، وانظر
لمحات في الثقافة الاسلامية لعمر الخطيب ص ٢٨٧-٣٠١ .

(٢) انظر : زاد المعاد لابن القيم الجوزية .
(٣) هو الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي الصحابي الجليل
أسلم بمكة واستشهد في الإمامة رضى الله عنه .

انظر : الاصابة ٢٢٣/٥-٢٢٤ .
(٤) هو الشاعر الجاهلي أعشى بن قيس بن شعلبة بن عكابة بن
صعب بن علي بن بكر بن وائل .
انظر ترجمته في : البداية والنهاية ٩٩/٣-١٠١ .

وقد يجمعون بين أسلوبين فى موقف واحد ، المد ومنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الدعوة كما مارس عمه أبو لهب معه صلى الله عليه وسلم وهو يدعو قبائل العرب فى مشاعر الحج ، فهو يحاول أن يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الكلام والاتصال بالناس ، وفى نفس الوقت يصد عنه وعن دعوته من اتصل به ولقد بلغت المحاولات الى حد أنها تشوش على قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن كما حكى الله تعالى :

{وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون} .
(٣)

هذا وعقبة المد ومنع الدعوة بها ذم المشركين فى قوله تعالى :

{يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله} .
(٤)

وقال تعالى :

{ان الذين كفروا ويمدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد} .
(٥)

ثانيا : انتشار البدع والخرافات والمذاهب الفاسدة .
ان الله سبحانه وتعالى خلق عباده حنفاء لديهم

-
- (١) هو أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، لعنه الله ، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم .
انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٣٢/٢ .
(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٣٧-٣١/٢ .
(٣) الآية من سورة فصلت : ٢٦
(٤) الآية من سورة البقرة : ٢١٧
(٥) الآية من سورة الحج : ٢٥

الاستعداد الكامل لقبول الحق ، ولكن البدع التى تطرأ على الفطرة تكون عقبة أمام هذا الاستعداد الفطرى ، وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا فى حديث أبى هريرة : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه نتج البهيمة جمعاء فهل تجدون من جدعاء" ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم بين فى هذا الحديث العائق لاستمرار الفطرة على عبوديتها لله تعالى وقبولها لما تاتى به الرسل من الدعوة الى الله تعالى ، والوحدة مع الرسل فى هذا السبيل ، ومهما تنوعت البدع وتباينت فأنها كلها تعود الى البدع الثلاثة التى ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم عقبة فى طريق الفطرة وهى اليهودية والنصرانية والمجوسية ، ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقف أمام دعوته فى النفوس غير هذه العقبات ، ولما تعثرت الدعوة الاسلامية والوحدة على مبادئها بين صفوف المسلمين لم يكن لذلك سبب غير تدخل هذه العقبات الكبرى التى تقتلون بشتى الالوان وهى العقبات التى ازيلت فى الناس بالدعوة والجهاد فى سبيل الله فكان من نتائج ذلك أن تكونت الامة المسلمة بالاخوة الاسلامية لافضل لعربى عن عجمى فيها ، ولا لعجمى على عربى . ولكن حينما نعود مرة أخرى الى هذه العقبات البدعية لنوازن بينها فى الخطورة والمعوبة فانا نجد الابتداع الذى نشأ بين أصحاب الدين أشد معوبة كبدع أهل الكتاب ، لأن الابتداع فى البيئة هذه التى أرسل فيها ميثاق الانبياء وأنزلت عليها كتب لمبرر له ، وإذا كان الدين فى هؤلاء لا يقوى على رد الابتداع

ابتداء فمن الصعوبة أن يقوى على رده بعد تمكنه ، وهذا ما يشهد له التاريخ ، ومواقف الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل عليه مع أهل الكتاب لأن النفوس تمكن فيها الابتداء ورسخ فيها على أنه هو الدين الذى يجب التمسك به اذ نشأة الفرق والمذاهب المتباينة فى الأمة ينبئ عن العصبية والتحزب من كل فرقة فى وجه فرقة أخرى ، وعد أهل السنة والجماعة فريقا أو مذهباً يضعف الوحدة بينما المفروض أن أهل السنة والجماعة يعدون أصلاً يجب أن يعود اليه كل فريق لا أن يعتبروا فريقاً ندا للآخرين .

وحتى أهل السنة والجماعة توزعوا الى مذاهب فقهية يؤثر فيها الخلاف ولو كان يسيراً ، وترتب على ذلك التعصب لآراء الرجال ، ولا أحد يستطيع تصور ما لهذا التعصب من الأثر فى تهئية العقول للمبادئ المستوردة ، بمعنى أن واحداً من هؤلاء المتعصبين لو تجرأ فى التحليل والتحريم والتشريع فيما لم ينزل الله به سلطاناً سوف يجد من فرقته أو مذهبه أو من أهل بدعته من يتعصب له فى رأيه الجديد سواء كان مخترعاً أو مستورداً ويقبل منه أى تعليل ويلتمس له أى عذر ، والجهل بالحق يقيد له الرجال والنساء وهكذا .^(١)

وذلك مما يؤكد إزالة عقبة الابتداء والمذاهب الفاسدة والتعصب فى الدين أمام الدعوة وترايط الناس بالآخرة الإسلامية لأن البدع تنتحل شخصية الدعوة نفسها ، ويزعم أهلها أنها هى العقيدة والدين الصحيح فتحتل مكانته فى النفوس فكانها هى الدين الذى يتطرق اليه حتى النسخ ، كما أنكر

(١) انظر : كيف ندعو الناس لعبد البديع مقر ص ١٥٤-١٥٥ .

اليهود أصلا النسخ فى الشرائع لتوغلهم فى الابتداع وشدة تمسكهم به فى مذاهب لاتلتقى .

والواقع الذى لامه رب من الاعتراف به منذ نشأت البدع فى المسلمين هو أن الابتداع فى الدين عقيدة وشريعة عقبة فى طريق المفاهمة والملاطفة والمدارسة بين المسلمين فالبدع دائما فى كل زمان ومكان تراقب عن كثب تلاحم المسلمين وتعاونهم على التمسك بهداية الكتاب والسنة لتبث سموم الفرقة والخلاف بينهم ، وكم من جمع للحق والرشد فرقه الابتداع وكم من قوة تنطوى عليها جماعة المسلمين بعقيدتهم ولكنها لاتثمر لأن الابتداع لايرضى بذلك ؟..

ثالثا : انتشار المغريات الفارة .

الحياة محفوفة بالشهوات ، وأهل الفرقة والابتداع حريمون على ابتكار أنواع المغريات التى تصد بها الدعوة وتشغل القلوب عما يجمعها على كلمة الحق ، ومن أبرز الغايات للشرك وماوالة من البدع المفضلة :

توفير مايشبع الشهوات ويغرق النفوس فى الفلاة من المفاسد التطبيقية للشرك كتحليل الخمر والانهماك فى الكسب الحرام كالربا والولوع الى الجنس ونحو ذلك من المغريات التى تتعاون على اماتة الغفيلة وانسلاخ الانسان من انسانيته فهذه مغريات لايمكن بحال من الأحوال أن يعود الناس الى رشدهم وتكون الوحدة بينهم ، وهى منتشرة لأن من الناس ضعفاء النفوس تكون لهم هذه المغريات مميدة يتساقطون فيها ومن ثم يحصل التوزع بينهم : بين أنصار هذه المغريات الفارة وبين الدعاة المملحين ، وقد أمر الرسول بازالة هذه العقبات

والحد من انتشارها وكلها يشملها المنكر ، كما قال عليه
الملاة والسلام : "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه " .^(١)

وقى ترتيب وسائل تغيير المنكر فى هذا الحديث بهذا
الاسلوب دلالة على خطورة انتشار المنكر بمفرياته وأضراره .
ويخطئ الذين يدعون الى التمسك بالفضيلة مع دفاعهم عن
بقاء هذه المفريات التى ثبت ضررها حسا ومعنى فضلا عن بيان
ذلك فى الكتاب والسنة ، فالخبث والطيب لا يجتمعان :

{قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث
(٢)
فاتقوا الله لعلكم تفلحون} .

وقال تعالى :

(٣)
{أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون} .

رابعا : التعلق بالدنيا على اعتبار أنها الغاية .
الدنيا دار عمل وابتلاء ، وهى مرحلة يجتازها الانسان
الى الحياة الدائمة المستقرة على شئ واحد فهى كما قال
تعالى :

{وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة
(٤)
لهى الحيوان لو كانوا يعلمون} .

وقال تعالى :

{اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار

(١) رواه مسلم فى كتاب الايمان رقم ٤٩ .
(٢) الآية من سورة المائدة : ١٠٠ .
(٣) الآية من سورة السجدة : ١٨ .
(٤) الآية من سورة العنكبوت : ٦٤ .

المبحث الرابع

الذب عن الأوطان والمحافظة على البلاد

الدفاع عن المسلمين واجب لأنه به يتحقق الدفاع عن العقيدة وعن كل مافى حوزة الاسلام وبيضته ، ويتمثل فى الوقوف أمام الأعداء وردهم بأى وسيلة من الوسائل عن البلاد الاسلامية والمسلمين ، فلا يستطيع الأعداء أن ينتزعوا شبرا واحدا من الأرض الاسلامية ، وهو من المسئوليات الكبرى لكل حكومة اسلامية وواجب على كل مسلم على قدر طاقته ، لأن الأصل فى السياسة الاسلامية أن على المسلمين أن يجاهدوا ويأخذوا الأرض كلها من أيدي الكفار ويستردوها ، لأن الأرض كلها لله وهو لا يرضى الا الاسلام ، فاذا كان الأمر كذلك فالأرض التى فى حوزة المسلمين صارت دارا اسلامية لا يجوز بحال من الأحوال أن يزال عنها هذا الوصف . وإذا لم يكن هذا الموقف فكيف يهرب العدو جانب الأمة وكيف يتحقق قوله تعالى :

(١)
{لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله} .

وقوله :

(٢)

{ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم} .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "نصرت بالرعب

(٣)

مسيرة شهر" .

فالأمة المؤمنة بهذا الرسول والمتبعة له يجب أن تكون

(١) الآية من سورة الحشر : ١٣

(٢) الآية من سورة الأنفال : ٦٠

(٣) رواه البخارى فى كتاب التميم باب رقم ١ ، ومسلم فى كتاب فى المساجد باب ١ .

مرهوبة الجانب ومنصورة برعب الأعداء منها ، ولكن الدفاع عن الحوزة وعن كل مايتعلق بالاسلام والمسلمين أمر يصعب بل قد يستحيل اذا لم يكن بين المسلمين الاتفاق والتعاون والوحدة ومن هنا كان من نتائج الوحدة بين المسلمين الدفاع عن الحوزة وحماية الاوطان ، فهذا الرعييل الاول لما تنمر لهم الأعداء وسعوا فى اذيتهم لم يرفع عنهم هذا الظلم الا بعد الهجرة التى اتاحت لهم الفرصة بأن يجتمعوا ويتحدوا ويتخذوا مسكنا وموطنا ، فجعلوا يردون العدوان عن أنفسهم وخاطبهم الله بقوله :

{ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول
(١)
وهم بدءوكم أول مرة} .

وقد بدأ الصراع وبواعشه كلها تعود الى الدفاع عن حوزة المسلمين وجماعتهم الموحدة لئلا يتسلط عليهم الأعداء ، فان هذا هو المبرر ليعلموا الجهاد فى سبيل الله ، واستمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على ذلك حتى توفى بعد آخر غزوة غزاها ، غزوة تبوك لدفع الروم المتحركين نحو المسلمين وبلادهم ، ولم يخلص أصحابه من بعده الى غزوة الروم والفرس الا بعد استتباب الأمن فى البلاد التى فى حوزة المسلمين والقضاء على المرتدين .

والعبادة التى نشأ عليها المسلمون تربويا سواء ما كان منها عقيدة أو تطبيقا أهم أثر لها اليقظة فى المؤمنين المؤدية الى الكفاح الحقيقى فى سبيل العقيدة فى سبيل

(١) الآية من سورة التوبة : ١٣
(٢) انظر : أصول النظام الاجتماعى لمحمد طاهر عاشور
ص ٢١٥-٢٢٠ .

حماية الوطن ، ومن ثم كان هذا شاغلًا للمؤمنين عن الخصومات والمصادمات فيما بينهم وهى من مصادر الجانب المادى ، والعلاقة الناشئة بين المؤمنين تنمو من خلال الجهاد الذى شرع للدفاع عن الحق والله يقول :

(١)

{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} .

فهذه العلاقة واقعية يستلزمها الايمان وهى دعوة الى الاهتمام بشأنهم وشأن كل مايتعلق بهم كبلادهم الموصوفة بدار الاسلام ، ومما يؤكد دفاع المؤمنين عن الوطن الاسلامى أن المعتدى لم تكن بينه وبين المؤمنين علاقة وهم الكفار كقوله تعالى :

{لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ} .
(٢)

بناء على هذا كانت القوة الاجتماعية والمشاركة فى مواجهة المعتدين والازمات من ضرورات الوحدة الاسلامية لسلامة المجتمع .
(٣)

ومن المواقف التى جعل فيها الفقهاء الجهاد فرضا عينيا : حينما يستبيح العدو بلادا اسلامية أو يعتدى على فريق من المسلمين ، فيكون الواجب على كل مسلم الدفاع ، ولايخرج هذا الحكم عن الفرضية العينية الا بكف العدو عن بيضة المسلمين وحوزتهم .
(٤)

(١) الآية من سورة التوبة : ٧١

(٢) الآية من سورة آل عمران : ٢٨

(٣) انظر : الدين والحفارة الانسانية ص ١٩٧-١٩٨ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥٨/٢٨-٣٥٩ ، زاد المعاد لابن قيم ٧١/٣-٧٢ ، المغنى لابن قدامة ٣٤٦/٨-٣٤٧ .

وبالرجوع الى التاريخ وتسلسل الأحداث على هذه الأمة المسلمة نجد أن الضعف كل الضعف انفتح بابه بمصراعيه على المسلمين حينما استهانوا بهذا الجانب من الجهاد بعدما توقف الزحف للجهاد فى تبليغ الدعوة بل الحقيقة أن المسلمين عندما اكتفوا بما لديهم من البلاد ولم يتقدموا للتوسع فى سبيل العقيدة والله أمرهم بذلك ، اكتنفهم الضعف من جراء هذا فطمع العدو فى البلاد التى فى حوزتهم بل وتمكن فى الاستيلاء على بلاد عاش فيها الاسلام قرونا وكانت موصوفة بأنها ديار اسلامية كالاندلس ، وعوقبت الدولة العثمانية وهى آخر خلافة للمسلمين ، عوقبت بأن سلب منها بلاد كثيرة كانت اسلامية فى شرق أوروبا وآسيا ، وكان هذا عقابا بسبب تهاون الخلفاء ، وتوزع المسلمين وتناسيهم هذه البلاد وهذه الشعوب الاسلامية وجاء العقاب أيضا بسبب التقاعس عن الدفاع عما سلب من وكان هذا العقاب أشد مضافة لأنه خص قلب العالم الاسلامى ألا وهو فلسطين ، واليوم اذا لم يقم المسلمون بواجب الدفاع عن القلب لست أدري ماذا يكون ممير الاطراف الأخرى .!

المبحث الخامس
الوفرة فى المعاش والغنى

من النتائج المحمودة لتطبيق الوحدة فى بناء القوة والجماعة على العقيدة والشريعة وإزالة الحواجز بينهما وبين الناس ، وحماية البيضة وما فى الاسلام ، من النتائج اللازمة لهذا التطبيق العملى البركة التى فتحها الله على الأمة المتأخية بإيمانها فدر عليهم بركات من السماء والأرض كما قال تعالى :

{ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون} .
(١)
فلايمان والتقوى بدليل هذه الآية مفتاح الرزق وسبب وفرة المعاش ، ذلك لأن الله تعالى خلق عباده لعبادته وتكفل لهم بالرزق كما قال تعالى :

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين}
(٢)
فاذا قام البشر بالمسؤولية التى خلقوا لأجلها فالذى فى ضمان الله سبحانه وتعالى لهم لامحالة أنه سيتوفر لهم وقوله تعالى أيضا :

{وامرأهك بالملأه وامطبر عليها لانسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى}
(٣)

وهكذا تتوالى النصوص التى فيها ضمان الرزق ووفرته

(١) الآية من سورة الاعراف : ٩٥

(٢) الآية من سورة الذاريات : ٥٦-٥٨

(٣) الآية من سورة طه : ١٣٢ .

إذا قام الناس بما أمرهم الله به كما تحقق وشهد القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى :

{واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم^(١) وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون} .

قال قتادة بن دعامة السدوسي معلقا على هذه الآية ومبينا حالة العرب قبل الاسلام وبعده : "كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضللا ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات منهم ردى في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلة من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم حتى جاء الله بالاسلام فمكن الله به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس ، وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمة فإن ربكم منعم يحب الشكر^(٢) وأهل الشكر في مزيد من الله} .

وكما قال تعالى مبينا الفضل الكبير الذى أضاعه أهل الكتاب بسبب رفضهم للتوراه والانجيل فقال تعالى :

{ولو أنهم أقاموا التوراه والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتعدة^(٣) وكثير منهم ساء ما يعملون} .

فالانصراف عن كتاب الله تعالى التوراه والانجيل

(١) الآية من سورة الأنفال : ٢٦

(٢) نقلا عن ابن كثير ٣٠٠/٢ .

(٣) سورة المائدة : ٦٦

هرمز ؟ ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل خرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ ، فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ ، فيقول بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم ، قال عدى : سمعت النبی صلی اللہ علیہ وسلم يقول : " اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة ، قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبی أبو القاسم صلی اللہ علیہ وسلم : يخرج ملء كفه " .^(١)

واذا عدنا الى سيرة المسلمين وتاريخهم منذ الهجرة النبوية حتى تغيرت نفوسهم عن الاسلام والجهاد وتهاونوا في قوة الجماعة الاسلامية ماديا ومعنويا ، اذا عدنا الى تلك العمود المشرقة فائنا سنجد ما وعد لله به المؤمنين في تلك الآيات وبشر به الرسول صلی اللہ علیہ وسلم أصحابه من التمكن في الأرض ووفرة الرزق الطيب والبركة فيه ، فقد تحقق حيث أحل الله لهم كل مافي أيدي أعداء الاسلام بالجهاد وهذه هي أول بادرة الغنى ووفرة المعاش والتوسعة على هذه الأمة والقوة لهذه الدولة الاسلامية الجديدة بينما الأمم السابقة حرمت عليهم الغنائم وأحلت لهذه الأمة بفضل الله تعالى كما في الحديث ، وقد فتح الله عليهم حتى وزع المال في

(١) رواه البخارى في كتاب المناقب باب ٢٥ .

المدينة بالصاع والمكيال وجاءت كنوز الأمم والملوك من الذهب والفضة والرقيق وغير ذلك حتى أشبعهم الله تعالى ، وقد بدأ ذلك من معركة بدر التي دعا فيها الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : " اللهم انهم جياع فأشبعهم ، اللهم انهم حفاة فاحملهم ، اللهم انهم عراة فاكسهم ، ففتح الله عليهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا ، وما منهم رجل الا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا ..

هذا ولم ينقل المؤرخون أن كانت مشكلة للمسلمين منذ الدولة الإسلامية الأولى الى نهاية الدولة العباسية ، مشكلة اقتصادية ناتجة عن قلة المال بل المشاكل التي عاناها المسلمون من خلال تلك العهود تعود الى آثار الترف ... هذا بالإضافة الى أن الاسلام شجعهم نحو الأسباب الاقتصادية من الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها .

(١) كما في الحديث "فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا" رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير رقم الحديث ٣٢ .

الفصل الثانى

المعوقات الرئيسية للوحدة وطرق التغلب عليها

توطئه :

الدعوة الاسلامية طريقها ليس مغروشا بالوورد ، ولا هو محاطا بالامن والامان دائما ، كما هى عادة هذه الحياة الدنيا التى لاتهدأ على أمر مستمر ، لأنها حلقات بين يسر وعسر الى أن تتلفظ أنفاسها الأخيرة ، وتنتهى نكباتها وويلاتها الى الحياة الابدية والوحدة الاسلامية غاية نبيلة لهذه الدعوة ، وخلاصة لأركان الدعوة الاسلامية ومناهجها ، فلتكن المعوقات والصعوبات أمام هذه الوحدة أضعاف المعوقات التى تكون أمام الدعوة نفسها ، لأن الوحدة الاسلامية مرحلة تالية مقصودة فى المؤمنين بهذه الدعوة بعد قبولهم للدعوة ووصفهم بكل ما يمتص به المؤمنين بها ، فاذا كان الشر وقواه المادية يعز عليهم أن يصل الايمان الى القلوب وأن يتحلى أفراد الناس بالعبودية الحقّة لله تعالى مخلصين له الدين مذعنين له فى الأمر والنهى ، اذا كان هذا يثير قوى الشر لتقف حاجزا بين القلوب وما يوافق فطرتها ، فإن وقوفها فى المرحلة الثانية التى تتألف فيها القلوب وتتعاون نفوس المؤمنين بالاخوة ومستلزماتها أشد صلابة وأقوى حرما على اعاقته ، لأن الوحدة هى لب الدعوة ونتيجة العقيدة والعبادة وهى الدلالة على أن زمام القيادة الاجتماعية لله تعالى ، وقد انفلت من قوى الشر والمظاهر المادية ، بناء على أن

الأخوة الإسلامية قائمة اجتماعيا وسياسيا وسلوكيا وعقائديا .
ان القوى المادية ربما تهدأ ثورتها وثقل حماقتها لو اختصر
التدين على الهداية الفردية دون الحرص على ايجاد مجتمع
تسوده الأخوة ويأخذ الدين بزمام كل شئ فى الحياة ليكون
الناس جميعا كما قال تعالى : {انما المؤمنون اخوة} (١) .
والمعوقات فيما نرى تجتمع فى أمور أهمها :

(١) الحكم بغير ما أنزل الله .

(٢) والابتداع فى الدين .

(٣) والتقليد والتعصب .

(٤) والاختلاف .

وقد ترتبت هذه المباحث بهذا الترتيب حسب خطورتها ،
وان كان ترتيبها التاريخى غير ذلك ، لأن أول ما حدث فى الأمة
هو الاختلاف فالتعصب ثم الابتداع ثم الحكم بغير ما أنزل الله
والأخير هذا يحمى كل المعوقات للوحدة الإسلامية وينمىها ،
ومن ثم بدأت به لخطورته وغرابته عن الأمة المؤمنة ، التى
فى الامكان أن تعالج اختلافها وما وجد فيها من البدع لولا
أنها بغتت بالقوانين الوضعية .

(١) الآية من سورة الحجرات : ١٠

المبحث الأول
الحكم بغير ما أنزل الله

ويتناول المطالب التالية :

المطلب الأول : أسباب الحكم بغير ما أنزل الله في الأمة
الإسلامية .

المطلب الثاني : خطورة الحكم بغير ما أنزل الله .

المطلب الثالث : وسائل التغلب على الحكم بغير ما أنزل
الله .

المطلب الأول

"أسباب الحكم بغير ما أنزل الله في الأمة الإسلامية"

الاسباب التي مهدت للقوانين الوضعية في البلاد الاسلامية كثيرة ومتداخلة كالتقليد <١> الذي كان عاملاً لكثير من الشرور في المسلمين وإذا أشربت النفوس التقليد كثرت مزالقتها واستحكم الجهل فيها ، والتقليد يأتي بما ليس في حسابان ، ويهيء الفرص ليدخل كل غريب إلى النفوس المقلدة ، وقد نشأ التقليد في القرون الأخيرة بين المسلمين ووطأ النفوس لما يقصده ، ولم تسلم منه حتى العقيدة ، وفي الوقت الذي يسري التقليد في الأمة وتنمو خلاياه استعداداً لأي جديد قادم يتقلص جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة ، لذلك لما جاءت موجة الاستعمار في البلاد الاسلامية وجدت العلمانية قلباً فارغاً وعقولاً مهينة ونفوساً سهلة الانقياد ولهذه القوانين الوضعية التي جاء بها الاستعمار ، يقرها بين المسلمين ويثبتها ليتحاكموا إليها وليس لهذه القوانين اكبر هدف من ابعاد الدين عن الدولة ، وهي تجربة جربت وفحصتها العلمانية مع دين الكنيسة أولاً والكنيسة نفسها مهدت لذلك حيث فصلت عن الدولة وجاءت القوانين الوضعية بعد الثورة الفرنسية وعمقت الفصل بين الامرين وحمل الاستعمار الفتنة ليطبقها ثانية على الاسلام والمسلمين فأقر جملة من الجرائم والفواحش وأحل الحرام كالربا ليتم بذلك التمرد على حق الله تعالى في التشريع وعلى حكمته التي تختص بمعرفة ما يصلح لعباده <٢>

ولما بدأ هجوم المستعمرين صدهم ما يتوقعون ، وهو العقيدة الاسلامية التي تمكنت في النفوس وكانت القوة المتحركة في المشاعر والدافعة للعواطف وإن وجد المستعمرون في بعض ضعاف النفوس في البلاد الاسلامية من يتأثر ببعض الدعايات التي تزعم العقيدة في مواقعها ، وتوسوس في بعض هؤلاء الضعفاء إن وجدت ذلك فإنهم يعلمون حقيقة أن لا يصنع لهم شيئاً من مآربهم ولا يحقق لهم الاهداف كما أرادوها .

١ - يأتي الابتداء في الدين وهو البحث الثاني ص ٦٨٨

٢ - انظر رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر لمحمد قطب ص ٣٧ ط ١ سنة ١٤١١ هـ

وانظر واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص ٣٠٤ و ص ٣٤١ وما بعدها ط ٢ سنة ١٤٠٨ هـ .

ولكن دول الاستعمار وروادها من المستشرقين يدركون أن الشريعة الإسلامية بتعاليمها الاجتماعية والأخلاقية والتشريعية تمكنت من النفوس ، وعرفت المسلمين بالحلال والحرام فلا يكاد المسلم يخالف إلا من جهله مع شعوره بأن شريعة الله بينت كل شيء ، وعاش عليها المسلمون أجيالاً مع كمالها وتامها فلم يشك أحد من نقصانها ، ولا من مباينتها وقائع الحياة المستجدة ، فالتمكن من قيادة المسلمين وتوجيههم حيث أراد الاستعمار أمر صعب لما ذكرت ، ومن ثم جاء دور القوانين الوضعية من خلال موجة الاستعمار لتفرض على المسلمين وتهدد انقيادهم للأهواء الاستعمارية الغربية فأدخل المستعمرون هذا الوباء وأغروا من استجاب لهم من حكام المسلمين والمثقفين تحت شعار من الدعايات وعلى رأسها الأخذ بأسباب المدنية والتقدم الأوربي وتركز الدعاية أن التقدم الحضاري المادي في أوروبا إنما هو بسبب هذه القوانين الوضعية التي أماتوا بها كل عنصر في حياتهم يرتبط بالدين وأن تأخر المسلمين إنما يرجع إلى تمسكهم بأهداب الدين وأخذهم من الكتاب والسنة ، فلا عليهم إلا أن يستقبلوا هذه القوانين الوضعية بالترحاب ويوسعوا لها مداركهم ويشجعوا في وضعها ودراستها وتلقيها للصغار في المدارس والمعاهد . وقد وجدت هذه الدعاية أذناً صاغية ، وعقولاً فارغة وأهواء مقبلة ، فكانت الكارثة في البلاد الإسلامية حيث توزعت بين قوانين متباينة لتباين مصادرها ، وصار لكل بلد قوانين وضعية يعود بعضها إلى الإنجليز وبعضها إلى الفرنسيين وبعضها إلى الألمان أو البلجيكي ، أو ! ويمتد تاريخ هذه القوانين إلى الرومان <١>

إن هذه الدعاية بطلانها واضح حيث إن هذه القوانين كانت من نظام الرومان ، ولم يفد ذلك الدولة الرومانية أمام المسلمين حيث تحطمت وسقطت بسيف الجهاد ، ولم تغد هذه القوانين أيضاً جحافل الصليبيين حيث حطمهم المسلمون ، وردوا كيدهم ، ولم تثبت أيضاً أقدام المستعمرين في البلاد الإسلامية ، فالتقدم المادي الذي حصل لأوروبا إنما يعود إلى الأخذ بالأسباب المادية ، وما حصل للمسلمين من ضعف وغيره إنما يعود إلى البعد عن الإسلام وترك تعاليمه

ولم نر في البلاد الإسلامية الآن تقدماً بسبب هذه القوانين الوضعية ، وإنما سببت هذه القوانين الوضعية فرقة ، وبني على تباينها أن المسلمين أمماً ليسوا بأمة واحدة لأن كل بلد يتبع قوانينه الوضعية ، وأما الشريعة التي تجمع الجميع وتدعوهم أمة واحدة فلاحظ لها في أي دستور في البلاد الإسلامية التي اعتمدت القوانين إلا أن يذكر أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة وكفى . . ؟ وعلى المقنين أن يضعوا وينفذوا كل ما يناقض هذه الحقيقة القانونية .

فالمسلمون مهما اختلفوا ، ماكانوا يفكرون فى تحكيم شئ غير شريعتهم التى جاءت فى القرآن والسنة ، وشرحت فى موسعات فقهية كبرى بلغت من السعة الى حد أنها تطرقت الى أشياء لم تقع بعد ، ولكن الفقهاء يفرضون وقوعها فبينوا حكمها من خلال دراستهم لنصوص الكتاب والسنة ومرونة القياس والمصالح المرسلة . ومنذ الحروب المليبية بدأت هذه القوانين الجاهلية تتسرب الى المجتمع الاسلامى حتى جاء الاستعمار فدفعها وفرضها على المسلمين فرضا ، والمبشرون يحملون راية الفكر والثقافة لهذه القوانين الوضعية ، وخاصة من يقال لهم المستشرقون ، وهم من جملة المبشرين ورواد الحضارة الغربية ، وقد تتلمذ على هؤلاء فريق من المحسوبين على الاسلام وبحكم ثقافتهم عادوا دعاة بالقوانين الغربية بين المجتمعات الاسلامية ، ولم يكتفوا بالدعاية اليها ، وانما ترجموها وألفوا فيها ونمقوها ورجووها فى المناهج الدراسية ، وتساندوا مع المستعمر الذى يطبع على هذه القوانين السياسية فى البلاد الاسلامية لتبقى متمسكة بها حتى ولو بعد الاستقلال ، ولقبوا القوانين بالفقه والتشريع ، فجعلوا يقارنون بينها وبين الشريعة الاسلامية ، ومن خلال المقارنة الجائرة يحكمون بأن الشريعة لاتملح لعصر التقدم ، ونجم بين المسلمين من يتعصب لهذه القوانين تعصبا سافرا ، وهكذا ربط المسلمون بهذه القوانين فى بلدانهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وصارت ديننا جديدا يتحاكمون اليه ونسخوا به شريعتهم واقعيها ، وان لم يصرحوا بذلك ، فاذا هو

تحاكم الى الوثنية والجاهلية رغم أن المتدين من المسلمين
يملى ويموم ويحج ويتصدق ، ولكنه يرجع فى الحكم والقضاء
الى هذه القوانين الكافرة .^(١)

إن الشريعة الإسلامية شاملة لكل شئ يتطلبه الإنسان من
شئون نفسه وشئون علاقته مع الآخرين ولا يمكن أن نجد شيئا فى
الحياة إلا ومنصوص عليه فى الشريعة أو مدلول عليه ضمنا ،
وهذا أمر لا جدال فيه ، ولقد تفتن أعداء الشريعة لهذه
الحقيقة فعملوا لتفريغها من شموليتها ومفاهيمها تمهيدا
للقضاء عليها ، فلجأوا الى الوسيلة الشيطانية ، وهى دعاية
فصل أحكام العبادات عن الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية
وعن الأحوال والأحكام الأخرى من معاملات وغيرها من النظم ، ثم
تركزت الدعاية على أن الدين لله ، ويقصدون بالدين ما يتعلق
بالعبادات فقط ، وأما بقية الأحكام الشخصية والعامة فلا
علاقة للدين بها ، وتأثر الذين لم يدرسوا الشريعة الإسلامية
بهذه الدعاية ، فرفعوا شعار القائل "الدين لله والوطن
للجميع" فاستطاعت القوانين الأجنبية أن تتسرب الى صفوف
المسلمين والى أنظمتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية
والثقافية ، وفى الأحوال الشخصية حاول المستعمرون فى بعض
البلاد الإسلامية أن يلغوا الفوارق بين المسلم وغيره فى
الأحوال الشخصية كوضع نظام يجيز التزاوج بين المسلم وغير
المسلم ، كما رامت فرنسا فى استعمارها للشام ، وفى حملة
نابليون فى مصر ، ولكن المسلمين وقفوا لهم بالمرصاد ،

(١) انظر : تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على تفسير ابن
كثير رقم ١ ، ٣/٢١٣-٢١٥ .

وأرادوا التدخل فى الشريعة وتمكين القوانين الوضعية بحيلة المرونة فى الشريعة ، فأراد بعض المتأثرين من المفكرين أن يوجه الشريعة بناء على مرونتها وتسامحها الى حيث تتجه القوانين الشرعية فاذا لم يفعل ذلك وصفوها بالجمود والتعصب المذموم والرجعية والتطرف ، لرفض المسلمين التقدم المزعوم من القوانين ، واقاموا دعاية كبرى الى أن العالم العربى فى حاجة الى فلسفة ترفع من شأنه وتوجد من الأمة العربية أو التركية أو الهندية أو الافريقية أمما فى صف الأمم الاوربية بحكم الأخذ بهذه الفلسفات فى السياسة والاقتصاد ، والآداب والتربية ، ومن هذا الخداع توجه هؤلاء المفكرون الى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه عبقرى من العباقرة ويجردونه من الرسالة يريدون منه أن يكون عبقرى فى صفوف عباقرة العالم مع رفض ما جاء به وهذه حيلة (١)

(١) انظر : أجنحة المكر الثلاثة لعبد الرحمن حبنكة الميدانى ص ٢٨٥-٢٩٩ .

المطلب الثانى
خطورة الحكم بغير ما أنزل الله

ان حكم رفض القانون الوضعى الجاهلى واضح فى كتاب
الله تعالى يقول الله تعالى :
{أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم
(١)
يوقنون} .

قال ابن كثير : "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله
المحكم المشتمل على كل خير ، الناهى عن كل شر ، وعدل الى
ماسواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا
مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من
الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما
يحكم به الثثار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم
جنكيز خان الذى وضع لهم الياسة ، وهو عبارة عن كتاب مجموع
من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية
والملة الاسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من
مجرد نظره وهواه ، فمارت فى بنيه شرعا متبعا يقدمونه على
الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن
فعل ذلك منهم ، فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله
(٢)
ورسوله فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير ، وقال تعالى :

{ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
(٣)
الطاغوت} .

(١) الآية من سورة المائدة : ٥٠
(٢) تفسير ابن كثير ٦٧/٢ ، مطية الاستقامة ، ط الثانية .
(٣) الآية من سورة النحل : ٣٦

إذا كان الطاغوت كل ما يعبد من دون الله فعلى رأس الطواغيت القوانين الوضعية بدون علم ، لأن التحاكم الى الله ورسوله عبادة وعقيدة ، فإذا صرفت هذه العبادة الى القوانين الوضعية ، فقد مارت طواغيت تعبد من دون الله ، ولا يجتمع الاتجاه الى الله تعالى والاتجاه الى الطواغيت .^(١)

كما قال تعالى :

{فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم} .^(٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر . فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فإنه مامن أمة الا وهى تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل فى دينها مآرآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعباداتهم التى لم ينزلها الله سبحانه وتعالى كسوايف البادية وكأوامر المطاعين فيهم ، ويرون أن هذا هو الذى ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر ، فإن كثيرا من الناس اسلموا ولكن مع هذا لا يحكمون الا بالعبادات الجارية التى يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء اذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار والا كانوا جهالا" .^(٣)

(١) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٦ ، تيسير العزيز الحميد ص ٣٣-٣٤ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ٢٥٦

(٣) منهاج السنة لابن تيمية ١٣٠/٥ ، ط جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

وقال ابن القيم رحمه الله :

"والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم ، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة ، وعدل عنه عمياناً مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة ، فهذا كفر أصغر ، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله ، فهذا كفر أكبر وإن جهله وأخطاه : فهذا مخطئ له حكم المخطئين" (١).

والقرآن الكريم صريح ومفصل في أن الحكم بغير ما أنزل

الله كفر وفسوق وظلم قال تعالى :

(٢)

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} .

وقال :

(٣)

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون} .

وقد ذكر بعض أهل التفسير أن المقصود بها كفر دون كفر وفسق دون فسق ، وظلم دون ظلم ، بمعنى أنها قد لا تخرج من الملة (٤) . ومع هذا فلا شك أن هؤلاء المفسرين الذين يقولون هذا لا يقصدون الذي يضع القانون ويتعصب ويفضله عن حكم الله تعالى ، إنما يقصدون من يقع في هذا خطأ ، أو تحمله عليه ثورة شهوة أو عصبية عارمة ، ولكنه لا يقصدها ، ولم يجعلها نظام حياته ، ولا يدعى أنها أعلم من الشريعة وأنفع لخلق الله .

وفي هذا الموضوع كتب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل

(١) مدارج السالكين :

(٢) الآية من سورة المائدة ٤٤-٤٥

(٣) الآية من السورة السابقة : ٤٧

(٤) انظر : تفسير ابن كثير عن الآيات .

الشيخ كتابة مفيدة وتحقيقا فى هذه الأوصاف التى وردت فى الآيات لمن لم يحكم بما أنزل الله ، أرى أنه من المفيد أن أنقل كلامه هنا لما فيه من التفصيل مع الإيجاز المفيد ، والشيخ هو الرجل الذى مارس القضاء فى القرن الرابع عشر الهجرى وتزعم العلماء فى هذه البلاد السعودية مع اطلاعه على أحوال العالم الإسلامى وخاصة العقائدية والقضائية رحمه الله يقول :

"فانظر كيف سجل تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق ، ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه وتعالى الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ولا يكون كافرا ، بل هو كافر مطلقا ، أما كفر عمل وأما كفر اعتقاد ، وما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا أما كفر اعتقاد ناقل عن الملة ، وأما كفر عمل لا ينقل عن الملة أما الأول ، وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع :

أحدهما : أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية الله ورسوله ، وهو معنى ما روى عن ابن عباس ، واختاره ابن جرير أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعى وهذا مالا نزاع فيه بين أهل العلم ، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلا من أصول الدين أو فرعا مجمعا

(١) هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليماني الحميري من تلامذة ابن عباس ، روى عن العبادلة وعن كثير من المحابسة ، وهو ثقة وأمام فى التفسير ، وروى عنه خلق كما روى له أصحاب الستة شهد له ابن عباس بالفضل ، توفى سنة ١٠٦ بمكة .
انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ٨/٥-١٠ .

عليه ، أو انكر حرفا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قطعيا ، فانه كافر الكفر الناقل عن الملة .

الثانى : أن لايجحد الحاكم بغير ماأنزل الله كون الله ورسوله حقا ، لكن أعتقد أن حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه ، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع ، اما مطلقا أو بالنسبة الى مااستجد من الحوادث ، التى نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال ، وهذا أيضا لاريب أنه كفر ، لتفضيله أحكام المخلوقين التى هى محض زبالة الأذهان وصرف حشالة الأفكار ، على حكم الحكيم الحميد .

وحكم الله ورسوله لايفتلف فى ذاته باختلاف الأزمان ، وتطور الأحوال وتجدد الحوادث ، فانه مامن قضية كائنة ماكانت الا وحكمها فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، نما أو ظاهرا واستنباطا أو غير ذلك علم ذلك من علمه وجهله من جهله ، وليس معنى ماذكره العلماء من تغيير الفتوى بتغير الأحوال ماظنه من قل نميبيهم أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعللها حيث ظنوا أن معنى ذلك بحسب مايلزم اراداتهم الشهوانية البهيمية وأغراضهم الدنيوية وتصوراتهم الخاطئة الوبية ، ولهذا تجدهم يحامون عليها ، ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة اليها ، مهما أمكنهم فيحرفون لذلك الكلم عن مواضعه ، فمعنى تغيير الفتوى بتغير الأحوال والأزمان ماكان مستحبة فيه الأصول الشرعية والعلل المرعية ، والمصالح التى جنسها مراد لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن المعلوم أن أرباب القوانين الوضعية

عن ذلك بمعزل ، وأنهم لا يقولون الا على ما يلائم مراداتهم كائنة ما كانت والواقع أصدق شاهد .

الثالث : أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله ، لكن أعتقد أنه مثله ، فهذا كالنوعين اللذين قبله ، في كونه كافرا الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق ، والمناقضة والمعاندة لقوله عز وجل : "ليس كمثله شئ" ونحوها من الآيات الكريمة ، الدالة على تفرد الرب بالكمال ، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين ، في الذات والمفات والافعال والحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه .

الرابع : أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلا لحكم الله ورسوله ، فضلا عن أن يعتقد كونه أحسن منه لكن أعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله ، فهذا كالذي قبله يمدق عليه ما يمدق عليه ، لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة المريحة القاطعة تحريمه .

الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ، ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ورسوله ، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية ، اعدادا وامدادا وارصادا وتاميلا ، وتفريعا وتشكيلا وتنويعا وحكما والزاما ، ومراجع ومستندات ، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستندات ، مرجعها كلها الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهذه المحاكم مراجع هي : القانون الملقق من شرائع شتى ، وقوانين كثيرة ، كالقانون الفرنسى والقانون الأمريكى ، والقانون البريطانى وغيرها من القوانين ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين الى الشريعة وغير ذلك .

فهذه المحاكم الآن فى كثير من أعمار الاسلام مهياة مكملية ، مفتوحة الأبواب والناس اليها أسراب اثر أسراب ، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون ، وتلزمهم به ، وتقرهم عليه ، وتحتمه عليهم فإى كفر فوق هذا الكفر ، وإى مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة وذكر أدلة جميع ما قدمنا على وجه البسط معلومة معروفة ، لايحتمل ذكرها هذا الموضع ، فإى معشر العقلاء ويا جماعات الأذكىاء وأولى النهى !

كيف ترضون أن تجرى عليكم أحكام أمثالكم ، وأفكار أشباهكم ، أو من هو دونكم ممن يجوز عليهم الخطأ ، بل خطؤهم أكثر من صوابهم بكثير ، بل لاصواب فى حكمهم الا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصا أو استنباطا ، تدعونهم يحكمون فى أنفسكم ودمائكم وأبشاركم وأعراضكم وفى أهاليكم من أزواجكم وذرائعكم ، وفى أموالكم وسائر حقوقكم ، ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله ، الذى لا يتطرق اليه الخطأ ، ولا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه ، فكما لا يسجد الخلق الا لله ، ولا يعبدون الا إياه ، ولا يعبدون المخلوق ، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا الا لحكم الحكيم العليم الحميد الرؤوف الرحيم ، دون حكم المخلوق ، الظلوم الجهول ، الذى أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات ، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات فيجب على العقلاء أن يربأوا بنفوسهم عنه ، لما فيه من الاستعباد لهم ، والتحكم

فيهم بالاهواء والافراض ، الاغلاط والاختاء ، فضلا عن كونه كفرا
بنص قوله تعالى :

(١)

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} .

السادس : ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر ،
والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم ،
وعاداتهم التي يسمونها "سلومهم" يتوارثون ذلك منهم ،
ويحكمون به ويحملون على التحاكم اليه عند النزاع ، بقاء
على أحكام الجاهلية ، واعراضا ورغبة عن حكم الله ورسوله ،
فلا حول ولا قوة الا بالله ، وأما القسم الثاني من قسمي كفر
الحاكم بغير ما أنزل الله ، وهو الذي لا يخرج من الملة ، فقد
تقدم أن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله عز وجل
{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} ،

قد شمل ذلك القسم وذلك في قوله رضي الله عنه في الآية :
"كفر دون كفر" وقوله أيضا : "ليس بالكفر الذي تذهبون
اليه" أهـ . وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في
القضية ، بغير ما أنزل الله ، مع اعتقاده أن حكم الله
ورسوله هو الحق ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى
وهذا وإن لم يخرج كفره عن الملة فإنه معصية عظمى أكبر من
الكبائر ، كالزنا وشرب الخمر والسرقه واليمين الغموس ،
وغيرها ، فإن معصية سماها الله في كتابه : كفرا أعظم من
معصية لم يسمها كفرا . نسأل الله أن يجمع المسلمين على
التحاكم الى كتابه انقيادا ورضا انه ولي ذلك والقادر
(٢)
عليه .

(١) الآية من سورة المائدة : ٤٤

(٢) تحكيم القوانين للعلامة الشيخ محمد بن ابراهيم آل
الشيخ مفتي الديار السعودية رحمه الله ص ٤-٧ ، ط ٢ ،
سنة ١٤١٣ هـ .

فالتحاكم الى القوانين الوضعية أمر يمس العقيدة بل يناقضها لأن الله تعالى قال :

{ان الحكم الا لله أمر أن لاتعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم} (١) .

وقال :

{من يطع الرسول فقد أطاع الله} (٢) .

فهذا التقرير الموجز فى الايتين بين مصدر الحكم ، ومن ثم اتضح حقيقة الدين الاسلامى ومنهج المجتمع المسلم فى مواجهة الجاهلية وهو قصر الحكم على الله ، فالعبودية تتمثل فى العقيدة وفى الشعائر التعبدية ، وفى الشرائع القانونية ، فمن فرق بين الثلاثة ، فليس عبدا لله عبودية العقيدة قال تعالى :

{قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} (٣) .

والشرك كما أنه واقع فى العقيدة والعبادة يقع فى الحكم ويسمى شركا قال تعالى :

{أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله} (٤) .

ولئلا يقع هذا الشرك الخطير يقول تعالى للمؤمنين :

{وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} (٥) .

فالجماعة المؤمنة إنما تنشأ وتتكون بهذه العناصر

-
- (١) الآية من سورة يوسف : ٤٠
(٢) الآية من سورة النساء : ٨٠
(٣) الآية من سورة الأنعام : ١٦٢-١٦٣
(٤) الآية من سورة الشورى : ٢١
(٥) الآية من سورة الحشر : ٧

الثلاثة العبودية لله فى العقيدة والعبادة والحكم ، وبعد ذلك يمكن أن تنشئ هذه الجماعة نظاما اجتماعيا يفصلها عن غيرها ويميزها بعلامتها وسماتها وهو خلاصة ومضمون كلمة الاخلاص "لا اله الا الله محمد رسول الله" ولا يمكن أن يفرق بين تأليه الآلهة فى العبادة وبين تأليه العلمانية أو الشعب أو الحزب أو أى مصدر للحكم غير الله قال تعالى :

{اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون} (١)

فهؤلاء المشركون بطاعة الاحبار والرهبان لم يعتقدوا الوهية الاحبار والرهبان ولم يصرفوا اليهم الشعائر التعبدية ، ولكن اعترفوا لهم بالحاكمية فيقبلون منهم ما يحرمونه على أنه حرام وما يحلون على أنه حلال بدون السؤال عن حكم الله . (٢)

تلك حقيقة يجب أن يعيد المسلمون النظر فيها لأنها تتنافى مع العقيدة من الجذور ، والله سبحانه وتعالى ينفى الايمان عمّن لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يرضى بحكمه ، نغيا مؤكدا فيقول :

{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} (٣)

ان التحاكم الى القوانين الوضعية من أبرز العوامل فى تفريق المسلمين ، لأن من شأن القانون الوضعى القصور عن

(١) الآية من سورة التوبة : ٣١

(٢) انظر : معالم فى الطريق لسيد قطب ص ٩٢-١٠٧

(٣) الآية من سورة النساء : ٦٥

احاطة على مايسعد البشر ويفيدهم ، فالقانون من وضع شخص معين أو أشخاص محدودين تأثروا فيه بأهواء معينة وأهداف تخمهم ، ولايمكن أن يصدر من المحدود الطاقة والتفكير الا محدود الرأى الذى قد لايملى له ، ولالغيره ، وهو الباحث عن المصلحة لنفسه ، ومن ثم كان تعدد القوانين ضرورة تحتتها طبيعة البشر ، لأن كل جماعة تهتم بنفسها ، ولاتبالى بغيرها وتريد أن تتفوق على غيرها ، فليس فى القوانين الوضعية ماينشد المساواة ولا مايراعى ويقصد العالمية ، من جهة أخرى فان التنافس المقمود بين الواضعين للقوانين مدلوله أنها لاتتفق ، وأن مصدرها مختلف متباين التفكير فى الأسلوب والوسائل والغايات ، بل والأخلاق والعقائد !..

بهذا صارت القوانين الوضعية عوامل الفرقة ووسائل نحو الاختلاف بين الناس ، ومن ذا الذى يزعم أنه كلما فكر فى شئ ماوارتفاه لنفسه يوافقه الآخرون ، لأنه ينطوى على حكمة تشمل مصالح الجميع ؟.. لأحد يدعى هذا من الواضعين للقوانين وانما الكل يفكر فيما يخصه ويزعم أنه أعلم بمصلحته من غيره ، وأن له خصائص دون غيره ولاتعنى سواه ولايأمن غيره ، ففقد أهل القوانين الثقة الكاملة بينهم ، وسبب هذا أن كل فئة تضع القانون لنفسها ، وفقدان الثقة هذا يتناول الفئات القانونية المختلفة من جهة ، ويتناول أيضا أفراد الفئة الواحدة لقانون واحد .

فاذا ماأرغمت الأمة التى ألف الله بين قلوبها ، وتوحدت فى العقيدة والعبادة والسلوك وقيد ايمانها بوحدة

المحبة على الاهواء الفردية والجماعية .. أو كلفت نفسها
بتقليد تلك القوانين المفرقة ، فقد توزعت وتفرقت ولا يمكن
أن يجمعها شئ مهما كان من الصلاحية والحكمة ، وبعضها يحكم
بقانون فرنسى والبعض بانجليزى والبعض بألمانى .. الخ .
حتى ولو اتفقت هذه الأمة على وضع قانون غير قانون
الله تعالى لاتوفق ، بل ستزيد للعالم خرابا لأنها ستسلك نفس
مسلك الأمم الأنفة الذكر وقوانينها والتي لم تعرف البشرية
منها الا العدوان والاستعمار والتفريق بين الناس بالقوانين
ليسود واضعوها .

(١) كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى
يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ، وقوله : "لا يؤمن أحدكم حتى
يكون هواه تبعا لما جئت به" .

المطلب الثالث

وسائل التغلب على الحكم
بغير ما أنزل الله

أولا : حاجة الناس الى تحكيم الشريعة ضرورية

ان حاجة الناس الى الشريعة الاسلامية وتحكيمها ضرورية
وأشد من حاجتهم الى الأطباء ، ان كثير من الناس يعيش بلا
طبيب فى المدن والقرى ، وأما أهل البوادي فلا حاجة لهم الى
طبيب ، ومع ذلك فهم أصحاب الأبدان وأقوياء الطبائع ، والله
سبحانه وتعالى فطر الناس على تناول ما ينفعهم من الغذاء
والشراب والملبس والمسكن ، وقطرهم على اجتناب ما يضرهم
أيضا وكثيرا من أصول الطب أخذت من عادات الناس وما يعرفونه
فطرة .

وأما الشريعة فهي فى موضع تحقيق رضا الله وسخطه وهى
وحى من الله فلا غنى لأحد عنها فى روحه وجسده ولا صلاح لهم فى
سعادة الدارين بدونها ، فالخروج عنها وتحكيم القوانين
الوضعية بدلا من موت روحى حقيقى للإنسان وفساد لأبدان البشر
حيث تتساقط فى كثير من المضار المادية من أنواع الشهوات
العقلانية أو الحيوانية .

ولابد من التفريق بين الشريعة المنزلة من الله تعالى
وبعث بها رسوله صلى الله عليه وسلم وبين الآراء الاجتهادية
للأئمة وأهل العلم ، فان هذه الآراء الخروج منها الى غيرها
من الآراء التى تماثلها ليس كالخروج من الشريعة المنزلة
وتركها الى غيرها فالآية المحكمة والحديث المحيى لا يجوز على
الاطلاق الرغبة عنهما أو عن واحد منهما الى رأى اجتهادى ولو

كان من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة مع تمسك هؤلاء
بالكتاب والسنة .^(١)

فكيف اذن الانصراف عن الكتاب والسنة رغبة عنهما الى
نظريات وقوانين وضعية يفاهى بها الكافرون ربهم سبحانه
وتعالى ؟

وقد جاءت النصوص بأن اختيار الحكم بغير ما أنزل الله
وجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض الانسان لمشاققة
الله ورسوله وهو الضلال المبين كما قال تعالى :

{ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون
الضلالة ويريدون أن تفلوا السبيل}^(٢) .

وقال سبحانه :

{ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى
كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون}^(٣) .

وقال تعالى :

{الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبوت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين
آمنوا سبيلا}^(٤) .

ثانيا : ضرورة دراسة الشريعة الاسلامية

ان دراسة الشريعة الاسلامية دراسة علمية صادقة وموثقة
يترتب عليها وضوح كمال هذه الشريعة وشمولها وصلاحياتها لكل

(١) انظر : تحذير أهل الايمان عن الحكم بغير ما أنزل
الرحمن للشيخ الاسعدي الأزهري السلفي ١/١٤٠-١٤٢ ، من
مجموعة الرسائل المنيرية .

(٢) الآية من سورة النساء : ٤٤

(٣) الآية من سورة آل عمران : ٢٣

(٤) الآية من سورة النساء : ٥١

زمان ولكل قوم خلاف القوانين الوضعية التى تتبدل فى كل لحظة لتباين الأهواء وتبدل أصحابها فى اختراع وابتداع القوانين وتنفيذها ، فأما الأحكام التى يصدرها أهل القوانين على الشريعة فهى لم تكن من نتيجة الدراسة لأنهم لا يخلون من فريقين .

(أ) فريق لم يدرس الشريعة ولا القانون وهؤلاء غوغاء وأبواق ينفخ فيها الغير ليكون فيهم جهاز التشويش على الشريعة .

(ب) فريق درس القانون ولم يدرس الشريعة وهؤلاء هم الذين تلقوا تعليمهم وتدريبهم لدى الغربيين فى بلادهم أو فى بلاد المسلمين وقد وجهوا من واقع دراسة القانون الوضعى بأن يلقوا الشبهات حول الشريعة مع جهالتهم لها ، فيلحقون الشريعة الإسلامية فى عدم صلاحيتها بالقوانين الفلسفية القديمة التى حكمت عليها القوانين المتأخرة بالقصور وعدم الملائحية فيجعلون الشريعة من ضمن هذه الفلسفات التى لاتصلح لافى شبابها ولا فى قدمها فيتبين من الفريقين مايلى :

(١) الفريقان يشتركان فى جهل الشريعة الإسلامية فلا يحق لهما علمياً ولا عقلياً الحكم عليها لأن الحكم عن الشئ فرع عن تصوره ولاتصور لهم فى الشريعة الإسلامية .

(٢) التسوية بين الشريعة والقوانين الفلسفية القديمة تسوية مبينة على الجهل أيضاً لأن مصدر الشريعة الإسلامية غير مصدر القوانين الفلسفية ، فأما القانون مصدره الجماعة التى يحكمها فهو يتطور فيها حسب أهوائها

وما يريد رؤساؤها فيبدلون من القانون ما يشاءون ويثبتون ما يريدون ، فهذه الجماعة ذات القانون أو الأمة أو الدولة هي التي أوجدت قانونها وابتدعته ولم يكن قبلها فهو محدث مخترع ، ومعرض للتبديل والتغيير والتنويع حسب الأهواء والعادات فكونه قانونا يحكم تعبير غير دقيق ، لأنه في الواقع تابع للأشخاص والأهواء والأهداف فيغير دائما فالقانون في الواقع لهذه الجماعة أو الدولة أو الأمة أشخاصها أو أهوائها لأنهم هم المصرفون للقانون لا القانون المصرف فيهم ، لأنه بهذا فقد عنصر الثبات فلزم فقدانه لطبيعة التطور مع بقاء الأصل وفقد الوحدة في ذاته لأن الأشخاص أو الأهواء الذين هم القانون في الواقع متباينون ومتناقضون ... !

قال تعالى :

(١)
{ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا}
وأما الشريعة الإسلامية فمصدرها رب العالمين وهو مصدر الخلق فمصدر القانون والمقنن له واحد وهو الله جل جلاله وبوحدة المصدر تكون المطابقة بين النظام وهو الشريعة وبين المنظم وهو الإنسان في كل شيء ... ونرى أنه باختلاق المصدر للشريعة والمصدر للقانون الوضعي لاداعي للمقارنة بين الشريعة والقانون في أي شيء ، بل إن هذه المقارنة لاسند لها من النظر الموضوعي والعملية فنحن نقف هنا مادام أصل النشأة

(٢)
للأمريين متباين ولا وجه لشبه من قريب أو بعيد .

(١) الآية من سورة النساء : ٨٢
(٢) انظر : التشريع الجنائي الإسلامي لعبد القادر عودة
١٧-١٢/١ .

ثالثا : الاعتبار بنتائج تحكيم غير الله

إذا سلمنا جدلا أن القانون الوضعي أو أى فلسفة بشرية وخیال عقلی صالح للاهتداء به نظريا فان أى شئ من هذا مهما كان فى الدقة والتنسيق والجودة والارتباط بالعقول والآهواء فى شكله وأسلوبه وأسبابه وأركانه وشروطه وتعارفه الجامعة المانعة ، فان النتائج وآثار التطبيق هى التى تعطى الحكم الصحيح والنهاية الأخيرة المسكنة فى صلاحه أو فساده .

لقد حكى الله لنا سبحانه وتعالى ما حل بالأمم ورؤسائها التى وقفت فى وجه شرع الله الذى أرسل به الرسل واتخذوا من عقولهم وأهوائهم مصدرا لحياتهم فقال :

{فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا (١) وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} .

فهذه النتائج عبرة لكل من يرفض ماأمر الله به وقد حلت بالأمم منذ بدأت ترفض الحق وتبتغى الهداية فى غير ماأنزل الله ابتداء من قوم نوح الى عهد هذه الأمة المسلمة فلااعتبار بذلك يكون دافعا للتمسك بالحق الذى جاء من الله تعالى وجاء به رسوله ، ودافعا لرفض أى جاهلية تغفل المؤمنین عن العقيدة والشریعة ، وإذا لم يكن الاعتبار ولم ترعو الأمة عن النزوع الى غير حكم الله فانها معرضة لما يحذر الله منه فى قوله :

(٢) {ومن یعش عن ذکر الرحمن نقیض له شیطانا فهو له قرین}

(١) الآية من سورة العنكبوت : ٤٠

(٢) الآية من سورة الزخرف : ٣٦

وقوله :

{ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
(١)
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا} .

وقوله :

(٢)
{فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم} .

فهذه النصوص وغيرها كثير تبين أن الانصراف عن شرع
الله وذكره يعرض المنصرفين لخطر عظيم وهو أن يكونوا من
زمرة الشياطين ويكون لهم قرينا ، كميل قلوبهم اليه بسبب
مشاققة الله ورسوله واتباع السبل المخالفة لسبيل الله وسبيل
رسوله والمؤمنين " .

وإذا كان إقامة شرع الله على بعض الناس دون بعضهم
يؤدي إلى هلاك بعد ذلك فكيف بمن عدل في حكم الله تعالى
وبدله كبنى اسرائيل الذين يقيمون الحد على الضعيف أولا
ويتركون الشريف القوى فكان من نتائج ذلك أن عدلوا في حكم
الله فيما بعد وحرفوه وبدلوه كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شفاعته أسامة بن زيد في المرأة المخزومية ،
(٣)
التي سرق فقالت له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أتشفع
في حد من حدود الله ، ثم قام فخطب ، ثم قال : إنما أهلك
الله الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه
وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيمن الله لو أن

(١) الآية من سورة النساء : ١١٥

(٢) الآية من سورة الصف : ٥

(٣) هي فاطمة بنت الاسود بن عبد الأسد .
انظر ترجمتها في : الاصابة ٨٢٩/١٣ ، الاستيعاب على
هاش الاصابة ٣٤٥٣/١٣ .

(١) فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها" . (٢)

وبسبب تغيير حكم الله صار بنوا اسرائيل شرار الخلق
فى ذلك عبرة لمن يعتبر كما روت عائشة أن أم حبيبة وأم
سلمة ذكرتا : كنيسة رأيها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " ان أولئك اذا كان
فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا فصوروا فيه
تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة " . (٥)

والمقصود أن وصف أهل الكتاب بكل ماذكر فى الكتاب
والسنة من أنواع الذم يعود الى تبديلهم أمر الله وتحكيمهم
غير الله .

ومن مشاهد الاعتبار آثار الجرائم فى المجتمعات التى
لاتحكم شريعة الله تعالى ، حيث حكمت عقولها وقوانينها
الفلسفية فأباححت لكل فرد مايمسح انسانيته ويفتك بصحته
وعقله كالخمر وأنواع المخدرات والزنى ونحو ذلك من الجرائم
التي أباحها القوانين والوضعية للانسان ، ثم أرادت بعض هذه
القوانين أن تحد من خطر هذه الجرائم لما لمست بعض آثارها
الفتاكة مع اباحتها فلم تستطع !..

-
- (١) فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم توفيت سنة ١١ .
انظر ترجمتها فى : الاصابة ٨٢٨/١٣ .
(٢) رواه البخارى فى كتاب الحدود باب رقم ١٢ .
(٣) هى رملة بنت أبى سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم
مشهورة بكنيته "أم حبيبة" توفيت بالمدينة سنة ٤٤هـ
انظر ترجمتها فى : الاصابة ٤٣٢/١٢ .
(٤) وهى هند بنت حذيفة أو سهيل بن المغيرة من بنى مخزوم
وأمها عائكة بنت عامر الكنانية من بنى فزاس وهى أم
المؤمنين وممن أسلم فى أول الأمر وهاجرت الى الحبشة
فولدت هناك سلمة وبعد عودتها الى المدينة وهناك
تزوجت المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى آخر من مات من
أمهات المؤمنين سنة ٦١هـ .
انظر ترجمتها فى : الاصابة رقم ١٣٠٤/١٣ .
(٥) رواه البخارى فى كتاب الصلاة باب رقم ٤٨ .

كما أرادت الولايات المتحدة الأمريكية فى تحريم الخمر بسبب الأضرار التى أنتجها الإدمان عليه فقد قرر مجلس الشيوخ الأمريكى بالإجماع : "منع الخمر وصناعته سرا وجهرا وبيعها وتصديرها واستيرادها ونقلها وحيازتها" بقانون صدر فى ١٦ يناير ١٩١٩م ، وكانت الحكومات الأمريكية المتتالية على ذلك جادة فى منع الخمر ومعاقبة المخالفين بالسجن والغرامة ، ولكن الشعب الأمريكى أقبل على الخمر بكل أنواعه اقبالا أشد مما سبق ، وفى النهاية اضطرت الحكومة الى رفع الحظر على الخمر سنة ١٩٣٣م ، ودعت الولايات الى تنظيم صناعة الخمر وتداولها وبيعها .^(١)

فما الذى حمل هذه الحكومات الكافرة على محاولة الوقوف أمام آثار المباحات بالقانون الوضعى ؟ ولماذا لم توفق فى هذه المحاولات أو النوايا ان كانت صادقة ؟ الجواب واضح من الواقع المشاهد ، لأن هذه الحكومات وغيرها من الأفراد الغربيين المادييين ومن يقلدهم من المسلمين لم يحرموا القوانين الوضعية أساسا ولم يوجهوا الناس الى حكم الله أصلا ، وانما جعلوا أنفسهم مصدر التحريم كما أنهم مصدر التحليل أصلا ...!

أليس فى هذا عبرة لمن يعتبر فى وضع القوانين الوضعية وفى نتائجها المروعة للنفوس ومستقبلها ؟ ، وهكذا نرى اليوم ونسمع أيضا القوانين الوضعية التى سنت وشرعت التسليح وانتاج كل مايفتك بالإنسان نراها جادة وحريصة فى تدمير هذه

(١) انظر : الخمر بين الطب والفقہ للدكتور محمد على البار : ص ٩٩-١٠٤ .

الأسلحة الخطيرة على الانسانية ، والواقع أن تسابقا فى التسلح فى جانبه تسابق مفاد وهو الهروب من السلاح والتسلح ولو أن الناس تمسكوا بشريعة الله لا بالقانون لا يكون هذا ولاذاك !..

ومصدق الله العظيم ان قال :
(١)
{ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم} .

والحاصل أن أوروبا التى تفجرت فيها النهضة المادية بكل وسائلها وأساليبها لما لم تكن حضارتها قائمة على شريعة الله تعالى زاغت قلوبهم وانحرفت اتجاهاتهم ولم تزدهم حداثة القوانين الوضعية وجدتها الارهقا ، فجعلوا يشكون من واقعهم الذى سنته فيهم ونمته القوانين الوضعية ، ويتشائمون فى الحياة ومن المستقبل لأنهم فقدوا الثقة من وضعهم الدينى والأخلاقى والقانونى ، وماسبب الحربيين العالميتين الا هذا القلق النفسى والوضع السئ ، ولم تقم منه القوانين الوضعية الحديثة ولا التعلق بالفلسفات الجدلية القديمة من عهد اليونان والرومان .
(٢)

"هذا هو الذى مسخ العلوم الطبيعية فمادت آلة لهلاك الانسان ، وصاغ الاخلاق فى قالب الشهوات والرياء والخلاعة والاباحة ، وسلط على المعيشة شيطان الاثرة والشح والفتك ببئس النوع ، ودس فى عروق الاجتماع وشرائينه سموم عبادة النفس والانانية والاخلاد الى الراحة والتنعيم ، ولطخ

(١) الآية من سورة البقرة : ١٠٢
(٢) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ص ٢١٩-٢٢٥ ، أضواء على التفامن الاسلامى لأبى الأعلى الودودى أول الرسالة .

السياسة بالجنسية والوطنية وفروق اللون والنسل وعبادة اله القوى ، فجعلها لعنة كبرى للإنسانية .

والحاصل أن البذرة الخبيثة التي ألقيت في تربة أوروبا في نهفتها الثانية لم تأت عليها قرون حتى نبتت منها دوحة خبيثة ، شमारها حلوة ولكنها سامة ، أزهارها جميلة ولكنها شائكة ، فروعها مخضرة ولكنها تنفث غازا ساما لا يرى ، ولكنه يسمم دم النوع البشرى .

إن أهل الغرب الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة قد مقتوها ، وأصبحوا يتذمرون منها ، لأنها خلقت في كل ناحية من نواحي حياتهم مشاكل وعقدا لايسعون لحلها الا وظهرت مشاكل جديدة ، ولايفعلون فرعا من فروعها الا وتطلع فروع كثيرة ذات شمول ، فهم في معالجة أدوائهم واصلاح شئونهم كمعالج الداء بالداء وناقش الشوكة بالشوكة .^(١)

(١) من كلام أبى الأعلى المودودى في كتابه تنقيحات نقلا عن أبى الحسن النووى في كتابه ماذا خسر العالم ص ٢٢٧ .

المبحث الثانىالابتداع فى الدين

تمهيد :

الحكم بغير ما أنزل الله هو رأس الابتداع فى الدين ،
لأنه ممتد من الشرك نفسه حيث صرفت الحاكمية لغير الله
تعالى ، وهى من لوازم العقيدة الصحيحة والعباد المخلصة ،
فاذا حصلت هذه البدعة المنكرة ، وهى الشرك فى الحكم فقد
تحطم سد البدع وانفجر نبعها ، لأن بدعة التحاكم الى غير
الله تناقض واضح لأصل الدين وهو معنى كلمة الاخلاص ، فلا يمكن
لأى مجتمع ، يحكم غير الله تعالى أن يسلم من البدعة ، ومن
جهة أخرى فإن البدع فى الدين هى الوسائل الى تنمية
التفكير فى الحكم بغير ما أنزل الله ، فالمجتمع الذى تنشر
فيه البدع لا يمكن أن تنتهى غايته الا الى الحكم بغير ما أنزل
الله ، اذا لم يعدل البدع الى السنن .

فبين البدع والحكم بغير ما أنزل الله تلازم وثيق
وترابط خطير ينبغى للامة المؤمنة أن تدركه وتعى أهدافه ،
ولا تتناقض فى معالجته بأن يحكم بعض الامة القوانين الوضعية
وفى نفس الوقت يتخرجون من بعض البدع ويتخوفون من خطر
طوائفها ، أو يحتضن بعض الامة البدع ويفتح لها المجال فى
الحياة بل وتوصف بأنها من الاسلام ، وفى نفس الوقت يرتعدون
ويرتعدون من آثار القوانين الوضعية المستوردة ، فهذا
السلوك فى الدول الاسلامية يساعد كلا من الحكم بغير ما أنزل
الله والبدع فى الدين بالبقاء ، وفى هذا المبحث سأتناول

موضوع الابتداع فى الدين وأثره فى إضعاف الوحدة وكيفية

التغلب على ذلك فى عدد من المطالب هى :

المطلب الأول : مفهوم الابتداع .

المطلب الثانى : أسباب الابتداع .

المطلب الثالث : خطورة الابتداع وآثاره .

المطلب الرابع : طرق التغلب على الابتداع .

المطلب الأول
مفهوم البدعة والنهي عنها

أصل مادة (بدع) الاختراع لأول مرة كقوله تعالى :
(١)
{بديع السموات والأرض} .

وقوله :

(٢)
{قل ما كنت بدعا من الرسل} .

يقال : "ابتدع فلان بدعة" يعنى ابتدع طريقة لم يسبقه
إليها سابق .

وهذا أمر بديع ، يقال فى الشئ المستحسن الذى لامثال
له فى الحسن ، فكأنه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه " (٣)
"ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة ، فاستخراجها
للسلوك عليها هو الابتداع ، وهياتها هى البدعة ، وقد يسمى
العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة : فمن هذا المعنى سمى
العمل الذى لادليل عليه فى الشرع بدعة ، وهو اطلاق أخص منه
فى اللغة " .
والأحكام التى علقها الشارع بأفعال العباد وأقوالهم
لاتخرج عن ثلاثة وجوه :

- (أ) حكم يدعو إليه الأمر إيجاباً أو ندباً .
 - (ب) حكم يستلزمه النهى كراهة أو تحريماً .
 - (ج) حكم يرشد إليه التخيير وهو الإباحة .
- وماخرج عن هذا فهو الابتداع .

(١) الآية من سورة البقرة : ١١٧

(٢) الآية من سورة الأحقاف : ٩

(٣) انظر : لسان العرب تحت مادة (بدع) .

"فالبدعة اذن عبارة عن طريقة فى الدين مخترعة تفاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه " ، وهذا التعريف على رأى من لا يعد العادات بدعة ، واذا عدت فـ"البدعة طريقة فى الدين مخترعة تفاهى الشرعية (١) يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية " .

وتفصيل ماسبق هو ان البدع فى الدين هى كل امر عد من العبادة وقصد به التحليل او التحريم او ما يتبعها من الاباحة والندب والكراهة ، ولم تأت الشريعة به ولم يكن له اصل فيها ، فالبدعة اذن امر مخترع لاسند له فى تعيينه ، ولا اصل يقاس عليه مفاهاة للشرعية فى العبادة والسلوك والمعاملة . او هى كل حادث بعد نزول الشريعة وكمالها سواء كان خيرا او شرا عبادة او عادة من امور الدنيا او هى : كل حادث مذموم مخالف للكتاب والسنة والاجماع ولم ياذن به الشارع لا قولاً ولا فعلاً بالمصراحة او بالاشارة ولا تدخل فيها الامور العادية . (٢)

وهنا يجب ان نقف وقفة عند هاتين العبارتين : "اهل الاهواء ، واهل البدع" ، فالوصفان يطلقان على المخترعين المبتدعين الذين استنبطوا ما يفاهون به الشريعة ، كما تطلق القاب بالفرق من المعتزلة والقدرية ونحوها على من قام بتلك النحل من مستنبط وناصر لها ، ويدل على ذلك قوله تعالى :

(٣) {ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ} .

(١) الاعتصام للشاطبى ١/٣٦-٣٧ .
 (٢) انظر : الابداع فى مضار الابتداع لمعلى محفوظ ص ٢٨-٣٢ ومن ص ٨٣-٥١ .
 (٣) الآية من سورة الانعام : ١٥٩

وقوله :

(١)
{ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا} .

وقوله :

{فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه
(٢)
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله} .

وكما جاء فى الحديث : "حتى اذا لم يبق عالم اتخذ
(٣)
الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" .

فهل هذه الأوصاف تتناول العوام المقلدين مع
المستنبيين والذابين عن حماها من المبتدعة ؟ فيكون مدلول
العبارتين متنوعا المخترعين المتخصصين بالاستنباط والتشريع
البدعى والمقلدين لهؤلاء ، واذا كان المقصود بالعبارتين
المخترعين للبدع والناصرين لها فان مدلول العبارتين واحد
وحينئذ لا يطلق على العوام أهل البدع ولا أهل الأهواء .

والواقع ان وصف المبتدع يتناول المخترع للبدع
(٤)
والمقتدى به .

وقد جاءت آيات فى كتاب الله تعالى ، طبقها السلف على
البدع والمبتدعة من عهد المحابة رضوان الله عليهم ،
ويفسرونها على أنها تتناول كل بدعة والنهى عنها ، وتحذر
من المبتدعين الى يوم تقوم الساعة كقوله تعالى :

{هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم
الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون

(١) الآية من سورة آل عمران : ١٠٥

(٢) الآية من سورة آل عمران : ٧

(٣) رواه البخارى فى كتاب العلم باب ٣٤ ، ومسلم فى كتاب
العلم حديث رقم ١٣ .

(٤) انظر : الاعتماد

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم
تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل
من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الاباب^(١) .

وقد جاء عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التفسير
لهؤلاء الذين فى قولهم زيغ ، لما روته عن الرسول صلى الله
عليه وسلم حيث قال فيهم : "فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه
فهم الذين على الله فاحذروهم"^(٢) .

والذى انما يتناول هؤلاء لانصرا فهم عن المحكم وهو
الغالب فى القرآن فلا يعملون به ، وفى نفس الوقت يخوضون فى
المتشابه ، وطبق السلف هذه الآية على أهل البدع كالخوارج ،
وكذلك فى قوله تعالى :

^(٣)
{يوم تبيض وجوه وتسود وجوه} .

فالمقصود بالوجوه المبيضة وجوه أهل السنة ، وأما
المسودة فهى وجوه أهل البدع ، فالآية فى المسلمين ، وفسر
السلف الصالح السبل الواردة فى الآية بالبدع وأنها ليس
المقصود بها المعاصى ، لأنها من حيث هى لم يضعها أحد طريقا
تسلك دائما على سبيل المفاهاة للشريعة ، والآية هى قوله
تعالى :

{وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل
^(٤)
فتفرق بكم عن سبيله} .

وآية أخرى مثل هذه فى شمولها لجميع البدع وطرقها ،

(١) الآية من سورة آل عمران : ٧
(٢) رواه البخارى فى كتاب التفسير باب ١
(٣) الآية من سورة آل عمران : ١٠٦
(٤) الآية من سورة الأنعام : ١٥٣

وهى قوله تعالى :

{وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائز ، ولو شاء

(١)

لهذاكم أجمعين} .

فالمبتدعة تتناولهم هذه الآيات جميعا ، لأنهم خرجوا عن

طريق الحق بتأويلات فاسدة ، وتصرفوا فى أحكام القرآن

والسنة بأهوائهم ، وجرد بعضهم السيف على المسلمين ، وهم

يفسدون فى الأرض ويزرعون العداوة والبغضاء بين المسلمين ،

(٢)

وهذا ما شمله الفرقة ، فى قوله تعالى :

(٣)

{ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ}

فهذه الآية قد جاء تفسيرها فى الحديث فى طريق عائشة

رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم شيعة" من هم ؟ قلت الله

ورسوله أعلم ، قال : "هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع

وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، يا عائشة : ان لكل ذنب توبة

ما خلا أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة ، وأنا برئ منهم

(٤)

وهم منى براء " .

(٥)

قال ابن عطية : "هذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع

والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من أهل التعمق فى الجدل

(١) الآية من سورة النحل : ٩

(٢) انظر : الاعتصام ٥٣/١ - ٥٦ .

(٣) الآية من سورة الأنعام : ١٥٩

(٤) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : رواه الطبرانى

فى الصغير ، وقال : اسناده جيد ، انظر : مجمع

الزوائد ٢٥/٧ .

(٥) الامام الحافظ المفسر أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن

غالب بن تمام بن عطية المحاربى ، ولد سنة ٤٤١هـ .

وتوفى بقرطبة فى جمادى الآخرة سنة ٥١٨هـ .

(١)
والخوض فى الكلام " .

ويقول الحافظ ابن كثير : "والظاهر أن الآية عامة فى كل من فارق دين الله وكان مخالفا له ، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد ، لا اختلاف فيه ، ولا افتراق فمن اختلف فيه ، كاهل الملل والنحل والاهواء والضلالات ، فإن الله تعالى قد برا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه " (٢) .

ولاشك أن مصدر البدع غير مصدر الشريعة ، وبينهما من التفاوت كما بين الخالق والمخلوق ، فالشريعة بكاملها عقيدة وعبادة ومعاملة وسلوكا مصدرها واحد وهو الخالق المعبود بحق الذى يعلم مصالح عباده ، وهو الذى خلقهم ، وأما البدع فمصادرها متعددة ومتباينة ، أوجدها المخلوقون الذين لا يدركون مصلحة لانفسهم فكيف بمصلحة غيرهم الذين عددوا أمامهم طرق الباطل كما قال تعالى فى تعدد المقتربين على الله وتعدد بدعتهم :

{وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} (٣) .

وقد تلا النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية بعد بيانه خطورة البدع وتعددتها كما روى ابن مسعود أنه قال : "خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ ثم قال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه ، وخطوطا عن شماله ، وقال : هذه

(١) نقلا عن الاعتصام للشاطبى ٦٠/١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣١٤/٢ .

(٣) الآية من سورة الانعام : ١٥٣

(١)
السبل المتفرقة وعلى كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه " .
وواضح من هذه النصوص ونحوها أن البدع متعددة المصادر
وأن هذه المصادر عبارة عن شياطين ودجاجة منحرفين أن لم
يقمدوا الضرر بالبشر فهم لا يعرفون الصواب وقاصرون عن فهم
مايسعد الناس ، ويمنفهم شيئا تبعا للمشرعين .
وأما الشريعة الحقة فمصدرها واحد وهو الله الذى
لا يريد لعباده إلا أن يكونوا اخوانا كما هم فى الخلقة
والغرائز .

(١) رواه أحمد فى المسند ٤٣٥/١ ، وقال الهيثمى رواه أحمد
والجزار وفيه عاصم بن بهدلة ، وهو ثقة . انظر : مجمع
الزوائد ٢٥/٧ .
وذكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره وقال : صححه الحاكم
من الطريقتين . انظر : تفسير ابن كثير ٣٠٥/٢ .

المطلب الثانى : أسباب الابتداع

البدع فى الدين مشكلة خطيرة على الأمة فى عقيدتها وسلامة عبادتها واخلاصها ووحدتها ، فلأجل استئصال هذا المرض يجب أن نعرف ونحدد الأسباب التى أدت الى ظهور البدع ، ويمكن اجمال هذه الأسباب فى ثلاثة مواضع :

(١) الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها .

أما المصادر فهى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهما الأصل للمصادر الأخرى من الاجماع والقياس ، أما كتاب الله فقد نزل مجملاً ومفصلاً ، ويرجع الى تفسيره الى القرآن نفسه لأنه ليس هناك أعلم من الله بكتابيه ثم السنة ، لأنها بيان للقرآن ، ثم ما جاء عن الصحابة وصح عنهم من الآثار فى تفسير القرآن والعمل به مع مراعاة اللغة العربية على أية حال فى تفسيره لأنه نزل بها ، فالجهل بهذا كله يفضى الى الابتداع والقول عن الله بغير علم .

وأما السنة فالجهل بالاحاديث الصحيحة وبمكانة السنة من التشريع يؤدى الى رفض الأحكام التى صحت بها الاحاديث ، كما جهلت الاحاديث نفسها ، ومن ثم تحل البدع محلها .

وإذا تم الجهل بالكتاب والسنة فهو بعينه الجهل بالاجماع ، لأنه لا مصدر له الا الكتاب والسنة .

وأما الجهل بالقياس أو بموضعه فى التشريع فقد ادى بالمتأخرين الى توسع فى القياس حتى فى العبادات ، فشرعوا به ما لم ترد به سنة ولا ثبت به عمل ، وشجع على ذلك توفر الحاجة وعدم المانع منه فى ظاهر الأمر ، واللجوء الى

القياس مع وجود السنة التى تغنى عنه هو الجهل بمرتبة القياس فى مصادر التشريع ، وهكذا الجهل بأساليب اللغة العربية التى هى الوسيلة لفهم الكتاب والسنة وما يستخلص منهما ، وقد أطبق هذا الجهل باللغة فى القرون المتأخرة ، فحرف تفسير القرآن والسنة ، وسلك فيهما مسلك الجدل والفلسفة وكلاهما بعيد عن سلاستها ودلالاتها الأدبية والبلاغية . وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا حيث قال : "ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" (١) .

وجاء أيضا فى وصف هذا الجهل قوله صلى الله عليه وسلم "ما من نبي بعثه الله فى أمته قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم ببيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل" (٢) .

(٢) اتباع الهوى .

الهوى آفة الانسان يحول بينه وبين العقيدة الصحيحة ، ويفسد عليه الاخلاص فى عبادته ، بل ويصرف الهوى أهله عن الحق بسبب مطمع دنيوى او لخدمة سلطان بأنواع من الحيل

(١) متفق عليه البخارى فى كتاب العلم باب ٣٤ ، ومسلم فى كتاب العلم باب ٥ .

(٢) رواه الامام أحمد فى المسند ٤٦١/١ ، وروى معناه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة باب ١٣ ، وكتاب الجهاد باب ١٣٥ .

تبدل فيها الشريعة وتجعل البدع موضع السنن تقربا الى تلك المطامع ، وذلك هو أصل الزيغ ، والابتداع فى هذا أشد جرما فكم حرفت الشريعة وبذل الحق بالباطل لهوى السلطان ، ولمحبة حطام الدنيا وعبادة الهوى ، قال تعالى :^(١)

{ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله} .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " .^(٢)
وقال تعالى :^(٣)

{ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون} .

(٣) حسن الظن بالعقل فى أحكام الشريعة .

العقول نعمة وتشريف لأصحابها ولكن لها نهاية تقف عندها لاتخطاها ومقاصد الشريعة التى نزلت ممن صنع العقول ووهب لها نعمة الإدراك ، ولهذا بعث الأنبياء لتبليغ الناس وتعليمهم ما تقتصر عنه العقول ، ومع هذا فقد وقع ابتداع كثير فى الشريعة بسبب تحكيم العقل ، وخاصة فى الغيبيات كمفاتيح البارى وأحوال البرزخ ، وبلاستحسان العقلى زيد فى العبادة كما وكيفا وشدد على الناس من حيث أراد الله بهم^(٤) التيسير .

(١) الآية من سورة القصص : ٥٠

(٢) الحديث

(٣) الآية من سورة البقرة : ٤١

(٤) انظر : الاعتصام للشاطبى ١/٤٦-٥٣ ، البدعة أسبابها ومضارها لمحمود شلتوت ص ١٥-٣٦ ، ط/١ ، سنة ١٤٠٨هـ - مكتبة ابن الجوزى .

(٤) التقليد .

من أهم الدوافع لبقاء البدعة اعتقاد أصحابها بأنها صواب لا يتطرق اليه شك ، بل ان هذا الاعتقاد يرتفع الى مستوى اعتقاد العصمة فى شيوخ البدعة ، كما هى الحالة عند المنتسبين الى التصوف ، فهم يأخذون عن شيوخم ما يتنافى مع الشريعة ، ومع ذلك يعتقدون أنه من التشريع وأن شيوخم لا يقولون ولا يفعلون الا الحق لأن الله خصهم بخصائص تؤهلهم أن يكونوا من العباد المقربين ، ومن ثم فمن أراد التقرب الى الله تعالى فعليه بطرق هؤلاء الاقطاب من الشيوخ .

واذا تأملنا أحوال المقلدين المتعصبين للفقهاء نجدهم فى التمسك بآراء من يقلدونهم من الفقهاء حتى ولو اطلعوا على الأدلة المحيطة المخالفة لآرائهم ، وقد وصل التعصب فى التقليد للعلماء والمؤلفين وكتبهم الى حد يهيب الفرص للبدع المبتوشة فى ثنايا الكتب أن تبقى وتنتشر ، هذا الاعتقاد عم وذاع بين عوام الأمة وبين كثير من الفقهاء المقلدين ، وقد يفهم الاجماع فهما خاطئا بحيث ان البدعة تتعلق بأذهان الناس وتنتشر متوارثة من جيل الى جيل ، فيظن أن الاجماع قد انعقد عليها لأن العلماء خالطوا الناس وهم يفعلون أو يقولون ولا ينكر أحد هذا ، فيظن العامة أنها شرع واجماع ، وقد انتشر من هذا النوع كثير من بدع المواليد واحياء الليالى والتهاليل والتسابيح والختمات فى المساجد وفى غيرها ، نتيجة تهاون العلماء فى بيان الشريعة والعمل والقول المشروعين بالأدلة ، وما حملهم على ذلك الا ضعف فى مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو خوف غضب

السلطان أو تألب العوام وسخطهم .

وقد يكون اعتقاد العلماء أن بيان الواجب كفاً ، ومن ثم تضييع المسؤولية من خلال هذا التفريط وهي فرصة للبدعة أن تتمكن وللمبتدع أن يسود . ولقد حذر الله سبحانه وتعالى العلماء من كتمان الحق وأخذ منهم المواثيق لبيان الحق (٢) كقوله تعالى :

{ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثَمَناً قليلاً أولئك ما يَأْكُلُونَ فى بطونِهِم إلا النار ولا يكلمُهُم الله يوم القيامة ولا يَزَكِيهِم ولَهُم عذاب أليم} . (٣) وقوله :

{واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثَمَناً قليلاً فبئس ما يشترون} .

فالآيتان لاتخص أهل الكتاب فحسب إلا فيما يتعلق ببيان ما أنزل على أنبياء بنى اسرائيل قبل الاسلام أما بعد الاسلام فعلماء الأمة المسلمة على رأس من تعنيهم الآيتان سواء فى بيان ما يتعلق بالاسلام أو ما جاء به أنبياء بنى اسرائيل قبل الاسلام عليهم مسؤولية بيان التحريف الذى حمل فى رسالتى موسى وعيسى وغيرهما ، وبيان ما جاء فى الاسلام ، لئلا تكتسعه البدع والأهواء .

(١) انظر : البدعة أسبابها ومفارها للشيخ محمود شلتوت ص ٤٣-٣٧ .

(٢) الآية من سورة البقرة : ١٧٤

(٣) الآية من سورة آل عمران : ١٨٧

فعلماء الاسلام أولى من غيرهم بالوصف بأنهم أهل الكتاب لانهم يؤمنون بجميع الكتب والرسول ، فعليهم أن يدركوا مسئولية بيان الحق للناس لئلا يشتهر الباطل والبدع ،^(١) ويدركوا خطورة الكتمان .

وقد بشر الرسول صلى الله عليه وسلم وأثنى على الذين يحملون العلم ويؤدون له وهو المقام اللائق بالعلماء المتمسكين بالسنة والمدافعين عنها برفض البدع وتزييفها كما روى "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" .^(٢)

قال ابن القيم : "فأخبر صلى الله عليه وسلم أن العلم الذى جاء به يحمله عدوله آمنة من كل خلق ، حتى لا يضيع ويذهب وهذا يتضمن تعديله صلى الله عليه وسلم لحملة العلم الذى بعث به وهو المشار اليه فى قوله هذا العلم ، فكل من حمل العلم المشار اليه لابد وأن يكون عدلا ولهذا اشتهر عند الأمة عدالة نقلته وحملته اشتهارا لا يقبل شكاً ولا امتراء ، ولاريب أن من عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع فيه جرح فالائمة الذين اشتهروا عند الأمة بنقل العلم النبوى وميراثه كلهم عدول بتعديل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا لا يقبل قدح بعضهم فى بعض وهذا بخلاف من اشتهر عند

(١) انظر : التفسير الكبير للرازى ١٣٠/٩ ، تفسير السعدى ٤٠٧/١ .

(٢) رواه ابن عبد البر بثلاث روايات فى أول التمهيد وكأنه يستشهد به على أنه لا يحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم الا من هو ثقة . انظر : التمهيد ٥٨/١-٥٩ . وذكر ابن القيم أن لهذا الحديث طرقاً رواها ابن عدى وابن جرير الطبرى والدارقطنى وغيرهم . انظر : مفتاح دار السعادة ١٦٣/١-١٦٤ .

الامة جرحه والقذح فيه كائنة البدع ومن جرى مجراهم من
المتهمين في الدين فانهم ليسوا عند الامة من حملة العلم .
فما حمل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عدل ولكن قد
يغلط في مسمى العدالة فيظن ان المراد بالعدل من لا ذنب له
وليس كذلك بل هو عدل مؤتمن على الدين وان كان منه ما يتوب
الى الله منه فان هذا لا ينافي العدالة كما لا ينافي الايمان
(١)
والولاية " .

فهذه احوال اربعة تندفع بها واصحابها لابطال الحق :
التحريف الناتج عن الغلو والتعصب ، الابتداع الناتج عن
متابعات العقل والهوى في الشريعة ، والتأويل عن الجهل
بالشريعة ومبادئها وفهمها ، والتقليد الأعمى . فمسئولية
العلماء الاولى تكمن في الوقوف امام هذه الفئات التي لا تبقى
ولا تذر في الشريعة سنة وعدالة الا وطمسها من عقول العوام .

(١) مفتاح دار السعادة ١٦٣/١ .

المطلب الثالث : خطورة البدع وآثارها

البدع أساس منهجها الفرقة من أول الأمر ، والانشقاق عن الحق والجماعة وتعداد الشرائع التي سيجرتب على تباينها تباين التابعين واختلافهم فلا تكاد تجد بدعة إلا ومنهجها وأسلوبها التفريق بين الناس ، وكأن ذلك لادراك روح الحق ، وهذا قوله تعالى حكاية عن المحرمين والمحللين ما لم ياذن^(١) به الله :

{وقالوا هذه أنعام وحرت حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ، وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكرونا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميته فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم} .

فالافتراء على الله تعالى فى بدعة تحريم ما لم يحرم ، والتفريق بين الناس فى هذا التحريم أو التحليل ، والآخر هذا هدف لكل بدعة ، وهو أمر تستلزمه مضاهاة الله سبحانه وتعالى ومناقضة شريعة الله ، وانظر الى قمة النفر الذين سألوا عن عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم فاحتقروا أنفسهم واخترع كل واحد منهم ما يمنع دون الآخرين ، فافترقوا فى المنهج والأسلوب كما روى أنس رضى الله عنه قال : "جاء ثلاثة رهط الى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا بها كأنهم

(١) الآية من سورة الأنعام : ١٣٨، ١٣٩ ، وانظر : التفسير الكبير للرازى ٢٠٧/١٣ - ٢٠٨ .

تقالوها . قالوا : أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ؟ فقال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر . وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى أخشاكم لله ، وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى" .

فلماذا هؤلاء النفر لا يفعلون هذه الأمور التى تقاسموها سويا فيتفقون على الصيام دائما أو القيام أو الرغبة عن الزواج ، ونحو ذلك ، قلو أنهم فعلوا ذلك لما كان منهم الا نوع واحد من البدعة وهو التشديد على أنفسهم ، والله لم يشدد عليهم (١) ؟!

ولكن افتراقهم عند المنهج حتى صار لكل واحد منهج ومذهب فى تشدده ، هذا هو غاية البدع قبل انحراف المنهج خطأ وصوابا ، فالقصد أن الناس لا يتحدون ولا تجمعهم اخوة ولا مبدءا ولا منهج ، واذا كانوا على هذا فهذا هو المقصود للبدع والمبتدعة ولو تمسك أفراد الناس ببعض الحق بصورة انفرادية ، فانه لاشك أن هذا الفرد أو الافراد ستتحرف بهم البدعة الى غير جادة الطريق ، لأن الشريعة الاسلامية روحها الاجتماع والاخاء والتعاون على الحق ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار . (٢)

(١) متفق عليه ، رواه البخارى فى كتاب النكاح باب ١ ، ومسلم فى كتاب النكاح باب ١ .

(٢) انظر : فتح البارى ٩/١٠٤-١٠٦ .

ومما يؤكد خطورة الابتداع في الدين أن الابتداع يتضمن اتهاماً للشرع ولمبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعتمد مصادر غير القرآن والسنة ، ويحدث في الدين ما ليس منه ، وبيان ذلك أن المبتدعة جعلوا يضيفون في الشريعة ما ليس فيها ولم يأذن به الله تعالى ، وهذه الاضافة اما أن تكون في العدد أو في الكيفية ، وكلا الأمرين اتهام للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه كتم شيئاً من الحق ولم يبلغه للامة (١) والله تعالى أمره بالتبليغ فقال :

{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين} .

وقد وصفه الله تعالى بالحرص الشديد الذي يكاد أن يفقد نفسه من شدته - الحرص على هداية الناس ، وتبليغ ما أمر به فقال تعالى :

{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} . (٢)
وقوله :

{فلعلك باخع نفسك على آشارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا} . (٣)
وقوله :

{لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين} .

(١) الآية من سورة المائدة : ٦٧
(٢) الآية من سورة التوبة : ١٢٨
(٣) الآية من سورة الكهف : ٦
(٤) الآية من سورة الشعراء : ٣

وبدراسة سيرته عليه الصلاة والسلام تجده لقي عنثا شديدا فى سبيل الدعوة وهداية الناس ، وقد أودى فى سبيل الله كما حمل له من قومه فى مكة قبل الهجرة ، ومن أهل الطائف لما طلب منهم النصرة ، وما حصل له فى معركة أحد وفى صلح الحديبية من الأذية ، وما حصل من المنافقين نحوه كقمة (١)
الافك .

وهو نفسه صلى الله عليه وسلم يقول : "ما بعث الله من نبي الا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم" (٢) .

فإذا كان الله تعالى يمنع من الناس ، ولا يستطيع أحد أن يصل اليه ، وهو الأمين فى تبليغ ما أرسله الله به الى الناس ، ويحرص على هداية الناس ، فما المانع من ذلك ، وما الدافع فى الكتمان ؟! ولو تلبس بشيء من الكتمان - حاشاه - لبينه الله تعالى كما بين لأصحابه رضوان الله عليهم فى الأدب معه فى بيوته عليه الصلاة والسلام لما تلجلج فى نفسه من هذا القبيل شيء من الحياء الذى هو وصف غالب له صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (٣)

{يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤدى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ...} .

(١) انظر : سيرة ابن هشام ٢/٢٩٧-٣٠٧ .
(٢) رواه مسلم فى كتاب الامارة باب ١٠ .
(٣) الآية من سورة الاحزاب : ٥٣

وهكذا فى قمة زواجه بزینب بعد أن فارقها زوجها زید
ابن حارثة ، الذى تبناه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل
البعثة ويقال له زید بن محمد ، وقد ألغى الله سبحانه
وتعالى التبني بقوله :^(١)
^(٢)

{ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله} .

وكون الرسول صلى الله عليه وسلم أبا لأحد خاصة كما
قال تعالى :^(٤)

{ماكان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم
النبیین} .

فوجد المشركون والمنافقون فرصة زواجه بزینب بنت جحش
زوج ابنه من التبني سابقا (زید) فقاموا بالدعاية وقعدوا
بها أذية للرسول صلى الله عليه وسلم وتشويهها للرسالة فكان
فى نفسه الحياء الذى لايفارقه ولكن أمر الله فى نفسه أكبر
وقد أمره بزواج زینب تأكيدا لالغاء نظام التبني مع ما فى
نفس الرسول صلى الله عليه وسلم من آثار مقالة الناس فى
هذا الزواج .^(٥)

قال تعالى :

{واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك

-
- (١) انظر ترجمة زینب بنت جحش أم المؤمنین رضی الله عنها
فى الإصابة ٣٠٧/١-٣٠٨ .
- (٢) هو زید بن حارثة مولى رسول الله ، تبناه الرسول صلى
الله عليه وسلم حتى أتاه النهى عن ذلك ، وكان الرسول
صلى الله عليه وسلم يحبه وقد شهد المشاهد كلها ،
توفى سنة ٨هـ فى معركة مؤتة .
- انظر : الإصابة ٥٤٤/١-٥٤٧ ، الاستيعاب ١/٥٢٥-٥٣٠ .
- (٣) الآية من سورة الأحزاب : ٥
- (٤) الآية من سورة الأحزاب : ٤٠
- (٥) انظر : تفسير المنان للسعدى ٢٢٦/٦ .

عليك زوجك واثق الله وتخفى في نفسك ماله مبدية وتخشى
الناس والله احق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
إذا قضاوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا^(١) .

وإذا كان الله تعالى توعد رسوله صلى الله عليه وسلم
بالانتقام لو قال ما لم يأمره بقوله ولا بتبليغه فكذلك لو كتم
شيئا ما أمره الله بتبليغه وبيانه للناس {ولو تقول علينا
بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ،
فما منكم من أحد عنه حاجزين^(٢) } .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو نفسه الذى قال عن
الكتمان "من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام^(٣)
من نار" .

وبالنسبة للتهم الموجهة للتشريع فان البدع بكل
أنواعها وأوصافها دعوة مريضة بأن الشريعة التى وصفها الله
سبحانه وتعالى بالكمال ناقصة ، لأن اضافة ما لم تأت به
الشريعة ولم يأذن الله به ولا أصل له فى كتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على وجه التشريع والتدين
به عقيدة وعبادة أو تحليلا أو تحريما أو كراهة واستحبابا
هو عين هذا الاتهام بالنقصان والقصور ، والله تعالى نفى عن
الشريعة هذا بقوله :

(١) الآية من سورة الاحزاب : ٣٧
(٢) الآيات من سورة الحاقة : ٤٤-٤٧
(٣) رواه الترمذى فى كتاب العلم باب ما جاء فى كتمان
العلم وقال : حديث حسن .

{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً} .^(١)

ومن جهة أخرى بين الله تعالى أن الكتاب العزيز يتضمن كل شيء كما قال تعالى :^(٢)

{ما فرطنا فى الكتاب من شيء} .^(٣)
وقوله :

{ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء} .

وبين رسوله صلى الله عليه وسلم أنه أوتى مثل القرآن ولا شك أن هذه المثلية تدل على أن السنة تتضمن كل شيء فيه خير للناس ويحذر من الشر كقول الرسول صلى الله عليه وسلم^(٤) "ألا ائى أوتيت القرآن ومثله معه" .

إذا تقرر ما تقدم من وجود مصادر للدين غير الوحي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واحداث منهج يفرق ولا يجمع ويشدد ولا ييسر - إذا تقرر ذلك فقد جاء الاحداث فى الدين وهو عنوان التغيير والتبديل ، لأن المبتدع مشرع جديد بل مغتصب لحق الله تعالى وهذا مردود فى أى صورة كان وبأى أسلوب جاء الاحداث كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ، وفى رواية : "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" . وهذا الحديث تناوله أهل العلم بالشرح وهو عندهم الأصل فى رد كل

(١) الآية من سورة المائدة : ٣

(٢) الآية من سورة الانعام : ٣٨

(٣) الآية من سورة النحل : ٨٩

(٤) رواه أبو داود فى كتاب السنة باب لزوم السنة ، والترمذى فى كتاب العلم وحسنه رقم ٢٦٦٠ .

(٥) متفق عليه البخارى فى كتاب

(١)

ماخالف الشريعة كما وكيفاً في الاصول وفي الفروع .

بناءً على ما تقدم يلزم الأمة المسلمة أن تنظر في البدع من حيث المصدر والمنهج وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وأمانته في التبليغ وكمال الشريعة - النظر في أي بدعة وعرضها على الكتاب والسنة من خلال هذه الاعتبارات المنهجية . وأضرار البدع لا تقف عند المبتدع فقط وإنما تعم الجميع :

أولاً : الضرر على المبتدع الذي اعتدى على حق من حقوق الله وهو التشريع ، فهو يرى أن الناس ملزمون ببدعته ، ولذلك يدعو إليها ويحث عليها ، فكان أمره ونهيه يتعبد بهما ، وذلك ماصنعه المشركون في وثنياتهم ، والأخبار والرهبان من أهل الكتاب ، وقد نعى الله سبحانه وتعالى على الفريقين فقال :^(٢)

{ولاتقولوا لما تمف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون} .

(٣)

وقوله تعالى :

{اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله

والمسيح ابن مريم} .

فالمبتدع يزعم نقماً في الشريعة فيستدركه ، أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قصر في التبليغ والبيان ، ومن

(١) انظر : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ص ٥٢-٥٨ طبعة الرئاسة العامة .

(٢) الآية من سورة النحل : ١١٦

(٣) الآية من سورة التوبة : ٣١

جهة أخرى المبتدع يحمل الناس على اعتقاد ما ليس بدين دينا
(١)

وبهذا ضل الكثير من أهل الكتاب عن الحق كما قال تعالى :

{يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق

وأنتم تعلمون} .
(٢)

وقال تعالى :

{ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين

يفلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون} .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "ومن سن سنة سيئة

(٣)

كان عليه وزرها ووزر من عمل بها" .

وقوله : "وما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم

(٤)

الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل" .

وإذا تجاهل المبتدعة هذه الأضرار التي تمسهم فلا يغيب

عنهم أنهم أماتوا السنن ببدعهم ، وقد يعن المبتدعة على

لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله : "من أحدث حدثا

(٥)

أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" .

ثانيا : الضرر على أتباع المبتدع ، ويكفى أنهم حرموا

الثواب واكتسبوا السيئات ، لأنهم يعبدون الله بغير ما شرع ،

فهم يساهمون في هدم الدين ، قال تعالى :

{وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما

تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم

(١) الآية من سورة آل عمران : ٧١

(٢) الآية من سورة النحل : ٢٥

(٣) رواه مسلم في كتاب العلم باب ٦ .

(٤) متفق عليه ، رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب ١ ،

ومسلم في كتاب القسامة باب ٧ .

(٥) متفق عليه ، رواه البخاري في كتاب الاعتصام باب ٦

ومسلم في كتاب الحج باب ٨٥ .

(١)
بخارجين من النار} .
(١)
وقال تعالى :

{يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا
الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا اننا أطعنا سادتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا} .

ثالثا : الأضرار على الدين نفسه وتتمثل فى إخفاء كثير
من أحكامه ، وخلط عقيدته بغيرها ، وتشويه جماله وسماحته
ومطابقته للفطرة ، وكل ذلك كان سببا لاندراس الشرائع التى
قبل الاسلام واعراض الناس عن الدين نفسه وهو معنى الطمس
وتحريف الكلم عن مواضعه .

رابعا : الأضرار على الأمة ، وأعظمها وأخطرها توزع
الأمة شيعا وأحزابا وتجدد المهادمة بين الأمة والخمام ،
ويستحل بعضهم الأعراض والدماء أو الأموال من البعض بدلا من
الوحدة على الحق ، وهذا هو الهدف الاسمى للبدع .
(٣)

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من هذه الفرقة والاختلاف
الذين تحدثهما البدع فقال :
(٤)

{ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البيئات} .

{من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم

فرحون} .

-
- (١) الآية من سورة البقرة : ١٦٧
(٢) الآية من سورة الاحزاب : ٦٦-٦٨
(٣) انظر : البدعة أسبابها ومفارها للشيخ محمود شلتوت
ص ٤٥ .
(٤) الآية من سورة آل عمران : ١٠٥ ، سورة الروم : ٣٢

صور من الابتداع :

لإجدال فى أن البدع التى وجدت فى الأمة الإسلامية منذ نشأت فيها البدع - لإجدال فى أنها لها آثار بالغة فى فرقتها وتناحرها بأثفه الأسباب ، وفيما يلى نشير الى بعض هذه البدع التى طبقت بأسلوب الاختلاف أو الغفلة عن الحق سواء كانت عن قصد أو عن غيره :

أولا : بدع الخوض فى ذات الله وأسمائه وصفاته .

هذه البدع ما وجد علم الكلام وجد له وفلسفته فى الأمة إلا بسبب الخوض فى ذات الله وأسمائه وصفاته وفى الغيبيات ، وتطبيق هذه البدع أحدث تفككا هائلا بين الأمة حتى توزعت الى فرق ، جعلت كل فرقة تخص نفسها بمنهج معين وأصول خاصة (١) عليها ترتب الايمان أو الكفر .

وقد وصل تطبيق هذه البدع الى حد أعلى من الخطورة وهو تكفير من ليس بكافر ، أو تجريد من طبق الكفر قولا وعملا من الكفر ...! وفتح الباب فى العقيدة الصافية الواضحة من الكتاب والسنة والفطرة - فتح الباب فيها لتتدخل الأفكار الفلسفية والنظريات اليهودية والنصرانية والوثنية فى العقيدة التى فصلت فى القرآن والسنة ولامجال فيها للاجتهاد .

(١) وقد بين العلماء وجوه الابتداع فى هذا الخوض سواء ما يتعلق بتوحيد العبودية أو توحيد الاسماء والصفات كشيخ الاسلام ابن تيمية فى كل كتبه وخاصة درء تعارض النقل والعقل ومنهاج السنة ورسالته القيمة العقيدة الواسطية ، وكابن القيم أيضا فى مثل كتابه مدارج السالكين والمواقيع المرسلة على الجهمية والمعطلة .

ثانيا : البدع فى المساجد .

المسجد بيت الله الذى يجب أن يتجرد من كل الأهواء ، فهو الموضع الذى خص فى كل الأحوال بخمائص الاخلاص لله تعالى والابتعاد عن كل مايفرق المملين والذاكرين الله ، وكما فى الحديث : "المساجد بيوت المتقين ، فمن يكن المسجد بيته (١) يضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط" .

ولكن لما تدخلت البدع فى المساجد وطبقت واستمر عليها القبوريون تفكك المسلمون بين مساجد امثلات قبورا وأصواتا من أنواع البدع التى ماأنزل الله بها من سلطان ، فصرف المسجد عن رسالته الحقيقية وهى تعليم الشريعة عقيدة وفقها (٢) والاخلاص لله تعالى الذى قال : (٣)

{وإن المساجد لله فلا تعدوا مع الله أحدا} .

ثالثا : أعياد الموالد .

ان من البدع التى طبقت عند كثير من المسلمين قديما وحديثا بدعة الموالد وعلى رأسها المولد النبوى ، هذه البدعة دسيسة من دسائس الفرق الفالسة وسلاطينها الذين أرادوا للامة فرقة واختلافا ، ولاسبيل الى ذلك الا باحداث بدع كبعد المولد التى ستفترق الامة عندها بين مؤيد ومذكر وساكت ومتردد كما هو الحال ، وقد كتب فى هذه البدعة كثيرا سابقا ولا تزال الكتابات مستمرة من الفريقين ، فريق السنة الذى

(١) ذكره الهيثمى وقال : "رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبزار وقال اسناده حسن ، وقال الهيثمى : قلت ورجال البزار كلهم رجال الصحيح ، انظر : مجمع الزوائد ٢٥/٢ .

(٢) انظر : الابتداع فى مزار الابتداع ص ١٦٤-١٨٤ ، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٢٩، ٣١٩ .

(٣) الآية من سورة الجن : ١٨

يرى المولد وأعياده واحتفالاته ومظاهره كلها بعيدا عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن تطبيق سنته ، وفريق البدعة الذى يريد أن يبعث أنواع البدع ويشغل بها الأمة ويمصرفها عن السنن بدعوى حب النبى صلى الله عليه وسلم بهذه البدعة التى أحدث تطبيقها فى البلاد الاسلامية اختلافا كبيرا (١) بين الأمة .

ومن ثم كانت بدعة المولد النبوى تفتح الباب على مصراعيه لكل مولد من الأولياء والمالحين الى السلاطين وقيام الأحزاب وتأسيس الطوائف وهكذا شغلت الأمة بتطبيق البدع . (٢)

هذا والأمثلة لأثر تطبيق البدع فى الأمة كثيرة ومعروفة لدى الجميع ، والنتائج التى أوقع تطبيقها الأمة فيها تنبأ بها علماء أجلاء وعلى رأسهم الصحابة رضوان الله عليهم قبل تمكنها كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : "كيف أنتم اذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ، ويربو فيها الصغير ، اذا ترك منها شيء قبل تركت السنة ، قالوا ومتى ذاك ؟ قال : اذا ذهب علماءكم وكثرت جهلاؤكم وكثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الدين" . (٣)

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٤-٢٩٦ ، القول القمل لاسماعيل الأنصارى .

(٢) انظر : أغاثة اللفان ١/١٩٠-٢٠٠ .

(٣) مقدمة ابن ماجه ١/٦٤ .

المطلب الرابع : طرق التغلب على الابتداع

علمنا مما تقدم أن الابتداع عامل مفرق للامة ومضعف لقوتها وقيد للاعداء فى التمكين من الامة وفتنة تحول بين الامة وواجباتها الاسلامية .

لهذا لابد من مقاومة الابتداع الذى كان شأنه فى الامة ماذكر ، ولابد من التعقل والتزام المنهج المالح فى التغلب على الابتداع واستمرار تطبيقه فى الامة ، ولذا نرى النظر بالدقة فى الامور التالية :

أولا : أن المسلمين لا يحدثون شيئا من الامور الا لما يعتقدون فيه من المصلحة ، هذا ما يدعوا اليه العقل والدين ، والسبب الذى يدعوا الى هذا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حاجة المسلمين ، أو كان السبب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ولكن لم يفعله ولم يأمر به لعارض زال بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا الاحداث جائز لما فيه من المصلحة ، ومعروف هذا عند أهل العلم بالمصالح المرسلة عند من يعمل بها .

ثانيا : احداث ما لم يدع اليه سبب لحاجة ، أو كان سبب ذنب ومعصية فلا شك أنه احداث لا يجوز ، كاحداث الاذان لصلاة العيدين ، وتقديم الخطبة على صلاة العيد ، وهذان الأمران المحدثان لا يبررهما ما تعلق به من أحدهما من أن الناس أعرضوا عن صلاة العيد واستماع الخطبة لأنه لو كان فيهما خير لفعلهما النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يخطب الناس بما ينفعهم ويبلغهم الهداية ، خلاف من أحدث هذين الأمرين

الذى لا يهيمه فى الخطبة الا ما يقوى سلطانه ويثبت رئاسته ،
 وذلك لا يبيح له الاحداث فى الدين ، لأن الله لا يسأله عن اعراض
 الناس عن صلاة العيد أو الخطبة اذا سلك فيهما مسلك السنة ،
 والى ما ذكر فى الموضعين وقهقهة ينحل الابتداع فى الدين ،
 ونجد جميع البدع التى يرفضها الاسلام لاضرورة من احداثها ،
 ولا الحاجة اليها .

ثالثا : وبعد هذا النظر يجب التركيز على الطرق
 التالية لمحو البدع فى المجتمع الاسلامى وغلق الابواب أمام
 البدع القادمة :

أولا : القضاء على مصادر البدع .

وسائل البدع التى تنشر سمومها بواسطتها أيضا يلزم
 استئصالها ومحوها بين الأمة ، ومن ذلك الكتب التى كتبت
 لترويج البدعة وابقائها افترى الائمة بأنها يجب أن تحرق وأن
 تتلف ، وأنه لاضمان فى ذلك ، يقول ابن القيم : " وكل هذه
 الكتب المتضمنة لمخالفة السنة غير مأذون فيها ، بل مأذون
 فى محققها واتلافها وماعلى الأمة أضرم منها ، وقد حرق الصحابة
 جميع المباحف المخالفة لمصحف عثمان لما خافوا على الأمة من
 الاختلاف ، فكيف لو رأوا هذه الكتب التى أوقعت الخلاف
 والتفرق بين الأمة " ، ويقول : " والمقصود أن هذه الكتب
 المشتملة على الكذب والبدعة يجب اتلافها واعدامها ، وهى
 أولى بذلك من اتلاف آلة اللهو والمعازف واتلاف آنية الخمر ،
 فإن ضررها أعظم من ضرر هذه ، ولاضمان فيها كما لاضمان فى

(١)

كسر أوانى الخمر وشق زقاقها " .

وابن القيم هنا يحذر من خطورة الثقافة المخالفة للعقيدة والشريعة فانها سموم وبدع تفتك بالامة ، وتضر بوحدها وتماسكها أكثر من مسكر لايسكر الا متناولها ، وأما الافكار البدعية والآراء المنحرفة فى كتبها ووسائل الاعلام التى تحملها تصل الى كل عقل وتدخل كل بيت ويقرؤها من يعرفها ومن لايعرفها ، فلا بد اذن من مقاومتها بمنع وسائلها ولاندع لها مجالا فى الامة باسم العلم والثقافة والاداب ونحو ذلك من الاساليب الاعلامية والفكرية التى تغزو بها البدعة الامة ، وقد حرص السلف الصالح على حماية الامة فى عقيدتها واخوتها وقوتها وشخصيتها ووحدها ، فالكتب الفلسفية الجدلية المشحونة بالبدع ممنوعة شرعا وان ألفها المسلمون والكتب وكل الوسائل الاعلامية التى أنتجها غير المسلمين لاحداث البلبلة فى صفوف المسلمين وتشويه عقيدتهم والطعن فى شريعتهم وأخلاقهم وتاريخهم أولى بالمنع والحرق والاتلاف ، ولايكفى فيها الرد عليها .

ثانيا : فهم كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن أهم الطرق للتغلب على الابتداع فهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والوقوف على طرق استنباط الأحكام مذهما ، مع العمل بهما ليتميز الحق من الباطل ، ومن ثم يستغنى الناس عن البدع والحجج الفاسدة والاقيسة الباطلة

(١) الطرق الحكمية والسياسة الشرعية لابن القيم ص ٢٨٢-٢٨٤
الاعتماد للشاطبى ٨٥/٢-٨٦ .

لأن كل ما يحتاج اليه الناس من الحلول لمشاكلهم عقيدة وشريعة وسلوكا يجدونه مدروسا ومستنبطا من الوحيين ومرتبطا بأدلتهم منهما عند ذلك لا يستفتى أحد البدعة ، ولا يطلب من المبتدعة حل المشاكل .

فإذا حقق المسلمون العبودية بما شرع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال والمعاملات والسلوك بفهم الكتاب والسنة ، وتذوقوا بذلك كمال الشريعة وشمولها سوف يحول ذلك عن الابتداع في الدين مهما زخرفت البدع وقامت لها الدعاية ، لأن الناس حينئذ لا يقبلون شيئا (١) إلا بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة والاجماع .

ثالثا : مداومة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولا بد من اتباع المنهج المفيد للتغلب على الابتداع ، وهو منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يتطلب العلم بهما وتمور النتائج التي ستترتب على انكار البدع ومقاومتها فهل يترتب عليها تغيير البدعة الى سنة ، أم يترتب على الانكار بدعة أضر من التي تنكر ، ونحو هذا ؟ كما أنه لا بد من التمييز بين بدع في الاعتقادات وبدع في غيرها ، (٢) وهو أمر يعود الى العلم .

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٨٠-٢٨٢ .

(٢) انظر : احياء علوم الدين للغزالي ص ٣٢٨ ج ٢

المبحث الثالث : التقليد

توطئة :

الامة المجتمعة على عقيدة واحدة ومنهج شرعى متكامل فى العبادات والمعاملات والنظم الاسلامية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والوحدة على هذا المنهج باتباع رسول واحد واتجاه واحد الى رب واحد لاتسر البدع وأهلها ولهذا كان من أبرز غايات البدعة توجيه الناس بمناهج متفرقة وتعبيدهم لمشرعين متباينين ، وبهذا يفترق الجمع ، وتتوزع الامة الى شيع متناحرة ، وجماعات متعصبة كل يقلد غير ما يقلد الآخر ، وهذا يؤدي الى فرقة الامة عما يراد منها بالاسلام ، ورباها عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ولو أحسن بعض الامة صنعا فى الاتباع والاخذ بالحق فى بعض الوجوه فانه لاضير على البدعة ، لانه صنع ذلك بأسلوب التقليد وخلق العصبية ، ولايطبق تعاليم الاسلامى بالوحدة مع الآخرين ، فالتقليد والعصبية من المقلدين من أشخاص أو آرائهم النتيجة الهادفة للبدعة ، والغاية الغالبة لكل مبتدع يفتري على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مالم يأذن به .

ويتناول المبحث المطالب التالية :

- المطلب الأول : مفهوم التقليد وأنواعه .
- المطلب الثانى : حكم الاسلام فى التقليد .
- المطلب الثالث : طرق التغلب على التقليد المذموم .

المطلب الأول : مفهوم التقليد وأنواعه

القلد فتل الحبل فهو مقلود وقليد ، ومنه استعمال القلادة المفتولة من خيط وفضة ، وكل ما يتطوق به على العنق ويشبه به ما يحيط بشيء كالوشاح ويقال قلدته عملا أى ألزمته^(١) .
أياه .

(٢)
قال تعالى :

{له مقاليد السموات والأرض} .

والمقاليد خزائن السموات والأرض ، والاقليد المفتاح ، فالله هو المدبر والمالك لمقاليد السموات والأرض ،^(٣)
فالمقاليد كناية عن ملكه وحفظه لها .

وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى {له مقاليد السموات والأرض} فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما سألتني عنهما أحد ، لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير"^(٤) .

(١) انظر : لسان العرب ، مادة (قلد) .
(٢) الآية من سورة الزمر : ٦٣ .
(٣) انظر : الكشاف للزمخشري ٤٠٦/٣ ، التفسير الكبير للرازي ٢٧/١١ .
(٤) ذكر ابن كثير أنه رواه أبو حاتم وأبو يعلى الموصلي وقال ابن كثير وهو غريب وفيه نكارة شديدة ، عند تفسير الآية .

وقيل فى المعنى "المقاليد الطاعة ، ويقال القى الى
فلان بالمقاليد أى أطاعه فيما يأمره ، فمعنى الآية له طاعة
(١)
من فى السموات والأرض" .

فالتقليد هو عبارة عن أمرين مجتمعين أو منفصلين :
الاول : اتباع الغير فى قوله أو فعله أو سلوكه وسيرته
بدون النظر أهو صواب أم غير صواب حتى صار كأنه قلادة له .
الثانى : قبول ما يصدر من ذلك بغير دليل ولا حجة يستند
(٢)
عليها المقلد .

وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من التقليد ، فقال
عليه الصلاة والسلام فى هذا التحذير : "التتبعن سنن من كان
قبلكم شبرا شبرا ، وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب
تبعتموهم" قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى قال :
(٣)
فمن ؟ ! . وفى رواية : "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ
القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يارسول الله
(٤)
كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس الا أولئك" .

وهذا الأسلوب فى بيان التقليد المذموم الذى تقع فيه
الامة شامل لكل تقليد ولكل زمان سواء كان التقليد فى أسلوب
الحكم ووضع القوانين الوضعية أو فى أسلوب العقائد والأخلاق
لأن النصارى واليهود فى الرواية الأولى هم رأس الأمم فى
الديانة حيث بعث الله فيهم رسلا وأنبياء كثيرين فأى انحراف
وتقليد حمل فى هذه الامة إنما هو لاقتدائه بأهل الكتاب

(١) تفسير القرطبى ٢٧٥/١٥ .
(٢) انظر : التعريفات للجرجانى ص ٦٤ .
(٣) متفق عليه . البخارى فى كتاب الاعتصام باب رقم ١٤ ،
ومسلم فى كتاب العلم رقم الحديث ٦ .
(٤) رواية عند البخارى فى نفس الباب .

الذين حرفوا وبدلوا شرائع الله بسبب التقليد والابتداع فى الدين ، وهكذا يكون مقام الرومان والفرس من حيث السياسة والحكم ووضع القوانين المخالفة لشرائع الله فأتى تقليد ثبت فى الأمة فى الحكم والسياسة يعود الى أولئك الذين سنوا الحكم بغير ما أنزل الله ، وحينما خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه مخبرا عن التقليد الذى سيحمل فيما بعد فى الأمة كانت الدنيا كلها موزعة بين ديانيتين محرفتين اليهودية والنصرانية وموزعة سياسيا بين دولتين كبيرتين توزعتا العالم ، والسياسات والديانات التى حصلت بعد أولئك إنما هى ميراث منهم وخلفهم سلفه فتبين من هذا شمول مقالة الرسول صلى الله عليه وسلم .^(١)

وأما أنواعه : فقد كتب العلماء قديما وحديثا عنه فصولا فى كتبهم وأخذوا يفرقون بين مايسوغ منه وما لايسوغ ، والاتفاق حاصل بين العلماء على أن التقليد فى العقيدة مرفوض أصلا ولاخلاف فى ذلك ، والاتفاق أيضا حاصل بين العلماء على أنه ليس لأحد من أهل العلم أن يقلد غيره من أهل العلم فى شيء جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة أو حمل عليه الاجماع ، وإنما التقليد الذى دار فيه الاختلاف وتناوله العلماء بالمناقشة هو الذى يعتمد على فتاوى المجتهدين أو ممن لم يصل الى درجة الاجتهاد من مقلدى الفقهاء والمذاهب الأربعة فى المسائل الفقهية سواء كانت عبادات أو معاملات ، ولايتناول هذا العوام الذين لابد لهم من الرجوع الى العلماء

(١) انظر : فتح البارى ٣٠١/١٣ .

(١) كما يقول الحافظ ابن عبد البر : "ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها وأنهم المرادون بقول الله عز وجل {فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون} وأجمعوا على (٢) أن الأعمى لابد له من تقليد غيره ممن يثق بتمييزه القبلة إذا اشككت عليه فكذلك من لا علم له ولا بصير بمعنى ما يدين به لابد له من تقليد عالمه وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لهم الفتيا وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي (٣) منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم " .

يقول ابن القيم في بيان أنواع التقليد : "وانقسامه إلى ما يحرم القول فيه والافتاء به وإلى ما يجب المصير إليه وإلى ما يسوغ من غير إيجاب : فأما النوع الأول فهو ثلاثة أنواع :

أحدها : الاعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء .

الثاني : تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل بأن يأخذ بقوله .

الثالث : تقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد .

والفرق بين هذا وبين الحالة الأولى أن الأول قلد قبل تمكنه من العلم والحجة وهذا قلد بعد ظهور الحجة له فهو

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ .

انظر ترجمته في : الاعلام للزركلى ٣١٦/٩ .

(٢) الآية من سورة النحل : ٤٣

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١١٥/٢ .

أولى بالذم ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى هذه الأحوال
 الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابه ، كما في قوله
 تعالى :^(١)
^(٢)

{وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع
 ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا
 ولا يهتدون} .

وأما النوع الثاني من التقليد فهو الجائز وابن القيم
 لا ينكره ولكن له فيه تفصيل وبيان لا يتناقض مع الكتاب والسنة
 فهو يقول في طريقة الأخذ عن أهل العلم بدون التقليد الأعمى
 "فإن طريقهم طلب أقوال العلماء وضبطها والنظر فيها وعرضها
 على القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأقوال خلفائه الراشدين ، فما وافق ذلك منهم قبلوه
 ودانوا الله به ، وقضوا به ، وأفتوا به ، وماخالف ذلك
 منها لم يلتفتوا إليه ، وردوه ، ومالم يتبين لهم كان
 عندهم من مسائل الاجتهاد التي غايتها أن تكون سائغة الاتباع
 لا واجبة الاتباع ، من غير أن يلزموا بها أحدا ، ولا يقولوا
 إنها الحق دون ماخالفها ، هذه طريقة أهل العلم سلفا وخلفا
 وأما هؤلاء الخلفاء فعكسوا الطريق وقلبوا أوضاع الدين ،
 فزيفوا كتاب الله وسنة رسوله وأقوال خلفائه وأصحابه ،
 فعرضوها على أقوال من قلده ، فما وافقها منها قالوا لنا
 وانقادوا له مدعين ، وماخالف أقوال متبوعهم منها قالوا
 احتج الخصم بكذا ، ولم يقبلوه ، ولم يدينوا به " .^(٣)

(١) اعلام الموقعين لابن القيم ١٦٨/٢-١٦٩ .
 (٢) الآية من سورة البقرة : ١٧٠ .
 (٣) اعلام الموقعين ٢٠٩/٢ .

ويقول : "وليس هذا من التقليد المذموم على لسان
السلف والخلف في شيء ، ونحن لم نرجع الى اقوال هؤلاء
لكونهم أخبروا بها ، بل لأن الله ورسوله أمر بقبول قولهم
وجعله دليلا على ترتب الاحكام ، فاخبارهم بمنزلة الشهادة
والاقرار ، فأين في هذا ما يسوغ التقليد في احكام الدين
والاعراض عن القرآن والسنن ونصب رجل بعينه ميزانا على كتاب
الله وسنة رسوله ؟" (١)

(١) اعلام الموقعين ٢/٢٣٩ .

مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا
بسلطان مبين ، قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن
الله يمين على من يشاء من عباده وماكان لنا أن نأتيكم
بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، وما لنا
ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنمسيرن على
(١)

ما أذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون } .

(٢)

وقال تعالى :

{وقال الذين كفروا لرسلم لنخرجنكم من أرضنا أو
لنعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ،
ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ،
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد } .

هذا هو موقف التقليد وهو رد الحق الذى يربط الناس
بخالقهم وحده ويحررهم من أرباب شتى نصبها التقليد لهم
معبودات وحماها التحجر فى عقولهم فلايمل حق اليقين اليها
لأنها موصدة بأبواب الشك ومحاطة بريب لاشقة فيه ولايقبل
ما جاء من اليقين ، والتقليد هنا استفحل أمره وطمس كل مافى
الفطرة ولهذا استنكرت الرسل هذه النتائج التى لولا التقليد
لما كان لها وجود {قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات
والأرض} هل وصل التقليد بالعقول الى أنها تشك فى الخالق
وتتردد فى لزومية عبادته لربوبيته ، وهو الخالق الذى
لايريد لهؤلاء المقلدين الا الطهارة والمغفرة من الذنوب ،
ففى هذا الاستفهام حجج بالغة لايجد هؤلاء المقلدون لها جوابا

(١) الآيات من سورة ابراهيم : ٩-١٢

(٢) الآيات من سورة ابراهيم : ١٣-١٥

من تقليدهم ، غير أنهم أجابوا بما يناقض تقليدهم ويسفه أحلامهم وهو أنكم يامعشر الرسل {ان أنتم الا بشر مثلنا} لا غاية لكم الا أن تحولوا بيننا وبين تقليد غيرنا وهل تملكون على ذلك حجة ؟ اذن المانع من اتباع الرسل هو أنهم بشر فلماذا اذن يقلد هؤلاء آباءهم وغيرهم وهم بشر ؟ وهى الحجة التى يستند عليها الرسل فى النهى عن تقليد الآباء والأجداد والأجناس لأن المقلد والمقلد سواء فى البشرية ، والرسل كل مادعوا اليه هؤلاء هو أن يمدوهم عن عبادة أمثالهم ، ولم يطلب الرسل أن يعبدوهم أحد من المدعوين وانما دعوتهم الى عبادة الله ، والله لاشك فيه ، وهذا مايعترف به المقلدون بقولهم كما حكى الله {تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا} وفى آية أخرى يعترف هؤلاء المقلدون بأن دعوة الرسل انما هى لعبادة الله وحده مما يؤكد أن هذا الحق لم يطلبه الرسل لأنفسهم حينما نفوه عن غيرهم من المخلوقين فقال تعالى حاكيا اعترافهم هذا : {قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا (١) فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين} .

وفى آية أخرى يصف المقلدون هؤلاء واحدا من هؤلاء الانبياء بالعبودية وهى الصلاة مما يؤكد أيضا أنهم لا يريدون أن يمرفوا المقلدين الى غير عبادة الله تعالى حاكيا مقالتهم {قالوا يا شعيب أملاكك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا (٢) او أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد} .

(١) الآية من سورة الاعراف : ٧٠

(٢) الآية من سورة هود : ٨٧

والاعتراف هذا منهم بأن شعيبا ليس بمقلد ولا يخرج نفسه من كونه عبدا لله حجة عليهم ينتهزها شعيب فرمة ليقول لهم {قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب} (١).

هذه هى الحجج الدامغة التى طالبوا بها الرسل بقولهم {فأتونا بسلطان مبين} وأكد لهم الرسل أنهم بشر مثلهم ولكن الله تعالى من عليهم بالهداية فلا يقلدون بشرا مثلهم ولا يأتون بحجة من عند أنفسهم وإنما يستمدونها من العلى الكبير وهو الخالق وعليه يعتمدون فى كل شئ ، وبعد هذه الحجج لا يجد المقلدون مهربا من نبذ التقليد أو يلجأون الى وسائل المنهزمين وهى الاعتداء والتهديد بالظلم دون أسلوب الحوار والجدل حيث أن التقليد لا يؤهلهم على التزامه فيهدد المقلدون الرسل ويتوعدونهم بالاخراج من البلاد اذا لم يكونوا معهم فى التقليد ، فدعوة المقلدين الى بدعهم اذن ليست بالحجة وإنما هى بالقهر والتهديد وهما بعيدان عن منطق العقل ..!

واذا كان تاريخ الايمان والمؤمنين منذ عهد آدم عليه السلام الى آخر مؤمن فى هذه الحياة الدنيا حلقات مترابطة ، فان فى جانبه تاريخ التقليد فهو حلقات آخذ بعضها ببعض صارعها الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى جاء دور رسولنا صلى الله عليه وسلم ووجد الدنيا كلها على تقليد مذموم

وصارع هذه القضية وتتابع نزول القرآن الكريم مؤيدا له
ومنهددا بالمقلدين وتقليدهم أولا لأن العقيدة الصحيحة
والشريعة المنزلة من الله كل ما فيها من الخير والسعادة
والحضارة لا يستفيد منه هؤلاء المقلدون الا بعد تحرير عقولهم
من التقليد ولهذا كان التركيز على ذم التقليد من خصائص
القرآن المكي قبل الهجرة وجاءت الآيات كثيرة في هذا كقوله
{واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا
عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لاي عقلون شيئا ولا يهتدون} .
(١)
(٢)
وقوله تعالى :

{بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم
مهتدون} .
(٣)
وقوله تعالى :

{وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال
مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم
مقتدون} .

فهذا التقليد وصل الى حد الكفاية الذاتية في دعواه
من المقلدين بالآباء فحسب ولو كان في العقول ادراك لعلموا
بمقالتهم هذه {حسبنا} جناية التقليد على المقلدين حيث
يجزؤون عن أى مصدر غير ما يقلدون ويحال بينهم وبين الفائدة
من أى مصدر آخر ولا برهان لهم الا فعل الآباء كما قال تعالى :
{واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول
قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون

(١) الآية من سورة البقرة : ١٧٠
(٢) الآية من سورة الزخرف : ٢٢
(٣) الآية من سورة الزخرف : ٢٣

(١)
شيئا ولا يهتدون} .
(٢)
وقوله تعالى :

{واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير} .

بل قد وصل التقليد بهم إلى حد أنه يستدل به على فعل
(٣)
الفواحش كما قال تعالى :

{واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون} .

وهكذا في العبادة وفي كل فعل يفعلونه لاسند لهم إلا التقليد والآيات في هذا كثيرة ، قال الحافظ ابن عبد البر بعد ذكره لبعض هذه الآيات : "ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهم وإيمان آخر وإنما وقع التشبيه بين التقليديين بغير حجة للمقلد كما لو قلد رجل فكفر وقلد آخر فأذنّب فقلد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضا وإن اختلفت الأثام فيه " .
(٤)

ولقد وصل الاهتمام بزم التقليد في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده أن يأخذوا الحق إلا

(١) الآية من سورة المائدة : ١٠٤

(٢) الآية من سورة لقمان : ٢١

(٣) الآية من سورة الأعراف : ٢٨

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١١٠/٢ .

على وجه واحد وهو أنه من الله تعالى ، لا يؤخذ الحق لأجل أنه من الآباء فقط ولا يرد الحق ولو جاء عن طريق الخصم المبعوض لأن كل انسان له ما كسب وعليه ما اقترف فلا ينفعه عمل غيره ولا يحاسب على أخطاء غيره يوم القيامة ، والرسول عليهم الصلاة والسلام معتمتهم هي بيان الصواب من القول والفعل والخطأ الممنوع للناس فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

والجنة والنار كلتاهما بيد الله ولا يدخل فيهما أحد الا بأمره وارادته محاسبة ومجازاة على الطاعة والعصيان ، ولا محاسب ولا مجازى غير الله سبحانه وتعالى وهو الذى منح العقول وأعطى كل انسان ارادته ويحاسب على هذه الارادة ويجازى ، وكل ذلك مبادئ ومناهج تلقى التقليد عقليا كما قال تعالى على لسان رسوله عيسى عليه السلام الذى ضلت أمم كثيرة فى شأنه بسبب التقليد الذى ظمن على العقول حتى اختلط عليها أمر عيسى عليه السلام أهو عبد أم اله ؟ فاذا سألته ربه يوم القيامة فانه عن موقفه من هذا التحريف والتقليد فانه يجيب بما حكاه الله تعالى فى قوله :

{واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلتة فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ، ان تعذبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم فأنك (١)
أنت العزيز الحكيم } .

وليس الغفران والعقاب اذن فى يد المحرفين لعبودية عيسى والداعين الى تقليدهم فى التحريف ، وفى قصة وصية يعقوب لابنائه حين حضره الموت ما يدل على رد التقليد وأن أعمال الآباء ولو كانوا أنبياء لاتفيد الابناء وانما عليهم أن يعملوا كما عمل الآباء لأن كل نفس بما كسبت رهينة لابما كسب غيرها ، قال تعالى :^(١)

{أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آباءك إبراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون} . ومن عجيب أمر أهل التقليد تعلقهم ببعض النصوص بدون عقل وفهم كتعلقهم بالآية الأولى وأنها تدل على التقليد باجابة أبناء يعقوب ، ومن الواضح أن الآية لاتدل على ذلك لأن أبناء يعقوب كل مافى الأمر أنهم أجابوا آباهم يعقوب بأنهم يلتزمون عبادة الله وحده وهو الاله الذى تعبد به أنت وآباؤك إبراهيم واسماعيل واسحاق ، ومعنى هذا أن أبناء يعقوب يتفقون ويلتقون مع آبائهم فى عبادة الله تعالى دون سواه ، فأتين معنى التقليد فى هذا ؟ فهم لم يقولوا لأبيهم يعقوب "نعبد بعبادتك وعبادة آباءك" ليكون التقليد فى الحق وهو تقليد من لايعلم لمن يعلم الحق ، ولكنهم تحاشوا هذا مع أنهم مطالبون باتباع هؤلاء الانبياء إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب واتباعهم ليس بتقليد - تحاشوا هذا فقالوا

(١) الايتان من سورة البقرة : ١٣٣-١٣٤

"نعبد الهك" فالربط بين عبادتهم والاله مباشرة فأين اذن موضع التقليد لمن يستدل بالآية ؟

واذا سلمنا جدلا أن فى الآية مايدل على التقليد فان الآية الثانية ترد على ذلك ردا واضحا لا يحتمل التأويل وهو أن هؤلاء الآباء مضوا الى ربهم لهم ما اكتسبوا وأما أنتم فليس لكم الا ما كسبتم بعبادة الله وحده واتباع أوامره فلا ينفعكم هؤلاء الآباء وهم أنبياء سلسلة نادرة فى الرجال (١)
يا أهل التقليد .

وبما تقدم من النصوص فى الكتاب والسنة وما أخذ منهما من اجماع وقياس واستخلص منهما بطل التقليد كما بطل بالعقل وبأقوال السلف الصالح فى رد التقليد من المحابة رضوان الله عليهم الى ما بعدهم ممن اتبعهم باحسان اتباعا للكتاب والسنة ، وليس معنى هذا أن العوام يأخذون من الكتاب والسنة لأنفسهم مباشرة وانما عليهم أن يسألوا أهل العلم عن حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى :
{فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون} .

فالله سبحانه وتعالى أحال من لا يعلم الى من يعلم وعلى من يعلم أن يؤدى الأمانة والرسالة التى تحملها بدون زيادة (٢)
أو نقصان .

وبتدبر ووعى حقيقيين لانجد مبررا للمقلدين الذين فى وسعهم الرجوع الى الكتاب والسنة والأخذ منهما مباشرة أو

(١) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازى ٧٨-٧٥/٤ .

(٢) الآية من سورة النحل : ٤٣

(٣) انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر
١٢٠-١١٠/٢ .

عرض آراء من يقلدونهم على الكتاب والسنة - لانجد مبررا من العقل ولامن المنهج والبحث العلمى فى تواكلهم وكسلهم واعتمادهم على من يقلدونهم فى الرجوع الى المصادر والتوثيق والتحقيق وذلك لامرين :

الاول :

ان الائمة نهوا عن تقليدهم والاخذ بآرائهم والتعصب لها والعمل بها بدون الرجوع الى الكتاب والسنة وعرض الآراء عليهما مهما كان أصحابها من الورع والعلم والثقة والامانة ومن قبل الائمة الصحابة رضوان الله عليهم وهم أوعية فقه الكتاب والسنة ، ومادار بينهم من الاختلاف والاستنباط .^(١)

سواء ماكان مرويا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو ماثبت بالاجماع والاجتهاد ، فهم الاصل فى هذا وقد نقل عنهم ذم التقليد ورفض العمل والقول بدون الرجوع الى الكتاب والسنة ، وماكان أحدهم يقلد الآخر ، بل انهم رضوان الله عليهم لايقبل أحدهم من الآخر رواية أو قولا فى الشريعة الا بعد التثبت والمراجعة ، وهل من أحد من الصحابة رضى الله عنهم من يشهد لهذا فى روايته ورأيه ، وكان الخلفاء الراشدون من أشد الصحابة تثبعا وتمسكا بضرورة الاخذ من الكتاب والسنة ، كانوا يفعلون هذا فيما بينهم فى الفتوى وتفقيه الناس وتعليمهم رغم عدالتهم وأن الله عدلهم ووثقهم .

(١) انظر : ايقاظ همم أولى الألبار للشيخ صالح بن محمد العمرى القلانلى ص ١٢٠،٥٠ ، ط/الأولى ١٣٩٥هـ - لاهور باكستان ، ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد للصنعانى ٢٦/١-٢٨ من مجموع الرسائل المنيرية .

وهكذا سلك التابعون من بعدهم فهم لا يرضون بالتقليد الذى يرفض الرجوع الى الكتاب والسنة أو عرض آراء العلماء عليهما ، ومن بعد التابعين يأتى دور الأئمة ومع كثرة الجهل وكثرة الطوائف البدعية والاحداث فى الدين وتوسع الأمة الإسلامية فى المشارق والمغارب فان هؤلاء الأئمة يتهجون نهج السلف فى أن الكتاب والسنة يلزم الأخذ منهما مباشرة ومن ثم يجب سلوك الطرق واستعمال الوسائل التى تفهم الناس العلم (١) والفقهاء من الكتاب والسنة .

الأمر الثانى :

ان الأخذ من الفقهاء والأئمة وتقليدهم أصعب من الأخذ بالكتاب والسنة ، لأن الفقهاء انتشروا فى الدنيا وتوزعوا فى الآفاق ولا أحد منهم يقيد قوله ورأيه بالاطلاع على رأى وقول غيره ليكون التناسق بين آراء وفتاوى العلماء فهذا أمر صعب لتباعد الجهات ، وأن بعض هؤلاء الفقهاء يسمع بآخرين من أهل العلم ويعاصرهم ويموت الجميع ولم يحمل اللقاء بينهم ، ولم تكن الرحلة فى معرفة الأحكام والفتاوى والمجتهدين كما كانت فى رواية الحديث وتدوين السنة ، فمضى اذن يعرف المجتهد من هذا العالم والاصوب من هذه الآراء فى الآفاق ليقلد دون غيره فهذا أمر صعب جره التقليد الى الناس وألزم به المقلدون ! أما الكتاب والسنة فنصوصهما ميسورة فى كل بلد يمكن الرجوع اليهما لأهل العلم فى كل بلد ، بل ويمكن معرفة أقوال العلماء فى تفسيرهما فليكن اذن الأخذ بهما أيسر من الأخذ بتقليد آراء الأئمة والفقهاء فى كل زمان وفى كل مكان

(١) انظر : اعلام الموقعين لابن القيم ٢٨١/١ - ٢١٩ .

(١)

وعند أى قوم .

(٢)

ومن هنا كانت كلمة الامام مالك للخليفة العباسي
رحمهما الله فى غاية التوجيه وهى أن المنصور طلب من الامام
مالك أن يجمع الناس على كتابه الموطأ ويكتب الى الجهات فى
الدولة بذلك فامتنع الامام مالك منبها الخليفة على أن
اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه من العلماء قد
توزعوا فى الارض وانتشروا فى الآفاق وأخذ الناس عنهم ما لم
يحوه كتاب الموطأ ولم يطلع عليه مؤلفه فكيف اذن قصر الناس
عليه ، ومعنى هذا منع الناس عن العمل بما لم يطلع عليه
الامام مالك من فقه الكتاب والسنة وروايات فى السنة أكثر
مما فى كتاب الموطأ ومن جهة أخرى حمل الناس على تقليد
عالم واحد وهذا لا يرضاه الامام مالك ولا المنصور .

(٣)

وبما تقدم ايجازا توجه النقد الى التقليد والمقلدين
وليس المقصود من نقدهم عدم الاخذ من العلماء سواء كانوا
مجتهدين أو غير مجتهدين فان العلم يؤخذ من أفواه العلماء
والله سبحانه وتعالى يقول :

(٤)

{فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون} .

وقال تعالى :

- (١) انظر : اعلام الموقعين لابن القيم ٢٣٧/٢-٢٣٨ .
(٢) هو عبد الله بن محمد بن على بن العباس أبو جعفر
المنصور شاعى خلفاء بنى العباس وقد عنى بالعلوم
والادب ولد بالحريمة سنة ٩٥هـ وولى الخلافة بعد أخيه
السفاح سنة ١٣٦هـ وهو الذى بنى بغداد وجعلها عاصمة
للخلافة ، استمرت خلافته ٢٢ عاما وتوفى بمكة سنة ١٥٨هـ
انظر ترجمته فى : البداية والنهاية لابن كثير ١٢٤/١٠
ط ٣ ، الكامل لابن الاثير ٤٢/٥-٤٩ ، ط ٤ .
(٣) انظر : تزيين المماليك بترجمة الامام مالك للسيوطي .
(٤) الآية من سورة النحل : ٤٣

{واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو
ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم
الشيطان الا قليلا }^(١) .

وليس أيضا المقصود أن على العوام أن يأخذوا من
الكتاب والسنة بأنفسهم ، ولا يأخذوا من العلماء ، وهذا أمر
مستحيل يقود الى جهل عريض وتحريف مذموم ونقل أمة موصوفة
بأنها ذات كتاب ورسالة شاملة الى أمة أمية تأخذ الهداية
من أهوائها وضلالاتها ولا قيمة للعلم والعلماء عندها ، وإنما
المقصود لهؤلاء النقاد أن يأخذ العلماء والفقهاء من الكتاب
والسنة مباشرة واذا استعانوا بآراء وفتاوى غيرهم من
أمثالهم من أهل العلم فعليهم أن يعرضوها على الكتاب
والسنة فما وافقهما أخذوا به على أساس أنه من الكتاب
والسنة ، وما خالفهما رفضوه على أساس أنه مخالف للكتاب
والسنة ، وفي هذا مصلحة للجميع وبراءة لهم من تقليد غير
الحق ، وأما العوام فالمقصود من ردهم من التقليد المذموم
أنه عليهم أن يسألوا عن حكم الله وحكم رسوله صلى الله
عليه وسلم ، وعلى العلماء أن يفتوهم ويبينوا لهم مافى
الكتاب والسنة وبدور العوام عليهم ، بل واجب أن يقبلوا
حكم الله وحكم رسوله ولا يكون القبول على أساس أنه حكم فلان
وعلان ، وبهذا تبين مقصود نقاد التقليد والمقلدين فى تقديم
وفى هذا جمع لكلمة الجميع على الكتاب والسنة .

(١) الآية من سورة النساء : ٨٣

وقد ظن الدكتور شوكت محمد عليان أن كلام ابن القيم على التقليد ليس هذا هو المقصود به فإشار إلى نقده والاعتذار له بتفسير كلامه بقوله : "ويمكن حمل كلام ابن القيم على عدم جواز التقليد في الاعتقادات وهو أمر متفق عليه ، وأما التقليد في الفروع فأمر قال به جمهور الفقهاء والآيات التي تأمر باتباع ما أنزل الله ، وتأمير بالرد إلى الله ورسوله ، لاتنافي التقليد لأن قول المجتهد الذي يفتي به المقلد مستنبط من كلام الله ورسوله فهو راجع إلى القرآن والسنة ، فان ذلك شأن المجتهدين فيما يفتنون به " .^(١)

ومن الواضح من كلام ابن القيم وغيره من أهل العلم الذين نقدوا التقليد والمقلدين أنهم يقدمون التقليد بصورة عامة سواء كانت في الأصول أم في الفروع ، ولكن مما هو مؤكد وواضح من كلام الامام ابن القيم رحمه الله هنا هو نقد التقليد في الفروع وهو أغلب ما يطلق عليه التقليد بين الفقهاء ، وأما التقليد في الأصول فهو شرك والعيان بالله قد يخرج أصحابه من الملة ، ونقده ابن القيم في غير كتابه هذا "اعلام الموقعين" وإنما نقده في كتب العقيدة كـ "المواعق المرسلة" ، ومدارج السالكين ، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، وغير ذلك من مصادر العقيدة للإمام ابن القيم رحمه الله ، فتبين من هذا أن ابن القيم يريد بنقده للتقليد والمقلدين في كتابه "اعلام الموقعين" التقليد السائد بين الفقهاء وعوام المسلمين بعد القرون

(١) الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ص ٤٨٨ .

المفضلة حينما أعجب الناس بالآراء ورغبوا عن الكتاب والسنة ولكن أسلوب ابن القيم وغيره من الائمة الدعاة يتميز بعرض القضايا والمسائل ونقاشها بروح العقيدة وهو امر يؤدي الى الزام المقلدين الى أن تقليدهم في الفروع والفتاوى يطعن في العقيدة نفسها ، ومن هنا قد يفهم الدكتور وأمثاله ممن ينقدون ابن القيم في نقده هذا أن القضية في العقيدة ، والعقيدة لاتقليد فيها خلاف الفروع فلا بد من التقليد فيها للشبه التي ذكرتها وهي قصر العوام عن معرفة الحكم الشرعى بأنفسهم . واسلوب ابن القيم هذا في الزام المقلدين التقليد في العقيدة بتقليدهم في الفروع متبع فيه لامبتدع لأن هذا الالتزام ألزمه الرسول صلى الله عليه وسلم كل مقلد غيره بغير حق كقصة عدى بن حاتم رضى الله عنه كما يروى هو نفسه قال : " اتيت النبی صلی الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال : يا عدی اطرح عنك هذا الوثن وسمعتہ یقرأ فی سورة براءة { اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله } قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه " .

-
- (١) عدی بن حاتم بن عبد الله رضى الله عنه كان نصرانيا فأسلم سنة ٩هـ وتوفى سنة ٦٠هـ .
انظر ترجمته في : الاصابة رقم ٥٤٦٧ ج ٦ .
- (٢) الآية من سورة التوبة : ٣١
- (٣) رواه الترمذی فی کتاب التفسیر باب ١ ، ومن سورة التوبة رقم الحديث ٣٠٩٥ وقال هذا حديث غريب .

وأما ابن القيم فإنه لا ينكر الأخذ من العلماء وإنما
ينكر الأخذ بها مجردة عن الكتاب والسنة ، ومما يدل على ذلك
قوله : "وانقسامه الى ما يحرم القول فيه والافتاء به والى
ما يجب المصير اليه والى ما يسوغ من غير يجا" فذه أنواع
التقليد عند ابن القيم ، كما تقدم .

المطلب الثالث

طرق التغلب على التقليد المذموم

التقليد قد فشا في الأمة بكل موره وأشكاله ، وضيع على الأمة فرما كثيرة ، وحال بينها وبين مسئوليات وحقائق منوطة بهم ، ومد الأمة عن تقدم كثير تدعو اليه العقيدة وترشد اليه الشريعة ، ولأجل التغلب على التقليد في محتنا الاسلامية المعاصرة لابد من سلوك المسالك التالية :

المسلك الاول :

التربية الفكرية والعلمية والسلوكية على نصوص الكتاب والسنة .

الآخذ من الكتاب والسنة مباشرة بوسائل الآخذ منهما من بداية النشأة العلمية والتربوية في المدارس والمعاهد والجامعات والأسرة والبيئة - عامل مهم في نشأة جيل وأجيال من بعده يرتبطون بالكتاب والسنة ، لأنه يكون هذا الارتباط من واقع الحياة التي ينشأ عليها الصغار والطلاب ، ومن ثم يجب أن تكون المناهج الدراسية والتربوية مأخوذة من الكتاب والسنة أسلوبا ومضمونا ، وتشعر الناشئين بمواقعها ومواضع أخذها من الكتاب والسنة ، وليس معنى هذا الآخذ من الكتاب والسنة بدون العلماء ، وإنما العلماء وكلامهم وسلوكهم هم الوسائل التي تربي الناشئين على ذلك .

المسلك الثانى :

فتح باب الاجتهاد على مصراعيه .

ان غلق باب الاجتهاد واستحالته على الناس فتح لهم ابوابا كثيرة من التقليد لأن أهل العلم اذا علموا ودربوا على نقل وحفظ آراء من سبقهم وكفى ، فلا بد لهم من التقليد وكذلك اذا اقتنعوا بأن الحق هو ما قاله الاول فقط فلم يبق أمام المتأخر الا التقليد .

والاجتهاد - الذى تدعو حاجة المسلمين اليه اليوم - ليس المقصود به حمل الكتاب والسنة على ماتهوى الانفس وتقرره القوانين الوضعية ، وانما هو تسهيل هذا الاجتهاد تبعا لسهولة ممدريه الكتاب والسنة الذى قال الله تعالى
(١)
فيه :

{ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} .

والسنة التى عبرت بأن الدين يسر كما قال صلى الله عليه وسلم "ان الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد الاغلبه فسدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة " (٢) .

هذا بالاضافة الى أن الاجتهاد الآن أسهل مما سبق من القرون لأن العلوم وخاصة مايتعلق بالتشريع دونت ووشقت وشرحت وبوبت بينما كانت فى القرون الاولى الاعتماد فيها على الرواية فاذا علم كل مجتهد أن ماوصل اليه اجتهاده معتبر

(١) الآية من سورة القمر : ١٧

(٢) رواه البخارى فى كتاب الايمان باب رقم ٢٩ .

لدى الأمة وعلمائها وأن أى إضافة توصل اليها ووشقها لاتقل
عن ماسبق سوف يقلل ذلك من حدة التقليد الذى ينتج منه
(١)
التعمب .

وهنا أنبه الى أمر هام فى هذا المسلك وهو التفريق
بين الأفضلية وبين الاطلاع فى البحث العلمى والوعى الفقهى ،
فالسلف رضوان الله عليهم وعلى رأسهم الصحابة رضى الله
عنهم لاشك فى فضلهم على من بعدهم من حيث التطبيق وصحة
الرسول صلى الله عليه وسلم وكونهم فى القرون المفضلة
ولكن هذا لا يستلزم أن كل من تقدم أعلم وأكثر اطلاعا من كل
من تأخر فأننا نجد من صغار الصحابة من هو أكثر رواية
وأوسع فقها من بعض كبار الصحابة ، كابن عباس الذى كانت
رواياته فى الغالب عن الصحابة لاعن الرسول صلى الله عليه
وسلم . ونجد أيضا من التابعين من لديه من العلم الخزير
والفقه الواسع أكثر من بعض الصحابة كسعيد بن المسيب .

وهكذا من الأئمة من له اطلاع واجتهاد أكثر من بعض
التابعين ، ومامن عصر الا ونجد فيه من هو أعلم وأفقه من
بعض من سبقه ولاعجب فرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى
خطبة الوداع : "رب مبلغ أوعى من سامع" وجاء أيضا : "رب
حامل فقه الى من هو أفقه منه" .

(١) انظر : رسالة للمنعانى وهى ارشاد النقاد الى تيسير
الاجتهاد فى أول مجموعة الرسائل المنيرية ، ج ١ .

وقصارى القول أن الأفضلية والأكرمية تتعلقان بالتقوى وحسن المتابعة والبعد عن التكلف لاتتعلقان باستقامة البحث الفقهي رواية ودراية وتوثيقا واستنباطا ، ويجب على المقلدين أن يفهموا هذه الحقيقة أن كان تقليدهم بسبب الأقدمية .

المسلك الثالث :

دراسة الفكر الفقهي من خلال عرضه على الكتاب والسنة .
ان مما عمق التقليد في الأمة هو دراسة وتلقى آراء العلماء منقولة عن الأدلة سواء مايتعلق بالأحكام الفقهية أو بالعقائد أو بالعلوم التجريبية أو بالسلوك أو بالأخبار التاريخية ، مادمنا نحن نؤمن بأن الله تعالى مافرط في الكتاب من شيء وأن رسوله صلى الله عليه وسلم ماترك خيرا الا ودل عليه وشرا الا وحذر منه اجمالا أو تفصيلا فيلزم من هذا أن نربط نحن المسلمين كل بحث ومنهج وعلم بالأدلة من الكتاب والسنة أو مما أخذ منهما كالاجماع والقياس والمصالح واذا لم تثبت الأدلة فعلى الأقل البيان بأن هذا المنهج أو هذا البحث أو هذه القضية أو المسألة لاتتنافى مع الكتاب والسنة ولاتخرج من دائرتهما وغاياتهما المتنوعة .

ومما يبدو واضحا في كتب الفقه قلة الأدلة وربط القواعد الفقهية بأدلتها من الكتاب والسنة الصحيحة ، بل نجد متونا خالية من كل دليل وتنفق عليها أعمار وتحمل عليها أجيال فتدرس ويعمل بموجبها بدون السؤال والتوثيق من أدلتها ، وهذا منهج لاينكر أحد أنه شجع التقليد في الأصول

والفروع ، واذا كان هذا هو الواقع فى الموسوعات الفقهية التى تخص الأحكام فى الدين ، فمما إذا يكون نمو التقليد وماداه فى بقية ثمرات الفكر كالكتابة فى الأخلاق وفى التربية والسياسة والاجتماع والاقتصاد والترجمة والسير والادب وغير ذلك مما تدفقت به المطابع اليوم وامتلأت به المكتبات ، واذا أمعن الفكر فيه النظر متجردا فيه عن التقليد فإنه سيجد التقليد بالمع والمكيال غير أنه لم يكن التقليد فيه لمن سبق فقط من الكتاب والمؤلفين والعلماء من المسلمين إنما أقحم فيه تقليد مناهج غير المسلمين من القوانين الوضعية والفلسفات الجدلية والنظريات المتناقضة مع تفاهتها . فلا بد إذن من التقيد بالكتاب والسنة فى كل محاولة ومشاركة والالتزام بما لا يتنافى معهما ولا يناقض غاياتهما .

المسلك الرابع :

ضرورة التفريق بين ما يجوز فيه التقليد وما لا يجوز فيه . هذا والتقليد لم يوزع الأمة إلا بسبب اختلاط المقلدين فى تقليدهم بين ما يقلد فيه وما لا يقلد فيه ، والتميز بين الأمرين ضرورى ليفهم التقليد فى موضعه ويبعد عما لا يجوز فيه فأصول الدين لا تقليد فيها وكذلك الفروع المجمع عليها فى الشريعة ومالحق بها مما أجمع عليه العلماء كل ذلك لا تقليد فيه ، ولا مذهب معيناً فيه ليقلد ، وإنما التقليد يكون فى الأمور التى اختص فيها أى مذهب من مذاهب الفقهاء - دون غيره ويكون ذلك فى الأمور التالية :

- (١) الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية فهذا لا يدخل فيه أصول الدين وأصول الفقه التي تستنبط بها الأحكام الشرعية ولا يدخل فيه الأحكام الفرعية المعلومة من الدين بالضرورة ، ولا تكون بالاجتهاد .
- (٢) الأسباب التي لم يكن الاجماع فيها وهي الأسباب المختلف فيها مثل الرضعة الواحدة تسبب التحريم عند مالك دون غيره فهي اذن مذهب مالك .
- (٣) الموانع المختلف فيها أيضا دون المتفق عليها كمنع الدين من الزكاة فيه اختلاف والقول الخاص بامام من الائمة هو مذهبه ويقلد فيه ...
- (٤) الشروط كالحول في الزكاة والطهارة في الصلاة هذا من المجمع عليه والتقليد يكون فيما فيه الاجتهاد لأجل الاختلاف كالشهود في النكاح .
- (٥) الحجج المثبتة للأسباب والشروط والموانع كالقتل في الأول والكفاءة في الثاني وخلو عن الزوج في الثالث .^(١)
- "فهذه الخمسة هي التي يقع التقليد فيها من العوام للعلماء ، لاسايس لها ، عملا بالاستقراء ، فمن سئل عما يقلد فيه العلماء فليذكر هذه الخمسة على هذا الوجه يكون مجيبا بالضابط الجامع المانع ، وماعدا ذلك يكون الجواب فيه مختلا^(٢)
- بعدم الجمع أو بعدم المنع" .

(١) انظر : الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتمرفات القاضى والامام القرافى ص ١٩٥-١٩٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٩ .

المبحث الرابع : الاختلاف والتعصب

المعوقات السابقة من الحكم بغير ما أنزل الله والابتداع في الدين والتقليد - كلها تؤدي الى الاختلاف ، ويحافظ على هذه المعوقات وينميها ومن ثم كانت هذه المعوقات **وهو** علاقة ودلالة قوية على وجود الخلاف ورسوخه في حد ذاته ، ذلك لأن الاختلاف هو أول عامل وعائق لوحدة الجماعة نجم في هذه الأمة ، ثم أخذ أشكالاً وألواناً من الأساليب تولدت منها البدع بكل طوائفها ، وما ان أخذت البدع مجراها وتفرع بعضها من بعض وتمايزت الفرق الا وهذا التقليد يتعمق في النفوس ويأخذ دوره في تفريق الأمة ، هذا هو التسلسل المنطقي لهذه المعوقات بعد حدوث الوحدة الاسلامية وتكوينها بعواملها وأساليبها ووسائلها التي ليس لها مصدر الا الكتاب والسنة وما استخلص منهما واستند عليهما صدقا وعدلا من اجماع سلف هذه الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن حسن الحظ بتوفيق من الله تعالى أن هذه المعوقات سايرها في نشأتها من نقدها من أصحابها وبين ما يقابلها من حقائق ، فلم يكن خلاف الا وفي الأمة من يقف في وجهه ويبين مخاطره وأنه ليس هو الاصل كما يريد باعثوه ، ولم تكن بدعة الا والسنة تتلقفها بالنقد وتمفها بالخروج عن الكتاب والسنة والاجماع ، وما من سلوك بدعي للتقليد نشأ في الأمة الا وهو يشعر أصحابه بالشذوذ والخروج عن الجماعة لما يرونه من التزام المؤمنين للسنة اتباعا للرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .

وهكذا نشأ الباطل واستمر الصراع ، ومن ثم نجد مؤلفات في الخلاف وفي البدع وفي التقليد ، ونجد لها فصولا في مصادر الثقافة الإسلامية ولأجل هذا الدور الذي أداه السلف الصالح المدافعون عن الوحدة الإسلامية وصفاء ينابيعها ومشاربها ، حتى لا تتمكن هذه المعوقات من طمس معالم الدين وجمال وقوة الوحدة الإسلامية ولو كدرت الجو ، وفى أصحابها لعلمهم يغلبون .

لأجل هذا لانيأس من المناداة بالوحدة بين المسلمين مهما علا الزبد وانجرف السيل ، فان هذه الوحدة تكونت فى أيامها الأولى وتساندت وحداتها وتمكنت أخوتها وصنعت فى الألفة بين الناس والمحبة مالم تصنعه حضارة ، ولم تستطع عليه الجيوش الجاهلية الجرارة - كان ذلك فى البداية والدنيا تعج بكفر لايعرف له وصف وفرقة أكثر من أن توصف بالاختلاف ، وشرك لايعرف سواه ، فكيف اذن يقنط المؤمنون من اعادتها وعواملها ماثلة بين أيديهم وأساليبها مرسومة فى محيا التاريخ ، وفى سلوك كل مؤمن متبع ؟!

هذا وليس من غايات البحث الكتابة فى موضوع الاختلاف ، ولكن الهدف هو وصفه من حيث انه عقبة فى طريق الوحدة .

وبما أننى أقصد بهذا البحث وحدة المسلمين وبيان الوسائل التى أرى أنها تعيد البناء الكبير وتوقظ العملاق النائم "الامة الإسلامية" أجد نفسى ملتزما بأن أكون حريصا على مايخدم هذه الفكرة ، والامة فى أمس الحاجة اليها اليوم فى صحتها المعاصرة ، وهو أمر يحملنى على ألا يستهوينى أسلوب الخلاف المعهود والمعروف فى المصادر ، حتى لايشغلنى

الا قرع الحجة بالحجة واختيار مايفوق بضاعة الخصوم ،
والسباق الفكرى فى هذا المعترك ، ولايخدم الفكرة الا أن
أضرب الصفح عن منهج الخلاف وأساليبه بين المختلفين ،
والتزم بمخاطبة العقلية الاسلامية المعاصرة اليوم بما يفيق
الخلاف ويقنع أنه فى أصل نشأته وهم فى الأمة وطارئ على
وحدتها وأخوتها وتساندها وتعاملها مع ربها باخلاص وعبودية
تتبع فيه ولاتبتدع ، ويكون ذلك بالبحث فى المطالب التالية :

المطلب الأول : مفهوم الاختلاف وأسبابه وأنواعه .

المطلب الثانى : صور من نتائج تطبيق الاختلاف .

المطلب الثالث : موقف الكتاب والسنة من الاختلاف .

المطلب الرابع : موقف السلف المالح من الاختلاف .

المطلب الأول
مفهوم الاختلاف وأسبابه وأنواعه

وبالرجوع الى مادة "خلف" وما فى معناها كتفرق وتقطع وتنازع نجدها فى المعجم اللغوى كلها تدور على معنى التوزع والانفصال والفرقة ونحو ذلك .

"والاختلاف والمخالفة" أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر فى حاله أو قوله ، والخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان ، وليس كل مختلفين ضدين ، ولما كان الاختلاف بين الناس فى القول قد يقتضى التنازع استعير ذلك للمنازعة (١) والمجادلة .

فالاختلاف اذن هو النزاع والمضادة التى تجرى بين المتعارضين بوجه من الوجوه ليحقق كل واحد الحق ويبطل الباطل فى نظره . (٢)

والاختلاف الذى ذكر فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام قسمان :

الأول : اختلاف كله ذم للمختلفين مهما تعددت فرقهم (٣) وأحزابهم ، وقد جاءت نصوص دالة على ذلك كقوله تعالى : {ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم} . فهذا الاختلاف ذم لكل المختلفين وأهل الخير هم الذين استثناهم الله سبحانه وتعالى فى قوله : {الا من رحم ربك} ،

(١) المفردات للراغب ص ١٥٦ .
(٢) لسان العرب ، مادة (خلف) ، التعريفات للجرجانى ص ١٠١
(٣) الآيات من سورة هود : ١١٨-١١٩

(١)
وقوله تعالى :

{ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا
فى الكتاب لفى شقاق بعيد} .

(٢)
وهكذا وصف اختلاف النصارى بقوله :

{فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
وسوف ينبتهم الله بما كانوا يمنعون} .

(٣)
ووصف أيضا اختلاف اليهود فقال :

{والقىنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله} .

فهاتان الآيتان تمفان المختلفين من أهل الكتاب
بالعداوة والبغضاء ، وأنهم مستمرون على ذلك الى يوم
القيامة لأن هذا الاختلاف كله ذم وليس من المختلفين ممن معه
حق فالهوى هو الذى حملهم على ذلك حتى صدق عليهم قوله
(٤)
تعالى :

{فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون} .
وهكذا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة لما وصف
بأنها ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى هلاك إلا من كان
على ماكان عليه الرسول وأصحابه .
(٥)

ولهذا الاختلاف المذموم من كل الاطراف المختلفة أسباب :
(١) فساد النيات لما تنطوى عليه من الظلم فهذه النوايا
تحمل أصحابها على أن يختلفوا مع غيرهم لمجرد الحسد ،

(١) الآية من سورة البقرة : ١٧٦

(٢) الآية من سورة المائدة : ١٤

(٣) الآية من سورة المائدة : ٦٤

(٤) الآية من سورة المؤمنون : ٥٣

(٥) وسيأتى تخريجه فى المطلب الثالث (السنة) .

وحب الفساد ليحمل لهم الشرف والرئاسة على غيرهم لأنهم
ظلمة .

(ب) الجهل بالامر المختلف فيه أو بالحجة التي ترشد الى
المصواب ، ويتناول هذا الجهل ، الجهل بما عند الخصم
وماعند النفس أيضا .

وهذان السببان الظلم والجهل يعود اليهما كل شر في
النوع ، ولذا وصف الله سبحانه وتعالى الانسان بقوله :
(١) (٢)
{انه كان ظلوما جهولا} .

الثانى : الاختلاف الذى حمدت فيه طائفة وذمت أخرى
(٣)
كقوله تعالى :

{هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم
ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به ما فى
بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن
يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ، ان
الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير ، وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط
الحميد} .

قيل ان هذه الآيات نزلت فى المقتتلين يوم بدر من
(٤)
المسلمين والمشركين .

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٦-٣٧ .

(٢) الآية من سورة الأحزاب : ٧٢

(٣) الآيات من سورة الحج : ١٩-٢٤

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢١٢/٣ .

(١)
وقوله تعالى :

{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد} .

فالاختلاف هنا ضرورى لانه بين المؤمنين وبين الكافرين وهو الاختلاف الذى بينه القرآن والسنة كثيرا ، والقتال الذى ينشأ وينشب بين الفريقين انما هو بسبب هذا التباين الكبير بين الفريقين المؤمنين والكافرين .^(٢)

اما الاختلاف الذى يكون بين الامة فليس من الاختلاف المذموم وصوره :

ان يكون كل واحد من الامرين حقا مشروعا مثل ماوقع من الاختلاف بين المحابة فى القراءات فكل واحد من المختلفين معه حق كما روى من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ماقرأوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها ، وكدت ان أعجل عليه ، ثم أمهلت حتى أنصرف ، ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انى سمعت هذا يقرأ على غير ماأقرأنيها فقال لى : أرسله ثم قال له : "اقرأ" فقرأ قال : هكذا أنزلت ثم قال لى : "اقرأ" فقراءت فقال : "هكذا أنزلت ان القرآن أنزل على سبعة أحرف

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٥٣

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١/٣ ، اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٠ .

(١)
فاقرأوا ماتيسر منه " .

ومثل اختلاف الأنواع فى الصفة "كالأذان والاقامة والاستفتاح والتشهدات وصلاة الخوف وتكبيرات العيد وتكبيرات الجنازة" وغير ذلك مما هو مشروع كله وان كان بينهما تفاضل بسبب تفاوت الروايات من حيث المعنى والتوثيق ومما يؤسف له أن الشحناء وفرقة الاختلاف الذى حمل فى الأمة أغلبه بسبب هذا النوع من الاختلاف فى أمور كلها جاء بها الشرع .

أو أن يكون القولان بعبارتين ولكن المعنى واحد كاختلاف اللفاظ فى الحدود أو التعريفات وأنواع التقسيمات ولكن المعنى واحد فإذا الجهل أو البغى يحمل البعض على ذم قول ومدح قول مع أنهما شيء واحد .

أو أن يكون القولان متغايرين ولكنهما لايتنافيان كل واحد منهما صحيح ومع ذلك يكثر فى هذا النزاع ولاتدخل الاختلاف .

أو أن يكون المذهبان مشروعين وأخذ بكل منهما قوم ورغم ذلك فإن الجهل والظلم يتداخلان فى شدة فتنة الاختلاف .
(٢)

وقد ورد فى الشريعة مايدل على جواز مشروعية الأمرين من اختلاف التنوع كقوله تعالى :
(٣)

{ماقطعتن من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله} .

(١) رواه البخارى فى كتاب الخصومات باب رقم ٤ ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب رقم ٤٨ .
(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٧-٣٩ .
(٣) الآية من سورة الحشر : ٥

فالمحاربة حينما حصروا بنى النضير منهم من يقطع
نخيلهم وأشجارهم ومنهم من لم يفعل ذلك ، وكما انقسموا الى
قسمين فى امر النبى صلى الله عليه وسلم "ألا لايملين أحد
العصر الا فى بنى قريظة " ، فمنهم من صلى قبل بنى قريظة
ومنهم من أخر الصلاة الى أن وصلهم . وكما قال الرسول صلى
الله عليه وسلم : " اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا
اجتهد ولم يصب فله أجر " ولهذا نظائر وأمثلة كثيرة .

-
- (١) رواه مسلم فى كتاب الجهاد والسير رقم الحديث ٦٩ .
(٢) متفق عليه . البخارى فى كتاب الاعتماد باب رقم ٢١ ،
ومسلم فى كتاب الاقضية رقم الحديث ١٥ .

المطلب الثانى : صور من نتائج الاختلاف

مما لاشك فيه أن المسلمين كلما طبقوا الاخوة والوفاق نشأت لديهم القوة التى لاتعزم أمام الأعداء ، وكلما طبقوا الاختلاف ذهبت ريحهم وتنكست أعلامهم واقترقوا شيعا ، وكانوا أمام أعدائهم ضعفاء أذلاء ، وباستنطاق الأحداث التاريخية والأحوال الاجتماعية لهذه الأمة المكرمة بالاسلام فس نجد مايدل على ذلك فى الأجيال المتلاحقة بالأمثلة التالية :

أولا : هذه حالة المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استمرت القوة فى زحفها فامتدت الدولة الإسلامية ، وتوفر المعاش على المسلمين بغفل الله تعالى ، ثم بسبب هذه الوحدة التى تماسكت فى حلقاتها واشتدت صلابتها من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد الخلفاء الثلاثة الراشدين الى أن دب الاختلاف بين المسلمين ، وحينئذ شلت قوة الجماعة المسلمة ، وتفككت الوحدة الإسلامية فشغل المسلمون بأنفسهم وجاءهم الوهن من كل مكان ، وتوقف الجهاد وبدأت الطوائف البدعية والكلامية والجدلية تتولد وتتمرغ فى وحل من الاختلاف ، ووقعت معركة الجمل وصفين ، واغتيل كثير من المحابة رضوان الله عليهم ، واشتدت المواجهة وورى زندها ، ومامن يوم منذ بدأ الاختلاف الا وهو أسوأ من الذى قبله الى سنة الجماعة بتنازل الحسن رضى الله عنه لمعاوية (٢) عن الخلافة سنة ٤١هـ محققا معجزة الرسول صلى الله عليه

(١) انظر : البدايعة والنهاية ٢٤١/٧-٢٨٤ ، الكامل

١٠٥/٣-١٦٣ .

(٢) انظر : الكامل لابن الأثير ٢٠٣/٣ ، البدايعة والنهاية

٢٠-١٨/٨ .

وسلم فى أن ابنه هذا سيملح الله به بين طائفتين عظيمتين
(١)
من المسلمين .

والاصلاح فى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم هنا تحقق
أنه انهاء تطبيق الاختلاف وعودة المسلمين الى جماعة واحدة
وعلى رأسها خليفة واحد ثبتت خلافته - ولو بالغلبة - لاجتماع
المسلمين سياسيا فى دولة واحدة وتحت اماره واحدة بدون
منافس أو معارض .

لقد استمر التفكك هذا منذ بدأ الاختلاف فى آخر عهد
عثمان رضى الله عنه الى أن استحكمت الأحوال وانقادت
لمعاوية رضى الله عنه ، فهذه المدة التى طبق فيها الاختلاف
بواقع لا يجهله أحد توقف الجهاد الذى هو عامل من عوامل
الوحدة فى نموها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، لأن الأمة
المتفكة على ادخال الناس فى دين الله أفواجا ، والمفتوحة
أبوابها لينضم اليها كل جنس ولون فى العقيدة ، جعلت
بتطبيق الاختلاف يخرج بعضها بعضا من الاسلام ، وعاد السيف
المسلول الى الكفر وأهله يسلم الى بعض المسلمين من بعض ،
وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال : " ان الله زوى
لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتى سيبلغ ملكها
مازوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وانى سألت
ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة ، وان لا يسلب عليهم عدوا من
سوى أنفسهم فيستبيح بيضهم ، وان ربى قال : يا محمد انى
إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وانى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم

(١) تقدم تخريجه فى المبحث الأخير من فصل الاصلاح .

بسنة عامة ، وأن لأسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح
بيفتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين
أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبى بعضهم بعضا" .
(١)
ففى هذا الحديث تحديد دقيق ، وانذار للأمة من رسولها
الكريم صلى الله عليه وسلم بأن العدو كل العدو هو الاختلاف
وأن الرزية كل الرزية تطبيق هذا الاختلاف والسعى من ورائه
وكأنه حق لا يغير ، ومهما اعتذرنا للمسلمين فى تلك الفترة
التى طبق فيها الاختلاف وحملنا نواياهم على أنهم مجتهدون
فمنهم من أخطأ ، ومنهم من أصاب ، فإن أثر الاختلاف لا يقبل
جدلا ، ولا يَحتمل تأويلا فقد وقعت قواصم ولاعاصم منها الا
(٢)
بتحقيق الاخوة وتنسيق الوحدة على ماترك عليه النبى صلى
الله عليه وسلم الأمة .

هذه الطوائف التى نشأت فى تلك الفترة الاختلافية تفرعت
منها أحزاب وشيع وامتد فسادها ، وزحف جدالها فى الأمة
وعاشت فى دين الله فسادا ، ولا تزال آثارها . وقف وقف
العلماء رحمهم الله فى وجه هذا الاختلاف وبيّنوا فساد
اتجاهات هذه الطوائف الفكرية والعقائدية ونحو هذا ، كوقفه
(٣)
الامام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء فى وجه فتنة خلق

(١) رواه مسلم فى كتاب الفتن باب رقم ٥ .
(٢) ولهذا كتب القاضى أبو بكر بن العربى كتابه "العواصم
من القواصم" وقد أشقى فى الموضوع ودافع عن الصحابة
رضوان الله عليهم ، ولم يبرىء أحدا من الخطأ .
(٣) هو الامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى من ربيعة ،
امام أهل السنة ، وخير من أخذ عنه الامام الشافعى ،
وخير من أخذ منه البخارى ، ولد فى بغداد سنة ١٦٤هـ
وتوفى سنة ٢٤١هـ ببغداد .
انظر ترجمته فى : وفيات الاعيان لابن خلكان ٦٣/١ - ٦٥ ،
البداية والنهاية ٣٤٠/١ - ٣٤٤ .

(١) القرآن وهي محنة أزيلت بوحدة العلماء في العقيدة والدفاع عن الاسلام .

وأما أثر الاختلاف من الناحية الاعتقادية في تلك الفترة التي طبق فيها الاختلاف ، فقد ظهرت طوائف بين المسلمين ، أو على الأصح نشأت طوائف متباينة العقائد والاتجاهات الفكرية تطبيقا للاختلاف كالخوارج الذين كفروا الأمة ، والروافض الذين كانوا في الحقيقة دسيسة وثنية وشعوبية لم تجد تنفسا أو منفذا بين صفوف الأمة إلا بالاختلاف فيها ، والقدرية الذين لمس الصحابة رضوان الله عليهم أنهم مجوسية جديدة تريد القضاء على أصل الدين كما روى يحيى بن يعمر قال : كان أول (٢) من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنى فأنطلقت أنا وحميد ابن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الى فقلت أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم منى براء ، والذي

-
- (١) انظر : البداية والنهاية ٣٤٥/١٠ - ٣٥٠ ، الكامل لابن الأثير ٢٢٢/٥ - ٢٢٦ .
 (٢) هو التابعي الجليل يحيى بن يعمر البصري أبو سليمان ، توفى عام ١٢٩هـ .
 انظر : تهذيب التهذيب ٣٠٣/١١ .
 (٣) هو حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري كان ثقة صدوقا .
 انظر : تهذيب التهذيب ٤٦/٣ .

يحلف بن عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه
ماقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثني أبي عمر
ابن الخطاب ، وذكر حديث جبريل المعروف ... وفيه "وتؤمن
بالقدر خيره وشره" .^(١)

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم ١ .

ثانيا : لما أعلنت الخلافة العباسية خلفا للخلافة
 الأموية انفلت صقر قريش عبد الرحمن الداخل من قبضة^(١)
 العباسيين وقفز البحار والقفار حتى أحكم قبضته على
 الفردوس الغربى للدولة الاسلامية "الأندلس" وهو روضة غناء
 حافلة بما حباه الله من الطبيعة البهيجة والنعم الوفيرة
 والادب والفكر الاسلامى والجند المؤمن الفاتح ، وكلها عوامل
 تنتظر مثل هذا الصقر ليكون دولة فى الناحية الغربية تزدهر
 بالحضارة الاسلامية والقوة المؤمنة ويرتعد الاعداء منها^(٢)
 رعبا .

وعندما تأسست هذه الدولة فى الأندلس مع قيام الخلافة
 العباسية فى الشرق حدث تطبيق للاختلاف عميق ، ولأول مرة فى
 حياة المسلمين توزعوا سياسيا بعد أن أنقذهم الله تعالى من
 التوزع فى سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه
 وسلم وأنقذهم أيضا من ذلك فى فترة الاختلاف التى حصلت
 قبل الخلافة الأموية ، ورغم أن الأمويين فى الأندلس لم
 يعتبروا أنفسهم الا أمراء مستقلين عن الخلافة - وان وجد^(٣)
 بينهم من يسمى نفسه خليفة فيما بعد - ومع أن هذه الدولة
 العربية فى الأندلس أدت دورها الحضارى فى الوقوف أمام
 الافرنج واستثمار فوائد الفتح وازدهار العلوم والثقافة

(١) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن
 مروان ، فر من العباسيين واجتمع حوله أنصار الأمويين
 فى الأندلس والتقى بيوسف الفهري وهزمه ودانت له
 الأندلس ، توفى عام ١٧٢هـ .

انظر ترجمته فى : البداية والنهاية ٧٦/١٠ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٧٦/١٠ .

(٣) انظر : الكامل لابن الأثير ٣٦١/٤ - ٣٦٣ ، البداية
 والنهاية ٧٦/١٠ ، وانظر : الاحاطة فى أخبار غرناطة
 ٩٢/١ .

الإسلامية وتأثير هذه الدولة في أوروبا - ومع هذا فإن كل ما حصل من التفكك والضعف فيما بعد ، بعد ذهاب الدولة الأموية في الأندلس - يعود إلى تطبيق هذا الخلاف بتوزع المسلمين لأول مرة إلى دولتين ، لقد عاش الإسلام في الأندلس ثمانية قرون إلى أن وصل عهد ملوك الطوائف ، وبعد عهدهم بدأت البلاد تتساقط شيئا فشيئا رغم دفاع المرابطين والموحدين وبنى الأحمر ، فكل المحاولات في الدفاع عن البلاد لم تجد شيئا لأمريين :

الأول : هذا الاختلاف والتنازع الذي بدأ بالانفصال عن الخلافة الإسلامية قدمهم لقمة سائغة للعدو "الأفرنج" وهو ضعف نشأ من تطبيق الاختلاف الذي نشأ منه فقدان الوحدة والترابط الذي يدعمو إليه الإسلام .

الثاني : تهاون المسلمين في جميع دولهم في الشرق وأفريقية في نجدة أخوانهم المسلمين في الأندلس ، فكم مرة رفع المسلمون من هناك أصواتهم ونداءاتهم إلى أخوانهم في كل مكان ولكن بدون جدوى ! وهذا يعود أيضا إلى تطبيق الاختلاف .

(١) إلا ما كان من يوسف بن تاشفين سلطان المغرب من المرابطين ، حيث أنجد المسلمين ، ولكنه طمع في الأندلس ، فعاد واستولى على ما استولى عليه ، وأخذ ابن عباد ، وعلى كل حال فهو خير آكل .
انظر : البداية والنهاية ١٤٧/١٢ .

المطلب الثالث

موقف الكتاب والسنة من الاختلاف

أولا : القرآن الكريم .

إذا تمفحنا الكتاب العزيز بتدبر بحثا عن الاختلاف ، فهل نجد ما يستند عليه المسلمون ليختلفوا ويكون الاختلاف من الدين ؟ أو أنه لأمانع منه ، ولا يتنافى مع العقيدة والتمسك بالشريعة ، ولا يمنع من الوحدة بين المسلمين وقوتهم الاجتماعية والسياسية ؟ فلنعد إذن إلى القرآن الكريم بحثا عن صواب هذه القضية الخطيرة "الاختلاف" مادامنا نحن المسلمين لانخلو من نزاع واختلاف حتى وصلت الحالة إلى أن بعض المسلمين يرى أن الاختلاف ضروري وأنه من وسائل الاستنتاج الفقهي والثراء الفكري ، فأصبحنا ننازع في الاختلاف نفسه بدل من أن نتفق على حسمه وتضييق مسالكه في الأمة ، فلنرجع (١)
إلى القرآن الكريم الذي قال الله فيه :

{فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول} .

لنرى هل يرد الاختلاف إلى كونه صوابا أو إلى كونه خطأ يحول بين الناس ومعرفة الحق ، وقيل أن أذكر موقف الكتاب من الاختلاف لأبد من الوقفة على حقيقة في الكتاب والسنة وهي أن :

الأمم في البشرية الوحدة .

(١) الآية من سورة النساء : ٥٩

{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم} .
(١)
(٢)
وقوله تعالى :

{وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون} .

فالاختلاف عامل طارئ غير محمود وهو بدليل هذه الآيات أول عامل لهدم الوحدة بين الناس والاتفاق على دين واحد ، ولو لم يختلفوا لما كانت الحاجة الى بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وانزال الكتب لحل المشاكل وحسم الاختلاف وجمع الناس على وفاق موحد وتساند بأخوة انسانية لاتفريط فيها ولا افراط .

قاله سبحانه وتعالى كما بين لنا في كتابه حقيقة بداية البشر والعنصر الذى خلق منه الانسان الاول ، بين كذلك لنا أن الوحدة على العقيدة الصحيحة حقيقة تاريخية أخرى مرت بها البشرية الموزعة قبل أن يسودها الاختلاف وتوزعها الأهواء ويتدخل فيها الشرك والابتداع ..!

لقد وردت كلمة "الوحدة" ومفادها للامة التى على التوحيد والعقيدة الصحيحة ، وهى الامة التى كانت بداية البشرية : أمة آدم عليه السلام الى أن حدثت قصة الشرك .. والامة

(١) الآية من سورة البقرة : ٢١٣

(٢) الآية من سورة يونس : ١٩

الآخيرة التى جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ممحاً فيها
العقيدة ومبلغاً من ربه الوجه الصحيح لعقيدة التوحيد
فتكونت الأمة المؤمنة اثر تصحيح العقيدة وبان أثرها وامتدت
دولتها وطوت الآفاق وضمت الشعوب ، وسارت رايتها مع السحب
وخطبها حاملوها فى شكر واعتزاز وعقيدة وإيمان . . .^(١)

فأما الأمة الأولى فيقول الله تعالى فى قمة عقيدتها
ووجدتها :

{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد
ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم } .^(٢)

(٣)
وقوله تعالى :

{وماكان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون} .

ولقد دار الاختلاف بين المفسرين فى المقصود بهذه
الوحدة التى مرت عليها الانسانية ولم يكن فى جانبها الاختلاف
وانما حدث بعد ما جنت الانسانية ثمرة هذه الوحدة وطابى
عليها سرها ونجواها . . . وخاصة فى الآية الأولى بسبب أسلوب
تعقيب الوحدة ببعثة الرسل مما حمل بعض المفسرين ان يفسر

(١) كما روى أن هارون الرشيد الخليفة العباسى خاطب
السحاب فقال : سيري أينما كنت سيأتينى خراجك ، كناية
عن سعة الدولة الإسلامية بالوحدة والتضامن .

(٢) الآية من سورة البقرة : ٢١٣

(٣) الآية من سورة يونس : ١٩

الوحدة فى هذه الآية على أنها : بالباطل وعليه ... !
وهو تفسير بعيد وتخصيص بلا دليل ، بل ويخالف روح
القرآن الكريم فى مثل هذا السياق الذى هو للثناء للذم ،
والذى كان أشرة من علم غيبى كشف الله عن حقيقته لنبيه
عليه الصلاة والسلام ، الذى بعثه الى الناس كافة ليدعو
الناس جميعا الى عقيدة صحيحة واحدة ، ووحدة لا يخالفها احد
الا هلك ، وهى الوحدة الاسلامية ، التى قال الله فيها :
(١)
{يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة} .

فأعلمه أن هذه الوحدة من الممكن أن تحدث اذا حدث
تصحيح العقيدة وقد مرت فى التاريخ البشرى فلاعجب أن تدعو
اليها ولاغربة أن ترفع رايتها وحدها ... !

هذا بالإضافة الى أننا لم نجد فى الكتاب العزيز ولا فى
السنة وصفا للباطل بالوحدة بالمعنى الترابطى والمساندة
مطلقا .. فهذا لا يسوغ الا فى الحق .. وانما يعبر عن أهل
الباطل بالاحزاب والملا ونحو ذلك من العبارات على الافتراق
والانشقاق .. وأنه لا يخلو زمان ممن كان على حق وان كانوا
قلة ... !

ولم ينقل المؤرخون أن ثم زمن لا يوجد فيه من كان على
هدى بل نقل أن مابين آدم ونوح عليهما السلام من القرون كل
الناس على حق ودين واحد حتى حدثت قصة الشرك والانحراف
فأرسل الله نوحا عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة
والتسليم .

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٠٨

وحتى هذا الذى حمل فى قوم نوح عليه السلام انما هو
 جاء من الغلو فى قوم صالحين الذين حكى الله تعالى :
 {وقالوا لاتذرن الهتكم لاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث
 (١)
 ويعوق ونسرا} .

وروى : "ان هؤلاء أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما
 هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى
 كانوا يجلسون انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا . فلم تعبد
 (٢)
 حتى اذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبادت" .

ان فى الآية مايدل على هذا التقدير وهو قوله : {فيما
 اختلفوا فيه} كما ان الفاء فى قوله {فبعث الله} للتعقيب
 فالمعنى : أنه بعثة الرسل لم تكن عند وحدة الناس على دين
 واحد ، لأنه لاضرورة الى البعثة حيث كان الناس على حق ،
 وانما حمل الاختلاف المقدر فى الآية بالقرينة ، ثم بعث الله
 الرسل لحسم الاختلاف وتمحيص العقيدة واعادة الوحدة عليها ..
 والقرآن يفسر بعضه بعضا فالآية الثانية تدل على ان الاختلاف
 وقع بعد الوحدة وهو قوله : {وماكان الناس الا أمة واحدة
 فاختلفوا} هذا والرسل أنفسهم متفقون ومتحدون على دين واحد
 وان تباعدت أزمان بعضهم عن بعض .. وبهذا قد انتظمت الآية
 فى المقصود بها مع الآيات الأخرى والواقع التاريخى وهو أن
 الوحدة على العقيدة أعقبه الاختلاف والانحراف فجاء دور

(١) الآية من سورة نوح : ٢٣
 (٢) رواه البخارى عند تفسير سورة نوح .

التمحيح وضرورة الاصلاح .. فكل نبي جاء وأرسل لضرورة اصلاح
الفساد وتمحيح العقيدة فامتد الصراع فى هذا المجال حتى
جاء رسولنا عليه الصلاة والسلام والمؤمنون من أمته مطالبون
بتمحيح العقيدة كلما تأثرت وتعثرت !..^(١)

وقد تضمنت كلمات المفسرين تلك بعض التوجيهات التى
لاتخرج عما تقدم كتفسير الامة بأن المقصود جماعة الانبياء^(٢)
كما فى قوله تعالى :

{ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون} .

أو كتفسير الوحدة على أنها "الفطرة" .

ولاشك أن الانبياء أول من يتحد على العقيدة ويتساند
عليها وقد بعثوا لضرورة تصحيح العقيدة فملتهم واحدة وهى
الاسلام وان وجد التفاوت وبعض التباين فى فروع شرائعهم كما
قال النبى صلى الله عليه وسلم : "أنا أولى الناس بعيسى
ابن مريم فى الاولى والآخرة ، قالوا كيف يارسول الله ؟ قال
الانبياء اخوان من علات ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد فليس
بيننا نبي" .^(٣)

والفطرة كذلك عليها خلق الله عباده ، ومايولد مولود
فى زمن الاتفاق أو الاختلاف الا وهو على الفطرة وهى العبودية

(١) انظر : تفسير الطبرى وابن كثير والقرطبى والكشاف
وزاد المسير لابن الجوزى وروح المعانى للآلوسى وتفسير
أبى السعود والبيضاوى وفتح البيان فى مقاصد القرآن
لمصديق حسن خان وتفسير المنار ينظر الى هذه التفاسير
عند آية البقرة ويونس .

(٢) الآية من سورة الانبياء : ٩٢

(٣) متفق عليه : البخارى فى كتاب الانبياء باب ٤٨ ، ومسلم
فى كتاب الفضائل رقم ١٤٥ .

لله تعالى والقابلية لدينه الذى يرسل به الرسل اذا سلم
المولود من العوائق كما قال تعالى :
(١)

{فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس
عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس
لا يعلمون} .

وقبل ذلك قد أخذ الله الميثاق من ذرية آدم وهم فى
ظهره على أنه ربهم فاعترفوا جميعا كقوله :
(٢)

{واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم
على أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى} .

فكون الناس أمة واحدة على دين واحد مما تدعوا اليه
الفطرة وكانت له مهادا فى أصل تكوين الانسان ومما يلاحظ أن
المفسرين المحدثين مولعون بدعم تفسير كون الناس أمة واحدة
فيما مضى من التاريخ الذى أخبر الله عنه - بالفطرة
فيذهبون الى أن الناس على فطرة واحدة وبها كانوا يعيشون
ويتعاملون وتطورت أحوالهم وعقلياتهم ، فكان ركون الناس
الى عقولهم بدون مصدر من الهداية ، مما يبعث الاختلاف ،
وينشر الأوهام فتترتب على ذلك بعثة الرسل .. ولاشك أن هذا
مردود بنبوة آدم عليه السلام وبالميثاق المذكور .. وانما
هذا تأثر بقضية التطور وهى ذات أذيال ورواسب خطيرة لاسند
لها لو قلنا بهذا الراى لأدانا إليها !..
(٣)

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

-
- (١) الآية من سورة الروم : ٣٠
(٢) الآية من سورة الأعراف : ١٧٢
(٣) انظر : تفسير المنار ٢٨١/٢ ، تفسير المراغى ١٢٢/٢ ،
التفسير الواضح لمحمد محمود حجازى ٤٣١/٤ ، ط ٦ ،
التفسير القرآنى لعبد الكريم الخطيب ٢٣٥/٢ .

"وهذا الذى يقرره القرآن فى أمر الكتاب هو النظرية
الاسلامية الصحيحة فى خط سير الأديان والعقائد ، كل نبى جاء
بهذا الدين الواحد فى أصله يقوم على القاعدة الأصلية :
قاعدة التوحيد المطلق .. ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة ،
وتتراكم الانحرافات والأساطير حتى يبعد الناس نهائيا عن ذلك
الأصل الكبير ، وهنا تجيء رسالة جديدة تجدد العقيدة الأصلية
وتنقى ماعلق بها من الانحرافات وتدعى أحوال الأمة وأطوارها
فى التفصيلات .. وهذه النظرية بالاتباع من نظريات الباحثين
فى تطور العقائد من غير المسلمين والتى كثيرا مايتأثر بها
باحثون مسلمون وهم لايشعرون فيقيمون بحوثهم على أساس
التطور فى أصل العقيدة " (١) .

وأما الأمة الثانية وهى أمة محمد عليه الصلاة والسلام
(٢)
المخاطبة بقوله تعالى :

{ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون} .
(٣)
وقوله تعالى :

{وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون} .
(٤)
الأمة فسرت بالدين كما فى قوله تعالى :

{انا وجدنا آباءنا على أمة} .
(٥)
وقول الشاعر وهو النابغة الذبياني :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وهل ياتمن ذو أمة وهو طائع

(١) فى ظلال القرآن ٢١٦/٢ .

(٢) الآية من سورة الأنبياء : ٩٢

(٣) الآية من سورة المؤمنون : ٥٢

(٤) الآية من سورة الزخرف : ٢٣

(٥) والبيت فى ديوانه وسبقت ترجمة الشاعر .

وعلى أى معنى فسرت به الأمة فى الآيتين فهما دعوة الى وحدة الأمة على العقيدة واخبار عن أن من سبق هذه الأمة الاسلامية من الانبياء وأتباعهم من المؤمنين كانوا جماعة واحدة على مبدأ واحد من العقيدة وكذلك كونوا ايثها الأمة الأخيرة فلاتتفرقوا ولاتقطعوا أمركم .^(١)

وفى مايلى نستعرض موقف الكتاب العزيز من الاختلاف المذموم :

أولا : التحذير من الاختلاف .

نهى الله سبحانه وتعالى عن الفرقة وهى مسببة عن الاختلاف وأمر بالاعتصام والاجتماع والائتلاف بحبل الله تعالى فى قوله تعالى :^(٢)

{واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا} .

فحبل الله واحد وماسواه سبل تفرق ولاتجمع والتنازع بها يحدث فى الجماعة خللا ويضعف قوتها ويذهب بشخصيتها كقوله تعالى :^(٣)

{ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} .

وكلتا الآيتين تحذران من الاختلاف وتدعوان الى التمسك بالحق وهو اقامة الدين على ماأراد الله سبحانه وتعالى وهو وحدة الكلمة مع التمسك بالكتاب والسنة لاغير والا فالدين لايقام

(١) انظر : فتح القدير للشوكانى ٤٨٦٠٤٢٥/٣ .

(٢) الآية من سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣٨٦/١ ، التفسير الكبير للرازى ١٦٣/٨ .

(٤) الآية من سورة الأنعام : ١٠٣ .

بالاختلاف ولا تجنى شماره بالفرقة والتنازع يضيع كل فرصة على المتنازعين ويلحق بهم الفشل الذريع ، قال تعالى :^(١)

{ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا } .

قال : { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } .^(٢)

وهكذا حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الاختلاف وما واولاه من المفترقات كقوله عليه الصلاة والسلام : " ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتمموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاة الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال " .^(٣)

فى هذا الحديث بديع البيان ووضوح الحجة فيما يفرق وفيما يجمع فعبادة الله تعالى بما شرع عقيدة وشريعة عامل من عوامل الوحدة حيث أن عبادة الله بذلك تجمع الناس على شريعة واحدة لمشرع واحد وهو الله جل جلاله والاشراك بالهة تفاهى رب العالمين أو بقوانين وضعية تفاهى شريعة الله صدرت من مشرعين متعددين عامل من عوامل الفرقة والتناصح بين جماعة المؤمنين وخاصة بين الراعى والرعية يضمن التآلف والتلاحم وهو عنوان الاعتصام بكتاب الله ونبذ الفرقة ، وأما قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال فتلك نوافذ يدخل بها الشيطان حتى يفرق بين الناس بمقالة السوء والكذب والنميمة والغيبة والجدل والبحث عما لافائدة فيه الى أن يتمكن الشيطان من الناس حتى يتصرف من أموالهم فيبذرهما كما يشاء

(١) الآية من سورة الشورى : ١٣

(٢) الآية من سورة الأنفال : ٤٦

(٣) رواه مسلم فى كتاب الأفضية رقم الحديث ١٠ .

(١)

فى سبيل تلك النوافذ المتعددة كتعدد السبل المفرقة .
ثم ان الله سبحانه وتعالى مع تحذيره المؤمنين من
الاختلاف فى حد ذاته بين لهم ان الاختلاف وما يترتب عليه هو
الوصف الحقيقى لغير المؤمنين ، ومن ثم نهاهم عن الاختلاف
(٢)
فقال :

{ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا كل حزب بما لديهم فرحون} .

فالوصف بالشرك ناجم عن الفرقة ، والفرقة ناجمة عن
التحزبات التى هى بفاعلة الاختلاف المزجاة .
(٣)
ثانيا : الوعيد بسبب الاختلاف .

الاختلاف لا يأتى بخير انما هو مشغلة وضياغ فى الحياة
الدنيا وحائل خطير بين الانسان ومسئوليته الحقيقية لان
الانسان مخلوق للعبادة وتطبيقها فى كل لحظة من لحظات حياته
سواء ما يتعلق بدينه أو دنياه فكل عبادة اذا طبق ما أمر به
فليس عنده فراغ لينفق بعض وقته أو بعض حياته فى الاختلاف
واذا خصص للاختلاف شيئا من ذلك أو كل حياته فهو تفريط فى
تلك المسئولية التى لا ينفك منها الانسان فى لحظة من اللحظات
ولا يخلو منها فى نفس من أنفاسها ، ومن ثم فهو جدير بأن
يهدد بالوعيد وسوء العاقبة فى الحياة الثانية التى هى
(٤)
ثمار الاولى " الآخرة " يقول تعالى :

{فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم} .

(١) انظر : النووى على صحيح مسلم ١١/١٢ .
(٢) الآية من سورة الروم : ٣٢
(٣) انظر : تفسير القرطبى ٣٢/١٤ .
(٤) الآية من سورة مريم : ٣٧

(١)
وقوله :

{فماختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب
يوم أليم} .

فالوعيد بالويل وهو واد فى جهنم وأهوال يوم القيامة
العظيمة الأليم والوصف بالكفر والظلم كل ترتب من الاختلاف فهل
هناك وعيد ودرس اشد من هذا ؟ يا أيها المسلمون !..

ثالثا : آثار الاختلاف .

الاختلاف اذا وقع فى مجتمع فانه من أسرع العوامل
انتاجا فى المختلفين ، والمعنى أن المختلفين اذا وقعوا
تحت وطأة الاختلاف فانهم لا يستطيعون أن يعودوا الى حالتهم
المحيية قبل الاختلاف الا اذا عالجوا خلافهم بالتى هى أحسن ،
ومن الآثار التى يسرع نمائها بعد الاختلاف أو فى أثناءه :

(١) الشقاق وهو اتساع الفرقة بين الناس وقطيعة الرحم بين
الأرحام ، قال تعالى :

{وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفي شقاق بعيد} .

فالاختلاف فى الحق الذى هو جنس الكتاب المنزل من الله
تعالى يورث شقاقا وفوضى وكراهية بين القلوب ، ولا يمكن
للمختلفين فى الحق أن يجدوا شيئا يجمعهم ويوحد كلمتهم غير
الحق .
(٣)

(ب) الشك ، كقوله تعالى :

{وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم
الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان

(١) الآية من سورة الزخرف : ٦٥

(٢) الآية من سورة البقرة : ١٧٦

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢٠٦/١-٢٠٧ ، القرطبي ٢٣٧/٢ .

(١)
الله عزيزا حكيما .

فالمختلفون هنا فى عيسى هم اليهود والنصارى واختلافهم
فى كونه قتله اليهود أو لم يقتل ، وقد أورثهم هذا الاختلاف
مرض الشك واتباع الظنون فى قصة عيسى كلها .^(٢)

وهكذا يؤدى الاختلاف فى الحق الى نتائج من الشكوك
والظنون حتى يرتقى الى مرتبة الكفر .^(٣)

(ج) النزاع : كقوله تعالى :

{ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا
فشلتهم وتنازعتم فى الامر وعصيتهم من بعد ما اراكم ماتحبون
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم
ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين} .
هذه الآية تقص على المسلمين فى معركة أحد صنيع الاختلاف
والتنازع فيما بينهم فى شأن المبادرة للغنائم أو الالتزام
بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهه للرماة بأن
لا يبرحوا أماكنهم حتى يأتيتهم الاذن من القائد عليه الصلاة
والسلام ، حيث حملهم الاختلاف والتنازع على مخالفة أمر
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انفتحت الشفرة من الضعف
للعُدو منهم ، فأوقع بهم الهزيمة بعد انتصارهم عليهم . وقد
ذكر الله سبحانه وتعالى الأسباب التى أدت الى الهزيمة وهى
التنازع والفشل وعصيان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ،
كما ذكر الأهداف التى أوجدت تلك العوامل المفرقة فيهم وهى
توزع الشمل بين حب الدنيا وحب الآخرة ، فان وجد هذا فى نفس

(١) الآية من سورة النساء : ١٥٧

(٢) انظر : التفسير الكبير للرازى ١١/١٠١-١٠٢ .

(٣) الآية من سورة آل عمران : ١٥٢

واحدة أو توزعت النفوس بين الهدفين بأن يكون البعض كما قص
الله تعالى من أهل الدنيا والبعض من أهل الآخرة فقط .^(١)

فإن ذلك كله يؤدي الى تدابر الامر وتقاطع قوة الجماعة
ومن ثم الوقوع فيما ذمه الله تعالى من التحزب وهو ضد
الوحدة كما وصف قوما آخرين {فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل
حزب بما لديهم فرحون} .^(٢)

(د) الابتلاء :

من أسرع أشار الاختلاف في المختلفين ابتلاءهم بأي نوع
من أنواع الابتلاء ولكن مما يلاحظ في المختلفين قلة ادراكهم
للابتلاء الذي ينزل عليهم ، وهذا في حد ذاته عقاب آخر ،
فهؤلاء بنو اسرائيل لما تفننوا في الاختلاف وأعجبهم النزاع
في أمر الله تعالى أبلاهم الله تعالى بأنواع من البلاء
كالسبت حيث حرم الله عليهم صيد الأسماك في يوم السبت
وأبلاهم الله بوفرثها في نفس اليوم كقوله تعالى :^(٣)

{انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك
ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} .^(٤)
وقوله تعالى :

{وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون
في السبت اذ ثأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون
لاثأتيهم كذلك فبلوهم بما كانوا يفسقون} .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/٤١٢-٤١٤ .

(٢) الآية من سورة المؤمنون : ٥٣

(٣) الآية من سورة النحل : ١٢٤

(٤) الآية من سورة الاعراف : ١٦٣

رابعاً : خطورة الاختلاف .

ان عوامل الفساد كثيرة وكل عامل معه من القوة ما يضمن له الانتشار ومع ذلك فان لكل داء دواء فالجهل يقاوم بالعلم وبالعلم يحد انتشاره ، والباطل يزهد بالحق ، ولكن عامل الاختلاف من شدة خطورته على الجماعة والوحدة تمكنه بعد بيان الحق ومجىء البينات والادلة من العلم الحسية والنظرية فهذا الاختلاف الذى يحمل بين أهل العلم من أخطر عوامل الفرقة بل انه اذا تمكن لايزيله شئ حتى ولو النبوة الا اذا شاء الله ، وقد وردت آيات كثيرة فى هذا المعنى لبيان خطورة الاختلاف وتجاوزه الحد كما قال تعالى :

(١)

{وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم} .

(٢)

وقوله : {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد

ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم} .

(٣)

وقوله : {ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين

اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن

يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب} .

(٤)

وقال تعالى :

{ولقد بؤنا بنى اسرائيل مبدوا صدق ورزقناهم من

الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم} .

-
- (١) الآية من سورة البقرة : ٢١٣
 (٢) الآية من سورة آل عمران : ١٠٥
 (٣) الآية من سورة آل عمران : ١٩
 (٤) الآية من سورة يونس : ٩٣

(١) وقوله : {وماتفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم} .

فهذه الآيات ونحوها من النصوص تشير الى أمرين خطيرين ناجمين عن الاختلاف :

أولا : أنه وباء فتاك لأنه يصيب من يصيبه بعد الدواء والحصانة فالمفروض أن العلم والحجج البينات لايجد الاختلاف معها منقذا .

ثانيا : الاختلاف الذى يقع فى الأمة انما هو ناتج من اختلاف أهل العلم واذا اختلف أهل العلم فمن الذى يصلح هذا الاختلاف ويتوسط فى انهاءه ؟ وأما غير أهل العلم اذا اختلفوا فان أهل العلم والحجج لهم دور فى اصلاح مافسده هذا الاختلاف بين العوام أو الحكام .

ومن ثم قص الله سبحانه وتعالى على الأمة المسلمة كثيرا مما وقع بين بنى اسرائيل من الاختلاف مع تتابع النبوات فيهم وكثرة العلم ووضوح البينات والمعجزات الحسية والمعنوية . (٢)

خامسا : لقد تنوعت الأساليب فى القرآن بين الوعد والوعيد ليعد الناس أنفسهم ليوم البعث ، ومن غايات البعث الفصل التام فى هذا الاختلاف الذى أشغل البشرية أنفسهم به منذ البداية الى النهاية ، فقد وردت آيات كثيرة فيها البينات للناس المتضمن الوعيد - بأن مرجعهم الى الله تعالى ليحكم بينهم ويقضى ويفصل وليخبرهم وليبين لهم

(١) الآية من سورة الشورى : ١٤
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١٠٩/٤ ، التفسير الكبير للرازى ص ١٥٧-١٥٨ .

(١)

مايختلفون فيه كقوله تعالى :

{ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون}.

(٢)

وقوله : {الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم

فيه تختلفون} .

(٣)

وقوله تعالى :

{ان ربك يلقى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه

يختلفون} .

(٤)

وقوله : {وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه

تختلفون} .

(٥)

وقوله : {ان ربك هو يقمّل بينهم يوم القيامة فيما

كانوا فيه يختلفون} .

فالله سبحانه وتعالى لايرضى لعباده الاختلاف وقد أرسل

اليهم وأنزل عليهم الكتب لئلا يختلفوا ويبعثهم يوم القيامة

(٦)

لفصل بينهم فيما يختلفون .

وقد توعد المختلفين والمفترقين بالرجوع اليه سبحانه

(٧)

وتعالى كما قال تعالى :

{وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون} .

ومما تقدم من النصوص علم أن الاختلاف لاياتى بخير لأن

الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ذمه ، وكما علم من تاريخ

(١) الآية من سورة آل عمران : ٥٥ ، وانظر : سورة الحج :

٦٩ ، البقرة : ١١٣ ، النحل : ١٢٤ .

(٢) الآية من سورة المائدة : ٤٨ ، الانعام : ١٦٤ .

(٣) الآية من سورة يونس : ٩٣ ، وانظر : سورة الجاثية : ١٧

(٤) الآية من سورة النحل : ٩٢ ، وانظر آية ٣٩

(٥) الآية من سورة السجدة : ٢٥

(٦) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٧/١٥٨-١٥٩ ، ابن كثير

٤٣١/٢-٤٣٢ .

(٧) الآية من سورة الانبياء : ٩٣

المسلمين أنهم كلما طبقوا الاختلاف وعوامل الفرقة ضعفوا
وتشتتوا ، وهانوا أمام الاعداء ، فهل العقل هو الذى يعصمنا
من هذا الاختلاف ويفصل بيننا فيما نختلف فيه ؟!

العقل محدود ويختلف من شخص الى شخص آخر وتتضارب عقول
الناس الى حد أنها يستحيل أن تتفق ، ومن جهة أخرى فإن
العقل موجود لما جاء الاختلاف بل العقل البشرى مصدر من
مصادر الاختلاف ، فاذن لا يمكن أن يكون العقل هو وحده الحكم
فى هذا الاختلاف ، فلا بد من الرجوع الى مصدر آخر للفصل فى
الاختلاف وهو الله جل جلاله ثم رسله عليهم الصلاة والسلام
الذين بعثهم لغايات منها انهاء الاختلاف .

أولاً : الحكم فى الاختلاف هو الله سبحانه وتعالى .
الله سبحانه وتعالى لا يريد لعباده الاختلاف ولا يختاره
لهم ، ولذلك بين فى كتابه أنه سيحكم بين المختلفين ويريهم
أن التوزع باطل وحكمه هذا فى الدنيا بانزال الكتب التى
تبين الحق من الباطل ، وفى الآخرة يحكم بين عباده حيث يشيب
المتمسكين بالحق ويدخلهم الجنة ويعاقب أهل الفرقة والاختلاف
بالعذاب اذا شاء .^(١)

^(٢)
كما قال تعالى :

{قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة
أنت تحكم بين عبادك فى ما كانوا فيه يختلفون} .
وقوله :

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٠٨٠٥٦/٤ ، التفسير الكبير
للرازي ٢٨٦/٢٦ .
(٢) الآية من سورة الزمر : ٤٦

{وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله
(١)
ربى عليه توكلت واليه أنيب} .

فالاختلاف اذا لامرجع فى انهائه ولاعصمة للمختلفين من
مفاسده الا اذا وكلنا الامر الى الله تعالى فهو الحكم الذى
يعلم مافيه الخير والمصلحة لعباده ، فلا بد من الرجوع الى
كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى :
(٢)

{فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول} .
ومن مفاسد الاختلاف التى تؤدى الى الفرقة عبادة غير
الله تعالى واتخاذ الوسائط - غير شرعه والعمل الصالح -
اليه ومن هنا يتحتم ضرورة تحكيم الله الممثل فى الرجوع
الى كتابه قال تعالى :
(٣)

{والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدكم الا ليقربونا
الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه
يختلفون} .

ثانيا : الغاية من بعثة الرسل انهاء الاختلاف بين
الناس .

ومن أبرز الأدلة على أن الله تعالى لا يحب الاختلاف
لعباده ولا يريد منهم أن يعبدوه بالفرقة والتنوع فى أحزاب
متباينة من أوضح الأدلة أن بعثة الرسل من غاياته توحيد
الناس على طريقة واحدة لا يختلف عنها :

(١) الآية من سورة الشورى : ١٠
(٢) الآية من سورة النساء : ٥٩
(٣) الآية من سورة الزمر : ٣

{قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين} .
(١)

(٢)
ولا يتحد الناس والاختلاف ينمو بينهم ، قال تعالى :
{ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم} .

فالاختلاف هذا ليس مما جاء به موسى وإنما من قومه ولذلك وصفهم الله سبحانه وتعالى مع إيمانهم بموسى بأنهم فى شك وريب وأرسل عيسى عليه السلام بعد موسى لإنهاء الاختلاف الذى وقع فيه بنو إسرائيل كما قال تعالى :
(٣)

{ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون} .

ولكن الاختلاف والنزاع الممقوت لا يزال فى الاستمرار والنماء بعد عيسى عليه السلام نفسه أهو رب أم عبد ؟ فنزل القرآن الكريم لبيان فساد الاختلاف من كل درجاته لبنى إسرائيل وغيرهم من العالم كما قال تعالى :
(٤)

{إن هذا القرآن يقر على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون} .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه القرآن الكريم بغايات وأهداف من أجلها بعد تحقيق العبودية لله تعالى حسم الاختلاف ولاتتحقق العبودية الحقة لله تعالى مع
(٥)

وجود الاختلاف فى العباد المخلصين ، كقوله :

-
- (١) الآية من سورة يوسف : ١٠٨
(٢) الآية من سورة هود : ١١٠
(٣) الآية من سورة الزخرف : ٦٣
(٤) الآية من سورة النمل : ٧٦
(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٤ ، التفسير الكبير للرازي ٢٤/ ٢١٣-٢١٤ .

{وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا
(١)
فيه} .

فالبيان هذا يشمل الاختلاف الواقع فى الأمم قبل نزول
القرآن والاختلاف الذى وقع بعد نزوله الى يوم تقوم الساعة
ومن ثم كان الرجوع الى الكتاب والسنة ضرورة من الضرورات .
ومما يؤكد هذه الغاية من بعثة الرسل أنها مسئولية من
مسئولياتهم براءتهم عليه الصلاة والسلام من الاختلاف
(٢)
والمختلفين كما قال تعالى :

{ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء}
فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو رحمة
للعالمين وقد بشر بكل خير وحذر من كل شر يبين الله تعالى
فى هذه الآية براءته من الفرقة والداعين اليها .
(٣)

كما أخبر عليه الصلاة والسلام من افتراق الأمة الى فرق
وأنة برىء منها جميعا الا الذين توحيدوا على الحق الذى جاء
به كما فى الحديث "ان أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على
ثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين
ملة - يعنى الاهواء - كلها فى النار الا واحدة - وهى
الجماعة - وانه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم الاهواء
كما يتجارى الكلب لصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله ،
والله يامعشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى
(٤)
الله عليه وسلم لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به " .

-
- (١) الآية من سورة النحل : ٦٤
(٢) الآية من سورة الانعام : ١٥٩
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١٩٦/٢ .
(٤) رواه الامام أحمد فى المسند عن أنس ١٤٥/٣ ، اسناده
صحيح ، كما رواه أبو داود والترمذى بسياقات أخرى
سأتنى وقال الترمذى حسن صحيح .

فى هذا الحديث اشارة الى المسئولية الخاصة على الامة العربية فى شأن اختلاف الامة الاسلامية ، والعرب جزء منها ، فاذا لم يختلفوا وقاموا بالواجب نحو الاسلام فان غيرهم سوف لا يختلفون كذلك ، واما اختلاف العرب والتنازع بينهم فانه يسبب توزع الامة واختلافها باكملها ، لانهم على رأس هذه الامة فى المسئولية عن الاسلام ، لكون القرآن الكريم بلسانهم والنبي صلى الله عليه وسلم منهم ، فهم أفهم بالكتاب والسنة من غيرهم ، وهذه المكانة للعرب فى الاسلام ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي رضى الله عنه :
 "يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك ، قلت يارسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله ، قال : "تبغض العرب فتبغضنى" .
 وهذه المكانة لم تكن للعرب الا بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بهما والعمل بالقرآن واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ماتتهى عنه القومية العربية وتناها فهى الرجعية الممقوتة التى تخسف بالامة العربية وتعود بها الى الجاهلية المفرقة التى لاتعرف الا التنازع والاختلاف والافتراق والحرب والدمار . ان هذا الشرف للعرب لم يكن من النسب الأرضى بل جاء العرب من الرسالة السماوية ، لأن البشر سواء من أصل واحد وما يعتقده جنس أو

(١) سلمان الرمهرمزي رضى الله عنه صحابى جليل آخى الرسول بينه وبين أبى الدرداء توفى سنة ٣٣ أو ٣٤هـ ، وقد تجاوز عمره مائتين وخمسين سنة ولكنه لم يكمل ثلاثمائة انظر ترجمته فى : الاصابة رقم ٦٢-٦٣ ، الاستيعاب لابن عبد البر على هامش الاصابة ٥٦/٢-٦١ .
 (٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب رقم ٣٩٢٧ فى كتاب المناقب .

أفراد من تفوق عرق دون الآخرين محض اقتراء وإذا افتخرنا
بأننا عرب فحسب ، فقد سقطنا وأعطينا الفرمة لغيرنا لئبتعد
عنا .^(١)

والقرآن الكريم الذى هو المجد الحقيقى للعرب ليس فيه
أى اشارة الى تمجيد الجنس العربى دون الايمان والتقوى ، بل
فيه اشارة الى تكذيب قوم النبى له وهو ذم كما قال تعالى :
{وكذب به قومك وهو الحق} .

وإذا أراد العرب الفخر والاعتزاز فعليهم بالايمان
المصدق والتقوى التى هى المعيار الحقيقى فى التفوق وحينئذ
يطابق العرب ماجاء فى الكتاب العزيز فى قوله تعالى :
{وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون} .^(٢)
وقوله تعالى :
{لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون} .

فالآيتان تشيران الى شرف التقوى اذا قمنا بالمسئولية
التي تتضمنها الآية الاولى .^(٣)

-
- (١) انظر : حقيقة القومية العربية واسطورة البعث العربى
لمحمد الغزالى ص ٢٣-٢٤ ، ط ٣ .
(٢) الآية من سورة الانعام : ٦٦
(٣) الآية من سورة الزخرف : ٤٤
(٤) الآية من سورة الانبياء : ١٠
(٥) انظر : القرطبي ٢٧٣/١١ ، ٩٣/١٦ .

ثانيا : السنة .

أما السنة فهي شرح للكتاب العزيز وبيان لمجمله ، فهل نجد فيها مايدعو المسلمين الى أن يختلفوا ويفترقوا ؟ أو ما يكون لهم سندا ليتوزعوا بالمذاهب وكل يبرأ من الآخر والرب واحد ، والاسلام واحد ؟ بدراسة السنة الصحيحة وتتبع الروايات فيها لانجد الا مايدعو الى الاتفاق والتحذير من الاختلاف كقوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه سائلا الله تعالى أن يهديه الى مااختلف فيه من الحق : "اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والارض ، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم" .^(١)

فرسول الله صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء السابقين مرسل لانتهاء الخلاف ، وقد نهى عنه فى مناسبات وخاصة عند قراءة القرآن ومدارسته لأن القرآن انما أنزل للتأليف بين القلوب كما فى قوله صلى الله عليه وسلم :
 "اقرأوا القرآن مااثلفت قلوبكم فاذا اختلفتم فقوموا عنه"^(٢)
 ولما سمع رجلين يختلفان فى آية خرج مغضبا فقال : "انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب"^(٣) .

وقد كان صلى الله عليه وسلم على هذا المنهج من

(١) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين رقم الحديث ٢٠٠ .
 (٢) متفق عليه البخارى فى كتاب فضائل القرآن باب رقم ٣٠ ومسلم فى كتاب العلم رقم الحديث ٢٦٦٧ .
 (٣) رواه مسلم فى كتاب العلم رقم ٢٦٦٦ .

كراهية الاختلاف وتربية اصحابه على بجانبته والبعد عنه حتى عند موته كما روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : اثتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لاتفلوا بعده قال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال : قوموا عنى ولاينبغى عندى التنازع فخرج ابن عباس يقول : "ان الرزية من حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه" (١) .

كقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه العرباض ابن سارية يقول : "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله ان هذه لموعظة مودع فماذا تعهد اليها ؟ قال : قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك ، من يعش منكم فسيروا اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وان عبدا حبشيا فانما المؤمن كالجمال الانف حيثما قيد انقاد" (٢) .

فهذا الحديث يشير الى تلك الموعظة البليغة التى لم ينقل لنا الراوى نصها ولكنه نقل لنا أثرها فى النفوس وقد أبكى العيون وأضرم الحزن والخوف فى القلوب ، ونقل اليها وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضمونها التزام سنته صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الذين يلتزمون سنته وهديه

(١) رواه البخارى فى كتاب العلم باب رقم ٣٧ .
(٢) رواه أبو داود فى باب لزوم السنة والترمذى وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه فى المقدمة رقم ٤٣ .

ولايزيدون ولاينقصون ، ثم حثه صلى الله عليه وسلم المسلمين على لزوم الطاعة للحق وللمن تولى أمرهم وهو على حق بغض النظر عن لونه وجنسه ، لأن الطاعة للحق الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الأمر الذى ينقاد له المؤمن ، وحذرهم من الاختلاف الذى يتوقعه ولم يكن فى حياته صلى الله عليه وسلم فإن هذا الاختلاف يهدم مضمون هذه الوصية ويصلب رقة هذه القلوب التى تؤثر فيها مواعظ الحق ، والاختلاف هذا لامهرب منه ولامخلص الا بالتمسك بالسنة والتزام الجماعة التى كانت على هدى .^(١)

بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة حرصه على أن لا يكون الاختلاف بين المسلمين وأنه ليس من رسالته وهداياته يحذر من أى شيء قد يجر الى الاختلاف ويغلق كل المنافذ التى قد تنفتح نحو الاختلاف لما علمه ربه سبحانه وتعالى وقمه عليه فى القرآن الكريم من هلاك الأمم التى سبقتة وضياع رسالات الانبياء بسبب الاختلاف ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم ناهيا عن السؤال الذى قد يجر الى الاختلاف فى خطبة موجزة : "أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم" ثم قال : "ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه" وفى رواية^(٢) "فاجتنبوه " .

(١) انظر : شرح السنة للإمام البغوى ١/٢٠٥-٢٠٩ .
(٢) متفق عليه . رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالسنة باب ٢ ، ومسلم فى كتاب الحج رقم ١٣٣٧ .

وإذا كان الاختلاف في حضرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مهلكة فهو من بعدهم وبعد كمال رسالاتهم وبيانها أشد خطرا ، لأن هذا الاختلاف لا ينهي في المختلفين إلا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندهم ، فإذا لم يردعهم من الاختلاف أولا فمن باب أولى أن لا يردعهم من الاختلاف بعد التفرق ، وليس بعد رسولنا صلى الله عليه وسلم نبي آخر يبعث لانتهاء الاختلاف كما كان سببا في بعثة الرسل من قبله ، فهذا خطر على الأمة ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم حريما على تحذير الأمة من الاختلاف بعد الهدى والاتفاق والوحدة والوئام .^(١)

ومما يلاحظ في هذين الحديثين المذكورين أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من الاختلاف في موقفين مشهورين وبأسلوب الخطابة ، وما كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك في أغلب الأمور إلا لأهمية وخطر ما يحذر منه الأمة أو ما يوصيها به ، كما أنه يحذر من خطر لم يكن في أمته في حياته وإنما يحذر من مستقبل مترقب سبقتة شواهد من تاريخ الأمم مع رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كحالة أهل الكتاب المبعثرين بالاختلاف والمتهاكين بالافتراق والتبديل كما وصفهم القرآن ولا يمكن أن يجد أحد من المسلمين في السنة ولا في حياة المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن الاختلاف مبدا فقهى أو وجه فكرى لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى أن يظهر من الاختلاف شيء ولا من أسبابه ، وإنما يحذر من بعثته في المستقبل ولهذا قال : "من يعيش منكم فسيروا"

(١) انظر : فتح البارى ١٣/٢٦٠-٢٦٣ .

اختلافاً" فالسّين للاستقبال ، وكذلك يعبر في الحديث الآتي بـ
 "ستفترق أمتي" والأسلوب أيضا يدل على أنه قام في أصحابه
 خطيباً كما يروى معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما :
 "أنه قام فقال : ألا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام
 فينا فقال : "ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على
 اثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين
 شتات وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة" .
 وفي رواية : "افترقت اليهود على احدى أو اثنتين وسبعين
 فرقة وتفرقت النصارى على احدى أو اثنتين وسبعين فرقة
 وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" .^(١)

ومن المجازفة أن تخوض الطوائف المختلفة والمتباينة
 عقائدياً ففلا عن الاتجاهات في العبادة - أن تخوض في شرح هذا
 الحديث وأن تفسر كل طائفة الفرقة الناجية بنفسها وأنها هي
 المعنوية ، أو أن يذهب كتاب الى أن كل فرقة على حق لأجل
 أنهم جميعاً ينتسبون الى الاسلام فتكون هذه الفرق كلها
 ناجية .^(٢)

(١) رواه أبو داود في أول كتاب السنة .
 (٢) أبو داود كذلك في نفس المكان والترمذي وقال : حسن
 صحيح ، في أبواب الايمان باب ما جاء في افتراق هذه
 الأمة .
 (٣) انظر : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي
 للدكتور محمد البهي ص ١٢٨-١٣٠ ، ط ١ ، شرح السنة
 للبغوي ١/٢١٣-٢١٤ .

والذى يهمننا نحن المسلمين ويعنينا فى هذا الحديث هو أن المؤمنين بالله وبرسوله وكتابه ومتبعين لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فرقة واحدة لا يوزعها الاختلاف ولا يفرها من خذلها بالاختلاف أو بغيره من أنواع المفرقات ، ومعنى هذا أن السنة كالقرآن الكريم فى ذم الاختلاف وأنه ليس من الدين فى شيء .

وهذه الفرقة الناجية وهى أهل السنة والجماعة ليس من الضرورى أن تكون فى اختصاص واحد فى العلوم ، وإنما يجمعها الاعتقاد السليم فى الله تعالى وفى كتبه ورسوله وملائكته والبعث والنشور والقضاء والقدر والايمان بالغيب وأن مصدرهم فى هذا كله الكتاب والسنة ، ولا يأخذون ولا يتأثرون بالفرق الأخرى وآرائها المضادة للكتاب والسنة ، فأهل السنة أصناف منهم المحدثون أو الفقهاء أو النحاة أو المجاهدون أو الزهاد أو عوام ممن غلب عليهم اتجاه أهل السنة والجماعة . كما أنه ليس من الضرورى أن يكون أهل السنة والجماعة . فى بلد واحد من البلاد الإسلامية ، وإنما يجمعهم الوصف (١) والاتجاه والاعتقاد والالتزام بالكتاب والسنة .

وما أكثر النصوص التى تدم الاختلاف وتحذر منه ، ولم يتفاقم أمر الاختلاف إلا بسبب التقليد ، وهو الذى فرق به أمر الأمة حتى صارت شيعا كل فرقة تنتصر لمن تقلده وتدعو اليه وتدافع عن ما يحمله سواء كان حقا أو باطلا ، وتقف فى وجه من سواها ممن خالفها ولم يعمل بتقليد ، فكأنهم ملل وكل بما لديه فرح ، رغم دعوى هذه الفرق من الايمان بالله وحده

(١) انظر : الفرق ص ٣٠٠-٣٠٣ .

والامدار من القرآن واتباع نبي واحد ، فلو ان الاتفاق حصل على الدعوى هذه فانقادت كل فرقة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتحاكموا اليهما في كل نزاع لقل الاختلاف ، ولم يوزع التقليد الامة بين ارباب من الهوى والعقول الناقصة ، كما نجد الاختلاف قليلا بين اهل السنة المتمسكين بالكتاب والسنة الصحيحة فهم اقل اختلافا خلاف الطوائف الاخرى فهي كلما زادت في تقليدها باعد الاختلاف بينها والتبس عليهم الامر اكثر فاكثروا .^(١)
ويشير اليهم قوله تعالى :^(٢)

{بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج} .

القرآن والسنة متفقان :

اذ لم نجد في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة مشروعية الاختلاف ولا ما يدل على انه رحمة ، فهل بين الكتاب العزيز والسنة المطهرة خلاف وتضارب ؟ وهما وحى من مصدر واحد ، والسنة شرح للقرآن بل القرآن فيه نص على السنة كقوله تعالى :^(٣)

{وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى} .

والحكمة في القرآن الكريم المقمود بها السنة كقوله تعالى :^(٤)

{هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته

(١) انظر : اعلام الموقعين لابن القيم ٢٢٦/٢ .

(٢) الآية من سورة ق : ٥

(٣) الآية من سورة النجم : ٣ ، ٤

(٤) الآية من سورة الجمعة : ٢

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين} .

(١)
وقوله :

{واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا} .

قالله سبحانه وتعالى وجه الى كل من الكتاب والسنة ،
(٢)
كما أمر بطاعته وطاعة رسوله فقال :

{أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} .

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من التفريق بينه وبين رسله من جهة والتفريق بين الرسل من جهة أخرى ، كقوله
(٣)
تعالى :

{ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا} .

(٤)
وقوله تعالى :

{لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون} .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول محذرا من التفريق بين الكتاب والسنة : "ألا انى أوتيت القرآن ومثله

(١) الآية من سورة الأحزاب : ٣٤

(٢) الآية من سورة النساء : ٥٩

وانظر كتابى : منهج الدعوة الاسلامية فى البناء الاجتماعى على ضوء ما جاء فى سورة الحجرات ص ٢٥٨-٢٧٤ تحت عنوان "السنة كالكتاب فى وجوب التحكيم" الموضوع مفضل هناك بمراجعة .

(٣) الآية من سورة النساء : ١٥٠-١٥١

(٤) الآية من سورة البقرة : ١٣٦ ، آل عمران : ٨٤

معه ألا يوشك رجل شجاعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن
فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام
فحرموه " . وله شاهد آخر وهو : " لألفين أحدكم متكئا على
أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول
(١)
لا أدري ما وجدناه في كتابه الله اتبعناه " .

يقول الشيخ ابن القيم : " والذي يجب على كل مسلم
اعتقاده أنه ليس في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
المحيحة سنة واحدة تخالف كتاب الله بل السنن مع كتاب الله
على ثلاث منازل :

المنزلة الأولى : سنة موافقة شاهدة بنفسها ما شهد به
الكتاب المنزل .

المنزلة الثانية : سنة تفسر الكتاب ، وتبين مراد
الله منه ، وتقيد مطلقه .

المنزلة الثالثة : سنة متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب
فتبينه بيانا مبتدأ ، ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام
الثلاثة . وليس للسنة مع كتاب الله منزلة رابعة " .
(٢)

هذا ومن المصائب التي جرّها الاختلاف إلى الناس وأوقعهم
فيها أن تخيلت بعض الطوائف الاختلاف بين الكتاب والسنة ،
حيث أن كلما خالفوا سنة صحيحة في مذاهبهم ونحلهم تعلقوا
بآية من كتاب الله تعالى كما هو موقف الرافضة في رد السنن
المتواترة كقوله صلى الله عليه وسلم : " لا نورث ما تركناه

(١) رواه الشافعي في الرسالة رقم الفقرة ٢٩٥ بإسناد صحيح
ورواه أبو داود رقم ٤٦٠٤ ، ٤٦٠٥ في باب لزوم السنة
والترمذي في باب العلم رقم ٢٦٦٠ ورقم ٢٦٦٥ وحسنه .
(٢) الطرق الحكمية ص ٨٢ .

(١) صدقة " قالوا هذا يخالف قوله تعالى : (٢)

{يوميكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين} .
فضربوا الصفح عن العموم والخصوص وأتوا بالخلاف وكتاب
الله وسنة رسوله بريئان منه .

وهكذا ضيع الجهمية في رد المفات وتحريفها الواردة
(٣)
في الأحاديث الصحيحة بقوله تعالى :

{ليس كمثله شيء} .

(٤)

ورد الرؤية بقوله :

{لاتدركه الأبصار} .

وهكذا سلكت الطوائف المتشعبة بالاختلاف والمفترقة
بالابتداع والمتخلقة بالتعمب حيث فرقوا بين كتاب الله وسنة
رسوله ، وهل هناك ذنب أعظم من هذا الذي جره الاختلاف ؟
(٥)

فالكتاب والسنة متفقان لمفترقان ، ومالم يجده
المسلمون من أحدهما مغملا يجده في الآخر مغملا ، واحداث
الاختلاف بينهما مؤداه نبذهما معا والانحلال من هدايتهما ،
وهي الغاية التي يمل إليها كل من يدين بالاختلاف كقمة بنى
اسرائيل وما أكثرها في القرآن ، حيث فرقوا بين الرسل وبين
الكتب المنزلة والنتيجة ضلال الجميع وبراءة الرسل منهم

(١) رواه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث
مالك بن أنس باب تركة النبی صلى الله عليه وسلم .

(٢) الآية من سورة النساء : ١١

(٣) الآية من سورة الشورى : ١١

(٤) الآية من سورة الأنعام : ١٠٣

(٥) انظر : الطرق الحكمية لابن القيم ص ٨٣-٨٤ .

جميعا وكفى أن الله تعالى منفعهم منفين كلاهما لاخير فيه فى
قوله فى أول سورة فى القرآن الكريم {غير المفضوب عليهم
ولا الضالين} والمسلمون يقرءون هذه السورة كل يوم مرات
ومرات ...!

المطلب الرابع : موقف السلف المالح

ومادمننا نحن نسعى لانتهاء الخلاف وتضييقه على قدر
المستطاع لدعم الوحدة الاسلامية فانه لابد من النظرة الموجزة
في تاريخ الخلاف الذى وقع فى الامة وكيف انتهى الى الاتفاق ،
او كيف امتد منه خلاف آخر الى حيث شاء الله تعالى ؟
ان المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على
مذهب واحد فى اصول الدين وفروعه ، ولاخلاف بينهم وانما هو
اذعان للوحى واتباع للرسول صلى الله عليه وسلم ، الا من
اظهر وفاقا وابطن نفاقا وهم حفنة ذابت وانتهت الى غير
وجود .

ولما توفى الرسول عليه الصلاة والسلام حدث بعض الخلاف
بين المسلمين فى أمور بسيطة حسم الاختلاف فيها ، ولم تتأثر
وحدة الامة فى عقيدتها ولا فى شريعتها ، وكل ما وقع هو ان بعض
المسلمين شك من موت الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب الذعر
والفجعة بوفاته ، فظن انه ذهب الى ربه وسوف يعود ،
وسرعان ماذهب الخلاف وعاد الجميع لما سمعوا الآية :

(١)
{انك ميت وانهم ميتون} .

قراها أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال كلمته
المشهورة : "من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فانه حى لا يموت" (٢) ، وكذلك الخلاف فى موضع دفن
الرسول ازيل بالحديث الذى رواه الصديق رضى الله عنه : "ان

(١) الآية من سورة الزمر : ٣٠ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز باب ٣ .

(١)

الانبياء يدفنون حيث يقبضون" .

وأما الاختلاف الذى صار فيمن يتولى الخلافة انتهى ببيعة الصديق رضى الله عنه خير هذه الأمة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنهى الصديق رضى الله عنه الخلاف أيضا فى ميراث النبى عليه الصلاة والسلام فيما رواه : " ان الانبياء (٢) لا يورثون " .

وأما الاختلاف الذى صار فى مانعى الزكاة فقد عاد الجميع الى رأى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، لأن النصوص من الكتاب والسنة تؤيده ، وبعد قتال المرتدين واعادتهم الى الاسلام دخل المسلمون فى معركة حاسمة بينهم وبين الرومان والفرس ففتح الله لهم البلاد وأذن لهم الأمم وانقادت وآمنت بالاسلام ، وامتدت الأمة وكثرت .

وفى أثناء ذلك كان المسلمون على كلمة واحدة فى أصول دينهم ، ولم يحمل الاختلاف الا فى بعض مسائل الفروع كبعض مسائل المواريث ، ولم يحملهم ذلك على تهليل ولا تفسيق واستمرت الأحوال حتى اعتدت الفئة الباغية على الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى خليط من غوغاء الآفاق ، وحينئذ بدأ الصراع وجعلت الفرقة تمتد وتتولد الشرور مع الفرق الجديدة والبدع التى نبتت فى عدة مواضع من البلاد المفتوحة ، وأخذت الأمة فى الفرقة ، والفرقة الناجية فى هذا الحشد من الافتراق والاختلاف فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة ومتفقون على كلمة واحدة فى التوحيد والأسماء

(١) رواه الامام أحمد فى المسند ٧/١ ، والطبرانى فى كتاب الجنائز ص ٢٧ ، ورواه الترمذى فى كتاب الجنائز رقم ١٠١٨ وقال : هذا حديث غريب ورواه ابن ماجه فى كتاب الجنائز رقم ١٦٢٨ ورواه مالك من بلاغاته فى كتاب الجنائز باب ماجاء فى دفن الميت ، قال ابن عبد البر هذا الحديث لأعلمه يروى على هذا النسق بوجه من الوجوه ، غير بلاغ مالك هذا ولكنه صحيح من وجوه مختلفة واحاديث شتى جمعها مالك .

(٢) متفق عليه البخارى فى كتاب الفرائض باب لانورث ماتركناه صدقة ، ومسلم فى كتاب الجهاد والسير رقم ٥١

والصفات والنبوة والامامة وأخبار الآخرة وغيوبها وفى سائر أصول الدين وإذا حمل الخلاف قائما هو فى فروع الأحكام ، ولا يفسق بعضهم بعضا ، والجامع لهذه الفرقة الناجية الكتاب والسنة والتمسك بالعقيدة المأخوذة منهما مع مجانبة العقائد الأخرى للفرق كالخوارج والقدرية والروافض والمعتزلة والكرامية والمرجئة .^(١)

لقد بينا أن المحابة رضوان الله عليهم لم يحصل بينهم الاختلاف فيما هو فى الكتاب والسنة ، وإنما حمل الاختلاف فى أمور قليلة لم تكن واضحة فى المصدرين ، وحسم هذا الاختلاف بالاتفاق .

والخلاف الذى نناقشه هنا هو الخلاف الذى يكون على مالم ينص عليه الكتاب والسنة ، أو نصا عليه ولكنه لم يبلغ فقهه المختلفين أو طرفا منهم فهل هذا الاختلاف رحمة وسعة ، أم خلاف ذلك ؟

يرى أغلب أهل العلم أن الاختلاف هذا فيه صواب وخطأ ولا بد من عرضه على الكتاب والسنة ، ما وافقهما أخذ به وما خالفهما ترك ، وماليس من الأمرين فيه سعة لمن لم يجد غيره فى الكتاب ولا فى السنة ، ويرى فريق من أهل العلم أن اختلاف المحابة رضى الله عنهم رحمة ويستدلون بالخبر الوارد "أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وبعض ممن يرى هذا الاستسلام لاختلاف المحابة حمله عليه مخافة الخوض فيما شجر بينهم من الحروب ونحوها ، لأخذا بالاختلاف واحتجاجاته .

(١) انظر : الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص ١٢-٢٠ .

هذا ولم يكن أحد من المحابة والتابعين والائمة يزعم أن الاختلاف رحمة للامة ، بل يرون أن الاختلاف مذموم على التحقيق ، لما تقدم من نصوص الكتاب والسنة وعرف من اجتماع المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين على كلمة واحدة ، وبموجب ذلك نشأ الاجماع وهو مصدر من مصادر الفقه ، لانه يستند على الكتاب والسنة مع اتفاق الامة ، فلو أن الاختلاف رحمة للامة ومصدر للفقه فى الدين فى عهد المحابة لما صار الاجماع الذى هو حجة اجماعا . ومما يدل على أن ما حصل من الاختلاف القليل فى أمور لاتمس جوهر الاموال والفروع - من المحابة ليس بحجة ولا رحمة فى نظرهم رضى الله عنهم ، رجوع كثير منهم عن رايه اذا بان له الحق ، وانهم يرد بعضهم على بعض ، فالحق لا يرجع عنه ولا يرد عليه . واما الخبر "اصحابى كالنجوم" فانه غير صحيح فى كل رواياته كما بين الحافظ ابن عبد البر ، ولو فرضنا صحته فانه يتعارض مع حديث صحيح وهو "عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين" فتخصيص سنة الخلفاء الراشدين لامعنى لها اذا كان الصحابة جميعا يؤخذ بأرائهم ولا فرق بينهم .

واما الائمة رحمهم الله فقد أجمعت الامة على امامتهم ، وثبت أنهم لا يمدرون الا من الكتاب والسنة ، واتفاقهم على ذلك ، وأن الخطأ جائز على كل أحد من الناس الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شددوا فى النكير على من يقلدهم ويقلد غيرهم تاركا الكتاب والسنة ، واذا وجد لهم قول يخالف السنة الصحيحة فلهم عذر كما يقول شيخ الاسلام

(١) انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٧٨/٢-٩١.

ابن تيمية : "وجميع الأعداء ثلاثة أصناف :
أحدها : عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم
قاله .

الثاني : عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول .

الثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ .
(١)
وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة " .

أما هذه الأسباب فهي كالتالي :

(١) أن يكون الحديث لم يبلغ من خالفه من الأئمة ، وحينئذ
لم يكن المخالف مكلفا بما لا يعلم ، ولكنه يقول بموجب
نص آخر من آية أو حديث أو قياس ، وقد يوافق الحديث
الذي لم يبلغه أو يخالفه ، وهذا هو الغالب في أقوال
السلف المخالفة لبعض النصوص فهي أقوال تستند إلى
ظواهر نصوص أخرى قد توافق النص المجهول تارة وقد
تخالفه تارة ، وسبب هذا يعود إلى اختلاف الرواة
والروايات وتعدد المجالس التي يروى فيها الرواة عن
الرسول صلى الله عليه وسلم أو عمن يروون عنه من
أصحابه ، وتفاوت الرواة أيضا في الدرجة العلمية سعة
وقلة ، ولا يمكن أن يحيط أحد بالسنة من الصحابة إلى من
بعدهم فكيف بالأئمة الذين مادونت دواوين السنة إلا بعد
وفاتهم .

(٢) كون الحديث بلغ المخالف له من الأئمة ولكنه لم يثبت
عنده لما في إسناده من الرواة المطعون فيهم بسبب من

الأسباب ، أو انقطاع فى سنده أو طعن فى لفظ الحديث ، وقد يرويه لغير المخالف ثقات باسناد متصل ، وهذا السبب كثير من التابعين الى الأئمة لانتشار السنة والرواة فى الآفاق .

(٣) اعتقاد المخالف بأن الحديث ضعيف باجتهاد غيره بغض النظر عن طريق آخر له ، وهذا يعود الى معرفة علم الرجال وعلل الرواية والرواة وهو فن دقيق متشعب تسابق فيه نقاد وجهابذة كبار دققوا فى أحوال الرواة والبلدان التى هى مصدر الرواية ومواطن الرواة وشيوخهم .

(٤) من أسباب مخالفة الحديث الشروط التى عند الأئمة فى الخبر الواحد وهم يتفاوتون فى هذه الشروط كعرض الخبر الواحد على الكتاب والسنة ، أو اشتراط الراوى فقيها أو اشتراط أن يكون الخبر منتشرا ، ونحو ذلك فكل يتمسك بشرطه ، ولكن هذه الشروط كلها للتثبت والاحتياط وتدل على أنهم يحرصون على السنة الشابتة الصحيحة لا الراى ولا التقليد .

(٥) ومن أسباب مخالفة الحديث أن يبلغ بعض الأئمة أو التابعين أو الصحابة ولكنه نسيه كقصة عمر وعمار رضى الله عنهما لما سئل عمر عن رجل أصابته الجنبابة فى السفر ولم يجد الماء فأفتى بأنه لايملى حتى يجد الماء فرد عليه عمار مذكرا اياه ماحدث لهما فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أصابتهما جنبابة فتمرغ عمار وصلى ، وأما عمر فلم يصل فأخبر النبى صلى الله عليه

- وسلم بما حصل لهما فقال لعمار : " انما يكفيك هكذا " وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه ، وعمر لازال مع نسيانه ولكنه لم يكذب عمارا وأمره برواية القصة .^(١)
- (٦) الاختلاف فى دلالة الحديث بين الأئمة فيكون سببا لمخالفة الحديث ، فلا يعمل به لأنه لا يدل على الحكم عنده بينما يدل عليه عند غيره ، وذلك بسبب غرابة اللفظ كالحديث "الاطلاق ولاعتاق فى اغلاق"^(٢) .
- فالاطلاق فسر بالاكراه ، والبعض يرفض هذا التفسير ، وهذا يعود الى اختلاف اللغة والعرف ، أو يكون اللفظ مشتركا أو مجملا أو مترددا بين الحقيقة والمجاز كفهم بعض المحابة الخيط الأبيض والخيط الأسود خيطا حقيقيا فى قوله تعالى :^(٣)
- {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر} .
- وكحمل بعضهم اليد الى الابط فى قوله تعالى :^(٤)
- {فامسحوا بوجوهكم وأيديكم} .
- (٧) الاعتقاد بأن الحديث يعارضه ما يدل على ضعفه أو نسخه أو تأويله . وفى هذا تفصيل كثير عند أهل العلم فى مناقشة النصوص والاستدلال بها ولايتسع لها المجال هنا .^(٥)

(١) القصة رواها مسلم فى كتاب الحيض رقم ١١٢ .

(٢) رواه أبو داود (باب فى الطلاق على غلط) ، وابن ماجه ، قال المنذرى وفى اسناده محمد بن عبيد بن صالح المكي وهو ضعيف والمحموظ فيه "اغلاق" وفسروه بالاكراه ، لأن المكره يغلق عليه أمره وتمرفه . وأبو داود فسرته بالغضب ، مختصر سنن أبى داود ١١٨/٣ .

(٣) الآية من سورة البقرة : ١٨٧

(٤) الآية من سورة المائدة : ٦

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٢٠/٢٣٣-٢٥٠ ، مقدمة بداية المجتهد لابن رشد .

الاختلاف والتنازع من أبغض الأمور الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو كان فى الأمور العادية ، فكيف فى الدين ؟
(١)
ولكن لامهرب من الاختلاف لأنه من طبائع البشر كما قال تعالى :
{ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم} .
(٢)
وقوله :

{ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد} .

والاختلاف المذموم هو ماينتج عنه تفرق المسلمين الذين اراد الله سبحانه وتعالى أن يكونوا جسدا واحدا ولهذا لايرفاه السلف وأغلقوا أبوابه ما استطاعوا ، وخاصة مايتعلق بالعقيدة وأصول الدين وماصرح به فى الأحكام وقطع به فى الكتاب والسنة ، أما ما ليس فيه دليل فيرون الاجتهاد فيه بمنهج وسلوك بعيدين عن وسائل الفرقة والاختلاف .. ومع هذا فقد رام بعض العلماء من المتأخرين أن يجعل الاختلاف رحمة بين الأمة وتيسيرا فى الدين متناسين مايؤدى اليه الاختلاف من النتائج الوخيمة وماذمه به الشرع .
(٣)

وخلاصة القول ان الاختلاف بين المذاهب والآراء نتج عنه التعصب الممقوت ومن التعصب توزعت الأمة وسادت الفرقة ، ولم يكن ذلك خاصا بالفروع فحسب بل حتى تجاوز الى الأصول ، ونصوص الكتاب والسنة ترد هذا وتعهده من القطيعة لما أمر الله به أن يؤمل بل ومن الكبائر ، فالواجب على المسلمين أن يتجنبوا كل مايؤدى الى الفرقة ، ولايكون ذلك الا بالعمل بما نص عليه الكتاب والسنة وبما صار عليه الاجماع من

(١) الآية من سورة هود : ١١٨-١١٩

(٢) الآية من سورة الأنفال : ٤٢

(٣) انظر : مقدمة المغنى لابن قدامة لمحمد رشيد رضا .

القضايا الظنية ، حرصا على بقاء قوة المسلمين التي بددها الاختلاف ، واذا عمل المسلمون بما نص عليه الكتاب والسنة وبما اتفقوا عليه اجماعا سوف لا يجدون حاجة الى الاختلاف وان وجدت الحاجة الى العمل بالمختلف فيه يمكن أن يفيق هذا الاختلاف بوسائل الوحدة الاسلامية وممالح تماسك الجماعة ، وذلك أمر ان حدث فقليل جدا ، ولكن المشكلة ان التقليد والتعصب والبدعة كل يحمل بعض المسلمين الى أن يبدأ في العمل بالاختلاف قبل أن ينظر في الكتاب والسنة وما صار عليه الاجماع ، كما أن المختلفين ساعة اختلافهم لم يفكروا في الأضرار التي تقع فيها الأمة بسبب الاختلاف وتقييده ومن ثم لابد لإنهاء الاختلاف الممقوت بين المسلمين - من اقضاء البدع والتقليد وتهوين شأن التعصب ، وان كانت هذه الأحوال في أصل نشأتها نشأت من الاختلاف ، وأما أن يثذر المسلمون من الاختلاف ويشكون من آثاره ونتائجه وبعضهم يتمسك بالبدعة ويرى آخرون أن الاسلام هو التقليد وهم متوزعون تحت شعارات التعصب الناشئ من اختلاف مبادئ فقههم وثقافتهم بل ومن أجناسهم وأوطانهم وألوانهم ولغاتهم ، فان أى معالجة للاختلاف لاتنجح ولاتوفق الى وحدة تضم شتاتا وتوحد فكرة وأهدافا وتنشئ قوة واتجاها واحدا ، ماداموا على تلك المظاهر المتباينة والمتناقضة ، ومعالجة الاختلاف في الأمة بمنهج الاختلاف وأساليبه من أقوى الأساليب في بقاء الاختلاف ، وهو خطأ يرتكبه المسلمون اليوم في محاولاتهم باعادة الاخوة الاسلامية ، وعلى المسلمين أن يدركوا ويستفيدوا من الخطأ الذي ارتكبه من سبقهم من المختلفين ونشأ الاختلاف بينهم أولا

ثم كتبوه وأوصلوه الى من بعدهم ، هذا خطأ تاريخى لامفر من الاعتراف بخطأ نتائجهم ، ولايستلزم ذلك الاعتقاد بأن أولئك يقدمون هذه النتائج الوخيمة ، بل نحمل ماوصل منهم على حسن النية ، وانما النتائج هى التى أحكمت هذا الواقع ، ومن هنا أصبحت درسا لاينسى للمسلمين فى دور معالجتهم للخلاف بأن لايعالجوه بمثله ، ولايطمعوا أنه ينتهى والبدعة مختلف فيها أهى بدعة أم سنة ؟ والتقليد قائم . أهو اتباع أم ابتداع ؟ والتعصب نشط ويصنف الأمة بناء على اللون والأجناس والأوطان واللفات ، بل والنظريات المادية المستوردة بقوانينها وثقافتها وسياساتها وتكتلاتها التى تتفق فى التعمية على العقيدة الإسلامية التى جمعت مافرق وألفت بين قلوب متنافرة .

المبحث الخامس

القومية

العالم قبل الاسلام تتوزعه قوميات شتى وعنصريات متعددة الاشكال ، وكلها تشترك فى تدمير انسانية الانسان المكرم وتجتهد فى توسيع فرقة المجتمع البشرى ، فلم تكن الاسرة تعود الى اصولها وتتماسك مع الفروع التى تفرعت معها من الاصل وانما كل أسرة فى هذا المجتمع البشرى تتوزع اوامرها ويفترق افرادها الى أن تصير اسرا فقبائل فشعوب وهكذا ..

ولما جاء الاسلام نجد الاهواء المستحكمة والعقبات المفرقة متأصلة فى الجميع سواء من كان على بقايا دين محرف أو من كان على تقاليد وثنية جاهلية تأصلت فى الآباء والعشائر ، فالحكم القبلى أو الاقطاعى أو نحوهما كلاهما يهيمن على تصرفات الجميع ، والتسابق فى الابتداع وتنوع ادوات البدعة ونظرياتها هو الطابع العام والخاص لكل فرد وجماعة ودولة ، مع التمسك بتقليد من سبق فى هذا ومن ثم كان الاختلاف والتضارب بين القلوب والتدابير بين الاهواء والاهداف هو الصورة العامة السائدة لكل المجتمعات الجاهلية قبل الاسلام سواء كانت مجتمعات قبلية كالمجتمع العربى ، أو ممالك اقطاعية تسوم الناس خسفا كالفرس والرومان ، أو أمم أصابها الانحراف والذل بسبب التلاعب بالنبوات كأهل الكتاب .

وبناء على هذا الجو الاجتماعى للعالم قبل الاسلام سادته قوميات وعنصريات ممقوتة لاهداف لها الا تقديس شخص أو جنس أو نظرية بدعية شركية .

هذه هي الصورة المستحكمة حينما جاءت الرسالة الاسلامية وقام الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به معه والوحي يؤازره لمحو هذه الصورة القاتمة ، وتحطيم سدود الظلم وجسور الوهم التى منعت فى المجتمع البشرى ، فكل من قبل الاسلام وانضم مع المؤمنين يلزمه رفض هذه العنصريات الجاهلية .

وجاء الاسلام وكل الكرامة الانسانية فى ممارسة العنصرية تكاد أن تكون محدودة حسب تصورات العنصريين - وقف على طبقات معينة وبيوت خاصة ، أو أفراد مخصصين لمقامات معروفة ، أما السواد الاعظم فى المجتمعات البشرية فهو غشاء لا وزن له ولاكرامة ولاانسانية ، فأما الدعوة الاسلامية فقد أعلنت ألا وزن للطبقية والجنس واللون وغير ذلك من الاواصر المادية التى تهدم كيان البشر ووشائج القربى والتعاون والتعارف ، وجاء الاسلام بالعقيدة والتقوى لتنشأ الامة المؤمنة على ذلك .^(١)

"فالعلاقة فى مجتمع المؤمنين ليست علاقة الدم والقرباة وليست علاقة القبيلة والاسرة ، وانما هى علاقة الايمان بالله والعمل الصالح ، وماعداها لا يوضع موضع الاعتبار اطلاقا عند تقييم الروابط التى يرتبط بها الافراد فيما بينهم فى مجتمع الرسالة ، وانه ينبغى لقائد مجتمع المؤمنين أن يهتم بأفراد المجتمع على أساس الايمان بينهم ، وليس على أساس

(١) انظر معالم فى الطريق لسيد قطب ص ٧١ ، وهذا الدين له ص ٨٤، ٧٩ ، ط ٤ .

(١)

القرابة وصلة الدم الذى يجرى فى عروقهم " .

وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو مالك الأشعرى رضى الله عنه : " ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى أنسابكم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فمن كان له قلب صالح منن الله عليه وانما أنتم بنو آدم واحبكم اليه اتقاكم " .^(٢)

والكريم اذن هو الكريم عند الله ، وماعدا هذا يسقط ويرتفع هذا الميزان الذى أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : "لواء التقوى فى ظل الله ، وهذا هو اللواء الذى رفعه الاسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس ، والعصبية للأرض ، والعصبية للقبيلة ، والعصبية للبيت وكلها من الجاهلية واليهما تنزىا بشتى الأزياء ، وتسمى بشتى الاسماء ، وكلها جاهلية عارية من الاسلام ، وقد حارب الاسلام هذه العصبية فى كل صورها وأشكالها ، ليقم نظامه الانسانى العائلى فى ظل راية واحدة : راية الله .. لاراية الوطنية ، ولاراية القومية ، ولاراية البيت ، ولاراية الجنس فكلها رايات زائغة لايعرفها الاسلام " .^(٣)

والدعوة الاسلامية وقفت فى وجه الشرك لتثببت العقيدة ولم تفرق بين شرك بالاصنام والاشخاص والعادات ، وبين شرك

(١) القرآن والمجتمع لمحمد البهى ص ٧٨-٧٩ .
 (٢) عبيد أو عبد الله بن الحارث ، مات فى طاعون عمواس سنة ١٨هـ . التقريب ٤٦٨/٢ .
 (٣) رواه مسلم ، النووى على صحيح مسلم فى كتاب البر والصلة ٢١/١٦ ، ورواه ابن ماجه ١٣٨٨/٢ .
 (٤) ظلال القرآن لسيد قطب ص ٣٣٤٨ مجلد ٦ .

بالأرض والجنس واللون والنسب وكل ماتحمله القومية والعنصرية من الأوصاف والالقباب ترده الدعوة الإسلامية ، وتوجه المؤمنين بالعقيدة الى رفضه دون تفريق بين شرك وشرك .^(١)

وتكونت الأمة الإسلامية على هذا المفهوم وعلى وحدة كان منهجها العقيدة الصحيحة والتقوى وعندها مفترق الطرق ، وجاء القرآن الكريم لبيان هذا ، قال تعالى : {يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير } .^(٢)

ولما عادت تلك العقبات وانتشرت فى الأمة من اختلاف وابتداع فى الدين وتمسك بتقليد مذموم وتحاكم الى غير كتاب الله تعالى والى غير سنة رسوله صلى الله عليه وسلم عادت القوميات والعنصريات التى فرقت الأمة وشثت جمعها وتماسكها وأضعفت قوتها فذهب ريحها .

وقد بدأ التنفس العنصرى والانحياز القومى من عهد الأمويين ، ولكنه بدأ فى جسم أمة قوية ظاهرة غير أنه ينمو كخلية صغيرة فى جسم صحيح قوى تبدو أحيانا وتختفى تارة للمناعة الكبرى التى يتحلى بها هذا الجسم ، ولم يتبين من شروبه الا ماكان بين الأحزاب المتصارعة على الحكم وقد تضعف وقد تقوى أحيانا الى أن انتهت الخلافة الأموية والعباسية وماعقب ذلك من الامارات الإسلامية حتى جاءت الخلافة العثمانية التى وجدت الأمة الإسلامية رغم سعتها وضخامتها وتعدد الطوائف فى داخلها وبذور القومية متناشرة فى أرض الاسلام وجراشيمها

(١) انظر معالم فى الطريق لسيد قطب ص ١٩٢ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣

مختلفة فى أجسام كثيرة لاتنتظر الا مرضا هاجما لتنمو وتتحرك فى هذا الجسم العملاق النائم (الامة الاسلامية فى آخر عهد الخلافة العثمانية) ، فلما أقبلت أوروبا وتشابكت مع الخلافة العثمانية وكان الأوروبيون أكبر مايتحلون به فى أخلاقهم وفى جميع اتجاهاتهم وأهدافهم ومنطلقاتهم العنصرية والقومية والوطنية والاقليمية ، بدأوا يغذون تلك الجراثيم الضعيفة المنتشرة فى كثير من أفراد الامة الاسلامية وجماعاتها ، وكان هذا بمثابة اللقاح وعدوى من مرض عضال فى الغربيين الى جسم الامة الاسلامية فسرى هذا المرض فى الامة ومن ثم نمت جراثيمه وانفجرت أورامه ، وفى الاتراك قامت دعايات عنصرية قومية تمجد القومية التركية والطورانية ، تدعو بالعودة الى أمجادهم الجاهلية أمثال جنكيز خان وهولاكو ، وعلى رأس هذه القومية التركية الكماليون الذين سعوا لرفض الاسلام كليا ومحاربة اللغة العربية ومحوها من تركيا حتى فى الصلاة وأسقطوا الخلافة بالمعاونة مع اليهود ، ومن ورائهم من دول الاستعمار النصرانية وقبل ظهور القومية التركية الشعبية الفارسية التى بدأت من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالكيد للاسلام فجعل الفرس يخططون للنيل من الاسلام واضعاف اللغة العربية والوقوف أمامها لئلا تستعرب فارس ، وهبت قوميات أخرى فى البلاد الاسلامية ، كالقومية العربية وكلها ينفخ فيها اليهود ودول الاستعمار فنتج من ذلك ضعف الخلافة العثمانية ثم اسقاطها وتوزيع البلاد الاسلامية بين المستعمرين المتحالفين على الغلبة بالتفريق بين المسلمين

(١)

وبين أجناسهم وأوطانهم وألوانهم ولغاتهم .

وبعد ذلك نشأت القومية بكل ماتتضمنه هذه الكلمة من معانى التفريق والذس وخاصة القومية العربية التى أنشأها نصارى بدعم من دول الاستعمار وأرادوا أن يستقطبوا تحت لوائها العرب جميعا وهم أصحاب الرسالة السماوية وينفر عنهم الأتراك باسم القومية التركية ، والفرس باسم القومية الفارسية ، والهنود باسم القومية الهندية ، والجاوى باسم القومية الاندونوسية ، والزنج باسم القوميات الزنجية ، بل وحتى القومية العربية التى ركز الأعداء على فصلها عن القوميات الأخرى من المسلمين ركزوا أيضا على تفريقها وتقطيعها الى قوميات أخرى يجب أن تستقل كل واحدة عن الأخرى فقامت الدعايات بأحياء القومية الفرعونية فى مصر ، والآشورية والكنعانية فى الشام ، والبابلية فى العراق ، والبربرية فى الشمال الأفريقى ، وكلها كما هو معروف فى التاريخ انتهت مع الفتح الأول واستعرب أهلها ودخلوا فى الاسلام واختلطوا مع العرب الفاتحين فلم يعد لهذه النسب والقوميات وجود صحيح كامل ينفصل عن العرب والعروبة ، ويبدو أن الغايات التى حددتها القومية لاتزال هى الأهداف للقوميين ولمن يساندهم كالتضييق على كل ما هو عربى الى أن يأتى اليوم الذى يعلن فيه القوميون أنه لا يوجد عربى الا فى شبه الجزيرة العربية ، ولا ينطق أحد باللغة العربية من هذه

(١) انظر حاضـر العالم الاسلامى للامير شكيب أرسلان ١٥٦/١-١٧٣ ط٤ ، دار الفكر ، لبنان ، وانظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ، الفصل الثانى : الجنسية والوطنية فى أوروبا من الباب الرابع : العصر الأوروبى .

البلدان التي أعربها الاسلام وحول شعوبها الى اخوة واحدة في أمة واحدة تتلو الكتاب العربي (القرآن الكريم) ، ومن ثم يتغلب على الاسلام الذي سلب الجاهلية القوة وحول فرقته الى وحدة اسلامية لافرق فيها بين لون ولون ، وبين جنس وجنس ، ووطن ووطن الا بالتقوى {ان أكرمكم عند الله أتقاكم} .

تبين مما سبق أن القومية بكل وجوها دعوة غربية لمحاربة الاخوة الاسلامية والوحدة اليمانية التي نشأت عليها أمة القرآن ، واغتر بهذه الدعاية النصرانية واليهودية كثير من المخدوعين الجاهلين وفرح بهم ونصرهم أرباب الالحاد والكيد للاسلام وهي باطل واضح ، ومنكر سافر ، وجاهلية جهلاء ، وذلك لأمور :

الأول : أنها تفرق بين المسلمين وتفصل بين العرب وغيرهم من اخوانهم المسلمين وبين العرب أنفسهم ، لأنهم لا يرتضونها جميعا بل لا يرضى بها الا الدخلاء المدسوسون من النصارى واليهود والشيوعيين ونحوهم من الطوائف التي ليست من الاسلام في شيء ، وكل ما يجعل المسلمين أحزابا باطل ، وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في بيان هذا .

الثاني : أن الاسلام بكل تعاليمه نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها لما تدعو اليه من الفرقة والهمجية والطائفية ونصرة غير الحق .

الثالث : الدعوة الى القومية والتمسك بها دعوة الى موالة الكفار دون المسلمين واتخاذ البطانة منهم والتعاون معهم ضد الاخوة الاسلامية ، وكل ذلك ترفضه النصوص من الكتاب والسنة ، ويأباه الايمان الصحيح .

الرابع : الدعوة الى القومية والتكتل تحت رايتها
يؤدي المجتمع الى رفض حكم الكتاب والسنة ، لان القوميين من
غير المسلمين لن يرضوا بهما ومن ثم يكون من ينضم معهم تحت
(١)
شعار القومية .

(١) انظر : نقد القومية العربية على ضوء الاسلام والواقع
لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ص ٨-٢٧ ، مطبعة
المكتب الاسلامي ، دمشق سنة ١٣٨٤هـ .

كيف نشأت القومية فى البلاد الاسلامية

ولاشك أن القومية داء خطير ليس على الاسلام والمسلمين فحسب ، بل على الانسانية برمتها ، وحسب ماقرأت عن القومية وسمعت فى محاضرات شيوخوا أذكر مظهر لى من أثر القومية فى الامة الاسلامية بايجاز فيما يلى :

أولا : القومية الفارسية .

فيما يظهر لى من أقدم القوميات ظهورا ودعاية وفسادا فى الامة الاسلامية ، لانها ترتبط بالشعبوية التى كانت فى مبدئها تنظيم الكيد للاسلام ، فدخل كثير من الفرس فى الاسلام بعد هزيمة الامبراطورية الفارسية كان فى الواقع كدخل المنافقين فى الاسلام بعد معركة بدر - من أهل المدينة ومن حولها من الأعراب الذين دخلوا فى الاسلام لحماية دماءهم وأموالهم ، فالفرس الذين لم يحسن اسلامهم ولم يصدقوا فى ايمانهم هم الذين حملوا فى الحقيقة راية الشعبوية التى تنبنى على تمجيد القومية الفارسية وتحقيق الاسلام ، وقد تولد من هذا الاتجاه الخطير البدعة الكبرى التى مزقت الامة وفرقت جموعها وأسقطت دولها ، وخانت المسلمين فى مواقف كثيرة ولا تزال هذه الخيانات مستمرة ، ألا. وهى بدعة التشيع والرفض ، فمن يريد أن يعيها ويفهمها من أين تناسلت فعليه بأن يعي موقف الشعبوية وخبرائها اليهود كعبد الله بن سبا اليهودى اليمنى ، ولما استيقظت القوميات فى البلاد الاسلامية وأشارتها دول الاستعمار أبان ضعف الخلافة العثمانية ظهرت هذه الشعبوية الفارسية ويساندها التشيع الكاذب فى قومية

فارسية ايرانية ظاهرة تعتز بكل قديم للوثنية ، والاستعمار
 ينفخ فيها ، ومن أبرز آثار هذه الشعوبية وهذه القومية
 الممقوتة أن بلاد فارس كاد أن يكون أول بلاد اسلامية تستعرب
 وتأخذ باللغة العربية في الخاص والعام ، لولا أن هذا
 التعصب وقف في طريق ذلك منذ الايام الاولى للاسلام في ايران ،
 وقد ظهر علماء أجلاء في علوم اللغة العربية والسنة من الفرس
 وذلك يدل على أن الاقبال على الاسلام ولغته في أول الامر كان
 كبيرا ، لولا كيد هذه القومية التي تولدت من الشعوبية
 وتمنع ماتمنع كثيرا باسم التشيع !!..

ثانيا : القومية التركية .

الأتراك شعب قوى هجم أصولهم على الخلافة الاسلامية في
 بغداد فأسقطوها ودمروها وأفسدوا في الأرض فسادا كبيرا ،
 ولكن الاسلام غلبهم فيما بعد حيث دخلوا في الاسلام متأثرين
 بالمسلمين أنفسهم ، ومرت الايام حتى نشأت الامارة العثمانية
 وامتدت الاسباب الى أن صارت هذه الامارة خلافة رغم جهل
 أصحابها بحقيقة الاسلام ، فلما ضعفت هذه الخلافة نشأت فيها
 جماعة الترقى وجماعة أتاتورك الكماليون والكبرياء يسودهم
 والجهل قد امتلأت به نفوسهم ، ونسوا أن تمكن العثمانيين في
 زعامة الأمة الاسلامية لم يكن الا بواسطة دخولهم في الاسلام ،
 ولم يكن بالسطوة ولا بالجبروت ، فان ذلك لم يثبت هولاكو
 قبلهم ، ولكن هؤلاء الانصار الكماليين من الأتراك ظنوا أن
 المجد الذي وصل اليه الأتراك في زعامة العالم الاسلامي إنما
 هو بالشجاعة والبسالة الحربية التي عرف بها العنصر التركي
 فجعل القوميون الأتراك يعيدون القومية والهمجية الطورانية

ودول الغرب المتحالفة ضد الخلافة العثمانية واليهود والنصارى الذميين داخل البلاد الإسلامية ، كل أولئك يطبل ويمفق للمفسدين من الأتراك ويقولون لهم ان لكم مجدا قبل الاسلام جنكيز خان والقومية الطورانية ، وأنتم أيضا من شعوب البحر الأبيض المتوسط ومن شعوب أوروبا ، فكانت النتائج السيئة على تركيا نفسها سقطت الخلافة الإسلامية ، ومن آثار هذه القومية البغيضة ضعف المسلمين في شرق أوروبا وضم الشيوعية الحمراء لهم ، فلو أن تركيا بقيت على قوتها الإسلامية واعتزازها بالاسلام لمارت مأوى وملجأ لهؤلاء المسلمين الذين نزل بهم منازل ، لكن تركيا بدل من أن تكون كذلك اعتزت بأوروبيتها وسلب أرضها وكان لم تكن .

ثالثا : القومية العربية .

لقد فتح العرب قلوبهم لمن يدخل في الاسلام في أيام الفتوحات الإسلامية وطبقوا الاخوة الإسلامية بينهم وبين غيرهم ممن دخل في الاسلام ، ومن آثار ذلك تمكن الفرس والترك في الخلافة العباسية وماعاقبها من الامارات في البلاد الإسلامية الى أن جاءت الخلافة العثمانية ، ومن خلال هذا التلاحم ظهرت عصبية فارسية وتركية ، وكان هذا من أبرز العوامل لظهور العصبية والقومية العربية التي بدأت فرقها من أواخر الدولة العثمانية بسبب عصبية القومية التركية التي رمت العرب من الخلف واستهانت بهم ، فلما استيقظت العنصرية الأوروبية في البلاد الإسلامية انتهز النصارى واليهود في البلاد الإسلامية هذه الفرصة فغذوا تلك البذور القومية في نفوس عوام وجهال في البلاد العربية ، وركزت دعاية النصارى

واليهود ودول الاستعمار على فريقين لرفع علم القومية العربية :

(أ) الطوائف المنحرفة في البلاد العربية وهي التي تولد منها أحزاب البعث والاشتراكية والثورية والتقدمية والعلمانية ، وكلها تحت شعار القومية العربية التي اجتهد المستعمرون والمستشرقون وسفراؤهم من النصارى واليهود في البلاد العربية أن تكون نظرية قوية وعقيدة راسخة بدل العقيدة الإسلامية والاخوة الإيمانية ، وقد بلغ هذا الاغراء للقوميين العرب إلى حد أنهم وعدوا بإعادة الخلافة "عربية" .

(ب) القيادات في البلاد العربية التي صنعها الاستعمار ، وكانت تربيتها بالبدع فالتقت البدعة الناشئة من قرون في المجتمع مع أهداف الاستعمار ، فصنعت هذه القيادات ومن يصفق لها لرفع شعار القومية ، ولكن ماهى النتائج ؟

١ - تعاون القومية العربية مع القومية التركية لإسقاط الخلافة العثمانية .

٢ - توزع البلاد العربية بين دول الاستعمار ما عدا البلد الذي حماه الله تعالى بالعقيدة ، ثم بقيادة تتخذ من الإسلام منهجا وتحمي كرامة المسلمين ، وتعيد عزة العرب بالإسلام واستقلال شخصيتهم كما هو واقع المملكة العربية السعودية ومؤسسها رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وأشابه على ما قدم للإسلام والمسلمين الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

٣ - تمكين الطوائف الحاكمة على الاسلام من قيادة بعض البلاد العربية فسفكت الدماء ، وأهانت العلم والعلماء ، وشردت الأبرياء ، وحاربت الدعوة الاسلامية فى كل خصائصها العقائدية والتعبدية والاجتماعية كما هو صنيع القومية فى العراق وسوريا .

ومن آثار الدعاية تحت شعار القومية العربية "القضية الفلسطينية" حينما استطاعت العنصرية الغربية أن توجه العرب بأنهم لا يطلبون حقوقهم ولا يدافعون عن أنفسهم الا بأساليب القومية العربية لابلشخصية العرب الاسلامية ، ومن آثارها المصراع المدمر فى لبنان ، وكل كراهية وشحناء فى البلاد العربية ، فانه من آثار القومية العربية . ومن أهم آثار القومية وأضرارها على العرب أنفسهم أنها أسقطتهم فى أعين المسلمين الذين كانوا يسلمون للعرب بالقيادة وينتظرون منهم الخير للانسانية ، فاذا هذه العنصرية الضيقة الجاهلة تسلب العرب مكانتهم الاجتماعية والتاريخية وزعامتهم للامة الاسلامية لحملهم الرسالة السماوية .

ومن الآثار السيئة لهذه القومية المفرقة : أن الشعوب الأخرى من المسلمين لما سمعوا بهذه القومية فى البلاد العربية تراجعوا أيضا للبحث عن قومياتهم والاعتزاز بها دون الأخوة الاسلامية ورابطتها القوية . فظهر فى المسلمين القوميات الهدية والاندنوسية والحبشية والزنجية ، وجعل المستعمرون يدفعون بعجلة كل قومية ويلقون بذور الاختلاف والتباغض والتخاذل بين المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله .

والقومية ليست بموضوع علمى يعالج بمنهج علمى وإنما هى فساد وتشويش ألقى بين الأمة الإسلامية لعلها تغلب على أمرها ومانجم من الفساد بسببها ، وراج من الفوضى فى الأمة الإسلامية ماكان الا عن غفلة وذهول من المسلمين ، لأن القومية فى واقعها أحقر وأصغر من أن توجد فى الأمة ضعفا وفى صفوها فرقة ، حيث أن هذه الأمة الإسلامية تكونت برضاها وحسن قصدتها من أجناس متباينة الألوان والأوطان واللغات ، وعاشت على هذا التكوين قرونا واستمرت قوتها ، وكلما تقدم بها الزمن ازدادت توسعا ووضوح لكل ذى عقل أن الاخاء بين البشر والتلاحم بين الأجناس هو الأصلح والأوفق ، وليس معنى هذا أن نستهيى ببذور الفرقة والشحناء والبغضاء التى تزرعها كل عنصرية بين المسلمين فى أوطانهم ، ولكن قصدى هو أننا وان كنا نقف فى وجه هذه الأفكار الهدامة بالنقد والرفض الكامل ، فلاينبغى أيضا أن تشغل وقتنا كله ولاينبغى أن نقوم بمهمة التوشيق لأراء أصحابها وتجد مكانا فى المكتبة الإسلامية العامة من خلال نقدنا ورفضنا لها ، لأننا بذلك سنمكن من بعدنا من أفكار ونصوص أصحاب القومية بل ومن أسمائهم ومن يدرى أن ذلك يكون تراشا فيما بعد يعتز به ويكون له اعتبار فى المنهج كما صار للأفكار الفلسفية التى اختلطت بعقيدة المسلمين وبحوثهم العلمية فى الأصول بسبب الترجمة الغير مفيدة ، ومن يحول بين الغربيين والمفتونين من الملاحدة وبين دعواهم أن مايجدونه فى تراشنا الإسلامى من النظريات والاتجاهات الفاسدة هى من التراث الإسلامى ، بل الكتب التى بها هى مصادرهم ولايبالون بالرد والنقد ، بل ويتجاهلونه

فهم لا يقرأون لابن تيمية ولا ابن حجر العسقلاني ولا لى أحد من
جهاذة النقد فى التحقيق والتوثيق ؟

ويبدو لى والله أعلم أن شحن الرسائل العلمية بأسماء
القوميين من نصارى ويهود وشيوعيين والعوام الجاهلين من
المسلمين الذين فتنوا بهؤلاء ، وشحنها بنصوصهم وأقوالهم فى
المؤتمرات والنوادر والأحزاب السياسية ، يبدو لى أن ذلك
توثيق ومحافظة على هذا الهراء ولو كان من خلال النقد والرفض
فالذى أراه أن نلتزمه نحن المسلمين فى منهجنا وبحوثنا لنلا
يستخدمنا أولئك كما استخدموا وسائل الاعلام فى البلاد
الاسلامية أن يكون الرد شاملا لمثل هذه الافكار فلانفصلها عنها
بل نربط كل ما استجد من الافكار الهدامة بالبدع ونربطه
بتقليد غير المسلمين ، وقد بين سلفنا الصالح المنهج
العلمى فى مفهوم البدعة والتقليد المذموم والعصبية ،
والقومية وكل أشكال العنصرية بدع وتقليد وتعمب ، فعلينا
بيان ذلك بمنهجنا نحن المسلمين دون خدمة أسماء العنصريين
وأقوالهم فلندعها تموت ولنزلها من كتبنا ، وإذا تكلمنا فى
مواقف خطابية وميادين حوارية نذكرها ونبطلها ، ولكن
لاندونها ولا نوثقها ، وفى نفس الوقت لانتردد فى الحكم على
ماجد من هذا الهراء من أن نلقبه بأنه بدعة وأنه تقليد
وأنه عصبية جاهلية ، لأن هذه الأساليب درج عليها سلفنا
الصالح ولهم فيها مناهج وأساليب الاستدلال والتوثيق ، ويبدو
أن مكرا مكره الغزو الفكرى هو أن نتخلى عن هذا المنهج
ونضيق ذرعنا أن يقال بدعة وأن يقال تقليد ، وأن يناقش
الاختلاف وإنما يرضى عنا إذا استعملنا أساليب ومناهج فرضت
علينا .

الخاتمة

جرت عادة الرسائل الجامعية على تسجيل النتائج و خلاصة البحث فى النهاية ، ولكن هذا الموضوع لا يمكن فيه ذلك لانه هو نفسه استخلاص ونتائج أخذ من الكتاب والسنة ومواقف المسلمين الايجابية والسلبية ، وقد رايت من خلال معايشة هذا الموضوع منذ ان صار لى حديث النفس فى اليقظة واحلام النوم من مدة ليست قصيرة - ورايت من خلال تدبر الكتاب العزيز والسنة المطهرة والنواحى التطبيقية فى الحياة الاسلامية - رايت ان الاسلام فى جملته وتفصيله يريد بالناس جميعا تحقيق العبودية لله تعالى والاخلاص له فى تطبيق هذه العبودية ولا يكون هذا الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما امر ونهى ، واذا تحققت العبودية القلبية والفكرية والعملية التطبيقية لله تعالى باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم حقا سوف يؤدى كل مسلم حق اخيه المسلم بل وحق غير المسلم بدعوته الى الاسلام ليكون مساويا للداعى له الى الاسلام ، وهذه هى الخلاصة الموجزة وهى الوحدة فى العبودية من جميع الخلق لله تعالى ، والايمان برسوله وبكل ما جاء به واداء حقوق خلق الله .

ولكن لابد من وقفة تكون مقام النتائج والخلاصة واراها أولى وهى : المقترحات التى أرى أنها تفكنا بتوفيق من الله تعالى من وصمة الاختلاف والفرقة وهى كالتالى :

أولا : المقترحات العلمية والثقافية :

(١) الواقع يدعو المسلمين الى أن تتحد كلمتهم ويتفق موقفهم نحو القضايا العلمية المتجددة من حيث

الاستفادة منها والمساهمة بل والريادة ، كما هو الاصل
فى ابتكارها ، واستثمارها للدعوة الاسلامية وقوة
المسلمين خلاف تفريقهم وبليلة مشاعرهم وزعزعة عقيدتهم
بسبب هذه القضايا العلمية المتجددة .

(٢) المحوة الاسلامية الجديدة يجب أن يكون مقصودها العودة
الى القرآن والسنة والابتعاد عن التكلف والتنطع ،
والاتفاق على ما هو بدعة ليجتنب فى جميع مظاهر
المسلمين ابتداء من مظاهر الشرك الى أبسط كلمة
يقولها المسلم تتنافى مع العبودية والاتباع .

(٣) الاتفاق من جميع البلاد الاسلامية على دراسة القرآن
الكريم حفظا وتجويدا من البداية لأبناء المسلمين وألا
يسبق الى أذهانهم شيء غير القرآن الكريم ، ليكون هو
الاساس لكل دارس من البنين والبنات ، فلا يجوز التفاوت
بين الدارسين والناشئين فى دراسة القرآن مهما كان
اتجاههم العلمى والتخصى ، لأن تربية بعض أبناء
المسلمين بالقرآن فى بداية حياته وتربية البعض الآخر
بغير القرآن يحدث فى الامة فرقة لوجود فريقين
متناقضين من أبنائها : فريق ينطلق من القرآن والسنة
وفريق من غيرهما فمتى يكون الوفاق ؟ ومتى تظهر قوة
الجماعة ؟

(٤) دراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة العطرة
من الناحية التطبيقية والسلوكية يجب أيضا أن يستوى
الجميع من البداية الى النهاية فليس من المملحة
للمسلمين أن يدرس بعضهم فقه الكتاب والسنة ، والبعض
الآخر من أبناء المسلمين لا يدركون من ذلك شيئا مع

انتسابهم الى الاسلام .

ولا يمنع هذا أن يتفاوت أبناء المسلمين في المدارس والمعاهد والجامعات في الدراسة النظرية البحتة بأن يتميز المتخصصون في هذه الدراسة ، وأما الدراسة التي تجعل الدارس فقيها لكل الضروريات في العبادات والمعاملات والسلوك وتمايز الشخصية الإسلامية يجب أن يستوى فيها المهندس والقاضى والطبيب والمدرس والجندي والتاجر والراعى والرعية لنضمن الوفاق ، ووحدة السلوك والغاية بين أفراد الأمة جميعا أثرا من هذه الدراسة المشتركة الضرورية وهكذا كانت حياة الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فهم مستوون في هذا القدر من الفقه والسلوك والاتجاه ، وإن تفاوتوا في حفظ القرآن والسنة والتخصص العلمى فيهما .

(٥) أما ما يتعلق بالعقيدة من نصوص الكتاب والسنة وما أشير عن السلف الصالح من فقه هذه النصوص في العقيدة يجب أن يستوى فيه الجميع ، وأن لا تتفاوت فيه المناهج في جميع المؤسسات التعليمية من بدايتها الى نهايتها ، فكل فرد من المسلمين يجب أن يتخصص في العقيدة وخاصة أنها لا يدخل فيها الاجتهاد وإنما هي توقيفية نما ومعنى كما أنه يجب أن تتجرد الدراسة للعقيدة من كل جدل وفلسفة وتوسع في دراسة الفرق الكلامية حتى ينشأ جيل لا يعرف للعقيدة مصدرا غير الكتاب والسنة .

(٦) التوسع في تعليم اللغة العربية لأنها لغة القرآن والسنة والحضارة الإسلامية ويكون ذلك بالأمور التالية :

(١) الاهتمام بدراسة اللغة على شكل ومضمون واحد فى جميع المراحل قبل الجامعة فى المدارس والمعاهد والمراكز سواء كانت أهلية أو حكومية ، عسكرية أو مدنية مهنية أو غيرها ، وعلى العرب خاصة مسئولية وحدة هذا التعليم للغة فى البلاد غير الناطقة بالعربية بفتح معاهد اللغة فى كل بلد اسلامى أو غير اسلامى لتعليم اللغة العربية على قدر المستوى والمنهج الذى يتعلمها أبناء البلاد العربية فى بلادهم .

وباستقدام أبناء البلاد الاسلامية غير الناطقين بالعربية وتعليمهم اللغة واعادتهم الى تلك البلاد لنشر اللغة مع تشجيعهم فى وقت الطلب والعمل بالاستمرار وبلاحدود .

(ب) تخفيض وتقديم الدارسين بالعربية عن غيرهم كالطبيب الذى يؤدى وظيفته الانسانية ويستثمر هذا التخصص الهام بلغة الاسلام ، والمهندس والخبير الاقتصادى والمستشار القانونى ، ونحو هؤلاء الذين اراد الغرب أن يطبعهم بطابعه فاذا اتقنوا هذه اللغة وخدموا بها فهم أولى من غيرهم .

(ج) الحد من الترجمة والاقتصار فقط على الضرورى منها والتوسع فى ترجمة المفيد الى العربية من العلوم البحتة كالطب والهندسة والرياضيات والصناعة والزراعة وبهذا نضمن وحدة الثقافة بوحدة اللغة التى نزل بها القرآن الكريم وهى اللغة العربية ، ووحدة النظام والمناهج الاجتماعية والتربوية ليكون ذلك كله على نمط

وأسلوب واحد بين المسلمين في دولهم وفي جماعاتهم
وأفرادهم في غير دولهم .

(٧) الدراسة العالية (الجامعية) لها أهمية كبرى في صياغة
الوحدة وتوجيه الأمة لأن القادة والمشرفين على الحياة
الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية - كلهم في
الغالب قد مروا على الدراسة العالية في أي شكل من
أشكالها ، لذلك يجب على الجامعات ومافي معناها من
مؤسسات التي تؤهل للقيادة والاشراف مدنية أو عسكرية -
أن تهتم بوحدة المناهج الصالحة التي تشعر كل دارس
ومتدرب في البلاد الاسلامية أنه عضو من هذه الأمة ومسئول
عن وحدتها ، لهذا يجب على الجامعات ومافي معناها وضع
مناهج موحدة والعمل بها والمشاركة في المدرسين
والمدربين الذين يساندون هذه الوحدة لأن الأمة الاسلامية
أمة واحدة وثقافتها ومسئوليتها وغاياتها في الحياة
واحدة ليست كغيرها من الأمم التي تشعر كل واحدة أنها
غير الأخرى ، وأن مايلحقها خاص بها . ولنا في سلفنا
الصالح قدوة حيث نجد أساليب التعليم والمناهج في
البحث والتأليف لا تفترق وإن تفاوتت المدارك فالأدلة
والتبويب وشكل العرض وأهداف البحث وأسبابه متفقة
ولأشركون المؤلف أو الباحث أو الراوي أو المدرس أو
الامام أو الطالب ... من الأندلس أو من الشام أو من
بخارى أو من فارس وهكذا ، فهم جميعا خدموا الوحدة
الاسلامية بوحدة اللغة والمنهج والغايات .

(٨) وإذا تحقق ماتقدم فانه من الضروري أن يتحقق لازمه وهو الوحدة فى التربية وغايتها والدعوة وأسلوبها ، والفتوى وأدلتها والإشراف وشروطه ، والسياسة وأهدافها ويلاحظ أن هذه الأحوال والقضايا حمل من الاختلاف فيها فرقة بين المسلمين والمحاولات جادة فى الوفاق بين المسلمين من خلالها ، ولكن فيما يبدو لاجدوى من ذلك مادمننا نتهاون بوحدة المناهج من تلك الأسس التى ذكرتها فالوحدة من خلال القشور لاتفيد ولن تكون مادمننا لانتقى عند الباب ولاننطلق انطلاقة واحدة من خلال الأصول والمبادئ .

ثانيا : المقترحات الاجتماعية والسياسية :

- (١) البراءة من الولاء لغير المسلمين وخلع مايشدنا الى الأجانب فلايجوز الخزوع اليهم وخامة اذا كان فى ذلك مايفرق جمعنا نحن المسلمين ويضعف وحدتنا ، فيكون الاسلام هو الشامل لتوجهنا كله ، ولايمنع هذا العلاقات الدولية والسياسية بين المسلمين وغيرهم فى اطارها المشروع .
- (٢) شعور المسلمين بأنهم جسد واحد وتعارفهم بالاخوة الاسلامية وتطبيقها ، والمشاركة فى السراء والضراء .
- (٣) التعاون والتساند فى دفع كل الأضرار الموجهة الى المسلمين دولا وشعوبا وجماعات وأفرادا ليشعر كل مسلم بأن مايصيب اخوانه فى مكان آخر قد أصابه ، وكذلك يكون هذا التعاون والتساند فى جلب المنافع وتوفير المطالب لكل مسلم فى أى مكان ولاى بلد اسلامى .

- (٤) منع وإيقاف الحروب الأهلية في البلاد الإسلامية ، فلا يجوز أن يقوم بلد مسلم بحرب بلد آخر لأن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرام عليهم ، وأن هذه الحروب والمشاحنات تنافي الأخوة الإسلامية التي عقدها الله سبحانه وتعالى بين المسلمين ، وهذه الحروب محرمة سواء كانت بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالتحالف مع أعداء المسلمين ضدّهم أو بحمل السلاح أو بأي صورة من الصور التي تفرق المسلمين وتفجر النزاع بينهم .
- (٥) واجب على الحكومات الإسلامية والعلماء والأغنياء من المسلمين التوسع في إقامة المشاريع من أي لون كانت التي تدعم اشاعة الفضيلة والقيم الإسلامية بين المسلمين وهي مسئولية في حاجة إلى العلم الشرعي وهو دور العلماء ، وفي حاجة إلى عون مادي وسخاء يطلب وجه الله وهو دور الأغنياء من الدول والمؤسسات والأفراد ، وفي حاجة إلى إشراف سياسي وحماية شجاعة ، وهو دور القادة والساسة .
- (٦) ندعو الأمة إلى إقامة صندوق للتكافل الإسلامي في كل إقليم إسلامي ويمول بالتبرعات والزكوات والصدقة الجارية وهي الوقف ليمول هذا الصندوق المسلمين دولا وجماعات وأفرادا من المسلمين في العالم لئلا تضعفهم الأزمات ويذلهم الغير بسبب الحاجة .
- (٧) تنظيم اللقاءات بين المسلمين في بلدانهم ليتعارفوا ، واستغلال أي مناسبة لهذا حتى ولو كانت مجرد السياحة .

فهرست الآيات

الآية رقمها الصفحة

الفاتحة

مالك يوم الدين ٣ ٩٨

البقرة

١٦٦	٣-١	الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
٣٨٨/٣٧٧	٧-٦	ان الذين كفروا سواء عليهم
٢٦٩/٩٤	٩	يخادعون الله والذين آمنوا
٢٦٩	١٥	الله يستهزئ بهم
١٥٠	٢١	يا أيها الناس اعبدوا ربكم
١٤١	٢٣	وان كنتم فى ريب مما نزلنا
٤٣٧	٢٧	الذين ينقضون عهد الله
٥٥٥/٥٥٤	٢٩	هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا
٣٢٤/١٢١	٣١-٣٠	واذ قال ربك للملائكة
٦٩٩	٤١	وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم
١٨٦/١٦٧	٤٣	واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
٤٦٧	٤٤	اتامرون الناس بالبر
٣٧٦/١٦٧	٤٦-٤٥	واستعينوا بالصبر والملافة
٤٠١	٤٧	يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى

الآية	رقمها	المفحة
فبدل الذين ظلموا قولا	٥٩	٧٥
ان الذين آمنوا والذين هادوا	٦٢	٩٥
أفتطمعون أن يؤمنوا لكم	٧٥	٧٥
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا	٧٦	٢٠٨
واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل	٨٣	٦٣٢/١٨٦/١٦٨
من كان عدوا لله وملائكته ورسله	٩٨	٦٩
واتبعوا ماتتلوا الشياطين	١٠٢	٦٨٦/٢٣٩/٧٠
ود كثير من اهل الكتاب	١٠٩	٦٣٢
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	١١٠	١٨٦
ولله المشرق والمغرب	١١٥	١٤٥
بديع السموات والأرض	١١٧	٦٩٠
اذ قال له ربه أسلم	١٣١	١٦
تلك أمة قد خلت لها ما كسبت	١٣٣-١٣٤	٧٣٤
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا	١٣٦	٧٩٥
قل اتحاجوننا في الله	١٣٩	٢٠٨
كما أرسلنا فيكم رسولا منكم	١٥١	١٨٣
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله	١٥٣	١٦٧
وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة	١٦٧	٧١٢
واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	١٧٠	٧٣١/٧٢٥/٦٤٠
ان الذين يكتُمون ما أنزل الله	١٧٤	٧٠١
ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق	١٧٦	٧٧٦/٧٥٣
ليس البر أن تولوا وجوهكم	١٧٧	٥٣٣/١٨٨/١٤٧/٤٨
ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب	١٧٩	٥٩٨

الآية	رقمها	المفحة
أياما معدودات فمن كان منكم مريضا	١٨٤	٥٥٩/٢٤
شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن	١٨٥	٢٠٣/١٩٩/١٤٦/٣٢
وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب	١٨٦	٤١٠/١٤٥
أحل لكم ليلة الصيام الرفث	١٨٧	٨٠٥
واقتلوهم حيث شققتموهم	١٩١	٣٠١/٣٠٠
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٩٣	٣٠١
الشهر الحرام بالشهر الحرام	١٩٤	٢٧٠
واتموا الحج والعمرة لله	١٩٦	٥٥٩/٢١٣
أولئك لهم نصيب مما كسبوا	٢٠٢	٣٧٥/٢٢٠
يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم	٢٠٨	٧٦٨
سل بنى اسرائيل كم آتيناهم	٢١١	٢١٨
كان الناس امة واحدة	٢١٣	٧٧٩/٧٦٧/٢٧
		٧٦٦/٧٣
كتب عليكم القتال وهو كره لكم	٢١٦	٤٠٦
يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه	٢١٧	٦٤٣/٣٠٢
لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم	٢٢٥	٣٢٣
والمطلقات يتربصن بأنفسهن	٢٢٨	٩٥
والمطلقات متاع بالمعروف	٢٤١	٢٥٥
فلما فصل طالوت بالجنود	٢٤٩	٦١٧
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	٢٥٣	٧٥٥
يا أيها الذين آمنوا انفقوا	٢٥٤	٥٦٤
لا اكراه فى الدين	٢٥٦	٦٦٧/٤١٦/٥١٥
ألم تر الى الذى حاج ابراهيم	٢٥٨	٤٤٦

الآية	رقمها	المفحة
يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم	٢٦٤	١٨٤/٩٣
ان تبدوا الصدقات فنعما هي	٢٧١	١٨٤
الذين ينفقون أموالهم	٢٧٤	٥٦٣
الذين يأكلون الربا لا يقومون	٢٧٥-٢٨٠	٥٩٥/٢٥٠/٢٤٦/١٨٤
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه	٢٨٥	٨٠/٤٧/١١
لا يكلف الله نفسا الا وسعها	٢٨٦	٤٧٩/٢٥٧/١٤٣/٣٢

آل عمران

الم الله لا اله الا هو	٤-١	٧٤
ان الله لا يخفى عليه شيء	٦-٥	١٠٨
هو الذى أنزل عليك الكتاب	٧	٦٩٣/٦٩٢
كذاب آل فرعون والذين من قبلهم	١١	٤٦٠
ان الدين عند الله الاسلام	١٩	٧٧٩/١٦
الم تر الى الذين أوتوا نصيبا	٢٣	٦٧٩
قل اللهم مالك الملك	٢٦	١٠٨
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء	٢٨	٦٥١
قل ان كنتم تحبون الله	٣١-٣٢	٤٠٦
ان الله اصطفى آدم ونوحا	٣٣	٨٢
فتقبلها ربها بقبول حسن	٣٧	٥٣٣
ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليه	٤٤	٥٣٠
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين	٥٤	٧٩٥
اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك	٥٥	٧٨١

الآية	رقمها	الصفحة
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يفلونكم	٧٤-٦٩	٧١١/٦٣١
افغير دين الله يبغون	٨٣	٤٠٢
ومن يبتغ غير الاسلام ديناً	٨٥	١٥٥
فيه آيات بينات مقام ابراهيم	٩٧	٢١٢
واعتصموا بحبل الله جميعاً	١٠٣	٧٧٣/٦١٢/١٠٣
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير	١٠٤	٤٨٥/٤٧١
ولاتكونوا كالذين تفرقوا	١٠٥	٧٧٩/٧١٢/٦٩٢
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه	١٠٦	٦٩٣
كنتم خير امة اخرجت للناس	١١٠	٤٦١
ليسوا سواء من اهل الكتاب	١١٣-١١٥	٤٦٢/٩٥
الذين ينفقون في السراء والضراء	١٣٤	٦١١/٤٠٩
ولقد صدقكم الله وعده	١٥٢	٧٧٧
فبما رحمة من الله لنت لهم	١٥٩	٥٨٢/٣١٤
فان كذبوك فقد كذب رسول من قبلك	١٨٤	٧٤
واذ اخذ الله ميثاق الذين	١٨٧	٧٠١
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن	١٩٩	٤٦٢

النساء

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة	٤	٢٢٩
ولاتؤتوا السفهاء أموالكم	٥	٥٥٩
يوصيكم الله في أولادكم	١١	٧٩٧
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم	١٥	٤٣١

الآية	رقمها	الصفحة
يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم	١٩	٤٣١
ولا تنكحوا ما نكح آبائكم	٢٢-٢٤	٢٣٦
يريد الله أن يخفف عنكم	٢٨	٤٠٨
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم	٢٩	٢٢٩
ولا تاتمنوا ما فضل الله به	٣٢	٥٤٢
وان خفتهم شقاق بينهم	٣٥	٥٠٨
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا	٣٦	٥٦٣/٥٦٦/٥٣٢/١٣٨
والذين ينفقون أموالهم رياء الناس	٣٨-٣٩	٩٤
الم تر الى الذين أوتوا نصيبا	٤٤	٦٧٩
من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه	٤٦	٧٥
الم تر الى الذين يزكون أنفسهم	٤٩	١٨٢
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات	٥٨-٥٩	٥٧٦/٥٧٣/٤٣٦/٩٦
		٧٩٥/٧٨٣/٧٦٥/٦٠٣
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك	٦٥	٦٧٩
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون	٧٤	٣٠٢
ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله	٧٥	٦٤١
الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله	٧٦	٣٠٢
الم تر الى الذين قيل لهم	٧٧	١٨٦
اينما تكونوا يدرككم الموت	٧٨	٤٩
ما أصابك من حسنة فمن الله	٨٠	٦٧٤
أفلا يتدبرون القرآن	٨٢	٦٨١/٦٣٤/٧٦
واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف	٨٣	٧٣٩
فقاتل في سبيل الله	٨٤	٢٩٩

الآية	رقمها	الصفحة
واذا حييتم بتحية	٨٥	٥٣٠
ودوا لو تكفرون كما كفروا	٨٩	٦٣٢
ماكان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ	٩٢-٩٣	٦٠٠/٥٦٧
لايستوى القاعدون من المؤمنين	٩٥	٢٩٠
ان الذين توفاهم الملائكة	٩٧	٦١٨
واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة	١٠٢	١٧٩
لاخير في كثير من نجواهم	١١٤	٤٩١/١٨٥
ومن يشاقق الرسول	١١٥	٦٨٣
ان الله لا يغفر أن يشرك به	١١٦	١٤٠
ومن يعمل من الصالحات	١٢٤	٥٤٢
وان امرأة خافت من بعلها نشوزا	١٢٨	٥٠٨/٥٠٠
ياأيها الذين آمنوا	١٣٦	٤٨
ان الذين يكفرون بالله ورسله	١٥٠-١٥١	٧٩٥/٨٠
وقولهم ان قتلنا المسيح	١٥٧	٧٧٧
لكن الراسخون في العلم منهم	١٦٢	١٨٨/١٦٦/٩٧
ورسلا قد قممناهم عليك من قبل	١٦٤	٨٢
ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق	١٧٠	٨٤
لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله	١٧٢	٦٨

المائدة

ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	١	٤١
ياأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله	٢	٥٧٤

الآية	رقمها	الصفحة
حرمت عليكم الميتة والدم	٣	٧٠٩/٢٢٣/٢١٥
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم	٦	٨٠٥
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله	٨	٦٠٢
ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل	١٢	١٨٩
ومن الذين قالوا انا نمارى	١٤	٧٥٣
يهدى به الله من اتبع رضوانه	١٦	٧٩
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا	١٩	٨٤/٢٧
قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا	٢٤	٥٨٦
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	٣٥	٣٦٤/٢٨٨
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور	٤٤	٦٧٣/٦٦٨
وقفينا على اشرهم بعيسى بن مريم	٤٦	٧٤
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله	٤٧	٦٦٨
وانزلنا اليك الكتاب بالحق	٤٨	٧٨١/٢٧/١٩
افحكم الجاهلية يبغون	٥٠	٦٦٦/٤٠٢
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم	٥٤	٦١١
انما وليكم الله ورسوله	٥٥	١٨٨/١٦٦
وقالت اليهود يد الله مغلولة	٦٤	٧٥٣/٧٦
ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل	٦٦-٦٧	٧٠٥/٦٥٤/٥٤٩
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث	٧٢-٧٦	٧٦
لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل	٧٨-٨٠	٤٦٩
لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم	٨٩	٥٥٩
يا أيها الذين آمنوا انما الخمر	٩٠	٢٤٦
انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم	٩١	٢٣٤

المفحة	رقمها	الآية
٥٦٠	٩٥	يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد
٧٣٢	١٠٤	وإذا قيل لهم تعالوا
٤٨١	١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
٧٣٣/٤٥٠/١٤٩	١١٨-١١٦	وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم

الأنعام

٨٦	٨-٩	وقالوا لولا أنزل عليه ملك
٧٠٩/٣٥٣	٣٨	ومامن دابة في الأرض
٩٠	٥٠	قل لا أقول لكم عندي خزائن الله
١١٦	٥٢	ولا تطرد الذين يدمون ربهم
٤٠٤	٥٩	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو
٧٠	٦١	وهو القاهر فوق عباده
٧٨٧	٦٦	وكذب به قومك وهو الحق
١٦٧	٧٢	وأن أقيموا الصلاة واتقوه
٤٤٧	٧٤	وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر
٣٨٥	٧٥-٧٩	وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات
٢٠٨/٨٢	٨٣-٨٦	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم
٧٩٧/٧٧٣/٦١	١٠٣	لأتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
٨٨	١١١	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
١٦١	١٣٦	وجعلوا لله مما زرا من الحرث
٧٠٣/٢٦٢	١٣٨-١٣٩	وقالوا هذه أنعام وحرث حجر
٢٥٥	١٤١	وهو الذي أنشأ جنات معروشات

الآية	رقمها	الصفحة
قل فله الحجة البالغة	١٤٩	٢٠٨
قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم	١٥١	٤٣٢
ولا تقربوا مال اليتيم	١٥٢	٦٠٣
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه	١٥٣	٦٩٥/٦٩٣
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا	١٥٩	٧٨٥/٦٩٤/٦٩١
قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي	١٦٣-١٦٢	٦٧٤/٤٠٨

الأعراف

والوزن يومئذ الحق	٨	٢٥٦
يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا	٢٦	٣٣٧
واذا فعلوا فاحشة قالوا	٢٨-٢٩	٧٣٢/٤٣٧
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد	٣١	٣٣٧
قل من حرم زينة الله	٣٢	٣٧٨
قل انما حرم ربي الفواحش	٣٣	٤٣٢
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض	٥٤	١٧/٣٤٩/٢٤
ادعوا ربكم تضرعا وخفية	٥٥	٤١٠
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها	٥٦	٤٩٩
لقد ارسلنا نوحا الى قومه	٥٩	١٤٨/٦٢
والى عاد اخاهم هودا	٦٥	٤٣٤/٤٤٤/٨٢
قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده	٧٠	٧٢٩
والى شمود اخاهم صالحا	٧٣	١٤٩
ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة	٨٠	٤٣٢

الآية	رقمها	الصفحة
والى مدين أخاهم شعيبا	٨٥	١٤٩
قال موسى لقومه	١٢٨	١٤٩
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر	١٣٨-١٤٠	٤٤٩
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم	١٤٨	١٤٩
ولما رجع الى قومه غفبان اسفا	١٥٠	٤٤٩
واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة	١٥٦	١٨٣
الذين يتبعون الرسول النبى الامى	١٥٧	٤٤١
قل يا ايها الناس انى رسول الله	١٥٨	٨٤
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق	١٥٩	٤٨٧
وسألهم عن القرية	١٦٣	٧٧٨
والذين يمسكون بالكتاب	١٧٠	١٦٦
واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم	١٧٢-١٧٣	٣٧١/٣٨٣/٢٥
الهم أرجل يمشون بها	١٩٥	٣٧٧

الأنفال

اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم	٩	٦٧
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم	١٥-١٦	٦١٣
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم	١٧	٦١٩
واذ يمكر بك الذين كفروا	٣٠	٢٦٩
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	٣٩	٦٤١/٣٠١
اذ انتم بالعدوة الدنيا	٤٢	٨٠٦
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة	٤٥-٤٦	٧٧٤/٦١٣/٣١٢

الآية	رقمها	المفحة
انما يستنذذك الذين لا يؤمنون بالله	٤٥	٢٨٦/٩٤
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا	٥١	٢٩١/٤٩
ومنهم من يلمزك فى الصدقات	٥٨	١٨٥
انما الصدقات للفقراء والمساكين	٦٠	١٨٥/٥٥٧
لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم	٦٦	٦٢١
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض	٦٧	٤٩٠/٤٨٨
الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم	٧٠	٦٥١
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض	٧١	٤٩٠/٣٦٧/١٨٩
يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين	٧٣	٢٨٦
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين	٧٩	١٨٥
واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله	٨٦	٢٩٠
لكن الرسول والذين آمنوا معه	٨٨	٢٨٦
ومن الاعراب من يؤمن بالله	٩٩	٩٦
واخرون اعترفوا بذنوبهم	١٠٢	٤٩٩
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم	١٠٣	١٨٥/١٨٣/١٨٢
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة	١٠٤	١٨٥
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم	١١١	٢٩٧/٢٧٢
التائبون العابدون الحامدون	١١٢	٤٥٦/١٧٦
لقد جاءكم رسول من انفسكم	١٢٨	٣١٥

يونس

وماكان الناس الا امة واحدة	١٩	٧٦٧/٧٦٦/٢٨

الآية	رقمها	المقحة
فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الأرض	٢٣	٤٣٣
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة	٢٦	١٣٠
قل من يرزقكم من السماء والأرض	٣١	٥٢
ولكل أمة رسول	٤٧	٨١
ياايها الناس قد جاءكم موعظة	٥٧	٧٨
وماتكون فى شأن	٦١	١٠٨
ولقد بؤأنا بنى اسرائيل مبوءا صدق	٩٣	٧٨١/٧٧٩

هود

فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك	١٢	٨٥
فان لم يستجيبوا لكم	١٤	١٥٩
فقال الملا الذين كفروا من قومه	٢٧	٨٥
ولا أقول لكم عندى خزائن الله	٣١	٩٠
والى شمود أخاهم صالحا	٦١	٨٣
والى مدين أخاهم شعيبا	٨٤-٨٥	٤٤٨/٨٣
قالوا يا شعيب أملواتك تأمرك	٨٧	٧٢٩
قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة	٨٨	٧٣٠
ولقد آتينا موسى الكتاب	١١٠	٧٨٤
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة	١١٨-١١٩	٨٠٦/٧٥٢

يوسف

انا أنزلناه قرآنا عربيا	٢	٣٢٨

المفحة	رقمها	الآية
٦٧٤/٤٣٥/١٤٩/١١١	٤٠-٣٩	يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون
٥٥٣	٤٩-٤٧	قال تزرعون سبع سنين دأبا
٤٣٠	١٠٠	ورفع أبويه على العرش
٤٦٥	١٠١	رب قد آتيتني من الملك
٧٨٤	١٠٨	قل هذه سبيلي ادعوا الى الله
٥٥٣	١١١	لقد كان في قصصهم عبرة

الرعد

١٠٢	٥-٢	الله الذي رفع السموات بغير عمد
٨١	٧	ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية
٦٨	١١	له معقبات من بين يديه ومن خلفه
١٠٧	١٢-١٣	هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا
١٣٨	١٥	ولله يسجد من في السموات والارض
٢٩	١٩	أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك
٤٣٦	٢١	والذين يملكون ما أمر الله به
١٦٦	٢٢	والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم
٤٣٦	٢٥	والذين ينقضون عهد الله
٢١٩	٢٨	الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
٣٢٧	٣٧	وكذلك أنزلناه حكما عربيا

ابراهيم

٣٢٦	٤	وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه

الآية	رقمها	المفحة
ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم	١٢-٩	٧٢٨
وقال الذين كفروا لرسلمهم	١٥-١٣	٧٢٨
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة	٢٦	٤٢
رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى	٤٠	١٦٥

الحجر

قال رب بما اغويتنى لازينن لهم	٣٩	٢٥
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين	٩٩	١٤٧

النحل

وعلى الله قصد السبيل	٩	٦٩٤
ليحملوا اوزارهم كاملة	٢٥	٧١١
ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا	٣٦	٦٦٦/١٤٨/٨١/٦١
وما أرسلنا من قبلك الا رجالا	٤٣	٧٣٨/٧٣٥/٧٢٤
ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض	٤٩	١٣٨
للذين لا يؤمنون بالآخرة	٦٠	٦٠
قالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك	٦٣	٨١
وما أنزلنا عليك الكتاب	٦٤	٧٨٥
والله أخرجكم من بطون أمماتكم	٧٨	٣٨٧
ويوم نبعث فى كل أمة شعيذا عليهم	٨٩	٧٠٩/٧٨
ان الله يأمر بالعدل والاحسان	٩٠	٤٢٥/٦٠٥

الآيـة	رقمها	الصفحة
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها	٩٢	٧٨١
ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة	٩٣	٢٨
من عمل صالحا من ذكر أو أنثى	٩٧	٥٤٢
ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه	١٠٣	٣٢٨
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب	١١٦	٧١٠
إن إبراهيم كان أمة	١٢٠	٤٨٧/٢٨
إنما جعل السبت على الذين اختلفوا	١٢٤	٧٧٨

الاسراء

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا	١	١٤١
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم	٧	٢٨٣
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	٢٣	١٣٧
وآت ذا القربى حقه والمسكين	٢٦	٥٦٢
ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة	٣٢	٤٣١
ولا تقف ما ليس لك به علم	٣٦	٣٨٧
قل لو كان معه آلهة كما يقولون	٤٢-٤٤	٥٧/٥٤
وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا	٤٩-٥٢	١٠٤
وربك أعلم بمن فى السموات والأرض	٥٥	٧٤
أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم	٥٧	٣٦٥/٥٦
ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم	٧٠	١٢١
قل لئن اجتمعت الإنس والجن	٨٨	٣٤٩
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا	٩٠-٩٤	٨٩/٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون	٩٥	٨٨
وبالحق أنزلناه وبحق نزل	١٠٥	٢٥٥

الكهف

قيما لينذر بأسا شديدا	٢	١٥٩
أم حسبت أن أصحاب الكهف	٩-١٦	٤٥٤
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم	١٩	١٨٢
المال والبنون زينة الحياة الدنيا	٤٦	٢٩٦
قل إنما أنا بشر مثلكم	١١٠	١٤٦/١٢٧

مريم

فكلى واشربى وقرى عينا	٢٦	١٩٧
وجعلنى مباركا أينما كنت	٣١	١٨٨/١٦٥
فاختلف الأحزاب من بينهم	٣٧	٧٧٥
وانذرهم يوم الحسرة ان قضى الأمر	٣٩	٩٩
وكان يأمر أهله بالملاة والزكاة	٥٥	١٨٧/١٦٥
واتخذوا من دون الله آلهة	٨١-٨٢	١٣١

طه

وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى	١٣-١٤	١٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي	٢٧-٢٨	٤١
كلوا واربعوا أنعامكم	٥٤	٥٣٠
قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا	٧٢-٧٣	٦٤١
انما الحكم الله الذي لا اله الا هو	٩٨	١٠٨
فتعالى الله الملك الحق	١١٤	٣٧٠
ولقد عهدنا الى آدم من قبل	١١٥	٤٠٩
ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى	١١٨-١١٩	٣٧٧

الأنبياء

لاهية قلوبهم وأسروا النجوى	٣	٨٦
لقد أنزلنا اليكم كتابا	١٠	٧٨٧
وله من فى السموات والأرض	١٩-٢٠	٦٦
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا	٢٢	٥٤
وما أرسلنا من قبلك من رسول	٢٥	١٤٨/٦١
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه	٢٦-٢٨	٦٦
قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم	٥٤	٢٣
وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا	٧٣	١٨٧/١٦٥
واسماعيل وادريس وذا الكفل	٨٥-٨٦	٤٦٥/٨٣
ان هذه أممكم أمة واحدة	٩٢	٧٧٢/٧٧٠/٥٩٤
وتقطعوا أمرهم بينهم	٩٣	٧٨١
وما أرسلناك الا رحمة للعالمين	١٠٧	٣٥٤/٣٤٤/٨٤

الآية رقمها الصفحة

الحج

٧٥٤	٢٤-١٩	هذان خصمان اختصما في ربهم
٦٤٣	٢٥	ان الذين كفروا
٥٥٨/٣٥٢/٢١٠	٣٤-٢٦	واذ بوأنا لآبراهيم مكان البيت
١٦٦	٣٥	الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
٤٧٦/٣٠١/٢٧٥/١٩١	٤١/٣٩	اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
٤٣٣	٧٢	واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
٨٨/٨١	٧٥	الله يصطفى من الملائكة رسلا
١٨٦/١٤٦/٣١	٧٨	وجاهدوا في الله حق جهاده
٢٩٢/٢٨٨		

المؤمنون

١٨٩	٤	والذين هم للزكاة فاعلون
١٠٢/٥٢	١٦-١٢	ولقد خلقنا الانسان من سلاة من طين
٨٤	٢٤	فقال الملا الين كفروا من قومه
٨٦	٤٧	فقالوا أنؤمن لبشر مثلكا
٧٧٢/٢٠٢/٥	٥٢	وان هذه امتكم امة واحدة
٧٧٨/٧٥٣	٥٣	فتقطعوا امرهم بينهم زبرا
٣٨٧/١١٨	٧٨	وهو الذي أنشا لكم السمع والابصار
٥٥	٩١	ما اتخذ الله من ولد

الآية	رقمها	الصفحة

النور

٩٦	٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
٤٣٢	١٩	ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
٦٤٧	٢٦	الخبثات للخبثيين
٥٥٥	٣٣	وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا
١٨٩	٣٧	رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع
٥٢٣	٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم
١٨٦	٥٦	واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

الفرقان

٨٥	٧	وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام
٨٥	٢١	وقال الذين لا يرجون لقاءنا
٨٩	٤١	واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا
٢٨٧	٥٢	فلاتطع الكافرين وجاهدهم به
٥٣	٦١	تبارك الذى جعل فى السماء بروجا
٥٤٩	٦٧	والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا
٣٢٣	٧٢	والذين لا يشهدون الزور

الشعراء

٣١٥	٣	لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين
٤٤٥	١٢٨-١٣٥	اتبنون بكل ربح آية تعبثون

الآية	رقمها	الصفحة
فاتقوا الله وأطيعون	١٥٧-١٥٠	٤٤٧/٤٤٦
أتأتون الذكران من العالمين	١٦٥	٤٣٧
وانه لتنزيل رب العالمين	١٩٥-١٩٢	٣٢٧

الفمل

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة	٣	١٨٩
فتبسم ضاحكا من قولها	١٩	٤٦٥
قال عفريت من الجن	٤٠-٣٨	١٠١
ولوطا اذ قال لقومه	٥٤	٤٣٢
ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل	٧٦	٧٨٤
فتوكل على الله انك على الحق المبين	٧٩	٢٥٦
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم	٩٠	٦٠٢

القصص

ونريد أن نمن على الذين استضعفوا	٥	٦٩٩
وقال فرعون يا ايها الملا	٣٨	٤٤٨
ولكننا أنشأنا قرونا	٤٥	١٦٩
ولا تدعو مع الله الها آخر	٨٨	٩٢

العنكبوت

ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه	٦	٢٨٣

المفحة	رقمها	الآية
١٤٩/	١٦	وابراهيم اذ قال لقومه
٤٣٢	٢٨	ولوطا اذ قال لقومه
٦٨٢	٤٠	فكلا أخذنا بذنبه
١٦٩/٤٦٤/٤٥٧/٤١٠	٤٥	اتل ما أوحى اليك من الكتاب
٩٧	٥٥	يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
٦٤٧	٦٤	وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب

الروم

٧٧١/٣٨٤/٢٢	٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفا
٧٧٥/٧١٢/١١١	٣٢-٣١	منيبين اليه واتقوه
١٨٤	٣٩	وما آتيتم من ربا
٩٨	٥٦	وقال الذين أوتوا العلم والايمان

لقمان

١٨٩	٤	الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
٥٤٨/٤٠٩	١٩-١٨	ولا تمصر خدك للناس ولا تمش في الأرض
٧٣٢	٢١	واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله

السجدة

٧٠	١١	قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم

الآية	رقمها	الصفحة
أقمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا	١٨	٦٤٧
وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا	٢٤	٢٧٤
ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة	٢٥	٧٨١
قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا	٢٩	٩٨

الأحزاب

ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله	٥	٧٠٧/٢٥٣
لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة	٢١	٣٩٦/٣٨٢/٩٧
وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن	٣٣	١٨٧/١٦٧
واذكرن مايتلى فى بيوتكن	٣٤	٧٩٥
واذ تقول للذى انعم الله عليه	٣٧	٧٠٨
ماكان محمد أبأ أحد من رجالكم	٤٠	٧٠٧/٨٤
ياايها النبى انا أرسلناك شاهدا	٤٥-٤٦	٣٩٥
ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا	٥٣	٧٠٦
انا عرضنا الامانة على السموات	٧٢	٧٥٤

سبأ

وقال الذين كفروا لاتاتينا الساعة	٣-٥	١٠٢

فاطر

من كان يريد العزة فلله العزة	١٠	١٥٥

الآية	رقمها	الصفحة
يولج الليل في النهار	١٣	٢٨٢
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا	٢٤	٨١
ومن الناس والدواب والانعام	٢٨	٣٨٨/١٥٨
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا	٣٢	٥٤٩

يس

واضرب لهم مثلا اصحاب القرية	١٣-٢٧	٤٥٣
واتية لهم الارض الميثة احييناهما	٣٣-٣٥	٥٤
الم ير الانسان انا خلقناه من نطفة	٧٧-٨٣	١٠٤/١٠٦

الماقات

والماقات صفا فالزاجرات زجرا	١-٣	٦٦
والله خلقكم وما تعملون	٩٦	١٠٩
وامانا الا له مقام معلوم	١٦٤-١٦٧	٦٥
ولقد سبقتم كلمتنا لعبادنا المرسلين	١٧١-١٧٣	٤٠٠

ص

ص والقرآن ذي الذكر	١-٢	١٠٥
ياد اود انا جعلناك خليفة	٢٦	٢٥٥
قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين	٨٢	٢٦

الآية	رقمها	المفحة

الزمر

٧٨٣	٣	ألا لله الدين الخالص
٣٨٨	٩	أمن هو قانت آناء الليل
٣٢٨	٢٨	قرآنا عربيا غير ذى عوج
٧٩٩	٣٠	انك ميت وانهم ميتون
٧٨٢	٤٦	قل اللهم فاطر السموات والأرض
١٢٩	٥٢	وأنيبوا الى ربكم واسلموا له
٩٨	٦٠	ويوم القيامة ترى الذين كذبوا
٧٢١	٦٣	له مقاليد السموات والأرض

غافر

٦٨	٧	الذين يحملون العرش ومن حوله
٢٩	١٣	هو الذى يريكم آياته
٩٨	١٥	رفيع الدرجات ذو العرش
٩٨	٢٧	وقال موسى انى عدت بربى وربكم
٤٥١/٩٩	٣٣-٢٨	وقال رجل مؤمن من آل فرعون
٤٠٠	٥١	انا لننصر رسلنا والذين آمنوا
٥٢	٥٧	لخلق السموات والأرض أكبر
٦٨	٦٠	وقال ربكم ادعونى أستجب لكم
٨٢	٧٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك

فصلت

١٨٤	٧	الذين لا يؤتون الزكاة
٨٥	١٤	اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم
٦٤٣/٣٢٣	٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا
٦٦	٣٨	فان استكبروا فالدين عند ربك
٧٦	٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه
٣٢٨/٧٦	٤٤	ولو جعلناه قرآنا أعجميا
٢٨٣	٤٦	من عمل صالحا فلنفسه
٣٩٠	٥١	واذا أنعمنا على الانسان أعرض
٤٠٥	٥٣	سنريهم آياتنا في الآفاق

الشورى

٦٤	٥	تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
٣٢٧	٧	وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا
٧٨٣	١٠	وما اختلفتم فيه من شيء
٧٩٧/٥٩	١١	فاطر السموات والأرض
٧٧٤/١٤٥	١٣	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
٧٨٠	١٤	وماتفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم
٦٠٣	١٥	فلذلك فادع واستقم كما أمرت
٦٧٤	٢١	ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
٤٣١	٣٧	والذين يجتنبون كبائر الاثم

الآية	رقمها	المفحة
والذين استجابوا لربهم	٣٨	٥٨٢
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون	٣٩	٤٣٣
وجزاء سيئة سيئة مثلها	٤٠	٢٦٩
انما السبيل على الذين يظلمون	٤٢	٤٣٣

الزخرف

حم والكتاب المبين	١-٣	٣٢٧
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض	٩	٥٢
بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة	٢٢	٧٣١
وكذلك ما أرسلنا من قبلك	٢٣	٧٧٢/٧٣١
وقالوا لولا نزل هذا القرآن	٣١	٨٨
ومن يغش عن ذكر الرحمن	٣٦	٦٨٢
وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون	٤٤	٧٨٧
ولما جاء عيسى بالبينات	٦٣	٧٨٤
فاختلف الأحزاب من بينهم	٦٥	٧٧٦
ونادو يامالك ليقض علينا ربك	٧٧	٧١
أم يحسبون أنا لانسمع سرهم	٨٠	٦٨
ولئن سألتهم من خلقهم	٨٧	٥٢

الدخان

فانما يسرناه بلسانك	٥٨	٢٩

الآية رقمها الصفحة

الجاثية

٥٥٦/١١٨/٢٤	١٣	وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض
١٤٢	٢٣	أقراة من اتخذ الله هواه
١١٢	٢٤	وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا

الأحقاف

٢٥٥	٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز
٦٩٠	٩	قل ماكنة بدعا من الرسل

محمد

١٥٩	١٩	فاعلم أنه لا اله الا الله
٢٩١	٣١	طاعة وقول معروف

الفتح

٦١١	١٩	ومغانم كثيرة ياخذونها
٤٠٢/٢٥٤	٢٨	هو الذى أرسل رسوله بالهدى
٣١٥/٨٣	٢٩	محمد رسول الله والذين معه

الآية رقمها الصفحة

الحجرات

٦٥٩/٥٠٥/١١١/٥	١٠-٩	وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
٥٤٦	١٢-١١	يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم
٥٤٠/٣٦٧/١٨	١٣	يا أيها الناس انا خلقناكم

ق

٧٩٤/١٠٤/١٠٣	١١-١	ق والقرآن المجيد
٩٩	٣٤	ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود
٣٠	٣٧	ان في ذلك لذكرى
٩٩	٤٢	يوم يسمعون الصيحة بالحق
٢٩	٤٥	نحن اعلم بما يقولون

الذاريات

٥٤١	١٩	وفي أموالهم حق للسائل والمحروم
٣٨٩/١٤٨/١٤٢	٥٦	وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
٥٥٥/٤٠٧		

الطور

١١٥	٢٨/٢٥	واقبل بعضهم على بعض
٥١	٣٧-٣٥	ام خلقوا من غير شيء ام الخالقون

الآية	رقمها	المفحة

النجم

وما ينطق عن الهوى	٤-٣	٧٩٤
أم لم ينبأ بما في صحف موسى	٣٨-٣٦	٥٤٧/٧٤
وان ليس للإنسان إلا ما سعى	٣٩	٥٤٤
أزفت الأزفة	٥٨-٥٧	٩٩

القمر

اقتربت الساعة وانشق القمر	١	٩٨
ولقد جاءهم من الأنبياء	٤	٣٢٤
ولقد يسرنا القرآن للذكر	٤٠-١٧	٧٤٤/٨٦/٣٠

الرحمن

علمه البيان	٤	٣١٤
كل من عليها فان	٢٦	٩٢

الواقعة

إذا وقعت الواقعة	٢-١	١٠٠

الآية رقمها الصفحة

الحديد

٤٦٤	٣	هو الأول والآخر والظاهر والباطن
٥٥٤/٥٤١	٧	آمنوا بالله ورسوله
٦٤٨	٢٠	اعلموا أنما الحياة لعب ولهو
٦٠٣/٢٧٨/٢٦٤/٧٣	٢٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
٥٣١	٢٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

المجادلة

٤٣٣/٢٥٣	٢	والذين يظاهرون منكم من نسائهم
٥٥٩	٤-٣	والذين يظاهرون من نسائهم
١٩٠	١٣	اشفقتم أن تقدموا
٤٠٠	٢١	كتب الله لأغلبن أنا ورسلي
٩٦	٢٢	لا تجد قوما يؤمنون بالله

الحشر

٧٥٦	٥	ما قطعتم من لينة أو تركتموها
٦٧٤	٧	ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى
٦٤٩	١٣	لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله

الآية	رقمها	الصفحة

الممتحنة

٢٩٣	١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى
٧٩٤	٢	ان يشقوكم يكونوا لكم أعداء
٩٧	٤	قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم

المصف

٤٦٧	٣-١	سبح لله مافى السموات ومافى الأرض
٣١٠	٤	ان الله يحب الذين يقاتلون
٦٨٣	٥	واذ قال موسى لقومه
٤٠٢	٩	هو الذى أرسل رسوله بالهدى
٢٨٥/٢٨٤	١٢-١١	تؤمنون بالله ورسوله

الجمعة

١٦٠	٥	مثل الذين حملوا التوراة
١٧٢/١٤٦	٩	يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للملاة

المنافقون

٣٧٦	٤	واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم
٦١٠/٥١٩	٨	يقولون لئن رجعنا الى المدينة

الآية رقمها الصفحة

التغابن

٤٧٩	٦	ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلكم
١٠١	٧	زعم الذين كفروا أن يبعثوا
١٠٠/٩٩	٩	يوم يجمعكم ليوم الجمع
٤٠٥	١١	ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله
٥٣٦/١٤٣/٣٢	١٦	فاتقوا الله ما استطعتم

الطلاق

٤٠٣/٩٧	٣-٢	فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف
٤٠١	٨	وكأين من قرية عتت عن أمر ربها
٤٠٥	١١	رسولا يتلو عليكم آيات الله

التحريم

٤٦٥	٤	ان تتوبا الى الله
٦٦	٦	يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم
٢٧٣	٩	يا أيها النبي جاهد الكفار

الملك

٢١	٣	الذي خلق سبع سموات طباقا

الآية	رقمها	الصفحة
وأسروا قولكم أو اجهروا به	١٣-١٤	٣٨٣
هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا	١٥	٥٥٧/٥٥٤/٣٧٨/١١٨

الْقَلَم

وانك لعلى خلق عظيم	٤	٣١٤

الْحَاقَّة

الحاق . ما الحاقة	٢-١	١٠٠
والملك على أرجائها	١٧	٦٨
فما منكم من أحد عنه حاجزين	٤٧	١٠

المَعَارِج

الا الممليين	٢٢	١٦٦

نُوح

وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم	٧-١٢	٤٤٤
لتسلکوا منها سبلا فجاجا	٢٠	١٨٧
وقالوا لاتذرن آلهتکم	٢٣	٧٦٩

المفحة	رقمها	الآية

الجن

٤٠٥	١٣	وانا لما سمعنا الهدى آمنا به
٧١٤	١٨	وان المساجد لله فلا تعدوا مع الله
١٤١	١٩	وانه لما قام عبد الله يدعوه

المزمل

٢١	١٨	السماء منفطر به
١٨٧	٢٠	ان ربك يعلم أنك تقوم

المدثر

٦٣٩	٣٧	لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر

القيامة

٥٤٤	١٤	بل الانسان على نفسه بصيرة

المرسلات

٦٧	٥-١	والمرسلات عرفا
١٠٠	٣٨	هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين

المفحة	رقمها	الآية

الفباء

٥٣	١٦-٦	ألم نجعل الأرض مهادا
١٠٠	١٨/١٧	يوم ينفخ فى الصور

النازعات

٤٤٨	٢٤	فقال أنا ربكم الأعلى
٩٩	٣٥-٣٤	فاذا جاءت الطامة الكبرى
٤٢٩	٤٠	وأما من خاف مقام ربه

عيس

١٠٧	٢٣/١٧	قتل الانسان ما اكفره
٥٣	٢٤	فلينظر الانسان الى طعامه
٩٩	٣٤-٣٣	فاذا جاءت الصاخة

التكوير

٦٩	٢١/١٩	انه لقول رسول كريم
١٠٩	٢٩	وما تشاءون الا ان يشاء الله

الآية	رقمها	المفحة

الانفطار

إذا السماء انفطرت	١	٢١

البروج

قتل أصحاب الأخدود	٨-٤	٤٥٥

الطارق

فلينظر الانسان مم خلق	٧-٥	٣٧٨/٥٣
انهم يكيدون كيذا	١٦-١٥	٢٦٩

الأعلى

فذكر ان نفعنا الذكرى	٩	٢٩
قد أفلح من تزكى	١٤	١٨٢
بل تؤثرون الحياة الدنيا	١٦	٩٨

الغاشية

هل أتاك حديث الغاشية	١	١٠٠
لاتسمع فيها لاغية	١١	٣٢٣

الآية	رقمها	المفحة
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت	٢٠/١٧	٣٧٨/٥٤
فذكر انما انت مذكر	٢١	٢٩

الفجر

وتحبون المال حبا جما	٢٠	٢٩٦

الشمس

قد افلح من زكاه	٩	١٨٢

الليل

وسيجذبها الاتقى	٢١-١٧	٦٢٨

التين

لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم	٤	١٢١

العلق

علم الانسان ما لم يعلم	٥	١٢١

الآية رقمها الصفحة

البينة

١٨٧/١٤٥/١٢٧	٥	وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين
١١٣	٨	جزاءهم عند ربهم جنات عدن

العاديات

٢٩٦	٨	وانه لحب الخير لشديد

القارعة

١٠٠	٣-١	القارعة ما القارعة

العصر

٢٥٥	٣	الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
٥٤٤	٣-١	والعصر ان الانسان لفي خسر

الفلق

٤٠	٤	ومن شر النفاثات في العقد

فهرس الآحاديث والآشار

المفحة

٧٨٩	اثتوني بكتاب اكتب لكم كتابا
٥٢٣	ابنى هذا سيد ولعل الله أن يملح به
٤٢٦	اثانى رسول الله آنفا
٦٨٣	اتشفع فى حد من حدود الله
٢٠٣	اتشهد أن لا اله الا الله
٦٠٣	اتقوا الظلم
١٤٠	أحب الأسماء الى الله
٣٥٤	أحبوا العرب لثلاث
١٩٣	ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله
٧٥٧	إذا اجتهد الحاكم
٣٣١	إذا اختلفتم أنتم وزيد
٥٦٢	إذا أرملوا فى الغزو
٣٢٠	إذا بعث أحدا من أصحابه
١٣٠	إذا دخل أهل الجنة الجنة
٤٧٢	إذا رأيت أمتى تهاب الظالم
٦٩٣	إذا رأيتم الذين يجادلون
١٧٣	إذا قلت أنصت والامام يخطب
٧٠	إذا قبر الميت أتاه ملكان
١٧٤	إذا كان يوم عيد الفطر
٥٦٤	إذا مات ابن آدم انقطع عمله
١٦٨	إذا نودي بالصلاة

المفحة	
١٤٠	اذهبوا الى عبد
٥٢٣	اذهبوا بنا نملح بينهم
١٩١	ارب ماله تعبد الله ولا تشرك به
٧٥٥	ارسله ثم قال له
٥١١	اسق يازبير ثم ارسل الى جارك
٦٤٨	اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء
١٦٠	اعوذ بالله من علم لا ينفع
٢١٦/٣١٢	اغزوا باسم الله فى سبيل الله
٧٨٨	اقراءوا القرآن ما ائتلفتم
٥١٠	الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة
٢٧٥	الا ان القوة الرمي
٧٩٥/٧٠٩	الا انى اوتيت القرآن ومثله معه
٧٩٢	الا ان من قبلكم
٤٢٥	الا تجلس
٣٥٢	الآن حمى الوطيس
٧٦٢/١٥	الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله
٦١٠	الايمان بضع وسبعون
٥٣٠/٤٨٣	الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
٥٣٣/٥٤٥	
٧٥٧	الا لا يملين احد العصر
٣٠٤	اللهم انجز لى ما وعدتنى
٦٥٧	اللهم انهم جياع
٧٨٨/٦٩	اللهم رب جبرائيل وميكائيل

المفحة

١٢٩	اللهم لامانع لما اعطيت
١٧٥	الا يخشى من يرفع رأسه
٢١٧	امانه قد رأى جبريل
٤٦٢	اما انه ليس من اهل هذه الاديان
٣٠٦	امرت ان اقاتل الناس
١٩٤	اما شعرت انا لاناكل المدقة
٤٤٣	انا امة امية
٣٧٠	انا اولى الناس بعيسى
٤٢٧	انا اجمع آية فى القرآن
١٠٩	ان احكم يجمع خلقه فى بطن امه
٧٨٩	ان الانبياء يدفنون حيث يقبضون
٧٨٥	ان اهل الكتابين افترقوا
٦٨٤	ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح
٤٧٠	ان اول ما دخل النقص فى بنى اسرائيل
١٥٠	ان بكل تسبيحة صدقة
٧٠٤	انتم الذين قلتم كذا وكذا
٦٢	ان تعبد الله كأنك تراه
٤٩	ان تؤمن بالله وملائكته
٣٠٨	انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم
٤٩٥/٤٧٤	انكم مضمورون ومصيبون
٦٤٨	ان الدنيا حلوة خضرة
٧٤٤/٣٣	ان الدين يسر
١٦٣	ان العبد اذا افتتح الصلاة

<u>الصفحة</u>	
١٦٣	ان العبد مادام فى صلاته قلبه ثلاث خصال
٥٣٥/٤٠٨/١٢٠	ان المؤمن للمؤمن كالبنيان
٤٨٢	ان الناس اذا راوا الظالم
	ان الله تعالى يباهى ملائكته
٧٥٩/٦١٦	ان الله زوى لى الارض
٦٩٨/٦٩٢	ان الله لا يقبض العلم انتزاعا
٢٣٣	ان الله ورسوله حرما بيع الخمر
٢٧٠	ان الله لا يمل حتى تملوا
٧٧٤	ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا
٢٥٦/٢٥٣	انما انا بشر
١٧١	انما جعل الامام ليؤتم به
٢٤٩	انما الربا فى النسبة
٥٧٩	انما الاعمال بالنيات
٧٨٨	انما هلك من كان قبلكم
٨٠٥	انما يكفيك هكذا
٤٧١	ان من كان قبلكم من بنى اسرائيل
٥٦	ان ناسا من الانس
٧٦٩	ان هؤلاء أسماء رجال صالحين
٤٧١	او ليخالفن الله بين قلوبكم
٥٨٦	اياكم يريد رسول الله يامعشر الانصار
١٤٥	ايما رجل من امتى أدركته الملة
٦٥	انى ارى مالا ترون
٥٠٢	أين المثل على الله

<u>الصفحة</u>	
١٧٣	ان يوم الجمعة سيد الايام
٢٨٠	بعثت بالسيف
٤٨٣	بل ائتمروا بالمعروف
١٩١	بنى الاسلام على خمس
٤٢٣	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
٦٤	خلقت الملائكة من نور
٤٦١/٣٦٦	خير الناس اقراهم
٤٣٠	دخلت امرأة النار في هرة
٥٤٨	رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٦٨	رايت ليلة اسرى بى
١٧٩	رايتنا ومايتخلف عن الصلاة الا منافق
٢٤٤	رحم الله رجلا سمحا اذا باع
٢٤٠	زجر النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك
٥٥٠	السمت والتؤدة
٤٥٦	سياحة امتى
٢٤٠	شر الكسب مهر البغى
٥٨٦	شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا
١٧٧	الصلاة اول ما فرضت ركعتين
٢١٧/١٧٠	صلاة الجماعة افضل من صلاة المفرد
١٧٠	صلاة الرجل مع الرجل اذكى
١٧١	صلوا كما رأيتمونى صلى
٢٠٣	صوموا لرؤيته

المفحة	
٣٨٨	طلب العلم فريضة
٤٦١	عجب الله من قوم
٦٠٤	فان القضاء فريضة محكمة
٤٥٧	فضل العالم على العابد
٦٥٧	فلم تحل الغنائم
٦٣٥	فليتبوأ مقعده من النار
٧٠	فوالله ما أمسيا من يومهما
٧٨٩	قد تركتم على المحجة البيضاء
٢٠٣	قدم أعرابيان فشهدا عند النبی صلی الله عليه وسلم
٤٠١	قسمت الصلاة
٢٩٨	قسمته لك
٥٣١	كافل اليتيم له أو لغيره
٤٤٠	كان أشد حياء
٥١١/٣٩٤	كان خلقه القرآن
٤٥٤	كان ملك فيمن كان قبلكم
٢٤١	كان النبی صلی الله عليه وسلم يحتجم
٥٣٥	كلا والله لا يخزيك الله أبدا
٢٣٤	كل مسكر حرام
٥٨٥/٢٣	كل مولود يولد على الفطرة
٥٥٠	كنت أصلى مع النبی صلی الله عليه وسلم
٤٢٦	كنت عند رسول الله صلی الله عليه وسلم
٥٤٦	لاتحاسدوا ولا تباغضوا
٤٨٧	لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق

المفحة

٥٥٥/١٦٠	لا تزول قدما العبد يوم القيامة
٢٠٥	لا تموموا حتى تروا الهلال
٧٢٢	لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي
٥٥٢	لا حسد إلا في اثنتين
٣٩٠	لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب
١٧٠	لا صلاة لمن لم يطع صلاته
٨٠٥	لا طلاق ولا عتاق
٢٤	لا مانع لما أعطيت
٧٩٦	لا نورث ما تركناه صدقة
٢٤٤/٢٦٤	لا يحتكر إلا خاطيء
٢٤٥/٢٣٧	لا يخطب الرجل على خطبة أخيه
٣٥٢	لا يلدغ المؤمن من جحر واحد
٦٩٩/٦٧٧	لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به
٦٧٧/٥٤٦/١٢٠	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
٥٥٣	لأن يأخذ أحدكم أحبله
٤٩٣	لنأمرن بالمعروف ولننهيون عن المنكر
٧٢٢	لنقتبعن سنن من كان قبلكم
٣٥٢	الحرب خدعة
٣٩٠	الحكمة ضالة المؤمن
٢٤٤	الحلال بين والحرام بين
٢٣٥	لعن الله اليهود
٢١٥	لو علينا نزلت هذه الآية
٧٩٠	لو قلت نعم لوجبت

الصفحة	
٤٦٩	لما وقعت بنو اسرائيل
٧١٤	المساجد بيوت المتقين
٥٨٨	المستشار مؤتمن
٥٦٢/٥٠٢	المسلم أخو المسلم
٤٠٨/١٣٣	المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف
٦٢١/٦١٩	المؤمنون كرجل واحد
٥٦١- ٥٩٨	المؤمنون تتكافؤ دماؤهم
٣٢٦	لم يبعث الله نبيا الا بلغة قومه
٥٥٠	لن ينجى أحدا منكم عمله
٤٠٩	ليس الشديد بالصرعة
٥٠٣	ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس
٤٢٨	ليس من خلق حسن
١٧٣	لينتهين أقوام على ودعهم الجمعة والجماعات
٨٢	مائة ألف
٦٨	ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله
٥٩٤	ما أحب أن لى مثل أحد ذهباً
٧٠٦	ما بعث الله من نبي الا حقا عليه
٦١٠	ما تعدون الصرعة فيكم
٥٩٠	ما تشاور قوم قط بينهم
٥٨٤	ما تشيرون على فى قوم يسبون أهلى
٤٤١	ما خير رسول الله
٥٨٤	ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله
٢١٦	ما روى الشيطان يوما

المفحة	
٦٥	ما فى السموات السبع موضع قدم
٦٩	مالى لم ار ميكائيل ضاحكا قط
١٧٠	مامن ثلاثة فى قرية ولا بدو
٤٨٢	مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصى
٥٥٣	مامن مسلم يغرس غرسا
٦٩٨	مامن نبى بعثه الله فى امته قبلى
٢١٥	مامن يوم اكثر من أن يعتق الله فيه
٢٤٣	ما هذا ياماحب الطعام
٥٥٣	ما يزال الرجل يسأل الناس
٥٨٧	ما ينبغي لنبى أن يضع أدواته بعد أن لبسها
٢٠٤	متى رايتم الهلال
٥٤٤/٤٩٤	مثل القائم على حدود الله
٣٨٨	مثل مابعثى الله به من الهدى
١٢٠	مثل المؤمنين فى توادهم
٢٢٩	من ابتاع طعاما
٤٢٣	من أحب فى الله وأبغض فى الله
٧١١	من أحدث حدثا أو آوى محدثا
٧٠٩/١٥٦	من أحدث فى أمرنا هذا
٥٨٩	من بدل دينه فاقتلوه
١٧٣	من ترك الجمعة ثلاث مرات
٥٩٧	من حالت شفاعته دون حد
٤٧٧	من رأى فى اعوجاجا
٤٧٩	من رأى منكم منكرا

الصفحة	
٧٠٨	من سئل عن علم ثم كتبه
٣٢١	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
٣٦٤	من قال حين يسمع النداء
٥٦٢/٥٣٥	من كان معه فضل ظهر
٧٩٩	من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
١٢٠	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره
١٧٠	من لم تنهه صلاته
٤٥٨/١٩٨	من لم يدع قول الزور
٤٥٧	من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
٦٤٩	نصرت بالرعب
١٢٢	نعم مكلم
٢٤٥	نهى عن الملامسة والمنايذة
٢٤٥	نهى عن بيع الحماة
٢٤٥	نهى عن التلقى للركبان
٢٤٠	نهى عن شمن الكلب
٦٦٥	هذا سبيل الله
٦	هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم
٤١٧	وان الله يؤيد هذا الدين
٣٨٥/٢٠٩/١٢١	وانى خلقت عبادى حنفاء
١٢٢	وجهت وجهي للدين القويم
١٢٨	وكل الله بالرحم ملكا
٥٠٣	ولقد اتى على زمان
٧١١	ومن سن سنة
٧١١	وما من نفس تقتل ظلما

المفحة

٦٣٤	يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة
٧٨٦	يا سلمان لا تبغضنى
٥٦٤	يا عائشة اتقى النار
٧٤١	يا عدى اطرح عنك هذا
٦٥٥	يا عدى هل رأيت الحيرة ؟
٤٧٣	يؤتى بالرجل يوم القيامة
٧٠٢	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
١٧١	يا عباد الله لتسون صفوفكم
٦٠٣	يا عبادى انى حرمت الظلم
١٣٠	يا غلام انى أعلمك كلمات
٥١٢	يا كعب وأشار بيده
١٥٢	يا محمد أخبرنى عن الاسلام
٢٥٤	يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد
١٤١	يا معاذ فقلت لبيك يا رسول الله
٥٨٥	يا معشر المسلمين من يعذرنى فى رجل

فهرست الأعلام

المفحة

٦٣٦	ابراهيم بن يزيد النخعي
٤٢	أحمد بن تيمية
٣٢٢	أحمد بن علي بن حجر
٧٦٠	أحمد بن محمد بن حنبل
٣٣	أحمد بن محمد الاسكندري
٦٣٠	الأرقم ابن أبي الأرقم
٥٨٤	أسامة بن زيد
٦٥	اسماعيل بن عمر بن كثير
٤٦٢	أعشى بن قيس
٤٢٦	أكثم بن صيفي
٦٣	أمية بن أبي الصلت
٥٨٦	أنس بن مالك
٦٢٨	بلال بن رباح
٥٥٠	جابر بن سمرة
٢٩٣	حاطب بن أبي بلتعة
٥٠٣	حذيفة بن اليمان
٣٥٠	حسان بن ثابت
٦٣٥	الحسن بن أبي الحسن
٣٥٦	الحسن بن أحمد الفارسي
٧٦١	حميد بن عبد الرحمن الحميري
٣١٨	خالد بن الوليد

الصفحة

٦٢٩	خباب بن الارت
٤٠	خويلد بن مرة أبو خراش
٢٠٣	ربيع بن حراش
٦٣٦	رفيع بن معران
٦٨٤	رملة بنت أبي سفيان
٥١١	الزبير بن العوام
٦٣	زياد بن معاوية
٤٨٣	زيد أبو شعلبة
٣٣١	زيد بن ثابت
٧٠٧	زيد بن حارثة
٧٠٧	زينب بنت جحش
٥٨٧	سعد بن عبادة
٤٨٠	سعد بن مالك
٦٢٩	سعد بن مالك القرشي
٥٨٧	سعد بن معاذ
٦٢٩	سعيد بن زيد
٦٣٦	سعيد بن المسيب
٤٢	سفيان بن سعيد الثوري
٧٨٦	سلمان الفارسي
٢٩٨	شداد بن الهادي الليثي
٦٦٩	طاووس بن كيسان
٦٤٢	الطفيل بن عمرو الدوسي
٥٨٤	عائشة بنت أبي بكر

المفحة

٥١٨	عامر بن عبد الله الفهرى
٤١٥	عبد القادر عودة
٧٦٣	عبد الرحمن بن معاوية الأموى
٥٠٢	عبد الله بن أبى حدر
٤٦٢	عبد الله بن سلام
٦٤٣	عبد العزى بن عبد المطلب
٢٠٣	عبد الله بن عباس
٤٨٢	عبد الله بن عثمان (أبو بكر الصديق)
٦٠٤	عبد الله بن قيس الأشعرى
٤٢٧	عبد الله بن مسعود الهذلى
٧٣٨	عبد الله بن محمد أبو جعفر المنصور
٦٢٥	عبد الملك بن مروان
٣٤٧	عثمان بن بحر الجاحظ
٣٢٤	عثمان بن جنى أبو الفتح
٣٣١	عثمان بن عفان
٤٢٥	عثمان بن مظعون
٧٤١	عدى بن حاتم الطائى
٦٣٥	عطاء بن رباح
٢٤٠	عقبة بن عمرو أبو مسعود الأنصارى
٥٣٨	على بن أبى طالب
٥٧٤	على بن محمد الماوردى
٤٢٦	عمرو بن العاص
١٥٣	عياض بن موسى

المفحة

٣٦٤	غالب بن عبد الرحمن بن عطية
٦٨٤	فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم
٦٨٣	فاطمة بنت الاسود
٦٢٩	فاطمة بنت الخطاب
٤٢٨	قتادة بن دعامة السدوسي
٢٠٤	كريب بن ابي مسلم
٧٠	كعب بن ماتع
٥١٢	كعب بن مالك
١١	الكميت بن زيد
٢٠٤	لبابة بنت الحارث الهلالية
١٢	لبيد بن ربيعة
٥٨	مالك بن انس
٤٣	محمد بن ابي بكر بن القيم
٣٢٦	محمد بن ادريس الشافعي
٣٣٢	محمد بن اسماعيل البخاري
٤٣٤	محمد الامين الشنقيطي
١٣٨	محمد بن جرير الطبري
٤١٣	محمد بن محمد الغزالي
٦٣٦	محمد بن سيرين
٤٨٠	مروان بن الحكم
١٤١	معاذ بن جبل
٦٢٤	معاوية بن ابي سفيان
٣١٨	المغيرة بن شعبة

الصفحة

٥٨٦	المقداد بن الأسود
١٩٧	النايفة الذبياني
٦٨٤	هند بنت حذيفة
٥٤٨	واثلة الأسقع
٤٨٣	محمد عبد الله بن أحامر
٣٢٠	يحيى بن شرف النووي
٧٦١	يحيى بن يعمر
٥١٨	يوسف بن أيوب (ملاح الدين الأيوبي)
٧٢٤	يوسف بن عبد الله بن عبد البر

فهرست المراجع

- * الابداع فى مضار الابتداع لعلى محفوظ ، ط/السابعة .
- * الاتجاهات الوطنية فى الادب الحديث للدكتور محمد محمد حسين ، ط/الثالثة ١٣٩٩هـ .
- * اجنحة المكر الثلاثة لعبد الرحمن حبنكة .
- * الاحاطة فى اخبار غرناطة للسان الدين الخطيب ، ط/الثانية ، القاهرة ١٣٩٣هـ .
- * احكام الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام للدكتور عبد الكريم زيدان ، طبعة سنة ١٤٠٢هـ ، مؤسسة الرسالة .
- * الاحكام السلطانية للماوردي ، ط/١ ، سنة ١٣٢٧هـ .
- * الاحكام فى تمييز الفتاوى على الاحكام للقراوى ، حلب ، مطبعة الاصيل سنة ١٣٨٧هـ .
- * احكام القرآن لابن العربى ، ط/الاولى ١٣٧٦هـ — الحلبية .
- * احياء علوم الدين لآبى حامد الغزالى ، ط/المصرية الحلبية ١٣٥٨هـ .
- * الآداب الشرعية لابن مفلح ، مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٣٩١هـ .
- * ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد للصنعانى من مجموع الرسائل المنيرية .
- * الاركان الأربعة لآبى الحسن الندوى ، ط/٤ سنة ١٣٩٨هـ .
- * اساس البلاغة للزمخشري .
- * الاستيعاب لابن عبد البر على هامش الاصابة .

- * أسد الغابة لابن الاثير .
- * الاسلام دين ودولة ونظام لعبد الحى العمرانى ،
مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب .
- * الاصابة لابن حجر ، ط/١ .
- * أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان .
- * أصول الدين لعبد القاهر البغدادي ، ط/١ ، سنة
١٣٤٦هـ .
- * أصول مذهب الامام أحمد للدكتور عبد الله بن عبد
المحسن التركي .
- * أصول النظام الاجتماعى لمحمد بن الطاهر .
- * أضواء البيان لمحمد الامين الشنقيطى ، طبعة
الرئاسة ١٤٠٣هـ .
- * أضواء على التزامن الاسلامى للمودودى ، الدار
السعودية للنشر ، جدة ١٣٨٧هـ .
- * الاعتماد للشاطبى ، ط/الاولى سنة ١٤٠٥هـ ، لبنان .
- * اعجاز القرآن للرافعى ، الطبعة الاولى ١٣٨٠هـ .
- * الاعلام فى القرآن للدكتور أحمد أحمد غلوش ، الطبعة
الاولى سنة ١٤٠٦هـ .
- * الاعلام للزركلى ، الطبعة الثانية .
- * اعلام الموقعين لابن القيم ، ط/١ سنة ١٣٧٤هـ .
- * اغاثة اللفان لابن القيم ، دار المعرفة .
- * الافصاح فى فقه اللغة للشعالبي .
- * اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، مطابع المجد
التجارية .

- * الامة الربانية الواحدة للشيخ عبد الرحمن حبنكة ،
ط/١ سنة ١٤٠٣هـ .
- * الانصاف فى بيان اسباب الاختلاف للدهلوى ، ط/٢
السلفية .
- * ايسر التفاسير لكلام العلى الكبير للشيخ أبى بكر
الجزائرى ، الطبعة الاولى .
- * الايضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ، الطبعة الثالثة
سنة ١٣٩١هـ .
- * ايقاظ اولى الابصار لصالح بن محمد العمرى .
- * الايمان اثره فى حياة الانسان للدكتور حسن الترابى
ط/٤ سنة ١٤٠٣هـ .
- * بداية المجتهد لابن رشد ، ط/٣ سنة ١٣٧٩هـ .
- * البداية والنهاية لابن كثير ، ط/١ ، سنة ١٤٠٥هـ .
- * البدر الطالع للشوكانى ، طبعة سنة ١٣٤٨هـ .
- * البدعة أسبابها ومفارها لمحمود شلتوت ، ط/١ ، سنة
١٤٠٨هـ .
- * بغية الوعاة للسيوطى ، طبعة دار المعرفة .
- * تاج العروس فى شرح القاموس .
- * تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعى ، ط/٤ سنة
١٣٩٤هـ دار الكتاب العربى .
- * تاريخ الادب العربى للزيات .
- * تجريد التوحيد المفيد للمقريزى ، ط/١ .
- * تحذير أهل الايمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن
للاسعدى ، من المجموعة المنيرية .

- * تحكيم القوانين للشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ .
- * تذكرة الحفاظ للذهبي ، ط/١ .
- * التربية الاسلامية بين الاصل والمعاصرة للدكتور اسحاق أحمد فرحان .
- * التربية الاسلامية الحرة لأبي الحسن الندوي .
- * تزيين الممالك بترجمة الامام مالك للسيوطي .
- * التشريع الجنائي لعبد القادر عودة ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- * التعريفات للجرجاني ، ط/١ ، سنة ١٤٠٣هـ .
- * تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ط/٣ .
- * تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، ط/١ ، سنة ١٤٠٦هـ .
- * التفسير الكبير للرازي ، ط/٣ ، دار احياء التراث العربي .
- * تفسير أبي السعود ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة الرياض .
- * تفسير المنان للسعدى .
- * تفسير المراغي .
- * التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي .
- * التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب .
- * تفسير المنار لمحمد رشيد رضا .
- * التفسير المفضل للأستاذ عبد الله كنون ، ط/١ ، سنة ١٤٠١هـ .
- * التكافل الاجتماعي في الاسلام لعبد الله علوان .
- * تنظيم الاسلام للمجتمع لأبي زهرة .

- * تهذيب التهذيب لابن حجر ، ط/١ سنة ١٣٢٥هـ .
- * تهذيب اللغة للأزهري .
- * توحيد الملة وتعدد الشرائع لابن تيمية ، من المجموعة المنيرية .
- * تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ ، ط/٤ سنة ١٤٠٠هـ .
- * جامع الاحكام للقرطبي .
- * جامع الاصول لابن الاثير .
- * جامع البيان للطبري ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ .
- * جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، المطبعة المنيرية ١٣٩٨هـ .
- * الجامع الصحيح للبخاري .
- * الجامع الصحيح للترمذي .
- * الجامع المغير للسيوطي .
- * جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا لابن رجب .
- * الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية .
- * الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم ، مطبعة محمد على سنة ١٣٧٧هـ .
- * حاشية الروض المربع .
- * حجة الله البالغة للدهلوى ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- * الحديث والمحدثون للدكتور محمد محمد أبو زهو ، ط/سنة ١٤٠٤هـ .
- * الحسنة والسيئة لابن تيمية ، مطبعة المدنى ، القاهرة .

- * حقائق الاسلام وأباطل خصومه للعقاد ، ط/الاولى سنة ١٣٧٦هـ .
- * الحياة الادبية بعد ظهور الاسلام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، ط/١ سنة ١٣٩٦هـ .
- * الخراج لأبى يوسف ، الطبعة السادسة ، القاهرة ١٣٩٧هـ .
- * الخصائص لابن جنى ، الطبعة الثانية .
- * خصائص التشريع الاسلامى فى السياسة والحكم للدكتور فتحى الدرينى ، ط/١ سنة ١٤٠٢هـ .
- * الخمر بين الطب والفقه للدكتور محمد على البار ، ط/٥ .
- * دائرة المعارف الاسلامية .
- * درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ، ط/١ سنة ١٤٠١هـ جامعة الامام .
- * دراسات فى النفس الانسانية لمحمد قطب .
- * الدرر الكامنة لابن حجر .
- * دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين للدكتور محمد أبى شعبة ، ط/٢ سنة ١٤٠٧هـ .
- * دلائل النبوة لأبى نعيم الاصفهاني ، ط/الثانية .
- * الدواء العاجل فى رد العدو المائل للشوكانى ، فى المجموعة المنيرية .
- * الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب لابن قرحون ط/١ سنة ١٣٥١هـ .
- * الدين للدكتور عبد الله دراز ، سنة ١٣٨٩هـ .

- * الدين والحضارة الانسانية للدكتور محمد البهى ، ط/٢ سنة ١٣٩٤هـ .
- * السرد على المنطقيين لابن تيمية ، ط/٣ لاهور سنة ١٣٩٧هـ .
- * الرسالة للإمام الشافعى ، ط/١ سنة ١٣٥٨هـ .
- * رسالة الصلاة للإمام أحمد .
- * روضة المحبين لابن القيم ، سنة ١٣١٣هـ .
- * زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى .
- * زاد المعاد لابن القيم ، ط/١٥ سنة ١٤٠٧هـ .
- * سنن أبى داود ، ط/سنة ١٣٧١هـ .
- * سنن ابن ماجه .
- * سنن الدارمى .
- * السنن الكبرى للبيهقى .
- * سنن النسائى .
- * السياسة الشرعية لابن تيمية .
- * سيرة ابن هشام .
- * السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعى ط/٥ .
- * شرح أصول اعتقاد أهل السنة لهبة الله اللالكائى ، الناشر دار طيبة .
- * شرح السنة للبغوى ، ط/١ سنة ١٣٩٨هـ .
- * شرح صحيح مسلم للنووى .
- * شرح العقيدة الطحاوية ، ط/٣ .
- * شعب الايمان للبيهقى ، ط/٣ سنة ١٤٠٧هـ .

- * شفاء العليل لابن القيم ، دار التراث .
- * المحاح للجوهري .
- * صحيح مسلم .
- * الطبقات لابن سعد ، ط/سنة ١٣٩٨هـ .
- * الطبقات الشافعية للسبكي .
- * طبقات المفسرين للداودي .
- * طرح التثريب فى شرح التثريب لزين الدين أبى الغفل
- دار احياء التراث العربى .
- * الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية لابن القيم ،
- ط/سنة ١٣٩١هـ .
- * ظلال القرآن لسيد قطب ، ط/٤ دار الشروق .
- * العبادة للدكتور يوسف القرضاوى ، ط/١١ سنة
- ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- * العبودية لابن تيمية .
- * العقائد الاسلامية للسيد سابق ، ط/٢ ، سنة ١٤٠٢هـ .
- * عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائري ، ط/١ سنة ١٣٩٧هـ .
- * العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ط/١٤٠٢هـ .
- * علم الحديث لابن تيمية ، ط/٢ سنة ١٤٠٥هـ .
- * عمدة القارئ فى شرح البخارى للعيني ، ط/١ سنة
- ١٣٩٢هـ .
- * المواسم من القوام لابن العربى ، بيروت ، سنة
- ١٣٩٩هـ .
- * فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر ،
- المطبعة السلفية .

- * فتح البيان فى مقاصد القرآن لصديق حسن خان ، ط/سنة ١٣٨٣هـ .
- * فتح الرحمن بكشف مايلتبس فى القرآن لآبى زكريا الانمارى ، ط/الاولى .
- * فتح القدير للشوكانى ، ط/٢ ، سنة ١٣٨٣هـ .
- * فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ، ط/دار الافتاء سنة ١٤٠٣هـ .
- * الفقه الاسلامى وادلتة للدكتور وهبة الزحيلى ، ط/٣ سنة ١٤٠٥هـ .
- * الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ، ط/سنة ١٣٩٥هـ دار احياء السنة النبوية .
- * فلسفة التربية الاسلامية للدكتور على خليل ابو العينين ، ط/٣ .
- * الفوائد لابن القيم ، ط/١ سنة ١٣٩٩هـ .
- * فيض القدير للمناوى .
- * القاموس المحيط للفيروز آبادى .
- * القرآن والمجتمع للدكتور محمد البهى .
- * القواعد لآبى عبد الله المقرئ ، طبعة جامعة أم القرى .
- * القواعد النورانية لابن تيمية .
- * الكامل لابن الاثير ، ط/٤ سنة ١٤٠٣هـ .
- * كتاب ازهار الرياض فى اخبار عياض للمقرئ .
- * كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لجلال الدين العمري ، ط/الكويت .

- * كتاب الملة فى تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال ، ط/١٣٧٥هـ .
- * الكشف للزمخشري ، ط/الآخرة سنة ١٣٩٢هـ .
- * الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد ، ط/٣ سنة ١٣٨٨هـ .
- مع فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة لابن رشد (فلسفة ابن رشد) .
- * كيف ندعو الناس لعبد البديع صقر .
- * لسان العرب لابن منظور .
- * لمحات فى الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب .
- * ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ، ط/السابعة ١٣٨٧هـ .
- * مبادئ الإسلام للمودودى ، ط/٥ سنة ١٤٠٣هـ .
- * مجاز القرآن لأبى عبيدة ، ط/٢ سنة ١٣٩٠هـ .
- * المجتمع الإسلامى لمحمد أبى زهرة .
- * المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام لمحمد أبى زهرة .
- * المجتمع المتكافئ فى الإسلام للدكتور عبد العزيز الخياط .
- * مجمع الزوائد للهيثمى ، ط/سنة ١٤٠٦هـ .
- * المجموع شرح المذهب للذوى .
- * مجموع الفتاوى لابن تيمية .
- * محاسن الإسلام لمحمد عبد الرحمن البخارى ، ط/٢ ، بيروت .
- * محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمى ، ط/١ سنة ١٣٧٦هـ .

- * مختار الاغانى لابن منظور ، ط/١ سنة ١٣٨٣هـ .
- * مختصر الصواعق لابن القيم ، ط/الافتاء .
- * مختصر العلو للذهبي ، ط/١ سنة ١٤٠١هـ .
- * مدارج السالكين لابن القيم .
- * المزهري في علوم اللغة للسيوطي .
- * المساواة في الاسلام للدكتور على عبد الواحد وافي ، ط/سنة ١٤٠٣هـ .
- * مسند الامام احمد .
- * مشارق الانوار للقاضي عياض ، دار الجيل للطباعة .
- * المصباح المنير .
- * مع العقيدة والحركة والمنهج للدكتور على عبد الحليم ، ط/جامعة الامام سنة ١٣٩٨هـ .
- * مع الله لمحمد الغزالي ، ط/٥ سنة ١٤٠١هـ .
- * معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان نشر وتوزيع مؤسسة الرياض .
- * معالم في الطريق لسيد قطب ، ط/١٠ سنة ١٤٠٣هـ .
- * المعاملات في الاسلام للدكتور عبد الستار سعيد فتح الله ، دار الامفهانى بجدة .
- * المعجم الكبير للطبراني ، ط/١ سنة ١٤٠٠هـ .
- * معجم متن اللغة لاحمد رضا .
- * المعجم الوسيط .
- * معين الحكام لعلاء الدين الطرابلسي ، ط/٢ سنة ١٣٩٣هـ .
- * المغنى لابن قدامة ، مطبوعات الافتاء سنة ١٤٠١هـ .

- * مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد قطب ، ط/٢ سنة ١٤٠٨هـ
- * مفتاح دار السعادة لابن القيم .
- * المفردات في غريب القرآن للراغب ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- * المفصل في علم العربية للزمخشري ، ط/٢ .
- * مقاييس اللغة لابن فارس .
- * مقدمة ابن خلدون ، شركة علاء الدين للطباعة والتجليد ، بيروت .
- * مقومات التصور الاسلامي ، ط/١ سنة ١٤٠٦هـ .
- * منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب ، ط/١١ سنة ١٤٠٨هـ .
- * منهج الدعوة الاسلامية في البناء الاجتماعي لمحمد بن محمد الانصاري ، ط/١ سنة ١٤٠٤هـ .
- * منهج القرآن في التربية لمحمد شديد ، ط/٤ .
- * الموافقات للشاطبي ، ط/٣ سنة ١٣٩٥هـ .
- * الموطأ للإمام مالك ، دار احياء الكتاب العربي سنة ١٣٧٠هـ .
- * نظام الاسلام لمحمد المبارك .
- * نقض المنطق لابن تيمية ، دار الباز للنشر والتوزيع
- * نيل الاوطار للشوكاني ، ط/١ سنة ١٤٠٢هـ .
- * هذا الدين للسيد قطب .
- * هكذانصوم لتوفيق محمد سبع ، ط/٢ سنة ١٤٠٣هـ .
- * الوجوه والنظائر في القرآن للدماغاني ، ط/الاولى سنة ١٣٧٠هـ .

- * الوحدة الاسلامية لمحمد أبى زهرة ، دار الاتحاد العربى للطباعة .
- * الوحدة الموضوعية فى القرآن للدكتور محمد حجازى ، مطبعة المدنى ١٣٩٠هـ .
- * وفيات الاعيان لابن خلكان .

فهرست الموضوعات

الصفحة

٩-١	 المقدمة
٣٥-١٠	 التمهيد
	 مفهوم الوحدة الإسلامية
	 المعنى اللغوي للوحدة
	 الاسلام فى اللغة والاصطلاح
	 معنى الوحدة الإسلامية
	 أسس الوحدة فى الفطرة الانسانية
	 الفطرة فى اللغة والاصطلاح
	 الاساس الاول : وحدة الخلق والنشأة
	 الاساس الثانى : وحدة الفرائض المتقابلة فى
	 كل البشر
	 الاساس الثالث : فطرة التدين شاملة للنوع
	 البشرى على حد سواء
	 الاساس الرابع : تنبيه الفطرة ويقظتها بالوحى ..
	 الاساس الخامس : مطابقة التيسير فى الشريعة
	 بالفطرة

الباب الاول

عوامل الوحدة الإسلامية

٣٦٠-٣٦

فى الكتاب والسنة

٣٧-٣٦	 تمهيد

المفحة

	<u>الفصل الأول : أثر العقيدة الإسلامية فى تحقيق</u>
	الوحدة الإسلامية
٣٩-٣٨	تمهيد
	المبحث الأول : تعريف العقيدة
٤٠	(أ) المعنى اللغوى للعقيدة
٤١	(ب) المعنى الاصطلاحى للعقيدة
٤٦	المبحث الثانى : أسس العقيدة وأركانها
٥٠	المطلب الأول : الايمان بالله
٦٣	المطلب الثانى : الايمان بالملائكة
٧٣	المطلب الثالث : الايمان بالكتب
٨٠	المطلب الرابع : الايمان بالرسل
٩٢	المطلب الخامس : الايمان باليوم الآخر
١٠٨	المطلب السادس : الايمان بالقضاء والقدر
١١١	المبحث الثالث : منهج تحقيق الوحدة بالعقيدة ..
	المبحث الرابع : ضرورة تمحيص العقيدة
١٢١	لتحقق أثرها
	<u>الفصل الثانى : العبادات ووظائفها فى تنظيم الوحدة</u>
١٣٦	توطئة
	المبحث الأول : مفهوم العبادة وبيان خصائصها
١٣٧	الإسلامية
١٥٢	المبحث الثانى : ارتباط العبادة بالعقيدة
١٦٢	المبحث الثالث : دور العبادة فى تحقيق الوحدة ..
١٦٣	المطلب الأول : الصلاة

المفحة

١٨١		المطلب الثانى : الزكاة
١٩٧		المطلب الثالث : الصوم
٢٠٨		المطلب الرابع : الحج
		<u>الفصل الثالث : ظاهرة الترابط والوحدة</u>
		فى المعاملات
٢٢٤		تمهيد
٢٢٧		المبحث الاول : التعريف بالمعاملات
		المبحث الثانى : التزام المعاملات بالحلال المشروع
٢٣٢		المطلب الاول : الاعيان المحرمة عينا وبيعا
		المطلب الثانى : المحرمات من النساء فى
٢٣٦		عقد النكاح
٢٣٩		المطلب الثالث : المهن المحرمة
٢٤٣		المطلب الرابع : الكسب الحرام من خلال العمل
		المبحث الثالث : الاسس العامة فى المعاملات
٢٥٢		فى الاسلام
		المبحث الرابع ^{وظيفة} تشريع المعاملات فى
٢٦٠		تحقيق الوحدة
		<u>الفصل الرابع : نمو الوحدة الاسلامية بالجهاد</u>
		فى سبيل الله
٢٦٨		تمهيد
		المبحث الاول : تعريف الجهاد فى سبيل الله
		وبيان أنواعه وتحديد أهدافه ورد ما يشار
٢٧٢		من مزاعم

المفحة

	المبحث الثانى : أساليب القرآن والسنة فى الدعوة
٢٨٣	الى الجهاد وتحديد خصائصه ومزاياه
	المبحث الثالث : وظيفة الجهاد فى تحقيق
٣١٠	الوحدة الاسلامية
	<u>الفصل الخامس : لسان الوحدة الاسلامية</u>
	"اللغة العربية"
٣٢٣	تمهيد
٣٢٦	المبحث الاول : اللغة العربية وسيلة لفهم الاسلام .
٣٣٦	المبحث الثانى : ضرورة الاهتمام باللغة العربية .
٣٤٣	المبحث الثالث : عوامل انتشار اللغة العربية ..
	المبحث الرابع : اثر اللغة العربية فى
٣٤٦	تحقيق الوحدة

الباب الثانىوسائل تكوين الوحدة الاسلاميةفى القرآن والسنة

٣٦١	تمهيد
	توطئة فى مفهوم الوسيلة والاسلوب فى
٣٦٣	اللغة والاصطلاح
	<u>الفصل الاول : التربية على المنهاج الاسلامى</u>
٣٦٨	التمهيد
٣٧٠	المبحث الاول : مفهوم التربية ومعناها

المفحة

٣٧٤	المبحث الثانى : موضوع التربية الاسلامية
٣٨٠	المبحث الثالث : الوسائل المنهجية للتربية
٣٨٣	المطلب الاول : المنهج الفطرى
٣٨٧	المطلب الثانى : المنهج العلمى
٣٩٤	المطلب الثالث : منهج القدوة الحسنة
	المبحث الرابع : اثر التربية الاسلامية فى
٤٠٠	تحقيق الوحدة
	<u>الفصل الثانى</u> : الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
٤١٢	تمهيد
	المبحث الاول : التعريف بالامر بالمعروف
٤١٥	والنهى عن المنكر
	المبحث الثانى : اساليب القرآن والسنة فى
	عرضهما وبيان مافيهما من تاثير واقناع
٤٢١	وتوجيه
	المطلب الاول : الخطاب الالهى فى الامر بالمعروف
٤٢٣	والنهى عن المنكر
٤٤٠	المطلب الثانى : وصف الانبياء بالقيام بهما
٤٥٦	المطلب الثالث : وصف القائمين بهما
	المطلب الرابع : لعن من تركهما من الامم
٤٦٩	السابقة ومميره
	المبحث الثالث : مسئولية الدولة المسلمة فى
٤٧٤	الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
	المبحث الرابع : شمول المسئولية على الامة
٤٧٩	المسلمة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

المفحةالباب الثالثالناحية التطبيقية للوحدة

٦٠٧	تمهيد
	<u>الفصل الأول</u> : أثر تطبيق الوحدة الاسلامية
٦٠٩	توطئة
٦١٠	المبحث الأول : تحقيق القوة للجماعة المسلمة ...
٦٢٨	المبحث الثانى : حماية الدين عقيدة وشرعية
٦٣٨	المبحث الثالث : ازالة العقبات فى طريق الدعوة .
	المبحث الرابع : الذب عن الاوطان والمحافظة
٦٤٩	على البلاد
٦٥٣	المبحث الخامس : الوفرة فى المعاش والغنى
	<u>الفصل الثانى</u> : المعوقات الرئيسية للوحدة
	وطرق التغلب عليها
٦٥٨	توطئة
٦٦٠	المبحث الأول : الحكم بغير ما أنزل الله
	المطلب الأول : أسباب الحكم بغير ما أنزل الله
٦٦١	فى الامة الاسلامية
٦٦٦	المطلب الثانى : خطورة الحكم بغير ما أنزل الله .
	المطلب الثالث : وسائل التغلب على الحكم
٦٧٨	بغير ما أنزل الله
	المبحث الثانى : الابتداع فى الدين
٦٨٨	تمهيد

المفحة

٦٩٠	المطلب الأول : مفهوم البدعة والنهى عنها
٦٩٧	المطلب الثانى : أسباب الابتداع
٧٠٣	المطلب الثالث : خطورة البدع وآثارها
٧١٦	المطلب الرابع : طرق التغلب على الابتداع
	المبحث الثالث : التقليد
٧٢٠	توطئة
٧٢١	المطلب الأول : مفهوم التقليد وأنواعه
٧٢٧	المطلب الثانى : حكم الاسلام فى التقليد
٧٤٣	المطلب الثالث : طرق التغلب على التقليد المذموم
٧٤٩	المبحث الرابع : الاختلاف والتعصب
٧٥٢	المطلب الأول : مفهوم الاختلاف وأسبابه وأنواعه ..
٧٥٨	المطلب الثانى : صور من نتائج الاختلاف
٧٦٥	المطلب الثالث : موقف الكتاب والسنة من الاختلاف.
٧٦٥	أولا : القرآن
٧٨٨	ثانيا : السنة
٧٩٤	القرآن والسنة متفقان
٧٩٩	المطلب الرابع : موقف السلف الصالح
٨٠٩	الخاتمة
	الفهارس
٨١٦	(١) فهرست الآيات
٨٥٦	(٢) فهرست الأحاديث والآثار
٨٦٧	(٣) فهرست الاعلام المترجم لهم
٨٧٢	(٤) فهرست المراجع
٨٨٥	(٥) فهرست الموضوعات